٥

قواعد الدعوة الإسلامية

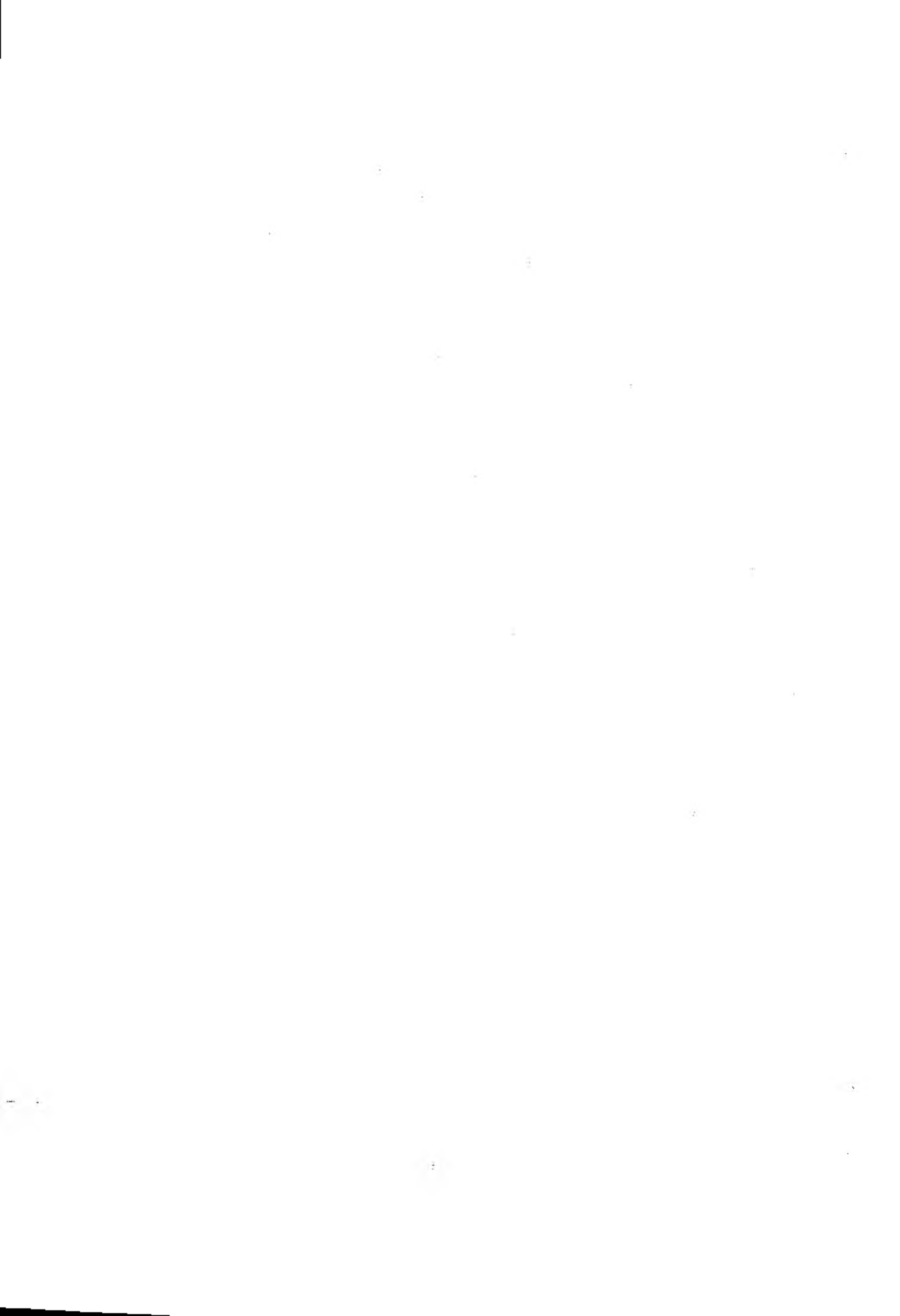
الدكتور

الشريف حمدان راجح المهدي الهجاري

المدينة المنورة ١٤١٣ هـ

صـدر منهـا : -

١ - لا إلـه إلا الله محمد رسول الله تفسير وتوضيح .
٢ - الأسلوب النبوي في الدعوة .
٣ - عدة الداعية المسلم .
٤ - العقيدة أولاً معشر الدعاة .
٥ - قواعد الدعوة الإسلامية .
٦ - عوامل نجاح الدعوة الإسلامية (تحت الطبع) .
٧ - مستقبل الدعوة في أوروبا (تحت الطبع) .
٨ - كيف ندعوا الأطفال ؟ - (تحت الطبع) .



□ الإهــــداء □

إلى دعاة الإسلام في كل زمان وأي مكان
أهدي هذا الكتـاب ، وإلـى والـدي العزيـز
الشريف راجح المهدي الهجاري ؛ لقاء ما قدمه لـي
مـع دعائـي للجميـع بالتوفيـق والقبـول .

حمدان راجح الشريف

١٢ ربيع الأول ١٤١٥

ترجمة المؤلف

□ حمدان راجح المهدي الهجاري الشريف

- ○ من مواليد المدينة المنورة عام ١٣٦٧هـ .
- ○ تلقى تعليمه الأولي في المسجد النبوي الشريف .
- ○ حصل على الشهادة الابتدائية من مدرسة النجاح النموذجية عام ١٣٧٩هـ .
- ○ تخرج من معهد إعداد المعلمين عام ١٣٨٣هـ .
- ○ عين مدرسًا في مدرسة النجاح في ١٣٨٣/٧/١هـ .
- ○ التحق بمركز الدراسات التكميلية بالطائف عام ١٣٨٨هـ .
- ○ قرأ القرآن مجودًا على يد الشيخ حسن الشاعر رحمه الله .
- ○ حصل على الثانوية العامة من ثانوية أُحد الليلية عام ١٣٩١هـ .
- ○ حصل على البكالوريوس في علم الاجتماع من جامعة الملك عبد العزيز بجدة عام ١٣٩٥ هـ.
- ○ حصل على الماجستير في الإعلام من المعهد العالي للدعوة الإسلامية بالمدينة المنورة عام ١٤٠٣هـ .
- ○ تدرج في سلك الوظائف التعليمية حتى مدير مدرسة .
- ○ انتقل إلى الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة عام ١٤٠٥ هـ .
- ○ بحصل على الدكتوراة مع مرتبة الشرف الأولى في الدعوة من الجامعة الإسلامية عام ١٤٠٧ هـ.
- ○ عين أستاذًا مساعدًا بكلية الدعوة وأصول الدين بالجامعة الإسلامية عام ١٤٠٧هـ .

□ نشاطاته :

- ○ انتدب للتدريس في جامعة الدعوة والجهاد لدى المجاهدين الأفغان عام ١٤٠٨هـ في بشاور.

○ عضو جماعة تحفيظ القرآن الكريم بالمدينة المنورة .
○ عضو جمعية البر الخيرية بالمدينة المنورة .
○ عضو أصدقاء المرضىٰ بالمدينة المنورة .
○ مدير عام جمعية الخدمات الاجتماعية بالمدينة المنورة .
○ عضو الجمعية السعودية لطب الأسرة والمجتمع
○ عضو النادي الأدبي بالمدينة المنورة

□ ***مؤلفاته :***

١ – لا إلٰه إلا الله محمد رسول الله تفسير وتوضيح .
٢ – الأسلوب النبوي في الدعوة – رسالة دكتوراة .
٣ – دراسة نقدية لكتاب الإعلام والاتصال بالجماهير للدكتور إبراهيم إمام من متطلبات التخرج لمرحلة الماجستير .
٤ – عدة الداعية المسلم .
٥ – العقيدة أولًا معشر الدعاة .
٦ – كيف ندعو الأطفال – الجزء الأول .
٧ – قواعد الدعوة الإسلامية – تحت الطبع .
٨ – كيف ندعو الأطفال الجزء الثاني – تحت الطبع .
٩ – عوامل نجاح الدعوة الإسلامية – تحت الطبع .
١٠ – مستقبل الدعوة في أوروبا – تحت الطبع .

وهذه الكتب ضمن موسوعة الدعوة الإسلامية التي تخرج تباعًا إن شاء الله للمؤلف .

* * *

خطـــة البحـــث

* * *

□ **الباب الثاني : القاعدة الثانية : (الداعي)** □

□ **الفصل الأول : تعريفه .**

□ **الفصل الثاني : بعض صفات الداعي .**

○ **المبحث الأول** : الالتزام بما يدعو إليه .

○ **المبحث الثاني** : الإخلاص لله في دعوته .

✵ **قواعد الإخلاص :**

● القاعدة الأولى : الإيمان .

● القاعدة الثانية : العمل الصالح .

● القاعدة الثالثة : التواصي بالحق .

● القاعدة الرابعة : الصبر .

○ **المبحث الثالث** : التأسي بالرسول ﷺ .

○ **المبحث الرابع** : أن يكون على بصيرة .

○ **المبحث الخامس** : الصبر وتحمل المشاق في سبيل الدعوة .

○ **المبحث السادس** : الصدق .

○ **المبحث السابع** : الرحمة .

□ **الفصل الثالث : ثقافة الداعي :**

○ **المبحث الأول** : الثقافة الشرعية .

○ **المبحث الثاني** : إلمام بقواعد الإفتاء وشروط صدور الفتوى .

○ **المبحث الثالث** : الثقافة العامة :

● المطلب الأول : الثقافة الإسلامية .

● المطلب الثاني : الثقافة اللغوية الأدبية .

● المطلب الثالث : الثقافة التاريخية .

● المطلب الرابع : الثقافة العلمية .

● المطلب الخامس : الثقافة الواقعية « الحالية » .

○ **المبحث الرابع** : مواقف بعض دعاة الإسلام من خلال الآتي :

أولًا : دراسة لبعض مواقف الخلفاء الراشدين والصحابة مما كان له أثر في الدعوة .

١ - أبو بكر الصديق .

٢ - عمر بن الخطاب .

٣ - مصعب بن عمير .

ثانيًا : دراسة بعض الدعوات ومناهجها في الدعوة إلى الله ، وأثر كل منها في المجتمع المسلم من خلال ترجمة للدعاة الآتية أسماؤهم :

١ - عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى :

أولًا : نسبه ومناقبه .

ثانيًا : علمه وجمل من كلامه وحكمه .

ثالثًا : ورعه وزهده .

رابعًا : عدله وخشيته .

خامسًا : عنايته بالدعوة إلى الإسلام .

سادسًا : آخر خطبه ووفاته .

٢ - أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى :

أولًا : نسبه ومناقبه .

ثانيًا : علمه وقوة حجته .

ثالثًا : سيرته وأخلاقه .

رابعًا : وفاته .

٣ - ابن تيمية رحمه الله تعالى :

أولًا : مولده ونشأته .

ثانيًا : تعليمه ومؤلفاته .

ثالثًا : جهاده وأشهر تلاميذه .

رابعًا : وفاته .

٤ - محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى :

أولًا : مولده ونشأته .

ثانيًا : تعليمه ومؤلفاته .

ثالثًا : مراحل دعوته .

رابعًا : وفاته .

□ **الفصل الرابع : منهج النبي ﷺ في الدعوة** ، وفيه مبحثان :

○ **المبحث الأول** : دعوته ﷺ إلى ما دعا إليه الرسل قبله ، والبدء بتوحيد العبادة ، وسيكون التفصيل في هذا من خلال نقطتين :

● النقطة الأولى : بيان هذا المنهج من خلال الكتاب العزيز .

● النقطة الثانية : بيان هذا المنهج من خلال السنة النبوية .

○ **المبحث الثاني** : دراسة نماذج من حياة الرسول ﷺ وأخلاقه للاقتداء والتأسي من خلال الآتي :

أولًا : الأسوة الحسنة ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ .

ثانيًا : الحلم والأناة .

ثالثًا : التواضع .

□ الباب الثالث : القاعدة الثالثة : (المدعو) □

□ الفصل الأول : المدعو :

○ **المبحث الأول** : التعريف بالمدعو .

○ **المبحث الثاني** : أنواع المدعوين .

أولًا : المسلمون .

ثانيًا : أهل الكتاب .

ثالثًا : المشركون .

رابعًا : الملحدون .

□ الفصل الثاني : حقوق المدعو :

١ – الذهاب إلى المدعو .

٢ – التعرف عليه مباشرة .

٣ – الاهتمام به .

٤ – عدم الاستهانة بالمدعو أيًا كان مستواه .

٥ – احترامه والتلطف معه .

□ **الفصل الثالث : واجبات المدعو :**

أولًا : الاستجابة لله تعالى ورسوله .

ثانيًا : قبول دعوة الإسلام وعدم الاستهانة بها .

ثالثًا : أن لا يستكبر على الحق إذا عرفه .

رابعًا : أن يفكر فيما يدعى إليه .

خامسًا : السمع والطاعة لله ورسوله والقيام بحق الإسلام في جميع شئون حياته .

سادسًا : العمل على إبلاغ هذا الدين للناس أجمعين .

□ **الفصل الرابع : كيف تتم الدعوة في كل من :**

أ – المجتمعات الإسلامية :

أولًا : الاهتمام بتعليم الدين الإسلامي .

ثانيًا : الترغيب والترهيب .

ثالثًا : توحيد الجهود المبذولة في الدعوة من الأفراد والمؤسسات .

رابعًا : العناية بتربية الأطفال والشباب وجذبهم إلى الدين .

خامسًا : الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

ب – دعوة المجتمعات غير الإسلامية :

١ – البوذية .

٢ – المجوسية .

٣ – الهندوسية .

ج – الأقليات الإسلامية :

- الوقفة الأولى : المراد بالأقليات .
- الوقفة الثانية : الأقليات المضطهدة في العالم .
- الوقفة الثالثة : خطط الكفار للقضاء على الأقليات المسلمة لديهم .
- الوقفة الرابعة : كيف تتم دعوتهم ؟

□ الباب الرابع : القاعدة الرابعة : (وسائل الدعوة) □

وفيه عدة فصول :

□ **الفصل الأول : الحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالتي هي أحسن .**

○ **المبحث الأول :** تعريف طرق الدعوة لغة واصطلاحًا .

○ **المبحث الثاني** : الحكمــة .

● **المطلب الأول** : تعريفها ومفهومها .

● **المطلب الثاني** : أنواعها ودرجاتها .

● **المطلب الثالث** : أركان الحكمة .

● **المطلب الرابع** : طرق اكتسابها .

● **المطلب الخامس** : بعض مواقف النبي ﷺ الحكيمة في دعوته .

○ **المبحث الثالث** : الموعظة الحسنة .

● **المطلب الأول** : تعريفها وأنواعها .

● **المطلب الثاني** : ضوابطها .

● **المبحث الرابع** : الجدال بالتي هي أحسن ، تعريفه وأنواعه ونماذج من الجدال الوارد في السنة النبوية لبيان الحق .

□ **الفصل الثاني : الترغيب والترهيب .**

○ **المبحث الأول** : الترغيــب .

● **المطلب الأول** : الترغيب في جنس الطاعات .

● **المطلب الثاني** : الترغيب في أنواع الطاعات .

○ **المبحث الثاني** : الترهيــب ببيان الوعيد بالعذاب والعقوبات على المعاصي .

○ **المبحث الثالث** : الحوار القصصي .

○ **المبحث الرابع** : النظر في الكون والسير في الأرض .

□ **الفصل الثالث : الحسبة في الإسلام .**

○ **المبحث الأول** : تعريفها والحكمة من مشروعيتها .

○ **المبحث الثاني** : مكانتها في الإسلام .

○ **المبحث الثالث** : أركانها .

○ **المبحث الرابع** : شروط المحتسب وآدابه .

○ **المبحث الخامس** : المحتسب عليه وأنواعه .

○ **المبحث السادس** : مجالاتها والغرض منها .

○ **المبحث السابع** : الاحتساب في الوقت الحاضر .



المقدمة

الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين ، أحمده سبحانه وتعالى وأثني عليه الخير كله لا إله غيره ولا رب سواه ، له الحمد في الأولى والآخرة لا نحصي ثناء عليه هو كما أثنى على نفسه ، والصلاة والسلام على معلم الخير رسول الحق البشير النذير والسراج المنير : سيدنا ونبينا محمد الذي بلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة وعلى آله وأصحابه أجمعين وزوجاته أمهات المؤمنين وأهل بيته الطيبين الطاهرين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

بدأت في تدريس الدعوة الإسلامية في العام الدراسي ١٤٠٧/١٤٠٨هـ بكلية الدعوة وأصول الدين بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ، ومنذ تلك السنة وأنا أفكر في الكتابة في موضوع الدعوة الإسلامية ، وبعد عودتي من بلاد الأفغان أو من الباكستان الجزء الشمالي منها عقدت العزم علي إصدار « موسوعة الدعوة الإسلامية » التي صدر منها حتى الآن خمسة كتب : أولها رسالة الدكتوراة وموضوعها : « الأسلوب النبوي في الدعوة » ثم كتاب « لا إله إلا الله محمد رسول الله تفسير وتوضيح » وثالثها « عدة الداعية المسلم » ورابعها « العقيدة أولًا معشر الدعاة » وخامسها « كيف ندعو الأطفال » - الجزء الأول .

وقد بدأت في كتابة هذا البحث في شهر ربيع الأول من عام ١٤١٠ حيث وضعت خطة البحث وبدأت أكتب في أبوابه ، وفي تلك الأثناء علمت أن الجامعة الإسلامية اتجهت إلى تغيير منهج مادة (أصول الدعوة وطرقها) فقمت بالاتصال بالجهات المعنية بذلك (أمانة الجامعة) واطلعت على المنهج الجديد ورأيته لا يختلف عن خطتي التي وضعتها لكتابي هذا (قواعد الدعوة الإسلامية) ، وفعلًا بدأت في الكتابة وأنهيت الباب الأول تقريبًا والباب الثاني والثالث وبقي عليّ الباب الأخير . حيث بدأت العمل في المجال الاجتماعي كمدير عام لجمعية الخدمات الاجتماعية بجانب قيامي بالتدريس في الجامعة ، ومرت الأيام بل الشهور والسنون سريعة وأخرجت ثلاثة كتب ، وهذا الكتاب ما زال ينتظر ، واليوم وأنا أقلب الأوراق القديمة رأيت الأوراق الكثيرة التي تحتوي على الأبواب الثلاثة من الكتاب فقررت

أن أكمل هذا الكتاب ليرى النور قريبًا ، وينضم إلى ما صدر من الموسوعة ، وها أنا أقدم للقارىء العزيز وللمشتغلين بالدعوة هذا الموضوع الجديد القديم – الجديد لأنه اشتمل على معلومات لم يتطرق إليها من كتب في هذا الموضوع من قبل ، ولأنه وافق منهج مادة (أصول الدعوة وطرقها) بالجامعة الإسلامية والجديد أيضًا الذي بدىء في تطبيقه قبل أربع أو خمس سنوات على ما أذكر ، والقديم ؛ لأن المقصود من قواعد الدعوة الإسلامية هي تلك المرتكزات والأسس التي تقوم عليها الدعوة الإسلامية ، وهذا مأخوذ أصلًا من عملية الاتصال البشري التي تعتمد على أربعة عناصر : الرسالة – المرسل – المستقبل – الوسيلة .

أي : لا تحدث عملية اتصال إلا بتوفر هذه العناصر الأربعة وهو أمر بدهي معلوم لدى أصحاب الاختصاص . كذلك الدعوة الإسلامية تقوم على قواعد أربعة :

الرسالة : وهي : هذا الدين الحنيف (الإسلام) بما تتضمنه هذه الكلمة من معانٍ عظيمة ، ثم المبلِّغ لهذا الدين والذي اتفق على أنه الداعية أو الداعي إليه . وثالثها : المستقبل لهذه الدعوة وهو المدعو أيًّا كان وفي أي مكان أو زمان ، ورابعها : الوسيلة التي يستخدمها الداعية لإيصال هذا الدين للمدعو ، القديم منها والحديث وما يفرزه العلم من مبتكرات في هذا الجانب حتى يرث الله الأرض ومن عليها . وبهذا يتضح لنا أن المنطلق الأساسي لهذه التسمية (قواعد الدعوة) هي : عملية الاتصال البشري . وإنني على ثقة بأن هذا الكتاب سيكون له موقعه في مكتبة الدعوة الإسلامية ؛ لأنه يتضمن خبرة طويلة في هذا المجال نظريًّا وعمليًّا ؛ لأنني عملت في هذا المجال قبل أكثر من ثلاثة عقود حيث التحقت بالعمل التربوي التعليمي في عام ١٣٨٣ من الهجرة النبوية وفي المدينة المنورة التي يأتي إليها المسلمون من كل مكان لزيارة المسجد النبوي الشريف ، ويقوم البعض من أبناء المدينة بتوعية الزوار ، ومن فضل الله عليَّ أنني شاركت عمليًّا في الدعوة منذ عام ١٣٨٤ هجرية وحتى كتابة هذا التمهيد في رمضان عام ١٤١٤ هـ إضافة إلى تخصصي في هذه المادة بدرجة الدكتوراة مع مرتبة الشرف الأولى ، وهذا من باب التحدث بنعم الله ، والله أسأل أن ينفعني بما أكتب وأقول ، وأن يجعلني من القائلين العاملين ، وأن يستفيد الدعاة والإخوة الذين يشتغلون في التربية والتعليم بما يحتويه هذا الكتاب من مواضيع ، إنه قريب سميع مجيب ، وكما ذكرت سابقًا فإن الكتاب يحتوي أربعة أبواب :

- □ **الباب الأول** : الرسالة المراد إبلاغها للناس (الإسلام) ويتضمن ستة فصول .
- □ **الباب الثاني** : ويتحدث عن (الداعي) وفيه أربعة فصول .
- □ **الباب الثالث** : ويتحدث عن (المدعو) وفيه أربعة فصول .
- □ **الباب الرابع** : الوسيلة وفيه ثمانية فصول .

سائلًا العلي القدير أن ينال الموضوع استحسان الجميع ، وأن ينفع به ، وما توفيقي إلا بالله علية توكلت وإليه أنيب .

* * *

الباب الأول

القاعدة الأولى

(الرسالة المراد إبلاغها للناس)

- الفصل الأول : موضوع الدعوة
- الفصل الثاني : موضوع الدعوة الإسلامية
- الفصل الثالث : أهمية الدعوة للفرد والمجتمع
- الفصل الرابع : الدعوة الإسلامية والحياة
- الفصل الخامس : خصائص الدعوة الإسلامية
- الفصل السادس : أهم ميادين الدعوة الإسلامية

❋ ❋ ❋

الفصل الأول
موضوع الدعوة

- ○ المبحث الأول : تعريف الدعوة .
- ○ المبحث الثاني : حكم الدعوة .

* * *

المبحث الأول : تعريف الدعوة

○ الدعوة لغة :

قال صاحب المختار : دعا – الدعوة إلى الطعام بالفتح يقال : كنا في دعوة فلان ومدعاة فلان ، وهو مصدر والمراد بهما الدعاء إلى الطعام ، والدعوة بالكسر في النسب والدعوى أيضًا ، هذا أكثر كلام العرب . وذهب بعضهم إلى العكس يفتحون الدال في النسب ويكسرونها في الطعام ، والدعي من تبنيته ومنه قوله تعالى: ﴿ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ﴾ وتداعت الحيطان للخراب : أي تهادمت ، ودعاه أي صاح به ، وصاحب القاموس ذكر لهذه المادة معاني أخرى فقال : الدعاء : الرغبة إلى الله وتداعوا عليه: تجمعوا، ودعاه: ساقه. والداعية: صريخ الخيل في الحروب. ودعوته: سميته. والدعوة: الدعاء إلى الطعام.

أما استعمال هذه الكلمة في الكتاب العزيز فإنها استعملت بمعان مختلفة ، يحددها وضعها في السياق ، ومن تلك المعاني في القرآن الكريم ما يلي :

الدعاء : النداء، قال تعالى: ﴿ لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا ﴾.

ودعوته : سألته ، قال تعالى : ﴿ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ ﴾ .

الدعاء إلى الشيء : الحث على قصده ، قال تعالى : ﴿ قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ ﴾ .

تدعون : تطلبون، قال تعالى : ﴿ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴾ .

الدعوى : الادعاء، قال تعالى : ﴿ فَمَا كَانَ دَعْوَاهُمْ إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا ﴾ .

الدعوى : الدعاء ، قال تعالى : ﴿ وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾.

عليه يمكننا أن نقول : إن المعنى الأصلي لهذه الكلمة – الدعاء والنداء والسؤال والصياح والتجمع والاستغاثة والحث والطلب .

○ الدعوة اصطلاحًا :

الدعوة الإسلامية مصطلح يقصد به : بيان الحق وإبلاغه بهدف إشراك الناس في خير الإسلام وهداه ، وقد يراد بها الإسلام نفسه ، فدعوة الإسلام أو الدعوة إلى الله هي دعوة الحق قال تعالى : ﴿ لَهُۥ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ ﴾ وقد فسرت دعوة الحق ، بكلمة الشهادة والتوحيد أي : شهادة أن لا إله إلا الله ، يقول عز وجل : ﴿ تَدْعُونَنِى لِأَكْفُرَ بِٱللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِۦ مَا لَيْسَ لِى بِهِۦ عِلْمٌ وَأَنَا۠ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلْغَفَّٰرِ ﴿٤٢﴾ ﴾ وهذا يدل على ضرورة كشف الباطل وإظهار زيغه وضلاله ، وذلك عند بيان الحق وإظهاره . فالدعوة الإسلامية : منهج يقوم على بيان الحق والخير والهدى وكشف وسائل الباطل وأساليبه ومنهج الزيغ فيه بكل الطرق والأساليب والوسائل والمناهج التي يجمعها قوله تعالى : ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾ ﴾[1] .

وهناك تعريف آخر للدعوة اصطلاحًا هو : الحث على فعل الخير واجتناب الشر واتباع الحق ونبذ الباطل والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والتعريف الثالث هو : هي الطلب إلى خير مخصوص والحث على فكرة خيرة معينة ، وذلك بالانتساب إلى الدين الحق والدعوة إليه والحث عليه والنداء به والجهر بمبادئه والسؤال الدعوب عنه ، وجمع الناس كافة للالتفاف حوله والسير على طريقه القويم وهديه المستقيم .

وأن من أمعن النظر في قول الحق تبارك وتعالى : ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ ﴾ يجد أن الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى تشمل ما يلي :

✹ أولًا : الدعوة بالقدوة :

ونعني بالقدوة أن يكون الداعية صورة عملية للإسلام في معاملاته وسلوكه وأخلاقه وعبادته بحيث يحرك فطرة من يراه من الناس ، ويستثير مشاعره الإنسانية التي يتميز بها عن سائر المخلوقات ، فمن خلال تلك الاستثارة وذلك التحريك يتحقق الطلب والنداء ، أي: صورة الدعوة، فيسأل من يرى ذلك السلوك عن سره فيقال له : إنها دعوة الإسلام

---

(١) سورة النحل الآية : ١٢٥ .

وفي الطبراني عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه « **خيار أمتي الذين إذا رؤوا ذكر الله** » .

✵ **ثانيًا** : كما تشمل الدعوة أيضًا : **التعليم** .

وهو ما يكون بتكرير وتكثير حتى يحصل منه أثر في نفس المتعلم ، وقيل : إن التعليم تنبيه النفس لتصور المعاني فهو أحد الأساليب التي يشملها مفهوم الدعوة لما فيه من معنى الطلب والمشاركة حتى يتبين للطالب الحق ، قال تعالى : ﴿ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ﴾ .

✵ **ثالثًا** : كما تشمل الدعوة أيضًا : **الدعاية** .

والدعوة تشمل الدعاية سواء بمفهومها الجزئيّ القاصر على معنى الإعلام والتشويق أو بمفهومها المراد في الدعوة ، والذي جاء في كتاب رسول الله ﷺ إلى هرقل « **أدعوك بدعاية الإسلام** » أي : بدعوة الإسلام وشهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله .

✵ **رابعًا** : وتشمل الدعوة أيضًا : **الإعلام** .

تشمل الدعوة الإعلام علمًا وفقهًا ، أي : إذا جاء بمعنى الإخبار السريع ، أو إذا جاء بمعنى التعليم للطرق الإعلامية . وذكر صاحب تاج العروس : (وعلمه العلم تعليمًا فتعلم ، وأعلمه إياه فتعلم ، وهو صريح في أن التعليم والإعلام شيء واحد) . وفرق سيبويه بينهما فقال : إلا أن الإعلام اختص بما كان بإخبار سريع ، والتعليم اختص بما يكون بتكرير وتكثير حتى يجعل منه أثر في نفس المتعلم ، وربما استعمل أحدهما في معنى الآخر تجاوزًا ، إلا أن الأصح أن نفرق بينهما كما قال صاحب تاج العروس : إذا قيل لك : اعلم كذا ، قلت : قد علمت ، وإذا قيل لك : تعلم كذا ، ألم تقل ، قد تعلمت ؟ .

✵ **خامسًا** : كما تشمل الدعوة أيضًا : **البلاغ والتبليغ** .

أي : ما يتبلغ به ويتوصل إلى الشيء المطلوب ، والبلاغ والإبلاغ والتبليغ مادة تقوم على معنى الإيصال، ومنه: بلغت المكان بلوغًا، أي: وصلت إليه، وكذلك إذا شارفت عليه وفي اللسان : بلغ الشيء يبلغ بلوغًا وبلاغًا وصل وانتهى إليه ، وأبلغه هو إبلاغًا ، وبلغه تبليغًا، ويبلغ الشيء وصل إلى مراده . وفي كتاب الله العزيز: ﴿ إِلَّا بَلَاغًا مِّنَ اللَّهِ وَرِسَالَاتِهِ ﴾ أي: لا أحد منجيّ إلا أن أبلغ عن الله ما أرسلت به ، والإبلاغ : الإيصال ،

وكذلك التبليغ والاسم : البلاغ ومنه قوله تعالى : ﴿ أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ وفي الحديث : « **بلغوا عني ولو آية** » وقال تعالى : ﴿ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴾ .

❋ **سادسًا** : كما تشمل الدعوة أيضًا : **الكلمة الطيبة** .

وتكون في خطبة أو موعظة أو قصيدة أو مقالة أو قصة أو أمر بمعروف ونهي عن منكر أو شهادة حق أو بيان لأمر خفي أو صلح بين متخاصمين ، إلى غير ذلك مما تشمله الدعوة بالكلمة الطيبة الموصوفة بكونها طيبة كما جاء في قوله تعالى : ﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي ٱلسَّمَآءِ ۝٢٤ تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا ﴾ والكلمة الطيبة فسرت بكلمة التوحيد والشهادة ، ولا يوجد ما يمنع من عموم اللفظ ليشمل كل ما يخدم التوحيد والشهادة من بيان أو تبليغ وترغيب في التوحيد ، وحث على اتباع الحق ، وكل موعظة من أجل توصيل مفهوم التوحيد وما يترتب عليه من إخلاص العبادة والعبودية لله رب العالمين . كما أن كل خطبة أو مقالة أو قصيدة أو حوار أو غير ذلك مما يتوصل به بالناس إلى هدى الله وإلى البعد عن الشرك والضلال والكفر يعد من طيب القول .

❋ **سابعًا** : كما تشمل الدعوة أيضًا : **القوة** .

من هذا يتبين أن لزوم الدعوة في الإسلام لطلب الخير والهدى والصلاح من طريق الشهادة والتوحيد ، والإيمان بالله سبحانه وتعالى لا يعني أنها مجرد مفهوم لعبادة أو لعدد من العبادات ، بل يعني شمولها لدعوة الإسلام باعتباره الهدى والخير والفوز بالسعادة في الدنيا والآخرة .

سواء كانت الدعوة بهدف توصيله لغير المسلمين ، أو توصيل بعض نظمه إلى من يجهلها ، أو كانت بهدف أخذ المسلمين أنفسهم إلى طريق الحق والهدى بالكلمة الطيبة ، أو بأي أسلوب آخر كالزجر والحد وغير ذلك ، وهو : ما يعني شمول الدعوة أيضًا لأسلوب القوة . فالطلب كما يكون باللين يكون أيضًا بالزجر والتهديد والوعيد ، وقد تصل القوة إلى حد القتال والقتل لأعداء الحق ، قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ بِٱلسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ۝١٣٠ ﴾ وقال جل وعلا : ﴿ وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ ﴾ . وقال جل من قائل : ﴿ وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ

﴿كُلُّهُۥ لِلَّهِ﴾ . وبهذا يتضح لنا أن كلمة « دعوة » تشمل تلك المعاني التي وقفنا عليها في السطور السابقة ؛ لأنها عودة بالعبد إلى خالقه جل وعلا ، وإنقاذ له من قهر الاستعباد والسيطرة والاسترقاق الذي وقع فيه خلال تسلط بعض عباد الله على عباد الله من خلال القهر ، أو التنظيمات الاجتماعية في المجتمعات البشرية على طول تاريخها ، بعد أن ابتعدت عن منهج الله الذي نزل عليهم من خلال رسل الله عليهم الصلاة والسلام ، قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾ فكان ما كان من عبادة العباد والكواكب والجمادات كما هو معلوم لدي الجميع من خلال إخبار القرآن الكريم بذلك عند الحديث عن الأمم السابقة ، والذي ندعو له ونؤكد عليه في هذا المقام هو : تتبع منهج النبي محمد ﷺ في الدعوة ، إذ إنه ﷺ جعل لكل فئة من فئات المدعوين ما يناسبها من أسلوب ، مع عدم إغفال أسلوب القوة عندما يستحيل استخدام أساليب الحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالتي هي أحسن .

وقد عرفت الدعوة بـ : (إبلاغ الناس دين الإسلام بكل الطرق والوسائل الممكنة والمناسبة لقدراتهم وفقًا لمنهج الرسول ﷺ شريطة توفر العلم بالدين ووسائل الإقناع اللازمة لكل زمان وكل فئة)[1].

* * *

(١) تعريف المؤلف .

المبحث الثاني : حكم الدعوة إلى الله

قبل بيان حكم الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى يحسن بنا أن نبين فضل الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى مما ورد في كتاب الله العزيز وسنة نبيه الكريم عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم.

إن فضل الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى لا يخفي على أهل العلم ، وإنما أردنا إيضاح ذلك لشباب المسلمين من طلاب الكليات المتخصصة في أمور الدعوة وغيرهم ممن يريد معرفة ذلك ، وكلنا أمل بأن يعي شباب أمة الإسلام فضل الدعوة إلى الله عز وجل وما حصلت عليه أمة الإسلام من عزة ورفعة عندما قامت برفع راية الدعوة هنا وهناك .

لقد اتضح فضل الدعوة إلى الله من خلال الآيات التي وردت في كتاب الله العزيز ، قال تعالى : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾ وقول الحق جل وعلا : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ فالآية الأولى تبين أنه لا أحد أحسن قولًا من الذي يدعو إلى الله سبحانه وتعالى ، إنه شرف عظيم يمتدحه رب العزة والجلال ويبين لنا أنه لا أحد أحسن في القول منه ، لأنه يدعو إلى الله ويرشد إلى طريقه المستقيم بعد ما علم وعمل بما علم ، ودعا إلى الحق وأنكر الباطل وحذر منه واعتز بأنه من المسلمين ، لقد صدع بالحق ودعا إليه بعد ما تنعم بهذا الخير وعرف أثره على حياته كلها ، لم يبخل على إخوانه من بني البشر ؛ بل أخذ يدعوهم إلى ذلك الخير لتحقق العبودية لله وحده لا شريك له ، ويقوم هذا الخليفة بخلافته في الأرض كما أراد الحق سبحانه وتعالى من إخلاص العبادة له وحده جل وعلا ونبذه ما سواه من الأنداد والشركاء . فبالدعوة إلى الله سبحانه وتعالى كان قول الداعية أحسن الأقوال ، كما ورد ذلك في المؤذنين الذين يرفعون أصواتهم بالنداء إلى الصلاة التي كتبها الحق تبارك وتعالى على عباده لتكون الصلة بين العبد وخالقه جل وعلا دائمة ، وذلك بقيامه بهذه الفريضة العظيمة في اليوم والليلة خمس مرات، وهذه الأمة كانت وستظل

أحسن الأمم بقيامها بالدعوة إلى الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، المعروف بجميع أشكاله وعلى اختلاف ألوانه ومسمياته ، والمنكر بجميع أصنافه ومختلف مسمياته وما عرف في الزمن السابق، وما استجد في هذا الزمن وما سيحدث في المستقبل مما يقوم بنشره دعاة الضلال من أعداء الإسلام ، وفي السنة المطهرة قال رسول الله ﷺ : « **من دل على خير فله مثل أجر فاعله** »[1]. وهل هناك خير أعظم من الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى وتبليغ رسالة الحق جل وعلا للخلق ؟ .

وقوله ﷺ : « **من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئًا ، ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئًا** »[2] وفي قول النبي في الحديثين السابقين البيان الشافي بعد آيات الذكر الحكيم في بيان فضل الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى ومكانتها السامقة ومقامها العظيم الذي بينته الآيات الكريمات في كتاب ربنا العظيم ، وقول رسول الهدى والخير سيدنا محمد ﷺ في الحديثين الشريفين الواردين في صحيح الإمام مسلم رحمه الله تعالى .

ومما لا شك فيه أن هذا الفضل دلت عليه الآيات والأحاديث النبوية ليجعل الداعية يدرك أهمية العمل الذي يقوم به وعظم الثواب الذي يناله إن قام بها كما بين المصطفى ﷺ من خلال آي الذكر الحكيم ، وأقواله عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم والله يضاعف لمن يشاء .

إن الحديث عن فضل الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى يحتاج لمساحة أكبر من هذه التي نحن فيها ، إلا أنني كما ذكرت في البداية أردت التذكير بها فقط وسأتناولها إن شاء الله في بحث مستقل ضمن موسوعة الدعوة الإسلامية قريبًا .

* * *

(١) صحيح مسلم كتاب الإمارة .

(٢) صحيح مسلم كتاب العلم .

○ حكم الدعوة إلى الله عز وجل ○

في البداية نستعرض بعض أقوال العلماء في حكم الدعوة إلى الله عز وجل .

❋ **أولًا** : يقول الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز وفقه الله في ذلك :

أما حكمها : فقد دلت الأدلة من الكتاب والسنة على وجوب الدعوة إلى الله عز وجل وأنها من الفرائض ، والأدلة على ذلك كثيرة، منها: قوله سبحانه وتعالى : ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾﴾ ، ومنها : قوله جل وعلا : ﴿ ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ۖ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾، ومنها : قوله عز وجل : ﴿ وَادْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ ۖ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٨٧﴾ ﴾، ومنها:قوله سبحانه وتعالى:﴿قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾.

فبين سبحانه أن أتباع الرسول ﷺ هم : الدعاة إلى الله ، وهم : أهل البصائر، ثم يقول الشيخ: وصرح العلماء أن الدعوة إلى الله عز وجل فرض كفاية بالنسبة إلى الأقطار التي يقوم بها الدعاة ، إن كل قطر وكل إقليم يحتاج إلى الدعوة والنشاط فيها فهي : فرض كفاية إذا قام بها من يكفي سقط عن الباقين ذلك الوجوب ، وصارت الدعوة في حق الباقين سنة مؤكدة وعملًا صالحًا جليلًا .

وإذا لم يقم أهل الإقليم أو أهل القطر المعين بالدعوة على التمام صار الإثم عامًّا ، وصار الواجب على الجميع .

وعلى كل إنسان أن يقوم بالدعوة ، كل حسب طاقته وإمكانه، وبهذا يعلم أن كونها فرض عين وكونها فرض كفاية أمر نسبي ، فقد تكون الدعوة فرض عين بالنسبة إلى أقوام وإلى أشخاص ، وسنة بالنسبة إلى أشخاص وإلى أقوام ، لأنه وجد في محلهم وفي مكانهم من قام بالأمر وكفى عنه[1].

---

(١) مجموع فتاوى ابن باز جـ١ ص٣٣٤ – ٣٣٦ العبيكان للطباعة – الرياض .

❋ ثانيًا : يقول الدكتور عبد الكريم زيدان في كتابه أصول الدعوة : (إن المكلف بالدعوة إلى الله هو كل مسلم ومسلمة ، لأن الأمة الإسلامية تتكون منهم ، فكل بالغ عاقل من الأمة الإسلامية – وهي المكلفة بالدعوة إلى الله – يكلف بهذا الواجب ذكرًا كان أو أنثى ، فلا يختص العلماء أو كما يسميهم البعض رجال الدين بأصل هذا الواجب ، لأنه واجب على الجميع ، وإنما يختصون بتبليغ تفاصيله وأحكامه ومعانيه نظرًا لسعة علمهم به ومعرفتهم بجزئياته، ويزيد الأمر وضوحًا – وهو أن المكلف بالدعوة إلى الله تعالى هو كل مسلم ومسلمة – قول ربنا جل وعلا : ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ فأتباع الرسول المؤمنون به يدعون إلى الله على بصيرة – أي: علم وبينة – كما كان رسولهم ﷺ يدعو إلى الله على بصيرة ويقين . ثم يقول الدكتور عبد الكريم زيدان :

والدعوة إلى الله وهي واجب على كل مسلم ومسلمة كما قلنا ، قد يؤدَّى بصورة فردية أو جماعية، وإذا أردنا الدقة في التعبير قلنا : إن هذا الواجب يؤدى على نحوين ، الأول : نحو فردي بأن يقوم المسلم بصفته فردًا مسلمًا .

والثاني : يؤدي هذا الواجب أو جانبًا منه بصفته فردًا في جماعة تدعو إلى الله تعالى، يدل على هذا كله قول الله تبارك وتعالى : ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾[1] .

❋ ثالثًا : رأي الشيخ عبد الله ناصح علوان أستاذ الدراسات الإسلامية بجامعة الملك عبد العزيز بجدة، والذي دونه في رسالته (وجوب تبليغ الدعوة) يقول رحمه الله تعالى :

(اعلم رحمك الله أن الدعوة إلى الإسلام أصبحت في هذا العصر فريضة شرعية وضرورة صحية على كل من انتسب إلى أمة الإسلام : شيبًا أو شبابًا رجالًا ونساءً صغارًا وكبارًا حكامًا ومحكومين خاصة وعامة، كل يقوم بهذه المهمة على حسب حاله وحسب طاقته وحسب إيمانه وحسب تحسسه بواقع المسلمين وأصول المجتمعات البشرية) .

والأصل في هذه الوظيفة الدعوية العامة قوله تعالى : ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ

---

(١) أصول الدعوة لعبد الكريم زيدان ط٣ ١٤٠١هـ ص٢٩٨ .

أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ ﴾ . والقاعدة في هذه المهمة التبليغية الشاملة قوله جل وعلا : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ﴾[1].

* * *

(١) وجوب تبليغ الدعوة لعبد الله ناصح علوان دار السلام للطباعة ص٥ ، ٦ .

الفصل الثاني
موضوع الدعوة الإسلامية

- ○ المبحث الأول : تعريف الإسلام .
- ○ المبحث الثاني : أركان الإسلام .
- ○ المبحث الثالث : أركان الإيمان .
- ○ المبحث الرابع : الإحسان .
- ○ المبحث الخامس : مقاصد الإسلام .

* * *

○ موضوع الدعوة الإسلامية ○

نعني بالدعوة هنا : الدعوة إلى الإسلام ، فالموضوع : هو دين الله سبحانه وتعالى الذي ارتضاه لعباده تفضلًا منه جل وعلا وكرمًا ورحمة بهم جميعًا ، قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾[1] وقال سبحانه وتعالى في سورة المائدة : ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾[2] إنه الإسلام الذي يشمل كل ما يحتاج إليه البشر في دنياهم وآخرتهم من عقيدة وشريعة وأخلاق ، الإسلام الذي نظم الحياة تنظيمًا دقيقًا وفريدًا ومعجزًا كاملًا لا تجد فيه ثغرة من الثغرات وكيف يكون ذلك ؟ وهو من عند الله الذي خلق فسوى ، والذي قدر فهدى ، الإسلام الذي يحقق للإنسان إنسانيته وعزته وكرامته ، الإسلام الذي كفل لكل فرد حقوقه وأوضح له ما عليه من واجبات ، الإسلام الذي اشتمل على جميع ما يتعلق بحياة الإنسان مع خالقه سبحانه وتعالى، ومع نفسه ومع من حوله في البيت ، والمجتمع : المجتمع بمؤسساته وتفاعلاته . مع خالقه أوضح له كيف يحقق العبودية ويخلص العبادة ، قال تعالى : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾ ﴾[3] ومع نفسه كيف يسير بها إلى رضوان الله وجناته بامتثال أوامره واجتناب نواهيه . ومع من حوله في البيت من والدين وزوجته وأبنائه حيث الحقوق والواجبات: حق الوالدين الذي أوجبه الحق سبحانه وتعالى على العباد قال تعالى : ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ﴾[4] وحقوق الزوجة والأولاد والأقارب حيث مسئولية الرعاية والعناية، كما ورد من تفصيل في هذا الجانب ولقوله ﷺ : « **كلكم راع وكل راع مسئول عن رعيته ، الإمام راع ومسئول عن رعيته ، والرجل راع في**

---

(١) سورة آل عمران الآية : ١٩ .

(٢) سورة المائدة الآية : ٣ .

(٣) سورة الداريات الآية : ٥٦ ، ٥٧ ، ٥٨ .

(٤) سورة الإسراء الآية : ٢٣ .

أهله وهو مسئول عن رعيته، والمرأة راعية في بيت زوجها ومسئولة عن رعيتها، والخادم راع في مال سيده ومسئول عن رعيته » قال: وحسبت أن قد قال : « **والولد راع في مال أبيه ومسئول عن رعيته، وكلكم راع ومسئول عن رعيته** »[1]، ومع المجتمع الذي يعيش فيه أفراد وجماعات حيث كفل المسلم حقوقه كاملة: فدمه وماله وعرضه حرام، قال ﷺ : « **المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره التقوى هاهنا** – ويشير إلى صدره ثلاث مرات – **بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم، كل المسلم على المسلم حرام: دمه وماله وعرضه** »[2]، وأوجب عليه حقوقًا لا بد من أدائها للمجتمع الذي يعيش فيه انطلاقًا من قوله ﷺ : « **المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضًا** »[3] وقوله ﷺ : « **مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى** »[4] الإسلام الذي ما ترك صغيرة ولا كبيرة مما يصلح للإنسان في دنياه وأخراه إلا وحثه على السعي إليها ، وتحقيقها ليفيد ويستفيد : يفيد إخوانه المسلمين ، ويستفيد من إخوانه المسلمين ، فهو قوي بإخوانه الذين جمعه بهم هذا الدين العظيم : الإسلام الذي لم يفرق بين الأبيض ولا الأسود ولا بين عربي وعجمي ، ولا غني وفقير ، ولا أسود ولا أحمر إلا بالتقوى ، كما قال ﷺ : « **يا أيها الناس ألا إن ربكم واحد ، وإن أباكم واحد ، ألا لا فضل لعربي على أعجمي ولا لعجمي على عربي ، ولا لأحمر على أسود ولا أسود على أحمر ؛ إلا بالتقوى** »[5] الإسلام الذي أنقذ الله سبحانه وتعالى به البشرية مما لحق بها من جور وظلم وخزي وعار ، وبعد عن رب العالمين : الذي خلق فسوى والذي قدر فهدى والذي أخرج المرعى رب العالمين الذي خلقهم لعبادته فانحرفوا عن الطريق وتفرقت بهم السبل ، فأصبحوا كفارًا يضرب بعضهم رقاب بعض ، فلا تراحم ولا تعاطف ولا عدل ولا مساواة ، الغلبة للقوي . انتشرت بينهم شريعة الغاب هم كالأنعام ؛ بل هم أضل ، أضاعوا الحقوق واستباحوا الحرمات ، انتشرت بينهم الرذيلة

---

(١) صحيح البخاري كتاب الجمعة جـ٢ ص٣٣ عالم الكتب بيروت ط٤ ، ١٤٠٥ هـ .
(٢) صحيح مسلم تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي دار إحياء التراث العربي ببيروت .
(٣) صحيح مسلم جـ٤ ص١٩٩٩ حـ١٢ دار إحياء التراث ببيروت ط٢ .
(٤) صحيح مسلم جـ٤ ص١٩٩٩ ط٢ دار إحياء التراث بيروت .
(٥) مسند الإمام أحمد جـ٥ ص٤١١ المكتب الإسلامي للطباعة والنشر .

وبعدوا عن الفضيلة لبعدهم عن رب العالمين ، ورسله الكرام صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ، وما نزل عليهم مَنْ هدي وتشريع لإصلاح حال العباد من رب العالمين سبحانه وتعالى، الإسلام الذي ختم الله سبحانه وتعالى به الرسالات وأعز به الإنسان، الإسلام الذي قال عنه رب العزة والجلال في محكم التنزيل : ﴿ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ۝١٥ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝١٦ ﴾[1] ما هو الإسلام إذًا ؟ .

* * *

(١) سورة المائدة الآية : ١٥ ، ١٦ .

المبحث الأول : تعريف الإسلام

الإسلام : هو الاستسلام لله بالتوحيد والانقياد له بالطاعة والخلوص من الشرك .

(١) والتعريف الجامع المانع هو ما ورد في حديث رسول الله ﷺ في صحيح مسلم ؛ عندما أتاه جبريل عليه السلام، قال عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما : حدثني أبي عمر بن الخطاب قال : بينما نحن عند رسول الله ﷺ ذات يوم ، إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب ، شديد سواد الشعر لا يرى عليه أثر السفر ولا يعرفه منا أحد ، حتى جلس إلى النبي ﷺ فأسند ركبتيه إلى ركبتيه ووضع كفيه على فخذيه ، وقال : « **يا محمد أخبرني عن الإسلام** »، فقال رسول الله ﷺ : « **الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلًا** »[1] هكذا عرفه من لا ينطق عن الهوى ﷺ ، ولا شك أنه تعريف شامل موضح للإسلام ، وقال صاحب لسان العرب: والإسلام: الاستسلام والانقياد ، والإسلام من الشريعة : إظهار الخضوع وإظهار الشريعة والتزام ما أتى به النبي وبذلك يحقن الدم ويستدفع المكروه ، والإسلام باللسان ، والإيمان بالقلب ، يقال : فلان مسلم ، وفيه قولان : أحدهما : هو المستسلم لأمر الله ، والثاني : هو المخلص لله العبادة[2] ولا بأس من إيراد بعض التعاريف للإسلام .

(٢) يقول سيد قطب في الظلال: (الإسلام الذي هو الاستسلام والطاعة والاتباع وإذن فليس الدين الذي يقبله الله من الناس هو مجرد تصور في العقل ولا مجرد تصديق في القلب ، وإنما هو القيام بحق هذا التصديق وذلك التصور هو تحكيم منهج الله في أمر العباد كله وطاعتهم لما يحكم به واتباعهم لرسوله في منهجه)[3].

---

(١) صحيح الإمام مسلم جـ١ ص٣٧ كتاب الإيمان تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي دار التراث بيروت .

(٢) لسان العرب لابن منظور جـ١٢ ص٢٩٣ دار صادر بيروت لبنان .

(٣) في ظلال القرآن لسيد قطب جـ١ ص٣٧٧ طـ٧ لعام ١٣٩٨ دار الشروق .

(٣) ويقول الأستاذ عبد الكريم زيدان : (الإسلام هو : الأجوبة الصحيحة الحقة لثلاثة أسئلة شغلت عقول البشر في القديم وفي الحديث ، وترد على فكر كل إنسان كلما خلا بنفسه وسرح خاطره في أمور الحياة ، أو شيع ميتًا أو شاهد قبورًا، هذه الأسئلة هي :- من أين جئنا ؟ ولماذا جئنا ؟ وإلى أين المصير ؟ والأجوبة الصحيحة لهذه الأسئلة التي أخبر بها رسول الله ﷺ تكون بمجموعها وتفصيلاتها : الإسلام ، فنص السؤال الأول من أين جئنا؟ يقول الحق تبارك وتعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ ۚ وَنُقِرُّ فِى ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ ۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنۢ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْـًٔا ۚ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ۝٥ ﴾[1] وعن السؤال الثاني يقول الحق تبارك وتعالى : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦ ﴾[2] وعن السؤال الثالث يقول الحق تبارك وتعالى : ﴿ ٱللَّهُ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ۝١١ ﴾[3] ويقول جل وعلا : ﴿ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجْعَىٰٓ ﴾[4] إنه إيضاح لمعاد الإنسان بعد موته ، وأنه راجع إلى ربه سبحانه وتعالى ليجازيه على أعماله التي عملها في دار العمل . كما قال تعالى في سورة الزلزلة : ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴾[5] فإن كان قد زكى نفسه بعبادة الله ، وصار من الطيبين فنزله في دار الطيبين الجنة ، وإن كان قد دنس نفسه ولوثها بأقذار المعصية وأبقى خبثها فنزله في دار الخبيثين)[6].

وبعد هذا الاستعراض السريع لتعريف الإسلام نبدأ التفصيلات والتعريفات .

إذ إن هذا الدين العظيم (الإسلام) مبني على قواعد راسخة ثابتة ، قائم على أركان خمسة

---

(١) سورة الحج آية : ٥ .

(٢) سورة الذاريات آية : ٥٦ .

(٣) سورة الروم آية : ١١ .

(٤) سورة العلق آية : ٨ .

(٥) سورة الزلزلة آية : ٧ ، ٨ .

(٦) أصول الدعوة لعبد الكريم زيدان ص١١ ، ١٢ بتصرف الناشر مكتبة المنار الإسلامية ١٤٠١ هجري .

بينها الصادق الأمين ﷺ عندما سئل عن الإسلام . هذه الأركان الخمسة التي يقوم عليها الإسلام ما هي إلا دعائم يرتكز عليها الدين يحقق بها العبد عبوديته لله سبحانه وتعالى ، إذ لا معبود بحق إلا الله سبحانه وتعالى متفرد في ألوهيته وربوبيته وأسمائه وصفاته جل شأنه ، واحد أحد فرد صمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوًا أحد .

بيده الأمر كله وإليه يرجع الأمر كله لا إله غيره ولا رب سواه بيده الخير وهو على كل شيء قدير .



المبحث الثاني : أركان الإسلام

ونقصد بها دعائمه وقواعده التي يقوم عليها ، والتي بينها النبي الكريم عليه أفضل الصلاة وأزكي التسليم في حديث ابن عمر الذي أوردناه في تعريفنا للإسلام وهو في صحيح الإمام مسلم في كتاب الإيمان، عليه فإن هذا الدين بني على خمسة أركان :

- **أولها : شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله .**
- **ثانيها : إقام الصلاة .**
- **ثالثها : إيتاء الزكاة .**
- **رابعها : صوم رمضان .**
- **خامسها : حج البيت لمن استطاع إليه سبيلًا .**

والتفصيل في النقاط التالية :

***

الركن الأول : شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله

واعلم رحمك الله أن أصل دين الإسلام وقاعدته أمران :

الأول : الأمر بعبادة الله تعالى وحده لا شريك له ، والتحريض على ذلك ، والموالاة فيه ، وتكفير من تركه .

الثاني : الإنذار عن الشرك في عبادة الله تعالى والتغليظ في ذلك والمعاداة فيه وتكفير من فعله.

وسوف نقف قليلًا عند هذا -

✵ الأمـر الأول :

أمر الحق تبارك وتعالى عبده ورسوله سيدنا محمد ﷺ أن يدعو أهل الكتاب إلى معنى (لا إله إلا الله) الذي دعا إليها العرب وغيرهم ، وذلك في قوله جل وعلا : ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ ﴾[1]، والكلمة هي : (لا إله إلا الله) فسرها بقوله سبحانه وتعالى : ﴿ **ألا نعبد إلا الله** ﴾ لأن قوله تعالى : ﴿ **ألا نعبد** ﴾ فيه معنى (لا إله) وهو نفي العبادة عما سوى الله تعالى ؛ لأن قوله تعالى : (إلا الله) هو المستثنى في كلمة الإخلاص فأمره سبحانه وتعالى لرسوله الكريم ﷺ أن يدعوهم إلى قصر العبادة عليه وحده جل شأنه ونفيها عما سواه ، إن الألوهية هي : العبادة التي لا يصلح منها شيء لغير الله سبحانه وتعالى لقول الحق تبارك وتعالى : ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ﴾[2]، ومعنى ﴿ **قضى** ﴾ أي: أمر ووصى ، وقوله : ﴿ **ألا تعبدوا** ﴾ فيه معنى

---

(١) سورة آل عمران آية : ٦٤ .

(٢) سورة الإسراء آية : ٢٣ .

(لا إله) وقوله : ﴿ إلا إياه ﴾ فيه معنى (إلا الله) وهذا هو : توحيد العبادة بعينه وهو دعوة رسل الله جميعًا عليهم الصلاة والسلام إذ قالوا لقومهم : ﴿ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ﴾ فلا بد من نفي الشرك في العبادة أولًا والبراءة منه وممن فعله، كما قال تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي ﴾[1] فلا بد من البراءة من عبادة ما كان يعبد من دون الله، ثم قال الحق تبارك وتعالى عن خليله عليه السلام أيضًا : ﴿ وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ ﴾[2] فيجب اعتزال الشرك وأهله بالبراءة منها كما صرح في قوله تعالى : ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ ﴾[3] إن هذه الآية الكريمة تتضمن جميع ما قلنا سابقًا (في أولًا) من التحريض على التوحيد ونفي الشرك والموالاة لأهل التوحيد ، وتكفير من ترك التوحيد بفعل الشرك المجانب له ، لأن من فعل الشرك فقد ترك التوحيد لهذا لا يكون المرء موحدًا حتى ينفي الشرك مع البراءة منه وتكفير من فعله .

* الأمر الثاني :

الإنذار عن الشرك في عبادة الله تعالى والتغليظ في ذلك ، والمعاداة فيه وتكفير من فعله، لأن مقام التوحيد لا يتم إلا بهذا، وهذا دين جميع الرسل الذين أرسلهم الله سبحانه وتعالى إلى أممهم ، قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾[4] وقال سبحانه وتعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾ ﴾[5] هذا هو الإنذار عن الشرك .

والعبادة : اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة . إذ لا بد من أن يكون الإنذار شاملًا وعامًّا لجميع أنواع العبادة التي يحبها الحق تبارك وتعالى

---

(١) سورة الزخرف آية : ٢٦،٢٧ .

(٢) سورة مريم آية : ٤٨ .

(٣) سورة الممتحنة آية : ٤ .

(٤) سورة النحل الآية : ٣٦ .

(٥) سورة الأنبياء الآية : ٢٥ .

ويرضاها . فلا تكون إلا له وحده جل شأنه ، لأنه المستحق بحق لها، فهو الذي خلق وهو الذي يجب أن تكون العبادة خالصة له ، أما التغليظ في ذلك فهو معروف حيث يقول الحق تبارك وتعالى : ﴿ فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ ﴾[1] وقوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿٧٣﴾ ﴾[2]

أما (المعاداة فيه) فلأنهم أهل كفر فلا بد من تكفيرهم ومعاداتهم، إذ لا يتم معنى كلمة الإخلاص (لا إله إلا الله) إلا بتكفير من جعل لله شريكًا في عبادته ، قال تعالى : ﴿ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ ﴾[3].

وقول الحق تبارك وتعالى : ﴿ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ ﴾[4]، وفي صحيح مسلم: قال ﷺ : « **من قال لا إله إلا الله وكفر بما يعبد من دون الله حرم ماله ودمه وحسابه على الله** »[5] فقوله ﷺ : « **وكفر بما يعبد من دون الله** » تأكيد للنفي فلا يكون معصوم الدم والمال إلا بذلك ، فلو شك أو تردد لم يعصم دمه وماله ، لأن هذه الأمور هي تمام التوحيد ، لأن (لا إله إلا الله) قيدت في الأحاديث بقيود ثقال، وهي : العلم والإخلاص والصدق واليقين وعدم الشك فلا يكون المرء موحدًا إلا باجتماع هذا كله واعتقاده وقبوله ومحبته والمعاداة والموالاة فيه[6].

ولما لهذه الشهادة من مكانة عظيمة سأبين كل ما يتعلق بها في الصفحات التالية .

* * *

(١) سورة الذاريات آية : ٥٠ .

(٢) سورة التوبة آية : ٧٣ .

(٣) سورة التوبة آية : ٥ .

(٤) سورة الأنفال آية : ٣٩ .

(٥) صحيح مسلم جـ١ ص٥٣ كتاب الإيمان تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي .

(٦) راجع الجامع الفريد في كتب رسائل أئمة الدعوة الإسلامية ص٣٢٧ .

القسم الأول : لا إله إلا الله

○ معنى لا إله إلا الله ومفهومها ○

إن كلمة التوحيد العظيمة « لا إله إلا الله » تشتمل على معاني عظيمة وجليلة ، ولن يستطيع العبد أن يعمل بمقتضى تلك الكلمة إلا بعد أن يفهم تلك المعاني ، يفهمها ويحيط بها ، وذلك ليعمل بها على علم وبصيرة .

وقد ورد ذكر هذه الكلمة في كتاب الله العزيز أكثر من ثلاثين مرة ، في سورة البقرة وسورة آل عمران والنساء والأنعام والتوبة ويونس وهود والرعد وإبراهيم والنحل وطه والأنبياء والمؤمنون والنمل ... إلخ ، قال تعالى : ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ﴾[1]. وقال سبحانه : ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۝٨ ﴾[2]. وقال جل من قائل : ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ ﴾[3].

وكلمة « الإله » في اللغة هي: المعبود ، مشتقة من « أَلَهَ » يَأْلَهُ إلاهة ، بمعنى عَبَدَ ، يَعْبُد عبادة ، والإله بوزن « فعال » بمعنى « مفعول » أي معبود[4].

والإله في الشرع : هو المألوه المعبود المستحق لإفراده بالعبادة ، لما اتصف به من أوصاف الربوبية المقتضية لأوصاف الألوهية ، وهي صفات الكمال المطلق التي لا يمكن أن يرق إليها أحد إلا هو جل جلاله ، لأنها تليق بجلاله وعظمته ، خالق كل شيء ، فلا إله غيره ولا رب سواه ، تعالى ربنا العظيم عما يقولون علوًّا كبيرًا ، لذا لا يستحق أن يكون معبودًا إلا هو سبحانه وتعالى .

---

(١) البقرة : الآية ٢٥٥ .

(٢) طه : الآية ٨ .

(٣) محمد : الآية ١٩ .

(٤) مختار الصحاح للرازي ص٢٥ ، المركز العربي .

وأما لفظ الجلالة « الله » فهو علم على ذاته المقدسة سبحانه ، وكما هو معلوم هو أعرف المعارف على الإطلاق .

فهو الإله الحق المستحق للعبادة، والذي لا يجوز بحال من الأحوال أن يصرف أي نوع من أنواع العبادة إلا له جل جلاله ، وها هي الآية الكريمة من سورة الأنبياء توضح هذا المعنى على أكمل وأجمل وجه ، قال تعالى : ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾ ﴾[1] .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ ﴾[2] .

لقد أخذ الحق تبارك وتعالى الميثاق من بني آدم ، كما قال تعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾ ﴾[3] .

إنها فطرة الله التي فطر الناس عليها ، وهل يستحق غيره سبحانه وتعالى أن يصرف له أي نوع من أنواع العبادة ؟ وهل ذلك يوافق الفطرة السليمة لبني البشر ؟ أعتقد أن الإجابة معروفة تمامًا .

وصدق ربنا العلي العظيم إذ يقول: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾[4]

والآيات القرآنية الكريمة التي تقرر (نفي) الأنداد والشركاء في الربوبية كثيرة . قال تعالى : ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٩﴾ ﴾[5] .

وفي السورة نفسها يقول تبارك وتعالى : ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ

---

(١) الأنبياء : ٢٥ .

(٢) الأنعام : ١٠٢ .

(٣) الأعراف : ١٧٢ .

(٤) الروم : ٣٠ .

(٥) الزخرف : ٩ .

﴿ ... يُؤْفَكُونَ ﴾[1]. ويقول سبحانه وتعالى : ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا مُنذِرٌ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ۝ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ ﴾[2].

وفي سورة الزمر يقول الحق تبارك وتعالى : ﴿ إِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمْ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ ﴾[3].

فمعنى « لا إله إلا الله » نافيًا جميع ما يعبد من دون الله سبحانه وتعالى مثبتًا العبادة لله وحده ، فهي نفي وإثبات ، نفي الألوهية ، أو الإلهية عما سوى الله تعالى وإثباتها له جل جلاله .

فهو سبحانه وتعالى المستحق للعبادة لذاته ، لأنه المألوه المعبود ، الذي تألهه القلوب وترغب إليه ، وتفزع إليه عند الشدائد ، وما سواه مفتقر مقهور بالعبودية ، فكيف يصلح أن يكون إلهًا ؟

إن هذه الكلمة العظيمة هي التي شهد الله بها لنفسه ، وشهد بها له ملائكته وأولو العلم من خلقه ، كما قال تعالى : ﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ ۚ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾[4].

إنها كلمة الإسلام ، لا يصح إسلام أحد إلا بمعرفة ما وصفت له ودلت عليه ، وهي كلمة الإخلاص المنافية للشرك ، وهي كلمة التقوى التي تحمي قائلها من الشرك بالله سبحانه وتعالى ، يرتفع بها الإنسان من الحضيض إلى أعلى درجات النعيم ، وهي التي يدخل بها المرء في عداد المؤمنين ، وهي الكلمة التي يحاج بها عند الله ، وهي الكلمة المحببة إلى قلب كل مؤمن ، بها يعصم المرء نفسه وماله وعرضه .

قال عنها الصادق الأمين ﷺ : « **أفضل ما قلت أنا والنبيون من قبلي لا إله إلا الله وحده لا شريك له** »[5]، فهي تقرر معنى الربوبية وتثبت معنى الألوهية ، وهما حق الله

---

(١) سورة الزخرف : ٨٧ .
(٢) سورة ص : ٦٥ ، ٦٦ .
(٣) سورة الزمر : ٧ .
(٤) سورة آل عمران : ١٨ .
(٥) شرح الزرقاني على الموطأ : ٣٨/٢ دار الفكر .

سبحانه وتعالى ، لذا يجب على قائلها فهم معناها والعمل بمقتضاها على علم وبصيرة حتى يفوز برضوان الله وجناته ، وما أعده لمن قالها مؤمنًا من قلبه وصدق ذلك جوارحه .

إن إفراد الله سبحانه وتعالى بالعبادة هو حقيقة التوحيد ، لذا نجد الكفار قد امتنعوا عن ذلك ورفضوه عندما بلَّغهم عليه الصلاة والسلام رسالة ربهم سبحانه وتعالى ، ولم يقبلوا أن يكون لهم إله واحد ، وكيف يقبلون ذلك وقد قاموا ردحًا من الزمن على تلك الحجارة التي يطلقون عليها اسم « الآلهة » حتى أصبحت تلك الأصنام والأوثان آلهتهم بمرور الزمن ، بعد ما كانوا يقولون ويدعون أنهم اتخذوها لتكون لهم واسطة عند الله سبحانه وتعالى ؟!

وقد صور الكتاب العزيز موقف الكفار مع النبي ﷺ أدق تصوير فقال سبحانه وتعالى : ﴿ أَجَعَلَ ٱلْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ۝ ﴾[1] .

لقد أصبحت الحقائق الثابتة الواضحة الساطعة لديهم من الأمور العجيبة التي لا تصدق ، كل ذلك كان نتيجة لتهاونهم في توحيد الله سبحانه وتعالى .

إن المتتبع لدعوة سيد المرسلين وإمام المتقين ﷺ يرى هذه المواقف ماثلة أمامه ، خاصة ما كان في بداية الدعوة في عهدها المكي ، كذلك بعد الهجرة إلى المدينة مع بعض الكفار في جزيرة العرب ، لقد أكد ﷺ على ما يجب أن يكون عليه قائلها من إخلاص لله سبحانه وتعالى بقلبه وجوارحه، وبُعْدٍ عن كل ما من شأنه أن يحول بينه وبين تحقيقه لهذه الشهادة على الوجه الصحيح، وحذر من الوقوع في ما يناقض معناها من أفعال أو أقوال ، كالتي نراها ونسمع عنها في وقتنا هذا، كالغلو في الأقوال والأفعال والاتجاه إلى القبور: قبور الأولياء والصالحين، أو من يدعون أنهم أولياء، الاتجاه إليها فيما لا يقدر عليه إلا الله سبحانه وتعالى ، والاعتقاد في أصحابها ناسين أو متناسين المعنى الحقيقي لهذه الكلمة المباركة، وهو : الإخلاص التام والانقياد المطلق لله رب العالمين في جميع أنواع العبادة سواء ما كان قولًا أو عملًا ، وجميع المظاهر الشركية الأخرى التي وقع فيها كثير من الناس والعياذ بالله ، كالرياء والرقى والتمائم والطيرة والتولة[2] والحلف بغير الله والسمعة، وصدق ربنا العظيم

(١) ص ، الآية : ٥ .

(٢) التولة : معاذة تعلق على الإنسان .

إذ يقول : ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴾[1].

وفي مسند أحمد قال ﷺ : « إن الرقى والتمائم والتولة شرك »[2]. إضافة إلى اعتقاد البعض من الناس بأن هناك من يملك الضر والنفع غير الله سبحانه وتعالى، سواء كان ذلك نبيًّا مرسلًا أو ملكًا مقربًا .

ومن الناس من يصرف بعض أنواع العبادة لغير الله سبحانه وتعالى قائلين بأننا نقدمهم واسطة بيننا وبين الله سبحانه وتعالى ، فيقعون بذلك في الشرك كما كانت تقول العرب ، كما صور القرآن الكريم حالهم ، قال تعالى : ﴿ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ ﴾[3].

إن المفهوم الحقيقي لكلمة التوحيد « لا إله إلا الله » هو تجريد العبادة من كل شائبة تشوبها ، والتوجه إلى الله سبحانه وتعالى بإخلاص العبادة له وحده لا شريك له، وترك الأنداد ، بتحقيق العبودية لله رب العالمين قولًا وعملًا واعتقادًا .

وبذلك يكون العبد من المحققين لكلمة الإخلاص ومن المتمسكين بعقيدة التوحيد ، كما أمر ربنا الكريم عباده في كتابه وسنة نبيه ﷺ ، وبذلك ينال الثواب ، جنات عدن مفتحة لهم الأبواب ، جعلنا الله من أهل لا إله إلا الله كما يحب ربنا ويرضى .

○ تفسير شهادة أن لا إله إلا الله ○

الشهادة لغة : الإخبار عن علم به واعتقاد لصحته وثبوته .

الشهادة شرعًا : الإقرار والاعتراف والتصديق والاعتقاد بأنه لا يستحق العبادة إلا الله سبحانه وتعالى وحده لا شريك له .

وهذه الكلمة شعار المسلمين وعنوانهم البارز ، يحقق بها العبد عبوديته للخالق تبارك وتعالى ، إقرارًا وخضوعًا وتمجيدًا له جل وعلا .

بها تشرق النفس وتسمو ، فترتبط بمن خلقها سبحانه وتعالى ، تحس بالأمن والأمان

---

(١) يوسف : ١٠٦ .

(٢) مسند أحمد : ٣٨/١ .

(٣) الزمر الآية : ٣ .

لقربها من الرحمن الرحيم سبحانه وتعالى ، وتجد لها حلاوة في القلب وتأثيرًا على الجوارح فلا تتحرك حركة إلا وفقًا لما شرع سبحانه وتعالى .

وما قام به سلف هذه الأمة الصالح من صحابة رسول الله ﷺ ومن تبعهم بإحسان من بث هذا الدين، ونشره في أطراف الأرض؛ إلا دليل على اكتمال السعادة لديهم ، بعد أن تذوقوا حلاوة هذا الإيمان وإشراقة هذه الكلمة على نفوسهم ، فقدموا هذه النفوس فداءً لها في سبيل الدفاع عنها والجهاد في سبيلها ، اقتداء وتأسيًا بإمام المتقين ﷺ الذي تعرض للموت في سبيل هذه الكلمة المباركة ، التي لها تأثير روحي عظيم على الإنسان، يحس به كل من أنعم الله سبحانه وتعالى عليه بها ، فهي تطهر نفس صاحبها وتزكيها وتصقلها فيسلم نفسه لله رب العالمين .

لقد عرف أعداء الإسلام مكانتها في الإسلام؛لذا نجدهم قد وجهوا سهامهم إليها من كل حدب وصوب ، فهم يدركون ما لها من قوة وتأثير على من نطق بها وحقق معانيها ، لذا فهم جادون في محاربتها وإقصاء المسلمين عنها ، فهاهم يعملون جادين على نشر الخرافات والأباطيل بين أفراد المجتمع الإسلامي مشجعين أصحاب الأهواء والمبادىء الهدامة ، يدعمونهم ماديًا ومعنويًا ، وما القديانية والبهائية إلا حلقة في مسلسل طويل جدًا وضعه اليهود لتحطيم المسلمين وسلخهم عن عقيدتهم : عقيدة التوحيد الخالدة .

نعم إنه مخطط محكم الحلقات موجه لهذه العقيدة، يتخذ مسارات متعددة وأساليب مختلفة ، فهم يدركون تمام الإدراك أثر كلمة التوحيد العظيم، وقوتها الهائلة في نفوس معتنقيها ، لذلك يعملون كل ما في وسعهم لإبعادنا عنها بكل الوسائل ، لأنها هي القوة التي ترهبهم وتزلزلهم ، لذلك نجدهم يعملون ليل نهار على بث وسائل محاربة هذا الدين ، والمتمثلة في الحركات الهدامة قديمًا وحديثًا ، لأنهم يريدون أن تكون لهم السيطرة والسيادة على العالم ، وذلك للقضاء على الإسلام العدو اللدود لهم كما يدّعون ظلمًا وعدوانًا .

ولا تستغرب هذا من اليهود ، فقد حاربوا الله ورسوله ، وقتلوا أنبياء الله وتمردوا على أوامر الله وتعاليمه ، وتنكبوا الطريق ، قاتلهم الله وأخزاهم ورد كيدهم إلى نحورهم .

إن كلمة التوحيد « لا إله إلا الله » أفضل الذكر كما بينا سابقًا ، وهي الركن الأول من أركان الإسلام الخمس ، بها يعلن المرء إسلامه وانضمامه إلى المؤمنين بالله رب العالمين :

المطيعين أمره ، المتمسكين بحبله المتين ، المعتمدين عليه سبحانه وتعالى ، المفوضين أمرهم له جل وعلا .

إنها مثبتة نافية ، مثبتة العبادة لله وحده لا شريك له .

لذا يلزم قائلها أن ينفي بالفعل ما نفاه بالقول ، وأن يثبت بالفعل ما أثبته للحق جل وعلا بالقول ، لأن الهدف ليس النطق باللسان ، بل تحقيق المعنى المشتملة عليه هذه الكلمة المباركة ، لقد قاتل الولد والده والأخ أخاه والقريب قريبه يوم بدر في المعركة الكبرى ، لأنه ليس على دينه وعقيدته .

وقد عرفت العرب في الجاهلية معناها حق المعرفة ، فامتنعوا عن قولها والتلفظ بها ، إلا من أراد الله سبحانه وتعالى له السعادة والخير ، وكتب له الفلاح والفوز والنجاة .

إن كلمة التوحيد « لا إله إلا الله » الطيبة المباركة تتضمن حقائق جليلة ومعاني سامية، منها : الدلالة إلى اليقين الثابت بوجود الله سبحانه وتعالى وهيمنته على هذا الكون العظيم الذي يعجّز العقل البشري عن إدراكه ، والذي تتجدد فيه الحوادث ، وتظهر فيه من حين لآخر المخترعات والابتكارات ، هذا الكون الذي لا بد له من إله خالق مدبر حي لا يموت أبدًا، عليم لا تخفى عليه خافية، محيط بكل شيء، حكيم، رحيم، منزه عن العيوب والنقائص– جل جلاله وتقدست أسماؤه – لا إله غيره ولا رب سواه ، غني عن عباده ، لا تنفعه عبادتهم ولا تَضُرُّهُ معصيتهم ، تألهه جميع القلوب ، حبًّا وإنابة وإجلالًا وتعظيمًا وذلًا وخضوعًا وخوفًا ورجاءً وتوكلًا ، تعالى ربنا العظيم علوًّا كبيرًا .

○ تحقيق شهادة أن لا إله إلا الله ○

إذا كانت كلمة التوحيد هي الأساس الأول للإيمان ، واللبنة الأساسية للعقيدة والفارق الذي يميز به بين الكفر والإيمان ، فإن هذه الميزة العظيمة والبون الشاسع لا تتحقق بمجرد النطق بها فقط ، بل بمصاحبة العمل ، ومعلوم أنك إذا كنت مصابًا بصداع وألم في الرأس فلن ينفعك تكرار لفظ « مُسكِّن » ولو كان ذلك لألف مرة ، دون أن تتناول ذلك المسكن فعلًا ، وينتشر الدواء عن طريق الدم في جسمك ويصل إلى موضع الألم فيعمل على إيقافه بإذن الله سبحانه وتعالى، كذلك هذه الكلمة المباركة الطيبة، هي وإن كانت تنقذ قائلها من الحكم عليه بالكفر إذا نطق بها ، وتدخله في دائرة الإسلام ، وتعطيه فرصة ليعرف الإسلام، لكنه لا يجني ثمارها إلا إذا استقرت في سويداء قلبه، وأفاضت

إلى جوارحه وأعضائه من نورها وهديها ، وانصهر في بوتقتها وتفاعل معها، وعمل بمقتضاها وسار على هداها ، بذلك يكون من المحققين لها قولًا وعملًا ، وهو المراد الحقيقي منها .

إن المؤمن المصدق بهذه الكلمة يبتعد عن كل شيء صغيرًا كان أم كبيرًا مما يؤدي إلى إحباطها ونقضها ، وفي الوقت نفسه يستمسك بها قولًا وعملًا ليجاهد هواه؛ ليكون تبعًا لما جاءت به وتضمنته .

عليه أن يكون تحقيقها بتخليص النفس وتصفيتها من شوائب الشرك والبدع والخرافات ، فلا يتصرف إلا وفقًا لها، ولما جاءت به من أوامر ونواهٍ عندها يكون المرء مؤمنًا بربه حق الإيمان ، مخلصًا العبادة له وحده جل شأنه بلا رياء ولا سمعة ، يوافق مظهره مخبره .

يقول الحق تبارك وتعالى في كتابه العزيز : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾[1] والمراد باللبس في هذه الآية الكريمة (الخلط) أي الذين لم يخلطوا إيمانهم الذي تلفظوا به بألسنتهم واعتقدوا بقلوبهم بشرك .

وقد فسر الظلم بالشرك ، كما في حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه إذ يقول : لما نزلت : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ ﴾ الآية، قلنا : يا رسول الله : أيُّنا لا يظلم نفسه ؟ ، قال : « **ليس كما تقولون ، لم يلبسوا إيمانهم بظلم : بشرك ، أو لم تسمعوا قول لقمان لابنه : ﴿ يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾ ﴾[2]** » .

فمن آمن بالله سبحانه وتعالى حق الإيمان ، كان له في الآخرة الأمن من عذاب الله وفي الدنيا الهداية ، لقد آمنوا برب العالمين سبحانه وتعالى وأخصلوا له العمل ، لا يخلطون بهذا الإيمان أي صورة من صور الشرك لا في عبادة ولا طاعة ولا اتجاه ، فكان لهم الأمن والأمان والهداية جزاء إصابتهم السبيل وسلوكهم طريق النجاة .

فها هو كتاب الله العزيز، وها هي سنة سيد المرسلين وإمام المتقين، من تمسك بهما وسار على هديهما كان من المحققين لكلمة الإخلاص ، ومن لم يكن كذلك فهو من الضالين الغاوين من حزب الشيطان ، مأواه جهنم وبئس المصير ، لأن الذي يزيغ عنهما هو الهالك حقًا ، والذي يتمسك بهما هو الناجي حقًا . جعلنا الله من المتمسكين بها الذائدين عنها، إنه ولي ذلك والقادر عليه .

---

(١) الأنعام : آية : ٨٢ .

(٢) لقمان الآية : ١٣ . والحديث رواه البخاري .

○ أركان وشروط لا إله إلا الله ○

لكلمة الإخلاص أركان وشروط ، وسنتحدث أولًا عن أركانها ثم ننتقل بالحديث إلى شروطها بعد إيضاح الأركان بصورة مجملة وسريعة .

○ أولًا : الأركان :

أركان لا إله إلا الله اثنان :

أولًا : النفي . **الثاني : الإثبات .**

وحدُّ النفي من الإثبات « لا إله » ، أي نافيًا جميع ما يعبد من دون الله ، والإثبات « إلا الله » أي مثبتًا العبادة لله وحده لا شريك له في عبادته ، كما أنه لا شريك له في ملكه .

كما أن كل حيز مشغول بمادة لا يمكن شغله بمادة أخرى إلا بعد تفريغه وتخليته من المادة السابقة الموجودة فيه ، لذلك كان النفي مقدمًا على الإثبات في كلمة الإخلاص ، وورود الإثبات بعد النفي أقوى في الدلالة من وروده بعد الإثبات .

لذلك لا بد من تخليص القلب وتصفيته من كل شائبة شرك أو شك ، وأن لا يلتفت قائلها بقلبه وجوارحه إلا له سبحانه وتعالى ، وأن يصرف جميع أنواع العبادة له وحده جل وعلا .

○ ثانيـًا : الشــروط :

إن شروطها سبعة لا تصح ولا تنفع إلا إذا اجتمعت ، وهي :

✵ الشـرط الأول : العلـم :

ويقصد به : العلم بمعناها نفيًا وإثباتًا ، قال تعالى : ﴿ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ ﴾ وقال جل وعلا : ﴿ إِلَّا مَن شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ ، وقال ﷺ : « **من مات وهو يعلم أن لا إله إلا الله دخل الجنة** »[1].

(١) مسند الإمام أحمد : ٣/١١ .

✹ الشرط الثاني : اليقين :

أي : استيقان القلب بها ، قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴾[1] .

وقال ﷺ : « **أشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله لا يلقى الله بها عبد غير شاك فتحجب عنه الجنة** »[2].

والشاهد قوله ﷺ : « **غير شاك** » .

✹ الشرط الثالث : الإخلاص :

قال تعالى : ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ﴾[3] ، وقال سبحانه وتعالى : ﴿ أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ ﴾[4]، وقال عليه الصلاة والسلام : « **أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال لا إله إلا الله خالصة من قبل نفسه** »[5].

رواه أبو هريرة رضي الله تعالى عنه .

✹ الشرط الرابع : الصدق :

وهو أن يكون صادقًا في إيمانه ، صادقًا في عقيدته ، ومتى كان كذلك فإنه سيكون مصدقًا لما جاءه في كتاب ربه سبحانه وتعالى أو ما جاء على لسان رسوله ﷺ ، قال تعالى : ﴿ وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴾[6].

وقال عليه الصلاة والسلام : « **من شهد أن لا إله إلا الله صادقًا بها دخل الجنة** »[7]

والصدق في المعتقد شرط من شروط صحة المعتقد ، ولن ينتفع بالنطق بالشهادة إن لم

---

(١) الحجرات : ١٥ .
(٢) مسند أحمد : ١١/٣ .
(٣) البينة : ٥ .
(٤) الزمر : ٣ .
(٥) المسند : ٣٧٣/٢ .
(٦) الزمر : ٣٣ .
(٧) المسند : ٤٠٢/٤ .

يكن صادقًا في اعتقاده بها .

❋ الشرط الخامس : المحبة :

وهي أن يكون الله سبحانه وتعالى أحب إليه مما سواه .

قال تعالى : ﴿ فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ ﴾[1].

وقال ﷺ : « **ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان : أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما** »[2].

والمحبة تكون بتقديم شرع الله الذي جاء به رسوله ﷺ على كل ما سواه من النفس والولد والوالد والمال والناس أجمعين ، كما قال تعالى : ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[3].

فيحب ما يحبه الله ، ويبغض ما يسخطه الله سبحانه وتعالى ، فيمتثل أوامره ويجتنب نواهيه ، ويوالي أولياءه ، ويعادي أعداءه .

والمحبة هي حقيقة العبودية ، ولا يمكن قبول وأداء عبادة من العبادات التي أمر الحق تبارك وتعالى بها عباده بدون المحبة ، وهل يستطيع الإنسان أن يقوم بعمل لا يحبه إلا في حالات القسر والإكراه ؟

والحب هذا ليس جديدًا على الإنسان ، إنه فطري ، إنه حب العبد لسيده ومليكه وخالقه ومصوره ومحييه ومميته ، سبحانه وتعالى لا إله غيره ولا رب سواه .

❋ الشرط السادس : الانقياد لها ظاهرًا وباطنًا :

يقول الحق تبارك وتعالى : ﴿ وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴾[4]..

---

(١) المائدة : ٥٤ .
(٢) البخاري : ١٨/١ .
(٣) آل عمران : ٣١ .
(٤) لقمان : ٢٢ .

وقال ﷺ : « **لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين**»[1] . إنها المحبة المطلقة والانقياد التام للحبيب فيما يأمر به وما يحذر عنه صلوات الله وسلامه عليه .

❋ الشرط السابع : القبول لها :

أي : أن لا يرد أي شيء من مقتضيات لا إله إلا الله ولوازمها التي جاء بها الشارع الحكيم ، قال تعالى : ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ۝٣٥ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓاْ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍۭ ۝٣٦ بَلْ جَآءَ بِٱلْحَقِّ وَصَدَّقَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾[2] .

وقال ﷺ : « **مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل الغيث الكثير أصاب أرضًا ، فكان منها نقية قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير ، وكانت منها أجادب أمسكت الماء فنفع الله بها الناس فشربوا وسقوا وزرعوا وأصابَ منها طائفة أخرى ، إنما هي قيعان لا تمسك ماءً ولا تنبت كلأً ، فذلك مثل من فقه في دين الله ونفعه ما بعثني الله به فعلم وعلم ، ومثل من لم يرفع بذلك رأسًا ولم يقبل[3] هدى الله الذي أرسلت به** »[4] .

○ أقسام التوحيد ○

التوحيد هو إفراد الله بالعبادة ، وهو أساس الإسلام ، منه تنبثق سائر نظمه وأحكامه وأوامره ونواهيه .

لقد اصطلح على تقسيم التوحيد إلى ثلاثة أقسام :-

أ - توحيد الألوهية .

---

(١) مختصر مسلم ص : ١٤ .

(٢) الصافات : ٣٥ - ٣٧ .

(٣) هذا هو الشاهد .

(٤) صحيح البخاري : ١/٥١ عالم الكتب .

ب - توحيد الربوبية .
جـ - توحيد الأسماء والصفات .

وسوف نقف إن شاء الله على كل قسم من هذه الأقسام لتمام الفائدة ، وذلك لأهمية الموضوع .

* أولًا : توحيد الألوهية :

وهو العلم والاعتراف بأن الله ذو الألوهية والعبودية على خلقه أجمعين وإفراده وحده بالعبادة كلها ، وإخلاص الدين له وحده جل وعلا .

وهذا هو توحيد العبادة ، وهو التوحيد الفعلي ، لأنه يتضمن أفعال القلب والجوارح ، كالصلاة والصيام والحج .

دعت إليه جميع الرسل ، وأنزلت به الكتب إلى سائر الأمم ، قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾[1]

فهذه دعوة الرسل جميعًا من أولهم إلى خاتمهم سيدنا محمد ﷺ ، قال تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾[2] .

إن العبد كلما تذلل وخضع وافتقر إلى رب السموات والأرض كان أقرب إليه سبحانه وتعالى ، فأسعد الخلق أعظمهم عبودية لله سبحانه وتعالى وأقربهم منه جل وعلا ، إن الحب الخالص والانقياد التام لله رب العالمين ، من علامات تحقيق توحيد العبادة .

* ثانيًا : توحيد الربوبية :

وهو توحيد الله بأفعاله جل وعلا ، وهو الذي أقر به الكفار على زمن رسول الله ﷺ ، ولم يدخلهم ذلك الإقرار في الإسلام فقاتلهم ﷺ واستحل دماءهم وأموالهم ، قال تعالى : ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَن يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾[3] .

---

(١) النحل آية : ٣٦ .
(٢) الأنبياء آية : ٢٥ .
(٣) يونس : آية ٣١ .

إن الاعتراف والإقرار بهذا القسم من أقسام التوحيد ملزم بالاعتراف بالقسم الأول ، وهو توحيد الألوهية وإخلاص العبادة لله وحده لا شريك له .

إن الأدلة على ربوبية الحق تبارك وتعالى وتفرده بها وعدم مشاركة أحد له فيها كثيرة جدًا ، وبني آدم مقرون ومعترفون بذلك ، وكتاب ربنا العزيز يؤكد ذلك، قال تعالى : ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ ۝ ﴾[1].

إن كل شيء في هذا الكون العظيم يشهد أن الله هو رب العالمين خالق كل شيء لا رب سواه ولا إله غيره .

إن هذه العظمة وذلك الإبداع والتناسق والنظام والدقة في هذا الكون العظيم أدلة قاطعة وبراهين واضحة مقنعة بأن خالق هذا الكون ومدبره واحد أحد فرد صمد ، وصدق ربنا العظيم الجليل إذ يقول: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا۟ لَهُۥ ۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ ۝ مَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ۝ ﴾[2].

❋ ثالثًا : توحيد الأسماء والصفات :

وهو أن يوصف الله سبحانه وتعالى بما وصف به نفسه ووصفه به رسوله محمد ﷺ من صفات الكمال التي تعرف بها سبحانه وتعالى إلى عباده ، ونفي ما لا يليق بجلاله وعظمته ، من غير تشبيه أو تمثيل أو تحريف أو تأويل أو تعطيل . كما قال عز وجل : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ۝ ﴾[3]، وقوله تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ۝ ﴾[4].

وتحقيق هذا القسم من أقسام التوحيد بالإيمان بأسماء الله سبحانه وتعالى وصفاته ، التي

---

(١) الزخرف : آية ٩ .
(٢) الحج آية : ٧٣ – ٧٤ .
(٣) الشورى آية : ١١ .
(٤) الأعراف آية : ١٨٠ .

سمى ووصف بها نفسه سبحانه وتعالى في كتابه العزيز وعلى لسان رسوله الأمين ﷺ ، من غير تحريف أو تعطيل أو تشبيه أو تأويل أو تمثيل إيمانًا مطلقًا صادقًا راسخًا كما يحب ربنا الجليل ويرضى ، لا تزعزعه أقوال المتفلسفين أو إرجاف المرجفين من مُؤوِّلة أو معطلة أو مشبهة أو غيرهم من أهل الأهواء .

يقول صاحب أضواء البيان رحمه الله تعالى في رسالة له في هذا الباب : -

اعلموا أن مبحث آيات الصفات دل القرآن العظيم أنه يتركز على ثلاثة أسس من جاء بها كلها فقد وافق الصواب، وكان على الاعتقاد الذي كان عليه النبي ﷺ وأصحابه والسلف الصالح ، ومن أخل بواحد من تلك الأسس الثلاثة فقد ضل ، وهذه الأسس هي : -

١ - تنزيه الله جل وعلا أن يشبه شيء من صفاته شيئًا من صفات المخلوقين ، وهذا الأصل يدل عليه قوله تعالى : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ ﴾ ، وقوله تعالى : ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤ ﴾ ، وقوله تعالى : ﴿ فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ ﴾ .

٢ - الإيمان بما وصف الله به نفسه ، لأنه لا يصف الله أعلم بالله من الله قال تعالى : ﴿ ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُ ﴾ .

والإيمان بما وصفه به رسوله ﷺ ، لأنه لا يصف الله بعد الله أعلم بالله من رسول الله ﷺ ، وينزه ربه جل وعلا عن أن تشبه صفته صفة الخلق .

٣ - أن تقطعوا أطماعكم من إدراك حقيقة الكيفية ، لأن إدراك حقيقة الكيفية مستحيل ، وهذا نص الله عليه في سورة طه حيث قال : ﴿ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ۝١١٠ ﴾[1].

وهذا إمام دار الهجرة رحمه الله تعالى يقول : « الاستواء معلوم والكيف مجهول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة » .

اللهم إننا آمنا بك ، وبكتبك ، ورسلك ، وملائكتك ، وباليوم الآخر ، والقدر خيره وشره، وأنك متفرد بالجلال والكمال، خالق كل شيء، بيدك الخير، وأنت على كل شيء قدير ،

---

(١) طه آية : ١١٠ .

لا إله غيرك ، ولا رب سواك ، تعاليت عما يقولون علوًا كبيرًا .

إن التوحيد الذي هو إفراد الله بالعبادة هو الإسلام كله ؛ لأن تحقيق « لا إله إلا الله » هو في الحقيقة نفي لجميع ما يعبد من دون الله ، وإثبات العبادة للخالق وحده سبحانه وتعالى .

فهو روح الإسلام ولبه ، به يحقق الإنسان عبوديته لله رب العالمين ، وبه أيضًا يعصم نفسه وماله وعرضه من أن تمتد إليه يد آثمة ظالمة ، منه يستمد هذا الإنسان قوته ، بل يحقق ذاته من خلال خضوعه وافتقاره لخالقه فاطر السموات والأرض ، الذي استخلفه في هذه الأرض ، ليقوم بعمارتها ويقيم الحق والعدل والسلام من خلال تمسكه بتعاليم خالقه سبحانه وتعالى ، التي أنزلها على عباده من خلال الرسالات السماوية المنزلة على رسله عليهم السلام ، وإيمانه بأسماء الحق تبارك وتعالى وصفاته من غير تشبيه أو تمثيل أو تأويل أو تعطيل أو تحريف ، فهو خالق كل شيء وهو على كل شيء قدير سبحانه وتعالى عما يصفون ، لا إله غيره ولا رب سواه .

○ نواقض لا إله إلا الله ○

لقد ذكرنا عند الحديث عن شروط لا إله إلا الله سبعة أمور أوضحها العلماء رحمهم الله تعالى ، لبيان صحة الإيمان وقبوله ، ويحسن بنا هنا أن نذكر تلك الشروط في هذا البيت : -

علم قبول صدق يقين مع ... انقياد وإخلاص ومحبة لها

ولما كانت هذه الشروط السبعة لازمة لتحقيق شهادة أن لا إله إلا الله وإيمان العبد بخالقه سبحانه وتعالى كما يحب سبحانه وتعالى ويرضى ، يكون نقيض كل شرط من تلك الشروط قادح في صحة الشهادة وناقض لها .

ومعلوم عند الأصوليين أن الشرط هو ما يلزم من وجوده الوجود ومن عدمه العدم ، لذلك فإن عكس هذه الشروط هي نواقض « لا إله إلا الله » ، وإليكموها مفصلة : -

✹ أولًا : الجهل :

وهو جهل الإنسان بـ « لا إله إلا الله » وذلك عندما لا يحاول معرفة معناها ، وذلك

لأن جهله بها لا يمكنه من تحقيق ما جاءت به من نفي وإثبات ، نفي لسائر المعبودات على اختلاف أنواعها ومسمياتها ، وإثبات العبادة لله وحده لا شريك له . إن الجهل بمعنى لا إله إلا الله يوقع العبد في الشر والهلاك من حيث لا يدري ، وكما هو معلوم فإن الجهل ضد العلم ، لذا فإنه من نواقض الشهادة .

وصدق رسولنا الكريم عليه أفضل الصلاة وأزكي التسليم ، إذ يقول : « **من مات وهو يعلم أنه لا إله إلا الله دخل الجنة** »[1].

وكيف يكون عمل بلا علم ، لذا يلزم العبد أن يعرف ويعلم معنى لا إله إلا الله ليعمل بما علم ، إذ لا عمل بلا علم ، فعلى المسلم أن لا يكون جاهلًا بكلمة التوحيد ، إذ إن المعول على العمل ليس النطق فقط كما تقول المرجئة ، إذ إن تحقيق الشهادة لا بد أن يكون قولًا وعملًا ، قولًا باللسان وعملًا بالمضمون ، مضمون كلمة التوحيد ، حتى يكون من أهلها .

❋ ثانيًا : الارتياب :

ونعني بالارتياب الشك ، قال صاحب اللسان ، الريب : صرف الدهر، والريب والريبة : الشك والظنة والتهمة[2].

وهو ضد اليقين وعكسه ، أي : استيقان القلب .

فإذا شك القلب بكلمة التوحيد وما تحمله من نور وإيمان ، فإنه لا يقوى على القيام بما جاءت به وتضمنته من أوامر ونواهٍ وفعل وترك ، وبالتالي فإن إيمانه لا يردعه عن باطل أو يأمره بمعروف .

وصدق ربنا العظيم الجليل إذ يقول : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا ﴾ . الآية[3].

وفي صحيح مسلم رحمه الله عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال : (كنا مع النبي

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان .
(٢) لسان العرب : ٤٢٢/١ .
(٣) الحجرات الآية : ١٥ .

ﷺ في مسير ، قال : فنفذت أزواد القوم ، قال : حتى هم بنحر بعض حمائلهم، قال : فقال عمر : يا رسول الله لو جمعت ما بقي من أزواد القوم ، فدعوت الله عليها، قال : ففعل ، قال : فجاء ذو البر ببره ، وذو التمر بتمره ،قال: وقال مجاهد: وذو النواى بنواه) قلت : وما كانوا يصنعون بالنوى ؟ قال : كانوا يمصونه ويشربون عليه الماء ، قال : فدعا عليها ، حتى ملأ القوم أزودتهم[1] قال : فقال عند ذلك : « **أشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله ، لا يلقى الله بهما عبد غير شاك فيهما إلا دخل الجنة** »[2].

فعلى العبد أن لا يدع الشكوك والأوهام تقتحم يقينه وتبعده عن حظيرة الإسلام ، لأن الريبة من نواقض كلمة التوحيد مثلما اليقين من شروط صحتها ، وعليه أن يسأل الله الثبات والحفظ من وساوس الشيطان وهمسه ونفخه ونفثه إنه ولي ذلك والقادر عليه ، سبحانه وتعالى بيده الملك وهو على كل شيء قدير .

✱ ثالثا : عدم الإخلاص :

إن عدم الإخلاص كالنفاق والرياء والسمعة وابتغاء غير وجه الله سبحانه وتعالى في العمل يعتبر من نواقض كلمة التوحيد .

فإذا كانت أعمال العبد غير خالصة لله وحده، فإنه لن يكون مؤمنًا ، إذ إن المعول على النية، كما قال ﷺ : « **إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى** »[3].

لا بد من إخلاص العمل وتنقيته من كل شائبة شك أو شرك أو نفاق ؛ لأن الشرك يكون في الأقوال والأفعال والاعتقاد ، لهذا يقع في الشرك كل من لم يخلص في قوله أو عمله أو اعتقاده ، لأن الله لا يقبل من عبده أي عمل لا يكون خالصًا له ، سبحانه وتعالى ، وبالتالي فإنه لا يكون من أهل لا إله إلا الله ، قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾ ﴾[4].

ويقول عز من قائل : ﴿ وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ

---

(١) الأزودة : جمع زاد ، ويحتمل أنه سمى الأوعية أزوادًا باسم ما فيها .

(٢) صحيح مسلم : ٥٦/١ .

(٣) متفق عليه .

(٤) النساء آية : ٤٨ .

مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾ ﴾[1].

وفي الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **قال الله تبارك وتعالى : أنا أغنى الشركاء عن الشرك ، من عمل عملًا أشرك فيه معي غيري ، تركته وشركه** »[2].

إن عدم الإخلاص في العمل يحبطه ويوقع صاحبه في الشرك ، وعمله مردود عليه ، لأن الله سبحانه وتعالى غني عن عباده ولا يرضى لهم ذلك أبدًا ، وكما أن الإخلاص من شروط صحة كلمة التوحيد فإن عدم الإخلاص من نواقضها ، والله أسأل أن يرزقنا الإخلاص في القول والعمل والاعتقاد، إنه قريب سميع مجيب .

❋ رابعًا : الكذب :

ونعني به عدم الصدق ، أي: أن يكون العبد كاذبًا غير صادق في إيمانه سواء كان ذلك في القول أو العمل ، أو الاعتقاد ، والكذب يؤدي بصاحبه إلى تكذيب ما جاء من عند الله عز وجل ، من أوامر ونواهٍ أو ما جاء به رسول الله ﷺ ، والصدق يحمل صاحبه على التصديق بكل ما جاء من عند الله في كتابه العزيز أو على لسان رسوله الكريم عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم ، وهو من شروط صحة كلمة الإخلاص « لا إله إلا الله » .

إن العبد إذا لم يكن صادقًا في اعتقاده فإنه لن يكون من أهل هذه الكلمة المباركة ، قال تعالى : ﴿ وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾[3].

والعقيدة من الإسلام بمنزلة القواعد من البنيان ، إذ لا يمكن أن يقوم بنيان على قواعد مهزوزة غير قوية وغير ثابتة .

فإذا قامت أعمال الإنسان واعتقاده على عقيدة صادقة سليمة كان الإيمان قويًا سليمًا ، وبالتالي يكون العمل مقبولًا بإذن الله، والعكس صحيح ، ولعله يلتبس على البعض الأمر في موضوع اليقين والصدق ، لذا نقول :

إن اليقين أعم من التصديق ، وعلى ذلك يكون كل موقن مصدقًا ، وليس كل مصدق

---

(١) الزمر آية : ٦٥ .
(٢) صحيح مسلم : ٢٨٩/٤ .
(٣) الزمر آية : ٣٣ .

موقنًا ، أي أن بينهما عمومًا وخصوصًا كما يقول أهل الأصول ، أي : أن الموقن قد مر بمرحلة التصديق .

فعلى العبد أن لا يكذب ما جاء عن الله أو بعض ما جاء عن الله أو عن رسوله ﷺ الذي أمر الحق تبارك وتعالى بطاعته ، وقرن طاعته جل وعلا بطاعة رسوله ﷺ ، على العبد أن ينتبه لهذا الأمر ، لأنه خطير جدًا ، وناقض من نواقض كلمة التوحيد ، محبط للعمل مبعد عن الله ورحمته ، جعلنا الله وإياكم من المصدقين الموقنين آمين يا رب العالمين ...

❋ خامسًا : عدم المحبة (الكراهية) أو الكره أو البغض :

إن من يبغض كلمة التوحيد أو بعض ما تضمنته لا يكون من أهلها ، وذلك لأن حبها وحب ما تضمنته من شروط صحتها ، لذا فإن عدم توفر المحبة يعني الكراهية والبغض ، وهذا من نواقض كلمة التوحيد « لا إله إلا الله » ، وهذا يحول بينه وبين تحقيق هذه الكلمة قولًا وعملًا واعتقادًا ، وبالتالي يكون قد تغلب لديه حب الشهوات والهوى على حب الله ورسوله وشرعه الحكيم وصراطه المستقيم ، والمحبة التي نقصدها ونعنيها ليست تلك التي تعتمد على الأقوال فقط وليس لها رصيد من الصحة والحقيقة ، بل نعني المحبة الحقيقية التي يوافق فيها الاعتقاد القول ، والقول العمل ، العمل الذي جاء به الشارع الحكيم ، العمل الذي يعتمد على كتاب الله العزيز وسنة نبيه ﷺ .

أما القول باللسان وادعاء المحبة فقط فهذا لا ينفع صاحبه أبدًا ، يقول الحق تبارك وتعالى : ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾ ﴾[1] .

وفي الحديث الشريف عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله ﷺ : **« إن الله قال : من عادى لي وليًا فقد آذنته بالحرب ، وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضت عليه ، وما يزال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه ، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ، ويده التي يبطش بها ، ورجله التي يمشي بها ، وإن سألني لأعطينه ، ولئن استعاذني لأعيذنه وما ترددت عن شيء أنا فاعله**

---
(١) آل عمران : ٣١ .

ترددي عن نفس المؤمن يكره الموت وأنا أكره إساءته »[1].

وربنا العظيم يقول في محكم التنزيل: ﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾[2].

ومعلوم أنه من أبغض شيئًا فيه ذكر الله ، أو جاء من عند الله أو من عند رسوله ﷺ ، أو أبغض رسوله ﷺ فقد كفر .

وعلى العبد أن يحذر من ذلك كله . ويخلص الحب لله وحده لا شريك له ، وأن يحب في الله ويبغض فيه ، وينتبه لهذا الناقض من نواقض كلمة التوحيد ، حتى لا يقع فيه ويكون من الخاسرين والعياذ بالله .

✵ سادسًا : الخروج عن شرع الله :

لما كان الانقياد لكلمة التوحيد شرطًا في صحتها فإن الخروج عنها ناقض لها وقادح في إيمان قائلها ، وذلك لأنه لم يذعن ويستجب لشرع الله الذي شرعه وبينه رسوله الكريم ﷺ .

إن المعنى الحقيقي لكلمة التوحيد « لا إله إلا الله » هو الانقياد التام المطلق لها ، ولما جاءت به من أوامر ونواهٍ ، والتمسك بحبل الله المتين في السراء والضراء ، في الرخاء والشدة ، يرضى بما أمر الله ، ويقبل حكم الله ، ويحكم بما أنزل الله ، ولا يترك شرع الله ويذهب إلى القوانين الوضعية التي وضعها البشر ؛ بل أراذل البشر : أعداء الله من يهود وأعوانهم ، بل يطبق أحكام الله في جميع شئون حياته ، وإن لم يكن كذلك ، فإنه خارج عن شرع الله عز وجل غير منقاد لأحكامه في كتابه العزيز أو سنة نبيه الأمين ﷺ ، قال تعالى : ﴿ وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴾[3].

---

(١) صحيح البخاري : ١٨٦/٨ .
(٢) التوبة آية : ٢٤ .
(٣) لقمان آية : ٢٢ .

وعدم الانقياد لكلمة التوحيد معناه الخروج منها ، وهذا يتنافى مع شروط صحتها ، فعلى العبد الحذر من ذلك ، فإن عاقبته وخيمة وعقابه أليم .

وهذا قد وقع فيه الكثير من الناس في زماننا أعاذنا الله من غضبه وسخطه ، فقد تركوا أحكام الله واستبدلوها بالقوانين الفرنسية والإنجليزية ، القوانين البشرية الجائرة ، وتركوا النظام السماوي الرباني ، تركوا الخير والسعادة والفلاح والعدل ، وتمسكوا بالجور والظلم والاجتهادات البشرية التي لا تعتمد على حق أو عدل ، لأنها ناقصة ، لا تشمل حاجات البشرية كلها ، ومن أين يكتب لها الكمال والعدل ، وهي من نتاج عقول كافرة فاجرة ، عقول هدفها تدمير الإسلام ، والقضاء على المسلمين ، فعليك أخي المسلم أن تتنبه لهذا الأمر الخطير ، وهو الخروج عن شرع الله الذي شرعه لعباده ، فهو وحده العليم بما يصلح لهم ، وبما لا يصلح سبحانه وتعالى .

✻ سابعًا : رد شيء من لوازمها ومقتضياتها :

إذا كان القبول لها شرطًا من شروط صحتها ، فإن رد شيء من لوازمها يعتبر من نواقضها ، فعلى المسلم أن يقبل أمور الشرع جميعها ، ولا يرد أي شيء مما جاء في كتاب الله العزيز ، أو سنة نبيه الأمين ﷺ .

لقد أوضح الصادق الأمين هذا المعنى في أجمل صورة بيانية وأوضح تعبير ، حينما قال ﷺ في الحديث الصحيح : « **مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم ، كمثل الغيث الكثير أصاب أرضًا فكان منها نقية قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير ، وكانت منها أجادب أمسكت الماء فنفع الله بها الناس فشربوا وسقوا وزرعوا ، وأصاب منها طائفة أخرى إنما هي قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ ، فذلك مثل من فقه في دين الله ونفعه ما بعثني الله به فعلم وعلم ، ومثل من لم يرفع بذلك رأسًا ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به** »[1] .



(١) صحيح البخاري : ١/٥١ .

القسم الثاني : محمد رسول الله

○ معنى شهادة أن محمدًا رسول الله ﷺ ○

إن معنى شهادة أن محمدًا رسول الله ﷺ فيما يأتي :

« طاعته فيما أمر ، وتصديقه فيما أخبر ، واجتناب ما عنه نهى وزجر ، وأن لا يعبد الله إلا بما شرع » .

أي : أقر أو أصدق التصديق الجازم من صميم قلبي المواطىء لقول لساني بأن محمدًا عبد الله ورسوله إلى الناس كافة ، إنسهم وجنهم ، شاهدًا ومبشرًا ونذيرًا وداعيًا إلى الله بإذنه وسراجًا منيرًا ، ووجوب تصديقه ﷺ فيما أخبر به : أخبار ما سبق ، وأخبار ما سيأتي.

إن الشهادة للرسول محمد ﷺ بالرسالة والعبودية أو بالعبودية والرسالة مقرونة بالشهادة لله سبحانه وتعالى بالتوحيد ، لا تكفي إحداهما عن الأخرى ، فهما مقترنتان ومتلازمتان ، كما أراد الحق تبارك وتعالى وأمر .

ولا بد من إيمان العبد واعترافه بكمال عبودية النبي ﷺ لله سبحانه وتعالى ربه ورب الخلق جميعًا ، إنسهم وجنهم من في السموات ومن في الأرض وما بينهما ، والاعتراف أيضًا بكمال رسالته ﷺ وتمامها وصلاحها لكل زمان ومكان وأمة حتى يرث الله الأرض ومن عليها ، وكماله هو ﷺ ، وأنه ﷺ فاق جميع البشر في خصاله وصفاته الحميدة .

وعلى هذا فإن التصديق برسالة محمد ﷺ والاعتقاد بهذه الشهادة يتطلب من العبد إعلان ذلك وإظهاره بالقول والعمل .

ومعلوم أن إظهار ذلك بالقول يتم عن طريق النطق بها باللسان ، أما الإظهار بالعمل فيكون بالمتابعة السلوكية في جميع الأحوال وفقًا لما جاء به الصادق الأمين ﷺ، بعيدًا

عن الابتداع أو المغالاة التي حذر منها ﷺ أمته ، خشية أن تزل القدم عن الطريق المستقيم الذي بينه ﷺ لأمته في جميع شئون حياتها ، سواء ما كان يتعلق به ﷺ أي محبته وطاعته ، أو ما يتعلق بالأمور الحياتية جميعها من عبادات ومعاملات .

ونحن نلحظ ما وقع فيه البعض من الناس من مغالاة ، الأمر الذي جعلهم يتنكبون الطريق ويقعون فيما حذرهم منه ﷺ .

إن المعنى الحقيقي لشهادة : أن محمدًا رسول الله ﷺ هو : الانقياد التام والطاعة المطلقة لسيد الأنام محمد بن عبد الله عليه الصلاة والسلام ، والتمسك بما جاء ﷺ به من ربه سبحانه وتعالى ، والدفاع عن سنته وحماية جانب التوحيد الذي بينه لنا رسولنا الكريم ﷺ في سنته المطهرة ، قال تعالى : ﴿ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ ﴿٣٢﴾ ﴾[1].

ويقول جل وعلا : ﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿١٢﴾ ﴾[2].

إن تعظيم أمر النبي ﷺ ونهيه ولزوم شرعه هو التعبير الصادق عن المعنى الحقيقي لهذه الشهادة « شهادة : أن محمدًا رسول الله » ، وهذا إنما هو امتثال لأمر الحق تبارك وتعالى الذي أرسله للناس كافة بشيرًا ونذيرًا وداعيًا إلى الله بإذنه وسراجًا منيرًا ، وبذلك تبرز المعاني الصحيحة الصادقة لهذه الشهادة المتمثلة في الاتباع لا الابتداع ، اتباع هديه ﷺ ، ومعرفة ما جاء به وما أوضحه لأمته من أمور دينها ودنياها ، ومن طريقة المحبة الخالصة ، محبته ﷺ التي تدخل صاحبها الجنة إن شاء الله ، المحبة المنطلقة من إقرار العبد بأنه ﷺ عبد الله ورسوله ، ورحمته إلى خلقه ، ختم الله برسالته الرسالات ، وبدينه الأديان ورضي لعباده الإسلام دينًا ، الإسلام الذي أتى به رسول رب العالمين محمد بن عبد الله ﷺ وبلغه أحسن بلاغ للناس كافة .

---

(١) آل عمران آية : ٣٢ .

(٢) التغابن آية : ١٢ .

○ عظيم قدره ﷺ ○

إن المكانة التي بلغها الصادق الأمين ﷺ هي فضل من الله ومنة فله الأمر كله، وإليه يرجع الأمر كله، فسبحانه وتعالى من حكيم خبير قادر قاهر، إن الناظر والمتأمل لما منحه الحق تبارك وتعالى عبده ورسوله محمدًا ﷺ من قدر ومكانة وعلو شأن يوقن أن ذلك لا يقدر عليه إلا الكبير المتعال مصرف جميع الأحوال مالك الملك سبحانه وتعالى.

فسبحانه من إله عظيم، ورب كريم يفعل ما يشاء، إنه على كل شيء قدير.

لقد أكرم الله عبده ورسوله محمدًا ﷺ، ومنَّ عليه بخصال كثيرة، وصفات عظيمة، رفع بها قدره وأعلى شأنه بين جميع خلقه.

وسوف نقف على بعض من ذلك، للاستدلال فقط، لأن استقصاء ذلك لا يمكن تحقيقه في هذه العجالة إلا أننا سنورد هذه النقاط:

١ - يدل على عظيم قدره ورفعة مكانه ﷺ عند ربه جل وعلا أن ذكر في مقدمة من ذكر من الأنبياء في الوحي وأخذ العهد.

يقول الحق تبارك وتعالى: ﴿ إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَـٰرُونَ وَسُلَيْمَـٰنَ ۚ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴾[1].

ويقول عز من قائل في موضع آخر من الكتاب العزيز: ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَـٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۖ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَـٰقًا غَلِيظًا ﴾[2].

---

(١) النساء آية: ١٦٣.

(٢) الأحزاب آية: ٧.

٢ – إنه ﷺ خاتم النبيين ، إذ ختم الله تعالى به الأنبياء والمرسلين الكرام عليهم السلام ، كما ختم بدينه الديانات السماوية ، قال سبحانه وتعالى : ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾[1].

صلوات الله وسلامه عليه .

وقال ﷺ : « **مثلي ومثل الأنبياء من قبلي ، كمثل رجل بنى بنيانًا فأحسنه وأجمله إلا موضع لبنة من زاوية من زواياه، فجعل الناس يطوفون به ، ويعجبون له ، ويقولون : هلا وضعت هذه اللبنة ؟** » قال : « **فأنا اللبنة ، وأنا خاتم النبيين** » متفق عليه[2].

٣ – وهو ﷺ : أول المسلمين ، قال تعالى : ﴿ قُلْ إِنِّيٓ أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ ﴾[3].

٤ – ومن عظيم قدره ﷺ عند ربه أنه أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم ، قال سبحانه وتعالى : ﴿ ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ ۗ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ ﴾[4].

وفي الحديث المتفق عليه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **أنا أولى بالمؤمنين من أنفسهم** » .

٥ – ومن عظيم قدره ﷺ عند ربه أنه نبي الإسلام ، ورحمة الله للعالمين ، أهدى به قلوبًا عميًا وآذانًا صمًّا ، وعموم رسالته للناس كافة ؛ بل للإنس والجن ، وأنه سيد ولد آدم ، وخير الخلق ، وصاحب الخلق العظيم ، واللواء والكوثر ، والشافع المشفع يوم المحشر ، أنزل عليه أفضل كتبه سبحانه وتعالى ، فصلاة الله وسلامه عليه وعلى آله وصحبه أجمعين .

---

(١) الأحزاب آية : ٤٠ .
(٢) صحيح البخاري في المناقب ، ومسلم في الفضائل .
(٣) الأنعام آية : ١٤ .
(٤) الأحزاب آية : ٦ .

○ خصائص الرسالة المحمدية ○

إن الرسالة المحمدية الخاتمة تمتاز عن غيرها من الرسالات بخصائص كثيرة ومميزات جليلة ، وسوف نبرز هذه الخصائص ، وتلك المميزات بشكل مختصر مركز ، وذلك من خلال النقاط التالية :

○ أولًا : العموم والخلود :

إن رسالة سيدنا محمد ﷺ عامة خالدة باقية بحول الله وقوته وقدرته ، فقد جاءت للناس جميعًا ، فهي لهم كافة كما قال ربنا جل وعلا : ﴿ قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾[1].

فهي لم تكن لجنس دون جنس أو للون دون آخر ، أو لزمان دون زمان أو لطائفة دون أخرى، إنها رسالة البشرية جمعاء، رسالة للإنس والجن إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

لقد كتب الحق تبارك وتعالى على نفسه حفظ كتابه العزيز ، وكلامه العظيم- أساس هذا الدين وسجله ومصدره الأول- من أن تصل إليه يد عابثة بتحريف أو تبديل ، ولقد حاولوا كثيرًا وكثيرًا وما زالوا - أخزاهم الله ورد كيدهم إلى نحورهم - يحاولون ذلك إلا أن الله غالب على أمره حافظ لكتابه ، قال تعالى : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ ۝٩ ﴾ .

إنها رسالة عامة ليست خاصة مختلفة عن غيرها ، قال صلوات الله عليه في حديث لجابر بن عبد الله : « **أعطيت خمسًا لم يعطهن أحد قبلي : بعثت إلى الأحمر والأسود ، وكان النبي إنما يبعث إلى قومه خاصة ، وبعثت إلى الناس عامة ...** »[2] الحديث .

○ ثانيًا : الصحة من بين سائر الرسالات الباقية :

لقد حافظت الرسالة المحمدية على صحتها من بين سائر الرسالات السماوية ، لقد حُرفت

---

(١) الأعراف آية : ١٥٨ .

(٢) مسند الإمام أحمد : ٣/٣٠٤ .

التوراة وحرف الإنجيل .

كما أن سيرته ﷺ كما هي نقية ناصعة صحيحة من بين سير الرجال والعظماء .

فالدين محفوظ في كتاب الله ، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من عزيز حميد ، محفوظ في الصدور ، منقول بالتواتر من جيل إلى جيل ، كذلك قوله ﷺ وفعله وتقريره وسيرته العطرة كل ذلك محفوظ في كتب السيرة والحديث ، قيض الله لها رجالًا قضوا حياتهم في جمع هذا الكنز وذلك الإرث العظيم من سنة سيد المرسلين وإمام المتقين سيدنا محمد ﷺ ، فكانوا أمناء بحق على هذه السنة المطهرة ، فكل جانب من جوانب حياته ﷺ محفوظ ومعروف بالطرق الثابتة المعروفة عند رجال الحديث ، الأمر الذي يدعو كل مسلم للفخر والاعتزاز بهذا الاهتمام الكبير ، والمحافظة الفريدة على الكتاب والسنة من قبل هذه الأمة أمة سيدنا محمد ﷺ فرادى وجماعات .

إن دينًا اختاره رب العالمين للناس أجمعين لا يستغرب عليه ذلك كله ، فسبحانه من إله عظيم ورب كريم ، قال تعالى : ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾[1].

○ ثالثًا : الشمول والكمال :

إن كل من يقف على الرسالة الخاتمة ويتدبرها وينظر إليها جملة أو تفصيلًا يجدها تشمل جميع نواحي الحياة ، إذ إنها لم تترك أي جانب من جوانب الحياة البشرية إلا ووضعت له ما يناسبه ويجعله ميسرًا للناس وفي متناول الجميع ، سواء فيما يتعلق بالاعتقاد أو العبادات والمعاملات . لقد بين الكتاب العزيز ذلك على سبيل الإجمال والتفصيل ، وقامت السنة المطهرة بإيضاح ما أجمل لبيان ما عرض وتفسيره وتوضيحه كما يحب ربنا ويرضى ، كل ذلك دليل على صفة الكمال ، الكمال الذي أراده الحق تبارك وتعالى لدينه القويم ، وصدق ربنا الجليل الكريم إذ يقول : ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ .. ﴾ لك الحمد يا ربنا على نعمة الإسلام ومبعث خير الأنام عليه أفضل الصلاة والسلام ، إن الإسلام لم يترك أي جانب من جوانب الحياة الإنسانية إلا وقدم له حلًا وأوجد له علاجًا ونظمه أدق تنظيم،

---

(١) سورة المائدة آية : ٣ .

سواء ما يتعلق بعلاقة العبد مع ربه أو علاقته مع الناس الآخرين على اختلاف طبقاتهم ونسبة قربهم أو بعدهم منه ، ولقد نظم العلاقات الأسرية ، مع الوالدين، مع الأزواج ، مع الأولاد ، مع الجيران ، مع ذوي الأرحام ، حتى الكفار الذين يعيشون مع المسلمين نظم العلاقة معهم وهم أهل الذمة ، لم يترك أي شيء إلا وجعل له تشريعًا حكيمًا ييسره وينظمه بحيث يكون سهلًا ميسرًا للجميع ، فسبحانه من إله حكيم ورب رحيم ، ورسول الإسلام عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام ، الذي أدبه ربه فأحسن تأديبه هو القدوة والمثل المحتذى ، حيث كانت صفات الكمال كلها في شخصه الكريم ﷺ ، فشخصيته تعطي القدوة الطيبة في جميع شئون الحياة ، وسيرته كنز في هذا المجال ، لقد اجتمعت في شخصه عليه الصلاة والسلام صفات الكمال التي كانت في إخوانه الأنبياء عليهم السلام .

فإذا كان نوح عليه السلام قد اتصف بالحلم والصبر في الدعوة .

وإذا كان الخليل إبراهيم عليه السلام صاحب كرم ومجاهدة في الله .

وإذا كان داود عليه السلام من أصحاب الشكر على النعمة .

وإذا كان زكريا ويحيى وعيسى عليهم السلام من أصحاب الزهد في الدنيا والاستعلاء عن شهواتها وملذاتها ومغرياتها .

وإذا كان موسى عليه السلام صاحب شجاعة وبأس .

وإذا كان أخوه هارون عليه السلام ذا رفق ولين .

فإن إمام المتقين ﷺ قد اجتمعت فيه تلك الصفات وأكثر ..

لأن الشجعان يجدون فيه ﷺ القدوة في الثبات إذا حمي الوطيس واشتدت الحرب ، والأمثلة على ذلك كثيرة .

والكرماء يجدون في شخصه ﷺ الكرم بعينه ، فهو ﷺ يعطي بلا حساب ويؤكد كثيرًا على الإنفاق والكرم بلا إسراف أو تبذير .

وقل ما شئت في جميع الصفات التي عرفتها البشرية ، صفات الكمال والخير والصلاح ، ولا غرابة في ذلك فهو إمام المتقين ، وخاتم النبيين والشافع المشفع يوم المحشر صلوات الله وسلامه عليه .

والحمد لله رب العالمين الذي أنعم وتفضل ، فله الحمد والشكر والمنة .

○ رابعًا : ختمها للرسالات والنبوات جميعًا :

لقد ختم الحق تبارك وتعالى رسالاته بهذه الرسالة الخاتمة رسالة سيدنا محمد ﷺ ، وليعلم الناس جميعًا هذه الحقيقة ويدركوها تمام الإدراك حتى تكون دعوى من ادعى النبوة أو الرسالة أو الوحي مكشوفة للناس جميعًا إذ لا دين إلا دين الإسلام ، ولا نبي بعد سيد الأنام ﷺ .

يقول الحق تبارك وتعالى : ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾[1].

ويقول ﷺ : « فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين »[2].

فلا مجال للدعوات أيًا كان مصدرها ، لأنها كذب وافتراء على الله وعلى رسوله ، فالدين كامل والرسالة خاتمة ، والأصوات الناعقة من حين لآخر والمدعية بالنبوة أو الوحي أو نحو ذلك كلها أصوات ضالة مضللة ، سيطر عليها الهوى والشيطان فأصبحت تأتمر بأمره وتسير بتوجيهاته ووساوسه فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

يقول الحق تبارك وتعالى : ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾[3].

○ طاعتـه ﷺ ○

الطاعة هي : الانقياد والموافقة .

والأمر بطاعة الرسول ﷺ ورد في كتاب الله العزيز صراحة في أكثر من عشر

---

(١) الأحزاب آية : ٤٠ .

(٢) صحيح البخاري كتاب المناقب .

(٣) المائدة آية : ٣ .

مواضع ، وذلك في كل من سورة آل عمران والنساء والمائدة والأنفال والنور ومحمد والمجادلة والتغابن .

قال تعالى : ﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾[1].

وقال جل من قائل عليمًا : ﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا ﴾[2].

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴾[3].

أما في السنة المطهرة ، فعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عن النبي ﷺ أنه قال : « **من أطاعني فقد أطاع الله ومن يعصني فقد عصى الله ، ومن يطع أميري فقد أطاعني ، ومن يعص أميري فقد عصاني** »[4].

والطاعة – رحمني الله وإياكم – ليست شعارًا يرفع أو كلامًا يقال .

إنها المتابعة والموافقة والانقياد لأمره ﷺ .

إنها التمسك بهديه ﷺ في جميع شئون الحياة .

إنها الاستسلام التام المطلق لما أتى به الهادي البشير ﷺ من ربه .

إنها الاتباع لا الابتداع .

إنها الحرص التام على سنته وهديه ﷺ، وحمايتها والدفاع عنها ، وإبلاغها للناس كافة .

إنها الامتثال لما أمر به عليه الصلاة والسلام .

إنها الاجتناب عن كل ما نهانا عنه ﷺ .

---

(١) آل عمران ١٣٢ .

(٢) الأنفال ٤٦ .

(٣) التغابن ١٢ .

(٤) صحيح الإمام مسلم . كتاب الإمارة .

ولا شك أن طاعة رسول الله ﷺ من الواجبات التي أوجبها الحق تبارك وتعالى على عباده ، وأنزل فيها قرآنًا يتلى إلى يوم القيامة .

وفقنا الله لطاعته وطاعة رسوله ﷺ .

○ نتائج مخالفته ﷺ ○

ذكرنا عند الحديث عن وجوب طاعته ﷺ أن ذلك أمر من الله سبحانه وتعالى ، والواجب على العباد أن يمتثلوا أمر ربهم سبحانه وتعالى .

ومعلوم أن ضد الطاعة المخالفة ، والمخالفة بأي شكل من أشكالها ، الظاهر والمختفي منها ، القليل والكثير ، يقول الحق تبارك وتعالى في كتابه العزيز : ﴿ فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾[1] .

يقول ابن كثير في تفسير هذه الآية الكريمة : « أي عن أمر الرسول ﷺ سبيله ومنهاجه وطريقته وشريعته ، فتوزن الأقوال والأعمال بأقواله وأعماله ، فما وافق ذلك قُبل ، وما خالفه فهو مردود على قائله ، وفاعله ، كائنًا ما كان »[2] .

ويقول جل وعلا في موضع آخر من كتابه العزيز : ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴾[3] .

وها هو الصديق أبو بكر رضي الله عنه يقول : (لست تاركًا شيئًا كان رسول الله ﷺ يعمل به إلا عملت به ، إني أخشى إن تركت شيئًا من أمره أن أزيغ) .

الله أكبر ، هذا قول أول من آمن ، وأول خليفة للمسلمين ، رضي الله عنه ، إن مخالفته أمره ﷺ ضلال وفساد كبير ، توعد الحق تبارك وتعالى صاحبه بالخذلان والعذاب الأليم .

---

(١) النور آية : ٦٣ .

(٢) تفسير ابن كثير : ٦٧/٦ .

(٣) النساء آية : ١١٥ .

أما رسولنا الكريم عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم فقد بين لنا حال من غيَّر وبدَّل، وخالف، فقال ﷺ في الحديث الذي رواه الصحابي الجليل أبو هريرة رضي الله عنه، من أن النبي ﷺ أتى المقبرة فقال: **« السلام عليكم دار قوم مؤمنين وإنا إن شاء الله بكم لاحقون وددت أنا قد رأينا إخواننا »** قالوا: أو لسنا إخوانك يا رسول الله؟ قال: **« أنتم أصحابي، وإخواننا الذين لم يأتوا بعد »** فقالوا: كيف تعرف من لم يأت بعد من أمتك يا رسول الله؟ فقال: **« أرأيت لو أن رجلًا له خيل غر محجلة بين ظهري خيل دهم بهم[1]، ألا يعرف خيله؟ »**، قالوا: بلى يا رسول الله، قال: **« فإنهم يأتون غرًّا محجلين من الوضوء، وأنا فرطهم على الحوض ألا ليذادن رجال عن حوضي كما يذاد البعير الضال، أناديهم: ألا هلم، فيقال: إنهم قد بدلوا بعدك، فأقول: سحقًا سحقًا[2] »**[3].

وعن ثابت عن أنس أن نفرًا من أصحاب النبي ﷺ سألوا أزواج النبي ﷺ عن عمله في السر، فقال بعضهم: لا أتزوج النساء، وقال بعضهم: لا آكل اللحم، وقال بعضهم: لا أنام على فراش.

فحمد الله، وأثنى عليه، فقال: **« ما بال أقوام قالوا: كذا وكذا، لكني أصلي وأنام وأصوم وأفطر، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني »**[4].

نعم، من رغب عن سنة إمام المتقين فإنه بعيد عنه وليس منه ولا من أتباعه، سواء أكان ذلك بالترك، أو بالغلو، أو بأي عمل يخالف هديه ﷺ كالبدع والخرافات.

إن نتائج مخالفة رسول الله ﷺ وخيمة جدًّا توقع العبد في غضب الله تعالى وعقابه. لأنه جل وعلا الذي أمر العباد بطاعة رسوله ﷺ، فليحذر المسلم من ذلك أشد الحذر.

---

(١) دهم بهم: أي سود لم يخالط لونها لون آخر.

(٢) سحقًا: بعدًا.

(٣) صحيح مسلم ص٢١٨.

(٤) صحيح الإمام مسلم ص١٠٢٠، دار إحياء التراث.

الركن الثاني : إقام الصلاة

○ مقدمة ○

الصلاة هي الركن الثاني من أركان الإسلام . حيث ورد لفظ (الصلاة) في كتاب الله العزيز أكثر من ستين مرة ، قال تعالى في سورة البقرة : ﴿ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾[1] وقال سبحانه وتعالى: ﴿ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَٰبًا مَّوْقُوتًا ﴾[2] وقال جل وعلا : ﴿ قُل لِّعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾[3] ، وقال ﷺ : « **أرأيتم لو أن نهرًا بباب أحدكم يغتسل فيه كل يوم خمس مرات ، هل يبقى من درنه شيء** »، قالوا : لا يبقى من درنه شيء قال : « **فذلك مثل الصلوات الخمس يمحو الله بهن الخطايا** »[4] وهي أول ما يسأل العبد عنه ، والفرق بين المسلم والكافر ، إنها قرة عين المسلمين تنهى من يؤديها بحقها عن الفحشاء .

وفي الركن الثاني من أركان الإسلام ستكون هذه المطالب :-

- ○ **المطلب الأول : الغرض من الصلاة .**
- ○ **المطلب الثاني : حكمها وأنواعها .**
- ○ **المطلب الثالث : أركانها وشروطها .**
- ○ **المطلب الرابع : صفة صلاة النبي ﷺ .**
- ○ **المطلب الخامس : مكروهاتها ومبطلاتها .**

* * *

---

(١) سورة البقرة آية : ٣ .
(٢) سورة النساء آية : ١٠٣ .
(٣) سورة إبراهيم آية : ٣١ .
(٤) صحيح البخاري جـ١ ص٢٢٤ .

المطلب الأول : الغرض من الصلاة

الصلاة هي الصلة بين العبد وربه سبحانه وتعالى ، الصلة بالله جل وعلا عن إيمان وعقيدة ، ليس الغرض منها الركوع والسجود والتكبير والقراءة والتشهد فحسب ، بل الغرض منها الإيمان بالله تبارك وتعالى وتقديسه وتعظيمه سبحانه وتعالى ، والتوجه إليه بقلب مخلص . فيها يتساوى العباد . فلا فوارق ولا حواجز ولا امتيازات ، لا فرق بين غني وفقير أو حاكم ومحكوم أو أبيض وأسود ، فالجميع خاضعون لله رب العالمين مؤمنون به محققون للعبودية ، تمريغ الجبهة للواحد الأحد الفرد الصمد وذلك بالسجود له وحده جل وعلا ، فعلاوة على أن الصلاة ركن من أركان الإسلام الخمس ، وفرض فرضه الله سبحانه وتعالى على المسلمين بالدليل الواضح البين من كتابه جل وعلا وسنة نبيه ﷺ ، علاوة على ذلك فهي من أجل وأعظم الأعمال التي يتقرب بها العبد لربه سبحانه وتعالى ، تتجلى فيها صفة الخضوع لله رب العالمين كما سنوضح عند الكلام عن صفتها ، كما بين لنا الصادق الأمين ﷺ وكما هو معروف عند من يقوم بأدائها .

إنها من أجل وأعظم مظاهر القوة والتلاحم بين المسلمين حيث يقيمونها خمس مرات في اليوم والليلة، في بيوت الله سبحانه وتعالى ، فتعمل على تقوية أواصر الترابط والتلاحم والإخاء فيما بينهم. جميعهم يتجهون إلى قبلة واحدة قال تعالى: ﴿ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا ۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ ۗ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۗ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٤٤﴾ ﴾[1] وينادون بنداء واحد (الله أكبر) يقومون بأعمال مخصوصة واحدة يبدءونها بالتكبير ويختتمونها بالتسليم ، إنها مظهر من مظاهر القوة والترابط بين أمة محمد ﷺ ، ورابط قوي متين دائم يربط العبد بخالقه ومليكه سبحانه وتعالى خمس مرات مفروضات في اليوم والليلة خلاف النوافل وذوات السبب . إنها تصقل قلب المسلم وتزكي نفسه وتطهره

---

(١) سورة البقرة الآية : ١٤٤ .

من جميع ما يعلق بالنفس من وساوس ، فهي ناهية عن الفحشاء والمنكر كما قال ربنا في كتابه العزيز : ﴿ اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ ۖ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴾[1] إنها ساعة مناجاة بين العبد وربه سبحانه وتعالى ، وتجديد لذكر الله جل وعلا ، وإظهار للضعف والافتقار لمالك الملك سبحانه وتعالى ، وتأكيد على أن العبد مقر ومعترف بأن المعبود واحد لا شريك له ، فهو في كل ركعة من ركعات الصلاة يكرر هذا المعنى ويعيده بلسانه بعد ما أيقن قلبه ، فها هو يقول في كل ركعة : الحمد لله رب العالمين إلى آخر السورة ، إن الحديث في هذا الجانب يطول لذا فإنني أومأت إيماءات سريعة لبيان الغرض من الصلاة ؛ لأن المقام لا يسمح بالإطالة والتفصيل ، وعلى الداعية أن يستوعب جميع المعاني في هذا المقام معتمدًا على كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وصدق ربنا العظيم إذ يقول : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ ۚ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾[2].

* * *

(١) سورة العنكبوت الآية : ٤٥ .

(٢) سورة البقرة الآية : ١٥٣.

المطلب الثاني : حكمها وأنواعها

○ *حكمها :*

الصلوات الخمس واجبة على كل مسلم عاقل بالغ لقوله عز وجل : ﴿ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَٰبًا مَّوْقُوتًا ﴾[1] وقال ﷺ: « **فأخبرهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة** »[2]، حديث معاذ، وهي فرض عين في الحضر والسفر ، في المنشط والمكره، في الصحة والمرض، في السلم والحرب. قال ﷺ: «**العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة فمن تركها فقد كفر**»[3].

○ *أنواعها :*

✵ **أولًا : الصلاة المكتوبة** ، وهي خمس صلوات في اليوم والليلة وهي :

صلاة الفجر، وصلاة الظهر ، وصلاة العصر، وصلاة المغرب، وصلاة العشاء. الفجر: ركعتان، والظهر: أربع ركعات، والعصر: أربع ركعات، والمغرب: ثلاث ركعات، والعشاء: أربع ركعات.

✵ **ثانيًا : صلاة التطوع** ، وهي على خمسة أضرب :

(١) السنن الرواتب : وهي التي قال عنها عبد الله بن عمر رضي الله عنهما : عشر ركعات حفظتهن من رسول الله ﷺ : ركعتين قبل الظهر ، وركعتين بعدها ، وركعتين بعد المغرب في بيته ، وركعتين بعد العشاء في بيته ، وركعتين قبل الفجر .

(٢) الوتر : ووقته ما بين صلاة العشاء والفجر ، أقله ركعة وأكثره إحدى عشرة ركعة ، وأدنى الكمال ثلاث بتسليمتين . ويقنت في الثالثة بعد الركوع .

(٣) التطوع المطلق ، وتطوع الليل أفضل من تطوع النهار ، والنصف الأخير أفضل من الأول ، وصلاة الليل مثنى مثنى . وصلاة القاعد على النصف من صلاة القائم .

---

(١) سورة النساء آية ١٠٣ .

(٢) متفق عليه .

(٣) مسند أحمد جـ٥ ص٣٤٦ .

(٤) ما تسن له الجماعة وهو على ثلاثة أنواع :

● النوع الأول : التراويح : وهي إحدى عشرة ركعة بعد صلاة العشاء في شهر رمضان لقوله ﷺ : « **من صام رمضان إيمانًا واحتسابًا غفر له ما تقدم من ذنبه ومن قام...** »[1]. وقام ﷺ بأصحابه ثلاثًا ثم تركها خشية أن تفرض ، وخرج الفاروق عمر رضي الله عنه وهم أوزاع يصلون فجمعهم على أبي بن كعب رضي الله عنه .

● النوع الثاني : صلاة الكسوف . فإذا كسفت الشمس أو القمر فزع الناس إلى الصلاة ، وبعد أن ينادى : الصلاة جامعة ، يستقبل الإمام القبلة فيكبر ثم يقرأ الفاتحة وسورة طويلة ، ثم يركع ركوعًا طويلًا ، ثم يرفع فيقرأ الفاتحة وسورة طويلة دون التي قبلها ثم يركع فيطيل الركوع دون الذي قبله ، ثم يرفع ثم يسجد سجدتين طويلتين ، ثم يقوم فيفعل دون الذي قبله سابقًا ، فتكون ركعتين بركوعين وأربع سجدات ، قال الصادق الأمين ﷺ : « **الشمس والقمر آيتان من آيات الله عز وجل يخوف بها عباده ، وأنهما لا يكسفان لموت أحد من الناس ، فإذا رأيتم منها شيئًا فصلوا وادعوا حتى ينكشف ما بكم** » رواه البخاري عن أبي بكرة[2].

● النوع الثالث: صلاة الاستسقاء، وعندما تجدب الأرض وينحبس القطر يخرج الناس مع الإمام متخشعين متذللين متضرعين ، فيصلي بهم ركعتين كصلاة العيد ، ثم يخطب بهم خطبة واحدة يكثر فيها من الاستغفار وتلاوة الآيات التي فيها الأمر به . ويحول الناس أرديتهم .

(٥) سجودة التلاوة . وهي أربع عشرة سجدة ، ويسن السجود للتالي والمستمع .

وهناك أنواع أخرى من الصلوات هي :

(أ) صلاة المريض : فالمريض يصلي قاعدًا أو على جنبه أو على ظهره ، وفي حالة عجزه عن الركوع والسجود أومأ إيماءً ، وعليه قضاء ما فاته من الصلوات في إغمائه .

(ب) صلاة المسافر : وللمسافر أن يقصر الصلاة الرباعية ، فيصلي الظهر ركعتين والعصر ركعتين ، والعشاء ركعتين ، والفجر كما هو ، كذلك المغرب ثلاث ركعات ، وله أن يجمع بين الظهر والعصر جمع تقديم أو تأخير ، كذلك المغرب والعشاء .

---

(١) رواه البخاري في كتاب الإيمان وكتاب الصيام عن أبي هريرة رضي الله عنه .

(٢) رواه البخاري في كتاب الكسوف .

(ت) صلاة الخوف : وصلاة الخوف جائزة على كل صفة صلاها الرسول ﷺ ، وهي أن يجعلهم الإمام طائفتين ، طائفة تحرس ، والأخرى تصلي معه ركعة ، فإذا قام إلى الثانية نوت مفارقته وأتمت صلاتها وذهبت تحرس ، وجاءت الفرقة الثانية فصلت مع الإمام الركعة الثانية ، فإذا جلس للتشهد قامت فأتت بركعة أخرى ، وينتظر الإمام حتى تتشهد ثم يسلم بها .

(ث) صلاة الجمعة : يستحب لمن أتى الجمعة أن يغتسل ويلبس نظيفًا ويتطيب ويبكر إليها ، وصفتها : خطبتان تفصلهما جلسة خفيفة ، فيها وعظ وتذكير للمسلمين بعد ذكر الله عز وجل والثناء عليه بما هو له أهل ، ويصلي علي النبي ﷺ ثم يصلي ركعتين جهرًا ، وقد أكدها عليه الصلاة والسلام وبين مكانتها في الحديث الذي رواه أبو هريرة رضي الله عنه حيث قال رسول الله ﷺ: **«نحن الآخرون الأولون يوم القيامة، ونحن أول من يدخل الجنة بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا وأوتيناه من بعدهم فاختلفوا فهدانا الله لما اختلفوا فيه من الحق، فهذا يومهم الذي اختلفوا فيه هدانا الله له »** قال : **« يوم الجمعة؛ فاليوم لنا وغدًا لليهود وبعد غد للنصارى »**[1] وغلظ عليه الصلاة والسلام على من يتهاون بهذه الصلاة ويتركها فقال ﷺ : **« لينتهين أقوام عن ودعهم الجمعات أو ليختمن الله على قلوبهم ثم ليكونن من الغافلين »**[2] ومعلوم أن أركان الخطبة أربعة : الأول : حمد الله والثناء عليه ، والثاني : الصلاة على النبي ﷺ ، والثالث : قراءة آية فصاعدًا ، والرابع : الموعظة ، وهي القصد من الخطبة ، ويستحب أن يخطب على منبر أو موضع عال ؛ فإذا صعد الخطيب أقبل على الناس فسلم عليهم ثم يجلس إلى فراغ الأذان ثم يقوم فيخطب .

(ج) صلاة العيدين : وهي فرض كفاية وأول وقتها من ارتفاع الشمس إلى الزوال ، والسنة فعلها في المصلى ، وصفتها : ركعتان بلا أذان ولا إقامة يكبر في الأولى سبع تكبيرات مع تكبيرة الإحرام ، وفي الثانية خمسًا سوى تكبيرة القيام يرفع يديه مع كل تكبيرة ويحمد الله ، ويصلي على النبي ﷺ بين كل تكبيرتين ثم يقرأ الفاتحة وسورة يجهر فيهما بالقراءة ثم يسلم ، ويخطب بهم خطبتين فإن كان عيد الفطر حثهم على الصدقة ، ويبين

---

(١) صحيح مسلم باب الجمعة .

(٢) صحيح مسلم باب الجمعة .

لهم حكمها ، وإن كان عيد الأضحى بين لهم حكم الأضحية . ويستحب التذكير في ليلتي العيد لقوله عز وجل : ﴿ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٨٥﴾ ﴾ [1].

(ح) صلاة الجنازة : وصفتها أن يكبر ويقرأ الفاتحة ثم يكبر الثانية ويصلي على النبي ﷺ ثم يكبر الثالثة ويقول : اللهم اغفر لحينا وميتنا وشاهدنا وغائبنا وصغيرنا وكبيرنا وذكرنا وأنثانا إنك تعلم منقلبنا ومثوانا وأنت على كل شيء قدير ، اللهم اغفر له وارحمه وعافه واعف عنه وأكرم نزله ووسع مدخله ، واغسله بالماء والثلج والبرد ونقه من الخطايا كما ينقى الثوب الأبيض من الدنس ، وأبدله دارًا خيرًا من داره وجوارًا خيرًا من جواره وزوجًا خيرًا من زوجه ، وأدخله الجنة وأعذه من عذاب القبر ومن عذاب النار ، وأفسح له في قبره ونور له فيه ، ثم يكبر الرابعة ويسلم تسليمة واحدة عن يمينه . ويرفع يديه مع كل تكبيرة .

وإن كان الميت صبيًّا جعل مكان الاستغفار له (اللهم اجعله ذخرًا لوالديه وفرطًا وأجرًا وشفيعًا مجابًا ، اللهم ثقل به موازينهما وأعظم به أجورهما واجعله في كفالة أبيه إبراهيم وألحقه بصالح سلف المؤمنين وقه برحمتك عذاب الجحيم ، اللهم اغفر لأسلافنا وأفراطنا ومن سبقنا بالإيمان) .



(١) سورة البقرة الآية : ١٨٥ .

المطلب الثالث : أركانها وشروطها

○ أولًا : أركان الصلاة :

وسوف يكون الحديث عن أركان الصلاة سريعًا وموجزًا خشية الإطالة .

❋ **الركن الأول** : القيام مع القدرة ونعني به أن تصلي قائمًا ما دمت مستطيعًا والدليل قوله تعالى : ﴿ وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ ﴾ .

❋ **الركن الثاني** : تكبيرة الإحرام وهي مفتاح الصلاة ، وفي الحديث : « **تحريمها التكبير وتحليلها التسليم** » .

❋ **الركن الثالث** : قراءة الفاتحة لأنه لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب .

❋ **الأركان : الرابع والخامس والسادس والسابع والثامن** : الركوع والرفع منه والسجود على الأعضاء السبعة والاعتدال منه والجلسة بين السجدتين .

قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾[1] ، وقال ﷺ: «**أمرت أن أسجد على سبعة أعظم**» وعن ابن عباس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « **أمرت أن أسجد على سبعة أعظم الجبهة** – وأشار بيده على أنفه – **واليدين والرجلين وأطراف القدمين ، ولا نكف**[2] **الثياب ولا الشعر** ».

❋ **الركن التاسع والعاشر** : الطمأنينة في جميع الأفعال والترتيب بين الأركان ، ودليل ذلك حديث المسيء صلاته عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : بينما نحن جلوس عن النبي ﷺ إذ دخل رجل فصلى ، ثم جاء فسلم على النبي ﷺ فقال : « **ارجع فصل فإنك لم تصل** » فعلها ثلاثًا ، ثم قال : والذي بعثك بالحق نبيًا لا أحسن غير هذا فعلمني ، فقال النبي ﷺ : « **إذا قمت إلى الصلاة فكبر ثم اقرأ ما تيسر معك من القرآن ثم اركع**

---

(١) سورة الحج آية : ٧٧ .

(٢) أي : لا نضمها ولا نجمعها .

حتى تطمئن راكعًا ، ثم ارفع حتى تعتدل قائمًا ، ثم اسجد حتى تطمئن ساجدًا ، ثم ارفع حتى تطمئن جالسًا ، ثم افعل ذلك في صلاتك كلها »[1].

❋ **الركن الحادي عشر والثاني عشر** : التشهد الأخير والجلوس له ، والدليل حديث ابن مسعود رضي الله عنه قال : كنا نقول قبل أن يفرض علينا التشهد : السلام على الله من عباده ، السلام على جبريل وميكائيل فقال النبي ﷺ : « **لا تقولوا: السلام على الله من عباده فإن الله تعالى هو السلام ولكن قولوا : التحيات لله والصلوات والطيبات السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله** » .

❋ **الركن الثالث عشر** : الصلاة على النبي ﷺ ، وقد وردت صفة الصلاة على النبي في حديث أبي مسعود الأنصاري حيث قال رضي الله تعالى عنه : أتانا رسول الله ﷺ ونحن في مجلس سعد بن عبادة فقال له بشير بن سعد : أمرنا الله (عز وجل) أن نصلي عليك يا رسول الله فكيف نصلي عليك ؟ قال : فسكت رسول الله حتى تمنينا أنه لم يسأله ، ثم قال رسول الله ﷺ : « **قولوا : اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على آل إبراهيم ، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم في العالمين إنك حميد مجيد والسلام كما علمتم** »[2].

❋ **الركن الرابع عشر** : التسليمتان عن اليمين والشمال ، فعن عامر بن سعد عن أبيه قال : كنت أرى رسول الله ﷺ يسلم عن يمينه وعن يساره حتى أرى بياض خده[3] وفي الحديث : « **تحريمها التكبير وتحليلها التسليم** » .

○ *ثانيًا : شروط الصلاة :*

أما شروط الركن الثاني من أركان الإسلام (الصلاة) والتي يجب توفرها قبل الدخول في الصلاة هي :

---

(١) صحيح مسلم كتاب الصلاة .

(٢) متفق عليه

(٣) صحيح مسلم كتاب الصلاة .

(١) **الإسلام** : لا تقبل الصلاة وسائر التكاليف إلا من مسلم آمن بالله ربًّا وبالإسلام دينًا وبمحمد ﷺ رسولًا ، والكافر أعماله مردودة ولا يقبل منه شيء ، قال تعالى : ﴿ وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ۝٢٣ ﴾[١].

(٢) **العقل** : والعقل أداة فهم للتكاليف الشرعية ، فإذا ذهب العقل رفعت التكاليف ، وفي الحديث الشريف « **رفع القلم عن ثلاثة: النائم حتى يستيقظ ، والمجنون حتى يفيق والصغير حتى يكبر** »[٢].

(٣) **التمييز** : وضده الصغر فإذا ميز الصغير بين الخير والشر أو كما يقولون بين التمر والجمر ، وفرق بين الحسن والقبيح فقد بلغ سن التمييز ، وحده سبع سنين وعندها يؤمر بالصلاة . قال ﷺ : « **مروا أبناءكم بالصلاة لسبع واضربوهم عليها لعشر وفرقوا بينهم في المضاجع** »[٣].

(٤) **رفع الحدث** : وهو الوضوء المعروف وإن كان الإنسان جنبًا يطهر بالغسل قال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغْسِلُوا۟ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ وَٱمْسَحُوا۟ بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِ ۚ وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَٱطَّهَّرُوا۟ ﴾[٤].

وعن عبد الله بن زيد بن عاصم الأنصاري رضي الله عنهما – كانت له صحبة – قال : **قيل له: توضأ لنا وضوء رسول الله ﷺ ؛ فدعا بإناء فأكفأ[٥] منها على يديه فغسلهما ثلاثًا ، ثم أدخل يده فاستخرجها فغسل وجهه ثلاثًا ثم أدخل يده فاستخرجها فغسل يديه إلى المرفقين مرتين ، ثم أدخل يده فاستخرجها فمسح برأسه فأقبل بيديه وأدبر ، ثم غسل رجليه إلى الكعبين ، ثم قال : هكذا كان وضوء رسول الله ﷺ**[٦].

(٥) **إزالة النجاسة** : والنجاسة تزال من البدن والثوب والبقعة التي يريد أن يصلي

---

(١) سورة الفرقان آية : ٢٣ .

(٢) صحيح البخاري كتاب الطلاق ج٧ ص٨١ عالم الكتب .

(٣) سنن أبي داود كتاب الصلاة ص٣٣٤ دار الحديث حمص سوريا .

(٤) سورة المائدة آية : ٦ .

(٥) أكفأ : أي : أمال وصب .

(٦) صحيح مسلم كتاب الوضوء .

فيها (المكان) قال تعالى : ﴿ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴾[1].

(٦) ستر العورة : والعورة هي : السوأتان ، (القبل والدبر) ، وقد تعارف على سترها منذ القدم أصحاب العقول السليمة والطباع المستقيمة من لدن آدم وحواء إلى نزول الشريعة السمحاء على خاتم المرسلين سيدنا محمد ﷺ ، وعورة الرجل من السرة إلى الركبتين ، والمرأة كلها عورة إلا وجهها في الصلاة ما لم تكن بحضرة أجانب قال تعالى : ﴿ يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ ﴾[2].

(٧) دخول الوقت : لكل صلاة من الصلوات الخمس وقت معين من الليل والنهار ، ولكل وقت بدء ونهاية ، فقد أمَّ جبريل عليه السلام الرسول في أول الوقت وفي آخره ، فقال : يا محمد الصلاة بين هذين الوقتين .

أ – الفجر : من طلوع الفجر الصادق إلى قبيل طلوع الشمس .
ب – الظهر : من زوال الشمس عن كبد السماء إلى أن يصير ظل كل شيء مثله .
ت – العصر : من أن يصير ظل كل شيء مثله إلى قبيل غروب الشمس .
ث – المغرب : من غروب الشمس إلى غياب الشفق الأحمر .
ج – العشاء : من غياب الشفق الأحمر إلى قبيل طلوع الفجر .
وعند دخول الوقت يؤذن لإعلام الناس بذلك .

(٨) استقبال القبلة : على المصلي أن يتحرى اتجاه القبلة من المكان الذي هو فيه ، ويمكن ذلك بواسطة الشمس أو الأجهزة المعدة لهذا الغرض (ساعة الاتجاه) أو سؤال أهل المكان ، قال تعالى : ﴿ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ ﴾[3].

(٩) النية : وهي عزم القلب على فعل الشيء ، ومحلها القلب ، والتلفظ بها بدعة ، وفي الحديث الشريف قال ﷺ : « **إنما الأعمال بالنيات ، وإنما لكل امرىء ما نوى** » .

---

(١) سورة المدثر آية : ٤ .
(٢) سورة الأعراف آية : ٣١ .
(٣) سورة البقرة الآية : ١٤٤ .

المطلب الرابع : صفة صلاة النبي ﷺ

لقد بلغ عليه الصلاة والسلام الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة وجاهد في الله حق جهاده ، ورب العزة والجلال أمر بطاعة رسوله ، فقال عز وجل : ﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿١٢﴾ ﴾[1]، وقال سبحانه وتعالى : ﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٥٦﴾ ﴾[2]، ولقد بينا ذلك مفصلًا في الحديث عن شهادة أن محمدًا رسول الله ، وقد روى الإمام البخاري في صحيحه حديثًا عن رسول الهدى ﷺ قال فيه عليه الصلاة والسلام : « **وصلوا كما رأيتموني أصلي** »[3] لذا سوف نبين إن شاء الله تعالى في هذا الفصل صفة صلاته ﷺ ، معتمدين في ذلك كتاب زاد المعاد في هدي خير العباد لابن القيم الجوزية رحمه الله تعالى في طبعته المحققة .

❋ **أولًا : تكبيرة الإحرام** : كان ﷺ إذا قام إلى الصلاة قال : « **الله أكبر** » لا غيرها ولم ينقل عنه سواها ، وكان يرفع يديه معها ممدودة الأصابع مستقبلًا بها القبلة إلى فروع أذنيه ، وروي إلى منكبيه كما ذكر ابن عمر رضي الله عنه من أنه ﷺ يرفع يديه حذو منكبيه إذا قام في الصلاة ، وفي الركوع والرفع منه[4]، ثم يضع اليمنى على ظهر اليسرى .

وكان ﷺ يستفتح تارة بـ « **اللهم باعد بيني وبين خطاياي كما باعدت بين المشرق والمغرب ، اللهم اغسلني من خطاياي بالماء والثلج والبرد ، اللهم نقني من الذنوب والخطايا كما ينقى الثوب الأبيض من الدنس** »[5]، وتارة يقول : « **سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك ولا إله غيرك** »[6]، وقال غير ذلك ثم يقول :

---

(١) التغابن آية : ١٢ .

(٢) سورة النور آية : ٥٦ .

(٣) صحيح الإمام البخاري جـ١ ص٢٥٨ عالم الكتب .

(٤) صحيح البخاري جـ١ ص٢٩٥ .

(٥) صحيح البخاري جـ١ ص٢٩٧ .

(٦) مسند أحمد جـ٣ ص٥٠ المكتب الإسلامي .

(أعوذ بالله من الشيطان الرجيم) ثم يقرأ الفاتحة وكانت قراءته مدًّا يقف عند كل آية ويمد بها صوته ، فإذا فرغ من الفاتحة قال : (آمين) فإن كان يجهر بالقراءة رفع بها صوته ، فإذا فرغ من الفاتحة أخذ في سورة غيرها ، وكان يطيلها تارة ، ويخففها لعارض من سفر أو غيره ، ويتوسط فيها غالبًا . وكان يقرأ في الفجر بنحو ستين آية إلى مائة آية ، وصلاها بسورة (ق) . وصلاها : (بالروم) وصلاها (بالتكوير) ، وكان يصليها يوم الجمعة بسورة : (الم السجدة) وسورة : (الإنسان) كاملتين ، أما ما يظنه البعض من أن صبح الجمعة فضل بسجدة فهذا جهل عظيم ، وكره بعض الأئمة قراءة السجدة لأجل هذا الظن . أما القراءة في الظهر فكان يطيل فيها أحيانًا ، والعصر على النصف من صلاة الظهر ، أما المغرب فقد صلاها بالأعراف ، ومرة (بالمرسلات) ، ومرة (بالمعوذتين) ، أما العشاء فقرأ فيها بسورة : (التين والزيتون) ، وبسورة : (الشمس) ، وبسورة (الأعلى)[1] ، وبعد الفراغ من القراءة سكت بقدر ما يتراد إليه نفسه ، ثم رفع يديه كما تقدم وكبر راكعًا ووضع كفيه على ركبتيه كالقابض عليها وبسط ظهره ومده ، ولم ينصب رأسه ولم يخفضه بل يجعله حيال ظهره معادلًا له ، وكان يقول : « **سبحان ربي العظيم** » ، وكان ركوعه المعتاد مقدار عشر تسبيحات ، وكان يقول أيضًا : « **سبوح قدوس رب الملائكة والروح** » ، ثم كان يرفع رأسه بعد ذلك قائلًا : « **سمع الله لمن حمده ، ربنا ولك الحمد** » وصح عنه ﷺ أنه كان يقول : « **سمع الله لمن حمده ، اللهم ربنا لك الحمد ملء السموات والأرض وملء ما شئت من شيء بعد أهل الثناء والمجد أحق ما قال العبد وكلنا لك عبد ، لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد** » .

❋ **ثانيًا : السجود** : بعد استعراض الأعمال التي قام بها ﷺ في صلاته حتى الاعتدال من الركوع نستعرض الأعمال التي قام بها ﷺ من نزوله للسجود حتى التسليم :

كبر ﷺ وخر ساجدًا واضعًا ركبتيه قبل يديه على الأرض ، ثم يديه بعدهما[❋] ثم جبهته وأنفه ساجدًا على الأعضاء السبعة قائلًا : « **سبحان ربي الأعلى** » ثلاثًا ، ثم يرفع رأسه مكبرًا جالسًا يفرش رجله اليسرى ويجلس عليها وينصب اليمنى ويثني أصابعه نحو القبلة ،

---

(١) زاد المعاد لابن القيم الجوزية ج١ ص٢١٠ ، ٢١١ تحقيق شعيب الأرناؤوط مؤسسة الرسالة .

(❋) راجع في ذلك رسالة «نهي الصحبة عن النزول بالركبة» لأبي إسحاق الحويني. مصححه

ويقول : « **رب اغفر لي رب اغفر لي** » ، ثم يكبر للسجدة الثانية ويفعل كما فعل في الأولى ، ثم يرفع رأسه مكبرًا وينهض قائمًا للركعة الثانية وهي كالأولى سواء إلا أنه ليس فيها تكبيرة الإحرام ولا دعاء استفتاح ولا تطويل كالأولى فإذا جلس ﷺ للتشهد وضع يده اليسرى على فخذه اليسرى ووضع يده اليمنى على فخذه الأيمن وأشار بأصبعه السبابة ، وكان لا ينصبها نصبًا ولا ينيمها بل يحنيها شيئًا ويحركها شيئًا ، وصفة الجلوس كما تقدم بين السجدتين سواء .

ثم يتشهد ﷺ في هذه الجلسة ويقول : « **التحيات لله والصلوات والطيبات السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله** » ، ثم يكبر قائمًا للركعة الثالثة إن كانت الصلاة أكثر من ركعتين ، ويأتي بركعتين لا يقرأ بعد الفاتحة شيئًا ، ثم يجلس للتشهد الأخير ويتورك وذلك بنصب رجله اليمنى وفرش اليسرى وإخراجها عن يمينه جالسًا على مقعده ولا يتورك إلا في صلاة فيها تشهدان ، ثم يقرأ التشهد الأول كما ذكرنا سابقًا ثم يقول : « **اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم إنك حميد مجيد ، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم إنك حميد مجيد** » .

ثم يسلم عن يمينه (السلام عليكم ورحمة الله) وعن يساره ، وبذلك تنتهي الصلاة.

* * *

المطلب الخامس : مكروهاتها ومبطلاتها

○ أولًا : مكروهات الصلاة[1]:

لقد بين الهادي البشير عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم الأفعال التي تكره في الصلاة . وسوف نقوم بذكرها نقلًا عن صاحب المغني رحمه الله تعالى وهي كما يلي :

١ – يكره أن يترك شيئًا من سنن الصلاة .

٢ – يكره الالتفات في الصلاة لغير حاجة .

٣ – يكره رفع البصر إلى السماء .

٤ – يكره أن يكف شعره وثيابه .

٥ – يكره تشبيك الأصابع .

٦ – يكره فرقعة الأصابع .

٧ – يكره أن يعتمد على يده في الجلوس في الصلاة .

٨ – يكره مسح الحصى .

٩ – يكره العبث كله وما يشغل عن الصلاة ويذهب بخشوعها .

١٠ – يكره أن يلصق إحدى قدميه بالأخرى .

١١ – يكره أن يغمض عينيه في الصلاة .

١٢ – يكره أن يكثر الرجل مسح جبهته في الصلاة .

١٣ – يكره التميل في الصلاة .

○ ثانيًا : مبطلات الصلاة :

تبطل الصلاة بأحد الأشياء التالية :–

---

(١) المغني لابن قدامة مع الشرح الكبير جـ١ ص٦٦١ – ٦٦٢ .

١ – الأكل والشرب قليلًا كان أو كثيرًا .

٢ – الحدث بأقسامه .

٣ – الكلام عمدًا غير القرآن الكريم والذكر والدعاء الذي فيها .

٤ – الفعل الكثير عمدًا .

٥ – قطع ركن من أركانها عمدًا كأن سجد عامدًا قبل تمام الاعتدال .

٦ – زيادة ركن فعلي عمدًا كزيادة الركوع .

٧ – الردة .

٨ – تخلف المأموم عن إمامه بركنين فعليين أو سبقه له بهما .

٩ – انكشاف العورة ولو سترها ، أما إذا كشفها الريح وسترها في الحال فلا تبطل .

١٠ – ملاقاة النجاسة التي لا يعفى عنها رطبة أو يابسة لثوب المصلي أو بدنه ولم يزلها في الحال .

١١ – تغير النية أو الشك فيها كصرف نية الصلاة التي يصليها إلى صلاة غيرها .



الركن الثالث : إيتاء الزكاة

الحديث عن الزكاة كركن من أركان الإسلام يطول ، تناوله العلماء بالشرح والإيضاح والبيان في كتب التفسير والفقه ، والذي أريده هنا بيان أهمية هذا الركن وأثره العظيم في ترابط الأمة وتوادها وتآخيها وانقيادها لله رب العالمين بقيامها بدفع الزكاة إذا حال الحول وبلغ النصاب. وخوفًا من الإطالة في هذا الموضوع الهام جدًا سأتناوله من خلال المطالب التالية:

- **المطلب الأول : تعريفها وحكمها وشروط وجوبها .**
- **المطلب الثاني : الترغيب في أدائها في الكتاب والسنة .**
- **المطلب الثالث : أهل الزكاة .**
- **المطلب الرابع : أثرها على الفرد والمجتمع وأمة الإسلام .**

وبعد أربعة عشر قرنًا من الزمان تتوالى اعترافات أمة الكفر – من خلال ما يقولون ويكتبون – بأن هذه الزكاة وهذا الركن من أركان الإسلام الخمس هو الذي يصلح للناس ويحقق لهم المكاسب الكثيرة من خلال ما تضمنه نظامها (طرق الصرف) ، إذ لا يمكن أن يوجد عدل في هذا الجانب مثل ما هو كائن من خلال هذا التشريع الإلهي ، الذي يكفل لصاحب المال حقه بل ويزيده وللمحتاجين (أهل الزكاة) ما يسد حاجتهم، لأن الإنسان في ظل الأنظمة الوضعية عانى كثيرًا إذ تتضاعف (الضرائب) أضعافًا كثيرة على أصحاب الأموال ، وفي الوقت نفسه لم تسد حاجة الفقراء ، وهذا ما سنوضحه في المطلب الرابع من هذا الموضوع ، إنهم محدودو الفكر قليلو الفهم أو في الحقيقة لا يفهمون عندما أرادوا المقارنة بين تشريع العليم الخبير سبحانه وتعالى المحيط علمه بكل شيء وبين نتاج العقل البشري المحدود.

فيا دعاة الإسلام يجب أن نبرز هذه المعالم العظيمة للناس كافة لنؤكد على تكامل هذا الدين لأنه أتى لخير الناس أجمعين .

وأن تشريعاته صالحة لكل زمان ومكان ولكل أمة حتى يرث الله الأرض ومن عليها .

المطلب الأول : تعريفها وحكمها وشروط وجوبها

○ أولًا : تعريفها :

بالنظر لمغزى هذا الركن العظيم نجد الزكاة عبارة عن اسم لما يخرجه العبد المسلم ذكرًا كان أم أنثى من حق الله تبارك وتعالى في المال ، ويعطيه مستحقه حسب بيان الشارع . وسميت زكاة لما يكون فيها من رجاء البركة وتزكية النفس وتنميتها بالخيرات . فهي مأخوذة من الزكاة التي هي النماء والزيادة والطهارة والبركة ، قال جل وعلا : ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم ﴾[1]. وهي أحد أركان الإسلام الخمس ، قرنها الحق تبارك وتعالى بالصلاة في كتابه العزيز في اثنين وثمانين آية . فرضها الحق تبارك وتعالى في كتابه العزيز وسنة نبيه ورسوله ﷺ وإجماع أمته . وقيل : إنها سميت بهذا لأن المال ينمو ببركة طاعة العبد لخالقه جل وعلا في إخراج المستحق فيه ودعاء الآخذ لها ، ولأنها تطهر مخرجها من الإثم وتمدحه حتى تشهد له بصحة الإيمان . والزكاة أخت الصلاة وهي حق المال . وهي من محاسن دين الإسلام الذي جاء بالمساواة والرحمة والتراحم والتعاون والتعاطف بين أفراد المجتمع ، بل الأمة الإسلامية من لدن نزوله على سيدنا رسول الله ﷺ حتى يرث الله الأرض ومن عليها ، هذا الدين الذي جاء بالعدالة الاجتماعية والمؤاخاة بين أفراد الأمة التي تذوب معها جميع الفوارق ويبقى عامل التقوى هو الفصل بينهم ، فكلما زاد المسلم تقى ارتفعت درجته وزاد مقامه عند خالقه أولًا حتى يكتب له القبول وينزل الله محبته في قلوب الناس ، فيرتفع لديهم قدره ويعلو بينهم مقامه بالتقوى فقط وإلا فكلهم لآدم، وآدم من تراب.

○ ثانيًا : حكمها :

الزكاة هي الركن الثالث من أركان الإسلام ، وهي فرض عين فرضت في السنة الثانية

---

(١) التوبة ١٠٣ .

من الهجرة ، والأصل في وجوبها الكتاب والسنة والإجماع ، وقد أجمعت الأمة على فرضيتها حتى صارت معلومة من الدين بالضرورة ، قال سبحانه وتعالى : ﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا الزَّكَوٰةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّٰكِعِينَ ﴾[1]، وقال جل وعلا في نفس السورة : ﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا الزَّكَوٰةَ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٠﴾ ﴾[2]، وقال عز وجل : ﴿ وَأَقِمْنَ الصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ الزَّكَوٰةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﴾[3].

وفي السنة المطهرة عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « **بني الإسلام على خمس : شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا عبده ورسوله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وحج البيت وصوم رمضان** »[4]، وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن أعرابيًا أتى النبي ﷺ فقال : يا رسول الله دلني على عمل إذا عملته دخلت الجنة قال : « **تعبد الله لا تشرك به شيئًا ، وتقيم الصلاة المكتوبة ، وتؤتي الزكاة المفروضة وتصوم رمضان** » قال : قال : والذي نفسي بيده لا أزيد على هذا ولا أنقص منه. فلما ولى قال النبي ﷺ : « **من سره أن ينظر إلى رجل من أهل الجنة فلينظر إلى هذا** »[5].

○ *ثالثًا : شروط وجوبها :*

ولوجوبها شروط هي :

١ – الإسلام فلا تجب على الكافر .

٢ – ملك النصاب .

٣ – مضي الحول إلّا الخارج فحوله حصوله .

وهي من محاسن الإسلام ، الدين الذي جاء بالمساواة والتراحم والتعاون والتعاطف وقطع ودحر والقضاء على كل شر يهدد الأمن والرخاء والفضيلة في المجتمع المسلم وغير ذلك من الشرور ، والزكاة جعلها المولى جل وعلا طهرة لصاحبها من رذيلة البخل وإعانة من الأغنياء لإخوانهم الفقراء (أهل الزكاة) وعاملًا من عوامل التراحم بين الأمة .

---

(١) البقرة : ٤٣ .

(٢) البقرة : ١١٠ .

(٣) الأحزاب : ٣٣ .

(٤) متفق عليه .

(٥) متفق عليه .

المطلب الثاني : الترغيب في أدائها في الكتاب والسنة

الحديث عن ما ورد من ترغيب في أداء هذا الركن من أركان الإسلام الخمس في كتاب الله العزيز وسنة نبيه المطهرة يطول ، حيث ورد ذكر الزكاة في القرآن الكريم أكثر من اثنين وثمانين مرة كما ذكرت سابقًا ، وهذا يتطلب استعراض جل الآيات لتدبرها وبيان معانيها وما اشتملت عليه ، وحيث إن الغرض من الموضوع هو الاستعراض فقط ، فإنني أوجز ذلك الترغيب في أداء الزكاة على النحو الآتي :

○ أولًا : الترغيب في كتاب الله العزيز :

١ - قال تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَآ أَنفَقُوا۟ مَنًّا وَلَآ أَذًى لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٦٢﴾ ﴾[1].

٢ - قال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنفِقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَٰعَةٌ وَٱلْكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٥٤﴾ ﴾[2].

٣ - قال تعالى : ﴿ إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ وَٱسْمَعُوا۟ وَأَطِيعُوا۟ وَأَنفِقُوا۟ خَيْرًا لِّأَنفُسِكُمْ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٦﴾ إِن تُقْرِضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَٰعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَٱللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٧﴾ ﴾[3].

---

(١) البقرة : ٢٦٢ .

(٢) البقرة : ٢٥٤ .

(٣) التغابن : ١٥ ، ١٦ ، ١٧ .

٤ – قال تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ وَمَا أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿٣٩﴾ ﴾[1].

٥ – قال تعالى : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴿٢﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ﴿٤﴾ ﴾[2].

وفيما ذكر الخير والكفاية لبيان ترغيب الكتاب العزيز لأمة الإسلام في الزكاة ؛ لما لها من أثر طيب على الفرد والمجتمع ، وهو ما سأوضحه في المطلب الرابع إن شاء الله ، ويكفي ترغيبًا وبيانًا لأهميتها أنها الركن الثالث من أركان الإسلام الخمس ، وأنها مقرونة بالصلاة في كثير من آي الذكر الحكيم ، وأنها فرض على كل مسلم ومسلمة ومؤمن ومؤمنة توفرت لديهم شروط إخراجها .

○ *ثانيًا : الترغيب في السنة المطهرة :*

وردت في السنة المطهرة أحاديث كثيرة ترغب في أداء هذا الركن من أركان الإسلام، وتبين مقدار ما يناله المؤدي لها من أجر عظيم من رب العزة والجلال ، أورد منها ما يلي :

١ – عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ قال : « **قال الله عز وجل : أنفق أُنفق عليك** » ، وقال : «**يد الله ملأى لا يغيضها نفقة سحاء الليل والنهار** »[3] .

٢ – عن أبي ذر رضي الله تعالى عنه قال : كنت أمشي مع النبي ﷺ في حرة المدينة عشاءً، فاستقبلنا أحد فقال : « **يا أبا ذر ما أحب أن أحدًا لي ذهبًا يأتي عليّ ليلة وثلاث عندي منه دينار إلا أرصده لدين ، إلا أن أقول به هكذا وهكذا** » وأراناه بيده، ثم قال: « **يا أبا ذر** » قلت : لبيك وسعديك يا رسول الله قال : « **الأكثرون هم الأقلون إلا من قال هكذا وهكذا** »[4].

٣ – عن أبي هريرة وسعيد رضي الله عنهما قالا : خطبنا رسول الله ﷺ فقال : « **والذي نفسي بيده** » ثلاث مرات ثم أكب فأكب كل رجل منا يبكي ، لا يدري على ماذا حلف ، ثم رفع رأسه وفي وجهه البشرى فكانت أحب إلينا من حمر النعم قال : « **ما**

---

(١) سبأ : ٣٩ .

(٢) المؤمنون : ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ .

(٣) متفق عليه . اللؤلؤ والمرجان لمحمد فؤاد عبد الباقي ص٢٠١٣ جـ١ .

(٤) متفق عليه . المرجع السابق .

من عبد يصلي الصلوات الخمس ويصوم رمضان ويخرج الزكاة ويجتنب الكبائر السبع إلا فتحت له أبواب الجنة وقيل له : ادخل بسلام »[1].

٤ – عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : **« ما من يوم يصبح العباد فيه إلا ملكان ينزلان فيقول أحدهما : اللهم أعط منفقًا خلفًا ، ويقول الآخر : اللهم أعط ممسكًا تلفًا »**[2].

٥ – عن أبي أيوب رضي الله عنه أن رجلًا قال للنبي ﷺ : أخبرني بعمل يدخلني الجنة قال : **« تعبد الله لا تشرك به شيئًا ، وتقيم الصلاة ، وتؤتي الزكاة ، وتصل الرحم »**[3].

هذا بعض ما ورد في الأحاديث الصحيحة من ترغيب في أداء الزكاة، وقبلها أوردت ما ورد من آي الذكر الحكيم ، وعلى دعاة الإسلام إبراز هذا لبيان عناية الإسلام بأمر المسلم وحثه لأفراد الأمة الإسلامية لتقديم العون والمساعدة لبعضهم من مال الله تعالى ، الذي أودعه عندهم جل وعلا وأوجب عليهم فيه مقدارًا معينًا هو الزكاة ، التي جعلها ركنًا من أركان هذا الدين لأهميتها وعظم شأنها .



(١) رواه النسائي واللفظ له ، وابن ماجه وابن خزيمة وابن حبان ، والحاكم وقال : صحيح الإسناد .
(٢) متفق عليه .
(٣) متفق عليه .

المطلب الثالث : أهل الزكاة

يقول الحق تبارك وتعالى في كتابه العزيز مبينًا من تدفع إليهم الزكاة : ﴿ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَٰرِمِينَ وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾[1]. وفي سنن أبي داود رحمه الله تعالى في كتاب الزكاة أن رجلًا أتى النبي ﷺ : « **إن الله تعالى لم يرض بحكم نبي ولا غيره في الصدقات حتى حكم فيها هو ، فجزأها ثمانية ، فإن كنت من تلك الأجزاء أعطيتك حقك** »[2]. والثمانية الذين ذكرهم الحق تبارك وتعالى في كتابه العزيز تدفع لهم الزكاة المفروضة ، وبيانهم على النحو التالي :

١ – **الفقير** : وهو من لا مال ولا كسب له أصلًا ، وقيل : من كان له كسب لا يليق به .

٢ – **المسكين** : وهو من له مال وكسب ولا يكفيه ، كمن يملك أو يكسب سبعة ولا يكفيه إلا عشرة .

٣ – **العاملون عليها** : وهم الذين يوليهم الإمام أو نائبه العمل على جمعها من الأغنياء ، وهم الجباة ، ويدخل فيهم الحفظة والناقلون ومن يعينهم في سوقها ورعايتها وحملها والعاملون على توزيعها على مستحقها .

ويجب أن يكونوا من المسلمين ، وأن لا يكونوا ممن تحرم عليهم الصدقة من آل الرسول ﷺ .

٤ – **المؤلفة قلوبهم** : وهم الجماعة الذين يراد تأليف قلوبهم وجمعها على الإسلام أو تثبيتها عليه ، ويمكن تقسيمهم إلى أربعة أنواع :

النوع الأول : ضعيف الإيمان الذي أسلم حديثًا فيعطى منها ليقوى إيمانه .

---

(١) التوبة : ٦٠ .

(٢) سنن أبي داود جـ٢ ص٢٨١ . دار الحديث سوريا .

النوع الثاني : من أسلم وله شرف في قومه يؤمل بإعطائه إسلام غيره من الكفار .

النوع الثالث : مسلم قوي يتوقع أن يكفي المسلمين شر من وراءه من الكفار .

النوع الرابع : من يكفي المسلمين شر مانعي الزكاة ، والنوعان الآخران يعطيان من الزكاة عند الحاجة إليهما بدلًا من تجهيز جيش لمانعي الزكاة .

٥ – **في الرقاب** : وهم المكاتبون والأرقاء ، يعانون من مال الزكاة ويشترى العبيد ليعتقوا .

٦ – **الغارمون** : وهم الذين تحملوا وتعذر عليهم أداؤها ، ويمكن بيانهم في الأنواع التالية :

النوع الأول : مدين لإصلاح ذات البين لمعالجة فتنة بين قبيلتين ودفع مال لإطفاء تلك الفتنة ، فيعطى من الزكاة على أنه غارم .

النوع الثاني : من استدان لنفسه في مباح يعطى الزكاة عند عدم قدرته على الوفاء .

النوع الثالث : من استدان لضمان فيعطى إن أعسر مع الأصيل أو أعسر وحده وكان متبرعًا بالضمان ، بخلاف ما إذا ضمن بالإذن وكان الأصيل موسرًا فلا يعطى لأنه يطالب الأصيل بالأداء .

٧ – **في سبيل الله** : هنا أذكر حديثًا متفقًا عليه قال فيه رسول الله ﷺ : « **من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله** » .

وبهذا يتضح لنا المعنى وهو المجاهد المتطوع للغزو وقد أكثر اقترانه في القرآن الكريم والسنة المطهرة بكلمة في سبيل الله ، ومنه إعداد العدة للجهاد ، وتجهيز المجاهدين وإعطاؤهم المال من الزكاة .

٨ – **ابن السبيل** : وهو المنقطع عن ماله وإن كان من أهل الغنى واليسار في بلده إذا قدر الإسلام حاجته ، وأكرم غربته بفرضه له هذا السهم من الزكاة .

هذه هي المصارف الثمانية التي حددها الكتاب العزيز للزكاة ، وهي مصارف إسلامية فلا تصرف الزكاة إلا للمسلمين المستحقين وهي حق لا تفضل وإحسان من شخص لآخر إنما هي حق معلوم .

المطلب الرابع : أثرها على الفرد والمجتمع والأمة

المال له وقع على النفس البشرية ، وقيل : إنه عصب الحياة، ورب العزة والجلال يقول تبارك وتعالى : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝ مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ۝ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ۝ ﴾[1] اقتضت حكمته سبحانه وتعالى أن يكون من عباده الغني والفقير؛ فأوجب في دين الإسلام على الأغنياء حق المال (الزكاة) يقدمونه للفقراء ومن بينا في المطلب السابق (أهل الزكاة) لا منة أو فضل – لأن المنة لله سبحانه وتعالى – وهذا العمل هو من أركان الإسلام، وهو طهارة ونماء لهذا المال وترجمة حقيقية للأخوة الإسلامية . من أجل هذا نجد أن المجتمع الملتزم بأداء الزكاة مجتمع متحاب يحرص فيه الفقير على مال الغني لعلمه أن له فيه حق ، فلا حسد ولا بغضاء ولا كراهية . والغني يحرص على أداء الزكاة بمقدارها وفرضها الذي بينه رسول الله ﷺ في سنته المطهرة ، وأيضًا في زمانها المحدد وهو مطمئن القلب منشرح الصدر لعلمه بما أعده الحق تبارك وتعالى من أجر عظيم للقائمين بها وفيما بين الشارع الحكيم ، وبذلك نجد الأثر العظيم لهذا الركن من أركان الإسلام على الفرد ، سواء كان معطيًا أو آخذًا ، وعلى المجتمع؛ لأنه مقيم لحدود الله منفذ لتعاليم الدين، فالكل في سعادة لما يعملون سويًا لتحقيق التكامل بين أفراد المجتمع . نعم ، إنه تكافل اجتماعي رباني تحقق من خلال (الزكاة) وما يتبعها من صدقات تطوعية زيادة في طلب الخير والبركة والحفظ للمال فقد تكفل تبارك وتعالى بذلك لمن سمع وأطاع ، وبهذا يقوم الفرد والمجتمع بعبادة مفروضة من رب العزة والجلال، لأن الزكاة ليست عملًا تطوعيًا، بل فرض لازم على من توفرت فيه أو لديه الشروط للأداء، تكفل

---

(١) . الذاريات : ٥٦ ، ٥٧ ، ٥٨.

تبارك وتعالى ووضح للأمة أهلها كما بينا سابقًا، وهو دليل آخر على أهميتها وعظمتها وأثرها في الأمة التي لا يكون من بينها بائس أو صاحب فاقة ، لأنه يأخذ من الزكاة ما يسد حاجته ويحفظ كرامته من غير منة ولا أذى ، وهذا ما لا نجده في أي نظام أو تشريع آخر ، فله جل وعلا الشكر والفضل والمنة إذ جعل أمة الإسلام مترابطة بقيامها بأداء هذا الفرض ليعم الخير أفراد الأمة جميعًا من خلال ما تحققه هذه الزكاة من فوائد عظيمة وأهداف سامية جليلة ، تصان من خلالها كرامة الإنسان المسلم إذا كان من غير أصحاب المال والثراء من خلال ما له من حق في مال الغني . وبهذا تقضي الزكاة على الفوارق والأحقاد التي تنشأ من وجود الفوارق بين الناس من جانب المال ، يؤديها من وجبت عليه بنفس طيبة راضية راجية من خالقها سبحانه وتعالى القبول والمغفرة ، وبهذا نجد أن أمة الإسلام أمة تكافل وتعاون وعطاء أضحت فيه الأمة كالأسرة الواحدة يكفل بعضها بعضًا ، وإذا أردنا أن نتدبر هذا الفرض العظيم (الزكاة) نجد أن أحقية الفقير فيها نابعة من الأخوة الإسلامية، فعدم استطاعته أن يقوم بعمل جعل له حقًا في أن يعينه أخوه الغني ويأخذ بيده ولا يتركه نهبًا لما هو فيه من الحاجة والعوز ؛ لأن إيمانه يفرض عليه الوقوف بجانب أخيه المحتاج .

والمتدبر لآي الذكر الحكيم يجد أن من أسباب الخلود في نار جهنم عدم إطعام المساكين قال تعالى : ﴿ مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ ۝٤٢ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ ۝٤٣ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ ۝٤٤ ﴾ انظر إلى نتيجة الأنانية وعدم الاهتمام بحال المساكين – الخلود في النار ، وهكذا نجد الآيات المباركات من كتاب الله العزيز تؤكد على الإنفاق والبذل وتحسس أحوال المحتاجين وإخراج حق الله ودفعه لهم ، إقرارًا واعترافًا بنعمة المنعم سبحانه وتعالى ، وتحقيقًا لأخوة الإسلام ، وهكذا لو مضينا في الحديث عن هذا الركن فيما يتعلق بحق الجماعة وقبله حق الله نجد آيات عظام في هذه الفريضة . أعجبني في هذا المقام قولًا لعبد الله بن جعفر الذي لا يرد سائلًا حيث يقول : (إن الله عودني عادة وعودت عباده عادة ، عودني أن يعطيني وعودت عباده أن أعطيهم ، وأخشى إذا قطعت عادتي أن يقطع عادته عني) .

فالمال نعمة من نعم الله على عباده ، فمن طلبه بالحلال وأنفقه فيما يرضي الله رضي الله عنه وبارك له ، وصدق ربنا الجليل العظيم إذ يقول : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنفِقُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِآخِذِيهِ إِلَّا أَن تُغْمِضُوا فِيهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ۝٢٦٧ ﴾[1].

---

(١) سورة البقرة الآية : ٢٦٧ .

الركن الرابع : صوم رمضان

الصيام كركن من أركان الإسلام قال عنه الحق تبارك وتعالى : « **الصوم لي وأنا أجزي به** » يحتاج لوقفات ووقفات ، شأنه شأن بقية الأركان الخمس . لقد تناوله العلماء في كتب التفسير والحديث والفقه بالبيان والتفصيل ، وهنا أردت من خلال بيان قواعد الدعوة أن أوضح جوانب القاعدة الأولى من تلك القواعد ، وهو الإسلام بأركانه وتعاليمه ، وما أتى به من خير للبشرية ليقف الداعية المسلم على كنه هذا الدين ، وما جاء به من تشريعات وتوجيهات ليعيش هذا الإنسان في ظل تلك التعاليم الدينية بخير وأمن وسلام وسيكون الحديث عن هذا الركن من خلال المطالب الآتية :

- **المطلب الأول : الصوم في الكتاب والسنة .**
- **المطلب الثاني : منزلة الصوم في الإسلام .**
- **المطلب الثالث : شروط وجوبه وصحته وأركانه ومستحباته .**
- **المطلب الرابع : صلاة التراويح والاعتكاف وليلة القدر وزكاة الفطر .**

وعلى دعاة الإسلام العودة إلى كتب الفقه التي وضحت هذا الركن وفصلت فيه وفق ما جاء من هدي نبوي ، إذ إن الهدف من إيراده التذكير فقط لذا أوردت ما يتبعه من عبادات في المطلب الرابع للوقوف عليها بسرعة لارتباطها بهذا الركن العظيم من أركان الإسلام الخمس كصلاة التراويح والاعتكاف ..... إلخ

* * *

المطلب الأول : الصوم في الكتاب والسنة

يقول الحق تبارك وتعالى في كتابه العزيز : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ وَأَن تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٤﴾ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٨٥﴾ ﴾[(١)].

ويقول سبحانه وتعالى في نفس السورة: ﴿ أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْ فَالْآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ وَلَا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٨٧﴾ ﴾[(٢)].

وقد ورد ذكر الصيام في كتاب الله العزيز ثلاث عشرة مرة في سورة البقرة والنساء والمائدة ومريم والأحزاب والمجادلة .

أما ذكر الصوم في السنة المطهرة فهذه بعض أحاديثه :

(١) عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **إذا دخل شهر رمضان فتحت أبواب السماء وغلقت أبواب جهنم وسلسلت الشياطين** »[(٣)].

---

(١) سورة البقرة آية : ١٨٣ ، ١٨٤ ، ١٨٥ .

(٢) سورة البقرة آية : ١٨٧ .

(٣) متفق عليه .

(٢) وعنه رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : **« قال الله : كل عمل ابن آدم له إلا الصيام فإنه لي وأنا أجزي به ، والصيام جنة فإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب فإن سابه أحد – أو قاتله – فليقل : إني امرؤ صائم ، والذي نفس محمد بيده لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك ، للصائم فرحتان : فرحة إذا أفطر ، وفرحة إذا لقي ربه بصومه »**[١].

(٣) عن أبي سعيد رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : **« من صام يومًا في سبيل الله باعد الله وجهه عن النار سبعين خريفًا »**[٢].

هذا بعض ما ورد في الصيام في الكتاب والسنة لبيان قدر هذا الركن من أركان الإسلام وفضله .

* * *

(١) متفق عليه .

(٢) متفق عليه .

المطلب الثاني : منزلة الصوم في الإسلام

الصوم يحتل منزلة عظيمة في هذا الدين الحنيف ولنبين هذه المنزلة أذكر الآتي :

○ أولًا : معنى الصوم :

الصوم لغة : مجرد الإمساك .

الصوم اصطلاحًا : نيه الإمساك عن المفطرات من طلوع الفجر إلى غروب الشمس .

○ ثانيًا : أهمية الصوم :

معلوم أنه ركن من أركان الإسلام الخمس ، وهو فرض عين على كل من توفرت فيه الشروط والتي سأذكرها في المطلب الثالث إن شاء الله .

فرض في شهر شعبان من السنة الثانية للهجرة النبوية وثبتت فرضيته في الكتاب والسنة والإجماع ، ففي الكتاب العزيز قال تعالى : ﴿ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهۡرَ فَلۡيَصُمۡهُ ﴾ وقال جل وعلا : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ١٨٣ ﴾ ، وفي السنة المطهرة قول الحبيب المصطفى ﷺ في الحديث المتفق عليه : « **بني الإسلام على خمس : شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وحج البيت ، وصوم رمضان** »[1] ، وقد أجمعت الأمة الإسلامية على فريضة صيام شهر رمضان حتى صار معلومًا من الدين بالضرورة فمن جحد فريضته فهو كافر . وهي العبادة الوحيدة التي فرضت علينا كما فرضت على من قبلنا .

○ ثالثًا : خصائص الصوم :

١ – الصيام سر بين الرب والعبد لا يعلمه إلا الله سبحانه وتعالى ، وربما يدخل الرياء إلى بعض العبادات كالصلاة مثلًا ، أما الصوم فإنه لا يعلمه إلا الله تعالى لذا نسبه

---

(١) متفق عليه .

جل وعلا إلى نفسه كما بينت في المطلب الأول في الحديث المتفق عليه .

٢ - شهر رمضان شهر القرآن قال تعالى : ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ ﴾[1] نزل القرآن الكريم كله إلى السماء الدنيا من اللوح المحفوظ في شهر رمضان، فالقرآن في شهر رمضان له طعم ومذاق ودلالات وإيحاءات خاصة ، لأنه يعيد ذكرى نزوله .

٣ - شهر رمضان مدرسة للجود والعطاء فعن ابن عباس رضي الله تعالى عنه قال : إن رسول الله ﷺ كان أجود الناس ، وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل ، فلرسول الله ﷺ أجود بالخير من الريح المرسلة[2]. فالصيام يدعو إلى إعطاء المسكين وإطعام الجائع ومد يد العون للفقير ، فهو موسم المتصدقين وفرصة الباذلين والمعطين .

٤ - في شهر رمضان شهر الصيام صلاة التراويح وقيام الليل وهو خاص به ، وفي الحديث الصحيح عن سيدنا رسول الله ﷺ قال : « **من قام رمضان إيمانًا واحتسابًا غفر له ما تقدم من ذنبه** »[3].

٥ - الحكمة من فرض الصوم علينا هي التقوى كما قال جل وعلا: ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ والتقوى كلمة جامعة لكل خصال الخير والبر والإحسان والمعروف، إنها غاية كل عابد، فشهر الصوم شهر المغفرة والرحمة والعتق من النار والبذل والعطاء والصدقة . هذه بعض خصائص الصوم في شهر الصوم .

○ *رابعًا : فوائد الصوم :*

لو أردنا أن نحصي فوائد الصوم لما استطعنا ، فهو مدرسة خلقية عظيمة تعلمنا الكثير والكثير ومن هذه الفوائد ما يلي :

١ - الصوم يعلم الصدق والأمانة والصبر .

٢ - الصوم يعود الوفاء بالعهود والثبات على المبدأ .

٣ - الصوم يربي النفس على الشجاعة ويعلم العزة .

---

(١) سورة البقرة الآية : ١٨٥ .

(٢) رواه البخاري ومسلم في كتاب الصيام .

(٣) رواه البخاري ومسلم في كتاب الصيام .

٤ - الصوم يحث على الجود والكرم والعطاء والبذل .

٥ - الصوم يعلم الحرية والنظام حيث يتحرر العبد من العبودية للشهوات ، والنظام : يفطر في وقت ويمسك في وقت وهكذا .

٦ - الصوم مظهر رائع من مظاهر وحدة المسلمين وتماسكهم .

٧ - الصوم فيه صحة ونشاط وعلاج لكثير من الأمراض الجسمية والروحية .

وهكذا تتجلى في هذه العبادة كثير من الأسرار والفوائد رحمة من الله بهذه الأمة ، حيث جعل لها شهر رمضان لتؤدي فيه هذه الفريضة المباركة وهذا الركن من أركان الإسلام الخمسة . فالمسلم يتزود من هذه العبادة بزاد التقوى حيث يقوى الجسم بسبب الراحة التي تحصل من قلة الطعام وتنظيم المأكل والمشرب ؛ فيزداد نشاطه وتصفو روحه لتعلقها بخالقها جل وعلا . تقوى فيه إرادة المسلم حيث تسمو نفسه وتتشوق إلى ما عند الله من أجر ومثوبة ، ففي هذا الشهر تبرز كثير من المعاني الجميلة .

والصوم يمكن تقسيمه إلى أربعة أقسام :

(١) الصوم المفروض . (٢) الصوم المندوب .

(٣) الصوم المكروه . (٤) الصوم المحرم .

فالصوم المفروض يمكن تقسيمه إلى ثلاثة أقسام :

١ - صوم رمضان . ٢ - صوم الكفارات . ٣ - صوم النذر .

والصوم المندوب : صيام ستة من شوال ، ويوم عرفة ، وعشر من ذي الحجة ، ويوم عاشوراء ، والأيام البيض من كل شهر : الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر ، والإثنين والخميس .

والصوم المكروه : إفراد يوم الجمعة والسبت بصوم إلا إذا صام يومًا قبله أو يومًا بعده ، أو وافق عادة له أو كان يوم عرفة أو عاشوراء . كما يكره صوم الدهر وصوم المريض إن خاف ضررًا ، وإن تحقق الضرر حرم .

والصوم المحرم : صيام يومي العيد : الفطر والأضحى ، ويوم الشك ، والوصال ، وصيام المرأة تطوعًا بدون إذن زوجها وهو حاضر .

❋ ❋ ❋

المطلب الثالث : شروط وجوبه وصحته وأركانه ومستحباته

○ أولًا : شروط وجوب الصوم هي :

الإسلام والبلوغ والعقل والإطاقة حسًّا وشرعًا ، فلا يجب على من لا يطيقه حسًّا كالمريض الذي لا يرجى برؤه والهرم ، ولا على من لا يطيقه شرعًا كالحائض والنفساء .

○ ثانيًا : شروط صحة الصوم :

الإسلام والتمييز والعقل وخلو الصائمة من الحيض والنفاس والولادة وقت الصوم ، وإن لم تر الوالدة بللًا ، وأن يكون الوقت قابلًا للصوم فلا يصح صوم يومي العيد مثلًا .

○ ثالثًا : أركان الصوم :

النية بالقلب كل يوم ، والإمساك عن المفطرات جميع النهار .

○ رابعًا : ما يستحب في الصوم :

السحور وتأخيره أفضل ، وتعجيل الفطور ، وكف الجوارح عن الآثام ، والجود ومدارسة القرآن الكريم والاجتهاد في العبادة ، والاعتكاف في العشر الأواخر من شهر الصيام .



المطلب الرابع : صلاة التراويح والاعتكاف وليلة القدر وزكاة الفطر

○ أولًا : صلاة التراويح :

التراويح في اللغة : جمع ترويحة ، وأصل الترويحة : إيصال الراحة ، وهي الجلسة ، وهي سنة مؤكدة . ووقتها من بعد صلاة العشاء إلى الفجر . تسن فيها الجماعة ، واظب الصحابة رضي الله عنهم على أدائها في جماعة من عهد الفاروق رضي الله عنه . وفي الحديث المتفق عليه واللفظ لمسلم عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ صلى في المسجد ذات ليلة فصلى بصلاته أناس ثم صلى في القابلة فكثر الناس ثم اجتمعوا من الثالثة أو الرابعة فلم يخرج إليهم رسول الله ﷺ فلما أصبح قال : « **قد رأيت الذي صنعتم فلم يمنعني من الخروج إليكم إلا أني خشيت أن تفرض عليكم** » .

○ ثانيًا : الاعتكاف :

الاعتكاف لغة : اللبث والحبس، وشرعًا : اللبث في المسجد من شخص مخصوص بنية ، والأصل فيه القرآن والسنة والإجماع . قال تعالى : ﴿ وَلَا تُبَٰشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَٰكِفُونَ فِى ٱلْمَسَٰجِدِ ﴾ ، وثبت عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ كان يعتكف العشر الأواخر من رمضان حتى توفاه الله ثم اعتكف أزواجه من بعده.

وآدابه : الاشتغال بطاعة الله ولا يتكلم إلا بخير، وأن يكون في مسجد جامع .

والحكمة منه : كف النفس عن شهواتها والانقطاع إلى الله تعالى بالقلب والقالب .

○ ثالثًا : ليلة القدر :

قال تعالى : ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴿١﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ﴿٢﴾ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ

﴿ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ۝٣ تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ۝٤ سَلَامٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ ۝٥ ﴾ . اسمها ليلة القدر ، ومعناه التقدير لأن الله يقدر ما يشاء من أمره إلى مثلها من السنة المقبلة قال تعالى : ﴿ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ۝٤ ﴾[1] وقيل : سميت بذلك لشرفها قال الزهري : هي ليلة العظمة والشرف، وقيل : سميت بذلك لأن للطاعات فيها قدرًا عظيمًا وثوابًا جزيلًا . وهي أفضل الليالي على الإطلاق كما هو في سورة القدر اختصت بها الأمة المحمدية ، وهي باقية إلى يوم القيامة اختلف العلماء في تعيينها وأرجح الأقوال أنها في شهر رمضان وفي العشر الأواخر منه، وقيل في الوتر من العشر الأواخر ، وفي إخفائها حكمة بالغة كي يملئوها بالعبادة والطاعة فلو كانت محددة لأحياها الناس وحدها وتركوا بقية ليالي العشر الأخيرة ، من قامها إيمانًا واحتسابًا غفر له ما تقدم من ذنبه كما ورد في الحديث الشريف المتفق عليه ، وقيامها يكون بالصلاة وقراءة القرآن الكريم، وكان ﷺ إذا دخل العشر شد مئزره وأحيا ليله وأيقظ أهله . اللهم اجعلنا من أهلها برحمتك يا أرحم الراحمين .

من رآها يطلب من الله العفو والعافية كما علم سيدنا رسول الله ﷺ أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها عندما سألته ما تقول إن رأتها فقال لها ﷺ : « **قولي : اللهم إنك عفو تحب العفو فاعفُ عني** » أو كما قال ﷺ .

○ *رابعًا : زكاة الفطر :*

وتسمى صدقة الفطر وهي زكاة الصوم .

وعن ابن عباس رضي الله عنه قال : (فرض رسول الله ﷺ زكاة الفطر طهرة للصائم عن اللغو والرفث وطعمة للمساكين)[2] . يجب على كل مسلم ، أدرك غروب الشمس من آخر يوم من رمضان عنده قوته وقوت عياله ، صاع من تمر أو بر أو شعير أو أقط على الحر والعبد والكبير والصغير والذكر والأنثى من المسلمين ، يخرجها قبل الخروج لصلاة العيد ، ويجوز إخراجها قبل العيد بيوم أو يومين ، وتدفع لمستحقي الزكاة وهم ثمانية الذين ورد ذكرهم في كتاب الله في سورة التوبة .

---

(١) الدخان آية : ٤ .

(٢) رواه أبو داود وغيره .

الركن الخامس : حج البيت لمن استطاع إليه سبيلًا

من رحمة الله بهذه الأمة أن جعل هذا الفرض العظيم سببًا في مغفرة الذنوب ولم يطلب إلا من القادر المستطيع ، وسيكون تناولنا للركن الخامس من خلال المطالب الآتية :

- **المطلب الأول : الحج في القرآن الكريم والسنة النبوية .**
- **المطلب الثاني : منزلة الحج في الإسلام وفوائده .**
- **المطلب الثالث : شروط الحج وأركانه وواجباته .**

المتأمل في هذا الركن من أركان الإسلام (الحج) يجده الشعيرة الرابعة من الإسلام ، وهو آخر ما فرض من الشعائر والعبادات التي بين الحق تبارك وتعالى حدودها ومعالمها حيث كانت فرضيته في السنة التاسعة ، ومنهم من قال : في السنة السادسة .

والحج رحلة عظيمة فريدة في عالم الأسفار يتنقل خلالها المسلم من بلده إلى البلد الأمين ليطوف بالبيت العتيق ويقف بعرفات الله ، ويؤدي بقية الأعمال في تلك البقاع الطاهرة ليعود بالذاكرة إلى الوراء حيث الخليل إبراهيم وابنه الذبيح يرفعان القواعد ، ومن ذريتهما هذه الأمة الماجدة أمة سيدنا محمد بن عبد الله عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام فهو قبل أن يأتي لهذه الأماكن المقدسة توحد مع كل مسلم في هذه المعمورة في التوجه خمس مرات يوميًا لهذا البيت حيث القبلة المشرفة ، وها هو اليوم يأتيها بشخصه ليطوف حولها سبعة أشواط طواف القدوم ويعود مرة ومرة ليطوف بالبيت العتيق أداءً لهذا الركن حسب النسك الذي أهلّ به ، إنها وحدة فريدة ليس لها مثيل تأخذ وتستمد قوتها من خالق السماوات والأرض رب البيت سبحانه وتعالى الذي فرض على عباده المؤمنين قصد هذا المكان الطيب الطاهر ليعودوا بذنب مغفور وعمل مقبول وتجارة لن تبور ، يعودون كيوم ولدتهم أمهاتهم تفضلًا منه جل وعلا وكرمًا ورحمة بعباده .

فيه تتجلى الوحدة الإسلامية في أبهى وأحلى صورة حيث الإزار والرداء والقصد والتوجه والأعمال المشتركة، فيه تذوب الفوارق الكل يلهج بالدعاء والثناء (لبيك اللهم لبيك لبيك لا شريك لك لبيك إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك الله أكبر) إنها وحدة لا مثيل لها في الوجود ، الكل ينادي إلهًا واحدًا يرجون منه ويخافون عذابه .

* * *

المطلب الأول : الحج في القرآن الكريم والسنة النبوية

قبل بيان الركن الخامس من خلال الكتاب العزيز والسنة النبوية المطهرة نقف عند معناه في اللغة والاصطلاح.

الحج لغة : القصد .

وشرعًا : القصد إلى البيت الحرام لأعمال مخصوصة في زمن مخصوص يجب في العمر مرة لمن استطاع إليه سبيلًا ، ووجوبه معلوم من الدين بالضرورة حيث ثبت في الكتاب والسنة وإجماع الأمة .

لم يحج ﷺ إلا مرة واحدة في السنة العاشرة بعد أن طهر البيت من الشرك .

○ أولًا : الحج في القرآن الكريم :

١ - يقول سبحانه وتعالى : ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴿٩٧﴾ ﴾[1].

٢ - ﴿ الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ ۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ ۗ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ ۚ وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ ﴿١٩٧﴾ ﴾[2].

٣ - ﴿ وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ ۚ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ ۖ وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحِلَّهُ ۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِّن رَّأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ ۚ فَإِذَا أَمِنتُمْ فَمَن تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ ۚ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ ۗ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ

---

(١) آل عمران : ٩٧ .

(٢) البقرة : ١٩٧ .

﴿ ذَٰلِكَ لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُۥ حَاضِرِى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿١٩٦﴾ ﴾[1].

٤ - ﴿ وَأَذِّن فِى ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾ لِّيَشْهَدُوا۟ مَنَٰفِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَٰتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ ۖ فَكُلُوا۟ مِنْهَا وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْبَآئِسَ ٱلْفَقِيرَ ﴿٢٨﴾ ثُمَّ لْيَقْضُوا۟ تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا۟ نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا۟ بِٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ ﴿٢٩﴾ ﴾[2].

وهذه الكلمة وردت في كتاب الله - حج ، الحج ، الحاج - اثنتي عشرة مرة في كل من سورة البقرة وآل عمران والتوبة والحج .

○ *ثانيًا : الحج في السنة النبوية :*

وردت أحاديث كثيرة في السنة المطهرة في هذا الركن من أركان الإسلام فيما يتعلق بفضله وأحكامه وكل ما يتعلق بهذه العبادة أورد منها ما يلي :

١ - عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « **من حج هذا البيت فلم يرفث ولم يفسق رجع كما ولدته أمه** »[3].

٢ - وعنه رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « **العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة** »[4].

٣ - وعنه رضي الله عنه قال : سئل رسول الله ﷺ : أي العمل أفضل ؟ قال : « **إيمان بالله ورسوله** » قيل : ثم أي؟ قال : « **الجهاد في سبيل الله** » قيل : ثم أي ؟ قال : « **حج مبرور** »[5].

هذا وقد بينت السنة النبوية المطهرة جميع ما يتعلق بهذا الركن العظيم كما سنفصله في المطلب الثالث حتى إن أعماله أصبحت واضحة ، سواء ما كان منها متعلق بالعمرة وفي زيارة البيت

---

(١) البقرة : ١٩٦ .
(٢) الحج : ٢٧ - ٢٨ - ٢٩ .
(٣) متفق عليه .
(٤) متفق عليه .
(٥) متفق عليه .

الحرام أركانها وواجباتها وسننها، أو ما يتعلق بالفريضة أركانها وواجباتها وسننها، وبفضل الله تعالى يتزايد عدد الحجاج عامًا بعد عام ، حيث توفر لهم الأمن والأمان والطرق الواسعة المعبدة والخدمات المتنوعة والوسائل المريحة والعمارة الضخمة سواء في المسجد الحرام والمسجد النبوي الشريف ، فما على المسلم الذي لم يقم بفرضه إلا أن يبادر بأدائه قبل فوات الأوان ، وعلى من أدى فرضه أن يتيح المجال لإخوانه الذين لم يحجوا بعد، ذلك من باب التعاون .

تقبل الله من الحجاج حجهم وصالح أعمالهم وشملنا معهم بما أعده لأهل عرفة إنه جواد كريم قريب سميع مجيب .

* * *

المطلب الثاني: فوائد الحج ومنزلته في الإسلام

من رحمة الله بهذه الأمة أن جعل لها مواسم تحصل بها على المغفرة والرضوان ، ففي الشهر الأول من العام صيام عاشوراء ، وفي كل أسبوع يومين الإثنين والخميس ، ثم صلاة الجمعة في آخره ، وفي الشهر صيام الأيام البيض : الثالث والرابع والخامس عشر ، حيث مغفرة الذنوب وتكفير السيئات ورفع الدرجات ، ثم يأتي شهر القرآن والرحمة والغفران ، ويوم العيد المبارك ، يلي ذلك صيام ستة من شوال تعدل صيام الدهر ، وفي ختام العام الحج الأكبر حيث يعود منه الحاج كيوم ولدته أمه ، كما قال عليه الصلاة والسلام .

كل ذلك امتحان لطاعة العباد وإظهار عبوديتهم وشكرهم لله رب العالمين ، وقد أشار الكتاب العزيز إلى تلك الفوائد التي يحصل عليها العبد المسلم من أدائه لفريضة الحج فقال جل وعلا : ﴿ لِّيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ ۖ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ ﴿٢٨﴾ ﴾[1]، ونستطيع أن نبرز بعضًا من فوائد الحج في النقاط التالية :

١ – تجديد ذكر الله تعالى وتقوية الصلة بين الرب والعبد وما التلبية التي يرفعها الحاج من حين دخوله في النسك حتى رمي جمرة العقبة في يوم العيد والدعوات والتهليل والتكبير بعدها إلا ترجمة حقيقية لما في نفس العبد من حب وشوق وحنين ورغبة ورهبة ورجاء فيما عند خالقه ومولاه عز وجل، وفي كل جانب من جوانب أعمال الحج ترجمة صادقة وتعبير عن ما يكنه المسلم في داخله من طاعة وولاء لله رب العالمين ، وتجديد العهد والوعد .

---

(١) الحج : ٢٨ .

٢ – الحج تدريب عملي على الجهاد ، وذلك لأن أعمال الحج ابتداء من لبس الإحرام وما له من محظورات حتى عودة الحاج إلى بلده فيها من الجهد والبذل ما يكسب الحاج صبرًا وتواضعًا وتسامحًا وحسن معاملة ، لأن الكل في لباس واحد وموقف واحد ومناسك واحدة، وأماكن واحدة من مكة إلى منى فعرفات فمزدلفة فمنى مرة أخرى فمكة لإتمام مناسك الحج، كل ذلك يلقي على الحاج ظلالًا من القوة والقدرة على تحمل المشاق فيتعلم الصبر والنظام، وبعبارة أخرى في الحج تربية وثقافة وتدريب وإعداد ومصابرة وانضباط .

٣ – في الحج ذكر لليوم للآخر وفي هذا خير وموعظة ، وذلك لأن الوقوف على صعيد عرفات مشهد مصغر من يوم الحشر ، الكل في لباس واحد ومكان واحد ودعاء واحد وتوجه واحد لله رب العالمين، إنه موقف يهز الحاج من أعماق أعماقه يذكره بالموت والبلى؛ فيصحو من غفوته وينتبه من رقدته ويعود إلى رب جواد كريم يغفر الذنب كتب على نفسه الرحمة يفرح لتوبة عبده .

٤ – الحج مدرسة يتعلم فيها المسلم ويتلقى دروسًا في البذل والعطاء وإبراز الحاجة والفاقة وطلب العفو والمغفرة، في هذه الرحلة يترك المسلم الأهل والوطن ويتحمل مشاق السفر والغربة، ولو أن المسلم ليس غريبًا بين إخوانه ، كل ذلك يضفي على روح الحاج إشعاعات مضيئة من المعرفة ليكون قريبًا من الله، فالحاج ضيف الله ، والضيف لا بد له من قري وقراه مغفرة ورحمة .

٥ – في الحج فائدة عظمى ومنحة كبرى ، وذلك بحصول الحاج على رضى الله ومغفرته ، لأن الحاج إذا قام بأداء هذا الركن كما يحب ربنا ويرضى ، وكان من مال حلال وبنية خالصة لا رياء فيه ولا سمعة ، عاد منه مغفور الذنب كما ولدته أمه ، فهل بعد هذه المنحة منحة ؟ رب اغفر وارحم وتجاوز عما تعلم وما لا نعلم إنك أنت الله العزيز الأعز الأكرم .

٦ – الحج يصل حاضر أمة الإسلام بماضيها ويربط المسلمين بقبلتهم، فيه من الذكريات والصبر الشيء الكثير، يتشرف فيه العبد بالطواف حول بيت الله المطهر واستلام الحجر الأسود وشرب ماء زمزم .

٧ – في الحج وحدة وجمع شمل حيث يلتقي أفراد الأمة في أرض القداسات مكة المكرمة والمشاعر تحت راية : لا إله إلا الله محمد رسول الله . يتعارفون ويتشاورون ويتبادلون المنافع، ويظهرون قوة هذا الدين من خلال هذا الاجتماع الذي تذوب فيه الفوارق والطبقات، الكل في لباس واحد ومكان واحد وعبادة واحدة شعارهم : لبيك اللهم لبيك .

○ *أما عن منزلة الحج في الإسلام :*

فهو ركنه الخامس عبادة مخصوصة في زمن مخصوص ومكان مخصوص ، يؤديه المسلم مرة في العمر إن استطاع إلى ذلك سبيلًا ، وإن لم يستطع فلا حج عليه، معلوم من الدين بالضرورة، يكفر جاحده، يمحو الله به الذنوب والخطايا إن كان الحج مبرورًا، وهو مظهر من مظاهر الوحدة الإسلامية لا مثيل له في الرسالات السابقة بهذه الكيفية التي بينها الصادق المصدوق ﷺ ووضحها لأمته أركانًا وواجبات وسننًا .

والحج من أفضل العبادات لاشتماله على البذل المالي والجهد البدني ، وهو فرصة غالية لهذه الأمة لتعود منه بعمل مقبول وذنب مغفور، من خلاله تستطيع أمة الإسلام تنظيم حياتها وترتيب أمورها والتشاور فيما بينها للتغلب على جميع العقبات التي تعترضها ، لأنه أعظم مؤتمر عالمي سنوي حيث يتجدد هذا اللقاء في كل عام في الشهر الأخير من العام الهجري .

في الحج تتجلى كثير من المعاني الإسلامية الكريمة، فالكعبة المشرفة رمز التوحيد ورمز الوحدة ، التوحيد لأن التوجه إليها بأمر الله وإلى الله حيث النداء الخالد: الله أكبر مع كل صلاة وتوجه وأنة من أنات المسلم، فالعبد وماله لله لا إله لا هو ولا رب سواه – والوحدة حيث اجتمعت هذه الخلائق تحت راية التوحيد من كل حدب وصوب ولون وجنس حتى يرث الله الأرض ومن عليها ، جمعهم هذا الدين والتوجه لله رب العالمين لا إله غيره ولا رب سواه .

والإحرام حيث التجرد من المخيط فيه من المعاني والآيات ما يحتاج إلى بحوث مستقلة ، وقد كتب علماء الأمة في هذا الكثير ، وليس التجرد من المخيط فقط بل يتجرد العبد من كل شيء ، ويتوجه لخالقه ومولاه حتى من بعض ما أحله الله له قبل الإحرام ،

وذلك لتأكيد العبودية وإخلاص الطاعة لله رب العالمين ، وتزكية النفس وحرمانها مما أحل لها امتثالًا لأمر الله وانقيادًا لشرعه ، وغيره وغيره آيات بينات تدل بحق على منزلة ومكانة هذا الركن من هذا الدين الحنيف، وحسبي أنني ذكرت دلالات فالحديث يطول عن هذه المنزلة وتلك المكانة لهذا الفرض من فرائض الإسلام ، وهذا الركنُ الخامس منه .

* * *

المطلب الثالث : أركان الحج وشروطه

القصد من بيان ذلك التذكير وإلا فكتب الفقه ومؤلفات الحج التي شرح فيها هذا المنسك ، وكل ما يتعلق به متوفرة .

○ *أركان الحج هي :*

١ - الإحرام ٢ - الوقوف بعرفة ٣ - الطواف ٤ - السعي ٥ - الحلق أو التقصير .
ومنهم من قال بالترتيب بين معظم هذه الأركان .

ولا بأس من ذكر ***أركان العمرة*** أيضًا وهي :

١ - الإحرام ٢ - الطواف ٣ - السعي بين الصفا والمروة ٤ - الحلق أو التقصير .
والركن ما لا يتم الحج والعمرة إلا به ولا يجبر تركه بشيء .

○ *شـروط الحـج :*

الشروط قال عنها العلماء: إنها تنقسم إلى قسمين: شروط وجوب، وشروط صحة.

✹ وشروط الوجوب هي :

١ - الإسلام ٢ - البلوغ ٣ - العقل ٤ - الحرية ٥ - الاستطاعة . وفي كل شرط تفصيل وبيان يرجع إليه في كتب الفقه .

✹ أما شروط الصحة هي :

١ - الإسلام فلا يصح من كافر أصلي أو مرتد لعدم أهليته للعبادة .

٢ - ويشترط للمباشرة بالنفس مع الإسلام التمييز .

٣ - ويشترط لوقوعه عن فرض الإسلام مع الإسلام التمييز والبلوغ والحرية .

❋ **واجبات الحج هي :**

١ – الإحرام من الميقات ٢ – رمي الجمار ٣ – المبيت بمزدلفة ٤ – المبيت بمنى ليالي التشريق ٥ – طواف الوداع .

وعلى المسلم معرفة جميع ما يتعلق بهذا النسك من أركان وشروط وواجبات ليعود من رحلة العمر هذه بعمل مقبول وذنب مغفور إن شاء الله .

❋ ❋ ❋

المبحث الثالث : أركان الإيمان

الحديث عن الإيمان سيكون من خلال بيان أركانه وحقيقته ونواقضه، وعلى من أراد المزيد مراجعة كتاب الإيمان الذي حققه الشيخ/علي بن محمد بن ناصر الفقيهي للحافظ محمد بن إسحاق ابن مندة من مطبوعات المجلس العلمي بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ومعلوم أن صلاح الأمر كله يكون في اتباع الحق والتزام الهدى والطريقة، وأن أصل الفساد مخالفة الحق وتنكب طريقه.

ولا شك أن الحق هو الوضع الذى خلق الله عليه مخلوقاته والإنسان من مخلوقات الله، وصلاح حياته مرتبط بمعرفة الحق واتباعه وفسادها في جهله بالحق أو تمرده عليه لذا فإن سبب صلاح حياة الإنسان هو الإيمان بالله عز وجل بل صلاح الحياة جميعها فما هو الإيمان يا ترى ، وما أركانه وحقيقته ونواقضه ؟ .

○ أولًا : الإيمان هو التصديق :

وهو اسم يقع على الإقرار باللسان والتصديق بالقلب والعمل بالجوارح .

○ ثانيًا : أركان الإيمان :

يقول الحق تبارك وتعالى: ﴿ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ ﴾، وقال سبحانه: ﴿ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ ﴾ وفي حديث جبريل عليه السلام المشهور قال ﷺ عن الإيمان: **«أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره»**.

وبهذا تكون أركان الإيمان ستة ، لا يتم إيمان أحد إلا إذا آمن بها جميعًا ، ومن جحد شيئًا منها خرج عن دائرة الإيمان وصار من الكافرين وإليكموها مفصلة :

✵ الركن الأول : الإيمان بالله جلت عظمته وعز :

وأعني بذلك الاعتقاد الجازم بأن الله رب كل شيء ومليكه وخالقه ، وأنه سبحانه وتعالى المستحق وحده أن يفرد بالعبادة من صلاة وصوم ودعاء وخوف ورجاء وذبح ونذر وذل

وخضوع وخشوع ، وأنه جل وعلا المتصف بصفات الكمال كلها ، المنزه عن كل نقص لا إله غيره ولا رب سواه .

✵ الركن الثاني : الإيمان بالملائكة :

والمقصود به الاعتقاد الجازم بأن لله تعالى ملائكة موجودين مخلوقين من نور وأنهم لا يعصون الله ما أمرهم، فهم من مخلوقات الله جل وعلا لا يصلح إيمان عبد حتى يؤمن بوجودهم ، وبما ورد في حقهم من صفات وأعمال في كتاب الله العزيز وسنة نبيه ﷺ من غير زيادة ولا نقص .

✵ الركن الثالث : الإيمان بالكتب :

وهو الاعتقاد الجازم بأن الله تعالى أنزل على رسله كتبًا مشتملة على هدى لعباده مبينة لهم ما يصلح دينهم ودنياهم، موضحة لهم ما لهم من حقوق وما عليهم من واجبات، فيها التشريعات والتوجيهات الربانية لهم، من هذه الكتب ما سماه لنا في القرآن الكريم ، ومنها ما لم يسم ، والذي أخبرنا عنه جل وعلا التوراة والإنجيل والزبور والصحف الذي أنزلها على إبراهيم وموسى ، أما الكتب التي نزلت على سائر الرسل ولم يخبرنا جل وعلا عن أسمائها ، وإنما أخبرنا سبحانه أن لكل نبي أرسله رسالة بلغها قومه فيجب علينا أن نؤمن بجميع الكتب ، وأنها نزلت بالحق والنور والهدى وتوحيد الله تعالى في ربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته لا إله غيره ولا رب سواه قال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِن قَبۡلُۚ وَمَن يَكۡفُرۡ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾ ﴾ .

✵ الركن الرابع : الإيمان بالرسل :

وهو الاعتقاد الجازم بأن الله تعالى بعث في كل أمة رسولًا يدلهم على الخير ويحذرهم من الشر لا يعلم عددهم وأسماءهم إلا الله الذي خلقهم وأرسلهم قال تعالى : ﴿ وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا رُسُلٗا مِّن قَبۡلِكَ مِنۡهُم مَّن قَصَصۡنَا عَلَيۡكَ وَمِنۡهُم مَّن لَّمۡ نَقۡصُصۡ عَلَيۡكَ ﴾[1] ، وقال جل وعلا: ﴿ وَإِن مِّنۡ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٞ ﴿٢٤﴾ ﴾[2] والمذكورون في القرآن الكريم من

---

(١) غافر : ٧٨ .

(٢) فاطر : ٢٤ .

الأنبياء والرسل خمسة وعشرون ورد ذكر ثمانية عشر منهم في قوله تعالى : ﴿ وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٥﴾ وَإِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا ۚ وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٦﴾ ﴾[1].

والنبي هو كل من أوحي إليه من الله تعالى ، سواء أمر بتبليغ غيره أم لم يؤمر فإن لم يؤمر بالتبليغ فهو نبي وليس رسولًا ، وإن أمر بالتبليغ فهو نبي ورسول ، وهكذا فإن كل رسول نبي وليس كل نبي رسولًا .

❋ الركن الخامس : الإيمان باليوم الآخر :

وهو الاعتقاد الجازم بأن هناك يومًا آخر يحاسب فيه الإنسان على ما قدم في الدنيا، وهو ما أخبر به سبحانه وتعالى في كتابه العزيز وأخبر به رسوله ﷺ مما يكون بعد الموت من فتنة القبر وعذابه ونعيمه والبعث والحشر والصحف والحساب والميزان والحوض والصراط والشفاعة والجنة والنار وما أعد جل وعلا لأهلهما جميعًا قال تعالى : ﴿ قَٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ﴾[2] .

❋ الركن السادس : الإيمان بالقدر :

والقدر هو قدرة الرحمن كما قال الإمام أحمد رحمه الله والإيمان بالقدر أحد أركان العقيدة الإسلامية والركن السادس للإيمان ، فمن كفر بالقدر خرج من دين الله تعالى .

فيجب على كل مسلم أن يؤمن بالقدر خيره وشره حلوه ومره .

والمقصود بالإيمان بالقدر : الإيمان بعلم الله القديم ، والإيمان بمشيئة الله النافذة وقدرته الشاملة .

هذه أركان الإيمان ، وعلى المسلم أن يؤمن بها جميعًا كما بين الحق تبارك وتعالى في كتابه وأورد رسوله ﷺ في سنته .

---

(١) الأنعام ٨٣ – ٨٦ .

(٢) التوبة : ٢٩ .

○ ثالثًا : حقيقة الإيمان :

حقيقة الإيمان تلك الأمور التي يجب على المسلم أن يؤمن بها إيمانًا جازمًا صادقًا خالصًا ، وهي التي وردت في حديث جبريل المشهور المتفق عليه ، والذي رواه أبو هريرة رضي الله تعالى عنه قال : كان النبي ﷺ بارزًا يومًا للناس فأتاه رجل فقال : ما الإيمان ؟ قال : « **الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وبلقائه وبرسله وتؤمن بالبعث** » قال : ما الإسلام ؟ قال : « **الإسلام أن تعبد الله ولا تشرك به وتقيم الصلاة وتؤدي الزكاة المفروضة وتصوم رمضان** » قال : ما الإحسان ؟ قال : « **أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك** » قال : متى الساعة ؟ قال : « **ما المسئول عنها بأعلم من السائل وسأخبرك عن أشراطها ، إذا ولدت الأمة ربتها ، وإذا تطاول رعاة الإبل البهم في البنيان ، في خمس لا يعلمهن إلا الله** – ثم تلا النبي ﷺ – ﴿ إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ ﴾ » الآية ثم أدبر فقال : «ردوه» فلم يروا شيئًا فقال : «**هذا جبريل جاء يعلم الناس دينهم**»[1] .

فالإيمان اعتقاد بالقلب يصدقه العمل .

وقد ذكر العلماء أن الإيمان والإسلام اسمان لمعنى واحد ، وأن الإسلام الإقرار باللسان والعمل بالأركان ، وأن الإيمان هو اعتقاد بالقلب .

○ رابعًا : نواقضه :

معلوم أن العبد لا يخرج من الإيمان إلا بجحود ما أدخله فيه .

وهذا يعني أنه من قال قولًا أو فعل فعلًا يدل على إنكار شيء مما أقر به وعمله وفقًا لأمر الله ورسوله ﷺ ، وهو إقراره بالشهادتين ثم أنكر فقد خرج من دين الله تعالى ، فإن كان قوله أو فعله مطابقًا لحقيقة نيته واعتقاده كان كافرًا في الدنيا والآخرة ، فيعامل بأحكام الكفار في الدنيا وتطبق عليه أحكام الردة .

يقول الإمام الطحاوي رحمه الله : (ونسمي أهل قبلتنا مسلمين مؤمنين ما داموا بما جاء به النبي ﷺ معترفين ، وله بكل ما قاله وأخبر مصدقين ، ولا نكفر أحدًا من أهل القبلة بذنب ما لم يستحله ولا نقول : لا يضر مع الإيمان ذنب لمن عمله، ولا يخرج العبد من

---

(١) متفق عليه اللؤلؤ والمرجان ج١ ص٢ كتاب الإيمان .

الإيمان إلا بجحود ما أدخله فيه)[1].

ومن هنا يتبين لنا أن الأمور التي تكون سببًا في الخروج من دين الله عز وجل تتنوع إلى أنواع ، وكل نوع يدخل فيه أو تدخل فيه صور وتفصيلات يصعب حصرها ، ويمكن بيان تلك الأنواع من خلال قنوات أربع هي :

١ - إنكار الربوبية أو الطعن فيها .
٢ - الطعن في الألوهية .
٣ - الطعن في الأسماء والصفات .
٤ - إنكار الرسالة المحمدية أو الطعن في صاحبها ﷺ .

وكل عنصر من هذه العناصر الأربعة يحتاج إلى بيان وتوضيح ليس هنا مجاله يرجع إليه في كتب العقيدة ، وعلى دعاة الإسلام بيان ذلك للمدعوين حماية لجانب التوحيد وصيانة للإيمان وحفاظًا عليه فإنه نعمة كبرى ومنة عظمى .

* * *

(١) العقيدة الطحاوية ص ٢٥٠ ، ٢٥١ .

المبحث الرابع : الإحسان

يقول صاحب اللسان[1] في بيانه لكلمة إحسان : الإحسان ضد الإساءة ، ورجل محسن ومحسان الأخيرة عن سيبويه قال : ولا يقال : ما أحسنه . وفسر النبي صلى الله وسلم وبارك على المبعوث رحمة للعالمين الإحسان حين سأله جبريل عليه السلام فقال : « **هو أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك** » وهو تأويل قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ ﴾ ، وأراد بالإحسان الإخلاص ، وشرط في صحة الإيمان والإسلام معًا ، وذلك أن من تلفظ بالكلمة وجاء بالعمل من غير إخلاص لم يكن محسنًا ، وقيل : أراد بالإحسان الإشارة إلى المراقبة وحسن الطاعة فإن من راقب الله أحسن عمله . وقوله جل وعلا : ﴿ هَلۡ جَزَآءُ ٱلۡإِحۡسَٰنِ إِلَّا ٱلۡإِحۡسَٰنُ ﴿٦٠﴾ ﴾ أي : ما جزاء من أحسن في الدنيا إلا أن يحسن إليه في الآخرة . والفرق بين الإحسان والإنعام أن الإحسان يكون لنفس الإنسان ولغيره ، تقول : أحسنت إلى نفسي ، والإنعام لا يكون إلا لغيره . وفي حديث جبريل عليه السلام المشهور قال ابن عمر : أخبرني عمر بن الخطاب قال : بينما نحن عند رسول الله ﷺ إذ طلع علينا رجل شديد سواد الشعر شديد بياض الثياب لا يرى عليه أثر السفر ولا يعرفه منا أحد حتى جلس إلى رسول الله ﷺ فأسند ركبتيه إلى ركبتيه ووضع كفيه على فخذيه ثم قال : يا محمد أخبرني عن الإسلام قال : « **تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله ، وتقيم الصلاة ، وتؤتي الزكاة ، وتصوم رمضان ، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلًا** » قال : صدقت ، قال : فعجبنا له يسأله ويصدقه قال : أخبرني عن الإيمان ، قال : « **أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر كله خيره وشره** » قال : صدقت ، قال : فأخبرني عن الإحسان ، قال : « **الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك** » الحديث ، وبيان هذا الركن العظيم

---

(١) ابن منظور جـ١٣ ص١١٧ .

يحتاج لوقفات ينبغي للداعي المسلم أن يعرفها ليتزود منها في بيان الحق للناس جميعًا وإيضاح معنى الإحسان وقول العلماء فيه .

❋ ❋ ❋

المبحث الخامس : مقاصد الإسلام

المتأمل في الدين الإسلامي يجد فيه كل ما يحقق للبشرية سعادتها في الآخرة والأولى ولا غرابة في ذلك فهو الدين الذي ارتضاه رب العزة والجلال لعباده .

ومن هذا يتبين لنا أن مقصد الإسلام يتركز في أمر واحد هو تحقيق مصلحة العبد في الدنيا والآخرة. وهذه المصلحة عبارة ذات مداليل كثيرة وشعب عظيمة لا حد لها ولا حصر.

ومن مصلحة العبد بداية أن يكون مطيعًا لخالقه ومولاه عز وجل ، وهذه الطاعة تقتضي قيامه بما أمر وابتعاده عن ما نهى .

ومن أجل أن يعرف العبد ما يريد الخالق أرسل المولى جل وعلا الرسل ، وأنزل الكتب كي لا يكون للعباد حجة ، وهذا من رحمته سبحانه وتعالى بعباده .

ومما لا شك فيه أن هذا الموضوع جدير بالدراسة والبحث والبيان ، أسأل الله تعالى أن يوفقني في بيان هذه المقاصد في بحث مستقل ضمن موسوعة الدعوة الإسلامية قريبًا ، فهو من الأهمية كي نطلع البشرية عليها ، وهي في تيهها الذي حتم عليها البحث عن مخرج والمخرج مما هي فيه من ضيق وشدة وعذاب هو الدخول في دين الله ، وهذا الأمر وثيق الصلة بالدعوة إلى الله تعالى .

ورأيت أن أختم هذا الفصل من الكتاب والذي يتحدث عن القاعدة الأولى من قواعد الدعوة الإسلامية وهي « الإسلام » بهذا المبحث « مقاصد الإسلام » لأؤكد على ما قلته في المباحث السابقة من أن هذا الدين أتى لخير البشرية أجمعين .

وقد ذكر الإمام الشاطبي في موافقاته مقاصد الشريعة الإسلامية ، فعلى دعاة الإسلام الاطلاع عليها للفائدة والعلم ، والمطلع على الشريعة الإسلامية يجد أنها جاءت لتحصيل المصالح وتكميلها وتعطيل المفاسد وتقليلها – وهو ما ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية في منهاج السنة .

ومعلوم أن الذي يقدر ما يصلح للعبد هو خالقه جل وعلا ، لذا تجد الإسلام « دين الله » هو الفصل في هذا الأمر من خلال مصدريه الكتاب والسنة ، وما نتج منهما من إجماع وقياس صدر من علماء الأمة والأعلام ، سواء في الصدر الأول أو ما بعده .

وحتى نجمع أطراف هذا الموضوع الواسع ولنذكر به فقط يمكن تناوله من خلال الآتي :

○ **أولًا : أنواع مصالح العباد .**

○ **ثانيًا : معرفة المصلحة والمفسدة وحد كل واحدة منها « معيارها » .**

○ **ثالثًا : ارتباط المصالح الدنيوية بالمصالح الأخروية .**

وكما ذكرت في السطور السابقة فإن الموضوع جدير بالبحث والدراسة والمتابعة من قبل أصحاب الفكر والقلم من علماء الأمة ، وقد صدر فيه بعض الأبحاث والمؤمل أن يكون هناك بحثًا مستقلًا ليبين جوانب الموضوع بالتفصيل للاستفادة منه في مجال الدعوة إلى الإسلام .

○ *أولًا : أنواع مصالح العباد :*

مصالح العباد كثيرة جدًا ومتعددة ، يقول الإمام العز بن عبد السلام في قواعده الجزء الأول الصفحة التاسعة : إن الشريعة الإسلامية كلها مصالح : إما درأ مفاسد أو جلب مصالح ، وهذا يجعلني أقول بأن مصلحة العبد هي ما بينها الدين سواء كان ذلك في حياته الدنيوية أو ما بعد مماته في الحياة الأخروية ، وهذا يعني أن كل ما عني به الإسلام فيه مصلحة للعباد .

وعلى هذا يمكن بيان المصالح على النحو التالي :

أ – مصلحة العبد مع ذاته . ب – مصلحة العبد مع الحياة .

ج – مصلحة العبد مع غيره من الناس .

وهناك تقسيم آخر أورده الدكتور عبد الكريم زيدان حيث قسم مصالح العباد إلى ثلاثة أقسام هي :

أ – المصالح الضرورية . ب – المصالح الحاجية . ج – المصالح التحسينية .

وسأتناول تقسيمي بالبيان والإيضاح :

أ – مصلحة العبد مع ذاته :

وهذا يعني حماية هذه الذات ورعايتها وحفظها كي يعيش سعيدًا ، وهذا لا يكون إلا

بالتصاقها الدائم بخالقها سبحانه وتعالى طاعة وامتثالًا وقيامًا بما أوجب وتحقيقًا للعبودية التي شرفها سبحانه وتعالى بها عبدًا لله .

ب - مصلحة العبد مع الحياة :

. الحياة كما قيل : مزرعة الآخرة ، ومصلحة العبد معها أن يتزود منها بزاد التقوى ، وذلك من خلال تعامله وفق منهج الله الذي سخر جميع ما فيها وعليها لهذا الإنسان فيتعامل معها وفق هدي الإسلام قولًا وعملًا واعتقادًا . فلا تغره بزخارفها ومتاعها وشهواتها وتصرفه عن الدار الآخرة وما من أجله وجد .

ج - مصلحة العبد مع غيره :

وهي عمارة الأرض وتبادل المنافع والمصالح وإقامة شرع الله على أرضه وبين عباده والسير في جميع العلاقات الإنسانية بين البشر وفق تعاليم الإسلام الذي حدد تعامل المسلمين مع بعضهم البعض وتعاملهم مع غيرهم من غير المسلمين وفق ما هو موجود ومعلوم في التشريع الإسلامي . وحتى تتحقق تلك المصالح جميعها شرع الإسلام الحنيف أحكامًا تضبط وتحدد وتحفظ وتحمي وتحقق تلك المصالح كما يحب المولى جل وعلا ويرضى .

إن الشريعة الإسلامية - وهو ما شرعه الحق تبارك وتعالى لعباده من المقاصد والعبادات والأخلاق والمعاملات ونظم الحياة[1]- إنما هي تنظيم لعلاقة الناس بعضهم بالبعض الآخر بعد بيان علاقتهم بربهم جل وعز ، وذلك لتحقيق السعادة لهم في الدنيا والآخرة . فالعبد له مصالح متعددة مع غيره من الناس ، وهذه المصالح لا تكون منضبطة ومحددة وواضحة وذات أطوار معينة إلا بوجود منهج أو نظام يشملها جميعًا كي لا يكون هناك مجال للأخذ والرد في الحقوق والواجبات . فالفرد له حقوق مع الآخرين وعليه واجبات لهم ، وهكذا نجدها مصالح مشتركة ومترابطة ومتداخلة نظمها الإسلام وحدد معالمها كي يعيش الإنسان هذه الحياة سعيدًا ، وعلى العموم فإن الفقرة الأولى ، وهي مصلحة العبد مع ذاته تحتاج إلى وقفة لبيان مقاصد الإسلام من خلال الذات . معلوم أن الإسلام أمر بالمحافظة على ضرورات خمس وهي: النفس، والعقل، والمال، والعرض، والدين، ولو أراد أحد أن يقول: من تكون الأولى في الترتيب؛ لن يصل إلى إجابة وافية، فالدين بلا وجود إنسان هو دين ، لكن

(١) تاريخ التشريع الإسلامي لمناع القطان مكتبة المعارف الرياض ط١ ص١٣ .

منفعة الإنسان منه متوقفة ، لأن الدين إنما يقوم بوجود هذا الإنسان والتزامه بهديه وإقامته لشرعه ، والإنسان بلا عقل كيف يكون ، والإنسان بلا مال أيضًا ، كذلك العرض ، لهذا نجد هذه العناصر الخمس مترابطة متلازمة وضرورية معًا ؛ لذا قيل عنها: الضرورات الخمس ، واهتمام الدين الإسلامي بها نابع من رحمة الله تعالى بهذا الإنسان ، فلو أخذ كل عنصر من هذه العناصر الخمس بالبيان والتحليل لكان بحثًا مستقلًا ، لكن سأقتصر الحديث لبيان مقاصد هذا الدين ليعلم الذين وقفوا بعيدًا عنه بأنهم خاسرون . ولمصالحهم مضيعون ، إذ لا حياة حقيقية ولا سعادة لهذا الإنسان إلا في حمى دين الله الذي ارتضاه لجميع البشر ، والذي يضمن لهم حياتهم بكل أبعادها ، البعد الذاتي والاجتماعي والأسري والمالي والثقافي والصحي ، وكل ما له علاقة بالإنسان والحياة – كل ذلك ليعيش الإنسان هذا العمر في طاعة الله وعمارة الأرض بالنافع المفيد .

فالمتأمل في هذا الدين وتشريعاته وأنظمته يجدها لصالح هذا الإنسان فكيف بهذا الإنسان ، وهو يرفض ذلك كله ويبتعد عن هذه العطاءات والخيرات التي لا حد لها ولا حصر ؟ كيف به ينشد السعادة وهي أمامه في دين الإسلام ؟ لا أدري كيف يفكر أولئك وكيف يعيشون ؟ وكما قلت في عالمية هذا الدين : إن مقولة : إن الإسلام أتى للعرب ، باطلة من أصلها فرسول الحق الصادق الأمين ﷺ خاطب الناس جميعًا بهذا الدين ، وبلغ العجم كما بلغ العرب هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى ما زال القرآن الكريم ينطق بهذا حتى يرث الله الأرض ومن عليها ، فهو دين عام شامل للناس جميعًا ، ونحن اليوم نرى أمم الكفر البعيدة عن خالقها المشغولة بمناهجها وقوانينها الوضعية تغرق في تيهها الحديث ، وتحاول جاهدة الوصول إلى حياة مستقرة هادئة ، وأنى لها ذلك وهي بعيدة عن خالقها ومولاها عز وجل ؟ إن الذي خلق – سبحانه وتعالى – هو الذي يعرف أين تكون سعادة المخلوق .

فهل من عودة إلى رحاب رب غفور رحيم أيها العالم الغارق الحيران ؟ هل من عودة إلى الحق والصواب من خلال هذا الدين والنور المبين ؟! أرجو أن يكون ذلك قريبًا ، ولا بد من عمل جاد متواصل من دعاة الحق والخير – دعاة الإسلام – لبيان مقاصد هذا الدين وإيضاح معالمه لهم من خلال جميع القنوات الاتصالية المتاحة ، ومن خلال التواصل الدائم أداءً للأمانة وطلبًا للأجر والمثوبة من رب كريم رحيم .

إن الإنسان اليوم يركز كثيرًا على ما فيه مصلحة ذاتية ، وبيان دعاة الإسلام لهذا الجانب والتركيز عليه أمر حتمي اليوم ، فلا بد من إيضاح كيف اهتم هذا الدين واعتنى بالإنسان بل وفرض حوله طوقًا قويًّا من الحماية ، فدمه حرام وماله حرام وعرضه حرام إلا بحقه .

لقد هدف الإسلام في ما هدف إليه حماية النفس ، نعم من صاحبها أولًا ، ثم ما حوله ومن حوله . فالنفس أمانة أودعها الحق تبارك وتعالى صاحبها فلا يستعملها إلا فيما حدده لها خالقها ومولاها عز وجل ، لا يستعملها إلا في الخير والصلاح ، الخير الذاتي والخير للآخرين أفرادًا كانوا أو جماعات أقربين كانوا أو أبعدين ، فلا يعرضها للمخاطر ولا يرمي بها إلى التهلكات ولا يبتعد بها عن خالقها ومولاها ، فتكون كافرة بأنعمه سبحانه وتعالى غارقة في المحرمات ، سواء كان ذلك في المأكل أو المشرب أو الملبس أو المعاملات الخاصة أو العامة الظاهرة والباطنة ، أو الاعتقادات ما ظهر منها وما بطن ، وهذا لا يوجد إلا في دين الإسلام الذي اعتنى بالنفس أيما عناية ووضع لها الضوابط في الاعتقاد والعمل في الحل والحرمة ، والمباح والمكروه ، في كل ما يتعلق بها من جميع الجوانب وحرم صاحبها إلا بحقه ، فالمسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يحقره ولا يخذله ، كل المسلم على المسلم حرام ؛ بهذه الجزئية يمكن أن نصل إلى قلوب الملايين من عباد الله المبتعدين عن الهدى والنور .

وبعد النفس يأتي « العقل » وموضوع العقل وعناية الدين الإسلامي به تحتاج إلى مباحث خاصة ، والداعية المسلم المبلغ عن الله يستطيع من خلال اهتمام الإسلام بالعقل أن يبين الكثير من حيث اهتمام الدين بسلامته وقوته وكل ما ينفعه ، وأنه الجهاز المسيطر على هذا الجسم ، بغيابه تسقط التكاليف وبوجوده يرتقي الإنسان إلى أعلى المراتب والمستويات يحتل مكانة عظيمة في هذا الكائن الحي ، ميز الخالق سبحانه وتعالى هذا الإنسان به ، والتشريع الإسلامي اهتم بالعقل أيما اهتمام وجعل لصاحبه مكانة عالية « لا يعدم الفضل من رزق العقل » العقل جوهرة ثمينة أمر الإسلام بالمحافظة عليها ونهى عن كل ما يؤثر عليها بطريق مباشر أو غير مباشر ، حماه من كل ما يمكن أن يخل بوظيفته .

فعندما يكون العرض جيدًا يكون التأثير إيجابيًّا بلا جدال وبيان الداعية المسلم لمكانة العقل وعناية الدين به يكون له أعظم الأثر على إنسان اليوم ، وبالتالي يكون سببًا في معرفته بهذا الدين واعتناقه له .

ثم يأتي موضوع المال « الذي يقولون عنه : إنه عصب الحياة » والذي يحاول الجميع

في تلك الأمم الحصول عليه بأي وسيلة ، وعن أي طريقة ، هذا المال الذي من خلاله تتم المبادلات في البيع والشراء والمنافع الأخرى لم يتركه التشريع الإسلامي نهبًا لاجتهاد البشر ، بل وضع له ضوابط محددة واضحة لا تتغير ولا تتبدل بفعل المتغيرات في الزمان والمكان والمجتمعات ، فالحلال بين والحرام بين وأحل الله البيع وحرم الربا ، فالمال مال الله والخلائق ملك لله والأمر لله لا إله غيره ولا رب سواه هو الذي شرعه أمر ونهي وبين كيف يكون كسب المال وأين ينفق ومن له الحق فيه ، وعندما يرى أولئك عظمة الإسلام في مجال المال والأعمال والاقتصاد يدركون أن واضع هذا التشريع هو الله ، لأنه صالح لكل زمان ومكان وأمة حتى يرث الله الأرض ومن عليها ، والحديث في هذا الجانب يطول ، وحسبنا هذه الإطالة السريعة مع التأكيد على أن هذا المال وديعة عند العبد نزل منهجه كاملًا في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ حقًا وعدلًا وإنصافًا لا ضرر ولا ضرار بل تكافل اجتماعي فريد ، يتوق إليه كل إنسان ذي بصر وبصيرة .

يأتي بعد ذلك « العرض » الشرف – الحرمات – النسب .

وهذا إذا نظرت إليه من ناحية العفة والمروءة تجده يحتل المقدمة ، إذ كيف تقبل النفس الكريمة الأبية ذلك الانحراف واختلاط الأنساب بأن ترد ذلك المورد كل من أراده دون ضابط أو رادع أو نظام ، إنه عمل مشين تتقزز منه نفس الإنسان ، لذا نجد الإسلام القويم حفظ الأعراض وجعل الاعتداء عليها من الكبائر صيانة وحماية لهذا الإنسان وتكريمًا له ، وهذا تميل إليه النفس البشرية السوية ، ترغب فيه وتهفو إليه وهو من الضرورات التي أكد عليها التشريع الإسلامي حماية لكرامة هذا الإنسان ، وصيانة لهذه السلالة البشرية من العبث الشهواني الساقط في أوحال الرذيلة ، والشهوة العارمة الغير منضبطة ، فعندما يتعرف أولئك على هذا المقصد ، وقد أنهكتهم ويلات تلك الغريزة الهادرة العابثة بأنساب الناس يدركون سمو هذا المقصد خاصة وهم في أمس الحاجة لحماية هذا الجانب من جوانب الحياة الإنسانية ، كل ما ذكرت سابقًا من نفس وعقل ومال وعرض ينقاد للتشريع السماوي الذي جاء به الدين الإسلامي ، فالإنسان بتركيبه لا يمكن أن يعيش عيشة طبيعية بلا إسلام ، لأن رب العزة والجلال فطرهم على ذلك ، ﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ ﴾ ، فإذا ما أحسن الداعية عرض هذا الدين من خلال ما ذكرت أو ما يتعلق بتلك الضرورات من أوامر يجد أن الآذان له صاغية والقلوب له واعية، والله يتولى تلك الجهود بالتوفيق والتسديد.

إن العالم اليوم أشد ما يكون حاجة لهذا الدين فهل قمنا بواجباتنا نحوه ، دعوة وبيانًا وترغيبًا وجذبًا واستعراضًا لمقاصده كي نصل إلى إبلاغه للناس أجمعين ، أرجو ذلك وآمل أن تتضافر جميع الجهود التي تقوم بها العديد من الجهات كي نضع الخطط اللازمة ونرسم معالم العمل الموحد للوصول للهدف الذي نعمل جميعًا من أجله ، وهو نشر هذا الدين وإبلاغه للناس أجمعين .



الفصـــل الثالـــث

أهمية الدعوة للفرد والمجتمع

○ المبحث الأول : أهمية الدعوة للفرد

○ المبحث الثاني : أهمية الدعوة للمجتمع

✵ ✵ ✵

○ أهمية الدعوة للفرد والمجتمع ○

معلوم أن كل مجتمع من المجتمعات البشرية كان أصل تكوينه الفرد الذي تعدد فأصبح أفرادًا ، وهكذا تزايد العدد حتى أصبح مجتمعًا يتألف من مئات من الناس أو مضاعفاتها إلى الملايين ، بعد ما كان عبارة عن أسرة صغيرة تتكون من الزوج والزوجة ثم الأبناء ذكورًا وإناثًا ، حتى أصبحت هذه الأسرة قبيلة والقبيلة تعددت فأصبحت قبائل ، وهكذا وصدق ربنا الجليل العظيم إذ يقول : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَـٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾ ﴾ فالفرد هو نواة الأسرة ، والأسرة تكون المجتمع ؛ لذا ما يهم الفرد ويحقق له سعادته هو بالضرورة ما يبحث عنه المجتمع بمؤسساته على اختلافها ، ليتوفر لأفراده ، ثم في الوقت نفسه ما يتأثر به المجتمع وما يقع فيه من سلب أو إيجاب هو بالضرورة يؤثر على الفرد .

ومن هذه المقدمة نخلص إلى القول : بأن الدعوة هامة للفرد والمجتمع وسوف تفصل في المبحثين التاليين :



المبحث الأول : أهمية الدعوة للفرد

لا شك أن الفرد المسلم يعيش هذه الحياة وفق ما رسم له الإسلام ، الإسلام الذي أتى من عند الله سبحانه وتعالى ونظم له حياته العاجلة بحيث يحيا فيها سعيدًا يقوم بما من أجله خلقه ليكون من الفائزين في الحياة الباقية ، ولينعم بما أعد الحق تبارك وتعالى لعباده الصالحين من نعيم مقيم وجنة عرضها السماوات والأرض أعدت للمتقين ، فهو من خلال هذه التعاليم الإلهية يجد أنه مكلف بالدعوة إلى الله سبحانه وتعالى ، فأهمية الدعوة بالنسبة للفرد تبرز من خلال النقاط التالية :

١ - تكليف الإسلام له بالقيام بها كما بينا ذلك مفصلًا في حكم الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَا إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ﴾ .

٢ - المشاركة في إبراز عالمية الدعوة الإسلامية ، وأنها للناس كافة لا تختص بأحد دون الآخر ، بل هي رسالة عامة لجميع البشر على اختلافهم .

٣ - تحقيق الذات عن طريق حمل هذا الخير العظيم وإبلاغه للناس كي ينعموا بتحقيق العبودية والتعلق بالخالق وحده سبحانه وتعالى وإخلاص العبادة له جل وعلا .

٤ - المشاركة الحقيقية لأفراد الأمة المحمدية في إرث نبيها ﷺ ، الذي تركه لها بعد أن بلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة وعلمها أن تكون امتدادًا له ﷺ في إبلاغ رسالة الله عز وجل إلى الناس جميعًا حتى يرث الله الأرض ومن عليها .

٥ - العمل مع بقية أفراد المجتمع على استمرار دعوة الإسلام الخاتمة التي اختارها رب العزة والجلال لعباده وختم بها رسالاته سبحانه وتعالى .

٦ - صيانة الحياة من الشر والفساد ، وذلك بقيامه بالدعوة إلى الله سبحانه وتعالى ومحاربة جميع أنواع الانحرافات العقائدية التي انتشرت بين الناس على مر العصور .

٧ - الدفاع عن الإسلام ودعوته بمحاربة الضلال وأهله وعدم تمكينهم من إقامة قوة

تهدد المسلمين والقضاء على الأفكار المنحرفة عن الطريق القويم الذي ارتضاه رب العالمين لعباده أجمعين بإبلاغهم رسالة ربهم سبحانه وتعالى وتعليمهم تعاليم الإسلام الحنيف .

٨ – إظهار قوة الإسلام وتماسك المسلمين بالمشاركة في أمور الدعوة ومقتضياتها ليعلم الجميع أن المجتمع المسلم مجتمع مترابط متكاتف .

٩ – الدفاع عن الإسلام وذلك عن طريق نشر الإسلام وعدم تمكين أولئك من إقامة قوة تهدد الإسلام والمسلمين أو تقف في طريق دعاة الإسلام ولا تمكنهم من إبلاغ رسالة الحق تبارك وتعالى للخلق .

* * *

المبحث الثاني : أهمية الدعوة للمجتمع

إن ما ذكرناه سابقًا في أهمية الدعوة للفرد ينطبق على المجتمع حيث قد أوضحنا مدى الارتباط بين الفرد والمجتمع ، وأن الفرد إنما هو عضو في جسد ، منه يتكون المجتمع ، فهو النواة (أقل الخلية) لهذا فإن الدعوة بالنسبة للمجتمع - أي مجتمع - هي هامة جدًّا سواء المجتمع المسلم أو المجتمع غير المسلم .

وسوف نأتي على ذلك بشيء من التفصيل :

أولًا : أهمية الدعوة للمجتمع المسلم : إن قيام أفراد المجتمع المسلم فرادى أو مجتمعين بمهمة الدعوة إلى الله عز وجل إنما هو واجب وتشريف ، واجب كما أوضحنا عند الحديث عن حكم الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى ، وتشريف ، لأنه كما ورد في الأمثال : اليد العليا خير من اليد السفلى وفي كل خير ، فالذي يتصدى للخير ويدل الناس عليه فقد حاز الشرف الذي لا يرتقي إليه إلا من قام بمثله ، لقد حاز على وظيفة أنبياء الله ورسله إلى خلقه ، ألا وهي تبليغ دين الله لعباد الله سبحانه وتعالى .

ثانيًا : إن المجتمع المسلم حينما يقوم بهذه الفريضة إنما يقوم بواجب كلفه الحق تبارك وتعالى به وحثه عليه ورغبه فيه، وهو عندما يقصر في أداء هذا الواجب يأثم ويلقى وزر ذلك التقصير، لأنه أمر أتاه من الحق تبارك وتعالى الذي إذا أمر أطيع ، لأنه مالك كل شيء ومليكه القاهر فوق عباده.

ثالثًا : إن قيام المجتمع بأمر الدعوة سبب في حصول كثير من المنافع الدنيوية والأخروية له، فمن المنافع الدنيوية :التمكين في الأرض بسبب قيامه بأمر الله عز وجل وتصديه للدعوة للدين الحنيف الذي ارتضاه تبارك وتعالى لعباده جميعًا ، إضافة إلى العزة والفخار والنصر التي ينعم بها المجتمع ، والتي يتوق إليها كل مجتمع من المجتمعات البشرية ، وهل هناك عزة وفخار ونصر أعظم من هذا الذي يمنحه الحق تبارك وتعالى لمن قام بأمره ودعا إلى صراطه المستقيم ؟ لقد تحقق ذلك لصحابة رسول الله ﷺ وأكثر عندما قاموا بأمر الله ورفعوا

راية الدعوة إلى الله عز وجل بالرغم من قلة عَدَدِهم وعُدَدِهم فهل يعي المسلمون ذلك ؟ أرجو ذلك .

رابعًا : ومن تلك الأهمية أن المجتمع عندما يقوم بأمر الدعوة يكون مرهوب الجانب قوي الشكيمة في عين الأعداء لعلمهم برخص الحياة في عيونهم في سبيل إبلاغ رسالة الله عز وجل ونشر دينه القويم .

خامسًا : الدفاع عن العقيدة وذلك بالاستمرار في نشرها وإظهار الحرص على ذلك والتفاني فيه مما يجعل أعداء الدين يدركون قيمة أمة الإسلام وقوتها وحرصها الشديد على ما تدعو إليه من خير وحق .

سادسًا : الدعوة إلى الله من أهم أسباب تماسك المجتمع واجتماعه ، وذلك لأن هدف الدعوة إلى الله واحد ، ألا وهو إفراد العبادة لله وحده لا شريك له ، فإذا قام المجتمع بأمور الدعوة فإن ذلك من أسباب اجتماعه وائتلافه وقوته ، وهذا ما حدث لمجتمع المسلمين الأول في عهد إمام المتقين ﷺ ، ثم الخلافة الراشدة وما بعدها من عصور الفتوح والانتصارات الإسلامية والتي وصلت إلى أطراف الأرض شرقًا وغربًا وشمالًا وجنوبًا كما هو معلوم في تاريخ أمة الإسلام المجيدة .

سابعًا : الدعوة إلى الله من أسباب مراجعة المؤسسات الاجتماعية في المجتمع المسلم لنفسها ومحاسبتها على التقصير ، وذلك من خلال قيامها بمهام الدعوة سواء في داخل المجتمع أو خارجه ، وهذا في حد ذاته سبب من أسباب بقاء قوة المجتمع وفاعليته وعطائه القوي المتجدد .

ثامنًا : وقيام المجتمع بأمور الدعوة إلى الله دليل متجدد على عالمية هذه الرسالة الخالدة ، وأنها للناس كافة ، يقوم بها كل من آمن بالله ربًّا وبالإسلام دينًا وبمحمد ﷺ نبيًّا ورسولًا .

تاسعًا : ومن الأمور التي يتضح من خلالها أهمية الدعوة للمجتمع حماية المجتمع من الأفكار الشاذة والمؤامرات المعادية للإسلام والمسلمين ، وذلك من خلال تمسك مجتمع الدعوة بما يدعو إليه ، الأمر الذي يجعل الأعداء والحاقدين على الإسلام يحسبون لمجتمع الدعوة إلى الله ألف حساب ، لعلمهم المسبق أنه مجتمع رباني لا يقبل أن يمس أحد مكتسباته أو يعتدى على تلك المكتسبات بأي نوع من أنواع الاعتداء سواء بالقول أو الفعل . أما

أهمية الدعوة للمجتمع غير المسلم فإنها تعيده إلى جادة الصواب وتعينه على نزغات الشياطين وتربطه بالحق تبارك وتعالى الذي خلق الإنسان ليعبده ويعتصم به وحده سبحانه وتعالى ، وتنقذه في الوقت نفسه من عبادة غير الله من مخلوقات الله عز وجل كالشمس والقمر والحجارة والأشجار والبشر وغيرها .

وهذا خير كثير وعمل جليل يتحقق من خلال إقامة الدعوة إلى الله في المجتمعات الغير إسلامية على اختلاف معتقداتها ومسمياتها واتجاهاتها ، وهذا لم يكن إلا لدعوة الإسلام الذي ارتضاه رب العزة والجلال للناس جميعًا حتى يوم المحشر يوم تنصب الموازين يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم .



الفصل الرابع
الدعوة الإسلامية والحياة

- ○ المبحث الأول : أثر الإسلام في السياسة .
- ○ المبحث الثاني : أثر الإسلام في الاجتماع .
- ○ المبحث الثالث : أثر الإسلام في الاقتصاد .
- ○ المبحث الرابع : أثر الإسلام في تكوين الفرد والمجتمع .
- ○ المبحث الخامس : موقف الإسلام من العلم الكوني والدلالة على أن خالق الإنسان هو مكون الأكوان سبحانه وتعالى .

* * *

المبحث الأول : أثر الإسلام في السياسة

لقد جاء الإسلام ينظم أمور الإنسان جميعها سواء ما يتعلق بعلاقته مع أفراد المجتمع أو مع غيرهم من الناس الذين يتعامل معهم في حياته ، ويرسم له الطريق الصحيح في إقامة العلاقات بينه وبين بقية إخوانه من بني البشر ، سواء ما كان منهم على دينه ومعتقده أو مخالف لذلك.

وهذا أمر طبيعي ، لأنه دين أتى بسعادة الإنسان في الدنيا وفوزه في الآخرة إذا هو سار على منهجه القويم ، والتزم تعاليمه الربانية التي أوضحها في كتابه العزيز وقرآنه المجيد ، وبينها رسوله الكريم ﷺ في سنته المطهرة .

إن الإسلام دين ودولة عقيدة ونظام أخلاق وتشريع سياسة وحكم ، ومعلوم أن مفهوم العبادة في الإسلام يتسع بحيث يشمل كل أعمال المسلم ما دام يقصد بها وجه الله عز وجل ، ومعلوم أن الجانب السياسي في حياة الأفراد والجماعات والأمم يعتبر أساسًا لسائر التنظيمات ، وذلك لأن جميع أشكال التنظيمات إنما تعتمد أولًا على الحكم . فإذا ما وضح شكل الحكومة – أي حكومة على وجه الأرض – وأهدافها وأغراضها سهل التعرف على بقية التنظيمات الأخرى في ذلك المجتمع وتلك الحكومة .

بعد هذه المقدمة يتضح لنا أثر الإسلام في السياسة بشكل مجمل ، وسوف نأتي على ذلك بشيء يسير من التفصيل هدفنا منه معرفة القارىء ذلك بسرعة ، ومن ثم عليه مراجعة الكتب المتخصصة في هذا المقام ، يقول الحق تبارك وتعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ﴾ ، ويقول جل وعلا في موضع آخر من الكتاب العزيز :﴿ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ﴾ ورسولنا الكريم عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم قام بمهام الدولة والسلطان ، فقضى في مختلف شئون الحياة المالية والعائلية والعقوبات ، وأقام الحدود وعين الولاة وقواد السرايا والدعاة إلى الإسلام ، لقد أقام عليه الصلاة والسلام دولة متكاملة ليست كتلك الدول المعروفة في ذلك الزمان، بل دولة من نسيج خاص إنها دولة القرآن الكريم الذي نزل

من عند خالق الكون ومديره سبحانه وتعالى العالم بما يصلح له وما لا يصلح ، المطلع على خفايا الأمور ، العارف المطلع المهيمن سبحانه وتعالى ، وما ظن البشرية بدولة يسوسها خاتم المرسلين وسيد العالمين ﷺ دستورها من عند الله سبحانه وتعالى .

لقد تب وخسر من ظن أن الإسلام دين فقط ، أو أن تعاليمه الربانية لا تفي احتياجات الزمان والمكان والسكان ، لقد قام الإسلام بتنظيم حياة المسلم وما يتعلق بعلاقته مع الآخرين من جميع الوجوه بشكل كفل له حياة سعيدة ومشاركة فعالة في العطاء والنماء والتكافل جعل الجميع ينظر إلى تلك التنظيمات والتشريعات نظرة إعجاب واحترام فلم تقتصر تشريعات الإسلام في الجانب السياسي على المجتمع المسلم ، بل تعدته إلى آفاق أوسع بحيث شملت علاقة المسلمين بغيرهم من أمم الأرض ، وهذا ما يطلقون عليه حديثًا العلاقة الدولية ، وها هم بعض رجالات الغرب والشرق يصرحون لنا عن ذلك فيقول الدكتور فيتزجيرالد : ليس الإسلام دينًا فحسب ، ولكنه نظام سياسي أيضًا . ويقول الأستاذ تللينو المستشرق الإيطالي : لقد أسس محمد ﷺ في وقت واحد دينًا ودولة وكانت حدودهما متطابقة طول حياته .

ويقول الدكتور شاخت : (إن الإسلام يعني أكثر من دين إنه يمثل أيضًا نظريات قانونية وسياسية ، وجملة القول أنه نظام كامل من الثقافة يشمل الدين والدولة معًا) .

ونحن نعرض لهذه الآراء لا نريد أن نصل إلى حقيقة أو قناعات معينة ، بل من باب عرض آراء الكفار وغيرهم حول دور هذا الدين في السياسة وغيرها من مجالات الحياة البشرية لأننا في قناعة تامة وكاملة ومطلقة لما أتى به ديننا الحنيف وشرعنا الرباني العظيم .

انظر إلى جميع جوانب حياة الإنسان وتأمل كيف استطاع الإسلام أن يجعل هذه الحياة وتلك الجوانب مضيئة مشرقة تسير وفق مسار واضح يكفل له حقوقه ويطلب منه أداء ما عليه من واجبات ، وبالجملة فإن البشرية لم تعرف السياسة المثالية إلا عندما أضاء نور الإسلام ، وشعت تعاليمه على أرجاء المعمورة ، إذ كان قبل ذلك يسير وفق أفكار وآراء بشرية لا يحالفها التوفيق في كثير من الأحيان ، وهو في ظل الإسلام ينطلق من تعاليم العزيز الحكيم ، وتوجيهاته لعباده فيما يأخذون ويدعون ، فسبحانه من متفضل كريم جواد عليم قال تعالى : ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾ .

وأخيرًا يجدر بنا أن نطل إطلالة سريعة على مبادىء الفكر السياسي في الإسلام والتي من أهمها :

١ – المساواة بين المواطنين في الحقوق والواجبات .

٢ – كفالة الحريات العامة .

٣ – مراعاة الشورى في الحكم .

٤ – تحقيق العدالة الاجتماعية .

٥ – المحافظة على العلاقات الدولية ذات المصالح المشتركة .

ومن هذا كله وغيره اتضح لنا أن الإسلام دين ودولة ، دين يرسم حياة البشر على نسيج فريد ، يحقق لها العزة والمنعة في كنف رب رحيم ، وخالق عظيم أراد لنا العزة والمنعة ، وكتب لنا النصر والخلود إن قمنا بما أوجب علينا ، ودولة تقوم لتحفظ هذا الدين وتذود عنه ، تحفظه بإقامة شرعه بين الناس على حد سواء ، وتذود عنه بكل ما تملك عندما تمتد الأيدي الآثمة إليه بسوء . وتسوس به الخلق وفق منهاج رباني متكامل نزل به الروح الأمين على رسول رب العالمين الهادي البشير ، والسراج المنير ، خاتم الأنبياء والمرسلين ﷺ ، وتوجيهات نبوية كريمة صدرت من صاحب الرسالة ﷺ لهذه الأمة تنير طريقها وتحفظ لها كرامتها ، وهما المصدران لهذا الدين الخاتم .



المبحث الثاني : أثر الإسلام في الاجتماع

لا شك أن الاجتماع الإنساني من الضروريات ، إذ لا يمكن للإنسان أن يكتسب معارفه على اختلافها وتنوعها بمعزل عن الناس ، فالإنسان كما هو معروف (مدني) بطبعه أي أن المجتمع ضروري له ، فأنت ترى أن الإنسان يولد ويعيش ثم يموت وهو بين أحضان مجتمعه . ولما كان المجتمع ضروريًا للإنسان ولا بد منه فإن ذلك المجتمع لا بد له من نظام يسير وفقه ، وإلا فإنه لا مجتمع بدون نظام . لهذا فإن دين الله الذي ارتضاه لعباده كفل ذلك من خلال التعاليم السماوية التي أتى بها من لدن عزيز حكيم ، فبعد أن مرت البشرية بتجارب عديدة في هذا المقام أتى الإسلام رحمة للبشرية جميعها ، بما فيه من أنظمة وتشريعات في جميع نواحي الحياة .

فكان نظام المجتمع وأساسه الذي يقوم عليه في هذا الدين عقيدة التوحيد ، العقيدة التي عرفت للإنسان مركزه ودوره في هذه الحياة ، وعلاقته بمن حوله من مخلوقات ، فالدور هو دور : ما خلقت الإنس والجن إلا ليعبدون . فالعقيدة الإسلامية هي المحركة لهذا الإنسان ليعمل على بناء المجتمع الذي يعيش فيه وفق تعاليم الإسلام وتوجيهات القرآن ومن أنزل عليه القرآن ﷺ .

إن تعاليم الإسلام وشرائعه نظمت المجتمع البشري بطريقة تضمن له حياة سعيدة إذ إنها لم تترك جانبًا من جوانب المجتمع إلا ورسمت له المنهج الذي يجعله يسير مع الجوانب الأخرى على نحو يحقق المصالح العامة ويقوي من أواصر المجتمع ، وهذا أمر طبيعي ، لأن الذي خلق هذا الإنسان هو وحده الذي يعلم ما يصلحه في دنياه وأخراه ؛ لذا نجد أثر الإسلام واضحًا في الجوانب الاجتماعية من حياة الإنسان ، فهو في جانب الأخلاق حث عليها ورغب فيها ، وحرص على طهارة المجتمع ونظافته من كل أنواع الخبائث والرذائل بأشكالها وأنواعها ومسمياتها ، بل إنه تعدى ذلك إلى مرحلة وقوع الإنسان في الخطأ ، فأكد على جميع وسائل الوقاية من تلك الرذائل سواء في

علاقة الإنسان بنفسه أو علاقته بالأقربين من أفراد المجتمع ، فتجد هذا الدين العظيم يدعو لكل فضيلة ويرغب فيها ويحث عليها ، ويحذر من كل رذيلة ليعيش الإنسان في جو طاهر نقي يسمو به عن الصغائر ويرتفع به عن الرذائل ، سواء ما كان منها في القول أو العمل ، وبذلك يعيش كريم النفس طيب القلب حسن الخلق ، وهو في جانب الحكم والتحاكم والتعامل مع الناس حث ورغب في العدالة وأكد على التزام الفرد بما في العدالة والحرص عليها مع نفسه ومع الآخرين قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِ ﴾ وقال جل وعلا : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ﴾ . وشواهد قرآنية أخرى تؤكد على ذلك وترغب فيه ، لأن صلاح المجتمع يقوم على العدل ، العدل بمعناه الواسع الشامل ، العدل الخالص الذي لا يعتمد إلا على الحق والخير والإنصاف ، العدل الذي ليس له هدف إلا الحق والإصلاح الذي لا ينبع من أغراض خاصة ونوايا سيئة ، العدل الرباني القائم على الحق ومراقبة رب العزة والجلال . وهو في جانب الأسرة بين دورها وأهميتها في بناء الفرد والمجتمع ، فاهتم بها أيما اهتمام ، فبين ما لها وما عليها ، وأكد على العناية الفائقة بها ، فرسم المنهج الصحيح في تكوينها واستمرارها فأوضح لها الحقوق والواجبات حقوق الزوج والزوجة وواجباتهما ، وحث على العناية بالأولاد ، تربية وتوجيهًا وتعليمًا حتى ينشأ الولد نشأة دينية قوية سليمة ، وأوضح له ما عليه من حقوق تجاه دينه ووالديه وأهله ومجتمعه . إن التشريعات التي أتى بها الإسلام لتنظيم المجتمع الإنساني لم تترك أي جانب من جوانب المجتمع إلا ووضعت له ما يكفل له الاستمرارية والاستقرار ، وهي في الوقت نفسه صالحة لكل زمان ومكان لا يعتريها الضعف ولا يشوبها التناقض ، ولا تحتاج إلى أن يضاف إليها أي شيء ، مناهج كاملة من لدن عزيز حكيم . ومهما حاول الإنسان أن يضع حلولًا للمشاركة في هذه الحياة والناتجة عن اتصال الأفراد والجماعات مع بعضهم البعض فإنهم عاجزون كل العجز عن ذلك، والسبب بسيط جدًا وهو أنهم غير قادرين على احتواء تلك المشاكل وحصرها ، وذلك لتنوع المعاملات وتعدد الآراء واختلافها بين الناس في كل جانب من جوانب الحياة الاجتماعية ، وبالتالي ليس لهم إلا التشريع الرباني من لدن عليم خبير ، وهو ما أتى به هذا الدين للبشرية جمعاء .

وخلاصة القول : أن الإسلام ليس له أثر على الاجتماع بل هو الذي وضع القواعد السليمة لذلك الاجتماع وشرع الأحكام التي تحدد الحقوق والواجبات للناس جميعًا في ظل عقيدة (لا إله إلا الله محمد رسول الله) .

* * *

المبحث الثالث : أثر الإسلام في الاقتصاد

لقد ذكرنا فيما سبق أن الإسلام نظام شامل ، فكما أنه اعتنى بجانب العبادات فإنه أيضًا اعتنى بجانب المعاملات ورسم لها المنهج السليم ، كل ذلك لأن الدين من عند الله سبحانه وتعالى ، العالم بما ينفع عباده وما يضرهم ، وإذا كان الاقتصاد يعني بالنشاط الإنساني في الحصول على حاجاته الضرورية والكمالية وتعامله مع الآخرين وتعاونه في تحقيق ذلك فإن تعاليم الدين الإسلامي رسمت أوضح السبل في تحقيق ذلك ، فهو من جهة حقق العدالة بين الناس في الحقوق والواجبات ، ومن جهة أخرى وفر الجو الصالح ليعمل هذا الإنسان على تحقيق حاجاته دون مساس بحاجات الآخرين . لقد أحل الحق تبارك وتعالى البيع وحرم الربا ، حرم الربا ؛ لأنه يضر بمصالح الآخرين من أفراد المجتمع ولا يحقق العدل بين الناس ، بل يعمل على إشاعة الحقد والظلم والجور بينهم ، ومن جهة أخرى حث على كل المكاسب الطيبة وحذر من أي مكسب حرام . لقد كان المجتمع العربي قبل الإسلام يعيش تحت وطأة التعامل الربوي وقهره حتى إن الواحد منهم كان لا يتردد في ممارسة ذلك مع أقرب الناس له ، وأتى الإسلام وأنقذ الناس من ذلك الظلم ولم تقف تعاليم الإسلام عند تحريم التعامل الربوي ، بل تعدته إلى بيان الأشكال الأخرى من البيع ، والتي يمكن من خلالها إضرار الفرد بالآخرين بأي صورة من صور الإضرار . وما هذا الاهتمام الكبير بهذا الجانب من جوانب حياة الإنسان إلا لأن أساس النظام الاقتصادي في الإسلام ينبثق من العقيدة الإسلامية هذه العقيدة التي بينت علاقة الإنسان بالحياة وخالقها سبحانه وتعالى الذي أوضح له الحلال وأبان له الحرام فمنحه ورغبه في الأول وحذره ونهاه عن الثاني. والمسلم في ظل نظام الإسلام وعقيدته السمحة خاضع لأوامر ونواهي هذا الدين ، وذلك بتوجيهه كلية إلى أمر الله وشرعه فيما يأخذ ويدع ، ومن ذلك نشاطه الاقتصادي ، وهذا هو تمام معنى الإسلام الذي هو الاستسلام لله بالتوحيد والانقياد له بالطاعة والخلوص من الشرك ، فهو منقاد طواعية لكل

توجيهات وتشريعات الإسلام في هذا الجانب الحيوي من حياة الإنسان ؛ لهذا نجد أن الإسلام قد أنقذ البشرية من جور وظلم بعضها لبعض من خلال التعامل الاقتصادي ، والربا صورة ذلك التعامل المقيت الذي كان يسود المجتمع الإنساني قبل الإسلام . وهذا من أهم وأعظم الآثار التي تركها الإسلام في هذا الجانب الهام ، ولقد حاول الإنسان بعد ذلك أن يرسم منهجًا اقتصاديًا ظنًّا منه أن ما أتى به الإسلام لا يفي بحاجات البشرية أو عداءً للإسلام فكان أن ظهرت النظريات الاقتصادية سواء ما كان منها حرًّا أو اشتراكيًا ، وكانت النتيجة أن عاد الناس في الجاهلية من جديد عملت تلك الأنظمة على إعادة النظام الربوي والنظام التسلطي من جديد فكان أن انقسم العالم إلى معسكر شرقي وغربي ، الاقتصاد الحر والاقتصاد الاشتراكي . وهو الآن ينظر إلى نظام الإسلام نظرة تحسر ، لأن كبرياءه وعداوته للإسلام تحول بينه وبين الخير الذي يحققه له النظام الإسلامي الرباني في الاقتصاد فكان أن وقع العالم بأسره تحت تأثير تلك الأنظمة البشرية في الاقتصاد والتي لم تحقق له ما يريد ، بل عملت على إذكاء روح الحقد والكراهية بين شعوب العالم ، وذلك من خلال ما وقع فيه العالم من تسلط اشتراكي وظهور رأسمالي معتمد على الأساليب الربوية الظالمة . لهذا فإن أثر الإسلام واضح وبارز في هذا الجانب من جوانب حياة الناس حيث أتى ليحقق العدل بين الناس ، وذلك من خلال حرية العمل وحرية التملك وحق الإرث الذي لم تعرف الدنيا أعدل ولا أكمل ولا أشمل منه على الإطلاق . فمن جانب حرية العمل حث الإسلام على العمل ورغب فيه وأكد عليه وحذر من الكسل والعجز وعمل على أن يكون المجتمع المسلم مجتمعًا عاملًا نشطًا مبتكرًا كادحًا في سبيل لقمة العيش ، واليد العليا خير من اليد السفلى . أما من حيث الملكية فقد أقر الإسلام نظام الملكية الفردية ونظمها وأوضح ما أوجب الحق تبارك وتعالى في المال من حق ، سواء كان ذلك الحق زكاة مفروضة أو صدقة من الصدقات التطوعية وحرم على الناس جميعًا الاعتداء على حقوق بعضهم البعض ، ومنها الأموال وفي الحديث : « **كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه** »[1] .

أما حق الإرث فهو من المبادىء المقرة في التشريع الإسلامي فهو يحقق ضمانًا اجتماعيًا لأفراد الأسرة الواحدة ، وهو من مبادىء النظام الاقتصادي في الإسلام فإذا كانت الجاهلية

(١) متفق عليه .

معت المرأة من حق الإرث وحجبت الإناث من ذلك ، فإن الإسلام أكد على حق جميع أفراد الأسرة ذكورًا وأناثًا للذكر مثل حظ الأنثيين ، والكلام في هذا المقام يطول ، وقد فصل في كتب الفقه وتاريخ التشريع الإسلامي ، وهذه الإطلالة السريعة على أثر الإسلام في بعض أنظمة المجتمع لا تمكننا من الاستفاضة في الشرح والتحليل ، فهي مجرد تذكير وبيان لأثر الإسلام في تلك الجوانب الحياتية بالنسبة للإنسان .



المبحث الرابع : أثر الإسلام في تكوين الفرد والمجتمع

إن الدين الإسلامي دين عقيدة وشريعة ، عقيدة تربط العبد بخالقه جل وعلا وتحرره من جميع أشكال وأنواع المعبودات التي عبدت من دون الله سبحانه وتعالى ، وبذلك يحقق العبودية الحقة لله وحده لا شريك له ، فكما أنه آمن بأن الخالق الله والمدبر الله والمحيي المميت الله ، فإنه ترجم ذلك القول حقيقة من خلال صرفه لجميع العبادات لله وحده لا شريك له ، وهذا الذي من أجله خلق . وحتى يتمكن العبد من أداء تلك الشرائع والقيام بتلك الواجبات تكفل الحق تبارك وتعالى بذلك من خلال آيات الذكر الحكيم وتعاليم الرسول ﷺ ، فعصمَ الدماء والأموال والأعراض وكفل الحقوق وحث على القيام بالواجبات ، سواء ما يتعلق منها بعلاقة العبد مع ربه أو مع إخوانه المؤمنين من الأهل والأقارب والأرحام وأمة التوحيد وغيرهم ممن يتعامل معهم فيما يتعلق بالمصالح الدنيوية . ومن خلال ما تقدم يتضح لنا أثر الإسلام في تكوين الفرد والمجتمع بصفة إجمالية نفصلها في ما يلي :

أولاً : لقد كرم الحق تبارك وتعالى الإنسان رحمة به وشفقة عليه ، وفضله على كثير من خلقه ، قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ٧٠ ﴾ .

وهذا التكريم يحتاج إلى شكر المنعم المتفضل سبحانه وتعالى فبالشكر تدوم النعم ، والشكر يكون بالقول والعمل ، بالقول بحمد الله سبحانه وتعالى والثناء عليه على ما أنعم وتفضل ، وبالعمل بطاعته جل وعلا والقيام بما افترض علينا وأوجب ، وحمل رسالته إلى الناس والدفاع عنها ، وهذا يكون بعد الإيمان الصادق به جل وعلا وبرسوله محمد ﷺ،

وما جاء به من عند الله سبحانه وتعالى فما كرم الإنسان إلا ليكون خليفة في الأرض ، ولا تتم هذه الخلافة إلا بتحقيق العبودية لله رب العالمين لا شريك له فهو سبحانه وتعالى المستحق للعبادة .

ثانيًا : إن اهتمام الإسلام بالفرد يبدأ قبل ولادته فقد حرم الإسلام الزنا ، وشدد وتوعد من يرتكبه ، وحذر من مغبته لعلمه بخطره على الفرد والمجتمع قال تعالى : ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ إِنَّهُۥ كَانَ فَاحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾ ﴾[1].

وحث عليه الصلاة والسلام ورغب في اختيار الزوجة ، وهذا من اهتمام الإسلام بالفرد قبل الولادة ، فأكد على اختيار ذات الدين التي تؤمن بالله ربًا وبالإسلام دينًا وبمحمد ﷺ نبيًا ورسولًا ، فقال ﷺ في الحديث الذي رواه أبو هريرة رضي الله تعالى عنه : « **تنكح المرأة لأربع لمالها وحسبها وجمالها ولدينها فاظفر بذات الدين تربت يداك** »[2]، وغيره من الأحاديث الشريفة التي حث عليها الصادق الأمين ﷺ أمته على حسن اختيار شريكة الحياة أم الأولاد ، وهذا قبل الولادة بالطبع والمعاشرة ، وبعد ذلك لم يغفل الإسلام توجيه هذه الأسرة الصغيرة المكونة من فردين الزوج والزوجة ، بل رسم لهما منهج الحياة السعيدة ، وتأكد على العطف والرحمة بينهما ، وهذا وغيره كثير دلالات على اهتمام الإسلام بالفرد قبل أن يولد ليعيش في بيت هادىء هانىء مستقر . وبعد الولادة اهتم الإسلام بالفرد غاية الاهتمام سواء كان ذلك المولود أنثى أم ذكرًا من ناحية الحضانة واختيار أحسن الأسماء وتعليمه القرآن وتأديبه بآداب الإسلام وتوفير الجو الأسري السليم له ، وفي حالة فقد الأب حث الإسلام ورغب في كفالة اليتيم والعطف عليه والشفقة به فقال ﷺ : « **أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا وأشار بالسبابة والوسطى وفرج بينهما شيئًا** »[3]. وهذا غيض من فيض ولسنا بصدد الكتابة عن هذا المجال بشكل مفصل ، ولكنها قبسات نبين من خلالها مدى اهتمام الإسلام بالفرد في جميع أطوار حياته حتى الممات وبعد الممات أيضًا ، اهتم الإسلام فحث الأبناء على الدعاء للآباء والصدقة وعمل الخيرات ، فقال ﷺ : « **إذا مات**

---

(١) سورة الإسراء الآية : ٣٢ .

(٢) صحيح البخاري كتاب النكاح ج٧ ص١٢ عالم الكتب .

(٣) صحيح البخاري كتاب الطلاق .

الإنسان انقطع عنه عمله إلا من ثلاثة : إلا من صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له »[1]. فحفظ الإسلام جميع حقوق الفرد سواء كانت تلك الحقوق مادية أو معنوية إذ لم تعرف البشرية مثل نظام الإسلام في حفظ حقوق الفرد ، ولا غرابة في ذلك فهو نظام إلهي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد . فلا يمكن أن يعرف أحد من الخلق ما يصلح البشرية ويقودها إلى الفلاح إلا خالق الخلق تبارك وتعالى ، لهذا فإن أنظمة الإسلام صالحة لجميع الناس على اختلافهم في السن والشكل والجنس والنوع والمكانة الاجتماعية والعلمية . هذه من ناحية اهتمام الإسلام بالفرد .

أما اهتمام الإسلام بالمجتمع فلقد أقام الإسلام المجتمع المثالي ، المجتمع الذي تسوده المحبة والوئام ويحيط به التكامل والتواد والتراحم ، فالمجتمع ما هو إلا مجموعة من الأفراد ، ولقد عني الإسلام بأفراد المجتمع في جميع مراحل حياتهم : أطفالًا ومراهقين وشبابًا وكهولًا وشيوخًا ، وهذه العناية بأفراد المجتمع تؤدي إلى ظهور مجتمع مثالي يعبد ربًا واحدًا ويدين بدين واحد ويتبع نبيًا واحدًا ، لأن تعاليم هذا الدين بينت لهذا المجتمع الغرض الذي من أجله خلق الله الخلق وذلك من خلال الكتاب المنزل والنبي المرسل ﷺ . ورحمة الله سبحانه وتعالى بعباده اقتضت أن يرسل في كل أمة رسولًا حتى لا يكون هناك عذر لأحد قال تعالى : ﴿ رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾ . فبعث الله سبحانه وتعالى سيدنا محمدًا ﷺ في هذه الأمة خاتمًا للمرسلين مجتمعًا مثاليًا تحيطه عناية الله سبحانه وتعالى يقوم على أسس سليمة وبناء قوي ونظام متكامل في جميع نواحي الحياة ، سواء النواحي الاقتصادية أو السياسية أو الاجتماعية أو الدينية ، منهجه في ذلك كله ما جاء من عند الله سبحانه وتعالى في القرآن الكريم ، وما بينه الرسول الكريم محمد بن عبد الله ﷺ . واهتمام الإسلام وأثره في المجتمع يتضح من خلال ما يلي :

أولًا : أقام أسس هذا المجتمع على أسس متينة وقوية ، وذلك بأن أقامه على هدى من الله سبحانه وتعالى .

ثانيًا : رسم له المنهج الذي يسير عليه في الحياة ، والكفيل بتحقيق حياة سعيدة لجميع أفراده ونظام شامل لجميع الحياة .

---

(١) صحيح مسلم كتاب الوصية .

ثالثًا : إن جميع نظم الإسلام الاجتماعية منها أو الاقتصادية أو السياسية أو نظام الحكم والقضاء نظم عادلة لا تفرق بين جنس وجنس أو لون ولون أو طبقة وأخرى ، بل تنظر للجميع بمنظار العدل ، لأنها ربانية المصدر والغاية ، تهدف إلى إسعاد الناس وحفظ ما لهم من حقوق وأخذ ما عليهم لغيرهم من حقوق وواجبات .

رابعًا : لقد عمل الإسلام على تكاتف وترابط وتعاون أفراد المجتمع على أساس من الإخوة الإسلامية والعقيدة الواحدة ، قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ وقال ﷺ في الحديث الشريف الذي رواه النعمان بن بشير رضي الله عنهما : « **مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى** »[(1)].

خامسًا - وأخيرًا فإن أثر الإسلام في المجتمع يبدو واضحًا في تحرير أفراده من عبودية العباد إلى عبودية رب العباد سبحانه وتعالى ، وربط الفرد والجماعة بالواحد الأحد الفرد الصمد ، الذي بيده مقاليد الأمور ، والاحتكام إلى شرعه سبحانه وتعالى ، والذود عنه بكل شيء ثم ما أكد عليه الإسلام وبينه بشكل واضح جلي من أن الدماء والأموال والأعراض محفوظة بحفظ الله لها لا تمس إلا بحقها ، وبين ذلك الصادق الأمين ﷺ في الحديث الشريف الذي رواه أبو بكرة عن أبيه أن النبي ﷺ قعد على بعيره وأمسك إنسان بخطامه أو بزمامه ، قال : « **أي يوم هذا** » فسكتنا حتى ظننا أنه سيسميه سوى اسمه ، قال : « **أليس يوم النحر** » ، قلنا : بلى ، قال : « **فأي شهر هذا** » فسكتنا حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه ، فقال : « **أليس بذي الحجة** » قلنا : بلى ، قال : « **فإن دماءكم وأموالكم وأعراضكم بينكم حرام كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا ، ليبلغ الشاهد الغائب ، فإن الشاهد عسى أن يبلغ من هو أوعى له منه** »[(2)]. ثم إنه حث على العمل والجد والنفع والقوة ، فقال ﷺ عندما سئل عن : أي الكسب أطيب ؟ قال : « **عمل الرجل بيده وكل بيع مبرور** »[(3)]. فقال ﷺ أيضًا فيما رواه الصحابي أبو هريرة رضي الله عنه : « **خير الكسب كسب يد العامل إذا نصح** »[(4)]. وفي المقاصد الحسنة قال ﷺ : « **إن الله يحب إذا عمل أحدكم العمل أن يتقنه** »[(5)].

---

(١) صحيح الإمام مسلم كتاب البر والصلة .

(٢) صحيح الإمام البخاري كتاب العلم .

(٣) مسند الإمام أحمد جـ٤ ص١٤١ .

(٤) المرجع السابق جـ٢ ص٣٣٤ .

(٥) المقاصد الحسنة للسخاوي ص١٣٨ .

المبحث الخامس : موقف الإسلام من العلم الكوني والدلالة على أن خالق الإنسان هو مكون الأكوان سبحانه وتعالى

نعني بالعلم الكوني أو العلوم الكونية تلك العلوم المادية المنسوبة إلى الكون أي : العالم أو عالم الوجود ، والعلوم الكونية علوم تبحث في أنواع المادة وخصائصها الطبيعية ، فالكون بما فيه موضوعها ويطلق عليها أيضًا: العلوم الطبيعية ، وهي أنواع شتى كالكيمياء والفيزياء وعلم النبات وعلم الأحياء والطب والصناعة والفلك والرياضيات والجغرافيا ، وموقف الإسلام من العلوم الكونية واضح إذ إنه حث على طلب العلم ورغب فيه وأكد عليه .

والعلوم الكونية نافعة غير ضارة إذا وجهت الوجهة الطيبة النافعة ، فمعرفة الصناعات النافعة للإنسان سواء ما يتعلق منها في معيشته كأدوات وآلات الزراعة والصناعة التي تنتج للمسلمين ما يحتاجونه من غذاء وكساء ودواء ومراكب ومساكن وسلاح يرهبون به عدو الله وعدوهم ، أو ما يتعلق بأي أمر من أمور المسلمين التي تجعلهم في مقدمة الأمم ، كل ذلك مطلوب بل واجب ، انطلاقًا من القاعدة الشرعية المعروفة والتي مفادها بأن ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب . لذا فإن أخذ أمة الإسلام بكل الأسباب التي تجعلها قوية مرهوبة الجانب في شتى العلوم الكونية سواء ما كان منها في البر أو البحر أو الجو ، والتي تعتبر في وقتنا الحاضر ميدان سباق بين الشعوب والتي ما زال العدو يلوح بأن له قصب السبق فيها يبرز اهتمام الإسلام بالعلم ، العلم بمفهومه الواسع ، العلم الذي يؤدي بالأمة الإسلامية إلى أن تتبوأ مكانها الطبيعي بين أمم الأرض ، مكان القيادة والسيادة والريادة . وفي الوقت نفسه فإن الأمة الإسلامية تكون آثمة إذا ما أهملت في هذا الجانب ، وذلك لأنها تتيح الفرصة لأعدائها كي يطمعوا فيها ، نعم تكون آثمة

في دنياها وآخرتها ومؤاخذة على ذلك ، لأن هذه العلوم أصبحت الآن من الواجبات ، وواقع أمتنا اليوم يشهد بذلك حيث تسلط عليها الأعداء من خلال تفوقهم في هذه العلوم التي أنعم الله بها عليهم ، ليخرجوا بها كنوز الأرض يستعينون بها على الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى والدفاع عن الإسلام والمسلمين ، هذه العلوم التي كان لأمة الإسلام السبق في البحث فيها ومعرفة أسرارها والتي نقلها العدو إلى بلاده من خلال تتلمذهم على علماء المسلمين الأوائل ، وقيامهم بترجمة تلك العلوم الكونية إلى لغاتهم حيث واصلوا البحث والدرس حتى وصلوا إلى ما وصلوا إليه اليوم ، والتي ما زالت تحمل بعض الأسماء العربية والتي قدم من أجلها أبناء تلك الأمم إلى بغداد والقاهرة والأندلس ليتلقوا تلك العلوم من علماء هذه الأمة التي دعاها دينها إلى العلم والمعرفة ، وها هي سورة العلق تبين لنا ذلك في أول آية منها ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ① ﴾ . ونحن بصدد العلوم الكونية لا بد أن ننبه على جانب من هذه العلوم أو فرع من فروعها التي لا يختلف أحد من المسلمين في تحريمها قطعيًّا ، وذلك لضررها وخلوها من المنفعة ، ومن تلك العلوم علم السحر والطلاسم والتنجيم والرموز والإشارات التي يستدل بها على الحوادث الكونية المستقبلية ، وكل ما لا ينفع للإنسان في حياته العاجلة والآجلة التي لا ريب فيها مما عرف من علوم أو لم يعرف حتى الآن .

وخلاصة القول : فإن الإسلام رغب في العلوم الكونية النافعة وحث على تعلمها ؛ لأن فيها الخير والنفع والقوة لأمة الإسلام .

* * *

الفصل الخامس
خصائص الدعوة الإسلامية

- ○ المبحث الأول : كونها من عند الله سبحانه وتعالى .
- ○ المبحث الثاني : شمولها لجميع شئون الحياة والإنسان .
- ○ المبحث الثالث : عالميتها وعمومها لجميع البشر والرد على ما أثير حول ذلك .
- ○ المبحث الرابع : صلاحيتها لكل زمان ومكان والرد على ما أثير حول ذلك .
- ○ المبحث الخامس : وسطيتها وملاءمتها للفطرة الإنسانية .

* * *

المبحث الأول : كونها من عند الله سبحانه وتعالى

معلوم لدى المسلمين أن مصدر الإسلام وأحكامه وشرائعه ومناهجه هو الحق تبارك وتعالى، ويعلم ذلك أهل الكتاب كما ورد في كتبهم السماوية قبل أن تمتد إليها أيادي التحريف والتغيير والتبديل.

أوحى إلى رسوله الكريم عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم بواسطة جبريل الأمين عليه السلام بكلامه العظيم ، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد باللفظ والمعنى (القرآن الكريم) ، وبالمعنى دون اللفظ السنة النبوية المطهرة ، فالإسلام مصدره رب الناس سبحانه وتعالى ، وهو الذي أمر بالدعوة إلى دينه القويم وصراطه المستقيم ، قال جل وعلا : ﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ﴾[1]. فالدعوة إلى الإسلام من عند الله سبحانه وتعالى نزلت بها آيات كريمة على عبد الله ورسوله محمد ﷺ ، قال تعالى : ﴿ لِّكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ ۖ فَلَا يُنَازِعُنَّكَ فِي الْأَمْرِ ۚ وَادْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ ۖ إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى مُّسْتَقِيمٍ ﴿٦٧﴾ ﴾[2]. والنصوص الدالة على أن هذه الدعوة من عند الله سبحانه وتعالى كثيرة ، نزلت في آيات قرآنية جليلة عظيمة على رسول الله ﷺ من عند الله سبحانه وتعالى قال جل وعلا : ﴿ إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ ﴿٢﴾ ﴾[3]. وقوله تعالى : ﴿ وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى الْقُرْآنَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ﴿٦﴾ ﴾[4]. فالدعوة إلى الله من الله سبحانه وتعالى أمر بها عبده ورسوله محمد ابن عبد الله ﷺ وأمته على أثره من بعده حتى تقوم الساعة ، وكونها من عند الله سبحانه وتعالى تنعم بالحفظ وهو ما سنتحدث عنه في السطور التالية :

---

(١) المائدة : ٦٧ .

(٢) الحج : ٦٧ .

(٣) سورة الزمر : ٢ .

(٤) سورة النمل : ٦ .

○ أولًا : حفظ الله لها :

إن كون دعوة الإسلام من عند الله سبحانه وتعالى العليم الحكيم مالك الملك مصرف الأحوال القاهر فوق عباده اللطيف الخبير بقيت محفوظة بحفظ الله سبحانه وتعالى طيلة هذه القرون ، والتي بدأت من مبعث خاتم المرسلين وإمام المتقين ﷺ إلى يومنا هذا وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، فالآيات القرآنية المنزلة على عبده ورسوله محمد ﷺ تكفل الحق سبحانه وتعالى بحفظها فهي محفوظة كما قال تعالى : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿٩﴾ ﴾ كما هيأ الحق تبارك وتعالى لسنة نبيه ﷺ - المصدر الثاني في الإسلام - من يحفظها ويذود عنها ويعتني بها . لقد حفظ الله تبارك وتعالى كتابه فلم تستطع أيدي الأعداء الوصول إليه على مر العصور وتعدد المحاولات ، ولقد جاء على هذا الدين زمان بل أزمنة كثرت فيها الفتن ، ابتداءً من الفتنة الكبرى حتى آخر فتنة من الفتن التي لحقت بهذه الأمة ، والتي حاول أعداء الإسلام من خلالها جاهدين على أن يغيروا أو يبدلوا في كلام الله سبحانه وتعالى فلم يفلحوا ، وبقيت نصوصه الكريمة كما أنزلت حجة قوية دامغة باقية ؛ لأن الحق تبارك وتعالى تكفل بحفظها ، ورب العزة والجلال حفظ هذا الكتاب بتيسيره للحفظ في الصدور فتسابق الصحابة الكرام رضوان الله عليهم جميعًا إلى حفظه حتى إن أحدهم كان لا يتعدى العشر آيات التي حفظها حتى يعمل بما جاء فيها ، وهكذا حتى يصل الواحد منهم إلى ختم القرآن الكريم عن ظهر قلب ، وتوارثت هذه الأمة ذلك جيلًا بعد جيل ، جيل الصحابة ثم التابعين ثم من أتى بعدهم إلى الآن ، وسيستمر هذا بحول الله وقوته ، لأنه سبحانه وتعالى كتب الأجر العظيم لمن حفظ كلامه سبحانه وتعالى وعمل به ، فهم أهل الله وخاصته ، يقال لحافظ القرآن الكريم يوم القيامة : اقرأ وارتق .

وصدق ربنا الجليل العظيم إذ يقول في كتابه العزيز : ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٧﴾ ﴾[1] .

وهذا الحفظ الإلهي الكريم لهذا الكتاب ولسنة سيدنا سيد المرسلين ﷺ وهما أصل الدين ومادته وروحه ومنهجه واللذان اشتملا على ما يتعلق بالإسلام عقيدة وشريعة ومنهج حياة ودعوة جعلت الدعوة الإسلامية تتميز عن غيرها بالديمومة والمصداقية والوضوح ، الأمر الذي انعكس عليها حفظًا وبقاءً إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، ولقد ألفت الكتب الكثيرة في هذا الموضوع ، أعني موضوع الحفظ كخاصية من خصائص الدعوة الإسلامية يمكن الرجوع إليها لمن أراد المزيد ، وإلا ففيما ذكر الكفاية والخير، ومن حفظ الله

---

(١) القمر الآية : ١٧ .

سبحانه وتعالى لدعوة الإسلام أن قيض لها ذلك النفر من الدعاة ، الذين بلغوا هذا الدين مترسمين خطى سيد المرسلين ﷺ الذي علمهم كيف تكون الدعوة وكيف يكون الداعية ، ولا شك أن قيام هذه الأمة بالدعوة إلى الله سبب من أسباب بقاء واستمرار قوة هذه الدعوة المحمدية ، سواء كان ذلك بالدعوة القولية أو بكتابة الكتب والرسائل والمقالات التي تبين حاجة الإنسان لهذا الدين وضرورة التزامه حتى يعيش هذه الحياة في هناء وسرور وراحة وأمن واطمئنان . إن ما قدمه دعاة الإسلام لهذه الدعوة من مجهودات تعتبر بحق إضافة قوية إلى هذا التوجه المبارك ، لأن أي فكرة أو مبدأ تفتقر إلى الرجال المخلصين ، لا يمكن أن يكتب لها النجاح أو البقاء . لهذا نجد عند قراءتنا لتاريخ الدعوة الإسلامية أن الحقب التاريخية التي مرت بها هذه الدعوة يبرز من خلالها أولئك الرجال الكرام الذين خدموا الدين بإبلاغه للناس من خلال الكلمة المسموعة أو المكتوبة ، ومن خلال انتقالهم من مكان إلى آخر ومن بلد إلى بلد لإبلاغ هذا الدين وبيان هدي سيد المرسلين ﷺ ، الذي وضح سماحة الإسلام وحرصه على الناس وعنايته بهم ليكونوا من عباد الله المخلصين ويفوزوا بجنة النعيم يوم العرض على رب العالمين سبحانه وتعالى . فدعاة الإسلام والمجددون للناس دينهم يعتبرون بحق وسيلة من وسائل حفظ هذه الدعوة بما بذلوه من جهود صادقة لبيان هذا الدين وما ألفوا من كتب كما ذكرت سابقًا لتعليم الدين وبيان عظمته وشموله لجميع حياة هذا الإنسان تنظيمًا وحفظًا وتربية وتوجيهًا وحماية ليقوم بما من أجله خلقه الله سبحانه وتعالى وهي العبادة قال سبحانه وتعالى : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ .

وفي العصر الحديث هيأ الحق تبارك وتعالى أن يطبع القرآن في عاصمة الإسلام الأولى – المدينة المنورة – على أعلى مستوى من الطباعة والإخراج ، وذلك في صرح من صروح الإسلام الكبرى ، مجمع خادم الحرمين الشريفين الملك فهد ، لطباعة المصحف الشريف والعناية بالسيرة النبوية والسنة المطهرة بالتعاون مع الجامعة الإسلامية من خلال مركز علمي كبير ، هو مركز خدمة السنة والسيرة النبوية .

كل ذلك حفظ من المولى جل وعلا لهذه الدعوة المباركة دعوة الحق .

○ *ثانيًا : ثبات مصادرها وسلامتها من التحريف :*

ومن خصائص الدعوة الإسلامية ثبات مصادرها وسلامتها من التحريف ، وهذا

واضح جدًّا من خلال ما بيناه في بداية حديثنا في هذا الباب عن الإسلام وأركانه ، وأن الحق تبارك وتعالى ارتضى هذا الدين لعباده وأنزل عليهم خير كتبه كلامه العزيز القرآن الكريم ، المصدر الأول لهذا الدين الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه . ومعلوم أن لكل دعوة من الدعوات التي عرفتها البشرية أو ستعرفها على طول تاريخها حتى يرث الله الأرض ومن عليها مصادر تأخذ منها وتتحمل من معانيها وأساليبها وقناعاتها وما تضمنته من أحكام ومناهج وتوجيهات ، وبيان هذا أمر بدهي ، سواء كانت هذه الدعوات عامة أو خاصة ، ويهمنا في هذا المقام الدعوات التي تريد من الناس حمل مبادىء ومعتقدات معينة . لذا نجد دعوة الإسلام تفردت عن غيرها من الدعوات السابقة واللاحقة بثبوت مصدرها (الكتاب والسنة) وهذا يرجع إلى حفظ الحق تبارك وتعالى للكتاب العزيز ، والذي عايناه من خلال قراءة تاريخ هذه الدعوة ، إذ وجه أعداء الإسلام سهامهم إلى القرآن الكريم فرجعت إليهم خاسرة ، وما استطاعوا أن يغيروا ولو كلمة واحدة أو لفظة واحدة من ألفاظه المباركة ، لأنه كلام الله الحافظ المهيمن ، وما زالوا يحاولون إلا أن النتيجة معروفة : لن يفلحوا ، لأن رب العزة والجلال قال في كتابه العزيز : ﴿ **إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحفظون** ﴾[1]، وهذا الحفظ الرباني كف الأيدي العابثة من أعداء الدين أن تغير أو تحرف في هذا الكتاب العظيم الذي قال عنه جلت عظمته : ﴿ **لَّا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ** ﴾[2]، إن المتتبع لتاريخ الإسلام يجد أن القرآن الكريم جاء عليه زمان كثرت فيه الفتن والمحن ، وتعددت الفرق والنحل وعم فيه النزاع أرجاء المعمورة ، وتتابعت الأحداث المؤسفة وتوالت المحاولات للنيل من هذا الكتاب العزيز إلا أنها جميعًا باءت بالفشل ، والحمد لله رب العالمين . ذلك أن هذا المصدر المبارك (القرآن الكريم) هو كلام الله لفظًا ومعنى ، أنزله على عبده ورسوله سيدنا محمد ﷺ ليكون معجزة ودستورًا لأمة الإسلام ، وهو ثابت فيما يتعلق بنقله ، وذلك بطريق التواتر الذي يستحيل فيه الكذب أو الزيادة أو النقصان حتى إن أمين الوحي جبريل عليه السلام كان يراجعه لرسول الله ﷺ ، وراجعه له في آخر أيامه ﷺ مرتين ، أو كما ورد في هذا المقام ذلك تأكيد لهذا الأمر ، كما أن رب العزة والجلال يسر حفظه وتلاوته لهذه الأمة ، فكان أصحاب سيدنا رسول الله ﷺ يحفظونه في صدورهم بعد ما يتلقونه من إمامهم ﷺ ، وهذا كله من الأدلة على ثبات المصدر وسلامته من

---

(١) سورة الحجر الآية : ٩ .

(٢) سورة فصلت الآية : ٤٢ .

التغيير أو التحريف ، وهذا مشاهد في الوقت الحاضر حيث النهضة القرآنية في العالم الإسلامي من خلال مدارس تحفيظ القرآن الكريم وجمعياته وحلقه المقامة في بيوت الله ومسابقاته العالمية هنا وهناك التي يتدافع إليها شباب الإسلام شباب الأمة الحافظ لنيل جوائزها الكبيرة ، بل إن الإناث لهن نصيب في ذلك ، والحمد لله ، وبعد هذا المجهود أتى المشروع الكبير مشروع طباعة القرآن الكريم في المدينة المنورة على أعلى مستوى في الطباعة والإخراج، وذلك من خلال إقامة مجمع كبير في عاصمة الإسلام الأولى لطباعة كتاب الله العزيز على أحدث وأجمل وأحسن طباعة ولعل سائلًا يسأل ما معنى كلمة قرآن؟ فنقول له: القرآن مصدر على وزن فعلان بالضم نقول : قرأته قرأ وقراءة وقرآنًا وكلها تدل على معنى واحد وهو القراءة، وقد أصبح لفظ القرآن يطلق على الكتاب العزيز قال جل وعلا: ﴿ إِنَّ هَٰذَا الْقُرْءَانَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ ﴾[1]، والقرآن الكريم في الاصطلاح : (كتاب الله تعالى المنزل على محمد ﷺ بلفظه ومعناه المنقول بالتواتر المفيد للقطع واليقين ، المكتوب في المصاحف والمتعبد بتلاوته والمبدوء بسورة الفاتحة والمنتهي بسورة الناس)[2] هذا ما يتعلق بالمصدر الأول للدعوة الإسلامية (القرآن الكريم) باختصار شديد وإلا فالكتب في هذا المقام كثيرة جدًّا ، والحديث عن هذا طويل يوجد في الكتب المتخصصة بتوسع خاصة كتاب مناهل العرفان للزرقاني ، وكتاب المدخل لدراسة القرآن الكريم لمحمد أبو شهبة . أما المصدر الثاني لهذه الدعوة فهي السنة المطهرة التي قيض لها الحق تبارك وتعالى أولئك الرجال الذين حملوها إلينا صحيحة نقيه خالصة من الزيادة أو النقصان كما هو معلوم . والسنة في اللغة : الطريقة والسيرة[3]، وفي الاصطلاح : ما أثر عن النبي ﷺ من قول أو فعل أو تقرير أو صفة خَلقِيَّة أو خُلُقِيَّة أو سيرة قبل البعثة أو بعدها وهي مرادفة للحديث ، ودليل على أن السنة هي الطريقة قوله ﷺ : « **من سن في الإسلام سنة حسنة فعمل بها بعده كتب له مثل أجر من عمل بها ولا ينقص من أجورهم شيء ، ومن سن في الإسلام سنة سيئة فعمل بها بعده كتب عليه مثل وزر من عمل بها لا ينقص من أوزارهم شيء** »[4]، واتباع السنة واجب كالكتاب العزيز ، والدليل قوله سبحانه

---

(١) سورة الإسراء الآية : ٩ .

(٢) مناهل العرفان للزرقاني ص١٩ .

(٣) لسان العرب مادة سنن .

(٤) صحيح مسلم جـ٤ ص ٢٠٦٠ تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي .

وتعالى : ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ﴾[1]، ومرتبة السنة النبوية المحمدية في الحجية تلي مرتبة القرآن الكريم ، لأنها المفسرة لنصوصه الموضحة لمعانيه المخصصة لعامه والمقيدة لمطلقه والموضحة لمشكله ، ورسول الله ﷺ هو حامل هذه الدعوة المباركة ومبلغها للناس كافة ، توجيهاته تأتي بعد القرآن الكريم ، قال جل وعلا : ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾[2]، ومما لا شك فيه أن جهود المسلمين توجهت في البداية إلى المصدر الأول وهو القرآن الكريم حفظًا وعناية سواء كان ذلك في العهد النبوي حيث كان الحفظ في الصدور ، ثم جمعه في مصحف واحد بعد انتقاله ﷺ إلى الرفيق الأعلى في عهد أبي بكر الصديق ، وما تم من جمع في عهد الخليفة الراشد سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه ، ثم جاء بعد ذلك اهتمامهم وعنايتهم بالسنة المطهرة ، وذلك بحفظها ومذاكرتها وتدوينها في العصور التي تلت العهد النبوي وما ذلك إلا ليتم الحفظ لهذا المصدر من مصادر هذا الدين الحنيف ، وقد قيض الله لها أولئك الرجال الكرام الذين دونوها بعد ما جمعوها ، وذلك في القرن الثالث الهجري ، ومعلوم ما مر بهذه السنة من أطوار في مجال تدوينها وتحقيقها . وبالرغم من قيام بعض الفرق والهيئات والجماعات بالتشكيك في السنة المطهرة بوضع الروايات الباطلة والأحاديث الزائفة المنسوبة إلى سيدنا محمد ﷺ زورًا إلا أن رجال الحديث رحمهم الله تعالى تمكنوا من الرد على تلك الحملات بالجهود العظيمة التي بذلوها لحماية السنة المطهرة . ولا شك أن هذه العناية الكبيرة بالسنة المطهرة هي بتوفيق الله سبحانه وتعالى وعونه لذلك النفر من علماء الأمة الذين دونوا السنة المطهرة ونقحوها وبينوا أسانيدها إلى الرسول واهتموا بالمتون . وبهذا يتم الحفظ للمصدر الثاني من مصادر الدعوة الإسلامية ليبقى هذا الدين كما أراد الحق تبارك وتعالى قويًا متينًا صالحًا لكل زمان هاديًا للناس وداعيًا إلى صراط العزيز الحميد . إن المطلع على علم الحديث وأصوله يدرك هذه العناية الفائقة بالسنة المطهرة ولا توجد أمة من الأمم غير أمة الإسلام في التخصص في الإسناد ، وهذا الأسلوب علمي دقيق يوضح بجلاء نسبة الحديث إلى الرسول الكريم ﷺ ، يقول عبد الله بن المبارك رحمه الله تعالى : (الإسناد من الدين ولولا الإسناد لقال من شاء ما شاء) .

---

(١) سورة الحشر آية : ٧ .

(٢) سورة النحل آية ٤٤ .

مما سبق تبين لنا مدى اهتمام الأمة الإسلامية بالسنة المطهرة الشاهدة ، والمبينة لأحوال وأقوال وتقريرات وأفعال رسول هذه الأمة ﷺ المفسرة والمبينة لهذا الدين وما أتى مجملًا في الكتاب العزيز ، وهذا هو ثبات المصدر وخلو هذا المنبع من التحريف والتغيير الذي لحق بكثير من الدعوات الأخرى .



المبحث الثاني : شمولها لجميع شئون الحياة والإنسان

في الفصل الرابع من هذا الباب بينا علاقة الدعوة الإسلامية بالحياة ، وذلك من خلال الحديث عن أثر الإسلام في السياسة والاجتماع والاقتصاد وتكوين الفرد والمجتمع وحمايتهم من الأخطار والفتن والاعتداءات بشتى أنواعها ومسمياتها ، وأوضحنا علاقة الإسلام بالعلم الكوني وأثبتنا أن الإسلام هو الدين الوحيد الذي يشمل كافة مناحي الحياة.

وقدمنا في فصول سابقة أن الإسلام دين شامل ونظام رباني يرعى ويهتم بجميع شئون الحياة ، وما عليها ومن عليها أو فيها .

وهذا أمر بدهي ، لأن هذا الدين نظام إلهي يهدف إلى سعادة البشر في الدارين فهو بذلك لم يترك أمرًا من أمور الإنسان إلا وبينه ووضحه وقال فيه بشكل واضح ودقيق كل ناحية من نواحي حياة المسلم بل الإنسان الذي خلقه الرب جل وعلا للعبادة .

إن الشمولية التي تتفرد بها دعوة الإسلام أتت من هذا الدين الذي لم يترك أي جانب من حياة الفرد أو المجتمع إلا ووضع له الحكم والتفصيل في ذلك يطول ، إلا أن أحكام هذا الدين الضابطة لجميع أفعال الإنسان وتصرفاته وسلوكياته وعلاقاته مع غيره توضح بجلاء شمول هذا الدين لكافة مجالات الحياة الإنسانية ، ولو وقفنا على أحكام الإسلام التي وضحها علماء الأمة لوجدنا ذلك واضحًا جدًّا وبشكل دقيق وثابت فلو نظرت إلى الواجبات والمندوبات والمحرمات والمباحات والمكروهات والأفعال المتعلقة بها حسب الأحكام السابقة ، وهي الواجب والمندوب والمحرم والمباح والمكروه ... إلخ لوجدت أن هذه التقسيمات تدل دلالة واضحة على دقة تعاليم هذا الدين واشتمالها جميع شئون حياة الإنسان.

ولو وقفنا قليلًا عند أحكام هذا الدين المتعلقة بالعقيدة والأخلاق والعلاقات الأسرية والاجتماعية والشئون القضائية والمالية والاقتصادية والسياسية وعلاقة الدولة الإسلامية بغيرها من الدول لوجدنا لوجدنا أمرًا عجيبًا يجعل المرء معجبًا بدقة تلك الأحكام وشمولها حياة الإنسان بشكل عام ومفصل لم تعرف البشرية مثيلًا له على الإطلاق لا في الشرائع السماوية السابقة للإسلام ولا في الأفكار البشرية على طول تاريخ البشرية ، وهذا ليس غريبًا في الدين الذي ارتضاه رب العزة والجلال لعباده وجعله خاتمة الشرائع السماوية ، إن شمول الدعوة الإسلامية جميع شئون الحياة يمكن بيانه من خلال النقاط التالية :

○ أولًا : جانب العقيدة :

وخاصة الإيمان بالله سبحانه وتعالى ثم برسوله ﷺ ودين الإسلام ، نجد الأحكام التفصيلية في ذلك واضحة جلية بحيث يظهر للعبد ما يريد الرب منه وله ليكون من المحققين للعبودية الكاملة لله رب العالمين ، وهناك علم التوحيد الذي بين جميع ما يتعلق بالعقيدة ، وهو مدون واضح محفوظ يشرح بوضوح تام كل ما يتعلق بالأمور العقائدية ، وهي الأساس في هذا الدين .

○ ثانيًا : جانب العبادات :

وهو أمر مفصل بشكل واضح سواء ما كان يتعلق بأركان الإسلام كالصلاة والزكاة والصوم والحج أو غيرها من بقية العبادات القولية والعملية التي جاء بها الإسلام وقد تم التفصيل في هذا في الفصل الثاني من هذا الباب .

○ ثالثًا : جانب الأخلاق :

وهو عنصر هام في حياة الأفراد والمجتمعات ودليل على اهتمام الدين بكل نواحي الحياة وشموله إياها حيث وضحت هذه الدعوة المباركة جميع ما يتعلق بمكارم الأخلاق وأحسن الصفات وأجمل السلوكيات فرغبت فيها وحثت عليها ، وبالمقابل بينت جميع الأخلاق الذميمة والصفات الغير حميدة وحذرت منها وأكدت على الابتعاد عنها ونبذها قولًا وعملًا ليعيش الفرد المسلم حياة ملؤها الصدق والأخلاق الطيبة ، لأن ذلك يوافق فطرته التي فطره الحق تبارك وتعالى عليها أما الأخلاق السيئة فهي منافية للفطرة السليمة .

○ رابعًا : جانب العلاقات العامة :

وأعني بها علاقة الفرد بغيره من الأفراد وعلاقته بالمجتمع الذي يعيش فيه ومعاملته مع مؤسسات المجتمع المختلفة في بيعه وشرائه وأخذه وعطائه ، وهي معروفة في الفقه الإسلامي بالمعاملات المالية ، هذا الجانب وضحه الدين بشكل دقيق جدًّا يكفل للجميع حقوقهم ويحمي الجميع في المال والعرض والدم إلى غير ذلك من شئون الحياة الأخرى دقيقها وجليلها كل ذلك جاء في هذا الدين سواء على وجه الإجمال أو التفصيل مما يثبت عناية واهتمام هذا الدين بكل ما يتعلق بهذا الإنسان بالشكل الذي يحفظ له جميع حقوقه ، في نفس الوقت يأخذ منه ما لغيره عليه سواء من خلال القرابة أو المعاملات ، فالأحكام التفصيلية التي تضبط جميع شئون هذا الإنسان أتى بها هذا الدين سواء في مصدره الأول القرآن الكريم أو مصدره الثاني السنة النبوية، الأمر الذي لا يوجد له مثيل في ما عداه من الشرائع والنظم ، ذلك لأنها قاصرة أو موضحة لجوانب محددة ، أما هذا الدين فهو شامل لجميع الحياة ، وهذه الشمولية يمكن تقسيمها لثلاثة أقسام للتوضيح فقط وهي :

✵ أولًا : الشمول الموضوعي :

وأعني به أن الدعوة الإسلامية شاملة للفرد والأسرة والمجتمع ، شاملة للدنيا والآخرة والروح والجسد والسياسة والاجتماع والاقتصاد ، وبعبارة أخرى دعوة شاملة لجميع نواحي الحياة .

✵ ثانيًا : الشمول الزماني :

إن دعوة الإسلام ليست قاصرة على عهد الرسول محمد ﷺ أو صحابته – رضوان الله عليهم – بل هي تشمل الزمان كله حتى يرث الله الأرض ومن عليها ، وها هي باقية حتى تاريخ كتابة هذا الموضوع وبعد ألف وأربعمائة وأربعة عشر عامًا من الهجرة ، ويزيد عليها عمر الدعوة في العهد المكي ثلاثة عشر عامًا وستبقى ما بقي الليل والنهار وكما أراد لها الله سبحانه وتعالى .

✸ ثالثًا : الشمول المكاني :

وأعني بهذا أن هذه الدعوة المباركة لم تقف عند حدود جزيرة العرب أو بلاد العرب وما جاورها من بلدان ، بل هي شاملة للعالم كله أينما كان هذا الإنسان في البر أو البحر أو الجو .

ومن خلال ما سبق يتبين لنا أن الدعوة الإسلامية لم تترك أي جانب من جوانب هذا الإنسان الذي خلقه الحق تبارك وتعالى لعبادته إلا وبينته وفصلت فيه إلى درجة كبيرة جدًّا ، وكانت بذلك حامية له من نفسه أولًا ، ومما يحيط به من أفراد ومجتمعات بعد أن أقامت قواعد عبادته ومعاملاته مع الآخرين ، ولا عجب في ذلك فهو الدين الذي ارتضاه رب العزة والجلال لعباده فأرسل إليهم خاتم رسله وأنزل عليهم أفضل كتبه .

ولا شك أن الموضوع واسع جدًّا ، وفيما ذكرت كفاية لبيان هذه الشمولية بشكل سريع .

✸ ✸ ✸

المبحث الثالث : عالميتها وعمومها لجميع البشر والرد على ما أثير حول ذلك

موضوع عالمية الدعوة الإسلامية من المواضيع الهامة وسيكون تناوله من خلال النقاط التالية:

○ **أولًا : معنى العالمية لغة واصطلاحًا .**

○ **ثانيًا : الأدلة على العالمية من الكتاب والسنة .**

○ **ثالثًا : سمات العالمية في الدعوة .**

○ **رابعًا : الشبهات التي أثيرتْ حول عالمية الدعوة والرد عليها .**

○ أولًا : معنى العالمية :

❋ **العالمية لغة** : العالمية بفتح اللام: مصدر صناعي. والمصدر الصناعي هو أن يزاد على اللفظ ياء مشددة وتاء ثابتة كالحرية والمدنية ، والعالمية ترجع إلى كلمة عالم بفتح اللام .

فعله : عَلَم من باب ضَرَبَ ونَصَرَ أو من العلم بالتحريك ، فعله عَلِمَ من باب فَرِحَ وكلاهما بمعنى السمة والعلامة ، وعالم بفتح اللام في الأصل : اسم لما يعلم به أي اسمْ الآلةْ للعلم كخاتم فإنه اسم لما يختم به ، وطابع فإنه اسم لما يطبع به . فالأول اسم لآلة الختم ، والثاني اسم لآلة الطبع . قال الزجاج : العالم لا واحد له من لفظه وهو جمع أشياء مختلفة فإن جعل اسمًا لواحد منها صار جمعًا لواحد منها صار جمعًا لأشياء متفقة وجمعه عالمون[1]. وفي هذا كفاية .

❋ **العالمية اصطلاحًا**: اختلف العلماء في المعنى المراد من كلمة عالم على أقوال نورد منها:

١ – قال قتادة : العالمون جمع عالم وهو كل موجود سوى الله تعالى ولا واحد له من لفظه .

---

(١) لسان العرب لابن منظور جـ٢ ص٤٢١ .

٢ – قال الزجاج : العالم كل ما خلقه الله تعالى في الدنيا والآخرة .

٣ – قال ابن عباس: الجن والإنس ودليله قوله تعالى: ﴿ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ﴾.

٤ – قال الفراء : العالم عبارة عمن يعقل وهم أربعة : الإنس والجن والملائكة والشياطين ، ولا يقال للبهائم عالم ، لأن هذا الجمع جمع لما يعقل .

وخلاصة القول أن مضمون العالمية هو مضمون عالم ، ويسترشد من ذلك بأن لفظ العالمية هو مضمون لفظ العالمين . والعالمين لفظ شامل لكل موجود سوى الله تعالى ، وبما أن المكلفين من العالمين هم الإنس والجن فالدعوة الإسلامية عامة لهما[1].

○ *ثانيًا : الأدلة على العالمية من الكتاب العزيز والسنة النبوية :*

هناك آيات كثيرة وردت في كتاب الله العزيز تثبت عالمية الدعوة الإسلامية أورد منها :

١ – قال تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ ۝١٠٧ ﴾[2].

٢ – قال تعالى : ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ۝١٠٤ ﴾[3].

٣ – قال تعالى : ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ۝١ ﴾[4].

٤ – قال تعالى : ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾[5].

٥ – قال تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾[6].

بهذه الألفاظ الثلاثة أوردت الآيات اللفظ الأول : العالمين ، والثاني : الناس ، والثالث : كافة ، أما ما ورد في السنة المطهرة فأورد منه الآتي :

١ – قال رسول الله ﷺ : « **هل أنتم تاركو لي صاحبي إني قلت : يا أيها الناس إني رسول الله ﷺ إليكم جميعًا ، فقلتم : كذبت ، وقال أبو بكر: صدقت**»[7] رواه البخاري.

---

(١) خصائص الدعوة الإسلامية لمحمد أمين حسن ص١٥١ ، مكتبة المنار .

(٢) الأنبياء آية : ١٠٧ .

(٣) يوسف : ١٠٤ .

(٤) الفرقان آية : ١ .

(٥) الأعراف آية : ١٥٨ .

(٦) سبأ آية : ٢٨ .

(٧) فتح الباري جـ ٨ ص ٣٠٢ .

من حديث طويل كانت بين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما محاورة فأغضب أبو بكر عمر ...... إلخ .

٢ – عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال : « **والذي نفسي بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار** »(١).

٣ – روى الإمام أحمد بسنده مرفوعًا أن رسول الله ﷺ قال : « **أعطيت خمسًا لم يعطهن أحد قبلي : بعثت إلى الأحمر والأسود ، وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة** ... إلخ الحديث »(٢).

هذه بعض الأدلة من الكتاب والسنة النبوية المطهرة على عالمية الدعوة الإسلامية . وهناك إجماع للأمة من صحابة رسول الله ﷺ وأئمة المسلمين وعامتهم أن رسول الله ﷺ مبعوث إلى الإنس والجن جميعًا .

○ *ثالثًا : سمات العالمية في الدعوة :*

لا بد كي تكون الدعوة عالمية من توفر الصفات التي تعطيها الأحقية في العالمية ، وهذه يمكن أن نطلق عليها سمات تتميز بها جعلتها عالمية ، ويمكن أن نكتفي بثلاث سمات للدلالة على ذلك وهي :

١ – أن تكون مشتملة على متطلبات الحياة زمانًا ومكانًا تفي حاجات المجتمع ، وهذا – والحمد لله رب العالمين – موجود في هذا الدين وشريعته الغراء ، وقد بينت ذلك عند الحديث عن شمول الدعوة لجميع شئون الحياة يرجع له في الصفحات السابقة ، وهذا خاص بالدعوة الإسلامية التي تدعو إلى تحقيق العبودية لله رب العالمين ونبذ الأنداد والأضداد والشركاء ، والعيش في ظل هذه الشريعة السمحاء التي ضمنت حق الفرد والجماعة وكفلت لهذا الإنسان سعادته في الدارين إن هو تمسك بالمنهج الرباني .

٢ – عدم معارضة نصوصها للحقائق العلمية ، وهذا واضح من خلال اهتمام هذا الدين بالعلم والإشارات التي وردت في الكتاب العزيز فيما يتعلق بالكون وما فيه من ظواهر

(١) صحيح مسلم جـ ١ ص ١٣٤ .
(٢) مسند أحمد جـ ٣ ص ٣٠٤ .

وما بينه علماء الأمة في باب الإعجاز العلمي في القرآن الكريم ، لهذا لا نجد تعارضًا أو تصادمًا بين القرآن والحقائق العلمية التي توصل أو سيتوصل إليها الإنسان من خلال البحث والمتابعة والرصد لحركات الكون والظواهر الطبيعية ، وهذا شهد به علماء الغرب الكفار الذين اطلعوا على الإعجاز العلمي للقرآن الكريم وغيرهم ممن اطلعوا على اهتمام هذه الشريعة بالعلم والكون وما فيه من معجزات إلهية كثيرة من خلال مخلوقات الله سبحانه وتعالى فيه .

٣ - صلاح أنظمتها لشئون الحياة وتحقيقها لمصالح العباد، وهذا واضح في هذه الشريعة بدليل عدم احتياج الأمة الإسلامية لإقامة أو إحداث تشريعات جديدة تكفل مصالح الناس أو تنظم حياتهم وفق معايير معينة، وذلك لأن الشريعة الإسلامية كاملة شاملة منظمة لجميع ما يتعلق بحياة الناس لا بل أكثر من ذلك صالحة لكل فئة وجنس ومكان وزمان ؛ لأنها من فاطر السماوات والأرض خالق الإنسان العالم به سبحانه وتعالى ، لا يعتريها تغيير أو تبديل أو ضعف أو عدم ملائمة أبدًا ، فهي من وقت نزولها إلى الآن حتى يرث الله الأرض ومن عليها لا ولن يستطيع أي إنسان أن يجد فيها مطعنًا أبدًا سواء ما يتعلق بتشريعاتها ونظمها العامة والخاصة أو مواكبتها للتغيير والتطور والأحداث الزمانية والمكانية حتى إن المتابع للأنظمة والقوانين التي يضعها البشر يجد فيها الكثير من التناقض والخلط وعدم المواءمة مع متطلبات الإنسان ، ذلك أن الذي وضعها يعتريه الضعف ويوصف بالنقص والعجز بحكم السن ومحدودية العلم وضيق المحيط، لأن علمه يقصر عن إحاطته بكل الأماكن والأزمنة وحاجات الخلق ، وهذا ما لا يكون في التشريع الإلهي المنزل من رب العالمين العالم بما خلق وما يصلح لذلك الخلق سبحانه وتعالى . ولا نقول هذا لأننا من أمة الإسلام ، بل هو واقع ومشاهد وملموس أقر به غير المسلمين من أصحاب العقول النيرة في شرق العالم وغربه . وهذا من فضل الله على البشرية جمعاء ، لكنها للأسف تنكبت الطريق ورغبت في سبل الغواية فحاربت هذا الدين ووضعت الخطط الكثيرة للقضاء عليه وهو الحريص على شئونهم جميعًا الكفيل بسعادتهم في هذه الحياة وفوزهم بعد الممات .

○ رابعًا : الشبهات التي أثيرت حول عالمية الدعوة والرد عليها :

أعداء الإنسانية والحق والخير والعدل كثير حيث تحركهم قوى الشر الذين يعملون على تنفيذ مخططات أعداء البشرية جمعاء (اليهود) الذين أعلنوا عداوتهم لرسول هذه الأمة محمد بن عبد الله ﷺ منذ أن أكرمه الله سبحانه وتعالى بهذه الرسالة حيث قاموا بإعلان

هذه العداوة صراحة ، وهذا لا يخفى على المسلم ، وقد وردت النصوص القرآنية والآيات المباركة الموضحة لهذا الأمر ، لهذا يعملون جاهدين على محاربة الإسلام بكل الطرق وجميع الوسائل ، وظنوا أنهم نجحوا عندما انتهجوا أسلوب إثارة الشبهات حول هذا الدين وشرائعه من خلال فهمهم القاصر جدًا وتأويلاتهم الباطلة الصادرة عن حقدهم على هذا الدين ورسوله الكريم ﷺ . ومن تلك الشبهات ما يلي :

١ – لا شك أن هذه الشبهات هي محاولة من محاولاتهم للنيل من هذا الدين خاصة ما يتعلق بعالميته ، حيث استغلوا موضوع العروبة فقالوا بأن الرسول عربي وبالتالي الرسالة للعرب خاصة ، واللغة التي أتى بها القرآن الكريم هي اللغة العربية وبالتالي جميع أحكامه عربية لا يمكن تعميمها على جميع الناس والأمم الأخرى غير العربية ، وبالجملة فالدعوة الإسلامية التي ظهرت في الجزيرة العربية مهد العرب هي دعوة خاصة بالعرب دون غيرهم ، وأوردوا دليلًا على هذه الفرية آيات من القرآن الكريم كقوله سبحانه وتعالى : ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا ﴾[1] وقوله تعالى: ﴿ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ ﴾[2]، وقوله جل وعلا : ﴿ كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا ﴾[3] هذه الشبهة أو مجموعة الشبهات والمتمثلة في عروبة الرسالة والرسول والمجتمع واللغة يمكن الرد عليها من خلال الآتي :

أ – عروبة النبي محمد ﷺ التي استنتجوا منها اقتصار الدعوة على العرب ، استنتاج باطل واستدلال قاصر جدًا ، لأنه لا يلزم كون الرسول عربيًا أن تكون الدعوة خاصة بالعرب ، لأن الرب سبحانه وتعالى يختار من عباده من يشاء لحمل رسالاته ، واختيار النبي محمد ﷺ لحمل الرسالة للناس كافة قدر إلٰهي ومشيئة ربانية ليس للعبيد حق الاعتراض عليها مطلقًا ، وكان الاختيار الرباني الحكيم لهذا الرسول من الأمور التي لا يمكن الاعتراض عليها عقلًا ، لأنه ﷺ من أشرف قبائل العرب وأحسنهم خلقًا وأعلاهم نسبًا ، والناظر إلى أصل الأنبياء يجدهم من نسل إبراهيم الخليل عليه السلام ، وفي أصلين من أبنائه، الأول أولاد إسحاق الذين تناسل منهم بنو إسرائيل حتى عيسى عليهم السلام ، ثم حول الحق

---

(١) سورة الشورى آية : ٧ .
(٢) سورة الأعراف آية : ١٥٨ .
(٣) سورة البقرة آية : ١٥١ .

تبارك وتعالى النبوة عنهم إلى الأصل الثاني (بني إسماعيل) ، ومنهم خاتم الأنبياء وسيد المرسلين محمد بن عبد الله ﷺ ليكون وأمته شهداء على الأمم ، قال تعالى : ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾[1] .

ب – أما ظهور الدعوة في بلاد العرب فإن في ذلك حكمة عظيمة واختيار إلٰهي حكيم، حيث كانت هذه الديار إذا ما قورنت بغيرها من البلدان أصلح بيئة فهي بلاد ليست فيها حكومة أو ملوك يستذلون أهلها كما هو حاصل في البلاد الأخرى كبلاد الفرس والروم، ذلك العالم الذي كانت تقوم فيه حكومات ومؤسسات سياسية ، حيث القياصرة في دولة الروم والأكاسرة في دولة الفرس، الذين لن يسمحوا بقيام نظام جديد يخالف أنظمتهم وقوانينهم ، لهذا كانت بلاد العرب أحسن بيئة يمكن أن يقوم فيها دين يكتب لقيامه النجاح والقبول ، وقد يقول قائل بأن المجتمع المكي كان رافضًا لهذا الدين ، فنقول : ليس هذا بالكلية بدليل الذين أسلموا في الفترة السرية وما تلاها ، أما لو قامت هذه الدعوة في غير هذه البلاد فإن النتيجة معروفة مقدمًا وهي محاربتها والقضاء عليها في مهدها من أول يوم لها ، كما أن النظام القبلي في بلاد العرب يتميز بأن تقوم القبيلة بمسئولية أفرادها والدفاع عنهم ولا تسمح لأحد بالاعتداء مطلقًا ، والنبي محمد ﷺ هو أحد أفراد تلك القبائل المكية، وبالتالي لو قام أحد بالاعتداء عليه أو محاولة القضاء عليه لثارت قبيلته ، وهذا واضح من خلال المحاولات التي قامت بها قريش للقضاء على الرسول ﷺ إلا أن خوفهم من قبيلته ومركز عمه كان يحول بينهم وبين ما يشتهون .

ج – وموضوع إرسال خاتم الأنبياء من العرب يعني أن الرسالة لهم خاصة موضوع لا يمكن أن يستدل به على أن هذه الرسالة للعرب فقط وأنهم المعنيون بها دون غيرهم ، كقوله تعالى : ﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّۦنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ ﴾ هذا التعبير القرآني لا ينفي أن تكون الرسالة لغير العرب على الإطلاق ، فهناك آيات كثيرة أخرى تخاطب أهل الكتاب مباشرة ، كقوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ ءَامِنُوا۟ بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُم مِّن قَبْلِ أَن نَّطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰٓ أَدْبَارِهَآ أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّآ أَصْحَٰبَ ٱلسَّبْتِ ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٤٧﴾ ﴾[2] .

وهذا بلا شك دليل واضح جدًا على عدم صحة هذه الشبهة ، وهناك آيات أخرى في سورة المائدة ومثلها في آل عمران وغيرها تدعو اليهود والنصارى وغيرهم إلى الإيمان

(١) سورة البقرة آية : ١٤٣ .

(٢) سورة النساء آية : ٤٧ .

والتصديق واتباع هذا النبي ﷺ ، والله سبحانه وتعالى له الأمر لا راد لقضائه ولا معقب لحكمه ، يعلم – سبحانه وتعالى – حيث يجعل رسالته .

٢ – أما قول بعضهم بأن الدعوة الإسلامية بدأت حركة قومية ثم انتقلت إلى العالمية عندما انتقلت إلى المدينة ، وأن انتشار الإسلام خارج جزيرة العرب لم يكن في برنامج الدعوة ، لأن النبي ﷺ لم يفكر في دعوة غير العرب إلى الإسلام ، فالرد على مثل هذا أن ما ذكر لا يتعدى كونه مغالطات ، لأن الآيات المباركات التي نزلت في العهد المكي تؤكد ذلك ، فها هي سورة الأعراف المكية تحدد ذلك في قوله تعالى: ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾[1] إلى غير ذلك من قيام النبي ﷺ بمقابلة كل من يأتي إلى مكة لإبلاغه الرسالة ، ثم لما هاجر إلى المدينة كانت رسائله إلى ملوك ورؤساء العالم في ذلك الوقت[2] فهذه الشبهة من المغالطات مما روج له بعض المستشرقين أمثال وليم مويروسوندرس .

وصدق ربنا الجليل العظيم إذ يقول : ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾[3]، ومعلوم أن أعداء الإسلام لن يكفوا عن ذلك أبدًا ، فعلى دعاة الإسلام الانتباه ورد الشبهات أولًا بأول ، وذلك من خلال متابعة تحركاتهم والاطلاع على مخططاتهم العدوانية لوضع الخطط اللازمة لردها بكل الوسائل ، ودعوة الإسلام عامة لجميع البشر ، بل هي للإنس والجن شاءوا أم أبوا ، وفيما أوردته من أدلة كفاية فالموضوع واسع جدًا ، لأن هجمات أعداء الإسلام لن تقف أبدًا وبالتالي فالشبهات والافتراءات كثيرة ، والله المستعان .

* * *

---

(١) سورة الأعراف آية : ١٥٨ .

(٢) انظر كتابنا الأسلوب النبوي في الدعوة الباب الرابع : عون حكام العالم والكتاب لهم ص٣٤٩ .

(٣) سورة سبأ آية : ٢٨ .

المبحث الرابع : صلاحيتها لكل زمان ومكان والرد على ما أثير حول ذلك

ذكرت في المبحث الثاني من الفصل الخامس المختص بالحديث عن خصائص الدعوة الإسلامية بأن الشمول يتضمن ثلاثة جوانب : الموضوع ، والمكان ، والزمان ، أي : أن الدعوة الإسلامية صالحة لكل زمان وكل مكان ، وأن ما أثير حول هذا من شبهات لا يتعدى كونه مغالطات من أعداء الحق والعدل والدين ، وسيكون الحديث في هذا المبحث من خلال النقاط التالية :

○ **أولا : صلاحيتها لكل زمان .**

○ **ثانيًا : صلاحيتها لكل مكان .**

○ **ثالثًا : الرد على ما أثير حول ذلك من أعداء الدين .**

○ أولا : صلاحيتها لكل زمان :

إن الدعوة الإسلامية للناس كافة ، لذا فهي ليست قاصرة على عهد سيدنا رسول الله ﷺ أو زمن صحابته (الخلافة الراشدة) وما بعدها من عهد الصحابة في القرن الهجري الأول أو التابعين من بعدهم ، بل هي ممتدة إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، ذلك لأن هذه الدعوة الإسلامية لهذا الإنسان في أي زمان منذ انطلاقتها الأولى على يدي البشير النذير والسراج المنير محمد بن عبد الله ﷺ . وهذه الصلاحية نابعة من أحكام هذا الدين وما جاء به من شرع حفظ جميع حقوق الإنسان المادية والمعنوية ، بل إنه أحاطها بسياج متين من الرعاية والعناية ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ ، «المسلم أخو المسلم»، وهكذا حيث تؤكد الآيات المباركات على أن هذا الدين يهدف إلى سعادة الإنسان مهما كان وفي أي زمان حتى يرث الله الأرض ومن عليها . ولعل المتابع لهذه الخاصية يجد أن النظام الإسلامي ثابت راسخ لا يتغير ولا يتبدل ، يجد فيه إنسان العهد النبوي ما يجده إنسان القرن الرابع والقرن

الثامن والقرن الثاني عشر، وهذا القرن وما بعده من قرون، ذلك لأنه من لدن رب العالمين سبحانه وتعالى ، الذي خلق فسوى والذي قدر فهدى والذي بيده الأمر كله ، وإليه يرجع الأمر كله، لا إله غيره ولا رب سواه .

فإذا نظرنا إلى أحكام هذا الدين نجدها ثابتة قوية صالحة لكل زمان ، فالحلال هو الحلال لا يمكن أن يكون حرامًا ، والحرام حرام ، فالخمر والميسر والربا والزنى وأكل أموال الناس بالباطل هي كما نزلت على صاحب الرسالة ﷺ في مكة أو المدينة ثابتة باقية حتى هذا الزمان وما بعده – أيضًا – لا تتغير ولا تتبدل ، فما كان بينه الرسول ﷺ للمسلمين من خلال الآيات القرآنية أو الأحاديث من أحكام دينية باقية ما بقي الليل والنهار وصالحة لهذا الزمان ، فالسارق تقطع يده والزاني يقام عليه حد الزنا وفقًا لحالته إن كان محصنًا أو غير محصن ، وهكذا جميع الأحكام الأخرى المتعلقة بتنظيم العلاقات بين الأفراد والجماعات : أحكام الأسرة في النكاح والإرث والنفقات ، وأحكام البيع والشراء والأخذ والعطاء وكل ما يتعلق بالمعاملات المالية ما كان منها حلالًا أو حرامًا باقية كما هي في العهد الأول : عهد رسول الله ﷺ والخلافة الراشدة حتى اليوم في مطلع القرن الخامس عشر الهجري لم يعتريها الضعف والقصور أو عدم المواءمة أو الصلاحية ؛ بل هي باقية قوية متينة ثابتة كأنها أنزلت لمعالجة قضايا هذا العصر ، ولا غرابة في ذلك فإنها دعوة ربانية حتى تلك الأحكام المتعلقة بتنظيم العلاقات الدولية مع الآخرين في حالتي الحرب والسلم نجدها موافقة لهذا الزمان والمكان بالرغم من بعد المسافة الزمنية بين عهد نزولها ووقتنا الحالي . فالدعوة التي أتت للأبيض والأسود والعربي والعجمي والكبير والصغير والغني والفقير والذكر والأنثى في عهد النبوة هي كذلك في هذا العصر وما بعده لم تتغير سماتها وأهدافها ومعانيها ؛ بل كأنها تتنزل الآن ، وهذه خاصية الجدة في التشريعات الإسلامية بحيث يجد فيها المتأمل هذه الصفة أي : كأنها أنزلت لحل قضايا هذا العصر ، وهذا ما لم يكن في غيرها من الدعوات على الإطلاق القديم منها والحديث وهذا لن يكون أبدًا ، لأن الدعوة الإسلامية ربانية المصدر ، والدعوات الأخرى من نتاج البشر العاجز المحدود القدرة والتفكير، يضاف إلى هذا ما يجده الإنسان الآن فيها من توافق لمقتضيات العصر ، فما نسمعه من نداءات من إنسان أوربا وأمريكا اليوم لتطبيق شرع الله الذي أتى به دين الإسلام لإنقاذ إنسان اليوم ممّا هو فيه من ويلات ، وتتابع هذه النداءات من كل جهات العالم وفي هذا الوقت بالذات

من الأدلة القاطعة التي تبرهن على حاجة أهل هذا الزمان إلى دعوة الإسلام ، لقد وقف العقلاء في شرق العالم وغربه ينادون لإنقاذ البشرية المعذبة من ما هي فيه ويؤكدون على أن هذا لن يكون إلا بالإسلام . دين الله الذي ارتضاه للناس كافة . لذا فإن هذا يحمل دعاة الإسلام تبعة أخرى تؤكد على الحاجة الماسة لبذل الجهد في نشر هذا الدين وإبلاغه والدعوة إليه بكل الوسائل المتاحة وطرق جميع الأبواب ، بل والوصول إلى هؤلاء بسرعة لإنقاذهم مما هم فيه من كفر وبغي وطغيان بإعادتهم إلى خالقهم ومولاهم سبحانه وتعالى .

لقد كان لتشريعات هذا الدين الشاملة جميع شئون حياة هذا الإنسان هذا الأثر الكبير على أولئك العقلاء من دول العالم بعد أن عرفوا جميع القوانين الوضعية التي وضعها الإنسان منذ أن اجتالت الشياطين ذلك العدد من البشر وأبعدتهم عن دين الله ، وأيقنوا أنها عاجزة عن تحقيق خير هذا الإنسان ، أو على الأقل حمايته من اعتداء المعتدين ، ونسمع بين الحين والآخر صرخات القوم وهم ينادون بإيقاع عقوبة القتل على القاتل لاستشراء القتل بينهم لعدم وجود رادع ، أو لعدم مواكبه قوانينهم لمقتضى الحال . والتشريع الإسلامي قضى بذلك منذ أن نزلت الآيات على الحبيب المصطفى ﷺ المتعلقة بحد القتل وحتى اليوم لا تتغير ، لأنه ليس من حق المخلوق أن يغير ما قضى به الخالق أبدًا ، أما الإنسان فله أن يغير بل يعبث بما وضعه لنفسه هذا جانب واحد ؛ بل قضية واحدة تتعلق بهذا الإنسان وحقه في الوجود . اضطرب لها المجتمع الكافر أو المجتمعات الكافرة هذا الاضطراب ، وتبقى قضايا أخرى كثيرة جدًا لم يتوصل الإنسان لوضع حل نهائيٍّ لها لكن هذا الدين وضع لكل سؤال جواب ولكل واقعة حلًا صالحًا لكل زمان ؛ بل إن صلاحيته لهذه الأزمنة بعد طول المسافة بين تنزله وبينها حتمي من خلال ما ذكرناه سابقًا ، وما نسمعه يوميًا من عقلاء أمة الكفر الذين أعيتهم قضاياهم ، والإسلام هو الوحيد الذي لديه الإجابة عليها ، إن استغلال دعاة الإسلام لهذه الميزة يجب أن يكون على نطاق واسع ، خاصة بعد توفر وسائل الاتصال التي جعلت العالم قرية كما يقول الإعلاميون ؛ إن قضايا البشرية اليوم يعطي الإسلام الحلول السريعة لها دون الحاجة إلى هذه النفقات وتلك الأموال التي تدفعها دول العالم لإطفاء نار من النيران التي تشتعل يوميًا في المجتمعات البشرية بسبب الفتن والرغبة في السلطة والتسلط والقهر فياليتهم يعقلون .

○ ثانيًا : صلاحيتها لكل مكان :

صحيح أن دعوة الإسلام بدأت من بلاد العرب ، لكنها كانت – وما زالت – للناس كافة ، وحتى بلاد العرب كانت مجتمعات متفرقة لكل مجتمع قبلي منها عاداته وتقاليده ومميزاته التي ينفرد بها عن غيره ، فالمجتمع المكي حيث قبيلة قريش وقبيلة خزاعة وغيرهما ، ومجتمع الطائف القريب من مكة المتميز أيضًا بخصائصه حيث قبيلتي هوازن وثقيف ، حتى مجتمع المدينة كان يضم عدة قبائل بمعنى : أن بلاد العرب مهد الإسلام لم تكن على نمط واحد في الحياة والعادات والتقاليد ، ولو أنهم يجتمعون في العروبة ، لذا نجد دعوة الإسلام كتب لها القبول والاستمرار في هذه البلاد وما حولها ، حتى البلاد الأخرى التي وصلت إليها هذه الدعوة سواء في القرن الأول وما بعده من عصور الفتوحات ، وهذا راجع إلى أن هذه الدعوة تملك الكثير من المميزات والمصالح التي تكفل لهذا الإنسان الحياة الطيبة الهانئة . ولقد رأينا كيف تلقفتها الأمم في عهد الفتوحات واحتضنتها ، لأنها وجدت فيها ضالتها ؛ لأنها كانت تعيش تحت القهر والبطش وسيطرة الإنسان على أخيه الإنسان : عهد الظلم والتسلط والاسترقاق في ظل تلك الحكومات الظالمة في ذلك الزمان ، وهذه الدعوة أتت لتحرير الإنسان من رق واستعباد أخيه الإنسان ، وإنقاذه من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد سبحانه وتعالى ، وهذا يقر به كل منصف من أمم الأرض غير المسلمة ، لذا نجد الكثير من المؤلفات التي كتب فيها هذا الفكر واعترف فيها مؤلفوها بالحضارة الإسلامية وكيف أنها حققت للإنسانية المستوى الرفيع من الحياة الكريمة في ظل عدل وسماحة دين الإسلام الذي أتى للناس جميعًا، بل ما زال الكتاب المنصفون يكتبون حتى الآن عن صلاحية هذا الدين ورفعة شأن اتباعه إلى درجة لم تعرفها البشرية من قبل بحمايته لجميع ما يتعلق بهذا الإنسان. ومما يجدر ذكره أن صلاحية الدعوة الإسلامية لكل مكان تظهر في ملاءمتها للفطر السليمة وموافقتها للعقول الصحيحة وصلاحها في جميع مجالات الحياة المختلفة وأثرها الطيب في دنيا الناس من خلال ما أتت به من تشريعات توافق هذا الإنسان في أي مكان كان ، وهذا ليس بمستغرب كما ذكرنا سابقًا على الدين الذي ارتضاه رب العالمين لعباده . إن الإنسان المعاصر – إذا جاز لنا هذا التعبير – يجد في هذه الدعوة – وهذه الدعوة فقط – ما يحقق له السعادة ذلك أن التربية الروحية في الإسلام تهتم بجميع جوانب النفس البشرية مع اهتمامها البالغ بالجسد ، فهي تربية متوازنة لا تهتم بالروح على حساب الجسد ولا تهتم

بالجسد على حساب الروح ، إنها تهتم بهذا الكيان كله جسد وروح على عكس ما هو موجود في الفلسفات البشرية أو المذاهب والقوانين والأنظمة التي وضعها الإنسان لنفسه ، هذا الإنسان العاجز عن نفع نفسه أو ضرها ، الفقير لخالقه ومولاه سبحانه وتعالى . لقد جربت البشرية في هذه العصور عددًا كبيرًا من الأنظمة الفردية ، والجماعية منها : الرأسمالية والشيوعية والديمقراطية والدكتاتورية الملكية واللاملكية ، وجربت الإيمان بكل إلٰه من صنع الإنسان ، والإنسان المتأله ، والإلحاد بكل إله فلم تزدد إلا تعاسة وشقاوة واضطرابًا ونكد عيش ، ولم يعد لها مجال للاختيار ، لأنها باءت في كل تلك التجارب والمحاولات بالفشل الذريع ، وليس لها إلا الله خالقها جلت عظمته ، ومن العدل والإنصاف إذا أراد أحد أن يناقض أو يبطل المعجزة القائمة أن يأتي بما يناقضها وإلا لزمه الاعتراف بها وبمدلولاتها .

بهذا نكون قد أقمنا الحجة على الجميع ، ومن عاند فليس لنا عليه وإليه سبيل ، لأن المعاند إنسان غير سوي إن قامت أمامه الحجة ولم يذعن ويقبل فليس هناك أي وسيلة أبدًا إلا أن يهديه الرب سبحانه وتعالى إلى الصواب وتكتب له السعادة فيؤمن بهذا الدين . فالمكابر المعاند إما أن يأتي بقرآن مثل الذي جاء به خاتم المرسلين سيدنا محمد ﷺ ، ولن يستطيع ، وهو معجزة هذا الرسول ﷺ البينة القاطعة الكبرى ، وعندها إن لم يستطع أولئك المعاندون المكابرون أن يأتوا بمثله لزمهم الإذعان له ، وبهذا يكون على جميع البشر الإقرار به ، ثم العمل بما فيه والتحاكم إليه طاعة لرب العالمين سبحانه وتعالى وتحقيقًا للعبودية ، وقد أوردت فيما سبق الآيات الدالة على ذلك ، وأعني عموم رسالة الإسلام .

٣ – إن جميع ما ورد في القرآن والسنة المطهرة يقضي ويدل دلالة واضحة على أن النبوة انقطعت بانقطاع الوحي الذي كان ، بنقل خاتم الأنبياء وسيد المرسلين إلى الرفيق الأعلى بعد ما كمل الدين وقامت الحجة على الخلائق أجمعين إنسهم وجنهم ، وهذا يعني أن لا مصدر للتشريع والتعبد إلا كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ الذي يجب على البشر الإيمان به واتباعها ، ففي الحديث الصحيح قال رسول الله ﷺ : « **والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار** »[1]، وبما أوردته في النقاط الثلاث السابقة تقوم الحجة

(١) صحيح الإمام مسلم كتاب الإيمان جـ١ ص١٣٤ .

بثبوت هذه الرسالة وعمومها وشمولها لجميع الثقلين ، وصلاحها لكل زمان ومكان إلى قيام الساعة ، ولله الفضل والمنة وله الحمد والشكر ، قال سبحانه وتعالى في كتابه العزيز : ﴿ قَدْ جَاءَكُم بَصَائِرُ مِن رَّبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ ﴿١٠٤﴾ ﴾[1] ، وقال سبحانه وتعالى : ﴿ وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ ﴾[2]، ومن خلال الاستعراض السابق نكون قد بينا لأولئك الغافلين الجاحدين الحق وأخرسناهم بالحجج والبراهين القاطعة الدالة على أن القرآن كلام رب العالمين ، الذي خلق الخلق ، العليم بهم المهيمن على هذا الكون ، الذي لا يحول ولا يزول ولا يبدل القول لديه ، وبالتالي لا يمكن أن يوجه نقد أو نقص أو قصور أو عدم صلاحية إلى قوله سبحانه وتعالى ، والذي ينتج عنه – بداهة – صلاح هذا الدين لكل زمان ومكان لصلاحه للخلق جميعًا ، والخلق وفيهم الإنس والجن في قبضته سبحانه وتعالى وهو الرحيم بهم المتفضل عليهم الذي يحب لهم الخير والفلاح ، لا يمكن أن يتصور عقل بشري سليم أن يرسل إليهم ما فيه مطعن ، سواء من حيث الشمول أو الصلاحية أو الثبات ، وبهذا نكون قد رددنا على صاحب كل شبهة بما لدينا من أدلة وحجج من كتاب ربنا العزيز وسنة نبينا المطهرة ثم ما استنبطه علماء الأمة الكرام الذين منحهم الله الثقة في الدين والحكمة والعلم الواسع ، وعلى الداعية المسلم أن يطلع على الشبهات التي وجهت للإسلام قديمًا وحديثًا ، فقد رد علماء الأمة عليها ، ويجدها في كثير من الكتب التي عنيت بهذا الموضوع .

○ *ثالثًا : الرد على ما أثير حول ذلك من أعداء الدين :*

إن المتابع لشتى أنواع الحملات التي يشنها أعداء الإسلام يجد أنها منذ بدأت وحتى هذا اليوم وفي المستقبل أيضًا لا تتعدى كونها حقدًا دفينًا ، ومحاولات يائسة لطمس الحقيقة وإطفاء النور الذي جاء من رب العالمين للناس أجمعين ، النور الذي يضيء للبشرية طريقها إلى خالقها ومولاها جل وعلا ، فلو نظرنا إلى اليهود – وهم أصحاب ديانة سماوية – نجدهم في قرارة أنفسهم خاصة ما كان منهم مطلع على أصول التوراة يعلم يقينًا أن هذا الدين حق، وأن رسول الله موسى عليه السلام أخبر عن نبوة محمد ﷺ ، وأن الحق

---

(١) الأنعام آية : ١٠٤ .

(٢) سورة الكهف الآية : ٢٩ .

الذي جاء به موسى والتوحيد الذي أمر به قومه ودعاهم إليه هو : ما جاء به خاتم المرسلين سيدنا محمد ﷺ . كذلك قوم عيسى المسيح عليه السلام – النصارى – يعرفون ذلك ، لأن عيسى بشَّر بمقدم سيدنا محمد ﷺ ، وبالتالي فهم يدركون أن الذي جاء به هو من عند الله تعالى ، ولكن كما قلت : أغمضوا عيونهم عن هذا النور ، وأغلقوا أسماعهم عن هذا الهدى ، لا بل أخذوا يوجهون إليه الشبهات والشكوك ليصرفوا الناس عنه . ولما كانت حقيقة هذا الدين واضحة للناس جميعًا ، لأنه دين الفطرة أصبح الأمر سهلًا لدى دعاة الإسلام في التصدي لتلك الشبهات ، والرد على أصحابها بالمنطق السليم والأدلة المتقنة ، ذلك لأن تلك الأباطيل ليست ذات أساس ؛ بل مجرد افتراءات وتهم ، بل محاولات للنيل من دين الله الذي ارتضاه لعباده جميعًا . ﴿ وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَـٰمَ دِينًا ﴾ الآية .

من أجل ذلك أقول لدعاة الإسلام : لا بد من متابعة ورصد جميع الحملات التي توجه للنيل من الإسلام ، ليكون الرد عليها حاسمًا وقويًّا كي لا تأخذ بعدًا لدى المتلقين عندما يسكت دعاة الحق عن الحق وعن دحض تلك الافتراءات ، وإبطال جميع الشبهات التي تبدو للسامع لأول وهلة أنها حقائق ، وذلك عندما يفسر أولئك الأعداء بعض الآيات والأحاديث حسب أهوائهم وتوجهاتهم وفهمهم السقيم ، ويدندنون على ذلك بأن هذا ما هو موجود في القرآن والسنة مصدري هذا الدين ، وأنهم لم يأتوا بشيء من عندهم ؛ بل هو ما وجد في دستورهم ، وهذه تكون مقبولة لدى من لا يعرف حقيقة هذا الدين من غير المسلمين ، ومن يجهل أصول الإسلام وقواعده الأساسية من أبناء المسلمين . ومن فضل الله سبحانه وتعالى ورحمته بهذه الأمة أن جعل لها دينًا متكاملًا ليس فيه مطعن لأحد ، لأنه خلاصة تجربة بشرية طويلة من خلال الأديان السماوية التي اتفقت جميعها على (التوحيد) الذي هو : إفراد الله بالعبادة ، واختلفت أو تباينت في التشريعات المتعلقة بتنظيم علاقات الناس بعضهم ببعض ، وشكل العبادات وتنوعها ، وكملت هذه المنظومة المباركة بهذا الدين – دين الإسلام – الصالح لكل زمان ، ومكان ليس بقولنا أو تقريرنا ؛ بل بقول الذي يعلم السر وأخفى جلت عظمته وتقدست أسماؤه سبحانه وتعالى ، وليس للبشر مقالة أبدًا بعد القول الفصل من لدن العليم الخبير ﴿ وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَـٰمَ دِينًا ﴾ وختم الرسالات برسالة محمد ﷺ يعني : أن هذه الرسالة كاملة شاملة صالحة تامة حتى يرث الله الأرض ومن عليها ، فإنه ليس من العدل أن تكون رسالة خاتمة ويعتريها النقص

والتناقض أو العجز عن توفير احتياجات البشر على طول تاريخ البشرية . لذا لا بد لدعاة الإسلام أن يقفوا على آراء المنصفين من أمم الأرض غير المسلمة في الدين الإسلامي وشرائعه ليردوا بها على تلك الشبهات والافتراءات التي تثار بين الحين والآخر . لأن أولئك الرجال وقفوا على حقيقة هذا الدين ، وعرفوا مصداقية ما جاء به وسدها لحاجة الإنسان ، لأنها من الخالق سبحانه وتعالى ، إضافة إلى استعراض حالة البشرية في ظل الأنظمة والقوانين البشرية ، وما آل إليه حال هذا الإنسان في ظلها من قهر وظلم وسلب لحريته وحقوقه ، سواء كان ذلك في ظل الإمبراطوريات التي قامت وزالت ، أو في ظل الأنظمة التي قامت بعد عصور الظلام في أوروبا حتى اليوم ، والتي بالرغم من إعادة النظر فيها بين الحين والآخر لم تحقق للإنسان ما يريد ، لأنها من نتاج هذا الإنسان الضعيف الذي لا يرتقي فكره بحال من الأحوال إلى أن يصنع ما يكفل لهذه الإنسانية حقها على طول تاريخها واختلاف أماكنها وثقافاتها ومجتمعاتها ومكونات تلك المجتمعات ، وحتى تصل الرسالة واضحة وبسرعة لا بد من إقامة شبكة إعلامية عالمية تقوم عليها نخبة جيدة من أبناء المسلمين العالمين ، العاملين لنشر هذا الدين والدفاع عنه بالوسيلة المسموعة والمقروءة والمرئية ، وبمختلف لغات العالم ، وهذا الأمر ليس عسيرًا ، بل قائم ومتوفر ومستخدم لنشر الأباطيل ضد الإسلام والأكاذيب ضد المسلمين . لأن الأدلة التي يحتاج إليها الداعية المفند لشبهات الأعداء وأباطيلهم والرد عليها في متناول الجميع حيث كتاب الله وسنة نبيه المطهرة ، والذي أراه في قضية صلاحية هذا الدين لكل زمان ومكان ، والرد على الشبهات التي أثيرت حول هذا : إبراز الآيات القرآنية المؤكدة على عموم هذه الرسالة وأنها للناس كافة ، وسأجمل هذا الرأي في النقاط التالية :

(١) الأصل في هذا الدين هو : تحقيق الإيمان بما جاء به خاتم الأنبياء والمرسلين محمد بن عبد الله ﷺ ، وأنه عليه الصلاة والسلام : رسول الله للخلق جميعًا إنسهم وجنهم ، عربيهم وعجميهم ، كتابيهم ومجوسيهم ، رؤسائهم ومرءوسيهم ، ذكرهم وأنثاهم ، صغيرهم وكبيرهم ، وأنه لا طريق يوصل إلى الله عز وجل إلا باتباع هذا النبي ظاهرًا وباطنًا ، حتى إن رسولي رب العالمين سبحانه وتعالى موسى وعيسى لو أدركاه ، وكذلك غيرهما من الأنبياء وجب عليهم اتباعه ﷺ ، كما قال رب العزة والجلال في كتابه العزيز : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ

﴿وَلَتَنصُرُنَّهُۥ قَالَ ءَأَقۡرَرۡتُمۡ وَأَخَذۡتُمۡ عَلَىٰ ذَٰلِكُمۡ إِصۡرِيۖ قَالُوٓاْ أَقۡرَرۡنَاۚ قَالَ فَٱشۡهَدُواْ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ۝٨١ فَمَن تَوَلَّىٰ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ۝٨٢﴾[1] هذا كلام رب العالمين سبحانه وتعالى الذي خلق موسى وعيسى ومحمدًا ، بل وجميع المخلوقات ، وفي الحديث الذي أخرجه الإمام أحمد في مسنده قال رسول الله ﷺ : « **لو كان موسى حيًّا بين أظهركم ما حل له إلا أن يتبعني** »[2] قال ابن عباس رضي الله عنهما : (ما بعث الله نبيًّا إلا أخذ عليه الميثاق لئن بعث الله محمدًا وهم أحياء ليؤمنن به ولينصرنه ، وأمره أن يأخذ على أمته الميثاق لئن بُعِث محمد وهم أحياء ليؤمنن به ولينصرنه) .

(٢) المخالفون لعموم رسالة النبي ﷺ قسمان :

القسم الأول : المؤمنون بأنه مرسل من عند الله والقائلون بأن رسالته خاصة بالعرب .

القسم الثاني : المنكرون للرسالة جملة وتفصيلًا .

فالقسم الأول المعترف له بالرسالة ﷺ يلزمه أن يصدقه في كل ما جاء به عن الله سبحانه وتعالى ، ومن ذلك عموم رسالته ونسخها للشرائع قبلها ، فقد وضح القرآن الكريم كلام رب العالمين أنه ﷺ رسولٌ إلى الناس أجمعين ، والرسول ﷺ أرسل الرسل وبعث الكتب إلى ملوك وسلاطين العالم يدعوهم إلى الإسلام ، فكونه يؤمن برسول ولا يصدقه في جميع ما جاء به فهذا تناقض واضح ومكابرة وحيدة عن الحق والصواب وعدم مصداقية .

أما أهل القسم الثاني المنكرون لرسالة محمد ﷺ مطلقًا فقد قام البرهان القاطع على صدق رسالته ﷺ ولا تزال المعجزات القرآنية تتحدى الإنس والجن .

* * *

---

(١) سورة آل عمران آية : ٨١ ، ٨٢ .

(٢) مسند أحمد جـ٣ ص٣٣٨ .

المبحث الخامس : وسطيتها وملاءمتها للفطرة الإنسانية

ومن خصائص دعوة الإسلام : وسطيتها وملاءمتها للفطرة الإنسانية ، والوسطية من وسط : وسط الشيء أي : ما بين طرفيه ، ويأتي الوسط صفة ، وإن كان أصله أن يكون اسمًا من جهة أن أوسط الشيء أفضله وضياؤه كوسط المرعى خير من طرفيه ، في الأثر : (خيار الأمور أوساطها) ، فلما كان وسط الشيء أفضله وأعدله جاز أن يقع صفة ، قال تعالى : ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾[1] هذا ما أورده ابن منظور في لسان العرب[2]. يقول ابن كثير رحمه الله تعالى عند تفسيره لهذه الآية الكريمة: « الوسط هنا : الخيار والأجود كما يقال : قريش أوسط العرب نسبًا ودارًا ، أي خيرها ، وكان رسول الله ﷺ وسطًا في قومه أي أشرفهم نسبًا ، ومنه الصلاة الوسطى التي هي أفضل الصلوات وهي : العصر ، ولما جعل الله هذه الأمة وسطًا خصها بأكمل الشرائع وأقوم المناهج وأوضح المذاهب كما قال تعالى : ﴿ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِي هَٰذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ ﴾[3] وقال الإمام أحمد : حدثنا وكيع عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي سعيد قال : قال رسول الله ﷺ : **« يدعى نوح يوم القيامة فيقال له: هل بلغت؟ فيقول: نعم ، فيدعى قومه فيقال لهم : هل بلغكم ؟ فيقولون : ما أتانا من نذير وما أتانا من أحد ، فيقال لنوح : من يشهد لك؟ فيقول: محمد وأمته»** قال: **«فذلك قوله:** ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ »

---

(١) البقرة : ١٤٣ .

(٢) لسان العرب لابن منظور ص٤٢٨ جـ٧ .

(٣) الحج : آية ٧٨ .

قال : « **الوسط : العدل ، فتدعون فتشهدون له بالبلاغ ثم أشهد عليكم** » رواه البخاري ، والترمذي والنسائي ، وابن ماجه[1].

ويقول صاحب الظلال رحمه الله تعالى : « وأنها للأمة الوسط بكل معاني الوسط ، سواء من الوساطة بمعنى الحسن والفضل ، أو من الوسط بمعنى الاعتدال والقصد ، أو من الوسط بمعناه المادي الحسي ، أمة وسطًا في التصور والاعتقاد لا تغلو في التجرد الروحي ، ولا في الارتكاس المادي ، إنما تتبع الفطرة الممثلة في روح متلبسة بجسد ، أو جسد تتلبس به روح ، وتعطي هذا الكيان المزدوج الطاقات حقه المتكامل من كل زاد ، وتعمل لترقية الحياة ورفعها في الوقت الذي تعمل فيه على حفظ الحياة وامتدادها ، وتطلق كل نشاط في عالم الأشواق وعالم النوازع بلا تفريط ولا إفراط في قصد وتناسق واعتدال ، أمة وسطًا في التفكير والشعور لا تجمد على ما علمت وتغلق منافذ التجربة والمعرفة ، ولا تتبع كذلك كل ناعق وتقلد تقليد القردة المضحك إنما تستمسك بما لديها من تصورات ومناهج وأصول ، ثم تنظر في كل نتاجٍ للفكر والتجريب ، وشعارها الدائم : الحقيقة ضالة المؤمن أنى وجدها أخذها في تثبت ويقين »[2].

ومن خلال ما عرض من تفسير لهذه الآية يمكن أن توضح هذه الوسطية في النقاط التالية :

أولًا: أمة وسطًا ورسالة وسطًا في الزمان، وذلك لأنها أنهت عهدًا مر على البشرية من قبلها ، يمكن أن نقول عنه عهد بداية ثم تقوم على عهد جديد هو عهد الرشد العقلي وتقف لتزيح وتزيل عن البشرية ما علق بها من أوهام وخرافات من عهدها السابق ، وتحميها عن الفتنة بما لديها من هدى ورشاد، وهو مكان هذه الدعوة الطبيعي بالرغم مما لحق بأمة الإسلام من وهن وضعف بسبب بعدها عن منهجها الأصيل ، وتقاعسها عن دورها الرائد الذي اختاره المولى جل وعلا لها فهداها، ومنهجها موافق للفطرة البشرية، لأنه من لدن خالق البشر العليم الخبير سبحانه وتعالى الذي ارتضى هذا الدين لعباده .

ثانيًا : وهي صالحة لأنها تنفرد بخاصية التوسط المكاني ، وذلك لأنها في أوسط بقاعها، نعم حيث مكة المكرمة التي انبثق منها النور، وانطلقت منها هذه الدعوة المباركة لتبدد ذلك

---

(١) تفسير ابن كثير كتاب الشعب جـ١ ص٢٧٥.

(٢) في ظلال القرآن لسيد قطب جـ١ ص١٣١ دار الشروق بتصرف .

الظلام الذي كان جاثمًا على تلك البقاع وما حولها ؛ بل على العالم بأسره حيث الظلم والجور واستعباد الإنسان للإنسان ، وحكم الطواغيت والهوى وتفشي القهر والعدوان ، وكل سلوك ذميم لغياب الدين عن حياة العباد ، فمكة في سرة الأرض كما هو معلوم ، وهذه الأمة ما زالت تتوسط أقطار الأرض ، وهي بموقعها هذا تشهد الناس جميعًا ، وبالتالي تشهد عليهم جميعًا، فهي تتحكم في الحركة بين أطراف العالم كما هو معروف ولله الحمد والمنة ، وهذه الخاصية لها أثرها الفعال في قيام الأمة على أمر الدعوة وتبليغها للناس جميعًا » .

وهكذا تجتمع الوسطية في الزمان والمكان بأمر الله،، ومتى يأتي أمر الله لتظل هذه الأمة حامية وداعية لهذا الدين القويم ، وشاهدة على الناس أجمعين بموقعها وشموله للبعدين الزماني والمكاني ، الأمر الذي لم يتوفر لأمة من الأمم على الإطلاق .

ثالثًا : أنها دعوة تهتم بالفرد والجماعة ، الفرد حيث تتيح له الفرصة للعطاء والإبداع والانطلاق إلى آفاق أرحب ، وتفجير المواهب الذاتية في تحقيق المصالح الاجتماعية ، فهي تخدم العقل وتعمل على تنشيطه لينتج خيرًا وبذلًا للمجتمع ، وبذلك تتفجر الطاقات الهائلة الكامنة في هذا الإنسان ، والتي أودعها الخالق سبحانه وتعالى لتتم عمارة الأرض ، والاستفادة مما فيها من خيرات وكنوز في برها وبحرها وجوها ، وفي الوقت نفسه لا تسمح لهذا الفرد بالتمرد والطاغوتية من خلال سيطرة الأنا عليه ؛ بل تضبطه بضابط الأخوة والتعاون والسعي لتحقيق المصلحة المشتركة من خلال هذه التركيبة البشرية ، سواء ما كان منها في نطاق الأسرة أو المجتمع الصغير أو الكبير أو الأمة، لتستثمر الأمة طاقاتها.فيما يعود عليها بالنفع والخير من خلال أفرادها القادرين المبدعين وتعاون بعضهم مع البعض الآخر .

رابعًا: هذه الدعوة جاءت لخير الإنسان وسعادته من حيث الاعتقاد، وربطته بالواحد الأحد الرب الخالق وحررته من تبعية الشيطان بأنواعها : عبادة الأحجار أو الأشجار أو الذوات أو الكواكب ، وهو تشريف وتبجيل للإنسان ، ومن حيث التشريع حيث أكمل وأعدل وأشمل الشرائع التي كفلت للإنسان حقه في الوجود ، وحقه في جميع ما يريد من خيرات الدنيا وكنوزها وفق ضوابط محددة حيث « أحل الله البيع وحرم الربا » ، وحيث الصدق في التعامل والبعد عن الغش بكل صوره وأنواعه ، وحيث البحث الدءوب عن الرزق في أرض الله ليكون هذا الإنسان عاملًا على توفير احتياجاته واحتياجات من يعول بالطرق الحلال ، وبدون تدخل في أرزاق الناس وأقواتهم وكدهم ومجهودهم إلا في حدود

المفروض من الزكاة المعلومة حين تتوفر شروط الأداء، الكل في ظل هذا التشريع حر في بذل أقصى الجهد ليحصل على المال من طرقه المشروعة، وينفقه كيف يشاء وفق الهدى المنزل الموافق لفطرة الإنسان حيث لا إسراف ولا تقتير - هذا في مجال الكسب والمال.

أما في بقية المجالات الحياتية من حيث علاقته مع ربه ونفسه وأسرته وأهله وإخوانه وأقاربه ومجتمعه والناس جميعًا مؤمنهم وكافرهم؛ فإنه نظم تلك العلاقات على أحسن وأشمل وأضبط ما يكون التنظيم، ولا غرابة في ذلك فهو تشريع إلٰهي حكيم، فدعى إلى التراحم والمحبة والتعاون والتكافل والبذل والعطاء وتحسس حاجات الإخوان من المرضى والمعوزين والأيتام والأرامل والمنكوبين والمتضررين، وأكد على البر والصلة وتقوية أواصر القربى والأقرباء والأهل والأرحام، إنه نظام وتشريع متكامل يكفل مصالح الجميع وفق هدي إلٰهي قويم عادل شامل لجميع ما يتعلق بهذا الإنسان في صحته ومرضه، وإقامته وسفره، وفقره وغناه، وشيخوخته وشبابه، وفي جميع مراحل حياته وتطور أحواله بلا إفراط أو تفريط بوسطية موافقة لهذه الخلقة التي أبدع المولى فيها، فكانت على أحسن تقويم في كل جانب من جوانب هذا الإنسان، آية من آيات الله تعالى: في الحواس، في تركيب هذا الجسم، في إيداعه الروح والعقل، والاستعدادات المتنوعة والرغبات المتعددة، والآمال والآلام، والمرض والصحة، والشقاء والسعادة، وكل ميسر لما خلق له ولا يظلم ربك أحدًا.

خامسًا: الإنسان بفطرته يتوق إلى العدل والإنصاف، ويرفض الجور والظلم، وهذه الدعوة هي عدل في أحد معانيها؛ جاءت لتقيم العدل بين الناس؛ قال تعالى في كتابه العزيز: ﴿ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ﴾[1]، ويقول جل وعلا في سورة النساء: ﴿ وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُوا۟ بِٱلْعَدْلِ ﴾[2]، وفي الحديث القدسي: «**يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرمًا فلا تظالموا**»؛ وهكذا يؤكد الكتاب العزيز وتؤكد السنة المطهرة على العدل والبعد عن الظلم، كي توافق تصرفات هذا المخلوق طبيعته وفطرته التي فطره الخالق سبحانه وتعالى عليها، فطرة سوية لا عوج فيها ولا خلل - كذلك بقية صفات الخير وسلوكيات الاعتدال، سواء في جميع ما يصدر من هذا الإنسان مع نفسه أو غيره من العباد، وبهذه الخصائص الموافقة لفطرة الإنسان ساد هذا الدين وكتب له البقاء بإذن الله المهيمن القادر.

---

(١) المائدة: ٨.

(٢) النساء: ٥٨.

الفصل السادس
أهم ميادين الدعوة الإسلامية

○ المبحث الأول : المسجد ودوره في تبليغ الدعوة .
○ المبحث الثاني : المدرسة وأهميتها في الدعوة والتربية .
○ المبحث الثالث : وسائل الإعلام المختلفة .
○ المبحث الرابع : التجمعات كالجماعة والجمعة والعيدين والحج .
○ المبحث الخامس : المناسبات العامة كالمؤتمرات والتجمعات الشبابية والولائم والحفلات .
○ المبحث السادس : الجهاد في سبيل الله . وبيان أنواعه . وإبراز فعاليته لجماعة الدعوة . مواجهة الشر في بعض أطواره . دفع الافتراءات حوله .

* * *

○ أهم ميادين الدعوة الإسلامية ○

الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى من أجلّ الأعمال وأكرمها ؛ لأن هذه الأمة نالت هذا الشرف من رب العزة والجلال ، لأنها خير أمة أخرجت للناس، ولأن رسالتها هي خاتمة الرسالات ، ودينها الذي ارتضاه الحق تبارك وتعالى للناس كافة هو : الدين الصالح لكل زمان ومكان ، المحقق للإنسان إنسانيته ، الحافظ له كرامته وحقوقه ، والذي حفظ هذا الإنسان وحماه من أوحال الشرك وحرره من العبودية والاسترقاق ، وسيطرة الأقوياء وبطش الجبابرة في هذه الأرض الذين لا يهتمون إلا بأنفسهم ، وما يتعلق بهم شخصيًّا وما يضمن لهم العيش في أحضان الترف والمجون والسيطرة والاستعلاء حتى لو كان ذلك على حساب لقمة العيش للآدميين ، أو على حساب حرياتهم وحقهم في الحياة والعيش . وباتساع مساحة هذه الدعوة وشمولها لجميع حاجات البشرية ، تتسع ميادينها لتشمل الحياة بأكملها ، الحياة التي يعيش فيها الإنسان في أي زمان وعلى أي أرض من العالم الواسع المعروفة : آسيا وأفريقيا وأوروبا بالنسبة للعالم القديم ، والأمريكتين وأستراليا والقارة القطبية في العالم الجديد على حد تسمية علماء الجغرافيا . ومن الجدير بالذكر أن جميع المؤسسات الاجتماعية على حسب مستوى أي مجتمع بشري : مدني أم قروي ، ريفي كان أم جبلي ، زراعي أو صناعي ، هي في الحقيقة : ميدان الدعوة الإسلامية ، لأن هذه الدعوة أتت لهذا الإنسان في أي بقعة في العالم ، لذا فالحديث عن هذه الميادين التي تضمنها هذا الفصل من الباب الأول من الكتاب ما هي إلا أمثلة رئيسة ، لأن المسجد بالنسبة للمسلمين له مكانته العظيمة ، أما بالنسبة إلى المدرسة فإنه يشترك في الاهتمام بها كل المجتمعات البشرية ، لأن المؤسسة تقدم هذه الخدمة المميزة للمجتمع الذي توجد فيه ، وعلى مختلف مستوياتها وتعدد مسمياتها ، والأغراض التي قامت من أجلها هذه المدرسة ، أما وسائل الإعلام والتي أصبحت تحظى بعناية واهتمام المجتمعات البشرية من شرق العالم وغربه في شماله وجنوبه ، والتي أصبحت تلعب دورها في تشكيل الاتجاهات لدى الناس ، والتأثير العظيم الذي لها على الرأي العام في أي مجتمع ، فإنها بجميع أنواعها ، وجميع مبتكراتها : ميدان كبير من

ميادين الدعوة لما لها من أثر على مجريات الأمور في المجتمعات الإنسانية ، ذلك لأنها تملك القدرة على إيصال المعلومات للمتعلمين بسرعة فائقة وسهولة خاصة بعد ظهور الترانزستور وتلاه عصر الفضاء حيث الأقمار الصناعية فالإعلام وسيلة هامة ومؤثرة جدًّا ، وبالتالي فهو ميدان فسيح من ميادين الدعوة الإسلامية في الحاضر والمستقبل ، حتى في الماضي بوسائله البدائية (عملية الاتصال) المعروفة لا تتم كما قلت في مقدمة هذا الكتاب إلا بتوفر العناصر الأربعة : الرسالة ، والمرسل ، والمستقبل ، والوسيلة ، وهي الفكرة التي بنيت عليها عنوان البحث هذا (قواعد الدعوة الإسلامية) .

أما المجتمعات والمناسبات الدينية كصلاة الجماعة والجمع والعيدين والحج والمؤتمرات الإسلامية واللقاءات الشبابية والولائم والحفلات ؛ فإنها بلا شك مجموعة من الميادين ، وفي الوقت نفسه مجموعة من الفرص الغالية التي يجب على دعاة الإسلام استثمارها والتحرك من خلالها للقيام بالدعوة إلى الله سبحانه وتعالى على بصيرة وبحكمة ، لأنه لا يخلو مجتمع من المجتمعات الإسلامية وغير المسلمة منها ، واستغلالها للدعوة إلى الله أمر مطلوب لاحتوائها على أعداد كبيرة من الناس ، ومعلوم لدى دعاة الإسلام الدور الذي تقوم به المناسبات الدينية في هذا المجال ، خاصة الصلوات المكتوبة في المسجد والجمعة والحج الذي يأتي إليه المسلمون من كل أصقاع الأرض عربيهم وأسودهم ، عجميهم وأبيضهم ، كل أفراد هذه الأمة الذين كتب لهم أداء هذا الركن من أركان الإسلام على مر العصور والأزمان حتى يرث الله الأرض ومن عليها ، على مختلف أشكالهم وألوانهم ، ولغاتهم وثقافاتهم وأوطانهم ، وهي كما قلت فرص ذهبية لا بد من استثمارها والاستفادة منها ، أما ميدان الجهاد فهو خاص بالمسلمين وهو وسيلة من وسائل الدعوة وميدان من ميادينها الفسيحة، لأنه شرع لإعلاء كلمة الله ونشر دين الإسلام بين عباد الله في أرض الله جميعًا .

هذه مقدمة للفصل لا بد منها وسأفصل ذلك في المباحث التالية :

* * *

المبحث الأول : المسجد في الإسلام ودوره في تبليغ الدعوة

من أهم المواضيع المطروحة في هذا الكتاب موضوع المسجد ، وذلك لما له من أهمية قصوى في حياة المسلم ودور كبير في إبلاغ هذا الدين وبيانه للمسلمين فهو من المواضيع الهامة جدًّا ، فتاريخ المسجد مرتبط ارتباطًا جذريًّا بدين الإسلام ذلك أن رب العزة والجلال يقول في محكم تنزيله : ﴿ وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾ ﴾[1] ، وأعتقد أن هذه المساحة القليلة من البحث لا تفي الموضوع حقه فعلى دعاة الإسلام والإخوة المطلعين على هذا الكتاب أن يراجعوا الكتب التي بحثت في موضوع المسجد ، وسأتناول هذا الموضوع باختصار شديد في المطالب التالية :

- **المطلب الأول : اهتمام الإسلام بالمسجد .**
- **المطلب الثاني : رسالة المسجد في الإسلام .**
- **المطلب الثالث : المسجد والدعوة إلى الله تعالى .**

وكما ذكرت سابقًا بأن موضوع المسجد يحتل مكانة عظيمة في هذا الدين ولدى جميع المسلمين ؛ لأنه مكان العبادة اليومية والصلوات الخمس ، وهي كما هو معروف بيوت الله تعالى ، وسأتناول بيان هذا في المطالب الثلاثة الآتية بعد الوقوف على المعنى اللغوي لكلمة (مسجد) .

❋ **المسجد لغة** : اسم مكان من سجدِ يسجد سجودًا على وزن مفعل كمجلس ، ومعنى سجد الرجل : أي : وضع جبهته على الأرض ، والمسجد هو

---

(١) سورة الجن الآية : ١٨ .

موضع السجود ، قال ابن منظور في اللسان : (المسجد والمسجد بفتح الجيم وكسرها : الذي يسجد فيه)[1].

* **والمسجد شرعًا** : كل موضع من الأرض يتعبد ويصلى فيه ، لقول الرسول ﷺ : « **وجعلت لي الأرض مسجدًا وطهورًا** »[2].

أما ما يتعلق بالمطالب الثلاثة فإليكموها مفصلة :

* * *

(١) لسان العرب لابن منظور جـ٢ ص٢٠٤ .

(٢) صحيح الإمام البخاري في كتاب التيمم .

المطلب الأول : اهتمام الإسلام بالمسجد

شأن المسجد في الإسلام عظيم ومكانته كبيرة ورد ذكره في كتاب الله العزيز ثمان وعشرين مرة : في سورة البقرة والمائدة والأعراف والأنفال والتوبة والإسراء والكهف والحج والجن . ففي سورة البقرة قال الله تعالى : ﴿ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ﴾[1]، وفي سورة التوبة قال الله تعالى : ﴿ لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ ﴾[2]، وقوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ﴾[3]، وفي السنة المطهرة قال رسول الله ﷺ : « **أحب البلاد إلى الله مساجدها وأبغض البلاد إلى الله أسواقها** »[4]، وفي الحديث المتفق عليه قال ﷺ : « **من بنى مسجدًا يبتغي به وجه الله بنى الله له مثله في الجنة** »[5]، ورسول الله ﷺ مع بداية الرسالة اتخذ من دار الأرقم بن أبي الأرقم مسجدًا له ولأصحابه رضي الله تعالى عنهم ، وعند وصوله المدينة المنورة مهاجرًا كان أول عمل قام به بناء مسجد قباء وما أن حطت رحاله داخل المدينة إلا وبدأ في إقامة مسجده الشريف كما هو معلوم لدى المسلمين ، وهذا يدل دلالة واضحة على أهمية المسجد واهتمام الرسول ﷺ به والمتمثل بداية في مشاركته الفعلية في البناء حيث كان ﷺ يحمل مواد البناء مع أصحابه الكرام رضوان الله عليهم جميعًا . والمسجد في حياة رسول الله ﷺ هو مكان العبادة والعلم والتعليم والقيادة والحكم والتوجيه بل والضيافة .

---

(١) سورة البقرة الآية : ١٤٤ .

(٢) سورة التوبة الآية : ١٠٨ .

(٣) سورة التوبة الآية : ١٨ .

(٤) صحيح مسلم كتاب المساجد .

(٥) متفق عليه .

وما ورود ذكر المسجد في كتاب الله العزيز بهذا العدد إلا دليل واضح على أهمية هذا المكان في دين الإسلام ودوره البارز والهام في حياة أمة الإسلام . لذلك يمكن القول بأن الإسلام اهتم بالمسجد أيما اهتمام من خلال حثه المسلمين على بناء المساجد وعمارتها والاهتمام بها حسًّا ومعنًى ، ويتضح من ذلك مدى عظيم الأجر الذي أعد لمن بنى مسجدًا ، وأن بناء المساجد من علامات الإيمان كما ورد في سورة التوبة ، وهذا الاهتمام أيضًا يترجم بكل وضوح عن ذلك الدور الكبير الذي يقوم به هذا الكيان (المسجد) في حياة المسلمين حيث يلتقون فيه خمس مرات في اليوم والليلة حتى إن رسول الله ﷺ بين أن من السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله ذلك الرجل الذي تعلق قلبه بالمساجد ، ويعني هذا شدة حبه لها وتعلقه الشديد بها وملازمته الجماعة ، وهذا شاهد من الشواهد الكثيرة التي توضح مدى اهتمام الإسلام بالمسجد ، والمسلم لا يمكن أن يستغني عن المسجد ؛ لأنه يؤدي فيه الركن الثاني من أركان الإسلام يوميًّا وأداء هذا الركن يلزم وجود مكان لهذه العبادة ، ومكان العبادة في دين الإسلام : المسجد ، لذا نجد رسول الله ﷺ يرغب كثيرًا في بناء وإقامة المساجد ، والاهتمام بها من جميع الجوانب ، كذلك صحابته من بعده حتى درجت الأمة على هذا ، وستظل حتى يرث الله الأرض ومن عليها ، ذلك تأكيدًا على أهمية هذا المكان الطاهر في نفوسهم انطلاقًا من توجيهات شريعتهم الغراء .

والرسول الكريم عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم في غزواته ما أن يحل في مكان إلا وأقام فيه لله بيتًا ، حتى داخل البيوت وجه ﷺ أمته إلى إقامة المساجد فيها ؛ لأداء الصلاة لأهل البيت من النساء ، والنوافل للرجال حيث أفضليتها .

« **لا تجعلوا بيوتكم قبورًا** » الحديث .

وأرجو أن تكون هذه الإطلالة واضحة ومفيدة في بيان اهتمام الإسلام بالمسجد ، ومن أراد المزيد عليه مطالعة البحوث الخاصة بالمساجد .

* * *

المطلب الثاني : رسالة المسجد في الإسلام

لو لم يكن للمسجد إلا أداء الصلوات الخمس لكفاه فخرًا وعزًّا ومكانة لدى المسلمين ، لكنه ومن خلال بيان تلك الرسالة التي قام وما زال يقوم بها ، يتضح لنا أنه مكان العبادة وغيرها مما يتعلق بحياة المسلم وحاجات الأمة المسلمة ، فلو رجعنا إلى رسالة المسجد في عهد الرسول ﷺ التي يقوم بها ويؤديها لأمة الإسلام لوجدناها متعددة الجوانب متنوعة الأغراض ، حيث يمثل المقر الدائم لرسول الله ﷺ لإدارة أمور الأمة ، فهو كما هو معلوم مكان الصلاة ، ومكان التعليم ، ومكان الفصل بين الناس ، ومكان القيادة الحربية ، ومكان استقبال الوفود ، ومكان التقاء المسلمين إما لأداء الصلاة ، أو لتلقي العلم من رسول الله ﷺ ، وهكذا نجد عددًا من الأدوار يقوم بها المسجد على عهد رسول الله ﷺ ومن بعده الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم مما يؤكد على عظم الرسالة التي يقوم بها ، ذلك لأن حياة المسلم لله رب العالمين والمساجد بيوت الله منها الانطلاقة الحقيقية لعمارة الأرض وفق منهج الخالق الرازق المهيمن على هذا الكون ومن فيه .

وليس معنى هذا أن أولئك الكرام كانوا ملازمين المسجد لا يغادرونه، بل كانوا يقومون بأعمالهم حسب الكيفية التي تعلموها في المساجد، ويؤدون المهام التي أناطها بهم ولاة الأمر على أكمل وجه؛ لأنهم انطلقوا من خير منطلق من المسجد الذي تعلموا فيه كيف يكون العطاء والفداء ، والضرب في الأرض لكسب المال الحلال وفق هدي رسول الله ﷺ ، هذه رسالة المسجد في الإسلام ، كعبة العلم وإعداد الرجال للقيام بجميع تكاليف الحياة كما يحب الرب جل وعلا ويرضى . لقد كان ارتباط الأمة في بداية تكوين الدولة الإسلامية على يد رسول الله ﷺ كليًا به ؛ لأنه المكان الوحيد الذي

أتيح لها ؛ كي ترتب نفسها وتستعد للقيام بمهام هذا الدين من خلال ما تلقته من هدي السماء ، آيات بينات نزل بها الروح الأمين جبريل عليه السلام على رسول رب العالمين الرحمة المهداة محمد بن عبد الله ﷺ . كان المسجد المكان الذي يعد فيه الرجال لحمل تلك المهام الجسام المتمثلة في تلقي العلم الشرعي وتطبيقه عملًا يوميًّا من خلال الفرائض وحياة معاشة من خلال تعامل الفرد مع غيره أو مع الجماعة، ثم إبلاغه هذه الدعوة للآخرين ، بل وحملها إليهم من خلال الوصول إليهم في مضاربهم وفي جهاتهم المتعددة ، سواء ما كان منهم قرب المدينة أو بعيدًا عنها في حدود الجزيرة العربية ثم انطلاقة الدعوة إلى خارج جزيرة العرب للناس كافة من خلال الانطلاقة المرحلية للدعوة الإسلامية بعد ما ثبتت في مهدها الأول – مكة المكرمة والمدينة المنورة – ثم بقية أجزاء الجزيرة العربية كما هو معروف لدى دعاة الإسلام . كما كان المسجد الجامعة الإسلامية الكبيرة التي تخرج منها ذلك العدد الكبير من علماء الأمة وفقهائها من صحابة رسول الله ﷺ ومن بعدهم من التابعين وتابعيهم ، وكان المسجد همزة الوصل بين المسلمين يرسخون من خلاله مفهوم الأخوة الإسلامية ، من خلال تكاتفهم وتعاونهم على البر والتقوى وتآخيهم في الله وحرصهم على المصلحة المشتركة ، وهي تقوية أواصر القربى بينهم حيث كانوا قبل الإسلام أعداء فألف الله سبحانه وتعالى بينهم ، وجعلهم إخوة متحابين متآلفين يحب أحدهم لأخيه ما يحب لنفسه حتى بلغ بهم الحال أن يتنازل الأنصاري لأخيه المهاجر عن بعض ماله وما يملك ، ليعيش معه في إخاء حقيقي منبثق من هدي هذا الدين العظيم .

هذه هي رسالة المسجد باختصار .



المطلب الثالث : المسجد والدعوة إلى الله

إن مكانة المسجد في الإسلام تنبع من كونه مكان عبادة وهداية وعلم وخير وصلاح ؛ لأن العبد فيه بين أمرين : إما قيامه بفريضة مكتوبة عليه وما يتبعها من نوافل ، أو علم يستفيد منه في دنياه وآخرته ، ومن خلال طلبه للعلم يكون نفسه كي يقوم بما من أجله خلق خير قيام ، وبالتالي يكتنز لنفسه حسنات هو في أمس الحاجة إليها بعد أن هداه الرب جل وعلا للإسلام ووفقه للقيام بالواجبات ؛ كي يرتفع بها في الجنة درجات ؛ لأن مقام العبد عند ربه حسب ما تضمنه كتابه من أعمال ، والله يضاعف لمن يشاء .

مما سبق يمكن أن نستنتج علاقة المسجد بالدعوة إلى الله عز وجل ، في الأصل هو بيت الله حيث تهفوا إليه العباد لأداء الصلاة المكتوبة سويًا حيث جماعة المسلمين ، ومن خلال هذا الاجتماع وهذا اللقاء المتكرر في اليوم خمس مرات تحصل منافع كثيرة لدعوة الإسلام ابتداء من :

(١) الحصول على العلم وطلبه للقيام بالواجب خير قيام .

(٢) التقاء المسلمين خمس مرات في اليوم الواحد وما ينتج عن هذا اللقاء من إخاء وصلة وروابط قوية .

(٣) البلاغ عن هذا الدين لمن يأتي إلى المسجد من خلال العلماء المحدثين .

(٤) تعليم القرآن الكريم والحديث الشريف لمرتاديه .

(٥) إعداد الدعاة الذين يحملون هذه الدعوة للناس كافة ، وبهذا تستمر الحلقات تواصلًا إلى سيدنا رسول الله ﷺ الذي بدأ دعوته وفسر دينه من المسجد ، بل أقام دولة الإسلام بين جنبات المسجد . ونستطيع أن نفصل في هذه النقاط الخمس من خلال السطور التالية :

فالحصول على العلم وطلبه من الأمور المفروضة على المسلمين ؛ كي يعرفوا كيف يعبدون ربهم ويقومون بواجباتهم نحو أنفسهم وأهليهم وذويهم وإخوانهم المسلمين ودينهم ، إذ كل جانب من هذه الجوانب يجب على كل مسلم أن يعرفه ويقوم بأدائه امتثالًا لأمر الله عز وجل . ومن خلال هذا التحصيل يحصل العمل في الدعوة إلى هذا الدين على بصيرة ، اعتمادًا على ما حصل عليه علم شرعي يوصل العبد إلى خالقه ومولاه جل وعلا ويحميه من عذابه ويقيه غضبه ؛ لأنه قام بما فرض عليه ، وبالتالي يحصل له القبول وتكون المغفرة ويكون الرضوان ؛ لأنه قام بواجباته خير قيام ، أما ما يتم بين أفراد هذه الأمة من التقاء ، فإنه يثمر إخاءً وحبًّا وتقاربًا وترجمة حقيقية للأخوة الإسلامية التي جمعت بين البشر على مختلف أجناسهم وألوانهم ولغاتهم وبيئاتهم بنعمة الله إخوانًا ، قال سبحانه وتعالى في كتابه العزيز : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ ولا شك في أن هذا التلاحم اليومي يولد الكثير من الخير والفلاح لأفراد هذه الأمة ، وبالتالي ينعكس على علاقة أفراد الأمة . فالمسلم عندما يلتقي بأخيه المسلم خمس مرات يوميًا ، لا شك أن هذا اللقاء يكون له أطيب الأثر على العلاقات الفردية ، وبالتالي الجماعية ، فإذا ما تعرض الواحد منهم لنائبة من نوائب الدهر وجد بجواره من يقوم بمساعدته وبمعاونته وتقديم ما يحتاجه من خدمة ؛ لأنه يحس بذلك الرابط الذي يربطه بأخيه وهو رابط الدين والعقيدة الإسلامية ، ومن ثمرات هذا اللقاء اليومي تدارس الإخوة أحوالهم العامة وما تحقق من خير للدعوة وتقدم وانتشار ؛ لأنها بهم ترتقي حتى تصل إلى الآفاق البعيدة ليبلغ هذا الدين ما بلغ الليل والنهار من أرض الله سبحانه وتعالى ، وهي مسئولية هذه الأمة ، بل وشرفها الذي لا يرتقي إليه أي شرف ، وفي هذا التدارس وهذه المحاورة والمراجعة الخير الكثير للدعوة وللقائمين عليها ، لقد كان رسول الهدى ﷺ من المسجد يبعث البعوث ويرسل الوفود ؛ لنشر وإبلاغ هذا الدين ، ولعل في مقدمة تلك المنافع ما يحصل من إبلاغ للقادمين إلى المسجد حيث التعليم الديني والإجابة عن أي تساؤل في أمر الدين من قبل المصلين وتعريفهم بالأحكام الشرعية في كل أمر يسألون عنه فيحصل الخير ويتم لهم الفهم لهذا الدين من خلال السؤال والجواب ، وهكذا استمرت المنظومة المباركة في الدعوة لهذا الدين من خلال أهل العلم الذين يتواجدون دائمًا في هذا المكان لهذا الغرض قيامًا بالواجب . ويبرز جهد آخر لدعوة الإسلام في المسجد ، وهو الذي قال عنه الهادي البشير المنير ﷺ : « **خيركم من تعلم القرآن وعلمه** » نعم القرآن نور الله المبين وصراطه المستقيم

الذي ما ترك أي أمر من أمور هذا الدين إلا وبينه خير بيان ، فيه خبر من قبلنا ونبأ من بعدنا وحكم ما بيننا ، الجد ليس بالهزل ، جعل الله من تمسك به نجا ومن بعد عن هديه هلك ، وكان المسجد وما يزال المكان الأول لتعلم القرآن الكريم وتعليمه ، فمسألة تعلم القرآن الكريم وتعليمه مرتبطة بالمسجد ، وما زالت حتى الآن وستظل بإذن الله ، وهذا دور عظيم ، إذ يتم للمسجد فيه إبلاغ كلام الله سبحانه وتعالى لعباده فيعلمون ويعلّمون غيرهم ليستمر السند إلى رسول الله ﷺ تتوارثه الأمة جيلًا بعد جيل ويظل هذا الكتاب العظيم ماثلًا للعيان بحفظه في الصدور ، وذلك من خلال حفظ المولى جل وعلا وتكفله سبحانه وتعالى بذلك ، فله الفضل والمنة وله الثناء الحسن، فحامل القرآن علم يتحرك ونور ينير على جميع الدروب ؛ ليعمها الضياء والخير والفلاح ، فيه الهدى والنور يهدي به الله تلك القلوب التي مكثت طويلًا في رياض الشرك والكفر والشك وما أن أطلت أنوار هذا الكتاب العظيم إلا وتبدد ذلك الظلام إلى الأبد وعم النور تلك القلوب التي ضلت الطريق ردحًا من الزمن فعادت إلى خالقها سبحانه وتعالى - نور السماوات والأرض - جعلت عظمته تنعم بهذا الدين القويم وتسعد بالقرب من المنهل العذب ، ويأتي تمام العقد إعداد الرجال الذين يحملون هذا النور والخير ، دعاة الإسلام الذين ينهلون من النبع الصافي ، كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ لينشلوا أولئك الناس الذين تفرقت بهم السبل فضلوا الطريق وبعدوا عن الخير والفلاح ، سواء ما كان منهم من المتمسكين ببقايا الرسالات السابقة أو الوثنية الظالمة ، أولئك الذين عرفوا الحق لكنهم فسحوا المجال للشياطين فاجتالتهم فغرقوا في أمواج تيه الجاهلية الحديثة .

ومن خلال هذه العجالة تبين لنا الدور الكبير الذي يقوم به المسجد في مجال الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى والمهمة العظيمة التي أداها ومازال يؤديها لإبلاغ هذا الدين للناس أجمعين .

والجدير بالذكر في هذا المقام بيان دور الحرمين الشريفين في هذا المجال على طول تاريخ دعوة الإسلام وحتى اليوم ولله الحمد والفضل والمنة . هذان المسجدان اللذان قدما الكثير لدعوة الإسلام ، العلماء والدعاة إلى الله الذين جابوا جميع الديار شرقًا وغربًا وشمالًا وجنوبًا حاملين معهم الخير والهدى والنور ، واللذان تتلمذ فيهما ذلك العدد الضخم من علماء أمة محمد بن عبد الله ﷺ ودعاته فهما الأصل في هذه القضية حيث بيت الله المطهر ومسجد رسوله الكريم ﷺ ، مدرسة الإسلام الأولى .

المبحث الثاني : المدرسة وأهميتها في الدعوة والتربية

في هذا الجانب يمكن أن أطرح تجربة ذاتية من خلال عملي في التدريس والإدارة لأكثر من ثلاثين عامًا مع الاسترشاد بأقوال العلماء في هذا المجال على مختلف تخصصاتهم ، والذين كتبوا في هذا الموضوع للوصول إلى رؤية علمية واضحة من خلال العلم والتجربة ، وتاريخ المدرسة في حياة أمة الإسلام منذ المدرسة الأولى في المسجد النبوي الشريف ، حتى آخر ما توصل إليه العلم في هذا المجال ، وسأتناول الموضوع من خلال الزوايا التالية :

- **المطلب الأول : مكانة المدرسة في المجتمع .**
- **المطلب الثاني : المدرس الصالح ودوره في الدعوة إلى الله .**
- **المطلب الثالث : المنهج الديني ودوره في الدعوة إلى الله .**
- **المطلب الرابع : الإدارة المدرسية ودورها في الدعوة إلى الله .**

ومعلوم أن الناس في العصر الحاضر وفي السابق أيضًا وإلى حد ما هم نتاج ثلاثة روافد اجتماعية يتأثرون بها كثيرًا ، وتؤثر على مجريات حياتهم وسلوكهم ؛ بل نجدها ذات أثر على الجانب الديني والثقافي وطريقة التفكير والتحصيل العلمي وغيره ، وهذه الروافد أو المؤثرات الكبيرة هي : البيت والمدرسة والمجتمع، فالبيت حيث الأسرة، والمدرسة حيث المدرس والإداري والمنهج ، والمجتمع حيث البيئة بكل ما فيها من مؤسسات وعقائد وأنظمة وفكر ووسائل تأثير وتوجيه قديمها وحديثها ، والبحث يفرض أن أتحدث عن قناة واحدة من هذه القنوات الثلاث ، وهي عنوان هذا المبحث كما هو مبين أعلاه ، وسيكون تناول هذا الموضوع من خلال المطالب الأربعة المبينة أعلاه أيضًا .

المطلب الأول : مكانة المدرسة في المجتمع

إن للمدرسة كمكان للتربية والتعليم والتوجيه أثرًا كبيرًا جدًّا في إيضاح تعاليم الإسلام ، وفقه أحكامه والالتزام بتعاليمه من خلال الإمكانيات التي توفرت لها بواسطة المجتمع الذي تقوم فيه ، والذي يرسم لها الخطط ويضع الأهداف العامة والخاصة لها ، كي تشارك في بناء الإنسان حسب توجهات المجتمع نفسه واتجاهاته ، وبالرغم من مشاركة البيت والمجتمع لها في إعداد الفرد وتعليمه ، فإنها تظل السابقة في تكوين شخصية الفرد العلمية والعملية والاعتقادية من خلال كيانها القائم المتمثل في : المدرس والمنهج وهيئة الإشراف الإداري ، ولا شك أن هناك أسبابًا عديدة جعلت للمدرسة هذا التأثير الكبير من أهمها :

(١) في المدرسة عدد من المعلمين القادرين على التوجيه والتربية والتعليم من خلال تخصصاتهم المتعددة ، وتجاربهم العملية وخبراتهم الطويلة في هذا المجال .

(٢) يتوفر في المدرسة المنهج الدراسي المعد إعدادًا جيدًا ، والمناسب لقدرات الطلاب العقلية والتمشي مع مراحل الأعمار المختلفة .

(٣) الوقت الذي يقضيه الطلاب في المدرسة جيدٌ يمكن القائمين عليها من التربية والتعليم والتوجيه وتشكيل توجهاتهم ، سواء كان ذلك الوقت حسب الجدول اليومي للدراسة ، أو حسب سنوات الدراسة التي تفرضها سياسة المجتمع التعليمية ، والتي غالبًا ما تكون من ستة أعوام في المرحلة الأولى ، وستة أعوام في المرحلة المتوسطة والثانوية ، وتكون في مجموعها اثنـي عشر عامًا ، وهي مدة كافية للتأثير على الطالب ، وتليها المرحلة الجامعية كما هو معلوم .

(٤) وجود الكتب العلمية والأدبية واللغة المعدة إعدادًا جيدًا يتناسب مع قدرات

الطلاب العقلية والعمرية ، وهذا لا يتوفر غالبًا إلا في المدرسة .

(٥) الحياة المدرسية حياة جماعية يتفاعل معها الطالب تفاعلًا إيجابيًّا ، وذلك لما يجده فيها من تربية نفسية وحياة اجتماعية تجعله أكثر قابلية لما يوجه إليه من فكر وتوجيه وتربية وعلم .

لهذا ولغيره من الأسباب الأخرى نجد المدرسة تبرز في هذا المجال عن غيرها من مؤسسات الإعداد والتوجيه في المجتمع ، وبذلك فإنها تحتل مكانًا بارزًا في المجتمع ولا غنى له عنها بحال من الأحوال ، فهي توفر الكثير من الوقت والكثير من الجهد .

والحديث في هذا المجال طويل خاصة أنه من المجالات التي تخصصت فيها وعملت فيها طويلًا، وما ذكر فيه الكفاية .



المطلب الثاني : المدرس الصالح ودوره في الدعوة

المدرس في أي مجتمع من المجتمعات البشرية ، وفي أي أمة من الأمم يلعب دورًا مهمًا ، ويقوم بمهمة كبيرة فيه ، لذا نجد الأمم جميعها تهتم بأمر المدرس وتعتمد عليه اعتمادًا كبيرًا في إعداد الأجيال للمستقبل ، لهذا فإنه يخطط لإعداده الإعداد الجيد ، وينفق من أجل تحقيق الإعداد المناسب الكثير من الأموال ؛ لأنه في مقدمة عوامل التربية والتعليم ، والتي تتضمن أيضًا المنهج ونظام المدرسة الداخلي والكتاب .

ونحن نرصد في الوقت الحاضر اهتمام دول العالم بالمدرس وعنايتها به من حيث الاختبار والإعداد والإشراف عليه ، حتى وهو قائم بعمله لما له من أثر كبير على عملية التربية والتعليم ، والمدرسة لا تستطيع أن تقوم بدورها بدون المدرس أو المعلم ، وفي المجتمعات الإسلامية تستطيع المدرسة أن تقوم بدورها كاملًا تجاه الدعوة إلى الله إذا اهتمت بالمدرس واعتمدت عليه في القيام بهذا الدور ، لأنه يعيش مع الناشئة وقتًا ليس بالقصير ، فهو يملك الفرصة للتأثير عليهم وتوجيههم التوجيه الديني السليم وربطهم بخالقهم ومولاهم سبحانه وتعالى من خلال المواد الدينية التي يقدمها لهم ، والمعاملة الطيبة التي يمارسها معهم ، وجذبهم إلى الدين بالقدوة الحسنة ، والتدريب المستمر على التزام السلوك السليم في جميع حياتهم ومعاملاتهم مع أهليهم وذويهم وإخوانهم في المدرسة وخارجها ، وتعظيم أمر الدين مع التركيز على ربط المعلومات بخالق الأرض والسماوات وسبحانه وتعالى الذي علم الإنسان ما لم يعلم ، والذي رزقه بهذه الحواس التي يستخدمها في تحصيل العلم : السمع والبصر والقدرة على الحركة ، وهكذا كما سنبين في هذا المطلب بعد قليل ، لأن المدرس الصالح يملك من أسباب التأثير الشيء الكثير إذا توفرت فيه صفات تجعله جدير بهذه المكانة ، وإلا فهو مجرد موظف. لا هم

له إلا إنهاء المنهج وانتظار الأجر آخر الشهر أو الأسبوع ، وهذه الصفات أو بعضها تتضمنها النقاط التالية :

(١) الرضا والقبول الطيب وحب المهنة والرغبة الصادقة في هذا المجال ، أو في هذا العمل .

(٢) الحرص الشديد على تمكين عقيدة التوحيد الصحيحة في نفوس الطلاب ، لأنه مربٍ ومعلم ، وتوصيل العلم كوظيفة أمر طبيعي ، لكن مواكبة هذا وغرس العقيدة الصحيحة في نفوسهم ، وتقوية الوازع الديني لديهم من أوليات العمل التربوي بالنسبة للمجتمع المسلم الذي يسعى بكل مؤسساته لنشر وتوجيه الناشئة هذه الوجهة الطيبة بربطهم بخالقهم ومولاهم سبحانه وتعالى . ومما لا شك فيه أن لتأثير السلوك ، ومن خلال القدوة له أثر عظيم على الطلبة ، وهذه الصفة لا بد أن تكون لازمة للمدرس المسلم أيًا كان تخصصه ، حتى لا نلقي هذه المهمة على مدرس المواد الدينية فقط ، وبذلك يكون الانفصال والخلل في العملية التربوية الروحية ، فاتصاف المدرس بالصفات الحميدة من أهم ما يجب أن يتوفر فيه ، كي يكون قدوة صالحة وبالتالي مربيًا وموجهًا حقيقيًا لهم قولًا وعملًا .

(٣) ولما كان المدرس ينوب عن الوالدين في ساعات تواجد الناشئة معه ، فإنه بذلك يحتل موضع ثقتهما فيقوم بوظيفة الوالدين رحمة وحنانًا وعطفًا ورعاية متكاملة ، وهذا الموضع لا يناله إلا من قام بتمثيل الوالدين حق التمثيل من الإخوة المعلمين ، ويعمل جاهدًا على جعل المدرسة بيئة صالحة بما يقوم به من جليل الأعمال وكريم الخصال التي تنعكس على الطلاب حبًا واقتداء والتزامًا بأهداب الدين . ولا شك أن قيام المدرس بهذا التمثيل يبين أيضًا نيابته عن المجتمع ، فيقوم على تربية الطلاب تربية شاملة صالحة مؤمنة تعني بالجسم والعقل والدين .

(٤) توفر قسط كبير من المعرفة المهنية ، وأعني بذلك بالدرجة الأولى طرق التدريس ومعرفة قدرات الطلاب العقلية ، وتكوينهم النفسي كي يختار الطريقة المناسبة لكل مرحلة من مراحل سني دراستهم ، والمناسبة أيضًا لكل مواد الدراسة .

(٥) وسع الاطلاع وتنوع الثقافة من أدبية إلى عملية وتاريخية واجتماعية وفي مقدمة ذلك شرعية وواقعية ، كما ذكرنا في موضوع : ثقافة الداعية ، والمدرس داعية إلى الخير

والصلاح ، فلا بد أن يكون واسع الاطلاع خاصة بأحوال المسلمين وما يحاك ضد الإسلام من أعدائه ليبصر الطلاب بذلك ليستعدوا ويعدوا أنفسهم للدفاع عن الدين ، هذه مجمل الصفات التي يجب أن تتوفر في المدرس ، علاوة على التزامه الكامل بتعاليم الإسلام ، وأن لا يظهر منه ما يخالف ذلك أمام الطلاب حتى لا تقع الكارثة ، وهي : فقدان الثقة به من قبل الطلاب ، وهكذا يتضح لنا أن المدرس الصالح من خلال هذه المؤسسة الاجتماعية (المدرسة) يقوم بجهد كبير في مجال الدعوة إلى الله ، وهذا يؤكد دور المدرسة الفعال في مجال نشر الإسلام ، وترسيخ العقيدة في نفوس الطلاب ، وتربيتهم تربية إسلامية صحيحة . ثم حرصه الدائم على تشجيع الطلاب على المناقشة والحوار ، وتحقيق ذواتهم من خلال إظهار مواهبهم ، وإشعارهم بأنهم رجال المستقبل من خلال سرد القصص والبطولات التي سطرها شباب الصحابة ، ومن جاء بعدهم من سلف الأمة ، الذين حملوا راية الدعوة وبلغوها أم الأرض في تلك الأزمنة ، وهم أمثلة رائعة يحتذى بها ؛ لأنهم تربوا على مائدة القرآن الكريم ونهلوا من هدي الرحمة المهداة رسول الهدى ﷺ . ومما لا شك فيه أن الصفات الأساسية المطلوبة من المسلم في مقدمة ذلك : كالصدق والأمانة والإخلاص وجميع الصفات الحميدة والخلال الطيبة ، وكلها عناصر جذب للطالب للتمسك بأهداب الدين والقيام بما أوجب الله سبحانه وتعالى ، وفي مقدمة ذلك تحقيق التوحيد ، والصلوات الخمس ، وبر الوالدين ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ومراقبة المولى جل وعلا في السر والعلن .



المطلب الثالث : المنهج الدراسي الديني ودوره في الدعوة إلى الله

الحديث عن المنهج الديني طويل ، لكن قيمة أي منهج من المناهج الدراسية تعتمد على نوع المعلومات المقررة ، وكيفيتها والحاجة إليها ومدى صلاحيتها لسد حاجة الطالب والمجتمع ، ثم كيفية إيصالها للطالب ، وهي ما نسميها عملية التدريس أي : تدريس ذلك المنهج . ومعلوم أن الأمة الإسلامية لديها تجربة كبيرة في مجال المناهج ؛ لأنها رائدة في مجال الحضارة الإنسانية التي قامت على العلم ، والمناهج المتعددة الأدبية منها والعلمية ، حيث أعطت هذه الأمة الماجدة الإنسانية نماذج كثيرة من العلماء الأفذاذ في كل مجالات العلوم التطبيقية ، بل إن نهضة أوروبا قامت على نتاج الحضارة الإسلامية التي لها في كل مجال من مجالات المعرفة البشرية جهد عظيم من خلال علمائها الكبار في : الطب والهندسة والفلك والرياضيات ، وغيرها من العلوم . وحتى تقوم المدرسة بدورها المطلوب في الدعوة إلى الله يجب أن تراعي في مناهجها النقاط التالية :

(١) أن تكون جميع المعلومات المقررة في مناهجها متوفرًا فيها عوامل النجاح والقبول والنفع : كالتوافق والتناسب مع نمو الطلاب الفعلي ومقدرتهم على الاستيعاب والفهم ، وبلغة مفهومة لديهم كل حسب مرحلته الدراسية وسادَّة لحاجاتهم الحياتية في بيان البيئة التي يعيشون فيها ، والظواهر التي يشاهدونها سواء ما كان منها ظواهر كونية أو اجتماعية ، وشرح وتبسيط ما يحيط بهم في المنزل والشارع من أمور ، وسد حاجتهم لحب الاستطلاع من خلال الإجابة على تساؤلاتهم عن الكون وما أودع الحق تبارك وتعالى فيه من أسرار، وغير ذلك مما هم في حاجته مما يعمل على توسيع مداركهم وسد حاجتهم.

(٢) توفر الكم والكيف في المعلومات الدينية لهم ، بحيث تتناسب مع الزمن

المخصص لها فلا تكون طويلة تدفع المعلم للإسراع في تدريسها مما يسبب إرهاقًا للطلاب ، ولا تكون فوق قدراتهم العقلية ، أو تدرس بطريقة غير مناسبة لهم ، بحيث لا يتم الاستيعاب والفهم من الطلاب ، وبذلك ربما ينتج نفور منهم من هذه الدروس .

(٣) أن تتضمن المواد الشرعية أو الدينية المقررة في المراحل الثلاث : الابتدائية والإعدادية والثانوية كمية من المعلومات الدينية التي تمكن الطالب من القيام بواجباته الدينية وفق سني عمره حسب المرحلة التي يدرس فيها ، بحيث تجعله تلك المعلومات ملمًا بأحكام وآداب الدين ، ومعرفة الأوامر والنواهي حسب مرحلته الدراسية للذكور والإناث ، كلٌّ وما يناسبه ويسد حاجته ليقوم بأمور دينه على علم .

(٤) وجوب استمرار العلوم الدينية مع الطالب حتى في المراحل التي تلي الثانوية حتى يفقه أمور الدين جميعًا ؛ لأن أبناء هذه الأمة مكلفون بفهم إسلامهم ومعرفة أحكامه وتفريعاتها ليقوموا بالدعوة إليها ، بعد أن يفهموها وبذلك تتم عملية قيامهم بالدعوة على بصيرة .

(٥) ضرورة توفر المرونة في المناهج الدينية لتناسب الواقع المعاصر وطريقة فهم الناس وإدراكهم للأمور ، لأن لكل عصر مواصفات فلا بد أن تعرض المعلومات الشرعية الدينية بطريقة حديثة جيدة باستخدام جميع الوسائل الإيضاحية المتاحة وتسخيرها لخدمة العلوم الدينية ، حتى يسهل على الطلاب فهمها واستيفائها ، فوسائل الإيضاح تنوعت وتعددت وهي في تطور مستمر على الدوام .

(٦) أن تكون المناهج الدينية مستعدة ومتسعة في نفس الوقت لمعالجة المشكلات الجديدة في المجتمعات الحديثة ، كذلك المعاملات المتجددة بتجدد معطيات العصر ، بحيث يجد المسلم الجواب الشافي لعلاقاته ومعاملاته مع الآخرين أفرادًا وجماعات ، لأن الإسلام شامل لجميع نواحي الحياة ، وعلماء الأمة معنيون ببيان ذلك من خلال الأحكام الشرعية بطريقة حديثة دون المساس بالأصول على الإطلاق ، أو تحريف النصوص لتوافق مقتضيات العصر ؛ بل إيضاح تلك المقتضيات بفكر إسلامي يربط العبد بخالقه ومولاه من خلال التزام منهجه القويم من مصدريه الكتاب والسنة.

وبهذا يحقق المنهج الدور الذي أنيط به في الدعوة إلى الله جل وعلا ، وذلك من خلال تلك المعلومات الواضحة التي يتلقاها الطلاب في المدرسة ، والتي تعدهم للقيام بالدعوة إلى الله على بصيرة ، ولعل تجربة بلاد الحرمين – المملكة العربية السعودية – خير دليل على دور المنهج في إعداد الدعاة إلى الله عز وجل من بداية تلقي الطفل المسلم التعليم حتى نهاية المرحلة الجامعية ، وهو شامل لجميع أحكام الدين وتفريعاته كل مرحلة حسب ما يناسبها ، وهي خبرة طويلة يجب الاستفادة منها .



المطلب الرابع : الإدارة المدرسية ودورها في الدعوة إلى الله

معلوم أن المدرسة تقوم عليها إدارة ترعي شئونها ، وتنفذ الخطط التي وضعت لها ، وتشرف على أعمالها ، وهذا من طبائع الأمور ، لا بد في مثل هذه الحالة أن يكون هناك هيئة تقوم برعاية هذه المؤسسة المكونة من : الطلاب والمدرسين والمباني وجميع المرافق والعاملين والإداريين والفنيين، وغيرهم مما تحتاج إليه المدرسة لينتظم العمل وتسير الأمور على أحسن صورة . والإدارة المدرسية هي التي تقوم على تنفيذ الخطط والسياسة المرسومة للمدرسة من قبل المجتمع الذي تقوم فيه . والإدارة المدرسية هي التي ترفع من شأن المدرسة أو العكس ، لأن المدرسة الناجحة في أدائها هي نتيجة إدارة ناجحة ، ومعلوم أن الإدارة تتكون من : المدير والوكيل والمراقب والكاتب وأمين المكتبة والمشرف أو الموجه الطلابي ، فالإدارة المدرسية هي الجهة الفاعلة بحكم تواجدها الدائم في المدرسة التي تقوم على جميع الأمور التي تدور في داخل المدرسة أثناء اليوم الدراسي ، وفي غيره من الأوقات الأخرى المخصصة لممارسة النشاط اللامنهجي على مختلف توجهاته ومسمياته . وحتى تقوم هذه الإدارة بدورها في الدعوة إلى الله من خلال المدرسة ومن فيها وما فيها ؛ لا بد أن تتوفر فيها الصفات الأتية :

أولًا : أن يكون المدير ومعاونوه على مستوى رفيع من المعرفة المهنية، والقدرة الفائقة على وضع الخطط اللازمة لتحقق المدرسة ما أراده المجتمع منها ، مع توفر الصفات الحميدة فيهم.

ثانيًا : أن تكون حازمة غير مترددة في اتخاذ القرار المناسب ، كي يسير العمل في المدرسة قدمًا إلى الإمام ، والتخلص من أي عضو فيها إذا بدا منه انحراف أو سوء قد ينعكس سلبًا على الطلاب والمنهج والتوجه التربوي السليم .

ثالثًا : أن تكون على اتصال دائم ومباشر بأولياء أمور الطلاب ، كي يتحقق التعاون الكامل للوصول بالطلاب إلى المستوى المنشود تلافيًا للتناقض الذي يهدم ما بناه أحدهما في غياب التواصل وهو ما يطلق عليه : مجلس الآباء والمعلمين ، الذي يقوم بدور كبير في التنسيق بين البيت والمدرسة إن اعتُني به من قبل الطرفين .

رابعًا : اطلاع العاملين في المدرسة على الأهداف المحددة من قبل الجهة التي أقامت المدرسة ، حتى يعمل الجميع على تحقيقها ، فوضوح الأهداف أمام جميع أسرة المدرسة طلابًا ومعلمين وإداريين يساعد كثيرًا على تحقيق المدرسة للأهداف المرسومة ، وفي مقدمة تلك الأهداف : تحقيق التوحيد الخالص والعبودية لله رب العالمين ، والمضي بهذا الدين إلى الأمام تعلمًا وتعليمًا وبلاغًا ودفاعًا عنه وعمارة الأرض بالخير والحب والسلام والعمل المخلص والمحقق لهذا الاستخلاف في الأرض لنعمرها بالطاعة والعمل الجاد لخير هذا الإنسان في الدنيا والآخرة .

خامسًا : الاهتمام بالنشاط المدرسي لإتاحة الفرصة للطلاب لإبراز مواهبهم وتنمية قدراتهم الخاصة والتركيز على اللقاءات والندوات والمسابقات العلمية لشحذ همم الطلاب وإيجاد التنافس الشريف بينهم وإعدادهم للمستقبل من خلال عقد الندوات الدينية التي تبحث كل ما يتعلق بالدين والدعوة إليه والهجمات والسهام الموجهة إليه من أعداء الإسلام لمناقشة ذلك خاصة في المرحلة الثانوية إعدادًا لهم للدفاع عن دينهم وجميع الشبهات التي توجه لهذا الدين من أعداء الله والحق والإنسانية . إلى غير ذلك من النشاطات التي تعمل على تكوين الشخصية الإسلامية الداعية المدركة لدورها في الحياة . وبعد ، فإن هذه الإطلالة السريعة على دور المدرسة في الدعوة إلى الله ومن خلال ما فصل سابقًا توضح بجلاء عظم المسئولية الملقاة على عاتق هذه المؤسسة الاجتماعية ومن فيها من معلمين ومقررات دراسية وإشراف إداري متمثل في المدير ومعاونيه ، الأمر الذي يجعلنا نقول بأن المدرسة إذا قامت بدورها على الوجه الأكمل فإنه يتحقق من خلالها لأمة الإسلام الخير الكثير ، لأنها تقوم على إعداد رجال المستقبل وحماة العقيدة الداعين إليها المدافعين عنها ، ولا شك أن دورها خطير جدًّا وهام في نفس الوقت ، خطير ؛ إذا ما جنحت يمنة أو يسرة وبالتالي ستخرج أعدادًا من حملة الشهادات فقط ، وهام ؛ لأنها إن قامت على منهج الإسلام في إعداد الرجال فإنها تحقق للأمة مكاسب عظيمة ، خاصة وأن أعداء الدين أخذوا يتفقون بل ويبدعوا في وضع

الخطط تلو الخطط لمحاربة الإسلام في بيوت المسلمين ، الأمر الذي يتطلب جهدًا مضاعفًا من المدرسة كي تتصدى لهذه الهجمة الشرسة على الدين وأهله بإعداد الطلاب لهذه المهمة العظيمة نشر الدين والدفاع عنه وإبلاغه ، وكما قلت في مقدمة هذا المبحث من أن الحديث عن دور المدرسة ذو شجون أختم بأن على دعاة الإسلام الوقوف على أهداف التعليم وخططه وبرامجه كي يتسنى لهم تقديم النصح والتوجيه إن كانت تلك الخطط والبرامج لا تفي بالحاجة القائمة لإرساء قواعد الدين وتثبيته في نفوس الناشئة ، من ثم إعدادهم لحمله للناس كما حمله سلفنا الصالح رضوان الله عليهم .



المبحث الثالث : وسائل الإعلام المختلفة

الإعلام كعملية اتصال ميدان فسيح من ميادين الدعوة لما له من أهمية كبيرة ودور عظيم في التأثير من خلال قنواته المتعددة المقروءة والمسموعة والمرئية وما أنتجت له العقول البشرية من مبتكرات هي في نمو وازدياد على الدوام ، فبعد اختراع الورق ثم الطباعة وما تم لها من تطوير وتحديث جاء عصر الاتصال اللاسلكي حيث الراديو ثم الترانزستور والهاتف ، وما تلاه من تطوير كبير فيه فالرائي ، ثم عصر الفضاء والأقمار الاتصالية ، وما ندري ما سيحدث مستقبلًا ، فالعلم بحر - كما يقولون - لا ساحل له ، والعقول البشرية تعمل ليلًا ونهارًا في مجال التسابق في الاختراعات خاصة ما يتعلق بوسائل الاتصال بين الناس ، ومن خلال تخصصي في مجال الإعلام وما نعايشه الآن من نتاج إعلامي أصبح العالم من خلاله قرية ، سأقف سريعًا على تلك الوسائل لمعرفة مدى عطائها في مجال الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى . وسيكون التفصيل في هذه الناحية في الباب الرابع من هذا الكتاب ، والذي خصص للحديث عن القاعدة الرابعة من قواعد الدعوة الإسلامية ، وأعني بها (الوسيلة) أو مجموعة الوسائل المستخدمة في الدعوة ، واليوم نشهد استخدامًا واسعًا لهذه الوسائل في مجال الدعوة الإسلامية حتى إن بعض الدول الإسلامية خصصت إذاعات أو بثًا خاصًا للقرآن الكريم والبرامج الدينية ذات الصبغة الخاصة بأمور الدين الإسلامي ، بالإضافة إلى البرامج الموجهة باللغات يعرفها كثير من المسلمين في أنحاء العالم المختلفة ، وهذا أمر جيد يعمل على إيصال كلمة الحق إلى الناس كافة من خلال الراديو والذي يوصل الصوت إلى أماكن بعيدة جدًا من العالم بل يمكن أن يوجه إلى أي جزء من العالم بكل وضوح من خلال العمل الفني (الراديوي) في هذا المجال أو من خلال إقامة إذاعات إسلامية في تلك الأماكن التي يتواجد فيها أعداد من المسلمين كبرت أو قلت لتعليمهم أمور الدين وإيصال كلمة التوحيد للناس أجمعين . وإن استخدام الإنسان لهذه الوسائل أصبح مشاعًا لكل أحد فعلى النطاق أو المستوى الحكومي الرسمي نجد أن الحكومات في

كل أنحاء العالم تقيم وزارة للعناية بالجانب الإعلامي في الدولة ومن خلال هذا الاهتمام كانت الإذاعات القومية الناطقة باسم الدولة ، بل وتعدد البث في الدولة الواحدة من البرنامج العام إلى البرنامج الثاني ، بل أكثر من ذلك . ومن خلال هذا الاستعراض السريع يمكن القول بأن جميع الوسائل المعروفة الآن يمكن جعلها - مجتمعة أو متفرقة - ميدانًا للدعوة إلى الله جل وعلا فهناك :

١ - الوسائل المطبوعة كالصحف والمجلات والدوريات والكتب والنشرات والكتيبات واللافتات والملصقات وجميع ما تنتجه آلات الطباعة المختلفة يمكن استخدامها في مجال الدعوة إلى الله .

٢ - الوسائل السمعية وتشمل الإذاعة والتسجيلات الصوتية وغير ذلك من الوسائل التي تعتمد على عنصر الصوت يمكن استخدامها للدعوة إلى الله سبحانه وتعالى .

٣ - الوسائل البصرية كالمعارض والأعلام واللافتات وغير هذا مما يعتمد على حاسة النظر يمكن جعلها ميدانًا من ميادين الدعوة إلى الله عز وجل .

٤ - وسائل الاتصال المواجهي وتشمل الاتصال الشخصي المباشر بين شخص وآخر ، والاتصال الجمعي بين شخص ومجموعة من الناس بشكل مواجهي وهو المعمول به والمستخدم من قديم في مجال الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى .

من هذا نخلص إلى القول بأن جميع وسائل الإعلام على مختلف أشكالها ومسمياتها إن استخدمت استخدامًا جيدًا من خلال الإعداد الجيد للرسائل المراد عرضها على المدعوين هي ميادين ثرية في مجال التأثير، وذلك لتوفر عامل السرعة والرخص ولكونها في متناول الجميع خاصة الإذاعة وجميع الوسائل السمعية التي يمكن أن تتوفر على شريحة كبيرة من المتلقين الأميين والغير قادرين على القراءة والكتابة معًا أو شراء المطبوعات أو بُعد مواقعهم وأماكن تواجدهم وعدم سهولة وصول بقية الوسائل التي ذكرناها سابقًا ، لأن الإذاعة والتسجيل سريع الوصول وفي متناول الجميع .

ومما سبق يتبين لنا الدور الذي ألقي على دعاة الإسلام في أن يشاركوا في استخدام هذه الوسائل لإبلاغ هذا الدين للناس أجمعين ، وهذه مسئولية كبيرة يجب الاستعداد لها إعلاميًّا ، وذلك بمعرفة الدعاة بحرفية العمل الإعلامي سواء بالمطالعة أو حضور الدورات

المتخصصة ليكون تواجدهم في هذه الوسائل فعالًا وذا أثر كبير ، لأن الإعداد الجيد يحتاج إلى معرفة كي تصل الرسالة أو مجموعة الرسائل واضحة ومؤثرة لتكون النتائج كما يرغب فيها الداعية إلى الله عز وجل . وكما ذكرت سابقًا فإن التفصيل سيكون إن شاء الله في الباب الرابع من هذا الكتاب المخصص عن هذا الجانب وغيره مما يتعلق بالوسيلة ، وفي نهاية هذا المطلب يمكن القول بأنه على الداعية المسلم في مجال وسائل الإعلام أن يزود الجماهير بصفة عامة بحقائق الدين الإسلامي المستمدة من كتاب الله وسنة رسوله الكريم عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم ، بصورة مباشرة أو غير مباشرة من خلال وسيلة إعلامية دينية متخصصة أو عامة ، وذلك بغية تكوين رأي عام صائب يعي الحقائق الدينية ويدركها ويتأثر بها في معتقده وعبادته ومعاملته مع نفسه والآخرين .



المبحث الرابع : التجمعات الإسلامية كالجماعات والجمعة والعيدين والحج

لقد أدرك ديننا الإسلامي العظيم قيمة الاتصال بين المسلمين بعضهم بالبعض الآخر لتوثيق الإخوة الإسلامية وتقوية روابطها بين أفراد الأمة الواحدة ، وسيكون الحديث عن هذا الميدان من ميادين الدعوة الإسلامية من خلال المطالب الثلاثة الآتي ذكرها:

- **المطلب الأول : ميدان الجماعة والجمعة .**
- **المطلب الثاني : ميدان العيدين .**
- **المطلب الثالث : ميدان الحج .**

وعلى نفس الطريقة في المواضع السابقة سيكون الحديث عن ميدان التجمعات الإسلامية كوسيلة من وسائل الدعوة الإسلامية سريعًا وخاليًا من التفاصيل ، وذلك لأن الهدف من بيان ذلك الاستشهاد فقط وإلا فإن كل عنصر من عناصر هذا المبحث يحتاج إلى وقفة طويلة، وقد كتبت في ذلك كتابات كثيرة يمكن للداعية المسلم الرجوع إليها وسأتناولها إن شاء الله بالتفصيل ضمن موسوعة الدعوة الإسلامية التي صدر منها حتى الآن خمسة كتب ، وذلك لأهمية صلاة الجماعة والجمعة في مجال الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى ، وكذلك العيدين والحج ، والذي سيكون من خلال بحث ميداني دقيق ورصد لهذين الركنين العظيمين من أركان الإسلام من الجانب الإسلامي الدعوي وهما الصلاة والحج ، وكما ذكرت في بداية المبحث لا بد من إبراز اهتمام الدين الإسلامي بالاتصال بين أفراد الأمة ، سواء على مستوى المجتمع الواحد أو المجموعة الواحدة صغرت أم كبرت ، وذلك في صلاة الجمعة والجماعة، أو على مستوى البلدة أو المدينة وذلك في صلاة العيدين، أو على مستوى الأمة بأكملها وذلك على مستوى الركن الخامس من أركان الإسلام الخمس، الذي تقع أعماله في آخر شهر من الشهور القمرية نسبة إلى الهجرة النبوية الشريفة التي أصبح تاريخها لأمة الإسلام وستظل إن شاء الله تعالى حتى يرث الله الأرض ومن عليها تخليدًا لهذه المناسبة الغالية مناسبة هجرته ﷺ .

المطلب الأول : ميدان الجماعة والجمعة

وأعني بهذه صلاة الجماعة التي فرضها المولى عز وجل خمس مرات على المسلم والمسلمة في اليوم والليلة ، أي : خلال الأربع والعشرين ساعة ، والذي أكد التشريع على أدائها جماعة وجعل ثوابها في جماعة أفضل من ثوابها مفردًا بسبع وعشرين درجة ، وهذا يدعونا إلى التذكير بمبحث سابق ، وهو دور المسجد كميدان من ميادين الدعوة الإسلامية وهو المكان الذي تؤدى به الصلاة خمس مرات في اليوم والليلة .

ومما لا شك فيه أن تواجد المسلمين للصلاة في مكان واحد خمس مرات يوميًا يجعل لهذا الجماعة أثرًا كبيرًا على أفراد المجتمع المبارك ، والذي تتوافر فيه قيمة اجتماعية كبيرة جدًا حيث تبرز أولًا الإخوة الإسلامية في أبهى حللها وأصدق صورها ، وهم في صف واحد غنيهم بجانب فقيرهم وقويهم خلف ضعيفهم ، عالمهم مع جاهلهم ، هكذا صفوفًا متراصة ترجو عفو ومغفرة ربها سبحانه وتعالى من خلال قيامهم بما افترض سبحانه وتعالى عليها ، وقبل وبعد أداء هذه الشعيرة العظيمة يتاح للعلماء والدعاة إلقاء الدروس وبث الأحاديث والمواعظ على مسامع المصلين ، الأمر الذي يمكنهم من معرفة أوامر ونواهي الإسلام ، وما يجب على المسلم نحو نفسه وأهله وإخوانه المسلمين ونحو الإسلام إضافة لما يحققه هذا الاجتماع للدعوة الإسلامية من انتشار خلال تلك الرسائل التي تقدم فيها يوميًا مما يجعل المسلم مرتبطًا بدينه وتعاليمه ، ذلك أن العلم يوسع مدارك الفرد ويجعله قادرًا على استيعاب قضايا الإسلام وأحوال المسلمين، وبالتالي الدفاع عن هذا الدين بعد إبلاغه والدعوة إليه في كل مكان ، فصلاة الجماعة فيها خير كثير ولها أثر كبير على جماعة المسلمين حيث تتاح الفرصة للعالم والمتعلم ولعامة المصلين كي يتدارسوا أمورهم الدينية والدنيوية ، فما عزت هذه الأمة إلا بالعلم والدعوة إليه والصبر على الأذى فيه واتحادها وترابط جماعاتها وتمسك أفرادها بعضهم بالبعض الآخر تجسيدًا

للإخوة الإسلامية التي جمعت بين الناس على مختلف ألوانهم وقبائلهم وعشائرهم ، بل ولغاتهم وثقافاتهم .

إن صلاة الجماعة تؤثر على سلوك الإنسان ، وذلك من خلال تعامله وتفاعله بالجماعة التي يصلي معها يوميًّا ، فالمواعظ والدروس التي يلقيها أئمة المساجد يوميًّا تشكل رافدًا معرفيًّا قويًّا يكسب المصلي أو جموع المصلين معلومات دينية جديدة وتذكيرًا بنعم الله سبحانه وتعالى عليهم ابتداء من نعمة الإسلام ثم الصحة في الأبدان والمال والولد والأمن وغيرها من نعم الله التي لا تحصى ولا تعد ، قال تعالى : ﴿ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴾[1] مما يجعلهم أقوياء في إيمانهم علماء في عبادتهم دعاة خير وبصيرة على علم كي يصل هذا الدين واضحًا جليًّا للمدعوين ، سواء كانوا من المسلمين أو غيرهم لأن الدعوة ماضية للناس جميعًا إلى يوم القيامة .

إن اغتنام الدعاة هذه الفرصة المتكررة يوميًّا له عظيم الأثر على الدعوة إلى الله وعلى الفرد والجماعة وعلى تماسك المسلمين وتوادهم وتعاونهم ، ذلك لما يحصلون عليه من علم نافع وتذكير صادق أمين بنعمة الإسلام وبضرورة المحافظة على هذه النعمة للاستزادة منها بالعلم والدعوة إليها بالعلم أيضًا ، وهو ميدان موصول بهذا الكيان العظيم (المسجد) الذي تحدثنا عن دوره في الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى سابقًا ، ومن خلال هذا الفصل من فصول الباب والله سبحانه وتعالى تكفل بنصر من ينصره وهو غني عن العالمين أن معرفة القيمة الحقيقية لهذا المجتمع تنعكس إيجابًا على الدعوة إذا تم استغلال هذه الفرص الذهبية من قبل الأئمة والدعاة والعلماء بحيث يتجدد اللقاء يوميًّا مع كتاب الله سبحانه وتعالى تلاوة وتفسيرًا وتدبرًا واستجلاءً لأسراره العظيمة ومعجزاته الباهرة وسنة نبيه ﷺ المفسرة والشارحة لهذا الكتاب العظيم ، والمبينة لمجمله والمشرعة للأمة أمر دينها قولًا وعملًا واعتقادًا وسلوكًا من رسول الهدى ﷺ ، والبيان للأمة حتى إنه ﷺ لم يترك لها أي أمر يقربها لخالقها إلا ووضحه أو بينه أحسن وأجمل ما يكون البيان والإيضاح ، كذلك أي أمر يبعدها عن خالقها وربها سبحانه وتعالى إلا وبينه لها وحذرها منه ﷺ .

لقد حققت هذه الفريضة اليومية لهذه الأمة الكثير والكثير من الخير والفضل ،

---

(١) سورة إبراهيم الآية : ٣٤ .

فهل عدنا إلى ما كان عليه سلف هذه الأمة من استفادة من هذا التجمع اليومي المبارك للعودة بهذه الأمة التي تكالبت عليها أمم البغي والكفر والضلال حتى أضحت حقيقة مسلوبة الديار والقوة والأثر في المجتمع البشري لتركها تلك المعالم العظيمة وإنشغالهم عن دينها وعزها بأمور كثيرة ، وأضاعت من خلالها دينها ودنياها ، وإلى الله المشتكى .

وخلاصة القول : أن صلاة الجماعة ميدان عظيم من ميادين الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى ، سواء للتعريف بشرائعه أو إعداد الأفراد والجماعات للقيام بمهام الدعوة .

أما ما يتعلق بصلاة الجمعة – الفرصة الأسبوعية – والتي تتكون أصلًا من صلاة وخطبة فإنها بلا شك فرصة ثمينة للتعليم والتوجيه والإرشاد والبيان والنصح وتدارس شئون الأمة . وهذه الصلاة كما هو معلوم لا تؤدى فرديًا ، وهذا يعني أنه لا بد لها من جمع على اختلاف الفقهاء في عدد ذلك الجمع ، أو الحد الأدنى لانعقادها، الأمر الذي يجعلها في هذه المكانة بالنسبة لجماعة المسلمين فهي علاوة على ما فيها من الفضل وما لمؤديها من عظيم الثواب مناسبة للتعليم والدعوة ومظهر من مظاهر تلاحم أفراد هذه الأمة وتكافلها واجتماعها إذ يغدو إليها الجميع كل واحد واجتهاده ، وذلك للحصول على جائزة التبكير إليها ، والتي أخبر بها الصادق الأمين ﷺ فيما صح عنه عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ قال : « **من اغتسل يوم الجمعة غسل الجنابة ثم راح في الساعة الأولى فكأنما قرب بدنة، ومن راح في الساعة الثانية فكأنما قرب بقرة ، ومن راح في الساعة الثالثة فكأنما قرب كبشًا أقرن ، ومن راح في الساعة الرابعة فكأنما قرب دجاجة ، ومن راح في الساعة الخامسة فكأنما قرب بيضة ، فإذا خرج الإمام حضرت الملائكة يستمعون الذكر** »[1] هذا جانب وهو مهم جدًا ، لأن المسلم يكدح طوال أيام الأسبوع ، والجمعة راحة واستجمام روحي حيث يلتقي بإخوانه الذين يصلون في مساجدهم المتباعدة الصلوات المكتوبة ، وصلاة الجمعة تقام في مكان واحد أو أماكن محددة حسب مساحة الأرض التي يتواجد عليها المسلمون وعددهم ، علاوة على تلقيهم للخطبة الأسبوعية الدرس الجامع الذي يعالج فيه الأئمة والخطباء والدعاة أمور المجتمع ويستعرضون قضاياه من خلال الهدي الإسلامي في الكتاب العزيز والسنة المطهرة واجتهادات علماء الأمة ، فيصلون إلى مفاهيم واضحة وحلول جذرية لتلك القضايا والمشاكل الطارئة على الأمة الإسلامية أو أنهم يذكرون المصلين بقواعد الإسلام وأركانه وتشريعاته في المعاملات

(١) صحيح البخاري كتاب الجمعة جـ٢ ص٢٩ عالم الكتب .

والعبادات والعلاقات الفردية والجماعية وما أتى به هذا الدين من خير للفرد والجماعة وعز لمن التزم هديه وسار على نهجه . وتجمع المسلمين في هذه المناسبة الأسبوعية ومن خلال هذه الوسيلة التعليمية المباركة يحصل المصلون على العلم والمعرفة ويستزيدون من هذا النبع الصافي ، الذي فيه سعادتهم في الدين والدنيا بل في الآخرة والأولى حتى يلقوا ربهم سبحانه وتعالى وهو راض عنهم لما قاموا به من تحقيق العبودية لخالقهم سبحانه وتعالى ، والقيام بما افترض عليهم من عبادات .

والإسلام كله خير ولله الحمد والفضل والمنة فمن صلاة الجماعة إلى صلاة الجمعة إلى غير ذلك من تشريعات هذا الدين التي كفلت لهذا الإنسان حريته وحياته في أمن وأمان وراحة وعيش رغيد .



المطلب الثاني : ميدان العيدين

اعتادت أمة الإسلام في كل عام وبعد شهر الصيام والوقوف بعرفة أن تشهد صلاة العيد في مصلى العيد أو مصليات العيد عند اتساع البلد وكثرة السكان تعبيرًا عن الفرحة الكبرى بإتمام شهر رمضان والوقوف بعرفات ، وهاتان المناسبتان العزيزتان على هذه الأمة فرصة للتعبير عن الفرح والسرور بما أولى المولى عز وجل أمة محمد ﷺ من نعم ، وما أتم عليهم من صيام رمضان وقيامه وحج لبيته المطهر .

وعيد الفطر المبارك ميدان فسيح للدعوة إلى الله عز وجل إذ يجتمع فيه المسلمون فرحين مستبشرين بهذه المناسبة السعيدة يهنئون بعضهم ويقفون أمام خالقهم ومولاهم سبحانه وتعالى ، يؤدون صلاة العيد ويشهدون توزيع الجوائز كما ذكر المصطفى ﷺ ، فمن أسماء يوم العيد يوم الجوائز للعاملين طوال شهر رمضان وهو اجتماع أكبر من الجمعة والجماعة بلا شك وهو فرصة لبيان التشريعات والحديث عن الإسلام بشكل مجمل تذكيرًا وتعليمًا وموعظة للغافلين الذين حادوا عن الطريق بعض الشيء ، يحضره الكبار والصغار والنساء والأطفال لما فيه من الخير والبركة والأجر الجزيل ، تتصافح فيه القلوب قبل الأيدي تعبيرًا عن الإخوة الإسلامية والروابط الأصيلة التي أقامها الدين الحنيف بين أفراد المجتمع المسلم ، فالدعاة يقيمون هذه المناسبة للدعوة إلى الله سبحانه وتعالى وبيان ما يرون أن الأمة في حاجة إليه من تشريعات ، وكل التشريعات الأمة في حاجة إليها ، لكن تطرأ بعض المسائل على الأفراد والجماعات ويجب على الدعاة أن يبينوا حكم الإسلام في ذلك ، والعيد مناسبة كبيرة يحضرها أعداد كثيرة وهو فرصة للتجمع الكبير السنوي تتوثق فيه عرى الأخوة وروابط المحبة بين المسلمين قبل الخروج لأداء صلاتهم ، يقدم القادر لأخيه المحتاج زكاة الفطر تأكيدًا على معنى الأخوة وامتثالًا لهدي رسول الله ﷺ الذي وجه الأمة لزكاة الفطر ليفرح الجميع بالعيد السعيد .

إن الحديث عن مناسبة عيد الفطر المبارك كفرصة للدعوة إلى الله عز وجل طويل لكني أود التأكيد

على أن تستثمر هذه المناسبة للدعوة إلى الله تعالى ، وبعد أن أصبحت هذه المناسبة حدثًا إعلاميًا تنقله محطات العالم يجب أن يعتنى بها كوسيلة من وسائل الدعوة بين أمم الكفر التي تستعمل البث التلفزيوني بواسطة الأقمار الصناعية ، وذلك بإبراز سماحة الإسلام وحاجة الإنسان لهذا الدين الذي وقع فيما وقع فيه من اضطراب وقلق وحيرة بسبب بعده عن خالقه ومولاه جل وعلا ، ولا شك أن توثيق أواصر المحبة بين المسلمين بهذه المناسبة ينعكس إيجابًا على الدعوة حيث يلتف الجميع حول هذا الدين ، ويقومون بما أوجب الله عليهم من التزام منهجه قولًا وعملًا واعتقادًا ثم الدعوة إليه .

أما عيد الأضحى المبارك المناسبة العالمية فإنه يحتاج إلى وقفات ، لما يحققه هذا الجمع من فوائد كثيرة تعود بالخير على الفرد وعلى أمة الإسلام بشكل عام ، وكيف لا وهم يقفون على صعيد عرفات في لباس واحد ومكان واحد نداؤهم واحد لبيك اللهم لبيك لبيك لا شريك لك لبيك إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك ، على مختلف لغاتهم وألوانهم وجنسياتهم وبلدانهم – الله أكبر – وإنها مناسبة عظيمة وفرصة ثمينة تلتقي فيها الأمة بأكملها من خلال من دعي للحج لتتدارس أمورها وتتذاكر شئونها ، وتجدد العهد بالتزامها بمنهجها الرباني . إن مناسبة عيد الأضحى المبارك مرتبطة بالركن الخامس الذي تزدحم فيه المشاعر المقدسة في مكة المكرمة بالحجاج يقضون أجمل وأفضل أيام حياتهم حول الكعبة المشرفة متنقلين في مشاعر الحج بين منى وجمع وعرفات وزيارة المسجد النبوي الشريف ومعها السلام على حبيب الله سيدنا محمد ﷺ، لذا فإن توظيفها للقيام بمهام الدعوة عمل جليل ، فالجموع المؤمنة على اختلافها بالنسبة للموطن واللغة الواحدة تواقة للعودة إلى أوطانها بعمل مقبول وذنب مغفور ، وبالتالي فهي مهيأة للقيام بالدعوة إلى الله عز وجل خاصة وقد نهلت كمًّا معينًا من المعرفة الشرعية خلال تواجدها في بلاد الحرمين والتقائها بالعلماء والدعاة من أمة الإسلام من كل قطر ولون ، وهذه من المنافع التي أخبر المولى سبحانه وتعالى عنها في كتابه العزيز : ﴿ وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾ لِّيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا ٱسْمَ ٱللَّهِ فِيٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَٰتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا ٱلْبَآئِسَ ٱلْفَقِيرَ ﴾[1] وهذا ما سنشرع فيه في المطلب القادم من هذا المبحث، والذي نجد أن في كل مشعر

(١) سورة الحج الآية : ٢٧ ، ٢٨ .

من مشاعره فرصة لدعاة الإسلام كي يعملوا على القيام بواجبهم نحو الدين لتواجد أعداد كبيرة من المسلمين في تلك الأماكن ، وهذا بلا شك فيه يعطي الدعاة بل ويهيىء لهم أعظم الفرص .

وعيد الأضحى المبارك من خلال لقاء المسلمين في فرحة غامرة بأن بلغهم المولى جل وعلا هذا اليوم الذي يعطي الدعوة ميدانًا واسعًا بل وفسيحًا لتثبيت الدين والإجابة على تساؤلات السائلين في أمر الدنيا والدين ، لأن الدنيا مطية الآخرة وعمل الإنسان مقرون بها ليلًا أو نهارًا ومع من فيها من الخلق فيكون في حاجة لمعرفة حكم الإسلام في كل أمر من أمور حياته .



المطلب الثالث : الحج

الركن الخامس وما فيه من أعمال كي يقوم المسلم بأداء ما افترض الله عليه ، وما يلزم ذلك من توجه إلى بيت الله في مكة المكرمة ، وحضور مشاعر الحج ميدان من ميادين الدعوة إلى الله جل وعلا . ذلك أن اجتماع تلك الأعداد الضخمة على صعيد عرفات الله يسألون ربًا واحدًا لا إله إلا هو ولا رب سواه حيث تتجلى الإخوة الإسلامية في أبهى صورها وأصدقها وتذوب الفوارق بين الناس التي أقامتها ظروف الحياة والتي جعلت البعض في خدمة البعض الآخر ، وسيكون تناول موضوع الحج كميدان من ميادين الدعوة إلى الله على النحو الآتي :

(١) الحج فرض في العمر مرة واحدة ، وتواجد المسلم مع إخوانه المسلمين في المشاعر يتيح له الفرصة للإفادة والاستفادة ، الإفادة إن كان من أهل العلم والمعرفة والمقدرة على التعليم والبيان والدعوة ، والاستفادة بمقابلة إخوانه العلماء ورجال الدعوة في العالم- ممن حضروا الحج - والتباحث معهم فيما يعود على الدعوة بالخير والنفع .

(٢) المدة التي يقضيها المسلم بين المشاعر فرصة جيدة لتلقي ما يحتاجه من أمور الدين على أيدي رجال العلم القادرين على الإجابة على جميع التساؤلات والمتوفرين في كل مكان من أماكن الحج ، في مكة المكرمة ومنى ومزدلفة وعرفات ، بل في كل طريق من الطرق المؤدية إلى مكة والمشاعر المقدسة ، وهذا يعطي بل يتيح لكل حاج أن يسأل عما بدا له من أمور الدين إضافة لمقابلته إخوانه المسلمين في المسجد الحرام وبقية المشاعر.

(٣) تقام في كل موسم من مواسم الحج عدة لقاءات إسلامية على شكل محاضرات ومؤتمرات وندوات ، يلتقي فيها نخبة من رجال العلم والمعرفة والدعوة في العالم الإسلامي ليتدارسوا أمور الأمة وليستعرضوا سنويًا نتائج الأفكار التي ظهرت من قبل والتي تدعو للعمل على إعادة مجد هذه الأمة وعزها من خلال وضع الخطط الطموحة للدعوة إلى الله

سبحانه وتعالى في شتى أنحاء العالم ، ومن خلال أولئك العلماء الذين يحضر بعضهم سنويًّا ويلتقي مع إخوانه العلماء في مثل هذه المنتديات والتي يؤمل من حلالها تحقيق الكثير من الفوائد للدعوة الإسلامية .

إن ما يحقق في الحج من منافع دينية ودنيوية هي في الحقيقة روافد قوية تدعم هذه الدعوة المباركة التي أخذت في الحركة النشطة في السنوات الأخيرة من خلال ذلك النفر الذي أخذ العلم في بلاد الحرمين : المملكة العربية السعودية في مكة حيث جامعة أم القرى ، والمدينة المنورة حيث الجامعة الإسلامية ، والرياض حيث جامعة محمد بن سعود الإسلامية ، والتي تخرج في مجملها سنويًّا أعدادًا كبيرة من الدعاة الذين نهلوا من هذه المنابيع الصافية من خلال دراستهم المتخصصة في كليات الدعوة أو الشريعة المنتشرة في المملكة العربية السعودية ، والذين يعودون بعد تخرجهم إلى بلدانهم دعاة متخصصين ، والذي انعكس إيجابيًّا- والحمد لله- على جميع قارات العالم ؛ لأنهم يأتون إلى هذه الجامعات من شتى أنحاء العالم ومما لا شك فيه أن هذه اللقاءات- والتي يحضرها عامة الناس- فيها النفع الكثير ، وهي رافد من روافد الدعوة إلى الله تعالى حيث يقدم العلماء ما لديهم من أفكار وعلم يستفيد منه الحضور .

(٤) تكرر هذه المناسبات سنويًّا يتيح لهذه الدعوة الاستمرار والمضي قدمًا من خلال ذلك الطرح الجيد من قبل المختصين في قضايا الأمة الإسلامية وخاصة قضية الدعوة الإسلامية ووسائل نجاحها في العصر الحاضر وسبل الوصول بها إلى الانتشار السريع .

(٥) وجود هيئات كثيرة تعني بأمور الحجاج في كل مكان يأتي إليه الحجاج له أثر عظيم في الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى ، وذلك لأن حكومة هذه البلاد - وفقها الله - تكون في حالة استنفار كامل في هذه المناسبة واستعداد جيد في هذا الجانب ، ومن خلال إقامة الدروس العلمية الشرعية في الحرمين الشريفين والمرشدين الدينيين في الطرق المؤدية إلى مكة المكرمة والمدينة المنورة وفي المنافذ الثلاث للمملكة الجوي والبري والبحري إضافة إلى الكميات الكبيرة جدًّا من المطبوعات بعدد من اللغات ، والتي تبحث في أمور العقيدة والعبادة خاصة عبادة الحج . كل ذلك على مدار السنة علاوة على برامج الحج المتخصصة في الإذاعة والتليفزيون على طوال أيام الحج وقبلها وبعدها حيث تعد وزارة الإعلام دورة

خاصة بأعمال الحج يقوم عليها رجال مختصون لبيان الأحكام المتعلقة بالحج وغيره من أمور الدين . هذا يدل دلالة واضحة على أن الحج ميدان عظيم من ميادين الدعوة العالمية لتواجد المسلمين من كل صقع من أصقاع الأرض هنا في بلاد الحرمين لأداء الفريضة . ومعلوم أن فرصة الحج- هذا المؤتمر الإسلامي العالمي- لا تكفيه هذه الإطلالة السريعة لكنني أردت تعداد ميادين الدعوة والوقوف بسرعة على كل ميدان من ميادينها منها ليقوم دعاة الإسلام بالاستزادة من العلم في هذه الجوانب ليؤكد على أن الإسلام رحمة للناس أجمعين . يملك من فرص الخير والعطاء والبذل الشيء الكثير فما تمر فرصة إلا وتأتي أخرى ، وهكذا طوال العام ، من صلاة الجماعة إلى صلاة الجمعة إلى صلاة العيدين إلى الحج وهكذا ، وهذا مصداق لقول الحق تبارك وتعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴿٢٨﴾ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾ ﴾[1].

وهذا التصريح الإلٰهي بظهور رسالة سيدنا محمد ﷺ فرصة لدعاة الإسلام كي يعملوا بجد ونشاط ومثابرة ليصلوا إلى نشر دعوة الإسلام في كل مكان من العالم عن طريق هذه المناسبات الدينية وفي مقدمتها مناسبة اللقاء السنوي في الحج الهدف الحقيقي الذي يوجه إليه الأعداء جميع سهامهم . والشاب المسلم الملتزم بدينه وهدي نبيه ﷺ قادر على التصدي لجميع الهجمات والشبهات بل وعلى إبلاغ هذا الدين والعمل الجاد من أجله ، وأن المنظمات الشبابية في عالمنا الإسلامي معنية بهذا الأمر إن أرادت أن تعمل لهذا الدين وتبلغ رسالة رب العالمين سبحانه وتعالى من خلال هذا الميدان ، والأمر ميسور والإمكانات متوفرة والحجة قائمة علينا . ولو نظرنا إلى جهود أمة الكفر للإعلان والدعاية لكفرهم وضلالهم لأصابتنا الدهشة والحيرة مما يدفعون من أموال ويبذلون من جهود للدعوة للباطل ، وأهل الحق ودعاة الخير نائمون أو هم كذلك ، فإلى الله المشتكى ، لا بد من صحوة إسلامية ودعوة صادقة ليترسم شبابنا اليوم خطى شباب الأمة الأماجد الذين كانوا يتسابقون إلى

(١) سورة الفتح الآية : ٢٨ ، ٢٩ .

ساحات الجهاد والفداء ، والسعيد من يظفر بها لحداثة أسنانهم وصغر أجسامهم . أما اليوم فإن الوسائل المتاحة كثيرة جدًّا فهل نحن فاعلون ؟ أرجو ذلك .

* * *

المبحث الخامس : المناسبات العامة كالمؤتمرات والتجمعات الشبابية والولائم والحفلات

في هذا المبحث عدة قنوات هي في الحقيقة من ميادين الدعوة إلى الله تعالى ، وسأتناولها كلًا على حدة لبيان الدور الذي تقوم به في مجال الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى ، أو الذي يمكن أن تحققه إذا استخدمت استخدامًا صحيحًا ، وهذا سيكون على النحو التالي :

○ أولًا : المؤتمرات :

ومفردها مؤتمر ، وهو اجتماع عام للبحث في أمر أو عدة أمور تدعو إليها الحاجة ، ومن خلال الهدف الذي يراد تحقيقه والغرض الذي من أجله عقد هذا اللقاء يحدد اسم ومكان المؤتمر ومدة انعقاده . فهناك المؤتمرات المحلية والقطرية والعربية والقارية والعالمية . هذا بالنسبة لجغرافيتها ، أما ما يتعلق بموضوعها فهي كثيرة جدًا فعلى سبيل المثال المؤتمرات الدينية والاقتصادية والطبية .. إلخ وهي فرصة بل ميدان من ميادين الدعوة إلى الله . فإذا كانت هذه المؤتمرات محلية يمكن استغلالها في الدعوة من خلال التذكير بقيم الدين وشرعه وما حققه للبشرية من خير وفلاح ، والتذكير بنعم الله سبحانه وتعالى . وهي دعوة وهكذا يمكن لدعاة الإسلام – كل حسب اختصاصه في علوم الدنيا – أن يغتنم فرصة انعقاد هذه المؤتمرات ليدعو إلى الله . أما إذا كانت مؤتمرات خارجية يجتمع من خلالها خلق كثير من بلاد شتى عربية مثلًا أو قارية كالمؤتمرات التي تعقدها دول العالم العربي أو دول أسيا أو أفريقيا أو دول تضمها مصلحة واحدة اقتصادية أو سياسية فإنها فرصة عظيمة يمكن استثمارها من قبل المشاركين من أبناء المسلمين للدعوة لهذا الدين ونيل أجر الدعوة ، لأن يهدي الله بك رجلًا واحدًا خير لك من حمْر النعم كما قال ﷺ . وهذه المؤتمرات كثيرة جدًا فلو وضعت خطة عامة من قبل أمة الإسلام كي تستغل هذه المناسبات في الدعوة إلى الله تعالى لكانت نتائج عظيمة ولأتاحت الفرصة لغير المسلمين كي يتعرفوا على هذا الدين من خلال عرض

أبنائه له أمامهم ، وترغيبهم في إنقاذ أنفسهم من النار التي اشتروها بمالهم وعبدوا طريقهم إليها بأنفسهم . هذا من جانب ومن جانب آخر يجب عقد مؤتمرات عالمية للتعريف بالإسلام من خلال الالتقاء بزعماء الكفر ورؤساء الجمعيات المسيحية ورجال الكنائس في العالم لبيان حقهم ، وحق الإسلام فيهم أن يعبدوا الله وحده لا شريك له امتثالًا لما جاء به موسى عليه السلام ، وما بشر به عيسى عليه السلام وجاء به من أجل أن يعبدوا الله وحده لا شريك له ، لأنه جل شأنه الخالق الرازق المحيي المميت ولا رب سواه . والاستدلال بكل الوسائل المتاحة عقلية أو نقلية وتحريك فطرهم وتكثيف الاتصال بهم لتكوين نخبة من أصحاب القلوب الحية منهم للتركيز عليهم حتى يسلموا ، من ثم ينطلقون بدعوة أقوامهم وهذا ميسور والحمد لله ، فالإمكانات المادية متوفرة لدى أمة الإسلام والعلاقات الدولية متطورة بين المسلمين وبقية الأمم من أجل المصالح المشتركة ، ومن أجل ما حبا الله به بلاد المسلمين من خيرات ومواد خام تعتمد عليها الدول الصناعية . وفوق ذلك حقهم في التعرف على الإسلام وإبلاغهم إياه ، الذي شرف الله به هذه الأمة من الدعوة إليه وإبلاغها للناس أجمعين . ومعلوم أن هذه المؤتمرات وهذه اللقاءات تتيح لمن لم يعرف شيئًا عن الإسلام منهم أن يعرف ، وقفت على هذه الحقيقة من خلال جولاتي في أمريكا وأوربا وقراءاتي في هذا المجال ، وهذا على عكس ما كنت أعتقد من أن رجال الغرب يعرفون عن الإسلام شيئًا لأنهم – ومن خلال كتبهم السماوية خاصة الأجيال من ثلاثمائة سنة وقبل حتى اليوم – وقعوا في الكتب المحرفة التي ألغي منها أي خبر عن الإسلام ورسوله عليه الصلاة والسلام . ومن أجل ذلك لا بد لدعاة الإسلام بل لأمة الإسلام أن تستغل المؤتمرات على اختلاف مسمياتها وأماكنها للدعوة إلى الله بل وتقيم المؤتمرات والمنظمات العالمية للتعريف بالإسلام ، لأن العالم اليوم في أمس الحاجة إلى الإسلام بعد ما فشل في جميع تجاربه التي تهدف إلى تحقيق سعادته وأمنه واستقراره ، وهو اليوم مهيأ تمامًا للدعوة الإسلامية . فهل من مجيب .... ؟ ولنجعل من محاولات الغرب والكنيسة التقارب مع الشرق الإسلامي فرصة لنشر الإسلام وبيان الحق الذي غابوا عنه طويلًا . لقد أعلنها رجال الفكر لديهم والإصلاح بأن المنقذ الوحيد لويلات البشر هو الإسلام ، فلماذا لا تضاعف الجهود وتعقد المؤتمرات تلو المؤتمرات للوصول إلى أولئك الحيارى الذين أجهدهم الكبد المادي والخواء الروحي وبلغ منهم أي مبلغ ؟ نعم ، لماذا لا تتواجد تلك التوجهات العديدة من قبل

دعاة الإسلام دولًا وأفرادًا وجماعات لتكون يدًا واحدة كما هم دعاة لدين واحد ؟ إن الدعوة الإسلامية – اليوم – في أمس الحاجة لتوجه مثل هذا ، يتتج لها انطلاقة جديدة وسريعة لإنقاذ الملايين من البشر من الجاهلية الحديثة والبعد عن رب العزة والجلال ، إنهم منتظرون فهل نحن فاعلون ؟ .

○ *ثانيًا : التجمعات الشبابية :*

ما أكثرها في هذا العصر ومن خلال الرياضة تجد في كل يوم اجتماعًا أو لقاءً يشارك فيه شباب العالم من خلال المنظمات الرياضية العالمية أو من خلال الكشافة أو الجوالة أو من خلال الرحلات الاستطلاعية خاصة للآثار الكثيرة في بلاد المسلمين ، هذا ما يتعلق بالنطاق العالمي ، أما النطاق المحلي والإقليمي والعربي فهو أيضًا واسع وفسيح للدعوة إلى الله وتذكير شباب الأمة بدورهم نحو هذا الدين في أنفسهم أولًا ثم مع الآخرين واطلاعهم على البطولات التي سطرها شباب الأمة ابتداءً من مصعب بن عمير وأسامة بن زيد وغيرهم من الصحابة والتابعين ومن تبعهم إلى يوم الدين بإحسان واستقام ، والذين ضربوا أروع الأمثلة في حب هذا الدين والتضحية من أجله والدعوة إليه . فمن خلال التجمعات الشبابية القارية والعالمية يجد الشباب المسلم ميدانًا فسيحًا وفرصة غالية للتعريف بهذا الدين ، صحيح أن الأجيال الجديدة فقيرة إلى معرفة الإسلام بلغة العصر ودلالاته ووسائله المتعددة ، ولكن أيضًا أجيال الأمة في هذا العصر في حاجة لتعريفهم بدينهم كي يقوموا بالدعوة إليه على بصيرة .

يقول فضيلة الشيخ عطية بن محمد سالم المدرس بالمسجد النبوي الشريف والأستاذ الجامعي في هذا الصدد: (لكنه مع وضوحه واستضاءته وفطريته فإن حجب المادة الكثيفة تحجب عن القلوب نورانيته ، وتيارات المدينة المتضاربة قد تشغل الأفكار عن هدايته ، وتشعب المذاهب المستحدثة قد تصرف الأنظار عن وجهته فكم من دعاة للسوء ضده وكم من متحمس له جاهل به، وهذا وذاك يفسد على الناس فطرهم ، ويبعد عن حقيقة الدين مسيرهم ، ويشغلهم عن تعاليمه ويلهيهم عن جماله ومحاسنه ، فأصبح الناس ما بين منصرف عنه أو جاهل به ، وأصبح الدين بينهم منفردًا في عزلة غريبًا في وحشة غريبًا عند أبنائه مستوحشًا من أعدائه وما أشد غربته اليوم ، ولهذا فهو أحوج ما يكون (إلى التعريف به) كحاجة السيد الكريم وقد نزح عن وطنه فلم يعرفه أحد أو ذهب جاهه وضاع سؤدده فهضم حقه واستوحشت نفسه

وتعطلت الاستفادة به وصدق رسول الله ﷺ حيث يقول : « **بدأ الإسلام غريبًا وسيعود غريبًا كما بدأ** » ، فحاجة الإسلام إلى التعريف عند أبنائه وأخذ فكرة عنه لا تقل أهمية عن حاجته إلى التعريف عند أعدائه وإعطائهم عنه فكرة)[1] ، هذا أمر ملموس لذا فإن جميع التجمعات الشبابية ميدان غني يجب استغلاله من قبل الدعاة ؛ كي يعرفوا أبناء الأمة بدينهم ويعدوهم للقيام بهذا الدور بعد أن يتزودوا بالعلم ، وذلك عندما يلقون شباب الأمم الكافرة في المنتديات والدورات الكروية والرياضية وغيرها من اللقاءات ، وقد أحسنت المملكة العربية السعودية صنعًا عندما دعت لإقامة ندوة عالمية للشباب المسلم ، كي يصل من خلالها إلى تكوين وحدة شبابية إسلامية تقوم بنصرة هذا الدين في أنفسها أولًا ثم على نطاق شباب العالم ، إن شباب أمة الإسلام في حاجة ماسة لمعرفة دينهم لتحصنهم من الهجمات المتكررة من أعداء الدين ، سواء من الشبهات التي يلقونها بهذا الدين ، أو من خلال الهجمة الشرسة إعلاميًّا لإفساد أخلاق الشباب وإقامة سدود بينهم وبين قيمهم الدينية ، من خلال هذا الكم الهائل من الوسائل الإعلامية الهدامة ، وتلك التي تدعو للانطلاق بلا قيود والتحلل من الأخلاق الفاضلة ، وأعد لهذه المرحلة الهامة في حياة الإنسان مزيدًا من الخواء الروحي عن طريق ذلك الكم الهائل من المغريات والمثيرات للغرائز بالصوت والصورة ، كما قيل في الأمثال : (فاقد الشيء لا يعطيه) ، فلا بد من العمل في مجال الشباب الإسلامي من خلال تجمعاته على مختلف مسمياتها وهم في حاجة شديدة ، وهم عدة الأمة ورجال مستقبلها .

○ *ثالثًا : الولائم :*

جمع وليمة وهي طعام العرس ، أو : هي كل طعام صنع لعرس أو غيره . ورسول الهدى ﷺ قال لعبد الرحمن بن عوف رضي الله تعالى عنه : « **أولم ولو بشاة** » أي: اصنع وليمة ، حكاه ابن منظور في لسان العرب – ومن هذا يتبين لنا أن الولائم هي تلك الدعوات التي يحضرها جمع من الناس لتناول الطعام ، وهذا أمر يتطلب الحضور في مكان مخصص هو مكان الوليمة ، أي : تجمع عدد من المدعوين قل أو كثر حسب حجم الدعوة . وما يشاهد اليوم من كثرة الولائم يدعونا للقول بضرورة الاستفادة من هذه الولائم في الدعوة إلى الله تعالى من خلال إقامة برنامج احتفالي جيد فيه الكلمة الطيبة والطرفة الجيدة والمعلومة النافعة

---

(١) تعريف جامع لعموميات الإسلام للشيخ عطية محمد سالم مكتبة دار التراث بالمدينة ط٢ .

والموعظة الحسنة ، فبدلًا من أن ينتظر المدعو وقتًا طال أم قصر فيما لا فائدة فيه يحسن بنا الاستفادة من هذا التجمع في الدعوة إلى الله تعالى ، ولو بعض ذلك الوقت بطريقة محببة مدروسة فيها أي توجه كان إلى الدعوة إلى الله والتناصح فيما بين الحاضرين ، وغالبًا ما يكونون من بيئة واحدة يتدارسون ما يهمهم ويذكرون بعضهم بنعمة الإسلام والاهتمام بها والقيام بواجبها ، واستغلال هذا الميدان فيه خير كثير خاصة وأن الناس اتجهوا في ظل غياب العقل والخير إلى قضاء ذلك الوقت في ما لا خير فيه من لغط القول وممارسة بعض الهوايات الضارة كالغيبة والنميمة وقتل الوقت بلا فائدة ، وإقامة تنظيم لهذه الولائم لا شك أنه يساعد صاحب الوليمة والحاضرين على الخروج من هذا الاجتماع وهذه الوليمة بفوائد كثيرة ، لأن هذه الأمة لا يصلح شأنها إلا بما صلح به سلفها الصالح ، والذي أصلحها هو الدين الذي فيه أمر الدنيا والآخرة حتى المرح والترويح عن النفس جاء في تعليم هذا الدين في حدود الآداب والأخلاق وعدم التعريض بأحد ، كذلك ألعاب القوة والمسابقات الفكرية والعلمية ، وذلك لأن الوقت محاسب عليه المسلم إن هو ضيعه في ما لا فائدة فيه كذلك إن هو صرفه فيما فيه خير وصلاح ونفع ، ولا بد لنا من الاستفادة من هذه الأوقات ، وهذه الفرص التي يجتمع فيها الإخوة والأحبة وأبناء البلد الواحد والأقارب للدعوة إلى الله تعالى ، فما أحوج الإنسان في هذا العصر إلى التذكير والعون على هذا الطوفان الهادر من المادية التي اجتاحت كل القلوب إلا من رحم الله فأصبح الكثير يلهث حول إشباع غريزته المادية تاركًا نفسه في حالة اللاتوازن ، لأنه اهتم بجانب الجسم وضيع جانب الروح ، والإنسان جسم وروح ويا تعاسة من كان هذا حاله ، ولا يظن أنني أدعو إلى جعل هذه المناسبة حلقة علم ودرس ووعظ ، لا بل الذي أدعو إليه أن يستفاد من هذه المناسبة قدر الإمكان ولو لنصف ساعة عندما يجتمع الناس ، ويكون من الحضور أحد رجال العلم والدعوة المقبولين لدى الناس والقادرين على التأثير والمرغبين في الدين ، وهذا الأمر قد جربناه فكانت النتائج جيدة والحمد لله ، وبهذه المناسبة أذكر أنني حضرت وليمة عرس في فرنسا في مدينة روبي ، وقد أقاموها في المسجد بعد صلاة العشاء حيث كان الدرس لمدة نصف ساعة ، وهو عبارة عن موعظة عامة قد كثر فيها الكلام عن المرأة وما وفر لها الإسلام من عز ومنعة وما جعلها فيه من مكانة سامية ، وبعدها أخذ الحاضرون في أحاديث خاصة لمدة عشر دقائق بينما قدم الطعام ، وكانت النسوة في قسم النساء في المسجد ، وقد أعددن الطعام في مطعم المركز ، وقدم للرجال وهم في غاية السعادة والفرح بهذه المناسبة ، وهو زواج

مبارك بلا شك حيث لا إسراف ولا مضيعة للمال كما هو حادث في بعض المجتمعات وحيث الالتقاء على صعيد المحبة وفي بيت من بيوت الله بعيدًا عن القيل والقال وإضاعة الوقت وهتك أعراض الناس بالقول أو المزح أو الهمز أو اللمز والغمز . وهي بلا شك تجربة رائدة في مثل تلك المجتمعات التي يتواجد فيها أقليات مسلمة ويصلح هذا التنظيم في بقية المجتمعات لو أعدت قاعة لتناول الطعام. والحق أن الإخوة كانوا في غاية العناية بالنظافة فلم تسقط ولو حبة واحدة من الطعام على أرض المسجد من شدة اهتمامهم بآداب الإسلام ، وكان هذا في صيف عام ١٤١٢/ ١٩٩٢ ميلادي . وهي تجربة جديرة بالتسجيل للدلالة على أنه يمكن الاستفادة من الولائم في الدعوة إلى الله إذا وضع برنامج جيد لتلك المناسبة .

○ ***رابعًا : الحفلات :***

وهذا أيضًا ميدان من ميادين الدعوة الإسلامية وهي متعددة الأشكال ومتنوعة المسميات يدعي إليها جمع من الناس وذلك إما احتفاءً بقادم أو تكريمًا لمجد أو إتمامًا لمشروع من المشاريع تقدم فيها الأطعمة والمرطبات والحلوى ويتجاذب الحاضرون فيه أطراف الحديث ، وهي فرصة لتذكير الحاضرين بميعادهم ولفت أنظارهم إلى ضرورة الاستعداد ليوم الرحيل ، والتزود من هذه الدار بزاد التقوى بالعمل الصالح والتمسك بأهداب الدين والعمل على نصرته بكل الوسائل الممكنة وإظهاره بالمظهر الذي يليق به من حيث التعامل مع الآخرين من المسلمين وغيرهم من أهل الأرض ، كي يطلعوا من قرب ومن خلال المسلم على روح هذا الدين وعظمته في تزكية النفس البشرية والارتقاء بها إلى مراتب عليا من السلوك الحسن ، والجدير ذكره أن هذه الاحتفالات على اختلافها أصبحت في الوقت الحاضر كثيرة جدًّا سواء من خلال كثرة المناسبات أو من خلال ما حدث في حياة الناس من تغيير عن ما كانت عليه الحال في السابق ، وتكون الدعوة إلى هذا الدين من خلال هذه الحفلات ابتداءً من الإعداد لها بحيث يتوفر عامل الترشيد في المآكل والمشارب ، ولا يكون الإسراف في الوقت بحيث تمتد هذه الاحتفالات إلى ساعات متأخرة من الليل الأمر الذي يسبب مشقة على المسلمين في حضور صلاة الفجر في جماعة . وهذه دعوة أيضًا إلى غير ذلك من التوجهات العامة الهادفة التي تتقيد بآداب الإسلام في كل الأمور بحيث يكون المسلم منقادًا انقيادًا تامًّا لهذا الدين ، وهذا بلا شك في غاية الأهمية بحيث يكون التناصح والتذكير والتعليم سائدًا بين المسلمين في لقاءاتهم وحفلاتهم وجميع تجمعاتهم . وبهذا يتبين لنا أن

المناسبات العامة ميدان واسع للدعوة إلى الله تعالى إذا وضعت الخطط اللازمة والبرامج المفيدة لتلك اللقاءات والمناسبات بحيث يجد فيها دعاة الإسلام مجالًا لتبليغ وبيان محاسن هذا الدين ، سواء لأبناء الأمة الإسلامية أو لغيرهم ممن يشتركون معهم في تلك المناسبات بسبب المصالح المشتركة والقائمة الآن بين أمم الأرض أو بسبب النشاط الدعوي لهذه الأمة في بلدان العالم المختلفة والمتعددة الأيديولوجيات والتوجهات بهدف احتوائهم وإعادتهم لفطرتهم الأولى عبادًا لله الخالق وبهذا الدين متمسكين .



المبحث السادس: الجهاد في سبيل الله وبيان أنواعه وإبراز فعاليته لجماعة الدعوة ، ومواجهة الشر في بعض أطواره ودفع الافتراءات حوله

موضوع الجهاد من المواضيع ذات العلاقة الوطيدة بالدعوة ، لأنه ركنها الشديد إذا ما عاند المعاندون وبغى الباغون على هذا الدين وتمردوا على هدى الله ، ولما كان هذا الموضوع هام جدًا وذا أبعاد كثيرة أفرد له المؤلفات فيه علماء الأمة ، وحرصًا على عدم الإطالة الذي اتخذت به في هذا الكتاب يمكن إيضاح هذا الميدان الهام من ميادين الدعوة في المطالب الآتية :

- **المطلب الأول : تعريفه وفضله وحكمه وأنواعه .**
- **المطلب الثاني : آثاره على الأمة وعلاقته بالدعوة .**
- **المطلب الثالث : أضرار القعود عنه ..**
- **المطلب الرابع : الافتراءات والشبهات التي أثيرت حوله والرد عليها .**

* * *

المطلب الأول : تعريفه وفضله

○ الجهاد لغة :

مشتق من الجهد بالضم أو الفتح ، وهو : الوسع والطاقة ، وقيل : الجهد بالضم ، وهو : الوسع والطاقة ، وبالفتح المشقة[1]، وبالرجوع إلى مادة (جهد) نجد أن للجهاد معاني عديدة.

○ الجهاد اصطلاحًا :

أما تعريفه شرعًا فإنه يدور حول (قتل المسلم الكافر) عند أغلب الفقهاء بتعريفات عديدة، منها تعريف ابن تيمية رحمه الله وهو تعريف جامع قال: (الجهاد هو بذل الوسع ، والقدرة في حصول محبوب الحق ودفع ما يكره) وفي موضع آخر قال: (وذلك لأن الجهاد حقيقة الاجتهاد في حصول ما يحبه الله من الإيمان والعمل الصالح ومن دفع ما يبغضه الله من الكفر والفسوق والعصيان)[2].

○ فضل الجهاد :

من خلال تدبر آي الذكر الحكيم التي تحدثت عن الجهاد يتبين لنا أنه شرف عظيم ومنزلة عالية رفيعة يبلغها الإنسان من خلاله .

إن مكانة الجهاد سامقة ، ذلك أنه ماضٍ إلى يوم القيامة وهو مفروض على أمة محمد ﷺ يرتفع من خلاله المسلم عن بقية إخوانه المسلمين مكانًا عليًا ، وورد ذكره في كتاب الله العزيز أكثر من عشرين مرة بألفاظ عديدة مثل: جاهدوا، تجاهدون ... ، مما يؤكد على فضله الكبير ومكانته العظيمة في دين الإسلام. يقول الحق تبارك وتعالى :

(١) ﴿ وَمَن جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِۦٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٦ ﴾[3].

---

(١) لسان العرب لابن منظور جـ٣ ص١٣٤ .

(٢) فتاوى ابن تيمية جـ١ ص١٩٢ – ١٩٦ .

(٣) العنكبوت آية : ٦ .

(٢) ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ﴾[١].

(٣) ﴿ وَجَٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾[٢].

(٤) ﴿ لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُو۟لِى ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ دَرَجَةً ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٩٥﴾ ﴾[٣].

(٥) ﴿ وَجَٰهِدُوا۟ فِى ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ ﴾[٤].

(٦) ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ﴾[٥].

(٧) ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ ﴾[٦].

(٨) ﴿ وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَن يُقْتَلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتٌۢ ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ ﴿١٥٤﴾ ﴾[٧].

(٩) ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ ﴿٤﴾ ﴾[٨].

(١٠) ﴿ مَا كَانَ لِأَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُوا۟ عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا۟ بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَطَـُٔونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ ٱلْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٌ صَٰلِحٌ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢٠﴾ وَلَا يُنفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ

---

(١) التوبة آية : ٧٣ .
(٢) التوبة آية : ٤١ .
(٣) النساء آية : ٩٥ .
(٤) الحج آية : ٧٨ .
(٥) العنكبوت آية : ٦٩ .
(٦) الصف : ١٠ ، ١١ .
(٧) البقرة آية : ١٥٤ .
(٨) الصف آية : ٤ .

﴿ لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾[1].

هذه الآيات المباركات لو قدر لنا ووقفنا عند معانيها ومبانيها لكونت بحثًا كبيرًا مستقلًا بذاته ، لكنني أردت التذكير فقط وبيان المكانة التي مثلها الجهاد في كتاب الله العزيز من خلال هذه الآيات وغيرها مما لم أورده هنا ، وهنا يدل دلالة واضحة على أن الجهاد مرتبط أرتباطًا وثيقًا بالدعوة إلى الله عز وجل ، وبهذا يتبين لنا أن الجهاد مرحلة من مراحل الدعوة ، وقد كان له ومازال أثر كبير في نشر الدين ، وهو ميدان واسع من ميادين الدعوة إلى الله عز وجل بل هو أوسع ميدان فيها . فعلى دعاة الإسلام الوقوف على معاني هذه الآيات ومعرفة سبب نزولها وأقوال علماء التفسير فيها لتكون لهم زادًا مباركًا ومستمرًا لبيان علاقة الجهاد بهذه الدعوة المباركة لرد المغالطات والشبهات التي يثيرها أعداء الإسلام بين الحين والآخر ليظهروا الإسلام بمظهر العنف والتعدي وسفك الدماء والاعتداء على الأبرياء كما يزعمون ، وينسون أو يتناسون أن الذي فرض الجهاد هو رب العزة والجلال مالك الملك الذي يعلم السر وأخفى ، وهو في صالح هذا الإنسان وليس ضررًا عليه .

هذا ما كان في كتاب الله العزيز من أمر بالجهاد وبيان فضله أما في السنة المطهرة فسأورد– أيضًا– بعض الأحاديث الدالة على فضله دون تعليق، وذلك لتذكير دعاة الإسلام بهذا الميدان العظيم من ميادين الدعوة إلى الله عز وجل ، وها هي الأحاديث النبوية :

(١) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **تضمن الله لمن خرج في سبيله لا يخرجه إلا جهادًا في سبيلي وإيمانًا بي وتصديقًا برسلي ، فهو عليَّ ضامن أن أدخله الجنة أو أرجعه إلى مسكنه الذي خرج منه نائلًا ما نال من أجر وغنيمة ، والذي نفس محمد بيده ما من كلم يكلم في سبيل الله إلا جاء يوم القيامة كهيئته حين يكلم لونه لون دم وريحه ريح مسك ، والذي نفس محمد بيده لولا أن يشق على المسلمين ما قعدت خلاف سرية تغزو في سبيل الله أبدًا، ولكن لا أجد سعة فأحملهم، ولا يجدون سعة، ويشق عليهم أن يتخلفوا عني، والذي نفس محمد بيده لوددت أن أغزو في سبيل الله فأقتل ثم أغزو فأقتل ثم أغزو فأقتل** »[2].

---

(١) التوبة آية : ١٢٠ ، ١٢١ .

(٢) صحيح مسلم كتاب الجهاد .

(٢) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « **يا أبا سعيد من رضي بالله ربًا وبالإسلام دينًا وبمحمد ﷺ نبيًا وجبت له الجنة** » فعجب لها أبا سعيد فقال : أعدها عليَّ يا رسول الله ففعل ثم قال : « **وأخرى يرفع بها العبد مائة درجة في الجنة ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض** » قال : وما هي يا رسول الله ؟ قال : « **الجهاد في سبيل الله ، الجهاد في سبيل الله** »[1].

(٣) عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ : « **ما أحد يدخل الجنة يحب أن يرجع إلى الدنيا وله على الأرض من شيء إلا الشهيد يتمنى أن يرجع إلى الدنيا فيقتل عشر مرات لما يري من الكرامة** »[2].

(٤) عن أنس رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **لغزوة في سبيل الله أو روحة خير من الدنيا وما فيها** »[3].

(٥) عن أبي موسى رضي الله تعالى عنه قال : جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال : الرجل يقاتل للمغنم والرجل يقاتل للذكر والرجل يقاتل ليرى مكانه فمن في سبيل الله ؟ قال : « **من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله** »[4].

هذا بعض ما ورد في السنة المطهرة على صاحبها أفضل الصلاة وأزكى التسليم لنذكر بمقام وقدر الجهاد في الإسلام وفضله وفضل المجاهدين وما أعد لهم من أجر عظيم ومقام رفيع عند مليك مقتدر جلت عظمته .

ومن خلال ما أوردت من آيات بينات وأحاديث نبوية صحيحة يظهر بجلاء فضل الجهاد وارتباطه الوثيق بالدعوة إلى الله سبحانه وتعالى ، وهو ما سنأتي عليه بالتفصيل في المطلب القادم إن شاء الله .

○ حكمه :

لقد تحدث علماء الأمة وفقهاؤها عن حكم الجهاد وإتمامًا للفائدة أنقل بعضًا من

---

(١) مسلم كتاب الجهاد .

(٢) صحيح البخاري جـ٢ ص٧٨ .

(٣) صحيح مسلم كتاب الجهاد .

(٤) البخاري كتاب الجهاد جـ٤ ص٧٦ .

أقوالهم على النحو التالي لبيان حكم الجهاد :

(١) قال شيخ الإسلام ابن تيمية في الفتاوى : واجب على المسلمين عمومًا على الكفاية منهم ، وقد يجب أحيانًا على أعيانهم[1].

(٢) قال الشيخ أحمد بن محمد الصاوي المالكي في « بلغة السالك لاقرب المسالك » : (الجهاد في سبيل الله لإعلاء كلمة اللهِ سنة وفرض كفاية، إذا قام به البعض سقط عن الباقين ويتعين بتعيين الإمام وبهجوم العدو على محلة القوم)[2].

(٣) وقال صاحب المغني : الجهاد فرض على الكفاية إذا قام به قوم سقط عن الباقين ، ويتعين في ثلاثة مواضيع :

(أ) إذا التقي الزحفان وتقاتل الصفان حرم على من حضر الانصراف ويتعين عليه القتال .

(ب) إذ نزل الكفار بلدًا يتعين على أهله قتالهم ودفعهم .

(ج) إذا استنفر الإمام قومًا لزمهم النفير معه .

○ *أنواعه :*

ذهب بعض العلماء إلى أن أنواع الجهاد أربعة هي :

(١) جهاد الكفار . (٢) جهاد الفساق .

(٣) جهاد النفس . (٤) جهاد الشيطان .

وبعضهم أضاف :

(١) الإقبال على النصيحة والعمل بها . (٢) دعوة الناس إلى الحق .

(٣) ترك مجالس السوء وهجر صحبة الأشرار .

(٤) نصب العالم كله للإرشاد والوعظ وتفهيم الناس الآيات القرآنية والأحاديث النبوية ، وقيل : من أنواعه الجهاد باللسان والمال والنفس .

---

(١) الفتاوى جـ٢٨ ص١٨٤ .

(٢) أحمد الصاوي المالكي بلغة السالك ص٣٥٤ – ٣٥٥ .

المطلب الثاني : آثاره على الأمة وعلاقته بالدعوة

لما كان الجهاد من فرائض الإسلام فقد عظمت به الوصية واشتدت إليه الحاجة وأصبح من لوازم الحياة الكريمة حيث يبذل المسلم ماله ونفسه وجميع ما يملك لإعلاء كلمة الله سبحانه وتعالى امتثالًا لأمره جل وعلا . والجهاد يضمن بقاء أمة الإسلام قوية مهابة الجانب يحسب لها الطامعون ألف حساب ، وهذا الأثر لو لم يكن إلا هو فقد كفى ذلك ، لأن أعداء الإسلام والمسلمين قذف الله في قلوبهم حب الدنيا والتدافع عليها والحرص على زخارفها ، وهذا يترك في النفس البشرية آثارًا بعيدة المدى وفي مقدمتها الخوف من مواجهة الأعداء والجبن عند اللقاء ، فهم يخشون المواجهة ومنازلة الخصم، أما المسلمون فإنهم يقبلون على القتال في سبيل الله بشوق لما يعلمون ما أعده المولى جل وعلا للشهيد من مقام رفيع وأجر عظيم ومرتبة عالية . ويمكن أن نبين آثار الجهاد في النقاط التالية :

❋ **أولًا** : الجهاد دليل واضح وقاطع على الإيمان بالله سبحانه وتعالى ، وذلك لأن المسلم فردًا كان أو جماعة يبادر به امتثالًا لأمر الله تعالى وطاعة له جل وعلا ، وهذا بلا شك ينعكس إيجابًا على الأمة الإسلامية ، لأنه مظهر من مظاهر قوتها ، وتمسكها بمنهجها حتى لو أدى ذلك إلى التضحية بالنفس (الجهاد) .

❋ **ثانيًا** : في الجهاد عزة وقوة للمسلمين وفخر لهم ، ذلك لأن المسلم عندما يجاهد في سبيل الله إنما يقوم بهذا من أجل إعلاء كلمة التوحيد ، فالله سبحانه وتعالى يكتب له بهذا العمل العزة ويؤيده بالنصر ﴿ إِن تَنصُرُوا۟ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ۝٧ ﴾ ولما كانت النفس من أعز ما يملك الإنسان وتقديمها في سبيل الله برضًا وقبول وشوق إلى الشهادة أو النصر كان ذلك أعز ما يفخر به الإنسان .

❋ **ثالثًا** : الجهاد يحقق الحماية لأراضي المسلمين وممتلكاتهم ويجعل دولتهم مهابة الجانب .

❋ **رابعًا** : الجهاد في مقدمة عوامل الاتحاد والائتلاف بين أمة الإسلام ، لأن المسلمين يخرجون تحت راية واحدة ولهدف واحد ، وهذا لا يكون إلا في الجهاد حيث تذوب الفوارق وينصهر الجميع في بوتقة واحدة هي بوتقة الجهاد ورفع راية الإسلام بنشر هذا الدين بعد ما نفدت جميع الوسائل التي تسبق القتال أو الدفاع عن أراضي المسلمين وبلدانهم من اعتداء الطامعين ، وهذا بلا شك أثر له مكانته في أعين الكفار وقبل ذلك على المسلمين أنفسهم ، لأنه يجمع الكلمة ويوحد الصفوف .

❋ **خامسًا** : الجهاد ديدنه إذلال للكافرين والمعاندين وأعداء الدين ، وذلك لأن أموالهم وذراريهم وبلادهم تصبح فيئًا للمسلمين ، ودمائهم تهدر بسيوف وعتاد المسلمين وآلياتهم .

❋ **سادسًا** : الجهاد محصلته الفوز أو الشهادة والفوز يعني تمكين المسلمين في الأرض واستيلاءهم على ديار العدو ونشر الإسلام فيها واتساع رقعة الإسلام في هذا العالم ، والشهادة تعني حصول المسلم على أغلى ما يتمنى وذلك لمعرفته بما أعده المولى جل وعلا للشهداء من حسن الثواب والأجر العظيم .

وبالجملة فإن في الجهاد آثارًا كثيرة على الفرد والجماعة ، لأنه يظهر قوتها وتمسكها بدينها واعتمادها على خالقها سبحانه وتعالى وعدم تمسكها بالدنيا وزخارفها وإقبالها على ساحات الوغي بكل قوة وعزم وتصميم لنيل إحدى الحسنيين النصر أو الشهادة . وعلى دعاة الإسلام تذكر أثر الجهاد على سلفنا الصالح رضوان الله عليهم وكيف أعزهم الله به ونصرهم وهم قلة .

○ *علاقة الجهاد بالدعوة* :

إن علاقة الجهاد في سبيل الله بالدعوة إلى الله جيدة وقوية جدًا ، ذلك أن الجهاد إنما فرض لإعلاء كلمة الله سبحانه وتعالى والدعوة هي كذلك ، لأن هدفها نشر الإسلام وإبلاغ هذا الدين للناس أجمعين بالحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتي هي أحسن ، بعدها يشرع القتال ضد المعاندين ، لأن الله سبحانه وتعالى خلق هذا الإنسان لعبادته وهو جل وعلا الذي أمر بقتاله عندما يعاند ولا يذعن لأمره جل وعلا ، ومن هذا يتبين لنا مدى الترابط بينهما وقوة العلاقة المنبثقة من هذا الدين الذي جاء لإسعاد الناس أجمعين .

فالكثير من البشر لا ينقادون لأوامر الله سبحانه وتعالى إلا بالقوة ، والقوة مرحلة من مراحل الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى كما هو معلوم لدى دعاة الإسلام .

المطلب الثالث : أضرار القعود عن الجهاد

بعد ما أوضحت أثر الجهاد على الأمة الإسلامية الإيجابي خلال المطلب الثاني من هذا المبحث يمكن أن أقول : إن القعود عن الجهاد تعطيل لهذا الرافد من روافد قوة الأمة وعزها وتمكينها في الأرض يسبب لهذه الأمة أضرار كثيرة إضافة إلى ابتعادها عن منهج الله عز وجل الذي فرض الجهاد على أمة الإسلام نصرًا وتمكينًا لعباد الله الصالحين في الأرض .

إن الآثار الطيبة والإيجابية التي تعود على الأمة من قيامها بالجهاد يحدث عكسها في حالة قعودها عنه وتركها ، ذلك أن الجهاد حياة وحركة وعمل وجد واجتهاد وإعداد واستعداد ، وذلك لأنه بتكوين المقاتلين وتوفير العتاد لهم وتدريبهم على العدة المتوفرة حسب الزمان والمكان، لذا كان صحابة رسول الله ﷺ يتسابقون إلى ميادين الشرف والعزة والكرامة والتضحية ميادين القتال لا بل الجهاد لتكون كلمة الله هي العليا وكلمة الذين كفروا السفلى.

إن نتائج القعود عن الجهاد واضحة وضارة بالفرد والمجتمع بل بالأمة جميعها ويمكن بيان أضرار القعود عن الجهاد عن الأمة في النقاط التالية :

❋ **أولًا : ارتفاع راية الكفر وهيمنة أهله** : إن أكبر ضرر يلحق بأمة الإسلام هو ارتفاع راية أهل الكفر والضلال ، وهيمنة أعداء الله على مقاليد الأمور ، الذي ينتج عنه سيطرتهم على المسلمين وعدم قدرة دعاة الإسلام إبلاغ هذا الدين ونشر النور المبين بين عباد الله أجمعين ، الأمر الذي يسبب للبشرية خسارة فادحة من خلال تأخر المسلمين عن المقدمة والهيمنة على مجريات الأمور ، وبالتالي ضعفهم أمام قوى البغي والضلال ، الأمر الذي لا يمكن أن يقع لو كانت راية الإسلام الجهاد خفاقة وسلطة أهل الخير ماضية لتضل البشرية في عز ومنعة تحت راية التوحيد . والراصد لتاريخ أمة الإسلام يجد هذا واضحًا جليًا فعندما رفع سلفنا الصالح رضوان الله عليهم راية الجهاد في سبيل الله في وجه الكفر وأهله كانت

النتيجة سيطرتهم على جميع المواقف ، وبعد أن غابت راية الجهاد ردحًا من الزمن تسلطت أمم الكفر وأفسدوا على العباد حياتهم وهي نتيجة طبيعية بل وحتمية لهذا الترك والبعد عن ذلك الفرض والأمر الإلهي وصدق رسولنا الكريم ﷺ إذ يقول – عن ابن عمر رضي الله عنهما – : « **إذا تبايعتم بالعينة[1] وأخذتم أذناب البقر وتركتم الجهاد في سبيل الله ليلزمنكم الله مذلة في أعناقكم ثم لا تنزع منكم حتى ترجعون إلى ما كنتم عليه وتتوبون إلى الله** »[2] ، وفي قول سيدنا رسول الله ﷺ ما يوضح ذلك ويدل دلالة أكيدة على وقوع العقوبة على الأمة إن هي تركت الجهاد وما حدث لأمة الإسلام فيه الموعظة والعبرة .

❋ **ثانيًا : ضعف المسلمين وتقهقرهم أمام أمم الكفر** : وأعني بالضعف عدم ظهور قوتهم أمام الأمم الأخرى ، وضعف كلمتهم وقلة حيلتهم لضآلة حجمهم في أعين الكفار ، وهذا من خلال سقوط هيبتهم لدى الأعداء الأمر الذي يجعلهم يطمعون فيهم ، وهو ما حدث بالفعل، ترك المسلمون الجهاد كما قال رسول الله ﷺ .

❋ **ثالثًا : إقصاء حكم الله تعالى والتمكين لحكم الطاغوت** : معلوم أن قادة الكفر يتوقون إلى العلو في الأرض والسيطرة على شعوبها وتحكيم أهوائهم ورغباتهم ، لأنهم لا يؤمنون بخالقهم ومولاهم ، وضعف المسلمين في أعينهم يجعلهم يحكمون قوانينهم ويقصون حكم الله بالقوة والقهر لتسلطهم على رقاب المسلمين واستيلائهم على أوطانهم ، وهذه بلا شك واحدة من أضرار القعود عن الجهاد ، الأمر الذي أتاح لدول الكفر أن تسيطر على كثير من ديار المسلمين وتستبدل حكم الله بما لديهم من قوانين وتشريعات .

❋ **رابعًا** : ومن آثار بل أضرار ترك الجهاد استعباد الناس من قبل حفنة من البشر تسلطت على رقابهم وسامتهم سوء العذاب بالحديد والنار والقهر ، فقد وضعوا القوانين التي تحكمهم والصادرة من البشر بعد أن نجحوا في إبعاد الإسلام عن الحياة من خلال المخططات والبرامج المتعددة التي مكنتهم – عندما تركت الأمة الجهاد – من السيطرة وفرض القوانين الوضعية وجعلها مكان الحكم بما أنزل الله نتيجة ضعف المسلمين وتخاذلهم وقعودهم عن الجهاد، ومعلوم أن الجهاد كان وما زال السبب القوي والفعال في إخراج العباد من عبادة العباد

---

(١) العينة بالكسر السلف ، والمراد أنه يبيع شيئًا منه لغيره بثمن مؤجل ويسلمه إلى المشتري ثم يشتريه قبل قبض الثمن بثمن أقل مما باعه له وينقده الثمن .

(٢) مسند أحمد جـ٢ ص٨٤ .

إلى عباة رب العباد سبحانه وتعالى ، فإذا غَابَ تَمَكُّنَ الطغاة من التسلط على رقاب العباد واستعبادهم ، وهي جريمة في حق البشرية يقترفها من قعد عن الجهاد .

أرجو أن يكون فيما ذكرت التذكير لدعاة الأمة بشأن الجهاد ودوره العظيم في إعلاء كلمة الله والدعوة إلى دين الله جل وعلا .

* * *

المطلب الرابع : الافتراءات والشبهات التي أثيرت حوله والرد عليها

لقد تركزت افتراءات وشبهات المؤرخين الأوروبيين وغيرهم من المستشرقين وأعداء الإسلام على أن الإسلام دين سيف ودين عدوان وقطع لطريق واعتداء على الأرواح ، ذلك من خلال حقدهم الدفين ومغالطاتهم المستمرة وجهلهم بهذا الدين وبدستوره الإلهي- القرآن الكريم- الذي نزل فيه الأمر بالقتال والحث على الجهاد في حدود ما وضحه رسول الهدى ﷺ وقام به كتشريع للأمة في هذا المجال ، ولو كانوا منصفين لرجعوا إلى تاريخ الحرب في الإسلام ولعرفوا من خلال ذلك ما يلي :

١ – الإسلام لم يحارب بالسيف مبادىء وأفكار أو دعوات يمكن مقاومتها بالدليل والبرهان ، وإنما شهر سيفه في وجوه أولئك الذين عاندوا ووقفوا أمام دين الله والدعوة إلى إخلاص العبادة له وحده جل وعلا الذي خلقهم لعبادته .

٢ – الإسلام في بداية ظهوره كان هو المعتدى عليه وكان المسلمون يؤمرون بقتال من يقاتلهم .

٣ – الإسلام أتى للناس كافة، ورب العزة والجلال الذي خلق الخلق ويعلم بهم أتاح للدعاة إلى هذا الدين الفرصة لردع من عاند وطغى وبغى وتصدى لأمر الله بقتاله بعد إبلاغه وإبلاغه وإبلاغه ، فلم يكن الجهاد في يوم من الأيام للسيطرة أو إظهار القوة والاعتداء على الآخرين بل هو لصالح البشرية جميعًا، كي تعود إلى ربها سبحانه وتعالى بإخلاص العبادة له.

٤ – الإسلام يأمر المسلمين بمحاربة من لا يؤمن عهده وشره بالمعاهدة والمسالمة ، وهذا واضح في وصايا القرآن الكريم لهذه الأمة في هذا الصدد .

٥ – السرايا الإسلامية- التي أسموها قطعًا للطريق- طبق طريقتها القائد نابليون عندما

منع السفن الإنجليزية التجارية من الوصول إلى القارة الأوروبية ، وحول المعاملات الاقتصادية من طريق بريطانيا إلى فرنسا والقانون العالمي الحديث ، ونظام الأمم المتحدة قد أقرت فرض العقوبات الاقتصادية على الدول المعادية .

٦ – لم يكن القتال يومًا من الأيام هدفًا في حد ذاته لدى الدولة الإسلامية ، بل وسيلة لتحقيق هدف ، وهو إبلاغ رسالة رب العالمين لعباده أجمعين ورد المعتدين لحماية ديار المسلمين من اعتداء الطامعين ، وهذا واضح في أخلاقيات الحرب عند المسلمين ، والتي تؤكد على ما يلي :

(أ) الغزو في سبيل الله بعيدًا عن الغدر والتمثيل بالعدو وقتل الأطفال .

(ب) البعد عن قتل النساء والذراري والشيخ الكبير .

(ج) البعد عن قتل المكفوفين والصبيان .

(د) البعد عن هدم المنازل وقطع الأشجار .

(هـ) وفي الأثر عن أنس رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ قال : « **انطلقوا باسم الله وعلى ملة رسول الله – لا تقتلوا شيخًا فانيًا ولا طفلًا صغيرًا ولا امرأة ولا تغلوا وأصلحوا وأحسنوا إن الله يحب المحسنين** » .

(و) في بعث أسامة للروم وقف الصاحب في الغار – الصديق رضي الله تعالى عنه – خطيبًا في ذلك الجيش وقال : (يا أيها الناس قفوا .. أوصيكم بعشر فاحفظوها عني : لا تخونوا ، ولا تغلوا ، ولا تمثلوا ، ولا تقتلوا طفلًا صغيرًا ، ولا شيخًا كبيرًا ، ولا امرأة ، ولا تقطعوا نخلًا ، ولا تحرقوه ، ولا تقطعوا شجرة مثمرة ، ولا تذبحوا شاة ولا بقرة ولا بعيرًا إلا لمأكلة ، وسوف تمرون بأقوام فرغوا أنفسهم في الصوامع فدعوهم لما فرغوا أنفسهم له) إلى آخر ما قال رضي الله تعالى عنه لهم : اندفعوا باسم الله هذه أخلاقيات الحرب عند أمة الإسلام ، وهذا منهجهم في القتال لم تعرف الدنيا له مثيلًا أبدًا .

إن ما نشاهده اليوم من حروب يشيب لها رأس الطفل ، إنها ليست حروبًا بل إبادة وتدمير لكل شيء حتى الجمادات لم تسلم من ويلات الحروب اليوم التي يقوم بها غير المسلمين ، لم تعرف البشرية عن المسلمين غير تلك الأخلاقيات، لهذا كانت جميع الغزوات ذات نتائج

جيدة بالنسبة للإنسان ، كلها خير وبركة ، هدفها العودة بهذا الإنسان إلى رحاب الله سبحانه وتعالى ، وكل ما قيل من أعداء الإسلام عن الجهاد محض افتراء ، لأنه ما كان يومًا من الأيام بهدف سفك الدماء والاعتداء ؛ بل لرفع راية الإسلام وحماية البشرية من شرور الطغاة المتحكمين في رقابهم ، وتحريرهم من الرق الذي هم فيه ، ليعودوا أحرارًا كما أراد الله لهم في ظل دين الله ﴿  ﴾ نعم،لا دين إلا دين الإسلام الذي ارتضاه رب العزة والجلال لعباده أجمعين .

إنهم لن يكفوا عن إطلاق التهم والشبهات حول هذا الدين وحول الجهاد بالذات ، عندها نقول : لهم ارجعوا إلى صفحات التاريخ لتروا الحقائق الناصعة ، وكونوا منصفين فإن التاريخ لا يغفل ، ومهما حاولتم فلن تطفئوا نور الله ، والله متم نوره ولو كره الكافرون .

* * *

البـــاب الثانـــي

القاعدة الثانية : (الداعـي)

- الفصل الأول : تعريفـه .
- الفصل الثاني : بعض صفات الداعي .
- الفصل الثالث : ثقافة الداعي .
- الفصل الرابع : منهج النبي ﷺ في الدعوة .

***

الفصل الأول
تعريف الداعي

○ تعريف الداعي ○

وردت هذه اللفظة في كتاب الله العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ثلاث مرات ، مرة بلفظ الداعي ، كما في سورة طه ، قول الحق تبارك وتعالى : ﴿ يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُ ﴾[1]. ومرتان بلفظ (داعي) كما في سورة الأحقاف في قول الحق تبارك وتعالى : ﴿ يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ ﴾[2]. وقوله جل وعلا : ﴿ وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ ﴾[3].

وفي الحديث الشريف فيما رواه الإمام البخاري رحمه الله تعالى في صحيحه من حديث طويل : « فقالوا : فالدار الجنة والداعي محمد ﷺ »[4].

ولما كان في هذا الحديث جوانب عظيمة ، وكذلك كل كلام سيد العالمين ﷺ يحسن أن نذكره بتمامه كما ورد في الصحيح عن جابر بن عبد الله يقول : جاءت الملائكة إلى النبي ﷺ وهو نائم فقال بعضهم : إنه نائم ، وقال بعضهم : إن العين نائمة والقلب يقظان فقالوا : إن لصاحبكم هذا مثلًا فاضربوا له مثلًا فقال بعضهم : إنه نائم وقال بعضهم : إن العين نائمة والقلب يقظان ، فقالوا : مثله كمثل رجل بنى دارًا وجعل فيها مأدبة[5] ، وبعث داعيًا فمن أجاب الداعي دخل الدار وأكل من المأدبة فقالوا : أولوها له[6] يفقهها ، فقال بعضهم : إنه نائم ، وقال بعضهم : إن العين نائمة والقلب يقظان ، فقالوا : فالدار الجنة والداعي محمد ﷺ فمن أطاع محمدًا ﷺ فقد أطاع الله ومن عصى محمدًا ﷺ فقد عصى الله ، ومحمد ﷺ فرق[7] بين

---

(١) سورة طه الآية : ١٠٨ .

(٢) سورة الأحقاف الآية : ٣١ .

(٣) سورة الأحقاف الآية : ٣٢ .

(٤) صحيح البخاري جـ٩ ص١٦٧ عالم الكتب .

(٥) أي : وليمة ، وروي فتح الدال أيضًا .

(٦) أي : فسروها واكشفوها .

(٧) أي : ميز ، وروي فرق بفتح فسكون أي : فاصل .

الناس »[1]. وفي لسان العرب ؛ الدعاة قوم يدعون إلى بيعة هدى أو ضلالة واحدهم داع ورجل داعية إذا كان يدعو الناس إلى بدعة أو دين ، أدخلت الهاء فيه للمبالغة والنبي ﷺ داعي الله تعالى وكذلك المؤذن ، وفي التهذيب : المؤذن داعي الله . والنبي داعي الأمة إلى توحيد الله وطاعته[2]. فعلى ذلك الداعية ، وهو : كل من آمن بالله ربًا وبمحمد ﷺ رسولًا وبالإسلام دينًا وقام بتبليغ هذا الدين للناس أجمعين في كل زمان ومكان بمثل ما كان عليه سيدنا محمد ﷺ وصحابته الكرام والتابعون لهم بإحسان . وسوف نفصل هذا التعريف:

قولنا : من آمن بالله ربًا ، يخرج غير المؤمنين ذكورًا وإناثًا ، وبمحمد رسولًا ، يخرج من لم يؤمن ويصدق برسالته ﷺ ، وبالإسلام دينًا ، يخرج كل من اعتقد بمعتقدات فاسدة ليس لها أصل في دين الإسلام ، ولم يحقق توحيد الألوهية والربوبية والأسماء والصفات وقام بتبليغ هذا الدين ، يخرج كل من تخلى عن الدعوة وإبلاغ الناس هذا الدين العظيم الذي ارتضاه رب العالمين للناس أجمعين ، وقولنا : في كل زمان ومكان : أي : عدم اقتصارها على زمن معين ومكان محدد ، بل هي في البر والبحر والجو والليل والنهار وفي كل مكان يتواجد فيه عباد الله أفرادًا وجماعات مجتمعين ومتفرقين .

وقولنا : بمثل ما كان عليه سيدنا محمد وصحابته الكرام . أي : في القيام بهذه الدعوة وتبليغها للناس جميعًا وفقًا لما كان عليه ﷺ وصحابته الكرام من بعده في تبليغ هذا الدين ، وسوف نفصل في هذه النقطة بالذات إن شاء الله عند الحديث عن أخلاق الداعية وعدته في مسيرته الطويلة الشاقة في إبلاغ هذا الدين للناس أجمعين .

وسيدنا رسول الله ﷺ إمام الدعاة والداعي الأول ، فقد أرسله الله سبحانه وتعالى بالهدى والنور المبين والدين القويم، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴿٤٦﴾ ﴾[3]. والدعوة إلى الله وظيفة ومهمة جميع الرسل الذي أرسلهم الحق تبارك وتعالى لعباده ، فدعو أقوامهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له واجتناب ما سواه ، بالتخلص من الأوثان والأصنام وما يعبد من دون الله سبحانه وتعالى على أي شكل من الأشكال وهيئة من الهيئات ، وصدق ربنا العظيم إذ يقول : ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ﴾[4]. وسيدهم وخاتمهم وإمامهم

---

(١) صحيح الإمام البخاري جـ٩ ص١٦٧ .

(٢) لسان العرب لابن منظور جـ١٤ ص٢٥٩ دار صادر بيروت .

(٣) سورة الأحزاب الآية : ٤٥ ، ٤٦ .

(٤) سورة النحل الآية : ٣٦ .

هو نبينا محمد بن عبد الله صلوات الله وسلامه عليه وعلى إخوانه من الأنبياء والمرسلين الذين اختارهم رب العزة والجلال لحمل دعوته وتبليغها إلى الناس أجمعين .

ونحن أمة محمد ﷺ الذين أنعم الله علينا بهذا الدين مكلفون بهذه الدعوة العظيمة ؛ لأن لنا في رسولنا الكريم أسوة حسنة ، ولأن الله سبحانه وتعالى اختارنا لهذا الأمر وهو الحكيم العليم ، قال تعالى : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾[1] .

فعلى كل مسلم بالغ عاقل ، ذكرًا أو أنثى أن يدعو إلى الله سبحانه وتعالى على بصيرة ، لأن هذا واجب عظيم أنيط بكل فرد من أفراد هذا المجتمع القرآني الكريم . ولا يتخلف أحد عن هذه الدعوة إلا من كان في إيمانه نقص أو خلل ، وعليه أن يتنبه لهذا الخطر العظيم ويبادر إلى علاجه وتداركه قبل أن يستفحل ، وذلك بالقيام بواجب الدعوة إلى الله ، والدعوة إلى الله ليست لأحد دون أحدٍ أو لجماعة دون جماعة ، بل هي للجميع فلا يعتقد أحد أنها خاصة بعلماء هذه الأمة فقط ، صحيح أنه لا يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون ، وأن العلماء قد وقفوا على أمور هذا الدين وخبروها ، ولديهم العلم للإجابة على أي مسؤال أو استفسار والرد على أي فرية أو طعن أو نقد يوجه لهذا الدين القويم ، وأنهم بما منحهم الله سبحانه وتعالى من علم وفهم وإدراك أقدر من غيرهم على فهم الدين وإيصاله للآخرين بطريقة مقبولة ومحببة ، صحيح كل ذلك ، لكن الأمة الإسلامية جميعها مطالبة بالقيام بهذا الواجب ، فهو شرف لهم منحهم إياه رب العالمين تفضلًا منه وكرمًا ، فهم أتباع خاتم المرسلين ، ولقد قال الحق تبارك وتعالى في كتابه العزيز : ﴿ قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾[2] .

وعليه يجب أن يعلم أولئك المتوهمون الذين يعتقدون أن واجب الدعوة لا يلزمهم ، لأنهم ليسوا من العلماء ، عليهم أن يعلموا خطورة هذا القول الذي يفت من عضد هذه الأمة ويعمل على إعاقتها عن القيام بدورها في الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى ، وعلى كل مكلف من أفراد هذه الأمة أن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر لما روى الإمام مسلم في صحيحه عن النبي ﷺ قال : « **من رأى منكم منكرًا فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع**

(١) سورة آل عمران الآية ١١٠ .

(٢) سورة يوسف الآية ١٠٨ .

فبقلبه وذلك أضعف الإيمان »[1]. نعم ، إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب على كل مكلف ، كل على حسب قدرته واستطاعته . حيث التغيير باليد أولًا وعند عدم المقدرة والاستطاعة يكون باللسان والدرجة الأخيرة يكون بالقلب ، كما قال الصادق الأمين ﷺ .

وأول ما يندرج تحت باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الدعوة إلى التوحيد وترك الأنداد والشركاء بجميع أشكالها وأنواعها وأوصافها ودرجاتها .

❋ ❋ ❋

---

(١) صحيح مسلم جـ١ ص/٥٣ تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي دار إحياء التراث العربي بيروت .

الفصل الثاني
بعض صفات الداعي

- المبحث الأول : الالتزام بما يدعو إليه .
- المبحث الثاني : الإخلاص لله في دعوته .
- المبحث الثالث : التأسي بالرسول ﷺ .
- المبحث الرابع : أن يكون على بصيرة .
- المبحث الخامس : الصبر وتحمل المشاق في سبيل الدعوة .
- المبحث السادس : الصدق .
- المبحث السابع : الرحمة .

* * *

○ بعض صفات الداعي ○

يقول الشريف علي بن محمد الجرجاني في كتابه التعريفات: الصفة: هي الاسم الدال على بعض أحوال الذات ، وذلك نحو طويل وقصير وعاقل وأحمق وغيرها . والصفة المشجعة هي : ما اشتق من فعل لازم لمن قام به الفعل على معنى الثبوت ، نحو كريم وحسن ، والداعية المسلم صفاته هي صفات الإسلام وما يجب أن يكون عليه من خلق حسن وامتثال لجميع الصفات الحميدة التي جاءت في كتاب الله العزيز وبينها ووضحها سيدنا رسول الله ﷺ في سنته وعلمها لصحابته الكرام رضوان الله عليهم جميعًا ، وقد بينت مفصلًا في كتابي « عدة الداعية المسلم » وفي الفصل الخامس منه بعضًا من أخلاق الداعية المسلم وصفاته ، ويمكن مراجعتها والوقوف عليها في الكتاب المذكور . وفي هذا الفصل من هذا الكتاب « قواعد الدعوة الإسلامية » سيكون البيان عن هذه الصفات من خلال النقاط التالية :

أولًا : الالتزام بما يدعو إليه .

ثانيًا : الإخلاص لله تعالى في دعوته .

ثالثًا : التأسي بالرسول ﷺ .

رابعًا : أن يكون على بصيرة .

خامسًا : الصبر وتحمل المشاق في سبيل الدعوة .

سادسًا : الصدق .

سابعًا : الرحمة .

وهذه النقاط أساس الشخصية الإسلامية ولازمة للدعاة إلى الله تعالى ؛ لأن الداعية إذا خالف قوله فعله كانت توجيهاته وجهوده هباءً منثورًا لأنه غير جدير بهذه الوظيفة السامية لمخالفة

فعله قوله ، وبالتالي لا بد لنا أن نؤكد على وجوب التزام الداعية بالصفات الحميدة ، هو في مصلحة هذا الداعية أولًا وأخيرًا ، وذلك أن المدعو ينظر إلى شخصية الداعية فإذا ما وجد فيها مواكبة القول العمل فإنه سيتأثر به وينتفع بدعوته ، أما إذا كان خلاف ذلك فإن النتيجة ستكون عكس ذلك ، بل يكون من ناحية أخرى فرصة لمن أراد أن يطعن في الإسلام لما يشاهد من صفات غير حميدة وسلوك لا ينم عن إدراك للأمور من قبل الداعية الذي لا يوافق سلوكه ، لذا أود في بداية هذا الباب التأكيد على ضرورة ظهور الداعية بالمظهر اللائق الذي لا يتيح فرصة لأعداء الإسلام بأن يقولوا في دعاة الإسلام ما يريدون ، والتزامه بالصفات الحميدة التي جاء بها الإسلام في كتاب الله العزيز وسنة نبينا المطهرة ، والداعية المسلم وهو يتمثل هذه الصفات واقعًا معاشًا إنما يقوم بذلك ليترجم عمليًّا التزامه الشخصي بما يدعو إليه ، وبالتالي يكون تأثيره فاعلًا في نفوس المدعوين ، وهذا ما سأوضحه في المبحث الأول من هذا الباب ؛ لأن المتأمل في صفات صاحب الرسالة نبي الهدى ﷺ يجد فيها القدوة الحسنة التي تدفعه إلى الالتزام بما يدعو إليه ﷺ وينادي به من وجوب إفراد الله بالعبادة ، وتحقيق العبودية والقيام بأمر الله تعالى على الوجه الذي بينه هذا الدين من خلال أوامره ونواهيه وتعاليمه السامية .

والذي نبغيه في هذا الزمان . هو ما يجب أن يكون عليه الداعية من صفات الخير ومكارم الأخلاق ؛ لأن الناس في هذا الزمان أصبحت تواقة إلى الشخص القدوة أكثر من ذي قبل ، وذلك لأن المشتغلين بالدعوة أصبحوا أكثر ، والحمد لله ، لكن الفئة المتصفة بالصفات الحميدة التي ينبغي أن يكون عليها الداعية ، فيها نظر ، وذلك لما نلحظ من تجاوزات ، سواء ما يتعلق بالمظهر أو المخبر ، وهذا بلا شك فيه صغارة كبيرة للدعوة أولًا ولدعاة الإسلام في نفس الوقت ؛ لذا أقول لدعاة الإسلام : كونوا قدوة لمن تدعوهم يتحقق لكم ما تريدون الوصول إليه بكل يسر وسهولة ؛ لأن ديننا فيه ما يكفل للبشرية عزها وسعادتها في الدارين ؛ لأنه من لدن رب العزة والجلال سبحانه وتعالى ، الذي كتب لهذا الدين البقاء والخلود حتى يرث سبحانه وتعالى الأرض ومن عليها ، فلا دين إلا دين الإسلام ، وفي حياتنا نحن البشر نلمس بكل وضوح أثر الدعاة القدوة الكبير في الناس ؛ لأن النفس البشرية تتوق إلى أن يكون الواعظ أو المرشد أو الداعية ممن يطبقون ما يدعون إليه على أنفسهم أولًا ، وهذا أمر معلوم لدى الجميع ؛ لذا أوكد في بداية هذا الفصل على وجوب عدم إغفال هذا

الأمر من قبل دعاة الإسلام ؛ يكون لدعوتهم تأثير وفاعلية وقبول من قبل المدعوين .

فليحرص الداعية على أن يظهر دائمًا بالمظهر الذي يليق بمن يدعو إلى دين الله القويم ؛ لتكون النتائج باهرة ؛ لأن دعاة الضلال يفتقرون إلى مطعن في الدين مركزون في افتراءاتهم على دعاة الإسلام وسلوكياتهم التي توضح بجلاء عدم التقيد بصفات الدعاة الأنقياء ، وهذا- والحمد لله- لا يشكل أو يظهر إلا في عدد قليل من المشتغلين بالدعوة ، ولأهمية الموضوع أفردت له هذا القدر من هذا المبحث ، والله أسأل أن يوفق الجميع إلى أن يظهر دعاة الإسلام بالمظهر الذي نرجوه جميعًا والذي ينعكس إيجابيًّا على انتشار دعوة الإسلام في أصقاع الأرض .

ومما لا شك فيه أن الجوانب التالية ، والتي بعضًا من الصفات الحميدة والأخلاق الفاضلة ضرورية للداعية والتزامه بها خير للدعوة وله ، وسأتحدث عنها مفصلة في المباحث التالية :

* * *

المبحث الأول : الالتزام بما يدعو إليه

في البداية نقف قليلًا مع معنى الالتزام فأقول : الالتزام : من لزم الشيء يلزمه لزومًا – قال الراغب : الإلزام ضربان : إلزام بالتسخير من الله تعالى أو من الإنسان ، وإلزام بالحكم أو الأمر قال تعالى: ﴿ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمْ لَهَا كَارِهُونَ ﴾ وفي اللسان يقول ابن منظور: لزم: اللزوم معروف، والفعل لزم يلزم، والفاعل لازم، والمفعول به ملزوم، لزم الشيء يلزمه لزمًا، ولازمه ملازمة ولزمًا ، والتزمه وألزمه إياه فالتزمه ، ورجل لزمة يلزم الشيء فلا يفارقه[1].

ويقول صاحب مختار الصحاح : الالتزام : الاعتناق[2] ورب العزة والجلال يقول في كتابه العزيز وهو أصدق القائلين : ﴿ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَىٰ ﴾ من هذا تبين لنا أن الالتزام هو إلزام الداعية نفسه ، إما بالقيام وفعل الأوامر أو بالابتعاد واجتناب النواهي ، وهذا يعني استقامته على دين الله تعالى ، ويتحقق هذا بإخلاص العمل لله رب العالمين مع موافقة لمنهج رسول رب العالمين المصطفى ﷺ، قال تعالى: ﴿ فَلِذَٰلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ ﴾ فالمسلم مطلوب منه أن يحقق الإسلام في سلوكه وتعامله مع نفسه ومع غيره من بني البشر المسلمين منهم والكافرين ، المسلمين يعاملهم على أساس بيان سماحة الإسلام وحرصه على هداية الناس جميعًا ، وعلى أساس إبراز ما أتى به الإسلام من خير وصلاح للبشرية جميعًا وعلى أساس الدعوة إليه بالسلوك وإظهار مزاياه وتعاليمه الشاملة الصالحة لكل زمانٍ ومكان . والأمر في حق الدعاة أخص ؛ لأنهم يقومون على أمر جد عظيم ، وهو إبلاغ دين الله لعباده ، فإذا ما كان الداعية من الملتزمين بهذا الدين قولًا وعملًا فإن أثره سيكون كبيرًا على المدعوين ، كما أن المعاملة الطيبة لها عظيم الأثر على النفس البشرية ، خاصة في هذا الزمان الذي يرغب فيه الجميع إلى الكلمة الطيبة والمعاملة الحانية اللطيفة والابتسامة المشرقة بنور الإيمان . فالإسلام دين الخير دين الحب والإخاء والرفق واللطف ، دين الحياة الهانئة التي لا غنى لأي إنسان

---

(١) لسان العرب لابن منظور ج١٢ ص٥٤١ دار صادر .

(٢) مختار الصحاح للإمام الرازي ص٤٣٦ المركز العربي للثقافة .

عنها . فالداعية الحق هو ذلك الملتزم بهدي الإسلام وبتعاليمه السامية ، هو ذلك الإنسان الذي يجد فيه المدعو ما يقتدي به ؛ لأن الناس من شأنهم النظر في أعمال وسلوكيات من يدعوهم إلى الخير ، فإن هم وجدوا فيهم وقوفًا عند حدود الله وما يدعون إليه وعملًا به فإنهم يتبعونهم ، أما الأخرى ، فإنهم ينبذونهم ولا يلقون لأقوالهم بالًا ولا يعيرونهم أي اهتمام ؛ لذا كان لزامًا على دعاة الإسلام خاصة التمسك بما يدعون إليه والتمثل في سلوكياتهم بما يريدون من الناس القيام به . فإن كان من الواجب على جميع المسلمين الالتزام بدينهم وتعاليمه والاستقامة على منهج الله تعالى ، فإنه يتحتم ذلك على من يقوم بدعوة الناس إلى دين الله ، وذلك لأنهم في موقع له مكانته لدى الجميع ، إنه مركز الهداية والدعوة والنصح والتوجيه والتعليم والتأثير ، إنه مركز (الدعوة) ذلك الذي يرفع صاحبه إلى مقامات عليا ويجعله مع الذين قال فيهم رب العزة والجلال في كتابه العزيز : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾[1] .

ثم إن خطورة هذا الأمر وأهميته لا تقتصر ولا تقف عند شخص الداعية المسلم ، بل تتعداه إلى بقية الدعاة فيقوم أعداء الدعوة بلمزهم وغمزهم والتحدث عنهم بطريق مبالغ فيه ؛ لأنهم يدركون الدور الذي يقوم به الداعية المسلم والعمل الذي يقوم به ، والتأثير الذي يحققه في نفوس المدعوين الذين استفادوا من دعاة الباطل ، سواء من دعاة الكنيسة أو دعاة الأفكار والمذاهب الهدامة التي تلتقي مع دعاة الكنيسة في محاربة الإسلام ومحاولة القضاء عليه . وعليه فاستقامة الداعية والتزامه بما يدعو إليه لها الأثر الفعال في جذب المدعو وتحبيبه وترغيبه في هذا الدين ومنهج الله سبحانه وتعالى ، ومما يدلل على التزام الداعية المسلم بما يدعو إليه فعلًا بعده عن الفرقة والاختلاف والانتماءات الحزبية وتأكيده على الأخوة الإسلامية والتعاون فيما بين الدعاة والتنسيق والاتصال الدائم لوضع الخطط والبرامج الكفيلة بجذب أعداد أكبر إلى هذا الدين ، وكم يكون المسلم سعيدًا إذا وجد دعاة الإسلام يجتمعون دائمًا للتباحث والتشاور في أمور الدعوة وطرقها ومعرفة أحسن السبل وأيسرها لنشر دين الإسلام . وهذا لا يتحقق إلا إذا التزم الداعية بمنهج الله الذي يدعو إلى الاجتماع والائتلاف، وينبذ الفرقة والاختلاف. نعم، دين الله القويم الذي جاء بكل ما يحقق لهذا الإنسان

---

(١) سورة فصلت الآية : ٣٣ .

سعادة الدارين . والمتدبر لنصوص القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة يجد أن الكثير منها يحث على الالتزام والاستقامة للمسلمين عامة والدعاة بشكل خاص ، ومنها قوله سبحانه وتعالـى : ﴿ فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْاْ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٢﴾ ﴾[1] وقوله سبحانه وتعالى في سورة الأنعام : ﴿ أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَـٰلَمِينَ ﴿٩٠﴾ ﴾[2] وآيات كثيرة في كتابه العزيز يمكن للداعية أن يراجعها إذا أراد الاستزادة ، والله أعلم .

وفي السنة المطهرة يذكر الدعاة قصة ذلك الرجل الذي أتى إلى الحبيب المصطفى ﷺ وسأله أن يقول له في الإسلام قولًا لا يسأل أحدًا غيره ، فقال له ﷺ : « **قل آمنت بالله ثم استقم** » والحديث في صحيح الإمام البخاري وفي مسند الإمام أحمد أيضًا . ويقابل هذا نصوص كريمة فيها تهديد ووعيد لمن خالف قوله عمله ولم يلتزم بهذا الدين ، وردت في غير موضع من كتابنا العزيز وفي سنة الرسول عليه الصلاة والسلام ، ففي القرآن الكريم يقول الحق تبارك وتعالى في سورة الصف : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٣﴾ ﴾[3]. ويقـول سبحانـه وتعالـى : ﴿ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَـٰبَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾[4]. والآيات في هذا المقام كثيرة جدًّا فمن أراد المزيد يرجع إلى الكتاب العزيز .

أما في السنة المطهرة فقد وردت أحاديث كثيرة تبين عقوبة من يأمر بالمعروف ولا يفعله وينهى عن المنكر ويفعله ؛ ففي الحديث المتفق عليه عن أسامه بن زيد رضي الله تعالى عنه قال : يقول رسول الله ﷺ : « **يجاء برجل يوم القيامة فيلقى بالنار فتندلق أقتابه في النار فيدور كما يدور الحمار برحاه فيجتمع أهل النار عليه فيقولون : أي فلان ما شأنك ، أليس كنت تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر قال : كنت آمركم بالمعروف ولا آتيه ، وأنهاكم عن المنكر وآتيه** »[5] . والاندلاق : هو الخروج بسرعة ، والأقتاب جمع قتب ، أي : الأمعاء ، أي : تنصب أمعاؤه من جوفه وتخرج من دبره .

---

(١) هود : ١١٢ .
(٢) الأنعام : ٩٠ .
(٣) الصف : ٢،٣ .
(٤) البقرة : ٤٤ .
(٥) اللؤلؤ والمرجان كتاب الزهد والرقاق ج٣ ص٣٢٥ .

إنه أمر فظيع وعذاب أليم شديد وموقف مخز أعاذنا الله من عذابه يوم يبعث عباده ، وأجارنا من خزي الدنيا وعذاب الآخرة .

من هذا تبين لك أيها الداعية المسلم أهمية التزامك بالإسلام وامتثالك وتجسيدك لما تدعو إليه واقعًا معاشًا في حياتك وفي منشطك ومكرهك في جميع شئون حياتك ليبرز ذلك واقعًا ملموسًا لدى من تقوم بدعوتهم فيجدوا فيك القدوة الحسنة ، وبذلك تكون ممن تنطبق عليهم الآية الكريمة ﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ۝٣٠ ﴾[1] .

لقد كان صحابة رسولنا الكريم عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم نماذج مضيئة في هذا الجانب ، فكان ذلك النصر والفتح الذي حققوه لهذا الدين من خلال جهادهم لإعلاء كلمة الله سبحانه وتعالى في أصقاع الأرض ، فكانوا – رضوان الله عليهم – أمثلة حية ورائعة لمن ذهبوا لدعوتهم وإبلاغ هذا الدين لهم من عرب وعجم ولو كان في الكتاب متسع لأعطيت أمثلة كثيرة على ذلك ، وفي العصر الحديث كان للتجار العرب الذين ذهبوا إلى بعض بلاد جنوب شرق أسيا الأثر الكبير في دخول أهل تلك البلاد في الإسلام ، لما رأوا منهم من أخلاق فاضلة وصفات حميدة ومعاملة طيبة ، سألوا من هؤلاء ؟ كانت الإجابة من المسلمين ؛ فشجعهم ذلك إلى طلب المزيد عن الإسلام ، فلما عرض عليهم أقبلوا عليه ودخلوا في دين الله أفواجًا ، وما زالت هذه حتى اليوم ، نجد في أوروبا وأمريكا بالذات أعدادًا كبيرة من الكفار تدخل الإسلام باجتهاد الدعاة وإبرازهم آداب الإسلام في معاملتهم مع أولئك الأقوام .

إن إظهار الداعية لآداب الإسلام والتزامه بها أمر لازم أكد عليه الكتاب الكريم وحثت عليه السنة المطهرة ، فيجب علينا جميعًا أن نكون مثلًا رائعًا كما أتى به هذا الدين القويم من خير وصلاح للبشرية جمعاء .

إن قضية التزام الداعية بما يدعون إليه تجعلنا نتذكر موضوعًا هامًّا ذا علاقة وثيقة بمسألة الالتزام ، إنه موضوع القدوة ، لقد ذكرت في كتابي « عدة الداعية المسلم »[2] ما يتعلق بالقدوة على وجه التفصيل ، ولا بأس هنا من ذكر أهم الجوانب في موضوع القدوة ، فالقدوة في القرآن الكريم وردت في سورة الأنعام في قول الحق تبارك وتعالى : ﴿ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ

(١) سورة فصلت الآية : ٣٠ .
(٢) عدة الداعية المسلم ط١ . ١٤١٣ هـ للمؤلف ص٣٩ .

عَلَيۡهِ أَجۡرًاۖ إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرَىٰ لِلۡعَٰلَمِينَ ﴿٩٠﴾ ﴾ وفي السنة المطهرة كثير من الأمثلة الرائعة لمن أراد أن يقتدي . فالقدوة في الدعوة ذات أهمية قصوى ، وذلك لأن امتثال الداعية بما يدعو إليه من أهم عوامل النجاح في دعوته ؛ لأنهم يرون فيه المثل الصالح والقدوة الحسنة ؛ لأن المدعو– كما ذكرت سابقًا– ينظر إلى سلوك من يدعوه وإلى مدى تمسكه بما يقول ويحدث الناس به ، وهذا أمر بدهي ؛ لأنه لا يمكن أن يكون نافعًا ومصلحًا من عجز عن نفع نفسه وتربيتها على القيام بأمر الله وتنفيذ تعاليم الدين ، والجدير ذكره أن القدوة الحسنة تتركز على قاعدتين هامتين يجب على الداعية التنبه لهما ومعرفتهما جيدًا ، وهاتان القاعدتان هما :

١ – الأخلاق الحسنة . ٢ – موافقة القول العمل .

ويجب أن يتذكر الداعية– دائمًا– أنه يقوم بمهمة جليلة وعمل كبير ، إنها وظيفة الرسل عليهم السلام الذين اختارهم رب العزة والجلال لهداية الناس وإخراجهم من ظلمات الكفر والطغيان والجحود بنعمة الخالق المنعم إلى نور التوحيد وتحقيق العبودية لله رب العالمين سبحانه وتعالى .

* * *

المبحث الثاني : الإخلاص لله تعالى في دعوته

لعله من المفيد أن أبين كلمة الإخلاص أولًا في هذا المبحث ، وذلك لأنني وقفت على معان جميلة وبيان شافٍ ، في لسان العرب لابن منظور ، يقول رحمه الله : أخلص : خلص الشيء بالفتح يخلص خلوصًا وخلاصًا إذا كان قد نشب ثم نجا وسلم وأخلصه وخلصه وأخلص لله دينه : أمحضه ، وأخلص الشيء : اختاره ، وقرىء ﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾ والمخلصين بالفتح والكسر ، قال ثعلب : يعني بالمخلِصين الذين أخلصوا العبادة لله تعالى ، وبالمخلَصين الذين أخلصهم الله عز وجل ، وقال الزجاج ، وقوله : ﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَىٰ إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا ﴾ ، وقرىء مخلصًا بالكسر .

والمخلص بالفتح : الذي أخلصه الله ، جعله مختارًا خالصًا من الدنس ، والمخلص بالكسر : الذي وحد الله تعالى خالصًا ولذلك قيل لسورة ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ﴾ : سورة الإخلاص . قال ابن الأثير : سميت بذلك لأنها خالصة في صفة الله تعالى وتقدس ، أو لأن اللافظ بها قد أخلص التوحيد لله عز وجل . وكلمة الإخلاص : كلمة التوحيد، وقوله تعالى: ﴿ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾ بالفتح، وقرىء المخلصين بالكسر ، فالمخلصون المختارون ، وبالكسر الموحدون[1] .

وأقول : الإخلاص في حقيقته قوة إيمانية وطاقة نفسية داخلية تدفع صاحبها إلى التجرد من الأعراض والمصالح الذاتية والترفع عن الغايات الخاصة ، وقصد رب العزة والجلال فيما يقوم به الإنسان من عمل لا يبتغي مقابل ذلك إلا وجه الله والدار الآخرة وما عنده سبحانه وتعالى . وهذا يعني : ألا يطلب الشخص لعمله شاهدًا إلا الله ولا مجازيًا سواه سبحانه وتعالى ، وقد وقفت على تعريفات لكلمة الإخلاص منها :

١ – إفراد الحق سبحانه وتعالى بالقصد في الطاعة .

٢ – نسيان رؤية الخلق بدوام النظر إلى الخالق .

٣ – استواء أعمال العبد في الظاهر والباطن .

---

(١) لسان العرب لابن منظور ج٧ ص٢٦ دار صادر .

وفي الكتاب العزيز آيات ورد فيها الإخلاص ، منها قوله تعالى في سورة النساء : ﴿ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾[1] .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ﴾[2] . وقوله جل وعلا في سورة الزمر : ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ ۝ أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ ﴾ ﴿ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ ۝ ﴾ .

وفي السنة المطهرة أحاديث كثيرة ذكر منها الإخلاص ، منها :

في سنن الترمذي كتاب العلم عن عبد الله بن مسعود يحدث عن النبي ﷺ قال : « **نضر الله امرءًا سمع مقالتي فوعاها وحفظها وبلغها ، فرب حامل فقه إلى من هو أفقه منه ، ثلاث لا يغل عليهن قلب مسلم : إخلاص العمل لله ، ومناصحة أئمة المسلمين ، ولزوم جماعتهم فإن الدعوة تحيط من ورائهم** »[3]. ومعنى : لا يغل بالضم من الأغلال : وهي الخيانة ، وبالفتح من الغل وهو الحقد والشحناء ، أي : لا يدخله حقد يزيله عن الحق ، وروي يغل بالتخفيف من الوغل ، أي: الدخول في الشر، والمعنى أن هذه الخلال الثلاث تستصلح بها القلوب ، فمن تمسك بها طهر قلبه من الشر ، وقال الفضيل رحمه الله تعالى : (ترك العمل من أجل الناس رياء ، والعمل من أجل الناس شرك، والإخلاص أن يعافيك الله منهما. وقال ابن عياض أيضًا: إن العمل إذا كان خالصًا و لم يكن صوابًا لم يقبل ، وإذا كان صوابًا و لم يكن خالصًا لم يقبل حتى يكون خالصًا صوابًا. والخالص أن يكون لله ، والصواب أن يكون على السنة . ثم قرأ قول الحق تبارك وتعالى : ﴿ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ۝ ﴾)[4]. وقال بعض أهل العلم : طالب العلم إذا كان مخلصًا ومات قبل أن يكون عالمًا بلغه الله منزلة العلماء . وقال مكحول : ما أخلص عبد قط أربعين يومًا إلا ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه ، وقال أبو سليمان الداراني : إذا أخلص العبد انقطعت عنه الوساوس ، والرجاء والإخلاص شعبة من شعب الإيمان والإخلاص في الطاعة ترك الرياء ، والإخلاص تجريد قصد التقرب إلى الله تعالى بالطاعة

---

(١) النساء : ١٤٦ .

(٢) البينة : ٥ .

(٣) سنن الترمذي ج٥ ص٣٤ شركة البابي الحلبي .

(٤) سنن الترمذي ج٥ ص٣٤ شركة البابي الحلبي .

عن نفع الدنيا وجعل العبد أفعاله لله تعالى ، وذلك لا يكون إلا بالنية ، وفي الحديث : « **إنما الأعمال بالنيات** » وكما ذكرت سابقًا يقول العلماء : حقيقة الإخلاص : أن يكون العمل موافقًا للشريعة وخالصًا لله رب العالمين .

الداعية المسلم أولى من غيره بتحقيق هذا المطلب ، وهذه الشعبة من شعب الإيمان في هذا العمل الجليل الذي يقوم به (الدعوة إلى الله) ، فعلى الداعية المسلم أن يدرك الحقائق التالية :

١ – أن يبغي من دعوته مرضاة الله وثوابه .

٢ – أن يحاسب نفسه دائمًا فيما يتعلق بقيامه بأمور الدعوة ومهامها ، ويسألها ماذا يريد من قيامه به بالبلاغ والبيان .

٣ – أن يكون جميع ما يقوم به من أعمال وما يصدر عنه من سلوكيات وفق شرع الله .

٤ – أن تكون أقواله مطابقة لأفعاله ، كما ذكرنا في المبحث الأول .

٥ – أن يكون على حذر دائم من دسائس الشيطان والغرور والرياء ؛ لأن الشيطان أشد ما يكون حرصًا في هذه الجوانب فيقع الداعية في الرياء ، وبالتالي لا يكون مخلصًا في دعوته .

٦ – أن لا يغفل عن طلب العون والتثبيت من رب العزة والجلال ، فإن فعل ذلك فإنه بحول الله وقوته من المخلصين الذين لا خوف عليهم وهم لا يحزنون .

إن درب الإخلاص شاق ووعر ، الإنسان فيه بين : الذات : الأنا ، ووساوس الشيطان ومتاعب العمل وعقباته ، وليس له معين إلا رب العزة والجلال ، هو المميت والمعين والحافظ ، وكل ذلك بإرادته وعونه وتوفيقه ، وأعني : قيام الداعية بدعوته بإخلاص ، ومن أحسن ما قرأت في هذا الجانب من قصص ووقائع ما ذكره الإمام ابن قدامة المقدسي في كتابه منهاج القاصدين ما رواه عن الحسن البصري قال : (كانت شجرة تعبد من دون الله فجاء إليها رجل ، فقال : لأقطعن هذه الشجرة ، فجاء إليها ليقطعها غضبًا لله ، فلقيه الشيطان في صورة إنسان فقال : ما تريد ؟ قال : أريد أن أقطع هذه الشجرة التي تعبد من دون الله ، قال : إذا أنتِ لم تعبدها ، فما يضرك من عبدها ؟ قال : لأقطعنها ، فقال له الشيطان : هل لك فيما هو خير من ذلك ، لا تقطعها ولك ديناران إذا أصبحت عند وسادتك ، قال :

فمن لي بذلك ؟ قال : أنا لك ، فرجع فأصبح فوجد عند وسادته دينارين ، ثم أصبح بعد فلم يجد شيئًا ، فقام غضبان ليقطعها فتمثل له الشيطان في صورته ، فقال : ما تريد ؟ قال : أريد أن أقطع هذه الشجرة التي تعبد من دون الله ، قال : كذبت ، ما لك إلى قطعها سبيل ، فذهب ليقطعها فضرب به الأرض وخنقه حتى كاد يقتله ، ثم قال له : أتدري من أنا ؟ فأخبره أنه الشيطان ، وقال : جئت أول مرة غضبًا لله فلم يكن لي عليك سبيل ، فخدعتك بالدينارين فتركتها ، فلما فقدتهما جئت غضبًا للدينارين فسلطت عليك)[1] .

فعلى الداعية المسلم إدراك حقيقة الإخلاص فيعمل في مجال الدعوة إلى الله عز وجل وإبلاغ هذا الدين دون الحصول على جزاءٍ أو شكرٍ من أحد ؛ لأنه يقوم بواجب لا يبتغي من ذلك إلا وجه الله عز وجل وما أعده جل وعلا من جزاء لمن أطاعه ودعا إلى دينه كما قال سيدنا نوح عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم لقومه، وما حكاه الكتاب العزيز في سورة هود : ﴿ وَيَٰقَوۡمِ لَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مَالًاۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِۚ ﴾[2] فما أحوج الداعية المسلم لهذا الخلق وهذه الصفة العظيمة ، ومعلوم أن الإخلاص في العمل من الأمور التي يجب أن لا يغفل عنها أي مسلم وبخاصة دعاة الإسلام وذلك لأن طريق الدعوة شاق لذا قال العلماء : « الدعوة إليه أي : إلى الإسلام والصبر على الأذى فيه » ورب العزة والجلال لا يقبل العمل من عامله إلا إذا كان خالصًا . والداعية المسلم يتذكر ويتأمل ما كان عليه الهادي البشير ﷺ من قيامه بأعباء الرسالة بكل جد وإخلاص حتى صار الإخلاص شيئًا ملموسًا مجسدًا ، وذلك من عظيم حرصه عليه الصلاة والسلام على أداء ما شرفه المولى سبحانه وتعالى به ، فهو عليه الصلاة والسلام قدوتنا ومثلنا في هذه الحياة ؛ لأن الحق تبارك وتعالى أعده ليكون مثلًا وقدوة للأمة في كل خير وبر ومعروف ، وفي القيام بإبلاغ هذا الدين للناس جميعًا . والإمام البيهقي رحمه الله تعالى ذكر في شعب الإيمان حديث الصحابي الجليل أبي هريرة رضي الله تعالى عنه الذي رواه الإمام مسلم في صحيحه: « **قال الله عز وجل: أنا أغنى الشركاء عن الشرك ، فمن عمل لي عملًا أشرك فيه معي غيري فأنا منه بريء وهو للذي أشرك**»[3] هذا لابن ماجه، رواه مسلم رحمه الله تعالى: «**تركته وشركه**» فلا بد

---

(١) مختصر منهاج القاصدين للإمام أحمد المقدسي ص ٣٦٥ .

(٢) سورة هود الآية : ٢٩ .

(٣) حديث قدسي : صحيح مسلم وابن ماجه وهذه رواية ابن ماجه .

أن يدرك الداعية المسلم دقة وحساسية الموضوع ؛ لأن الله شرفه بوظيفة الأنبياء ، ويكتب له مثل أجر من دعاه دون أن ينقص من أجر المدعو شيء ، فضلًا منه سبحانه وتعالى وتكرمًا ، لذا لا يريد أن تشوب هذا العمل الجليل أي شائبة من رياء أو سمعة أو انتظار مدح أو تقدير أحد من الخلق ، وإن كان ذلك سيحصل بأكثر وأحسن وأقوى مما يتصوره الداعية ، وذلك أن الله جل وعلا يحب العزة والرفعة في الدنيا لعباده المخلصين ، والمقام العظيم في جنات عدن في ذلك اليوم الذي لا ينفع المرء فيه إلا ما قدم ، وما كان خالصًا لله رب العالمين وموافقًا لهدي الكتاب والسنة ، وذكر البيهقي رحمه الله تعالى أيضا : أن أبا حمزة سئل عن الإخلاص فقال : ما لا يحب أن يحمده عليه إلا الله عز وجل[1]، إن الحديث متعدد الجوانب لكنني أود أن أؤكد على أنه لا بد على الداعية المسلم أن يحيط نفسه بسياج قوى جدًا من الاستعانة بالله سبحانه وتعالى والتوكل عليه ، وأخذ الحيطة كي لا يقع في حبائل الشيطان– لعنه الله– الذي إن وجد المسلم في حالة مرضية مع خالقه ومولاه تفنن في الوسوسة ومحاربة هذا الانضواء تحت راية الإسلام ، فلا يدحره إلا التزام الداعية بالإخلاص على الدوام وعلمه أن ما هيأه الله له من القيام بأمور الدعوة إنما هو بتوفيقه جل وعلا ، ومنّه وفضله ، فالتجاء العبد إلى مولاه والاستعانة به جل وعلا حصن حصين ومانع قوي من أن يصل الشيطان إلى تحقيق غرضه ، لذا لا بد أن يدرك الداعية هذا الأمر تمام الإدراك ؛ لأن الإنسان يدخله العجب بالنفس الموقع في الرياء والسمعة إلا من حفظه الله ، والذي أراه والله أعلم أن الإخلاص يرتكز على أربعة قواعد هي :

○ القاعدة الأولى : الإيمان .

تلك الطاقة الهائلة التي تتفجر من داخل الذات بعد أن تقر وتوقن وتعترف قولًا واعتقادًا بأن الله سبحانه وتعالى هو : الخالق الرازق المحيي المميت الذي بيده مقاليد الأمور ، المستحق للعبادة وحده جل وعلا ، وأن محمدًا ﷺ رسول الله إلى الناس كافة بشيرًا ونذيرًا وخاتم الرسل ، بلغ الرسالة وأدى الأمانة ، وجاهد في الله حق الجهاد ، وأن الجنة حق وأن النار حق ، وعذاب القبر حق ، والصراط حق ، والبعث حق ، والحشر حق ، والقرآن حق ، وأن الرسالة المحمدية من عند الله سبحانه وتعالى ، وأن القرآن الكريم كلام الله المنزل على رسوله محمد ﷺ

---

(١) مختصر شعب الإيمان للبيهقي ص٩٦ .

بواسطة الأمين جبريل عليه السلام ، وأن الملائكة حق واليوم الآخر حق والقدر خيره وشره من الله جل وعلا ، وأن العباد خلقوا للعبادة ، وأن الدين عند الله الإسلام كل ذلك يجعله لا يتوجه بأي عمل إلا لمستحقه الله جل جلاله ؛ لأن كل ما خلق الله فقير إليه وأنه سبحانه وتعالى غني عن العالمين ، لكن عدله اقتضى أن يثيب المحسن ويعاقب المسيء كما يجعله لا ينظر إلى مخلوق قط فيما يقوم به من تكاليف طلبها منه الشارع الحكيم .

فالإيمان هو الركيزة الأولى التي ينطلق منها الإخلاص في العمل وابتغاء ما عند الله ، وينبثق منها التوجه الصادق لله رب العالمين فيما يقوم به العبد ويدع ، وقد قال العلماء : الإيمان هو التصديق وهو ما وقر في القلب وصدقه العمل ، وهذا ميسر - والحمد لله - لكل من صدق في توجهه لله رب العالمين . فيجب على الداعية أن يقيس أولًا نفسه ويزنها بميزان الإيمان ، فإذا كان من المؤمنين حقًا وصدقًا - الذين أسلموا أنفسهم للخالق المدبر سبحانه وتعالى بالامتثال لشرعه الحنيف - فالحمد لله ويسأله الثبات وليهنأ بهذه النعمة العظمى ؛ لأن نعمة الإيمان لا يوازنها شيء على الإطلاق .

○ *القاعدة الثانية : العمل الصالح .*

قلت قبل قليل : أن الإيمان ما وقر في القلب وصدقه العمل ، أي : قيام الداعية بما أوجبه الله عليه من أعمال ، وفي مقدمة ذلك الصلاة المكتوبة وبقية أركان الإسلام : الزكاة وصوم رمضان وحج بيت الله الحرام إن استطاع إلى ذلك سبيلًا ، وكل ما يندرج تحت مفهوم العمل الصالح بعد أركان الإسلام الخمس من بر الوالدين وصلة الرحم وقولة الحق والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والعطف على المحتاجين ومواساة الفقراء والمساكين والصدقة والبعد عن إضرار الناس بقول أو فعل والكف عن عورات العباد والإكثار من الطاعات والبعد عن المحرمات والمكروهات ، فإن كان كذلك فإن ذلك يولد عنه الإخلاص ؛ لأن الله سبحانه وتعالى كتب على نفسه الرحمة وأعطى الكثير مقابل ما يقوم به العبد من القليل ، وإذا علم من عبده الصدق وفقه وسدده وحفظه من بين يديه ومن خلفه وحاطه بتوفيقه وتسديده سبحانه وتعالى وثبته على ما هو عليه من عمل وبارك له فيه ، والعمل لا يكون إلا بالعلم والعلم قبل العمل . فإذا آمن العبد وتمكن الإيمان منه تمام التمكن اتجه إلى الاستزادة من معرفة الله وملكوته وتدبر آياته ومعرفة حدوده وتفقه في دينه بطلب العلم والسعي إليه وتحمل المشاق في تحصيله من مصادره الصافية النقية ومن

علماء الأمة والأنبياء الذين هيأهم الحق تبارك وتعالى لحمل هذا النور وبيانه للناس ، وكانت النتيجة نورًا على نور ، إيمان وعلم ودعوة .

○ القاعدة الثالثة : التواصي بالحق :

مسألة التواصي بالحق من المسائل التي يدور حولها الكثير من المصالح الشخصية والجماعية ، فإذا كنا نعني بالحق : فعل الطاعات والبعد عن المحرمات فهو مطلب يجب على الفرد والجماعة تحقيقه امتثالًا لأمر الله سبحانه وتعالى ، وهذا الأمر إن تحقق بهذه السورة وسلم من الشوائب التي تشوب الأعمال فإنه قد توفر فيه عنصر الإخلاص ، وهو غاية مطلب الرب من العباد أي : أن تكون خالصة لوجه الله تعالى لا رياء فيها ولا سمعة ، فالعلماء ذكروا أن التواصي بالحق يدخل فيه سائر الدين من علم وعمل ، وقيام الداعية بهذا الأمر على الوجه الأكمل لاشك أنه دليل على صدق توجهه إلى خالقه ومولاه فيما أمر به ونهى عنه ، والداعية المسلم كقدوة للمدعوين لا بد أن يكون كذلك إظهارًا لتعاليم الإسلام مجسدة من خلال تطبيقه ذلك في نفسه وفي معاملته مع الآخرين ، وهذا دليل عملي على إخلاصه لدعوته وحبه لها ، والذي برز ماثلًا للعيان من خلال السلوك العملي لذا أقول ؛ إن الامتثال للحق قاعدة صلبة من القواعد الأربعة التي أرى أن الإخلاص يتجسد بوضوح أمامنا إن توفرت لدى المسلم ، وبالأخص الداعي إلى الله تعالى ، ولأن هذا التواصي يدفعه إلى الحرص الدائم على هداية الناس وتعليمهم أمور دينهم ومتابعة أحوالهم أو إلى الأخوة الإسلامية التي أوجبت حقوقًا للمسلم على أخيه المسلم ثم قيام الداعية بإبلاغ هذا الدين للناس جميعًا في حالة قيامه بالدعوة إلى الله في الأوساط غير الإسلامية نشرًا لهذا النور الذي أتى به خاتم الأنبياء وسيد المرسلين ﷺ ، والحديث عن قضية أو مسألة التواصي بالحق له جوانب متعددة لا يسمح المقام للاستطراد إنما أردت بيان ما تبين لي في هذا الموضوع من أن الإخلاص يرتكز على قواعد أربع .

○ القاعدة الرابعة : الصبر :

وهذا سوف أفصله في المبحث الخامس ، ولا بأس من ذكر الصبر أعني به : تحمل الداعية ما يلحقه من أذًى ، وما يتعرض له من متاعب ممن يدعوه أو من أعداء هذا الدين الذين لا يريدونه أن ينتشر أو يعم المعمورة لحقدهم عليه وإصرارهم على الكفر وعنادهم

الذي أوقعهم في ما هم فيه من عداوات للإسلام ، فالصبر قاعدة صلبة من القواعد الأربعة التي ذكرتها والتي ينطلق منها هذا العنصر النفسي الذي يدفع العبد إلى القيام بأوامر الله ، كما يحب سبحانه وتعالى ويرضى ، ذلك هو الإخلاص .



المبحث الثالث : التأسي بالرسول ﷺ

وهذه الصفة - التي يجب أن تكون ملازمة للداعية كي ينجح في القيام بمهام الدعوة - تحتاج إلى بحث مستقل ؛ لأن مسألة التأسي بسيدنا رسول الله ﷺ بينها الحق تبارك وتعالى في كتابه العزيز ، فقال جل من قائل عليمًا : ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾[1] .

إن اختيار الرب سبحانه وتعالى هذا النبي ﷺ ليكون للعالمين نذيرًا بعلم الله الذي خلق الخلق فهو ﷺ المصطفى ، وهذا الاختيار الرباني متعلق برب العزة والجلال الذي بيده ملكوت السموات والأرض وله الأمر كله ، فاختياره لهذا الرسول الكريم لحمل هذه الرسالة الخاتمة الخالدة تكريم لهذا الإنسان ورحمة به أن أرسل إليهم الرسل منهم ، ولا أدري ماذا يكون لو كان الرسل ملائكة ؟ .

إن المتتبع لسيرة هذا النبي الكريم عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم يدرك لماذا اختار الحق تبارك وتعالى عبده محمدًا ليكون للعالمين نذيرًا ، لقد أعطاه من الكمالات البشرية والصفات الحميدة ما لم يكن في غيره ، وذلك إعدادًا له ليقوم بهذه المهمة الجليلة العظيمة ، ولا بأس من الوقوف عند كلمة «تأسي» لبيان معني الأسوة .

يقول صاحب اللسان : الأسوة بفتح الألف وكسرها بمعنى القدوة ، ويقال : ائتس به أي : اقتد به وكن مثله ، فجعل الداعية رسول الله ﷺ أسوته وقدوته يجعله في مأمن من كثير من الاجتهادات أو الوقوع في الأخطاء عند قيامه بالدعوة ؛ لأنه ﷺ بقيامه بمهام الدعوة والبلاغ والإنذار سواء في العهد المكي أو المدني رسم لأمته الطريق وبين لهم ما يقومون به إن هم قاموا بدعوة الناس إلى الإسلام ، حيث كان عليه الصلاة والسلام يستنير بهدي الله سبحانه وتعالى فيما يتنزل عليه من آي الذكر الحكيم التي توضح له مسار الدعوة المباركة من بيان أحوال الناس وما كانوا عليه من كفر وبعد عن خالقهم جل وعلا وما ينبغي

(١) سورة الأحزاب الآية : ٢١ .

أن يفعله معهم كي يدخلوا في دين الله من رفق بينهم وعطف عليهم ورحمة بهم وحنو عليهم حتى يسمعوا كلام الله ويقوموا بما من أجله خلقهم الله تعالى ، وهذا معلوم لدى دعاة الإسلام بالضرورة ، فهو ﷺ حريص على هداية الخلق ، قام بالدعوة إلى الله خير قيام فبلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة برأفة وعطف ورفق ولين كلمة ، فصلوات ربي وسلامه عليه وبركاته.

والداعية المسلم عندما يتأسى بسيده رسول الله محمد ﷺ يصل إلى هدفه بكل سهولة وسرعة ويسر ، لأنه ﷺ رسم المنهج وأبان الطريق وعلم أمته كيف تكون الدعوة إلى الله .

ومعلوم أن طاعة سيدنا رسول الله ﷺ واجبة ، قال سبحانه وتعالى : ﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٥٦﴾ ﴾[1].

فالسير على نهجه وترسم طريقه والاقتداء به من أمر الله وطاعة لله جلا وعلا وامتثالًا لأمره سبحانه وتعالى ، فرب العزة والجلال منح سيدنا رسول الله ﷺ قدرات هائلة بل وخارقة في التحمل والصبر والثبات والإخلاص والصدق والحب ، نعم الحب الذي جعل من كان ينظر إليه ﷺ نظرات كلها الحقد والكره ويكّن في نفسه البغض والعداوة يكون على النقيض من ذلك عندما يقابله وجهًا لوجه بعد ما رأى في محياه الكريم ﷺ إشعاعات النور والنبوة والحب للناس جميعًا ، كيف لا وهو المبعوث رحمة للعالمين !

يقول أمير الشعراء أحمد شوقي :

ولو حفظوا سبيلك كان نورًا ... وكان من النحوس لهم حجابًا
بنيت لهم من الأخلاق ركنًا ... فخانوا الركن فانهار اضطرابًا[2]

فما من جانب من جوانب حياته المباركة وعمره النافع المفعم بالعطاء والحب والفداء والتضحية إلا ولنا فيه أسوة ، عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام .

حقًا يا سيدي يا رسول الله لنا فيك أسوة يوم صبرت على حمق كفار مكة وسفاهتهم وقولهم : شاعر ومجنون ، فصبرت ونلت .

لنا فيك أسوة يا نبي الرحمة في الثبات على المبدأ والتمسك به ، فيوم اجتمعت طواغيت الكفر والعناد عند عمك أبي طالب طالبين أن تترك الدعوة والبلاغ فأعلنتها قوية صريحة

---

(١) سورة النور : ٥٦ .

(٢) الشوقيات لأحمد شوقي ج١ ص٧٢ دار الكتاب العربي .

مدوية في قولك لعمك : « **يا عم والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر ما تركته حتى يظهره الله أو أهلك فيه ما تركته** »[1].

ولنا فيك أسوة يا حبيب الله يوم انصرفت إلى أهلك حزينًا أسفًا لما فاتك مما كنت تطمع فيه من قومك حين دعوتهم ليؤمنوا بربهم ويفردوه بالعبادة .

لنا فيك أسوة يا سيدي يا رسول الله يا صاحب اللواء والكوثر يوم وقفت أمام تلك الجموع الكافرة شامخًا لا تخشى إلا الله ، وقد أتوا بالتاج ليضعوه على رأسك الشريف زعيمًا لهم وتدع ما أتيتهم به من نور وخير وصلاح فنبذت الملك والرياسة وأوثقت من عزمك فمضيت قويًّا لإنقاذهم فكان لك ذلك ، وجاء نصر الله ودخل الناس في دين الله أفواجًا .

ولنا فيك يا رسول الحق للخلق أسوة حسنة في تحملك أذى القوم لأنك قلت لهم : قولوا : لا إله إلا الله محمد رسول الله تسلموا .

ولنا فيك يا سيدي يا رسول الله أسوة حسنة يوم تركت الأهل والديار ومراتع الصبا ومسقط رأسك الطاهر مكة المكرمة مهاجرًا إلى مهاجرك وما لقيت في هذه الرحلة « التحول » من مشاق ومصاعب هي درس في الصبر والتحمل لأمتك إلى يوم القيامة .

لنا فيك أسوة يا بطل الأبطال وسيد الشجعان في كل مراحل جهادك ببدر وأحد والخندق والفتح وحنين وخيبر وتبوك حيث كان هدفك إبلاغ رسالة ربك ومجاهدة المعاندين الصادين عن خالقهم ومولاهم جل وعلا .

لنا فيك أسوة يا أشرف الخلق في حملك لهذه الأمانة فأديتها خير أداء وبلغتها على أكمل وجه وأحسنه بحبك الكبير للناس جميعًا ، وحرصك الدائم الصادق على أن يعرفوا حقيقة وجودهم في هذه الحياة ، فتحملت الكثير ولاقيت الكثير من الأذى والاعتداء في سبيل إبلاغك الخير لهم حتى لقيت ربك ، وقد بلغت الرسالة وأديت الأمانة ، فصلاة ربي وسلامه وبركاته عليك .

إن هذه الصفة الرئيسية ينبغي على الداعية الاهتمام بها من خلال علمه بأحوال النبي ﷺ ، وما بذله في سبيل إبلاغ هذا الدين والوقوف على شمائل الطهارة ومناقبه الزكية ، صلوات الله وسلامه وبركاته عليه، والتأمل في المواقف التي تعرض لها صلوات الله عليه وسلامه

(١) سيرة ابن هشام جـ١ ص٢٨٥ لمحمد بن هشام .

في مراحل الدعوة المختلفة السرية منها والجهرية والمكية والمدنية ورحلته إلى الطائف واتصاله بزعماء القبائل ورؤساء الأمم المحيطة بالعرب من فرس وروم وغيرهم ومعاملته معهم وعلاقته بهم وكل ما يتعلق بغزواته وبعوثه وسراياه وإرساء قواعد الدولة الإسلامية على هدى من الله ، وصدعه بالحق والتزامه بمنهج الرب سبحانه وتعالى في ما يتنزل عليه من تعليم وتوجيه ليقوم بهذه الرسالة كما أراد الله سبحانه وتعالى .

وهذا كله يجعل الداعية على علم بأن شفيع الأمة نبي الرحمة ﷺ واجه من الصعاب والمشاق ما لا يقدر غيره على احتماله فصبر ومضى في دعوته حتى دخل الناس في دين الله أفواجًا أفواجًا .

***

المبحث الرابع : أن يكون على بصيرة

في البداية نقف قليلًا عند المعنى اللغوي للبصيرة. قال ابن منظور في اللسان: بصر: في أسماء الله تعالى البصير. هو الذي يشاهد الأشياء كلها ظاهرها وخافيها ، والبصيرة عقيدة القلب، قال الليث : البصيرة : اسم لما اعتقد في القلب من الدين وتحقيق الأمر ، وقيل : البصيرة: الفطنة، وفعل ذلك على بصيرة، أي : على عمد،وعلى غير بصيرة،أي: على غير يقين ، والبصير بالأشياء : العالم بها[1] وفي المعجم الوجيز : البصيرة : قوة الإدراك والفطنة والعلم والخبرة[2] هذا ما يتعلق بالمعنى اللغوي الذي وضح بأنها العقيدة والعلم والخبرة وقوة الإدراك ، وفي الكتاب العزيز وردت كلمة بصيرة في موضعين : الأول في سورة يوسف في قول الحق تبارك وتعالى : ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾[3]،والثاني في سورة القيامة، قال تعالى:﴿ بَلِ ٱلْإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ ﴾[4] .

قال ابن كثير في تفسير آية سورة يوسف : ويقول تعالى لعبده ورسوله إلى الثقلين الإنس والجن آمرًا أن يخبر الناس أن هذه سبيله ، أي : طريقه ومسلكه وسنته ، وهي الدعوة إلى شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، يدعو إلى الله بها على بصيرة من ذلك ويقين وبرهان ، هو وكل من اتبعه يدعو إلى ما دعا رسول الله ﷺ على بصيرة ويقين وبرهان شرعي وعقلي[5] .

مما سبق يتضح لنا أهمية البصيرة بالنسبة للداعية ، وذلك لأن هذا الدين الذي يدعو إليه شأنه عظيم ومقامه رفيع، اختاره رب العزة والجلال رحمة بعباده وشفقة عليهم ورأفة بهم، فيه سعادتهم وحياتهم وعزهم وضمان عمارتهم للأرض التي استعمرهم فيها وسخرها

---

(١) لسان العرب لابن منظور جـ٤ .

(٢) المعجم الوجيز. مجمع اللغة العربية .

(٣) سورة يوسف الآية : ١٠٨ .

(٤) سورة القيامة الآية : ١٤ .

(٥) ابن كثير جـ٤ ص٣٤٥ .

لهم بما فيها من خيرات وثمار وأنهار وعيون وبحار ويابسة وسهل وجبل ، وما أوجده لهم فيها من مخلوقات لنفعهم ولغذائهم وراحتهم ، فقيام الداعية بإبلاغ هذا الدين يجب أن يكون على علم وفهم ويقين صادق لسمو هذا الدين العظيم وهذه الرسالة العالمية الخالدة الباقية ، قال تعالى : ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ ﴾[1] وقال جل وعلا : ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾[2].

إن هداية الحيارى من بني البشر – عباد الله – تحتاج إلى معرفة هذا الدين بعد الإيمان العميق الصادق بكل تعاليمه وأوامره ونواهيه ، والقيام بجميع التكاليف على أحسن وأكمل وجه كي ينطلق الداعية من ثوابت راسخة في أعماقه متغلغلة في كيانه ظاهرة على جوارحه برهانًا ساطعًا على قيامه بها كما يحب ربنا ويرضى ، أي : يكون ربانيًا بما تحمله هذه الكلمة من معنى ، لأن جهل الداعية بما يدعو إليه من أخطر وأشنع ما يقع فيه الدعاة ، ذلك أن العلم في مقدمة شروط صحة كلمة التوحيد : لا إله إلا الله محمد رسول الله ، وكما قيل في المثل : (فاقد الشيء لا يعطيه) وكما قال العلماء : (العلم قبل القول والعمل) فالدعوة ببرهان ودليل شرعي سواء من الكتاب أو السنة المطهرة تعطي الداعية بعدًا جيدًا وتجعله مقبولًا لدى المدعوين ، وذلك لما يتضمنه الكتاب العزيز من أدلة واضحة وبراهين دامغة تبين للعبد وحدانية الخالق جل وعلا واستحقاقه للعبادة ، وأنه سبحانه وتعالى غني عن العالمين ، ولا يزيد في ملكه طاعة العبد ولا ينقص من ملكه أي شيء بسبب معصية العباد ، هو الملك المتوحد بالجلال والكمال والعظمة ، لا إله غيره ولا رب سواه . كما أن كون الداعية على بصيرة وفطنة يجعله يحسن الاختيار في طرق عرض الإسلام على المدعوين وما يناسب كل فئة من فئاتهم ، لأنه أعد العدة كي تكون رسالته واضحة وقوية وسريعة ومؤثرة من خلال إدراكه وعلمه وفطنته ، الأمر الذي يولد عند المدعو قناعة بما يعرض عليه خاصة وأن كلام الله سبحانه وتعالى فيه نور وهداية وتأثير عظيم على النفس البشرية ، فلقد رأيت الكثير من الأعاجم الذين يقرءون القرآن لا يستطيع الواحد منهم أن يملك نفسه ويمنعها من البكاء من تأثير كلام رب العزة والجلال على النفس البشرية مع عدم معرفته باللغة العربية ، ومعلوم أنه كان حجة على العرب إذ نزل بلسانهم ، وتحداهم أن يأتوا بمثله ، ولو بآية .

إذًا استخدام الداعية لهذه الحجة الدامغة البينة الواضحة البليغة يسهل عليه الكثير والكثير

---

(١) سورة آل عمران الآية : ١٩ .

(٢) سورة المائدة الآية : ٣ .

في الوصول إلى نفوس المدعوين ، هذا البعد الأول الذي له تأثيره وفعله القوي ، وهذا ما لم يتوفر عند أي صاحب دعوة غير دعوة الإسلام ، فلله الحمد والفضل والمنة .

والبعد الثاني أو على الأصح المصدر الثاني : السنة المطهرة التي قال عنها الصادق الأمين ﷺ : « **أوتيت القرآن ومثله معه** » ورب العزة والجلال قال في محكم التنزيل : ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۝ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۝ ﴾[1] فالسنة النبوية قولية كانت أو فعلية زاخرة بما يضمن للداعية إيصال رسالته بكل يسر وسهولة ، ومبينة لمنهج رسول الله ﷺ في الدعوة ، فهي وقبلها كتاب الله العزيز ثروة لا تنضب وزاد مبارك للداعية يزوده بكل نافع ومفيد في طريقه لنشر الإسلام وإبلاغ رسالة الله لخلقه جميعًا بطريقة ناجحة ومحببة إلى النفوس ، ورب العزة والجلال يقول في كتابه العزيز : ﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ۚ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ۝ ﴾[2]. والبصيرة من خلال أحد معانيها وهو البرهان تجعل الداعية المسلم قوي الحجة ، قوي الضرب في الأرض ، ذا مضاء وعزيمة لا تلين ، لا يقف أمامه أحد أبدًا من المجادلين والمعاندين ؛ لتوفر البراهين لديه والحجج عنده التي تدفع كل معاند أو جاحد ، وذلك ببيان أن رب العزة والجلال لا يريد من عباده إلا ما كلفهم به وأمرهم به رسوله من تحقيق العبودية له وحده جل وعلا ، الذي خلق الخلق وساق إليهم أرزاقهم ومكن لهم في الأرض بتسخير ما فيها وما عليها لخدمتهم وراحتهم . وإذا فقد الداعية البصيرة في دعوته تخبط في مساره ووقع في الاجتهادات الشخصية التي ربما توقعه في أخطاء تؤثر على الدعوة أو عليه ، بأن يتقول على الله أو على رسوله من خلال جهله بعلوم الدين ، وهذا نلحظه في هذا الزمان من خلال الذين يتصدون للدعوة على غير بصيرة ، مما يوقعهم في حرج ولا يمكنهم من إيصال هذا الدين إلى المدعوين بشكل جيد . إن انطلاقة الداعية الصحيحة تحقق له نتائج جيدة وصحيحة ، وهذا أمر معلوم في جميع أحوال الإنسان ، وفاقد الشيء لا يعطيه.

يقول الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز في رسالة له بعنوان « فضل الدعوة إلى الله وحكمها وأخلاق القائمين بها » : (كي تكون على بينة في دعوتك، أي: علم ، لا تكن جاهلًا بما تدعو إليه: ﴿ قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ ﴾ فلا بد من العلم، فالعلم فريضة

(١) سورة النجم الآية : ٣ ، ٤ .

(٢) سورة الحشر الآية : ٢١ .

فإياك أن تدعو على جهالة ، وإياك أن تتكلم فيما لا تعلم ، فالجاهل يهدم ولا يبني ، ويفسد ولا يصلح ، فاتق الله يا عبد الله ، وإياك أن تقول على الله بغير علم ، لا تدع إلى الشيء إلا بعد العلم به والبصيرة بما قاله الله ورسوله ، فلا بد من بصيرة وهي العلم ، فعلى طالب العلم وعلى الداعية أن يتبصر فيما يدعو إليه ، وأن ينظر فيما يدعو إليه ودليله ، فإن ظهر له الحق وعرفه دعا إلى ذلك سواء كان ذلك فعلًا أو تركًا ، فيدعو إلى الفعل إذا كان طاعة لله ورسوله ، ويدعو إلى ترك ما نهى الله عنه ورسوله على بينة وبصيرة)[1].

وفي هذه السطور الكفاية حفاظًا على مبدأ عدم الإطالة ، والله أسأل أن يبصرنا في جميع أمور ديننا ، وأن يجعلنا هداة مهتدين .

***

(١) فضل الدعوة إلى الله – لسماحة الشيخ عبد العزيز بن باز من بحوث المؤتمر الأول لتوجيه الدعوة وإعداد الدعاة .

المبحث الخامس : الصبر وتحمل المشاق في سبيل الدعوة

ورد ذكر هذا اللفظ (صبر) في كتاب الله العزيز تسعين مرة : صبر ، صابرون ، صابرات ، وهو : التجلد وحسن الاحتمال ، وهو نقيض الجزع ، وهو حبس النفس عند الجزع ، ومن أسماء الحق تبارك وتعالى (الصبور) .

والصبر في اللغة : الحبس والكف . وفي الاصطلاح : هو على ثلاثة أضرب :

الأول : الصبر على طاعة الله .

الثاني : الصبر عن معصية الله .

الثالث : الصبر على المصائب والابتلاءات .

وقد أمر الحق تبارك وتعالى رسله بالصبر على ما كذبوا وأوذوا فقال جل وعلا : ﴿ فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُوا۟ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ ﴾[1]، وقال سبحانه وتعالى : ﴿ وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِى ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿١٢٧﴾ ﴾[2] وقال جل جلاله : ﴿ وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا۟ عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا۟ وَأُوذُوا۟ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمْ نَصْرُنَا وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ وَلَقَدْ جَآءَكَ مِن نَّبَإِى۟ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾[3] وأمر سبحانه وتعالى عباده المؤمنين بالصبر ، فقال جل وعلا : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱصْبِرُوا۟ وَصَابِرُوا۟ وَرَابِطُوا۟ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٢٠٠﴾ ﴾[4] وعرف سبحانه وتعالى الصابرين بأن عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأنه سبحانه وتعالى معهم يحبهم ، وأن لهم الجنة ، فقال جل وعلا: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾

(١) الأحقاف : ٣٥ .

(٢) النحل : ١٢٧ .

(٣) الأنعام : ٣٤ .

(٤) آل عمران : ٢٠٠ .

﴿ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ١٥٦ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ ١٥٧ ﴾[1] ، وقال سبحانه وتعالى في بيان عظيم أجر من صبر ولم يجزع ويتسرع في الأمور ويغضب : ﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجۡرَهُم بِغَيۡرِ حِسَابٖ ١٠ ﴾[2] ، وقال سبحانه وتعالى : ﴿ فَمَا وَهَنُواْ لِمَآ أَصَابَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُواْ وَمَا ٱسۡتَكَانُواْۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٤٦ ﴾[3] ، ومما ورد في الصبر هذه الآيات المباركات التي تعتبر جامعة لمكارم الأخلاق ومحاسن الآداب ، قال عز من قائل عليمًا : ﴿ وَٱلَّذِينَ صَبَرُواْ ٱبۡتِغَآءَ وَجۡهِ رَبِّهِمۡ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ وَيَدۡرَءُونَ بِٱلۡحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عُقۡبَى ٱلدَّارِ ٢٢ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ يَدۡخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنۡ ءَابَآئِهِمۡ وَأَزۡوَٰجِهِمۡ وَذُرِّيَّٰتِهِمۡۖ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَدۡخُلُونَ عَلَيۡهِم مِّن كُلِّ بَابٖ ٢٣ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُم بِمَا صَبَرۡتُمۡۚ فَنِعۡمَ عُقۡبَى ٱلدَّارِ ٢٤ ﴾[4] .

ورب العزة والجلال تفضل على عباده الصالحين وعلمهم دعاءً ليتم نعمته عليهم ، فقال جل وعلا : ﴿ رَبَّنَآ أَفۡرِغۡ عَلَيۡنَا صَبۡرٗا وَتَوَفَّنَا مُسۡلِمِينَ ١٢٦ ﴾[5] ، ورب العزة والجلال صبور على عباده وإن عصوه ، وهو يوافق اسمه (الرحمن) جل وعلا ، التي وسعت رحمته كل شيء في الدنيا والآخرة .

وفي السنة المطهرة أحاديث كثيرة وردت في الصبر أورد بعضًا منها تذكيرًا بها .

١ – عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن أسيد بن حضير أن رجلًا أتى النبي ﷺ فقال : يا رسول الله استعملت فلانًا ولم تستعملني ، قال : « **إنكم سترون بعدي أثرة فاصبروا حتى تلقوني** »[6] .

٢ – عن صهيب قال : قال رسول الله ﷺ : « **عجبًا لأمر المؤمن إن أمره كله له خير وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن ، إن أصابته سراء شكر فكان خيرًا له ، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرًا له** »[7] .

---

(١) البقرة : ١٥٥ –١٥٧ .
(٢) الزمر : ١٠ .
(٣) آل عمران : ١٤٦ .
(٤) الرعد : ٢٢ ، ٢٣ ، ٢٤ .
(٥) الأعراف : ١٢٦ .
(٦) صحيح مسلم جـ٩ ص١٥ كتاب الفتن .
(٧) صحيح مسلم جـ٤ ص٢٢٩٥ .

٣ – عن أبي مالك الأشعري قال : قال رسول الله ﷺ : « **الطهور شطر الإيمان ، والحمد لله تملأ الميزان ، وسبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر تملأ ما بين السماوات والأرض ، والصلاة نور والصدقة برهان ، والصبر ضياء ، والقرآن حجة عليك أو لك ، كل الناس يغدو فبائع نفسه فموبقها أو معتقها** »[1] ، والصبر صفة لازمة لكل إنسان لأنه لا يستطيع بلوغ ما يريد بدونه ، وإذا كان هذا لازمًا بالضرورة لأي إنسان ، فإنه للمسلم ألزم وللداعيه المسلم أشد لزومًا وضرورة ، كي يتحمل ما يعترضه في طريق الدعوة من مصاعب وعقبات ، ومما هو جدير ذكره لزوم وقوف الداعية على صبر إمام الدعاة خاتم المرسلين سيدنا ونبينا محمد ﷺ ، لأن ما تعرض له الحبيب المصطفى عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام من عصبة الكفر من قريش في عمر الدعوة المكي ، وما ناله من مكر وحقد وشراسة من قتلة الأنبياء في مهاجره مما لا يطيقه أحد ، ولا يمكن أن يتحمله أحد ، يوضح للدعاة مقدار صبره ﷺ واعتماده على خالقه ومولاه جل وعلا في السير بالدعوة إلى الإمام ، فالكفار في مكة تفننوا في إيذائه ﷺ ، فلم يزد عليه الصلاة والسلام عن قوله : « اذهبوا فأنتم الطلقاء » عندما مكنه الله من جبابرة وطغاة الكفر في مكة يوم الفتح الأكبر ، واليهود أجلاهم من المدينة إلى غير رجعة ، إنه السمو والصبر المثالي الذي لم تعرف الدنيا مثيلًا له على الإطلاق .

إن الداعية المسلم وهو يقلب صفحات تاريخ دعوة الإسلام الناصعة يجد فيها الأمثلة الرائعة من خاتم المرسلين سيدنا محمد ﷺ ، ثم من صحابته الأطهار رضي الله تعالى عنهم أجمعين ، فبذلك يهون عليه ما يتعرض له من مصاعب وشدائد ، لأن له في رسول الله أسوة حسنة .

إن مخاطبة الناس والتعامل معهم على اختلاف عقولهم ومفاهيمهم وتباين قدراتهم وتعدد رغباتهم يفرض على الداعية المسلم أن يتحلى بالصبر ، وأن يكون على قدر كبير من التحمل ليصل إلى قلوبهم بالنور الذي يحمله: رسالة الإسلام الخالدة، دين الله (الإسلام)، قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ وَمَا ٱخْتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ وَمَن يَكْفُرْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿١٩﴾ ﴾[2]، ويتمكن من إنقاذهم بإذن الله من النار التي أعدها الحق تبارك وتعالى للكافرين المعاندين، فإبلاغ أولئك رسالة ربهم الذي خلقهم ورزقهم وأسبغ عليهم نعمه ظاهرة وباطنة يجعل الداعية يصبر على ما يلقاه منهم.

---

(١) مسند الإمام أحمد جـ٥ ص٣٤٢ .

(٢) سورة آل عمران الآية : ١٩ .

والدعوة إلى الله سبحانه وتعالى لا بد لمن يقوم بها من أن يصبر ، وذلك لأنه يريد أولًا : أن ينزع الناس (المدعوين) مما كان عليه الآباء والأجداد وما ألفوا من تعلق سواء كان ذلك التعلق بإنسان أو حيوان أو جماد أو كوكب من الكواكب أو إنكار لوجود الخالق سبحانه وتعالى (الإلحاد) ؛ لذا فإنه لكثير من المصاعب . ثانيًا : تحول الإنسان من حال إلى حال يحتاج إلى وقت وجهد ومجاهدة ، ودعاة الضلال دائمًا يتميزون بالعناد والمكابرة والبطش بمن خالفهم ، ولا بد للداعية في هذه الحالة أن يدرك أمرين :

الأمر الأول : إعراض المدعوين عن الداعية في أغلب الأحيان ، وليس أشد عليه من أن يدعو بملء فيه ويصرخ بأعلى صوته ، ثم لا يجد إلا آذانًا صمًّا وقلوبًا غلفًا ، وفي هذا الموقف لا بد له من أن يتحلى بالصبر ويتأسى بأفضل الخلق سيدنا محمد ﷺ الذي عندما دعا قومه كانت الإجابة تبًّا لك ، ألهذا دعوتنا ؟ وكان منهم ما كان من اتهامه بالجنون مرة والكهانة مرة أخرى والكذب ، وأنه شاعر ، وهكذا كما هو مبين في السيرة النبوية المطهرة ومعلوم لدى الدعاة العاملين .

الأمر الثاني : حدوث الأذى من المدعوين بالقول والفعل ، بل يتعرض إلى من يعتدي على ماله فينهب ، وإلى بدنه فيعذب ، وإلى حرماته فتنتهك ، وإلى النفس ذاتها فتقتل ، لذا على الداعية أن يتذكر هذه الآية المباركة ، قال تعالى : ﴿ لَتُبْلَوُنَّ فِىٓ أَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ أَذًى كَثِيرًا ۚ وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٨٦﴾ ﴾[1] ، كما أنه يبدو لي أن هناك أمرًا ثالثًا ، بل صورة متكررة وموقفًا جد خطير إذا لم يحسب له الداعية حسابه يتمثل هذا في :

الأمر الثالث : استبطاء النتائج وطول الطريق ، نعم الداعية المسلم إذا تعجل وظن أن النتائج تأتي بين عشية وضحاها ، فإنه ظن ظنًّا ليس في مكانه ، فرسول الهدى ﷺ مكث في مكة ثلاثة عشر عامًا يقول لقومه : قولوا : لا إله إلا الله ، أقروا برسالتي وأني رسول من عند الله سبحانه وتعالى ، والنتيجة معروفة : أنهم تآمروا على قتله ليتفرق دمه الطاهر الزكي بين قبائلهم ، إلا أن الله تداركه بعنايته ورحمته ، وخرج من مكة مهاجرًا إلى المدينة حيث وصلها سالمًا– ولله الفضل والمنة– فاستبطاء النتائج يجب أن يتنبه له الداعية وأنه من الأمور

(١) آل عمران : ١٨٦ .

التي يجب عليه إدراكها فالطريق شاق وطويل تحفه المتاعب وتحيط به المصاعب ، ولا بد من الصبر والاحتمال كي يصل إلى هدفه وهو إبلاغ دين الله لعباد الله ، وأريد أن أذكر الإخوة الدعاة بأمور تعينه على الصبر ، منها :

١ – الاقتداء بالرسول ﷺ وأهل الصبر من الرسل والصحابه وأولياء الله تعالى ، فها هو القرآن الكريم يخاطب رسولنا الكريم عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم ﴿ فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ ﴾[1].

٢ – اليقين بحسن الجزاء من الله سبحانه الذي قال في محكم التنزيل : ﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ۝١٠ ﴾[2].

٣ – اليقين بالفرج بعد الشدة وبالنصر بعد التمحيص ، قال تعالى : ﴿ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴾[3] وأن الله وعد بالنصر لمن نصر دينه وأعلى كلمته.

٤ – معرفة طبيعة الحياة وأنها دار ابتلاء ، وأن طريق الدعوة شاق وشائق في نفس الوقت ، شاق لما يلقاه الداعية من أذى ومتاعب ، وشائق ، لأنه يريد هداية الناس وإعادتهم إلى فطرتهم التي فطرهم عليها خالقهم ومولاهم جل وعلا ، وأنه بذلك ينقذهم من الهلاك المحقق .

٥– تدبر آي الذكر الحكيم التي ورد فيها الصبر ومعرفة أسباب النزول ليهون عليه ما يلقاه إذا قيس بما لقيه الأنبياء والمرسلون . وصدق ربنا الجليل العظيم إذ يقول : ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا ۖ وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ۝٢٤ ﴾[4]، وأخيرًا أقول : إن الصمود أمام الخطوب والملمات ، والثبات في وجه التحديات يعمق في نفس المؤمن الداعية الصابر الإقدام ويجعله قوي الأمل في تحقيق غايته ، ويدفعه إلى مجاهدة الباطل وأهله بكل الوسائل والطرق ويبعد روحه الطاهرة الطيبة الصابرة عن اليأس ويحميها من التخاذل فهل نحن فاعلون . اللهم اجعلنا من الصابرين المتواصين به ، والله يقول : ﴿ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ۝٣ ﴾[5] ويقول جل وعلا : ﴿ ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا

---

(١) الأحقاف : ٣٥ .
(٢) الزمر : ١٠ .
(٣) الشرح : ٦ .
(٤) السجدة : ٢٤ .
(٥) العصر آية : ٣ .

﴿ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ ﴿١٧﴾ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ﴿١٨﴾ ﴾[1] جعلنا الله منهم . فالصبر وتحمل المشاق أكبر عون للداعية . ومن أجمل ما وقفت عليه عن الصبر ما ذكره الإمام ابن القيم في كتابه مدارج السالكين حيث قال يتصرف في فضله ومكانته : هناك ستة عشر وجهًا ذكر فيها الصبر في الكتاب العزيز وهي :

١ - الأمر به ، قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ ﴾[2] وقوله جل وعلا : ﴿ اصْبِرُوا وَصَابِرُوا ﴾[3] .

٢ - النهي عن ضده ، قال تعالى : ﴿ فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ ﴾[4] .

٣ - الثناء على أهله ، قال جل وعلا : ﴿ الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنْفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ ﴿١٧﴾ ﴾[5] .

٤- محبة الله له ، قال تعالى : ﴿ وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ ﴿١٤٦﴾ ﴾[6] .

٥ - وصيته لهم سبحانه وتعالى وهي وصية خاصة تتضمن الحفظ والنصر والتأييد ، قال جل وعلا : ﴿ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾[7] .

٦ - إخباره بأن الصبر خير لأصحابه ، قال تعالى: ﴿ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ ﴿١٢٦﴾ ﴾[8] .

٧ - إيجاب الجزاء لهم بأحسن أعمالهم ، قال تعالى : ﴿ مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾[9] .

٨ - إيجابه جل وعلا لهم الجزاء بغير حساب ، قال سبحانه وتعالى : ﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾ ﴾[10] .

---

(١) البلد : ١٧ و ١٨ .
(٢) البقرة : ١٥٣ .
(٣) آل عمران : ٢٠٠ .
(٤) الأحقاف : ٣٥ .
(٥) آل عمران : ١٧ .
(٦) آل عمران : ١٤٦ .
(٧) الأنفال : ٤٦ .
(٨) النحل : ١٢٦ .
(٩) النحل : ٩٦ .
(١٠) الزمر : ١٠ .

٩ – إطلاق البشرى لأهل الصبر ، قال سبحانه وتعالى: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴾[1].

١٠ – ضمان النصر والمدد لهم ، قال جل وعلا : ﴿ بَلَىٰ إِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴾[2].

١١ – إخباره سبحانه وتعالى بأن أهل الصبر هم أهل العزائم ، قال جل وعلا : ﴿ وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴾[3].

١٢ – الإخبار بأن أهل الصبر يلقون الأعمال الصالحة والحظوظ العظيمة ، قال تعالى : ﴿ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ ﴾[4].

١٣ – الإخبار بأنه إنما ينتفع بالآيات والصبر أهل الصبر ، قال جل وعلا : ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُم بِأَيَّامِ اللَّهِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴾[5].

١٤ – الإخبار بأن دخولهم الجنة إنما نالوه بالصبر ، قال تعالى : ﴿ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ۝ سَلَامٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ ﴾[6].

١٥ – أنه يورث صاحبه درجة الإمامة، وقال: سمعت شيخ الإسلام ابن تيمية يقول بالصبر واليقين تنال الإمامة في الدين ، ثم تلا قول الحق تبارك وتعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴾.

١٦ – اقترانه بمقامات الإسلام والإيمان ، كما قرنه سبحانه وتعالى باليقين وبالتقوى والتوكل وبالشكر والعمل الصالح والرحمة ، ولهذا كان الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد[7].

فعلى الداعية المسلم أن يتحلى بالصبر لينال هذا كله .

---

(١) البقرة : ١٥٥ .

(٢) آل عمران : ١٢٥ .

(٣) الشورى : ٤٣ .

(٤) القصص : ٨٠ .

(٥) إبراهيم : ٥ .

(٦) الرعد : ٢٣ – ٢٤ .

(٧) مدارج السالكين ج٢ ص١١٣ ، ١١٤ .

المبحث السادس : الصدق

ومن الصفات التي يجب على الداعية أن يتحلى بها الصدق، فما هو الصدق يا ترى ؟

قال صاحب اللسان : هو نقيض الكذب صدق يصدق صدقًا وتصداقًا وصدقه للحديث أي أنبأه بالصدق[1] وفي المعجم الوجيز: صدق فلان الحديث صدقًا أخبر بالواقع[2] والصدق هو : مطابقة الكلام للواقع بحسب اعتقاد المتكلم . وفي كتاب الله العزيز وردت كلمة « الصدق » عشر مرات في سورة يونس والإسراء ومريم والشعراء والزمر والأحقاف والقمر ، ولفظ صدق أورد في سورة الزمر ، قال تعالى : ﴿وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿٣٣﴾﴾[3]، وقال سبحانه وتعالى : ﴿ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ﴾[4]، وقال جل وعلا : ﴿ وَعْدَ ٱلصِّدْقِ ٱلَّذِى كَانُواْ يُوعَدُونَ ﴿١٦﴾﴾[5]

أما في السنة المطهرة فهناك أحاديث كثيرة ورد فيها موضوع الصدق نورد منها ما يناسب موضوعنا:

١ – عن أبي وائل عن عبد الله رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « **إن الصدق يهدي إلى البر وإن البر يهدي إلى الجنة وإن الرجل ليصدق حتى يكون صديقًا . وإن الكذب يهدي إلى الفجور وإن الفجور يهدي إلى النار وإن الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذابًا**»[6].

٢ – عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أن رجلًا جاء إلى النبي ﷺ فقال : يا رسول الله ما عمل الجنة ؟ قال : « **الصدق ، وإذا صدق العبد بر وإذا بر أمن، وإذا**

---

(١) لسان العرب لابن منظور جـ١٠ ص١٩٣ .

(٢) المعجم الوجيز مجمع اللغة العربية ص٣٦٢ .

(٣) الزمر : ٣٣ .

(٤) يونس : ٢ .

(٥) الأحقاف : ١٦ .

(٦) صحيح البخاري جـ٨ ص٤٦ .

أمن دخل الجنة » قال : يا رسول الله ما عمل النار ؟ قال : « **الكذب ، وإذا كذب فجر وإذا فجر كفر ، وإذا كفر دخل يعني** ... النار »[1] وفي السنة المطهرة الكثير من الأدلة والشواهد والبراهين على أهمية هذه الصفة وهذه الخلة وهذا الخلق الكريم وتأكيدها على الالتزام به والتحلي ، لأنه سبب في الصلاح والفلاح ، والداعية المسلم في مقدمة من يجب أن تكون هذه الصفة لازمة فيهم ، وذلك لأنه قدوة للمدعوين فيجب عليه أن يكون صادقًا حسًّا ومعنًى قلبًا وقالبًا فهو يدعوهم فيما يدعوهم إليه بالتزام الصدق ، وقبيح بالمرء أن يدعو الناس وينسى نفسه . والمتأمل في الآيات التي ورد فيها الصدق في كتاب ربنا العزيز يجد أن هذه الصفة فيها الخير الكثير لمن اتصف بها ، فهو ينفع صاحبه وينجيه من سخط الله يوم الحساب ويكون سببًا في سعادته وشهرته في هذه الحياة ، لأنه يهديه إلى البر والخير ، لأن الصادق يكون بارًّا مع نفسه فلا يسمح لها أن ترد موارد الهلاك والتعدي من خلال الوقوع في المحرمات أو التهاون في المكروهات وما يطفىء جذوة الإيمان في قلبه فنجده دائم الذكر والفكر دائم العبادة ، وثمرة ذلك الحرص المستمر على هداية الناس وإبلاغ هذا الدين الذي ارتضاه رب العالمين لعباده أجمعين . إن قلب المرء الصادق قوي التعلق بخالقه ومولاه سبحانه وتعالى شديد الغيرة على عقيدته لا يقبل المساومة في دينه ودعوته إليه فلا تثبطه أو تؤثر عليه الأصوات الناعقة أعداء الدين من الكفار والمعاندين والحاقدين على الدين فيقف عن إبلاغ هذا الدين أو يخشى منهم ، لأنه موصول بالله معتمد عليه فهو ماض في دعوته لا يلتفت إلى تلك الأصوات ولا تعيقه العقبات مهما كان حجمها وقوتها . والداعية المسلم يدرك تمام الإدراك أن الصدق كما أنه في الاعتقاد والقول فإنه أيضًا في العمل وهو يعلم ذلك علم اليقين . وصدق العمل يعني أن يكون الداعية المسلم في قيامه بهذا العمل على منهج الكتاب والسنة صادقًا تمام الصدق في توجهه إلى خالقه ومولاه سبحانه وتعالى مقتفيًا أثر إمامه ورسوله سيد المرسلين ﷺ . محققًا للعبودية ، ملتزمًا بالتوحيد الخالص والعبادة الخالصة الخالية من الرياء والسمعة ، ولا شك أن توفر العناصر الثلاثة في الداعية كان صديقًا وهي الصدق في الاعتقاد ، والصدق في القول ، والصدق في العمل ، قال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ ﴾[2] وهذا الصدق الشمولي يجعل العبد لا يترك

---

(١) مسند أحمد جـ٢ ص١٧٦ .

(٢) سورة الحديد الآية : ١٩ .

وسيلة من الوسائل المؤدية إلى مرضاة الله تبارك وتعالى إلا ويحرص عليها ، لأنه مؤمن وموقن بما أعده سبحانه وتعالى من جزاء أوفى لعباده الصادقين . إن الصدق بما يعرفه الناس من أثره وتأثيره على حياة الأفراد والمجتمعات في مقدمة الصفات التي يجب أن تتوفر بينهم بشكل عام عند اتصال بعضهم ببعض بما يتركه من أثر طيب على النفس وراحة تامة وقناعة من أن هذا الفرد وتلك الجماعة لا كذب عندها ولا غموض في كلامها أو أخبارها ، وهذا ضروري للداعية حتى يؤخذ من ما لديه من علم باطمئنان وقبول ورضى تام ، ولنتدبر قول النبي ﷺ : « **من كذب علي متعمدًا فليتبوأ مقعده من النار** » نعم، النار، لأن في الكذب على رسول الله ﷺ ذنب عظيم وربما إضرار بالدين من حيث يريد الإحسان بعدم تحريه الصدق في الإبلاغ عن رسول الله ﷺ وحماية للواحد منا كي لا يقع في الكذب على رسول الله ﷺ ، لأن في ذلك تعدٍّ وتجاوز للحد وتعدٍّ على الواقع ، فالإخبار عن سيدنا رسول الله ﷺ يجب أن يكون عن علم وعن دراية كي لا يقع المخبر في الكذبْ عليه ﷺ ، وبالتالي يناله ما أخبر عنه ﷺ ، لذا أؤكد على داعية الإسلام أن لا يعرف عن الواحد منهم إلا الصدق والصدق في الصدق ، لأن هذا الدين عظيم ونقل شعائره أمر جليل ، فلا بد لنا أخذ الحيطة في ذلك والتريث عند الإخبار عن سيدنا رسول الله ﷺ قبل إبلاغ الناس ، وللأسف نلحظ البعض يكذب على الله ، وهذه الحالة وايم الله ، الصدق شأنه عظيم وأثره كبير على الفرد والمجتمع ، ونجد آثاره أولًا على من يتحلي به ويلزمه في أقواله وأفعاله وما يعتقد ، ومن حوله حيث يرون في هذا الصدق الصادق ، القدوة الصالحة والمثل الطيب الذي يحتذى به ، والإنسان بطبعه وفطرته يميل إلى هذا السلوك ويرغب في هذه الصفة ، ولأنه دائم الاحتياج إليها لا تسير حياته بشكل طبيعي إلا بها ومن خلالها ، لأن ضدها الكذب : وهو ما يخالف الفطرة السوية ، ومع أن الصدق شعبة من شعب الإيمان التي أعلاها كلمة التوحيد ، لا إله إلا الله محمد رسول الله ﷺ ، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق ، نجد أن الناس جميعًا اتفقوا على حب هذه الصفة ومدح من اتصف بها وعرفت عنه ، عربهم وعجمهم أبيضهم وأسودهم مسلمهم وكافرهم ، الجميع اتفقوا على أنها إذا وجدت في إنسان كان فيه الخير والعدل والمحبة للناس ، لأنه لا يريد أن يغشهم ولا يعمل على خديعتهم ، بل يحب الخير لهم ، لأنه صادق معهم . وهكذا يتضح لنا عمق أثر هذه الخلة الحميدة في صاحبها وغيره ممن يتعامل معهم، ورسولنا الكريم عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم أكرمه

الحق تبارك وتعالى يتجسد هذه الصفة المباركة في شخصه الكريم ، حتى إن قومه في الجاهلية وقبل أن تنزل عليه الرسالة كانوا يلقبونه بالصادق . إن هذا يجعلني أؤكد على ضرورة أن يبرز الداعية اهتمام الإسلام بالصدق وتقديره للصادقين وإعزازه للمسلم الذي يتحلى دائمًا أبدًا به ، يرفع مقامه إلى درجة عالية في جنات عدن مع النبيين والشهداء والصالحين ، والصادق يريح ويستريح ، لأنه أمين على ما يقول معروف بذلك ، ومما لا شك فيه أن الصدق يلعب دورًا مهمًّا في حياة الفرد والمجتمع فتحقق من خلاله كثير من المصالح الآجلة والعاجلة تعكس آثارًا إيجابية على من يتصف به وعلى من يتعامل معهم ؛ لذا فإننا جميعًا في حاجه للصدق في جميع أمورنا . والداعية المسلم الذي يحمل هذا الخير للناس جميعًا أولى بذلك ، ويجب أن يكون في مقدمة من يعرفون به ويتحلون به قلبًا وقالبًا ظاهرًا وباطنًا ليبارك المولى جل وعلا في جهوده لإبلاغ هذا الدين . فرسل الله جميعًا لم يعرف عنهم إلا الصدق ؛ لأنهم يبلغون عن الله جل وعلا ، ويا سعد وهناء من عرفه الناس به ، فلا بد لدعاة الإسلام أن يصدقوا ، بل ويتحروا الصدق كي لا يذم الإسلام من قِبَلهم . والحديث عن هذه الصفة طويل ، والذي أوردناه للتذكير فقط والامتثال . مؤلفات كثيرة استُعرِض فيها الصدق بتوسع واستفاضة ، فعلى من أراد الزيادة الرجوع إليها ، ولعله من المفيد أن أذكر في نهاية هذا المبحث أثر الصدق في الدعوة مضاءً وتقدمًا ونجاحًا وتحقيقًا للهدف الذي يسعى إليه الداعية وهو إبلاغ هذا الدين ، ويمكن أن أحصر ذلك الأثر في أربعة نقاط هي :

أولًا : من ثمار الصدق على النفس البشرية وصاحبه بروز الثقة بين الصادق ومن يتصل به ، وعندما تتحقق هذه من خلال التزام الداعية بها فإن جميع ما يقوله بل يقوله مقبول بل مقدر ومحترم ، فإذا قال استمع الناس له ، وإذا وجه قبلوا توجيهه وتجدهم ملتفين حوله دائمًا ينهلون من علمه ويتزودون من معارفه ويستفيدون من ما يوجه إليه من أمور ، لأن قلوبهم مفتوحة له ، وآذانهم صاغية إليه .

ثانيًا : صدق الداعية له التأثير الكبير على المدعوين ، لأن الصادق يصدر إشعاعات خيرة ومضيئة من خلال آي الذكر الحكيم وكلام سيد المرسلين ﷺ ، فتجد تقارب الناس والتفافهم حوله وبالتالي حبهم وقبولهم لما يقول وتآزرهم وتعاونهم معه ، الأمر الذي يكسب الدعوة مضاءً وتقدمًا ووصولًا إلى آفاق أرحب وأوسع ببركة صدق الداعية والتزامه بهذه الصفة الحميدة التي رفع الحق تبارك وتعالى شأنها فيما نزل على رسولنا الكريم عليه أفضل

الصلاة وأزكى التسليم من آيات .

ثالثًا : الصدق يكسب الداعية ثقة في نفسه ، لأنه يعلم أن الكلام الصادق يخرج من القلب ، ويستقر في قلوب المدعوين ، وهذا يلمسه الداعية في عيون من يدعوهم وبذلك يمضي في دعوته بيسر وسهولة ولا يلتفت لأولئك الحاقدين على الإسلام الواقفين أمام انتشار دعوته ، وهذه الثقة يتولد عنها نشاط عظيم وعمل جبار ينعكس على مسار الدعوة إيجابًا بحيث يولد في نفس الداعية طاقة هائلة من النشاط ، لأنه يلمس حاجة المدعوين إلى هذا الخير وهذا النور.

رابعًا : الصدق يولد ثقة عظيمة في نفوس المدعوين بما يتلقونه من الداعية من هدي ونور سواء من الكتاب العزيز والسنة المطهرة ؛ لأنهم أحسوا من داخلهم بمصداقية ما يطرحه الداعية عليهم من أوامر ونواهي وبالتالي يتولد الالتزام الصادق بهذا الدين الصادق الذي ارتضاه رب العزة والجلال لعباده .

وهناك آثار أخرى على الفرد والجماعة من خلال جذب هذا الدين على كل ما ينفع الإنسان وحرصه عليه ليعيش سعيدًا ويحقق عبوديته لخالقه ومولاه سبحانه وتعالى الذي استخلفه في هذه الأرض ليعمرها بالطاعة والخير والحب . وهذا هو صدق دعوة الإسلام التي قامت على الصدق ودعت إليه وسعت حثيثًا إلى أن يتمثله الإنسان ، لأنه الحق والفلاح . إن تجربة الإنسان في هذه الحياة تؤكد بجلاء على أن لا حياة ولا سعادة له بعيدًا عن الصدق في القول أو العمل أو الاعتقاد ، والداعية المسلم رائده في دعوته الصدق وتحري الحقيقة والحق ، وهو ما جاء به هذا الدين من خلال مصدرين : الكتاب والسنة حتى القصص والأمثال لا يستخدمها إلا بالصادق منها والصحيح ، لأن الكذب لا يأتي بخير . وعلى كل حال فإن شعار الداعية المسلم الذي يرفعه دائمًا أبدًا هو الصدق ، والصدق لا غير ، وصدق الشاعر الذي يقول :

عود لسانك قول الصدق تحظ به ... إن اللسان لما عودت معتاد
موكل بتقاضي ما سننت له ... في الخير والشر فانظر كيف ترتاد

ويقابل هذين البيتين قول الشاعر الآخر في الكذب :

حسب الكذوب من البلية ... بعض ما يحكى عليه
فإذا سمعت بكذبة ... من غير نسبت إليه

أعاذنا الله من الكذب وجنبنا الكاذبين وجعلنا من أهل الصدق « آمين » .

المبحث السابع : الرحمة

عرفت الرحمة : بالرقة والعطف ، ورحمة الله عطفه وإحسانه ورزقه[1] وفي كتاب الله العزيز وردت هذه اللفظة أكثر من سبعين مرة منها :

١- في سورة البقرة قال تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[2].

٢ - في سورة الروم قال تعالى : ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓاْ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ﴾[3].

٣ - في سورة الأنبياء قال تعالى : ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾[4].

الرحمة كلمة محببة للنفس ، فيها من التأثير النفسي الشيء الكثير يتوق الإنسان إليها ويحنو عليها ويرغب فيها ، لأنها تشبع فطرته وتواسي ألمه وتوفر له حاجاته ، بدونها يتجرد الإنسان من إنسانيته ويوصف بالهمجية والوحشية ، لأنه لا رحمة لديه ، ووردت أحاديث عديدة وردت فيها هذه الكلمة الحبيبة على النفوس (الرحمة) واشتملت عليها فيما صح عن رسول الله ﷺ أورد بعضها :

١ - عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال : قيل: يا رسول الله ! ادع على المشركين قال : « **إني لم أبعث لعانًا وإنما بعثت رحمة** »[5].

٢ - عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ الصادق المصدوق أبا القاسم يقول : « **لا تنزع الرحمة إلا من شقي** »[6] ورب العزة والجلال قال عن عبده

---

(١) « لسان العرب » لابن منظور .

(٢) البقرة : ٢١٨ .

(٣) الروم : ٢١ .

(٤) الأنبياء : ١٠٧ .

(٥) أخرجه مسلم في البر والصلة .

(٦) أخرجه أبو داود في الأدب والترمذي في البر والصلة .

ورسوله محمد ﷺ إمام الدعاة : ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[1] نعم لقد كان عليه الصلاة والسلام رحيمًا بأمته يحرص على أن يقوموا بكل عمل يقربهم إلى ربهم سبحانه وتعالى ، وترصد السيرة النبوية ذلك الموقف العظيم الذي وقفه علم الهدى ﷺ يوم منعه قومه من الدخول إلى مكة المكرمة عند عودته من الطائف ، وأتاه ملك الجبال يريد أن يطبق على أهل مكة الأخشبين فأبى عليه الصلاة والسلام رحمة بهم وشفقة عليهم وأملًا أن يخرج الله من أصلابهم من يعبده ويوحده . والأخشبان جبلان يحيطان مكة المكرمة من الشرق والغرب . وأمثلة كثيرة جدًا في حياة الرحمة المهداة ﷺ فيها القدوة والأسوة لدعاة الإسلام كي يتصفوا بهذه الصفة الحميدة . ومما لا شك فيه أن استعراض جانب الرحمة في شخص سيدنا محمد ﷺ يحتاج إلى بحث خاص ، وما أريد قوله تذكير الدعاة بأهمية هذه الصفة بل بضرورتها للداعية المسلم .

إن الدين الإسلامي بذاته رحمة من الله بعباده ، لأنه يحقق للبشرية سعادتها ويحفظ للإنسانية كرامتها من خلال التشريع الإلهي الذي جاء به ، سواء ما كان في كتاب الله العزيز أو سنة نبيه المطهرة . إن تأمل الداعية لسيرة رسول الله ﷺ وخاصة ما يتعلق بهذا الجانب يجعله يستلهم منها الدروس والعبر الكثيرة التي يتزود منها زاد الخير والبركة في مساره مع الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى ، ولا شك أن هذه الإشراقات الرحمانية من رسول الله لم تقف عند بني الإنسان ، بل علم أمته أن تكون الرحمة حتى مع الحيوان ، فكان أن سبقت هذه الأمة بقية الأمم في الرحمة بالحيوانات جميعًا ، بل تعدت ذلك كله فأمر ﷺ بالرحمة بالحيوان المراد ذبحه ، وكان توجيهه ﷺ للذابح أن يحسن الذبحة رحمة بالحيوان فيحد شفرته ويرح ذبيحته . أما مع الإنسان فكما أوردت سابقًا من آي الذكر الحكيم ، ومن أحسن ما قرأت في الشعر العربي ما قاله في الهمزية النبوية :

وإذا رحمت فأنت أم أو أب هذان في الدنيا هما الرحماء

بل إنه ﷺ رحيم بنا أكثر من الأبوين ، وربنا الجليل العظيم هو أرحم الراحمين الذي أكرم هذا النبي الكريم بهذه الصفات الكريمة والخصال العظيمة ، وهو حض أمته ﷺ لتعلم الدنيا بأسرها الخير وتدلها على ما يحقق لها سعادة الدارين رحمة بها وشفقة عليها . إن الداعية المسلم لا يكون إلا رحيمًا ، لأنه يدعو إلى الإسلام دين الرحمة ، وهو بذلك يظهر

---

(١) التوبة : ١٢٨ .

أعظم معلم من معالم هذا الدين الذي أمر بالرحمة وحث عليها ورغب فيها وجعل الثواب العظيم لمن اتصف بها وتمثلها واقعًا معاشًا في حياته ، فها هو قدوته ﷺ يدعو لقومه بالرغم مما لقيه منهم من أذى وصل إلى التخطيط لقتله ﷺ إلا أن صاحب الخلق العظيم المبعوث رحمة للعالمين كان يقابل ذلك ، يقول : « **اللهم اهد قومي فإنهم لا يعلمون** » وهذا لا يكون إلا من صاحب قلب رحيم . والداعية المسلم يجب أن يكون كذلك تأسيًا برسول الهدى فلا يتعجل النتائج ، ولا يغضب من سوء المعاملة والصدود من المدعوين ، لأنه مهما لقي من مصاعب ومتاعب ومهما واجهته من عقبات لن يبلغ عشر معشار ما لقيه الرسول الكريم من جحافل الكفر أو العناد في مكة ومن أعداء الحق والخير في مسار الدعوة في مهاجره ﷺ خلال العشر سنوات التي عاشها في المدينة المنورة ؛ لذا فإن ممارسة الداعي للدعوة وتذكره ما وقع لإمامه ﷺ يخفف عليه ما يحل به ويقع عليه من أذى ، وتحلي الداعية بهذه الصفة المباركة يورثه العفو والصفح ، لأن من يدعوهم في الحقيقة مرضى وهو في مقام الطبيب ، لكن ليس طبيب الأبدان بل طبيب الأرواح ينقذهم من براثن الضلال والغواية . ورب العزة والجلال كتب الرحمة على نفسه ، فشأنها عظيم وأثرها في الدعوة كبير ، قال تعالى : ﴿ وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ۖ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ ۖ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِن بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥٤﴾ ﴾[1] الرحمة هي : ترياق الحياة ، لا طعم لها بدونها فكيف بمن يريد هداية الناس وبيان الحق لهم لا بد أن يكون رحيمًا بهم حانيًا عليهم حتى يصل إلى قلوبهم ، ومن ثم يقول لهم عن الدين ما يريد لأنهم أحبوه ، والحبيب لمن يحب مطيع ، والرحمة ما دخلت في أمر إلا تركت فيه أثرًا حميدًا أو أمرًا رشيدًا وحبًا وخيرًا ، لأن النفس البشرية في حاجة إليها في كل حين .

* * *

(١) سورة الأنعام الآية : ٥٤ .

الفصل الثالث

ثقافة الداعي

- المبحث الأول : الثقافة الشرعية .
- المبحث الثاني : الإلمام بقواعد الإفتاء وشروط صدور الفتوى.
- المبحث الثالث : الثقافة العامة .
- المبحث الرابع : مواقف بعض دعاة الإسلام .

* * *

○ ثقافة الداعـــي ○

الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى عمل جليل وتوجيه نبيل ، فهي مهمة الرسل عليهم السلام ، من قام بها نال من رب العزة والجلال الأجر العظيم والجزاء الأوفى ، لأن ما يقوم به المدعو بسبب الداعية من عمل ينال الداعية بذلك مثل أجر العامل .. والدعوة من أفضل الأعمال التي يتقرب بها العبد إلى خالقه ومولاه سبحانه وتعالى ، لأنها إبلاغ وإيصال للدين الذي ارتضاه رب العالمين لعباده جميعًا لا بل للإنس والجن ، وخلقهم من أجله كي يعبدوه ويوحدوه جل وعلا ، وهي من الأعمال ذات الثمار اليانعة والنتائج الباهرة حيث يتم خلالها إعادة هذا العبد الآبق إلى خالقه ومولاه جل وعلا ، وثمرتها هداية الناس إلى هذا الحق والتبليغ عن رب العزة والجلال وعن رسول الهدى الحبيب المصطفى ﷺ . لهذا لا بد للداعية المسلم من التزود بزاد المسير لطريق الدعوة الطويل ، زاد العلم والمعرفة كي يستطيع إيصال هذا النور بالطريقة الصحيحة المقبولة وفي وقت قصير وسلامة له من الوقوع في أذى المدعوين وأعداء الدين الذين لا يتركون دعاة الإسلام يسيرون بهدوء وأمان ، ثم بالحجة أو الحجج الدامغة من خلال آي الذكر الحكيم والسنة النبوية المطهرة المصدران لهذا الدين كلام الله وسنة رسوله ﷺ ، ويحسن بنا في البداية أن نقف عند كلمة (ثقافة) لبيان معناها في اللغة والاصطلاح .

الثقافة لغة : يقال ثقف الرجل إذا كان ضابطًا لما يحويه من العلم .

الثقافة اصطلاحًا : الأخذ من كل علم بطرف . ومما لا شك فيه أن أول ما يلزم الداعية كي يقوم بدعوته أن يكون لديه علم ، نعم علم بهذا الدين الذي يدعو إليه وثقافة أصيلة ثابتة الأصول باسقة الفروع تعطيه بعدًا جيدًا إذا أراد الحديث مع المدعوين عن أمر من أمور الدين والحياة . وسيكون الحديث في هذا الفصل الذي نريد أن نبين من خلاله ثقافة الداعية المسلم من خلال النقاط التالية :

○ **أولًا : الثقافة الشرعية .**

○ **ثانيًا : الإلمام بقواعد الإفتاء وشروط إصدار الفتوى .**

○ **ثالثًا : الثقافة العامة معرفة عادات وتقاليد ولغة من يدعوهم .**

○ **رابعًا : مواقف بعض دعاة الإسلام .**

وذلك من خلال الآتي :

أ - دراسة لبعض مواقف الخلفاء الراشدين والصحابة رضي الله تعالى عنهم مما كان له أثر في الدعوة .

ب - دراسة بعض الدعوات ومناهجها في الدعوة إلى الله تعالى وأثر كل منهج في المجتمع المسلم وفي الدعوة الإسلامية مع ترجمة للدعاة التالية أسماؤهم :

١ - الخليفة عمر بن عبد العزيز .
٢ - الإمام أحمد بن حنبل .
٣ - الإمام ابن تيمية .
٤ - الشيخ محمد بن عبد الوهاب .

وذلك ليقف الداعية المسلم على هذه الأمثلة الرائعة ليستفيد منها في مسيرته مع الدعوة . وسأتناول كل جانب من هذه الجوانب الأربعة بالبيان والتحليل من خلال المباحث الأتية .

❋ ❋ ❋

المبحث الأول : الثقافة الشرعية

ويمكن أن نطلق عليها الثقافة الإسلامية التي محورها الإسلام مصادره وأصوله وعلومه ، يقول الأستاذ أحمد محمد جمال في كتابه محاضرات في الثقافة الإسلامية: (الثقافة الإسلامية ربانية التلقي نبوية التوجيه تاريخية النسب ، إذ إنها تنتمي إلى تاريخ أصيل جليل ذي أمثلة ونماذج رائعات في الحضارة الإنسانية)[1]، وهذا يمكن أن نطلق عليه خصائص الثقافة الإسلامية .

ويقول الدكتور عبد الكريم عثمان في كتابه معالم الثقافة الإسلامية : (الثقافة الإسلامية إنسانية النزعة والهدف ، عالمية الأفق والرسالة تنظر إلى الناس بمقياس واحد لا تفسده القومية أو العنصرية أو الجنس أو اللون ، وواضح أن هذه النزعة من أثر القرآن الكريم الذي يعلن أن الناس جميعًا خلقوا من نفس واحدة من ذكر وأنثى أن الرابطة التي يجب أن تربط بين بني الإنسان في مفهوم الثقافة الإسلامية هي رابطة العقيدة ، بها يرتفع الإنسان وينخفض)[2] .

ويمكن الحديث عن الثقافة الإسلامية من الزوايا الآتية :

- أولًا : مفهومها .
- ثانيًا : مصادرها .
- ثالثًا : مزاياها .

أولًا : مفهومها :

هي مجموعة الصفات الخلقية والقيم الاجتماعية التي تؤثر في الإنسان منذ ولادته فتربطه سلوكيًا بأسلوب الحياة الاجتماعية في المكان الذي يعيش فيه ، وتزوده بمعرفة الله سبحانه

---

(١) « محاضرات في الثقافة الإسلامية » أحمد محمد جمال ط٢ دار الفكر بيروت ١٣٩٤هـ .

(٢) « معالم الثقافة الإسلامية » للدكتور عبد الكريم عثمان . مؤسسة الرسالة ٣ - ١٤ ص٨٨ .

وتعالى والكون الذي يعيش فيه ، والحياة للإنسان معرفة الله جل وعلا كخالق للكون المسخر من الله جل وعلا لهذا الإنسان ، والإنسان الذي استخلف لعمارة الكون والحياة كمجال للعمل الإنساني على أسس الإسلام الثابتة القوية المتينة ، وهذا يوضح أن المفهوم الصحيح لمعنى الثقافة بأنها : جانب سلوكي يجعل الإنسان يتهيأ للحياة الحضارية والتطور الاجتماعي المنضبط بالقيم الإسلامية .

○ *ثانيًا : مصادرها :*

المصادر الرئيسة للثقافة الإسلامية هي :

١ – القرآن الكريم ثم علومه .

٢ – السنة النبوية المطهرة والسيرة قولًا وعملًا وأمرًا ونهيًا وتوجيهًا .

٣ – تاريخ المسلمين من عهد النبوة المحمدية إلى اليوم .

والحديث عن هذه المصادر يحتاج لمساحة كبيرة ، والذي أريد التأكيد عليه أن الداعية المسلم لا بد له أن ينهل من معين هذه الثقافة – بالنسبة للكتاب العزيز ينصح الداعية بحفظه فهو خير زاد ، وإن لم يتمكن من ذلك بعد أن يحاول بكل جد لا بد له أن يتقن تلاوته نظرًا من لحن جلي أو خفي ، واللحن الجلي هو : تغيير الحركة ، أي رفع المنصوب ونصب المرفوع ، أما اللحن الخفي فهو : الخطأ الذي يتعلق بكمال إتقان النطق لا بتصحيحه فلا يدركه إلا أهل الفن ويخفى على العامة ، مثل ضبط مقادير الممدود والمحافظة على مخارج الحروف وصفاتها ، وأحكام التجويد « أحكام النون الساكنة والتنوين » هذا هو اللحن الخفي . يقول شيخ الإسلام ابن تيمية : (لا ينبغي لطلبة العلم الصلاة خلف من لا يقيم الفاتحة ويقع في اللحن الجلي بحيث يغير حرفًا أو حركة) . ولا أعلم كيف يسمح لنفسه أن يواجه الناس من يلحن في آيات القرآن الكريم ولا يحسن تلاوة آي الذكر الحكيم كلام رب العالمين سبحانه وتعالى ؛ لذا آمل أن يلاحظ هذا الأمر جميع من يقوم بالدعوة إلى الله وظيفة الرسل ، فيبادر إلى تلقي القرآن الكريم على يد أصحاب الاختصاص من القراء إجلالًا وتعظيمًا لكتاب الله جل وعلا، ورب العزة والجلال يسر ذلك لعباده،فما على الداعية إلا أن يحرص على تعلم القرآن الكريم ، فهذا هو رسولنا الكريم عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم يقول فيما صح عنه : « **خيركم من تعلم القرآن وعلمه** » وبالنسبة للداعية أمر لازم حتى لا يقع في اللحن المغير للمعنى فيكون سببًا في وقوع المدعوين في أمور لا داعي لها، فالاهتمام بالكتاب العزيز واجب على المسلمين جميعًا وبالأخص الدعاة، ولعله من المفيد

حفظ الجزء الأخير من القرآن الكريم بشكل جيد ، وبعض الآيات التي يستدل بها على ما يريد بيانه للمدعوين سواء كان ذلك في باب العبادات أو المعاملات أو بيان عظمة الخالق سبحانه وتعالى ، وأنه غني عن العالمين ، وأن هذا الكون في قبضته ، وأنه هو المستحق للعبادة وحده سبحانه وتعالى ، ومن الضروري أن يعرف تفسير ومعاني الآيات التي يحفظها لتساعده على بيان ذلك للمدعوين وإيضاح المعنى المراد من الآية ، وهذا والحمد لله ميسرٌ الآن للجميع، فما على الداعية إلا أن يحرص على التزود بالعلم في هذا المجال ليكون له عونًا في قيامه بمهام الدعوة . إن الحديث عن كتابنا العزيز كلام رب العالمين ممتع ومفيد وفيه الخير ، والذي أريد التأكيد عليه العناية بالتلاوة الصحيحة الموجودة من قبل الداعية .

٢ – السنة النبوية المطهرة والسيرة .

السنة النبوية هي : المصدر الثاني للتشريع الإسلامي ، فالعناية بالحديث النبوي واجب على كل مسلم – وهذا يجعل المسلم لا يقول عن رسول الله ﷺ إلا ما كان واثقًا من صحته وإلا وقع في الكذب على رسول الله ﷺ ، والداعية المسلم يجب أن يتأكد من صحة الرواية قبل تعليم الناس أو الحديث إليهم عن رسول الله ﷺ ، وهذا من تعظيم واحترام كلام رسول الله الذي لا ينطق عن الهوى كما بين القرآن الكريم ، وأن من لوازم الداعية العناية بالحديث الشريف والسيرة النبوية حتى لا يروى ما هو غير صحيح ، ينقله السامعون عنه فيقع تحت طائلة العقاب الذي بينه ﷺ في قوله : « **من كذب علي متعمدًا فليتبوأ مقعده من النار** » فالعناية بالسنة المطهرة واجب على هذه الأمة وعلى الأخص الدعاة الذين يبلغون الناس كلام رسول الله ﷺ الذي يجب عليهم أن يتحروا الدقة والصدق بذلك ، أما سيرته ﷺ فيجب أن تؤخذ من مصادرها الأصلية المعلومة لدى الأمة حتى يسلم الداعية من الدس الذي نصبه أعداء الإسلام ، فسيرته ﷺ محفوظة واضحة نقية في الكتاب العزيز والسنة المطهرة .

٣ – تاريخ المسلمين وهو تاريخ الاسم الناصع الواضح المشرف الذي كتبه علماء الأمة – الرجال الثقات – الخالي من الدس والمبالغات الذي سلم من التعريض بالصحابة والذي بين سمو ورفعة هذه الأمة وحكي بحق أحوال أولئك الأماجد من الصحابة الكرام رضوان الله عليهم جميعًا ، وما قاموا به ومن أعمال لنصرة الدين وإعلاء كلمة التوحيد : لا إله إلا الله محمد رسول الله ، ومن أتي بعده من التابعين وتابعيهم حتى عصرنا الحاضر ممن كانوا وبحق قدوة لنا ولمن يأتي بعدنا من أمة الإسلام حتى يرث الله الأرض ومن عليها

بإخلاصهم للدين وحرصهم على قوته وانتشاره ، هذا التاريخ العظيم الذي يحكي قصة هذه الأمة التي أخرجت للناس لتأمرهم بالمعروف وتنهى عن المنكر وتقيم فيهم الحق والعدل وتحررهم من عبادة العباد ليحققوا العبودية لعبادة رب العباد سبحانه وتعالى ، ذلك التاريخ الناصع الواضح المجيد يجب على دعاة الإسلام أن يعرفوا تاريخهم للعلم والعبرة والتأسي ليقصوه على المدعوين لبيان عظمة هذه الأمة التي أكرمها الله بهذه الرسالة الخاتمة . إن صفحات هذا التاريخ ناصعة مليئة بالبطولات والتضحيات في سبيل نشر هذا الدين والدفاع عنه وحمايته من الأعداء ، لأن مصادره ثابتة وصادقة ونقية ، فعلى الداعية أن يقف على تاريخه ، لأنه مصدر أصيل لثقافته وزاد ثري يتزود منه الداعية بأنواع المعارف والعلوم ، لأن هذا التاريخ المجيد حمل للإنسانية الخير والسعادة والإيمان وعلم نافع ورجال نذروا أنفسهم لحمل هذا الدين ونشره في كل مكان وجاهدوا في سبيل المعرفة الإنسانية أصدق جهاد بما أناروا به صفحات هذه المعرفة من علومهم وفكرهم ومخترعاتهم وبذلهم الذي عرفه الفرس والروم في ذلك الزمان حيث أكدوا للدنيا بأسرها أن هذا الدين ليس في المسجد فقط بل مع المسلمين في جميع حياتهم يضمن سعادة الدارين ، لا بل مع الإنسان الذي آمن بالله ربًّا وبمحمد رسولًا وبالإسلام دينًا ، مهما كان جنسه أو لونه أو وطنه فألفوا الكتب في شتى أنواع المعارف وأخذوا من العلوم التطبيقية بحظ وافر في الفلك والرياضيات والفيزياء والكيمياء والطب ، لأن منهم من يحترم العلم ويدعو إليه ويحث على الاستزادة منه لخير الإنسان ، نعم عندما ينقل الداعية هذا الكم الهائل من المعرفة البشرية لمن يدعوهم يثبت لهم بذلك أن هذا الدين دين حضارة ورقي وتقدم ، يريد لأتباعه العزة والكرامة والحياة الهانئة وللبشرية الخير والسلام ، نعم السلام الذي يتوق إليه الناس جميعًا .

إن كل جانب من جوانب هذا التاريخ فيه فخار وشموخ ، فيه ما يعتز به كل إنسان ناهيك عن الإنسان المسلم الذي أعزه الله بهذا الدين وأكرمه ببعث سيد المرسلين ﷺ ، والكتاب العظيم كلام رب العالمين الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حميد عليم ، إنه تاريخ خير للبشرية جمعاء العهد النبوي حيث رسول رب العالمين سيدنا محمد بن عبد الله ﷺ المبعوث للثقلين بالرحمة والدين القويم الذي أضاءت الدنيا لمولده وأشرقت بنور ربها حيث تنزل عليه القرآن الكريم في مكة المكرمة ، يقول المولى جل وعلا : ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ①﴾ ثم عهد الصحب الكرام الخلفاء الراشدين أبي بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله تعالى عنهم جميعًا حيث الامتداد للعهد النبوي وحيث الجهاد والتضحية

والفداء ونشر هذا الدين ثم الخلافة الأموية وما تم فيها من ازدهار العلوم والمعارف والفتوحات العظيمة ، تلاه عصر بني العباس الذي تميز بالعلم والجهاد ونشر الدين والانفتاح على بقية دول العالم في ذلك الزمان ، وهكذا حتى عصرنا الحاضر .

كل ذلك يعطي الداعية المسلم الفكر والتذكر والفخار وهو يعرض تلك الأمجاد التي حققها الأجداد يوم كانوا بالله معتصمين وبهديه متمسكين وعلى طريق نبيهم ﷺ سائرين . إن البشرية الحائرة التي لم تعرف تاريخًا مثل تاريخ الإسلام والمسلمين هذا التاريخ أشاع على الكون قاطبة الخير والحب والسلام .

○ ثالثًا : مزاياها :

الثقافة الإسلامية تمتاز عن غيرها من الثقافات التي عرفتها البشرية بمميزات كثيرة سواء كانت تلك الثقافات قديمة أو حديثة شرقية أم غربية ، وذلك لأن هذه الثقافة ذات مصادر عظيمة وخصائص لا مثيل لها جعلتها رائدة بين الثقافات التي عرفتها البشرية ، وذلك لما امتازت به عن تلك الثقافات من مميزات أجملها في الآتي :

١ - ربانية المصدر : لأن مصدرها كتاب الله العزيز الذي تكفل الحق تبارك وتعالى بحفظه فهو كلامه المنزل على عبده ورسوله سيدنا محمد ﷺ ، فهو خير كتاب أنزل على أشرف رسول إلى خير أمة أخرجت للناس . بواسطة الأمين جبريل عليه السلام المتلو بالألسنة المحفوظ في الصدور المكتوب في المصاحف المنقول إلينا بالتواتر ، المتعبد بتلاوته المبدوء بسورة الفاتحة المختتم بسورة الناس . أنزله الحق تبارك وتعالى ليكون دستورًا لأمة الإسلام وهداية للخلق وآية على صدق رسول الحق للخلق ﷺ : وبرهانًا ساطعًا على نبوته ورسالته ﷺ وحجة قاطعة قائمة إلى يوم الدين ، قال تعالى : ﴿ قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾ ﴾[1] .

جعله الله النور المبين والشفاء النافع عصمة لمن تمسك به ونجاة لمن اتبعه ، فيه علم الأولين والآخرين ، هو المهيمن المؤتمن الشاهد على ما قبله من الكتب ، وهو أعلى منها درجة ، قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾ ﴾[2] ، والحديث عن هذا الكتاب العظيم طويل ،

---

(١) سورة الإسراء الآية : ٨٨ .

(٢) سورة يونس الآية : ٥٧ .

وحسبي ما ذكر . وبهذا يتبين لنا أن الثقافة الإسلامية تمتاز من هذه الناحية بأنها ربانية النزعة ، لأن تصورها للوجود كما يقول الدكتور عبد الكريم عثمان في كتابه معالم الثقافة الإسلامية بكل خصائصه ومقوماته مستمد من الله ، تلقاه الإنسان كاملًا بخصائصه هذه ليتكيف به ويطبق مقتضياته في حياته ، ومعنى هذا أن المسلم يعتقد أن الله الذي خلق هذا الكون هو الذي خلق الإنسان وكل ما في هذا الوجود يسير على سنة الله مسخرًا لصالح الإنسانية ، وهكذا يتحدد مكان الإنسان في هذا الكون إنسانًا مستخلفًا من الله في أرضه ، إن صفة الربانية هذه تقف في مقابل صدر الثقافة المادية ، وبينما تهتم الثقافة التي تبني على أساس من الإيمان بالله بغايات الأشياء وأصولها البعيدة ، فإن الثقافة المادية لا تهتم إلا بأسبابها ومظاهرها ويترتب على ذلك أن الفكر الإسلامي لا ينظر إلى الحياة على أنها الغاية الأسمى والمثل الأعلى ، وإنما على أنها مرحلة لا بد من اجتيازها بمنتهى الإيجابية والإتقان ، وهكذا فإن المسلم في أوج قوته وسلطته وسيادته مؤمن بربه خاضع له لا يداخله الغرور الذي داخل الأوروبي حين يسرت له أسباب الحياة وسخرت له الطبيعة ، ومثل هذه الثقافة تجمع بين الغايات والوسائل وبين العلم والإيمان ، وكونها تستمد كيانها من مبادىء الدين لا يعني تخليها عن العقل والعلم[1] وما نلاحظه من شقاء وقعت فيه هذه الإنسانية كان بسبب فصل العلم عن الإيمان والفجوة التي وقعت بين الفكر والأخلاق ، الأمر الذي جعلها تتخبط في دياجير مظلمة تلهث لتصل إلى الرحمة والاستقرار ، وقد تنكبت الطريق المستقيم واهتمت بجانب وتركت الآخر الذي عليه تقوم قوة واستمرارية الجانب الآخر ، إنه الإيمان والتصديق والعودة إلى الخالق سبحانه وتعالى بتحقيق العبودية له جل وعلا وإيجاد التوازن بين هذين الشقين العلم والإيمان .

هذان الركنان المتلازمان الذي لا يقوم الآخر إلا بالأول ولا يتحقق لهذا الإنسان ما يرجوه إلا باجتماعهما معًا ، العلم والإيمان ، فالثقافة الإسلامية يتحقق فيها هذا بكل جلاء ، فالعلم يدعو إلى الإيمان ، والإيمان يدعو للعلم ، والحديث في هذا يطول .

٢ - الثقافة الإسلامية إنسانية النزعة والهدف عالمية الأفق والرسالة تنظر إلى الناس بمقياس واحد لا تفسده القومية أو العنصرية أو الجنس أو اللون[2]، وهذه النزعة من أثر القرآن الكريم الذي أعلنها بجلاء أن بني البشر - بني آدم - خلقوا من نفس واحدة الكل

---

(١) معالم الثقافة الإسلامية لعبد الكريم عثمان ص٨٦ ، ٨٧ .

(٢) المرجع السابق ص٨٨ .

لآدم وآدم من تراب ، وتؤكد ذلك السنة المطهرة وتبين بكل وضوح أن التفاضل بين البشر بالتقوى فقط ، وأنه لا فضل لعربي على عجمي ولا لأبيض على أسود ، الكل أمام الله سواء تربطهم العقيدة السمحاء التي يرتفع بها زيد إن كان ملتزمًا بها جاعلها منهاج حياة ويهوى بعدم الالتزام بها عمرو .

الثقافة الإسلامية ذات آفاق فسيحة ثابتة ذات جذور عميقة يرتقي في نظرها الإنسان المطبق للشريعة بعد أن آمن وصدق الإنسان الذي قال : سمعنا وأطعنا ، الذي استسلم وسلم نفسه لله رب العالمين فأقام شرعه وأنصف من نفسه والتزم منهج الإسلام في جميع أموره وعاش الإسلام في نفسه ومع الآخرين ، وعمل على نشره والدفاع عنه بكل ما يملك قال تعالى : ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾[1] فبالتقوى كما ذكرت سابقًا يكون التمايز ، فكلما ازداد المسلم تقوى ازداد قربًا من الله جل وعلا وارتفع عن أخيه الأقل منه تقوى وهكذا . والقرآن الكريم يؤكد على التقوى ، دليل واضح وجلي على أن الناس سواسية في الأصل ، الأب آدم والأم حواء ، وبقدر تمسك الواحد منهم ذكرًا كان أم أنثى بأهداب الدين وتطبيق ذلك في جميع شئون حياته تتسع الفجوة بينه وبين ذلك الغير مطبق لشرع الله المضيع لحق الله وحق نفسه في أن تكون مطيعة لخالقها جل وعلا محققة للعبودية . وبهذا نجد أن الثقافة الإسلامية عالمية ، لأنها ترتبط بالإنسان أيًا كان جنسه أو لونه أو وطنه ، ذلك لأنها من لدن خالق الإنسان سبحانه وتعالى العالم به وبما يصلح وينفع أو لا ينفع ، جل جلاله ، لا إله غيره ولا رب سواه .

٣ - الثقافة الإسلامية تمتاز بالشمول والتوازن .

إن المتمعن بدقة في الثقافة الإسلامية يجدها تشمل جميع نواحي الحياة ، بل إنها تترجم معنى الشمول بكل وضوح ، فقد أحاطت بجميع مجالات الإنسان في مراحل حياته بحيث لم تترك جانبًا منها إلا بحثته واعتنت به ؛ لأنها تهدف أصلًا إلى كل ما يتعلق بهذا الإنسان والكون الذي يعيش فيه ونشاطات حياته وكل ما له علاقة به من الناحية المادية أو الروحية والثقافية والفكرية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية ، علاقته مع نفسه ومع أسرته ومجتمعه ومن حوله ، علاقته بإخوانه المسلمين وبغيرهم من عباد الله بحيث يكون هذا الشمول متوازنًا لا يسمح لجانب أن يطغى على الجانب الآخر، يسير وفق منهج محدد يحقق لهذا الإنسان ما فيه سعادته ويحميه من أن يلحقه أي أذى أو مكروه بطريق مباشر أو غير مباشر،

---

(١) سورة الحجرات الآية : ١٣ .

هذا التوازن في الثقافة الإسلامية أكسبها الديمومة والانتشار ؛ لهذا نجدها صمدت أمام التحديات التي واجهتها من أعداء الإسلام الذين أخذوا من هذه الثقافة ما جعلهم يقيمون لأنفسهم حضارة مادية يدركها الجميع من خلال الكم الهائل من المخترعات الحديثة التي ما كانت تظهر إلى حيز الوجود لولا الثقافة الإسلامية بما احتوته من علوم ومعارف . وهذا التوازن يبدو واضحًا من خلال الشمول الذي هو سمة هذه الثقافة بحيث أعطى كل جانب من جوانب الحياة والإنسان حقه من غير أن يكون على حساب جانب أو جوانب أخرى ، فأطوار حياة هذا الإنسان يدرك الناظر إليها بروز التوازن فيها ، وبالتالي كل ما يتعلق به من أمور أخرى ، ولا يستغرب على هذه الثقافة هذه الميزة ؛ لأن مصدرها كتاب الله جل وعلا وسنة نبيه ﷺ ، أصلها ثابت وقوي وذو جذور عميقة .

٤ - الثقافة الإسلامية أتاحت للعقل البشري آفاقًا واسعة كي ينطلق إلى تحقيق ما يحقق لهذا الإنسان الخير والارتقاء ، وذلك من خلال التفكر في مخلوقات الله وإمعان الذهن في ما هو حوله من بديع صنعه سبحانه وتعالى كي يبدع ويخترع ويصل إلى تحقيق العمارة الحقيقية لهذا الإنسان في الأرض من خلال الاستفادة بما فيها وما حولها من مخلوقات المولى جل وعلا فيبتكر من نتاج هذا العقل ما يعينه على أن يستفيد أكثر مما سخره الخالق سبحانه وتعالى له في هذا الكون ، فالثقافة الإسلامية تفتح أمام العقل البشري كل ما يمكنه من الاختراع والابتكار ، ولا تقف أمامه حجر عثرة كما عرفنا في الثقافات الأخرى في الأمم السابقة ، لأن الإسلام كرم العقل وأعطاه من العناية ما لا تعرفه البشرية إلا في هذا الدين العظيم ، وبالتالي رفع أصحاب العقول النيرة والأفهام الذكية إلى درجات لم يبلغها الإنسان في ظل أي حضارة بشرية إن جاز لنا أن نطلق عليها اسم الحضارة ، ولا شك أن العقل البشري أخذ هذه المكانة في ظل الحضارة الإسلامية من خلال عناية هذا الدين بالعلم ورعايته ، وبالتالي للعلماء الذين رفع مكانتهم حتى إن آى الذكر الحكيم أبانت بأن الذي يعلم لا يستوي مع غيره ، قال تعالى : ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ ۝٩ ﴾[1] هذه أبرز مميزات الثقافة الإسلامية التي اشتملت على مميزات أخرى جعلتها تستمر هذه القرون صامدة أمام ذلك الكم الهائل من العقبات والمؤامرات بل والتحديات التي ذابت أمام قوة هذه الثقافة وأصالتها، والحمد لله رب العالمين.

---

(١) سورة الزمر الآية : ٩ .

والحق يقال بأن الثقافة الإسلامية قدمت للفكر الإنساني المفيد في كل جوانب الحياة البشرية ، لأنها تنهل من نبع صافٍ أصيل ، ولا يجادل في هذا إلا جاهل أو حاقد ، فالمنصفون من مفكري البشرية غير المسلمين يؤكدون ذلك ويقرون به ؛ لأن ثماره لا يمكن تجاهلها بحال من الأحوال .

* * *

المبحث الثاني : الإلمام بقواعد الإفتاء وشروط إصدار الفتوى

الحديث عن قواعد الإفتاء وشروط إصدار الفتوى يقتضي بيان نظام الإفتاء في الإسلام ، ذلك النظام الدقيق الذي يرتكز على أربعة قواعد هي :

- **أولًا : المفتي .**
- **ثانيًا : المستفتي .**
- **ثالثًا : الفتوى .**
- **رابعًا : الإفتاء .**

وهو المراد بيانه من خلال إبراز قواعد وشروط إصدار الفتوى .

والخوض في هذا الموضوع ليس مجاله هنا ، وسنكتفي ببيان ما يلزم بيانه وفق خطة الكتاب فقط ، ومن أراد المزيد عليه مراجعة الكتب المتخصصة في هذا المجال ، يقول الحق تبارك وتعالى في كتابه العزيز : ﴿ فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ۝٧ ﴾[1] ولا شك أن سؤال الجاهل عن ما لا يعرفه من أمر الشرع أمر ضروري وهام جدًا حتى يقوم بما أوجبه الحق تبارك وتعالى عليه من أوامر ، وهذا يقتضي وجود شخص أو جهة أو أشخاص يجيبون على تلك الأسئلة ، فالسائل والمجيب وهذه العملية الاتصالية يطلق عليها نظام الإفتاء – فما هو الإفتاء يا ترى ؟ .

الإفتاء في اللغة : أفتاه في الأمر ، أي : أبانه له ، وأفتاه في المسألة يفتيه : إذا أجابه .

والاسم : الفتوى ، واستفتيته فأفتاني إفتاءً .

والفتوى : اسم يوضع موضع الإفتاء ، والفتيا والفتوى : ما أفتى به الفقيه ، وهذا يعني أن الاستفتاء في اللغة يعني : السؤال عن أمر أو عن حكم مسألة ، وهذا السائل يسمى المستفتي والمسئول هو: المفتي، وقيامه بالجواب هو الإفتاء ، وما يجيب به هو الفتوى .

---

(١) سورة الأنبياء الآية : ٧ .

وبهذا نجد أن الإفتاء يتضمن وجود المستفتي – المفتي – الفتوى .

أما الإفتاء في الاصطلاح : المعني الاصطلاحي لا يخرج عن المعنى اللغوي بحال بحيث تكون المسألة المراد معرفتها من المسائل الشرعية ، وحكمها شرعي وهي فرض عين إن كان في البلد مفت واحد ، وفرض كفاية إذا كان فيه مفتيان فأكثر .

وسأتناول النقاط الأربع المذكورة سابقًا بالإيضاح قدر الإمكان في الآتي :

○ أولًا : المفتـــي :

هو الذي يقوم بالإفتاء وهو المخبر عن حكم من أحكام الله .

وهناك شروط يجب توفرها في المفتي هي :

الإسلام والبلوغ والعقل والعدل والاجتهاد – صحيح الذهن والفكر عارفًا بالفقه وما يتعلق به .

وهناك تفصيل في كل شرط من هذه الشروط يجب على الداعية معرفتها والإلمام بها ، وليس للمفتي أن يفتي في حال شغل قلبه ومنعه من التثبت والتأمل لغضب أو جوع أو عطش أو غم أو خوف أو حزن أو فرح وما إلى ذلك ..

فإن أفتى في شيء من ذلك وهو يرى أن ذلك لا يمنعه من إدراك الصواب صحت فتياه .

وهناك أمور يجب على المفتي مراعاتها من أهمها :

١ – أن يطيل النظر والفكر في المسألة ولا يتعجل في الإجابة ؛ لأن ما يقوله دين يحاسب عليه أمام الله عز وجل ، ويترتب عليه قيام المستفتي بفعل أمر ، فإذا كان لا يعرف جواب المسألة يقول : لا أدري خير له من إجابة غير صحيحة .

٢ – البعد عن مظان التهم كي يكون قوله مقبولًا عن المسائل ، وأن لا يقبل هدية حتى لا يؤثر ذلك على نفسه فيتساهل في الفتيا .

٣ – أن يكون متواضعًا سهلًا هينًا لطيفًا رقيقًا بالمستفتين ، يتصف بالحلم والوقار وحسن السمعة وخلق فاضل .

٤ – أن يلاحظ عادات وتقاليد وأعراف البلد ليعرف المقصود من الفتوى وهدف المستفتي ، ولا حرج من أن يتشاور مع إخوانه من الفقهاء في موضوع مسألة أو مسائل كي يعطي الجواب الوافي الشافي .

ولا شك أن الإفتاء أمر شرعي يترتب عليه أمور كثيرة ، فعلى المفتين أن يتقوا الله في

هذا الأمر ولا تأخذهم في الحق لومة لائم ، لأن ما يصدر عن المفتي له أثره على المستفتي وغيره ، فلا بد من مراعاة الشروط وكل ما يتعلق بهذا الأمر خشية لله تعالى ورغبة فيما عنده وخدمة لهذه الشريعة .

○ ثانيًا : المستفتـــي :

المستفتي : هو الذي يريد معرفة حكم الإسلام في مسألة من المسائل الشرعية ، وينبغي على المستفتي أن يكون مؤدبًا في استفتائه وسأذكر – من باب الفائدة – بعض الآداب التي يجب أن يراعيها المستفتي مع المفتي وهي :

١ – الالتزام بآداب الإسلام في الكلام والخطاب والسؤال .
٢ – الالتزام بآداب الإسلام في الكلام مع العلماء ومخاطبتهم .
٣ – أن يظهر التواضع والاحترام نحو المفتي .
٤ – أن يستأذن في السؤال وقبله الجلوس إلى المفتي .
٥ – أن يتخير الوقت والمكان المناسب لسؤاله .
٦ – أن لا يستفتي والمفتي مشغول بغيره .
٧ – أن لا يأتيه في ساعات الراحة أو النوم .
٨ – أن لا يطالبه بالحجة فيما أفتاه فيه .

إلى غير ذلك من آداب الإسلام في التوقير والتبجيل واختيار أنسب الألفاظ والرقة في المعاملة .

○ ثالثًا : الفتــوى :

ونعني بها نص جواب المفتي ، وبعبارة أخرى حكم الشرع في المسألة التي سأل عنها المستفتي .

والفتوى يجب أن تقوم على كتاب الله وسنة نبيه محمد ﷺ وإجماع الأمة والرأي إن كان موافقًا صالحًا .

وعلى المفتي أن تكون الفتوى واضحة مفهومة بلغة سهلة وأسلوب مفهوم لدى المستفتي .

ولما كانت الفتوى أمرًا شرعيًّا وجب الاهتمام به غاية الاهتمام من حيث الشكل والمضمون

والطريقة ووضوح العبارات والتأكد التام من الحكم إعزازًا للدين وحفظًا للشرع القويم ورحمة بالمستفتي كي يعرف حكم الشرع في ما يسأل عنه بكل وضوح وصدق وصحة .

○ رابعًا : الإفتاء :

ونعني به قيام المفتي بجواب المستفتي وهو إبلاغ عن الله سبحانه وتعالى وإخبار عما شرعه لعباده من أحكام – وقد كان سيدنا رسول الله ﷺ أول من قام به ، فقد آتاه الله تعالى جوامع الكلم ، فعلى دعاة الإسلام معرفة أقضية رسول الله ﷺ ، فإن فيها الخير والعلم والحق والنور والبركة ، وقد قام بهذا من بعده ﷺ صحابته الكرام ، وهكذا من أتى بعدهم من التابعين إلى يومنا هذا وحتى يرث الله الأرض ومن عليها ، وذلك صيانة للشرع وحماية للدين وإظهار للحق والنور الذي نزل على سيدنا رسول الله ﷺ وتكفل الحق تبارك وتعالى بحفظه وحمايته ، وهيأ لسنة نبيه ﷺ رجالًا حفظوها وخدموها حتى وصلت إلينا واضحة جلية بينة وافية صادقة جزاهم الله أحسن الجزاء .

وحق الإفتاء : يكون لكل من كان أهلًا لأن يكون مفتيًا سواء عينه ولي الأمر أو لم يعينه ، وذلك أداءً لأمانة العلم والدين ، وهذا يعني توفر شروط الإفتاء فيه .

والذي أود قوله في هذا الموضوع : إنه عم التساهل في أمر الإفتاء ، بل تطاول عليه الكثير ممن لا تتوفر فيهم الشروط اللازمة ، وهذا أمر خطير جدًّا يجب على أمة الإسلام من خلال ولاة أمرها وعلمائها التصدي لذلك حماية للدين وصيانة للشرع من أن يقول فيه أحد ما لا يعلم .

فقد كان سلفنا الصالحون يتهيبون من هذا الأمر ، فتجد الواحد منهم إذا سئل عن مسألة أحالها إلى أخيه وهكذا خوفًا من مسئولية هذا الأمر وخشية لله تعالى ، وقد ورد أن أحدهم يود لو أن هذه المسئلة عرضت على أخيه بعكس ما هو واقع هذه الأيام من تصدي البعض للفتوى مع عدم توفر شروطها لديه ، فإلى الله المشتكى .

إن الإفتاء هو في الحقيقة تبليغ لشرع الله وفي نفس الوقت قيام بواجب ديني إلا أن صاحبه معرض للخطأ ، فيجب علينا جميعًا الانتباه لهذا الأمر وتوقير العلم والعلماء وعدم التصدي ليقال : إن فلانًا عالمٌ أو عارفٌ بأمر الشرع ، فإن المسألة خطيرة جدًّا ، ومراعاتها وفق منهج الإسلام لازم على الجميع مفتين ومستفتين .

المبحث الثالث : الثقافة العامة

إذا كان تعريف الثقافة هو الأخذ من كل علم بطرف فإن هذا يمكن أن نطلق عليه الثقافة العامة – أيضًا – لأن معرفة الداعية بالعلوم الشرعية أمر لازم كي يوصل هذا الدين واضحًا صافيًا نقيًّا إلى المدعوين ، وبأطراف المعارف الأخرى كي تساعده على السير قدمًا بالدعوة من خلال معرفته بواقع الحياة وما يحيط به وما حوله وأحوال المدعوين ومعيشتهم وجميع ظروفهم ؛ ليصل من خلال هذه الثقافة إلى معرفة أيسر السبل وأكملها للوصول إليهم بهذه الدعوة المباركة وهذا الدين القويم ، وهذا الأمر من مستلزمات نجاح عملية الاتصال ، والداعية يقوم بعملية اتصال وهو ما يتم مع المدعوين فرادى أو جماعات ، صغارًا أم كبارًا ، عربًا أم غير عرب ، لهذا نقول ، بأن معرفة لغة المدعوين من الأمور التي تعين الداعية وتسهل عليه عملية الاتصال ؛ لأن اللغة هي وسيلة الاتصال المباشر ، فإذا ما فقد الداعية هذه الوسيلة فسيكون هناك وسيط ، وهذا لن يكون مثل الأصيل بحال من الأحوال في كثير من المناسبات ، مما يجعلنا نؤكد على أهمية معرفة الداعية للغة القوم الذين يريد دعوتهم ، وهذا واضح في كتب سيدنا رسول الله ﷺ ومبعوثيه إلى دول العالم في ذلك الزمان ، الأمر الذي يؤكد على أهمية معرفة لغة المدعوين .

لهذا يتضح لنا دور الثقافة العامة الفعالة في إنجاح عملية الاتصال ؛ لأن اطلاع الداعية على مجموع المعارف البشرية يوسع مداركه ، ويصقل ذهنه ، ويكسبه معرفة بما حوله ومن حوله من خلال معرفته واطلاعه ووقوفه على تلك المعارف المتنوعة النظرية منها والتطبيقية ، بحيث يكون لديه إلمام يساعده بالطبع على أن يكون مطلعًا على مجموعة من الثقافات التي تكون في مجموعها الثقافة العامة المنشودة والمطلوب توفرها في الداعية .

ومعلوم أن الشخص المدرك لما حوله المطلع على الثقافات المختلفة يعد مع مجموعة المثقفين ، أما الفاقد لذلك فإنه لا يطلق عليه مثقف بل يقال عنه إنه محدود الثقافة أو لا ثقافة عنده ، وبالتالي غير قادر على الإحاطة بما حوله وهذا يجعله غير قادر على

التعامل مع من حوله .

والداعية بهذا المفهوم في حاجة إلى مجموعة من الثقافات يمكن أن نوضحها في النقاط التالية :

○ **أولًا : الثقافة الإسلامية .**
○ **ثانيًا : الثقافة اللغوية الأدبية .**
○ **ثالثًا : الثقافة التاريخية .**
○ **رابعًا : الثقافة العلمية .**
○ **خامسًا : الثقافة الواقعية (الحالية) .**

وسنأتي على كل نقطة من هذه النقاط الخمس بالبيان السريع من باب العلم بالشيء ، لأن هدفي من إيراد ذلك تذكير الدعاة بأهمية الثقافة العامة ، وأثرها في إثراء فكر الداعية وزيادة حصيلته العلمية من خلال هذا الكم من المعلومات .

* * *

المطلب الأول : الثقافة الإسلامية

كما ذكرنا سابقًا نعني بالثقافة الإسلامية ما أتي به هذا الدين من أحكام في العبادات والمعاملات وأحوال المسلم جميعها من خلال ما نزل على سيدنا رسول الله ﷺ من كلام رب العزة والجلال ، وبيان علاقة المسلم مع نفسه وإخوانه وأسرته ، وقبل ذلك علاقته بربه سبحانه وتعالى .

ومن المعلوم أن فاقد الشيء لا يعطيه – لذا يتوجب على الداعية قبل أن يقوم بالدعوة معرفة هذا الدين (العلم) قبل القول والعمل معرفة أكيدة خاصة ما يتعلق بأصوله المعروفة أركان الإسلام والإيمان والأخلاق والآداب العامة في هذا الدين ، ومعرفة الحلال والحرام وطريقة الدعوة المطابقة لما كان عليه رسول الله ﷺ وصحابته والتابعون بعدهم وتابعوهم ومشاهير الدعاة حتى هذا العصر الحاضر .

لقد اعتنى الإسلام بالعلم والعلماء ورفع شأن العلم وجعل طلب العلم فريضة على كل مسلم ، فعن معاوية رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **من يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين** » متفق عليه[1] ، وفي الكبير روى الطبراني بلفظ : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **يا أيها الناس إنما العلم بالتعلم والفقه بالتفقه ، ومن يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين وإنما يخشى الله من عباده العلماء** » .

وهذه العناية تدفع الداعية إلى أن يتزود بالعلم الشرعي على قاعدة صلبة وهو يخاطب أو يتصل بالمدعوين من خلال جميع وسائل الاتصال والمعرفة ؛ لأن الدعوة إلى هذا الدين تحتاج إلى هذا الأساس الذي قام عليه الدين وفي مقدمة ذلك معرفة الله عز وجل بالأدلة

---

(١) أخرجه البخاري في العلم ومسلم في الزكاة .

من الكتاب والسنة ؛ للإيمان به وعبادته وحده جل وعلا بصرف جميع أنواع العبادة له وحده سبحانه وتعالى ، ثم معرفة دين الإسلام من خلال أركانه التي بينها المصطفى ﷺ في قوله : «**بني الإسلام على خمس...**» الحديث، ثم معرفة نبيه محمد ﷺ والإيمان به والتصديق بما بلغ الأمة به ، ثم التزام هديه في كل شئون الفرد حتى يحقق الاتباع الكامل لرسول الله ﷺ وحري بدعاة الإسلام التثبت والحرص عند نقل أي آية أو حديث حتى لا ينقل للمدعوين إلا ما كان ثابتًا وهذا هو العلم – أما التحدث بلا روية فإنه الجهل بعينه ، ولا شك أن المدعو لديه نظرة بعيدة ينظر بها إلى من يدعوه ، فإذا عرف عنه غير الصدق ، فإنه لن يكون له من المتبعين ولقوله من المصدقين – وربما أساء إلى الدين نفسه من حيث أراد الإحسان .

إن الثقافة الإسلامية تضيق وتتسع ، تضيق بقدر أخذ المثقف منها بحيث إذا اكتفى بالقواعد الأساسية لهذا الدين كفته لبيانه وإيضاحه للمدعو ، وتتسع بتعدد فروعها وتشعبها ، فالقرآن الكريم وعلومه ، والحديث الشريف وعلومه ، والفقه ومدارسه وأصوله – والعقيدة وشروحها ، وهكذا بالنسبة للعلوم الشرعية الأساسية .

وسنقف في عجالة على هذه الثقافة من خلال النقاط التالية :

○ أولًا : القرآن الكريم :

المصدر الأول للإسلام والثقافة الإسلامية أيضًا فكل تعاليم الإسلام ترجع أصولها إلى هذا الكتاب العزيز ومنه ، فالعقيدة والعبادة والأخلاق والمعاملة والآداب والقيم في هذا الكتاب العزيز . فينبغي على الداعية المسلم العناية الفائقة بالكتاب العزيز ، بأن يحفظه ويتلوه حق تلاوته قبل الحفظ فيقيم حروفه ؛ لأنه يريد أن تقام حدوده – فعليه أولًا أن يقيم حروفه بقراءته قراءة صحيحة مجودة ما أمكن خالية من اللحن الجلي أو الخفي أيضًا كما ذكرت سابقًا ، وإن أمكن حفظه كاملًا فهذا هو المقام الأول لدى الداعية بالذات ؛ ليسهل عليه إيراد الدليل عما يقوله للمدعوين – ولا شك أن عظيم أجر التالي الحافظ لكتاب الله عز وجل وعلا معلوم لدى الداعية المسلم ، فلا ينبغي أن يفوت على نفسه هذا الفضل الكبير ، وهذه العناية بكتاب الله العزيز من قبل الداعية تفتح أمامه أفكارًا حية ؛ ليتحدث عن الأمم السابقة وما ورد عنهم في الكتاب العزيز وكيف آلت أحوالهم عندما طغوا وبغوا ولم يحققوا

العبودية لله رب العالمين – كما أن في قصص الأنبياء مع أقوامهم العظة والعبرة والدافع القوي ؛ لأن يقبل المدعو على هذا الدين الذي يخبر عن القرون الماضية والأمم البائدة منذ أن نزل آدم عليه السلام على هذه الأرض حتى مطلع النور ومبعث خاتم الأنبياء وسيد المرسلين محمد بن عبد الله ﷺ .

ومما لا شك فيه أن هذا القرآن وما فيه من إعجاز وخلود وحكم ومواعظ وهدي إلهي له الأثر العظيم على النفس البشرية ، كيف لا وهو كلام رب العزة والجلال الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من عزيز حميد ، فما على الداعية إلا أن ينهل من هذا النبع الصافي لتصل كلمة الله إلى عباده قوية سريعة مؤثرة .

ولا يفوت الداعية كتب التفسير التي بذل فيها علماء الأمة – رحمهم الله تعالى – الجهود الكبيرة ليبينوا كلام رب العالمين ويفسروه للناس من خلال بيان رسول الله ﷺ وصحابته الكرام من بعده ، لأن آي الذكر الحكيم فيها من المعاني الشيء الكثير ، وهذا يحتاج إلى ذوي الفهم الدقيق العميق ممن أدرك أسرار هذا الكتاب العظيم ، وبحث في لغة العرب معانيها وآدابها وفنونها ؛ كي يعطي المعنى الصحيح والمطابق للآية أو الآيات من كتاب الله العزيز ، وهو ما فعله علماء التفسير جزاهم الله خير الجزاء ، فعلى الداعية الاطلاع على كتب التفسير أو المشهور منها ؛ ليزيد من حصيلته العلمية في هذا الباب ويعرف الناسخ والمنسوخ والمحكم والمتشابه ويبتعد عن سوء التأويل ويعتني بالقصص القرآني الرائع الجميل ، ويعرض عن الإسرائيليات ويسلم من الوقوع في الروايات الضعيفة أو الموضوعة في معاني الآيات الكريمة ، ومن المعلوم أن تلاوة الذكر الحكيم تعطي اللسان قوة في انطلاقه ، وشجاعة في خطابه تشرح صدره وتقويه على مواجهة الجماهير ، وفي كل ذلك خير للدعوة ودعم لها يجعلها تصل بقوة إلى المدعوين ، وهذا هو ما يتوق إليه دعاة الإسلام .

○ *ثانيًا : السنة النبوية :*

المصدر الثاني لهذا الدين ؛ لأنها الشارحة والمبينة للكتاب العزيز ، وجدير بالذكر أن السنة النبوية المطهرة تشمل أقوال الرسول ﷺ وأفعاله وتقريراته وأوصافه وسيرته . فقيض الله لها أولئك الرجال الذين خدموها ورعوها حق الرعاية بأن دونوها وحفظوها من الأيادي العابثة بأن قاموا بتلك الجهود الجبارة حتى وصلت إلينا هذه السنة صافية نقية ولله الحمد والشكر والمنة .

فهذان الكتابان الجليلان – البخاري ومسلم – ثم بقية الصحاح أكبر دليل على حفظ الله سبحانه وتعالى للسنة المحمدية من خلال الأئمة الأعلام رحمهم الله تعالى .

وهذا الأمر يجعل الداعية يرى نفسه مقصرًا مهما بذل في نشر هذه السنة المطهرة إذا قارن عمله هذا بجهد الأئمة الأعلام الذين دونوا لنا هذه السنة فوصلت لنا بهذه الدقة وهذه القوة فيضاعف الجهود لحمايتها أولًا من المحاولات المتكررة من أعداء الإسلام الذين يقومون بمحاولات وحملات للتشكيك في هذه السنة بقصد التكذيب في رواتها مرة وأخرى لمن يعض عليها ، وهكذا لينالوا من هذا الدين وأنى لهم ذلك وهو محفوظ في الصدور والسطور . ومما لا شك فيه أن حفظ الداعية لأحاديث رسول الله ﷺ أكبر عون له في مسيرته مع الدعوة – لأنها المفسرة والموضحة والمبينة للكتاب العزيز ، والرسول الكريم عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم هو المعلم والمربي والموجه لهذه الأمة من خلال أقواله « السنة القولية » وأفعاله « السنة الفعلية » وتقريراته ﷺ ، فيجب على الداعية أن يعني بهذا المصدر من مصادر الإسلام أيما عناية .

وهناك أمر هام في هذا الجانب وهو تحري الدقة في الأخبار عن رسول الله ﷺ ، الذي يجعل الداعية يحرص على معرفة الحديث أولًا ومعانيه وجميع مفرداته ومرئيته ، ولا بأس من بيان بعض مصطلحات الحديث الشريف :

أولًا : الخبر :

وينقسم إلى عدة أقسام باعتبار وصوله إلينا في

١ – الخبر المتواتر . ٢ – الخبر الأحاد . ٣ – المشهور .

٤ – العزيز . ٥ – الغريب .

ويأتي مع هذا تقسيم خبر الأحاد بالنسبة إلى قوته وضعفه .

ثانيًا : الخبر المقبول :

وأقسامه هي :

١ – الصحيح . ٢ – الصحيح لغيره . ٣ – الحسن .

٤ – الحسن لغيره .

ثالثًا : الخبر المردود وأسباب رده :

أ – الضعيف .

ب – المردود بسبب سقط الإسناد وأقسامه هي :

١ – المعلق　　٢ – المرسل　　٣ – المعتل　　٤ – المنقطع .
٥ – المدلس　　٦ – المرسل الخفي　　٧– المعنعن والمؤنن
جـ – المردود بسبب طعن في الراوي وأقسامه هي :
١ – الموضوع　　٢ – المتروك　　٣ – المنكر وضده المعروف
٤ – المعلل　　٥ – المخالفة للثقات　　٦ – المدرج　　٧ – المقلوب
٨ – المزيد　　٩ – المضطرب　　١٠ – المصحف　　١١ – الشاذ وضده المحفوظ
١٢ – الجهالة بالراوي　　١٣ – البدعة　　١٤ – سوء الحفظ

ثم معرفة الخبر المشترك بين المقبول والمردود وصفة من تقبل روايته والرواية وآدابها وكيفية ضبطها والإسناد وما يتعلق به .

كل هذا من الأمور الهامة التي يجب على الداعية الإطلاع عليها ؛ ليعرف مدى اهتمام الأمة بالحديث الشريف فلا يقل عن رسول الله ﷺ ما لا يعلم أو ما لا يكون متأكدًا من صحته .

وهذه الخطة من خلال متابعتي للدعوة الإسلامية وأحوالها في الداخل والخارج وهو أمر مؤسف إذ يقع الكثير في التقول على سيدنا رسول الله ﷺ من خلال ما يعلمونه الناس على أنه حديث صحيح وهو غير ذلك أو من خلال الحث على الدعوة بدون أن يكون لدى الداعية العلم الكافي ليقول للناس « المدعوين » قال رسول الله ﷺ ويكون ذلك صحيحًا . فيا دعاة الإسلام تنبهوا لهذا الأمر وأعطوا السنة النبوية المطهرة حقها من العناية والاهتمام ...

بل مر بي من ينسب قول النبي ﷺ – الحديث – إلى الله جل وعلا على أنه آية من الكتاب العزيز ، كل هذا بسبب عدم العناية بتحصيل العلم الشرعي بالشكل الجيد فيعتمد البعض إلى سماعه ، وينقل الكثير من الأخبار على أنها أقوال الصادق الأمين ﷺ وهو في الواقع غير ذلك ، والذي أخشاه أن يقع في طائلة الكذب على رسول الله ﷺ .

لهذا أؤكد مرة أخرى على العلم بالسنة المطهرة أولًا أو على الأقل مراجعة الأحاديث المراد تعليمها للناس قبل نقلها إليهم ، وقد جمع علماء الأمة ما يتعلق بجوامع كلمه ﷺ وشرحوها وهذا فيه تيسير للدعاة فعليهم مراجعة تلك الكتب النافعة المفيدة التي غطت

كثيرًا من جوانب هذا الدين والحمد لله رب العالمين .

ومعلوم أن الكتاب العزيز والسنة المطهرة فيها عقيدة التوحيد التي هي إفراد الله بالعبادة والتوجه لله وحده في جميع الأمور ، لأنه جل وعلا المستحق للعبادة فهو جل وعلا الخالق الرازق المحيي المميت لا إله غيره ولا رب سواه . كما يجب على الداعية معرفة الملل والنحل وأصحاب الأهواء ممن زلت بهم القدم في قضية التوحيد كي لا يقع في الخلط أو الخطأ في هذا المجال ، فيتزود بمعتقد أهل السنة والجماعة فيما يتعلق بالأسماء والصفات التي وقع فيها الكثير ، سواء من تأول منهم أو عطل إلى آخر هذا الموضوع الهام الذي يجب أن يدركه دعاة الإسلام دعاة التوحيد .

كذلك موضوع الفقه وهو فهم الدين وما يتعلق بالعبادات والمعاملات بشكل عام ، حتى يعبد العبد ربه على علم وبينة ووفقًا لهدي رسول الله ﷺ .

* * *

المطلب الثاني : الثقافة اللغوية الأدبية

الثقافة اللغوية من لوازم الحديث والاتصال سواء كان ذلك بلغة القرآن الكريم - اللغة العربية - أو بغيرها من اللغات ، وذلك لأن اللغة هي وسيلة الاتصال الأولى التي يتفاهم البشر من خلالها مع بعضهم البعض . واللغة أي لغة بمفرداتها ومعانيها ونحوها وقواعدها لازمة للمتحدث ليكون تعبيره جيدًا ومعانيه واضحة وأداؤه صحيحًا وسلامة اللسان من الخطأ ، لأن ذلك كله يؤثر سلبًا أو إيجابًا على القائم بالاتصال ، يؤثر سلبًا إذا وقع الخطأ ، ويؤثر إيجابًا إذا سلم من الأخطاء .

واللغة العربية كان للقرآن الكريم والحديث الشريف أعظم الأثر عليها ، كذلك دين الإسلام بما أتى به من مفردات وتعريفات ، ولعل من أهم تلك الآثار على اللغة العربية :

١ - لقد كان لنزول القرآن الكريم بلغة قريش « اللغة العربية » أعظم الأثر في بقاء هذه اللغة وتوطيدها ، فقد ثبّتَ هذا الدين دعائمها وقوى سلطانها على الألسنة وأكسبها الخلود والبقاء لحفظ الحق - تبارك وتعالى - لكلامه .

٢ - لقد تهذبت اللغة العربية وتنقحت وأصبحت في مستوى عالٍ جدًا في مجال الآداب ، وهذا واضح جدًّا في مختلف النواحي اللغوية كالأغراض والمعاني والأساليب والألفاظ والأخيلة والجرس .

٣ - لقد فتح القرآن الكريم والحديث الشريف للغة العربية أبوابًا كثيرة وآفاقًا رحبة من فنون القول ، مما مكنها من معالجة كثير من الأمور لم تكن اللغة العربية تعني بها من قبل ، ومثال ذلك مسائل التشريع والقصص والتاريخ والعقائد والجدل والإصلاح الاجتماعي وأصول القضاء والمعاملات والنظم السياسية ودراسة مظاهر الطبيعة والفلك وغير ذلك من أمور الحياة الجديدة في ظل هذا الدين العظيم التي لم يكن للعرب علم بها ولا اهتمام قبل مطلع النور ومبعث النبي الكريم ﷺ .

هذا الأمر يجعلني أقرر بأن فضل الإسلام على اللغة العربية كان عظيمًا حيث نقلها من المساحة الضيقة التي كانت فيها ، والتي لم تتغير عن شبه الجزيرة العربية إلى العالمية بل إلى الاتساع والانتشار الكوني بل إلى الخلود والبقاء إلى أن يرث الله الأرض وما عليها .

ومعلوم أن الثقافة اللغوية الأدبية لازمة للداعية لتقويم اللسان ، الأمر الذي ينعكس على المتلقين تأثيرًا وجذبًا لهذا الدين من خلال فصاحة الداعية وانطلاقة لسانه وسلامة مقاله وحسن حديثه ، فإن من البيان لسحرًا ، كما ورد عن النبي ﷺ .

ولما كانت اللغة وسيلة التخاطب والاتصال الأولى بين الناس كان لمن يملكها التفوق على غيره في التأثير والبيان وبالتالي النتائج ، فكيف إذا كان ذلك يستخدم الألفاظ القرآنية المؤثرة والأساليب النبوية في الخطاب الآخذة بالأفئدة – لا شك أن الأثر واضح جدًّا لهذا لا بد للداعية المسلم من أن يحصل على قسط وافر من الثقافة اللغوية خاصة قواعد اللغة العربية وصرفها ومعانيها ومفرداتها ، ومما هو جدير بالذكر أن الأدب العربي حافل – بشقيه الشعر والنثر – بالمعاني السامية والقوالب الرائعة – كذلك الأمثال العربية والقصص والحكم والخطب كل ذلك فيه من وسائل التأثير والجذب والاستحواذ الشيء الكثير ، فيجب على الداعية المسلم أن يحصل على قسط وافر من هذه اللغة الجميلة

الإسلامية ما لا تصل إليه أي لغة عرفتها البشرية – ولله الحمد – وهذا يعطي دعاة الإسلام دفعة قوية ، لأن يقفوا على فنون هذه اللغة ومعانيها ليتزودوا من هذا الرصيد الهائل الثر في قيامهم بمهام الدعوة .

ومن المعلوم أن معرفة الداعية لقواعد اللغة العربية علمًا وتطبيقًا من أهم الأمور كي لا يقع في اللحن الذي يؤدي في أغلب الأحيان إلى تغيير المعنى ، وهذا خطر جدًّا خاصة عند تلاوة آي الذكر الحكيم حيث يحيل المعنى أحيانًا إلى معنى آخر يمس جانب العقيدة ، ومن هذا ما ذكره الإمام القرطبي في تفسيره لقول الحق – تبارك وتعالى – في سورة التوبة : ﴿ أَنَّ ٱللَّهَ بَرِيٓءٌ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ وَرَسُولُهُۥ ﴾ وذلك أن أعرابيًا أمره رجل بكسر اللام في كلمة رسوله ، فقال الأعرابي : وأنا أيضًا أبرأ من رسوله ، فاستعظم الناس الأمر وبلغ هذا الفاروق ابن الخطاب رضي الله تعالى عنه فدعاه ، فقال : يا أعرابي أتبرأ من رسول الله ﷺ ؟ فقال : يا أمير المؤمنين قدمت المدينة فأقرأني رجل سورة براءة ، فقلت : إن يكن الله بريئًا من رسوله فأنا أبرأ منه ، فقال عمر : ما هكذا الآية يا أعرابي ، قال : فكيف يا أمير المؤمنين ؟ فقرأها عليه بالضم (ورسولُه)، فقال الأعرابي : وأنا والله أبرأ مما برىء الله

ورسوله منه ، فأمر عمر ألا يقرئ الناس إلا عالم بلهجة العرب . هذا مثال على أهمية معرفة الداعية بقواعد اللغة العربية ، والأمثلة كثيرة جدًا .

ولا شك أن للشعر تأثيرًا كبيرًا على النفس البشرية وكذلك فنون الأدب الأخرى ، والداعية في حاجة إلى هذا – بلا شك – لذا نجد دور إعداد الدعاة على مختلف مستوياتها تهتم في برامجها باللغة العربية وآدابها .

وأذكر أنني أكدت في كتابي « الأسلوب النبوي في الدعوة » على قضية معرفة الداعية للغة أخرى من اللغات السائدة في العالم ، وخاصة وأن بعض البلاد أو جلها وقعت تحت الاستعمار الأوربي الذي نشر لغته في تلك البلاد التي غالب أهلها من المسلمين وأعني بالذات اللغة الإنجليزية والفرنسية ، وهذا يتطلب من الدعاة معرفة هاتين اللغتين أو واحدة منهما سواء عند ذهابهم إلى تلك الدول أو يجيء الأقوام الناطقون بها إلى أرض الحرمين في الحج والعمرة والزيارة لمخاطبتهم باللغة التي يعرفونها – كذلك اللغات الأخرى مثل الأوربية ولغة الملاوي في بلاد جنوب شرق أسيا كأندونيسيا وما جاورها ممن يغلب على سكانها من أكرمهم الله بالإسلام فاعتنقوا هذا الدين وأصبحوا من المسلمين .

فالاهتمام بالجانب اللغوي له أثر على الداعية والدعوة بالتالي ، فعلى الدعاة المسارعة إلى سد النقص في هذا الجانب وتعلم لغة أولئك الأقوام الذين هم في حاجة ماسة إلى دعوة الحق ودعوة الإسلام .

ولنتذكر جميعًا عند سماع الداعية وهو ينصب المرفوع أو يرفع المنصوب حالتنا وما يصيب أسماعنا وهو ذلك إذا كان في آي الذكر الحكيم أو حديث رسول الله ﷺ لذا أود أن أؤكد على معرفة اللغة العربية والنطق بها جيدًا قبل قيام الداعية بدعوة الناس لأن اللحن يحرف المعنى ويشوه المراد من الكلمة أو العبارة وينفر منه السمع ويمجه الطبع ، ولغة القرآن الكريم أولى بالعناية والرعاية وبذل الجهد لمعرفتها .

* * *

المطلب الثالث : الثقافة التاريخية

التاريخ ذاكرة البشرية كما يقولون ، وهو سجل أحداثها ووقائعها وهو ديوان عبرها والشاهد عليها أو لها - لا يغفل عن شيء أبدًا ، لأن الإنسان دائمًا ما يربط بين الوقائع وزمنها وأشخاصها وهو بذلك لازم للداعية المسلم خاصة ما كان متعلقًا بتاريخ الإسلام والمسلمين ثم لتاريخ البشرية على وجه العموم .

إن معرفة الداعية المسلم بالتاريخ يفتح أمامه آفاقًا واسعة من البراهين والأدلة على وحدانية الله جل وعلا وأنه سبحانه وتعالى بيده الملك يؤتيه من يشاء وينزعه ممن يشاء ، وإن تلك الأمم وأولئك الملوك الذين سادوا ثم بادوا ولم يبق لهم أثر أو بعض الأثر ولبعضهم فقط من الأدلة العظمى على أن الباقي هو الله عز وجل ، لأنه المالك المتصرف الدائم الذي لا يحول ولا يزول ، كل شيء هالك إلا وجهه له الملك وإليه يرجع الأمر كله ، فهذا آدم عليه السلام أبو البشر أين هو وتلك الممالك والدول وتلك العروش أين هي ، وهكذا من خلال دراسة التاريخ يقف الداعية على ما فيه من العظات والعبر والدروس ، ومن خلال معرفته التاريخ البشري يستطيع الداعية أن يضرب الأمثلة الحية على ما يريد بيانه للمدعوين من نتائج إذا ما أصر العبد على عدم الامتثال لأمر الله جلت عظمته وتقدست أسماؤه ، لأن التاريخ في أكثر الأحيان يعين على إيضاح بعض الوقائع وآثارها السلبية أو الإيجابية فيأخذ منه المدعو الدروس الكثيرة من خلال ما يقصه الداعية عليه من وقائعه وأحداثه ، فالإنسان لا ينفصل بحال من الأحوال عن التاريخ، لأنه يحكي قصة الإنسانية منذ خلق الله هذا الإنسان.

والقرآن الكريم يهتم بالتاريخ ويبين من خلاله ما عرض من أخبار الأمم قبلنا ما كانوا عليه من إيمان أو كفر ومن خير أو شر وعدل أو ظلم وشكر أو طغيان ، وسجل لنا من خلال ذلك القصص أن العاقبة للمتقين ، وأن الله لا ينظر إلى صور العباد أو إلى أجسامهم وإنما ينظر إلى أعمالهم ، وأنه سبحانه وتعالى يأخذ أخذ عزيز مقتدر إذا تجبر وتكبر وطغى

وبغي هذا الإنسان ، فردًا كان أم جماعات ملوكًا كانوا أم رعية سادة أو مسودين .

ومما يجدر ذكره في تاريخ الإسلام أن رسول الإسلام عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام ضرب أروع الأمثلة في بيان أحوال الملوك والأمم عندما تنكبوا الطريق المستقيم وكفروا بخالقهم جلت عظمته فكان مصيرهم الفناء ، حيث سلط الله عليهم وأخذهم بالسنين وألوان العذاب من خسف وغرق ومسخ وزلازل ومحن وتدمير وغير ذلك مما كانوا له مستحقين بسبب كفرهم وعنادهم وعدم امتثالهم لأمر الله سبحانه وتعالى ، ففي سورة (ق) يقول الحق تبارك وتعالى : ﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُم بَطْشًا فَنَقَّبُوا فِي الْبِلَادِ هَلْ مِن مَّحِيصٍ ﴿٣٦﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾ ﴾[1] وفي سورة الأعراف يقول عز وجل : ﴿ وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ ﴿١٣٧﴾ ﴾[2] وهكذا يقص علينا الكتاب العزيز أخبار الأمم قبلنا ويبين لنا أحوالهم لنأخذ الدرس والعبرة .

وعناية الداعية بتثقيف نفسه تاريخيًا تمكنه أو يمكنه ذلك من معرفة سير الرجال والأئمة الأعلام في تاريخنا المجيد ، وما قاموا به من جهود عظيمة لنشر الدين والدفاع عنه وما تحملوه من مشاق وعذاب في سبيل ذلك من قوى الشر والضلال ، وخاصة وأن تاريخ الإسلام حافل بعدد كبير من الأبطال والمجاهدين .

لقد سطر التاريخ بأحرف من نور أمجاد هذه الأمة التي شرفها الله بحمل هذه الرسالة الخالدة ، وأكرمها بتحقيق العبودية له جلت عظمته ، لقد امتلأ بالمواقف الرائعة والبطولات النادرة والمواقف المشرفة التي تجعل الداعية في يسر من أمره يختار منها ما يشاء ويستشهد من خلالها على ما يشاء، إنه تاريخ مجيد أخاذ يهز أعماق أعماق الإنسان بما احتواه من بطولات وأمجاد ومواعظ وعبر .

فسيرة المصطفى ﷺ كنز عظيم ، وتاريخ الخلفاء الراشدين مليء بالشواهد المؤثرة والوقائع الرائعة والأمثلة الحية لنصرة الدين ونشره بين العباد ، ثم تاريخ الفتوحات والبطولة في دولة بني أمية ودولة بني العباس ، وهكذا من أتى بعد ذلك من ولاة بذلوا وقتهم

---

(١) ق : ٣٦ - ٣٧ .

(٢) الأعراف : ١٣٧ .

وجهدهم لنصرة الدين وإعلاء كلمة التوحيد والدفاع عنها .

وهنا يجب أن تحذر الداعية من أمرين هامين :

الأول : الروايات الغير مدققة وممحصة ومحققة .

الثاني : التفسيرات المشوهة والدس من قبل أعداء الإسلام على تاريخهم ومن الضروري جدًا أن يعرف الداعية التاريخ الحديث بعد سقوط الدولة العثمانية وحتى الآن ليقف على أوضاع هذه الأمة وما تعرضت له من هجمات ومؤثرات بل من حروب للقضاء على الإسلام ، وما تعرضت له أوطانها من اعتداءات من الكفار ابتداء من الحملات الصليبية المعروفة حتى عهد الاستعمار ، يوم تكالبت أمم الكفر على المسلمين وديارهم وأخضعوها لحكم وعهد الاستعمار من مشرق العالم إلى غربه عربيهم وعجميهم ، جميع أوطان المسلمين إلا بلاد الحرمين الشريفين التي حفظهما الرب عز وجل من دنس المستعمرين على الإطلاق ولو لفترة وجيزة ، ولله الحمد والمنة ، واستغل المستعمر هذه الفرصة وهذه السيطرة على بلاد المسلمين في أن يغير في الحقائق ويعبث بذلك التاريخ المجيد من خلال التحريف والدس والتغيير ، الأمر الذي جعل جيل الاستعمار يأخذ من خلال المناهج التي قررها الاستعمار في مراحل التعليم المختلفة معلومات مغلوطة عن تاريخه أو مشوهة مما جعل ذلك الجيل ينبهر بتاريخ الاستعمارية ، بل ويعرفه أكثر من معرفته بتاريخ أمته تاريخ الإسلام .

كل ذلك يجعلنا نقول لدعاة الإسلام : اطلعوا على تاريخكم من مصادره الأصلية لتنقلوه إلى من تتصلون بهم ناصعًا واضحًا لا لبس فيه ولا غموض .



المطلب الرابع : الثقافة العلمية

أعني بالثقافة العلمية : العلوم التطبيقية كالفيزياء والأحياء والكمياء والطب والفلك أي : ما قام على التجربة والملاحظة وخضع للاختبار والقياس ، الأمر الذي يجعل الداعية محيطًا بما حوله من باب العلم بالشيء لا الجهل به ، وإن حصل التعمق فهذا جيد ، وجدير بعالم الفيزياء المسلم أن يقوم بواجبه نحو الدعوة ، وكذلك الطبيب المسلم وعالم الفلك والرياضيات حتى نستطيع محو المقولة التي أشاعها أعداء الدين بأن علوم الشرع والدعوة إلى هذا الدين من اختصاص فئة معينة « كلية العلم الشرعي » واليوم يسجل التاريخ – ولله الحمد – الكثير من هذه الحالات طبيب داعية ومهندس داعية ، وهكذا لأننا جميعًا معنيون بهذا الدين والدعوة إليه والصبر على الأذى فيه .

ومن ناحية أخرى فإن الثقافة العلمية مهمة جدًا للمثقفين بشكل عام ، لأنه من خلال هذه الثقافة يقف على هذا الكم الهائل من الاختراعات ويعرف بالتالي المفيد منها فينتفع به والضار منها فيتجنبه ، إضافة إلى أن معرفة المثقف بأطراف من الجوانب العملية توسع مداركه وتوقفه على كل جديد في هذا العالم من نتاج العلم في جميع الأمور الخاصة بالفرد أو بالناس جميعًا ، والداعية المسلم على وجه الخصوص معني بهذه المعرفة ما حوله .

ولو رجعنا إلى ما وضع في المناهج الدراسية في المرحلة الابتدائية والإعدادية والثانوية لوجدنا الأسس لهذه الثقافة وشروحها من خلال المواد الدراسية في بلاد المسلمين ، الأمر الذي يتيح الفرصة للداعية المسلم الذي حصل على قسط من الدراسة العامة المنهجية في المدارس العلمية أو المقالات في الصحف والمجلات العلمية وغيرها من وسائل الإعلام ليكون متابعًا لكل ما يفرزه العلم التطبيقي من مخترعات .

وثقافة الداعية العلمية تمكنه من الاستفادة من ذلك في أوجه الدعوة ، ومعلوم أن عظمة الله تتراءى في خلقه فيوظف الداعية هذا العلم للدعوة من خلال بيان صنع الله

جلت قدرته وتسخير ما في الكون لهذا الإنسان في بحره وبره وجوه – لأن هذه الثقافة تجعل الداعية يقيم الأدلة ويرد الشبهات من خلال بيان الدلالات القطعية العلمية التي تظهر وتبين بجلاء أن لهذا الكون خالقًا هو الله جل جلاله لا شريك له ولا معين ، وضع لهذا الكون نظامًا يحتار العقل أمام دقته وديمومته وتناسقه وانصياعه ، كل شيء بمقدار .

إن استخدام الداعية المسلم معطيات العلم للدلالة على هيمنة الرب جل وعلا على الكون وتصريف شئونه من أنجع الوسائل في الحديث إلى الماديين من البشر لأن فروع تلك العلوم كثيرة وأصبحت في هذا العصر في متناول الجميع من خلال هذا الكم الهائل الذي تبثه محطات الرائي « التليفزيون » والأقمار الصناعية ، والذي يشاهده الإنسان أحيانًا على الهواء مباشرة في التو ونفس اللحظة ، فلا بد لدعاة الإسلام من تسخير هذا العلم للدعوة إلى الله والدخول إلى قلوب المدعوين من خلال انبهار الإنسان بنتاج العلم .

ولما كانت الثقافة العلمية مهمة لفهم الحياة المعاصرة كان لزامًا على الداعية المسلم الأخذ منها بمقدار ، ولعل من أبسط الأمور في هذا الشأن ما يمكن أن يتعرض له الداعية في المسجد على سبيل المثال مع جهاز نقل الصوت الذي قد يقف لسبب بسيط جدًا أو تيار الكهرباء والذي يتسبب في ضيق للمصلين وحرج أثناء الصلاة أو الحديث إليهم ، فإذا كان الداعية على علم بهذا الأمر ، وهو من الأمور التي يتعايش معها يوميًا من خلال أداء الصلوات الخمس يسلم من الوقوع في الحرج سواء من خلال قيامه هو بالإصلاح أو علمه بأن سبب التوقف يعود لكذا أو كذا من أجزاء الجهاز من خلال العلامات الموضوعة فيه ، وهكذا يقاس على بقية الأجهزة التي يستعملها الداعية .

كما أنه قد استخدم بعض نتاج هذا العلم للدس والتشكيك في هذا الدين ، فإذا عرف الداعية ذلك فإنه يضع للأمر عرفه ويرد على أولئك الأعداء المفسدين افتراءاتهم وشكوكهم بالطريقة العلمية ، كما هو معلوم من استخدام الكفار لنظرية النشوء والارتقاء للطعن في هذا الدين وهي النظرية التي أتى بها داروين والتي ثبت بطلانها وبذلك سلم الناس من هذه الهجمة التي أتت عن طريق النظرية العلمية التي يزعمون أنها نظرية علمية وبقيت سنين عديدة ضد الإسلام إلى أن وقف علماء الأمة وبينوا بطلانها وعدم صدقها .

لذا فإن الثقافة العلمية لازمة لدعاة الإسلام للاستعانة بها في القيام بمهام الدعوة على الوجه الأكمل ، لأن هذه الثقافة في العصر الحاضر أصبحت ضرورية لإنسان العصر ، والداعية المسلم – حامل الخير والنور لهذا الإنسان – لا بد له أن يطلع عليها للاستفادة

منها قدر الإمكان ، ولأنه لا يمكن أن ينفصل عن العالم الذي يعيش فيه والذي يسمونه عالم الترانزستور نعم عالم الترانزستور الذي دخل في كل آلة استخدمها الإنسان تقريبًا ، ومما هو مؤكد أن الداعية الحق الذي يحسن استخدام حقائق العلم في جميع المجالات أو في بعضها يجد طريقه سهلًا بل بعيدًا للوصول إلى أذهان المدعوين وعواطفهم ويقع كلامه فيهم موقع القبول .

وهذا معلوم على أرض الواقع من خلال متابعتنا للدعاة الناجحين في عصرنا اليوم الذين يسخرون هذه الثقافة لدعوتهم إلى الله والذين استطاعوا بحق نشرهذا الدين بين الأمم الكافرة من خلال العلم وبهذه الطريقة ، وآمل أن يكون ما أردت بيانه واضحًا من أن للثقافة العلمية أهمية بالنسبة للداعية ، وحرصًا على عدم الإطالة ذكرت ذلك بدون إيراد أدلة من الواقع المعاش من خلال بيان وتفسير آى الذكر الحكيم التي تضمنت جوانب كثيرة من هذا .

* * *

المطلب الخامس : الثقافة الواقعية (الحالية)

أعني بالثقافة الواقعية ما يدور به الفلك في حياة الناس في الوقت الحاضر ، سواء في داخل المجتمع الذي يعيش فيه الداعية أو في خارجه في بقية بلاد المسلمين وخارجها من بلدان العالم أجمع ، وذلك لأن تسلح الداعية بهذا اللون من الثقافات يجعله يعايش الأحداث أولًا بأول ، ويعرف ما يحاك لدينه والمسلمين من مؤامرات وما يعترض الدعوة من عقبات فيعمل على وضع الخطط اللازمة لذلك كله كي يكون في مأمن من كيد أعداء الإسلام ، إن معرفة الداعية لعالمه الذي يعيش فيه وما فيه من خير وشر وما يسوده من مذاهب ونحل وملل وما يسيطر عليه من قوي وما يدور فيه من صراعات ويجري فيه من تيارات يعطيه بعدًا جيدًا وعلمًا واقعيًّا بحالة العالم اليوم ، صحيح أن الداعية المسلم تزود بالعلم الشرعي وهو الأساس وأخذ بالثقافة الواقعية والتاريخية والعلمية ما يساعده على القيام بمهمته خير قيام إلا أن هذا النوع من الثقافة أصبح يفرض نفسه على الساحة اليوم بل قبل اليوم لأن هذا مستمد من واقع الحياة الإنسانية الحاضرة .

إن هذا النوع من الثقافة يمكن الداعية بمعرفة من يدعوهم ومعرفة كيفية دعوتهم ؛ لأن لكل مجتمع صفته وخصائصه وبالتالي الطرق التي تتلائم معه ، نعرض الإسلام والدعوة بما يناسب القوم وهذا ما يسمونه دراسة الوسط أو بيئة المدعو ، لأن لكل مجتمع طريقة تناسبه مستمدة من خلال معرفة عاداته وتقاليده والقيم السائدة فيه ومدى استيعاب أهله والطريقة التي تناسبهم في الاتصال وتؤثر عليهم ، ولنا في سيدنا محمد رسول الله ﷺ أسوة حسنة عندما بعث معاذًا - رضي الله تعالى عنه - إلى اليمن فقال له عليه الصلاة والسلام : « **إنك تأتي قومًا من أهل الكتاب** » هذا الحديث يأخذ مساحة كبيرة لو قمت ببيانه وتوضيح ما اشتمل عليه من معانٍ في هذا الجانب الذي أتحدث عنه . إن معرفة الداعية بأحوال من يدعوهم وما هم فيه من حياة اجتماعية لا شك أنه يجعله يخاطبهم بما يفهمونه وهذا من الثقافة الواقعية الحالية ، لأن معرفة عادات القوم وتقاليدهم وطريقة معيشتهم

وأحسن وسائل التأثير فيهم تعطي الداعية بعدًا جيدًا في قيامه بدعوتهم إلى الإسلام ، لأن عادات وتقاليد الشعوب تختلف من مكان لآخر بل من شعب لشعب آخر ، وأحيانًا في المجتمع الواحد نجد الفوارق ، فالذين يعيشون في البادية غير الذين يعيشون في المدينة أو القرية ، وهكذا أبناء السهل ليسوا كأبناء الجبل أو الساحل .

لهذا كان لا بد لدعاة الإسلام من معرفة عدة أمور في هذا الصدد وأهمها :

١ - حاضر العالم الإسلامي .

٢ - واقع المذاهب المعاصرة .

٣ - التيارات الفكرية خاصة المعارضة للإسلام .

٤ - واقع الفرق المنشقة عن الإسلام .

٥ - واقع الرسالات السابقة كاليهود والمسيحية .

ولا شك أن التفصيل في هذه الأمور يحتاج لبحوث خاصة مستقلة ، لكنني أنبه من خلال بعض السطور - خشية الإطالة والخروج عن صلب الموضوع - عن كل نقطة من هذه النقاط الخمسة إخواني الدعاة لأهمية موضوع الثقافة الواقعية وأثر ذلك على الدعوة الإسلامية .

١ - حاضر العالم الإسلامي :

معلوم أن العالم الإسلامي يصل عدد سكانه إلى مليار تقريبًا اليوم أي عام ١٤١٤هـ وبلدانه منتشرة في قارات العالم ، وفي مقدمتها قارة آسيا حيث الحرمين الشريفين أكبر دول العالم الإسلامي عددًا ، يلي هذه القارة قارة أفريقيا البيضاء والسوداء أي الدول الأفريقية التي يسكنها بيض البشرة والدول التي غالب سكانها الأفارقة السود من أبناء الإسلام .

أقول لا بد للداعية المسلم من معرفة جغرافية وتاريخ واقتصاد عالمه الإسلامي وأوضاعه السياسية أيضًا من خلال متابعة نشاطات رابطة العالم الإسلامي أو منظمة الدول الإسلامية .

ومن خلال متابعته الأحداث التي تقع في الدول الإسلامية والمتغيرات التي طرأت على خارطة رابطة العالم الإسلامي بعد سقوط النظام الشيوعي وانهيار ما كان يسمى من قبل « الاتحاد السوفيتي » زعيم الكتلة الشيوعية في العالم والمسيطرة على أجزاء واسعة من بلاد المسلمين هناك حيث بخارى وسمرقند وطشقند وقوقند وأذربيجان وغيرها من بلاد المسلمين

في هذا الجزء من الكرة الأرضية وما تم لهذه الدول أو على الأصح لبعضها من استقلال عن الدولة الساقطة المنهارة .

كما ينبغي للداعية المسلم معرفة أحوال المسلمين في البلقان حيث بلاد البوسنة والهرسك التي تعرضت للمؤامرة الكافرة الجديدة على المسلمين والإسلام والمتمثلة في الإبادة التي قام بها الصرب والتي ذهب ضحيتها أعداد كبيرة من مسلمي البوسنة والهرسك وما زالت نار الحرب تأكل الأخضر واليابس هناك بفعل تضافر جهود أعداء الإسلام جميعًا ضد المسلمين هناك لا لشيء إلا لأنهم أرادوا أن يقيموا دولة إسلامية لهم على أرضهم على غرار الدول التي قامت بعد سقوط الاتحاد اليوغسلافي الشيوعي .

إن معرفة الداعية المسلم بحاضر عالمه الإسلامي تجعله على اطلاع على أحوال الإسلام والمسلمين في العالم وما يتعرض من محن ومؤامرات من أعداء الإسلام على مختلف مسمياتهم القدماء منهم والمحدثين بل أعداء الإنسانية ، لأن هذا الدين أتى لإسعاد الإنسان أيًا كان لونه أو جنسه أو موطنه لأنهم جميعًا عبيد الله رب العالمين الذي خلقهم لأمر عظيم عبادته وإخلاص العمل والتوجه له سبحانه وتعالى .

ولا شك أن عدم معرفة الداعية لواقع عالمه الإسلامي فيه خطر كبير عليه أولًا وعلى الدعوة بشكل خاص ، لأن أعداء الدين ينفذون يوميًا ما خططوه ووضعوه للإسلام والمسلمين كي يقضوا على هذا الدين وأتباعه كما هو معلوم في مقرراتهم التي عقدوها بُعَيد الحروب الصليبية التي فشلوا فيها واندحروا أمام قوى الخير والسلام والبطولة والجهاد من أبناء هذه الأمة الذين كانوا وما زالوا مفخرة لنا جميعًا بما قاموا به من بطولات وما قدموا لأمتهم من تضحيات للدفاع عن الدين والعرض والأوطان .

٢ - *واقع المذاهب المعاصرة :*

ومن الثقافة الواقعية التي ينبغي للداعية المسلم التزود بها أو الاطلاع عليها من باب العلم بالشيء لا الجهل به من ناحية ، ومن ناحية أخرى من باب متابعة الأحداث الجارية في العالم في هذا العصر ، هذه المذاهب السياسية المتعددة التي أصبحت سمت هذا العصر والتي أخذت بعدًا عالميًا يعرفه الجميع ، خاصة بعد انتشار وسائل الإعلام في الآونة الأخيرة حتى أصبحنا نحس بأن العالم قرية كما يقول إعلاميون بأن وسائل الإعلام جعلت العالم

قرية بفعل سرعة انتقال الأخبار والأحداث في عصر الأقمار الصناعية .

وهذه المذاهب أصبح لها مدارس ومناهج ودعاة في شتى أنحاء العالم .

ولن نطيل في هذا المجال فهناك الرأسمالية وهناك الديمقراطية وتقابلها الدكتاتورية والراديكالية والشيوعية ، وهكذا كالقومية وهذه المذاهب لها مواقف مع الإسلام والمسلمين لا بد للداعية من معرفته على مزاعمهم وبيان بطلان أفكارهم وأن هذا الدين أتى لسعادة البشرية جمعاء .

وهذه المذاهب جميعها تنادي بحماية الإنسان وتوفير السعادة له وغير ذلك من شعارات لا أساس لها على أرض الواقع ، بدليل أن هذا الإنسان يجري عليه يوميًّا ألوان من الكوارث في شتى أنحاء العالم على مرأى ومسمع من هذه المذاهب وحمايتها فما من مجيب ، فهذه المجاعات التي تعصف بهذا الإنسان في آسيا وأفريقيا وأمريكا وهذه الحروب والكوارث المتعددة تأتي على الالآف يوميًّا ، وهذا الإنسان يتسابق في الفضاء ويصرف الأموال الطائلة والحاجة ماسة على الأرض فلا مجيب . هذه هي المذاهب البشرية المسيطرة الآن ومعرفة الداعية بها فيه خير للدعوة إن شاء الله .

٣ – *التيارات الفكرية خاصة المعارضة للإسلام :*

إن معرفة الداعية المسلم بالتيارات الفكرية المعادية للإسلام يجعله على اطّلاع بما يدور حوله من مخططات ضد الدين والمسلمين .

وهذه التيارات داخل العالم الإسلامي بل من أبناء المسلمين للأسف يسعون إلى أقامة الأفكار الكافرة من خلال فكرهم المعادي للحق والخير بل وللإنسان ، وذلك بترويج بعض النظريات التي تتسم بطابع اللادين كالتيار الماركسي الذي مازال بالرغم من سقوط الدولة الشيوعية والفكر الماركسي في مغفله باقيًا لدى أبناء المسلمين وفي ديار المسلمين ، كذلك التيار القومي الذي يقدم القومية على الدين وينادي بفصل الدين عن الدولة (العلمانية) وسأقف قليلًا لبيان الفكر العلماني :

كلمة علماني في القاموس الإنجليزي تعني دنيوي أو مادي أي ليس بديني أو روحاني ، وفي نفس القاموس العلمانية : هي النظرية التي تقول : إن الإخلاص والتعليم يجب أن لا يكونا مبنيين على أسس دينية، معنى هذا: حركة اجتماعية تهدف إلى نقل الناس من العناية

بالآخرة إلى العناية بالدار الدنيا ، ودائرة المعارف البريطانية تحدثت عنها ضمن حديثها عن الإلحاد حيث قسمت الأولى إلى قسمين :

أ - إلحاد نظري .

ب - إلحاد عملي وجعلت العلمانية ضمن الإلحاد العملي .

فهي بهذا مذهب من المذاهب الكفرية .

وقد ظهرت في الغرب في ظروف متردية يوم قامت الثورة على الكنيسة ورجالها كما هو معروف في تاريخهم .

ويجب على دعاة الإسلام رصد هذه التيارات بكل دقة حماية للدعوة وشباب الأُمة من خطرها ، وهذا بلا شك من باب الدفاع عن الدين وحمايته من الأفكار الدخيلة التي ينشرها أعداء الإسلام والتي غالبًا ما تكون مبطنة .

إن الداعية المسلم في هذا العصر يواجه تحديات كثيرة لا بد أن يعد لها العدة ويقوم بواجبه نحو هذه الدعوة من خلال رصد تلك التيارات ومعرفة زيفها وبطلانها لبيان ذلك للأمة وتحذيرها منها .

٤ - واقع الفرق المنشقة عن الإسلام :

ومما يجدر ذكره موضوع الثقافة الواقعية بل معرفته من قبل الداعية المسلم للفرق التي انشقت عن الإسلام والتي من أبرزها القاديانية والبهائية والتي انتشر أتباعها وأخذوا يعملون على نشرها من خلال دعم القوى العالمية التي تعادي الإسلام . وهذه الفرق الضالة تنشر فكرها ومذهبها بين طبقات معينة من المسلمين وتأمنهم باسم الإسلام للأسف الشديد مستغلين جهلهم وضعفهم ؛ لأنهم يغرونهم بالمادة .

فالبهائية يعتبرونها دينًا جديدًا ولو أن كلمة دين لا ينبغي أن تطلق على غير الإسلام بحال من الأحوال ، لأنه هو الدين الوحيد ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَـٰمُ ﴾ . ويصلح لها عبارة مذهب أو نوع من الطقوس ، لأن دعاة البهائية لا يقولون على أنفسهم بأنهم من المسلمين .

أما القاديانية : التي أسسها مرزا غلام أحمد القادياني في القرن التاسع عشر الميلادي في الهند ، الذي ولد في قرية قاديان بالهند سنة ١٨٣٩م ، وكان يزعم أنه مكلف من الله

تعالى بإصلاح الخلق وهي عقيدته التي جهر بها ودعا إليها في كتابه (براهين أحمدية) مدعيًا أن القرآن الكريم ومحمدًا ﷺ وسائر الأنبياء قبله قد شهدوا له بالنبوة ، هذا الهراء لا بد للداعية من الاطلاع عليه ليرى كيف تحاك المؤامرات وتدبر الدسائس للإسلام والمسلمين ، إن الداعية المسلم في هذا العصر يجب عليه أن يتابع بدقة جميع الفرق الضالة المضلة ليدحض أباطيلها ويلفت أنظار الناس إليها مبينًا لهم فسادها وباطلها – وهذا لا يتم إذا كان بمعزل عنها ، وهذا بلا شك لا يتوافق وثقافة الداعية التي تحدثنا عنها في السابق وهو إلمامه بشيء عن كل شيء ، هذا من ناحية ومن ناحية أخرى تعتبر معرفة هذه المذاهب ضرورية لأنها تحارب الإسلام ، وتدعي أنها من الإسلام ، وأن ما تأتي به هو الإسلام الصحيح ، وغزوها لن يقف أبدًا قاتلهم الله ودحرهم .

والفرق المنشقة عن الإسلام ليست هذه فقط بل كل يوم تخرج فرقة وهي حلقات في سلسلة التآمر على الإسلام .

لا بد من رصدها وهي في مهدها ووضع الخطط اللازمة من قبل دعاة الإسلام للقضاء عليها حماية للدين ورحمة بعباد الله أجمعين من أخطارها المدمرة وقيامًا بالواجب الذي شرف الله الدعاة به لإنقاذ البشرية من الذي يهددها من مذاهب هدامة وأفكار مضللة تروجها جهات معروفة بعداوتها للبشرية والإسلام بشكل خاص .

٥ – واقع الرسالات السابقة كاليهود والمسيحية :

ومن الثقافة التي على الداعية التزود بها معرفته لواقع الرسالات السابقة الآن .

ومعرفة اليهودية اليوم وكتابها المحرف التوراة وتلمودها ، ونظرة اليهود إلى الأمم الأخرى (الأميين) ومخططاتها الرهيبة للاستيلاء على العالم والقضاء على المسلمين وما يسمى بروتوكولات صهيون .

وطمعهم في البلاد العربية عندما استولوا على فلسطين وبعدها القدس في عام ١٩٦٧م ثم سيناء والجولان وأجزاء كبيرة من جنوب لبنان ومؤامراتهم التي لا تقف على الشعب الفلسطيني المسلم وبقية شعوب العالم من خلال سيطرتهم على مراكز المال في العالم ، وما يبثونه من أفكار هدامة وسلوكيات مدمرة بهدف إغراق البشر في الرذيلة ، وغير ذلك

من مؤامرات من خلال السيطرة على وسائل الإعلام العالمية المسموع منها والمقروء والمرئي .

كل ذلك يجب على الداعية المسلم معرفته ومتابعته للتقليل من خطر هذه الهجمة الشرسة على بلاد المسلمين من خلال تلك الوسائل المتعددة والمؤامرات المتكررة . أما ما يتعلق بالمسيحية .



المبحث الرابع : مواقف بعض دعاة الإسلام

وذلك من خلال الآتي :

أولًا : دراسة لبعض مواقف الخلفاء الراشدين والصحابة مما كان له أثر في الدعوة .

ثانيًا : دراسة لبعض الدعوات ومناهجها في الدعوة ، وأثر كل منها في المجتمع المسلم والدعوة مع ترجمة للدعاة التالية أسماؤهم :

١ - الخليفة عمر بن عبد العزيز .

٢ - الإمام أحمد بن حنبل .

٣ - الإمام ابن تيمية .

٤ - الشيخ محمد بن عبد الوهاب .

○ *أولًا :*

المطلع على سيرة دعاة الإسلام يجدهم جميعًا ينهلون من معين واحد : كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، وينهجون نهجًا واحدًا مقتفين بذلك أثر سيدهم وإمامهم محمد ﷺ الذي تعلموا منه كيف يدعون إلى الله .

ومعلوم أن الداعي إلى الله تمر به مواقف عديدة ، وذلك من خلال ما يعترضه في مسيرته في دعوته إلى الله من عقبات ومشاكل ومعوقات - وفي هذا المبحث سأستعرض نماذج من تلك المواقف العظيمة لدعاة الإسلام في عصور مختلفة ابتداء من القرن الأول حتى القرن الثاني عشر الهجري ، يجد فيها الداعية المسلم المثال الحي لصدق وإخلاص ومحبة أولئك الرجال لهذا الدين من خلال ما بذلوه من جهد وصبر كي تصل كلمة الحق إلى الناس أجمعين ، وتمضي قدمًا إلى الإمام غير عابئة بما تعرضت له من إحن وحرب وأذى من أولئك المعاندين الحاقدين الكافرين بأنعم الله سبحانه وتعالى من العرب وغيرهم من أمم الأرض أهل الرسالات السماوية وغيرهم .

ومما لا شك فيه أن هذه النماذج ستنير الطريق للدعاة الذين أتوا من بعد هذه الكوكبة

من رجال الدعوة ابتداء بالخليفة أو من الخليفة عمر بن عبد العزيز ثم الإمام أحمد فابن تيمية فمحمد بن عبد الوهاب – رحمهم الله جميعًا – لأن ما بذلوه من تضحيات وما سطروه من أمثلة رائعة سيكون له أعظم الأثر على دعاة الإسلام الذين لم يصابوا ببعض ما أصاب أولئك الكرام في سبيل الدعوة إلى الله ، وإنه من الصعب أن أستعرض ذلك الجهاد لكل واحد منهم لكن سأشير إشارة عاجلة لأن الهدف من هذا البيان هو التذكير فقط ، وإلا فإن جهد كل واحد منهم يحتاج إلى بحث خاص ، وقد كتب الكثير عن هذه النماذج المضيئة والحمد لله رب العالمين ، وعلى الداعية المسلم الرجوع إلى تراجمها الكثيرة للوقوف على المزيد من المواقف لهؤلاء الرجال الذين سطروا أرفع الأمثلة لدعاة اليوم وبعد اليوم حتى يرث الله الأرض ومن عليها ، وذلك لأنهم كانوا يترسمون خطى الهادي البشير والسراج المنير سيد الدعاة ﷺ . وجدير بالذكر أن وقوف الداعية على سيرة هؤلاء فيها الخير والفائدة ، لأنهم تعرضوا لعدد من المواقف ، وكانوا ماضين في دعوتهم معتمدين على الله جل وعلا . وحتى بلغهم المولى سبحانه وتعالى ما أرادوا فانتشر الإسلام حتى عم أطراف الأرض ، وقد كان سلفنا الصالح – جزاهم الله عنا وعن الإسلام خير الجزاء – أمثلة مضيئة ورائعة لكل داعية لما بذلوه في سبيل نشر هذا الدين ، وهؤلاء الأربعة ما هم إلا نماذج فقط وإلا فأمثالهم كثير ابتداء من أصحاب رسول الله ﷺ ، وفي مقدمتهم الخلفاء الراشدون رضي الله عنهم وأرضاهم .

وقد كان لذلك الجهد أثره البارز في تلك المجتمعات التي وصلتها الدعوة الإسلامية حيث كانت السبب في إنقاذها مما وقعت فيه من بلايا ومصائب وجور وظلم لعدم وجود المنهج الذي يضبط علاقات الناس بعضهم ببعض حيث كانت السيادة والغلبة للقوي ، وكان النظام الاستبدادي المعتمد على البطش واستعباد الآدميين والتحكم في أرزاقهم وحرياتهم هو السائد في تلك المجتمعات، فأتاهم الإسلام فحرم دماءهم وأموالهم وأعراضهم إلا بحقها، فكانت الحرية الحقيقية لهذا الإنسان في ظل النظام الإلهي العظيم الذي تفضل به رب العزة والجلال على عباده ، فأرسل إليهم خاتم رسله ، وأنزل عليهم أفضل كتبه الذي احتوى على تنظيم حياتهم جميعها وفق نظام كامل صالح لكل زمان ومكان .

والأدلة على هذا كثيرة جدًا ، ففي بلاد العرب كان النظام الجاهلي الذي يكفيه تعريفًا هذه الكلمة (الجاهلي) نسبة إلى الجهل الذي لا يأتي بخير أبدًا ، وفي البلاد المجاورة لجزيرة العرب كانت اليهودية والنصرانية والمجوسية وغيرها ، وما أن استناروا بنور الإسلام إلا وقد تبددت تلك الظلمات والجهالات ، وأصبح الإنسان في تلك المجتمعات لا يخشى إلا الله

سبحانه وتعالى في ظل دين الله، فنعمت البشرية بهذا الدين، وأثمر جهد أولئك الدعاة هذا الخير والعطاء والنماء وعمارة الأرض بطاعة الملك القدوس العزيز الحكيم الذي خلق الناس لعبادته وحده جل وعلا .

وهذا جعل من هذه الأمة أمة عطاء وبذل تحب لغيرها ما تحبه لنفسها ، فعم بذلك الإسلام في الأرض ، وكثر الخير حتى إن المسافر كان يخرج من صنعاء متجهًا إلى قلب جزيرة العرب لا يخاف إلا الله سبحانه وتعالى بعد ما كان الخوف يلاحقه حتى في مكان نومه في عقر داره في ظل النظام الجاهلي وشريعة الغاب ، ولقد كان لجهاد أولئك الرجال أن تحرر الإنسان من ذلك الظلم الذي أحاط به من كل جانب زمنًا طويلًا ، ثم ببركة العودة - نعم العودة - إلى الذي خلق فسوى ، وقدر فهدي ، الذي بيده الأمر كله ، لا إله إلا هو - ولا رب سواه .

فها هو الصديق والصاحب في الغار وفي أحلك ساعات الابتلاء والامتحان حيث يفجع الجميع بفقد القائد والمعلم النبي ﷺ حتى إن أحدهم لم يصدق بذلك ، وتوعد من يقول ذلك بالسيف لفرط حبهم لحبيبهم وتعلقهم به ﷺ ، يقف رضي الله تعالى عنه من دعوة الإسلام موقف البطولة والفداء ، والأمة تعيش هول الفاجعة بانتقال رسولها ﷺ إلى الرفيق الأعلى ، فيمنع أقوام الزكاة بحجة أن الذي كان يأخذها منهم لم يعد موجودًا فيرفع الصديق الكريم الشجاع راية الفداء والتضحية منذرًا بحرب من فرق بين الصلاة والزكاة ، لا بل وفي ذات الوقت يسير ذلك اللواء الذي عقده الحبيب المصطفى ﷺ لأسامة بن زيد ، جبهتان الواحدة أكبر من الثانية يقوم بها الصديق وموقفات عظيمان وجديران بالإشارة والبيان لنصرة هذه الدعوة والتضحية بكل شيء في سبيلها الله أكبر إنهم طلاب المدرسة المحمدية على صاحبها أفضل الصلاة وأزكى السلام ، وقد يعجب القارىء بهذه المواقف العظيمة التي قام بها هذا الصحابي الجليل خليفة رسول الله ﷺ ، ولكن عجبه سيزداد عندما يعلم أن الصاحب في الغار - رضي الله تعالى عنه - له موقف عظيم لا يقل أهمية عن حرب المرتدين ، وتسيير جيش أسامة رضي الله عنه أنه جمع القرآن الكريم ، نعم كلام رب العالمين الذي فيه خبر ما قبلنا والفصل فيما بيننا ، وهذا الموقف فيه من أمور حفظ الدين ما يمكن أن يفرد ويبحث مستقلًا ، وأثره على الدعوة هو حفظ هذا الكتاب العظيم الذي هو أساس هذا الدين وصلبه المتين ، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه .

إنها لمواقف عظيمة وخدمات جليلة موفقة لهذا الصحابي الجليل رضي الله عنه ، فيها من الدروس والعبر الشيء الكثير ، وعلى دعاة الإسلام الوقوف عليها مفصلة في كتب تاريخ

الإسلام التي حكت مواقف ساداتنا – رضوان الله عليهم – من الخلفاء الراشدين وبقية الصحابة رضي الله عنهم الذين خدموا هذا الدين بصدق وعلم وإخلاص . لقد صدعوا رضوان الله عليهم بالحق ، ورفعوا راية الدعوة إلى هذا الدين ، وقدموا أموالهم وأرواحهم في سبيل ذلك طاعة لله وامتثالًا لأوامره سبحانه وتعالى في نصرة هذا الدين وإبلاغه للناس أجمعين . لقد كانت حياة الصديق رضي الله تعالى عنه مليئة بالعطاء والفداء ونصرة هذا الدين ابتداء من طلوع فجر الدعوة في مكة المكرمة يوم وقف أمامها المجتمع المكي بكل قوة وعناد حتى مكن الله لها في المدينة المنورة (يثرب) ، وظهر الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقًا . فمن مثلهم يستفاد وبهم يقتدي ، رضي الله عنك يا ابن أبي قحافة وأجزل لك المثوبة لقاء ما قدمت لدعوة الإسلام .

○ أما الفاروق عمر رضي الله تعالى عنه ○

فقد كانت له مواقف أخرى عظيمة لنصره الدين والصدع بالدعوة وإليكموها مفصلة :

١ – في سنة أربع عشرة من الهجرة فتحت دمشق وحمص وبعلبك والبصرة والأيلة .

٢ – في السنة الخامسة عشرة من الهجرة فتحت الأردن وكانت موقعة اليرموك وموقعة القادسية .

٣ – في سنة ست عشرة فتحت الأهواز والمدائن حيث أقيمت الجمعة في إيوان كسرى وفتحت تكريت ، وسار – رضي الله تعالى عنه – إلى بيت المقدس وفتحت حلب وإنطاكية .

٤ – في سنة عشرين فتحت مصر وأجلى رضي الله عنه اليهود عن خيبر ونجران ، تلا ذلك فتح الإسكندرية ونهاوند وبرقة .

وفي سنة اثنين وعشرين فتحت أذربيجان وهمذان وطرابلس الغرب والري تلاها كرمان وسجستان وأصبهان .

هذه بعض مواقف الفاروق رضي الله تعالى عنه مع دعوة الإسلام حيث وصلت إلى تلك الديار بفضل الله تعالى ونصره ثم بسواعد الرجال من صحابة رسول الله ﷺ وعلى رأسهم خليفة رسول الله ﷺ أبو حفص الفاروق ، إضافة إلى ما تم من تنظيمات لدولة الإسلام جعلت منها دولة ذات أبعاد تنظيمية في الإدارة والجند والمال وغيرها ، كل ذلك في سبيل نشر دعوة الإسلام .

ولو استطردنا في بيان مواقف الخلفاء الراشدين - رضي الله تعالى عنهم - لما وسعت هذه المساحة التي خصصتها للوقوف فقط والتذكير بمواقف أصحاب رسول الله ﷺ كنماذج مضيئة لدعاة الإسلام في كل زمان ومكان ، ولا يستغرب الشيء معدنه فقد كانوا خير مثال لدعاة الإسلام ، أولئك قدوتنا - رضي الله عنهم - فما على الداعية إلا أن يدرس سيرة كل خليفة من الخلفاء الراشدين - رضي الله عنهم - ليجد فيها الزاد لمساره الطويل ، والله من وراء القصد ، وهو سبحانه وتعالى الهادي والموفق والمعين .

ومما لا شك فيه أن الدور الذي قام به الصحابي الجليل مصعب بن عمير - رضي الله تعالى عنه - فيه الكثير من المواقف المرشدة لدعاة الإسلام ، فقد كان - رضي الله تعالى عنه - أنموذجًا فريدًا حيث أتى إلى المجتمع « مجتمع المدينة قبل الإسلام » وقد انتشرت فيه العداوات والجهالات وطغت فيه اليهود حتى كانت السيطرة فيه لهم ، فما هي إلا أيام إلا وقد انتشر الإسلام في المدينة المنورة من خلال الجهد العظيم الذي قام به هذا الصحابي الجليل ، لقد كان - رضي الله تعالى عنه - شعلة من النشاط لا يكل ولا يمل يعمل ليل نهار ، يعلم الذين بايعوا في العقبة ، وينتقل من مكان إلى آخر ينشر هذا الخير والنور بين جنبات هذه البلدة الظالم أهلها ، الذين عانوا من ويلات الحروب وسيطرة اليهود عليهم من خلال التجارة والمال وما كان لهم من مواقع جيدة فيها ، لقد تعلم مصعب على يدي الهادي البشير والسراج المنير ﷺ ، فكان - رضي الله عنه - خير معلم وخير رسول لرسول الله ﷺ فلقد نجح هذا الصحابي الجليل في الوصول إلى كثير من بيوتات الأوس والخزرج وهما القبيلتان اللتان كانتا لهما القوة والصولة ، وبجانبهما اليهود بقبائلها الثلاثة : قريظة وبني قينقاع وبني النضير .

إن المتأمل في الدور الذي قام به الصحابي الجليل بمفرده يدرك تمام الإدراك أن الدعوة الإسلامية تستمد قوتها من ذاتها أولًا ، لأنها دعوة صدق وحق وعدل يجد فيها المدعو موافقة مع فطرته - فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله - وهذا التوافق المدعو سريع الاستجابة لها ؛ لأنها حق ، خاصة أولئك الذين بقوا ردحًا من الزمن وهم على أصنامهم عاكفون ، تلك الحجارة التي لا تسمع ولا تعقل ، لكنها عبادة للآباء والأجداد وعندما يتلقى الواحد منهم هذا الخير تجده سرعان ما يتقبله ويلزم نفسه بما فيه من الأوامر والخير ، ومجتمع المدينة المنورة في الجاهلية كانت تتجاذبه عدة جهات ، فاليهود وبالرغم من أنهم لا يميلون إلى أن يدخل في دياناتهم أحد إلا أنهم يحرصون على التبعية ، كذلك موروثات المجتمع الجاهلية

وهي عبادة الأصنام كان لها دور في التأثير على هذا المجتمع ، وفئة قليلة كانت تدين بالنصرانية والمجتمع في حيرة ؛ لأنهم على غير قناعة مما هم فيه ، وعندما قابلهم رسول الله ﷺ في العقبة الأولى وكانوا قليلي العدد لم يترددوا ولو للحظة في قبول الدعوة واتباعها ، وفي البيعة الثانية طلبوا من رسول الله ﷺ أن يرسل إليهم فكان ذلك الرسول هو مصعب الخير رضي الله تعالى عنه .

ومما سبق لا بد أن يدرك دعاة الإسلام أن أي جهد يبذل لنشر الإسلام جري بالتوفيق والتسديد خاصة ، وأن العالم اليوم يموج في ظلمات الجاهلية الحديثة ، وقد جرب الكثير من الأنظمة والتبعات فلم تحقق له ما يريد ؛ لأنها لا تقدر على تحقيق ذلك لعجزها ذاتها عن ذلك ، أما الإسلام فهو دين الله الذي أتى بالسعادة الحقيقية لهذا الإنسان وبالحرية الحقيقية لهذا الإنسان ، الكل سواء ولا تفاضل إلا بمقدار ما يقوم به الفرد من عمل صالح وما يكتنز في داخله من تقوى وصلاح .

○ *ثانيًا* :

إن مواقف دعاة الإسلام الأول مع هذا العمل الجليل فيها الكثير ، مما يمكن أن يقتدي به دعاة الإسلام اليوم وبعد اليوم حتى يرث الله الأرض ومن عليها ، لقد كانوا يترسمون خطى إمامهم ﷺ وينهلون من النبع الصافي كتاب الله جل وعلا ، الذي أتى بالقواعد الراسخة والوسائل الحكيمة الفعالة في الدعوة ، قال تعالى : ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴾[1] وهي منهج متكامل في الدعوة للإسلام ، آية واحدة فقط لو أخذنا بالبحث والتدبر والتفسير والتحليل ؛ لوجدنا الكم الهائل من المعاني والحكم والوسائل التي تمكن الداعية من الوصول إلى هدفه بطريقة أفضل ووقت أقصر ، وهكذا الإسلام كلمة خير وصلاح وفلاح لهذا الإنسان ، ورصد ومتابعة أئمتنا في الدعوة يعطينا أبعادًا واسعة ؛ لأنهم مروا بكثير من الظروف ، ومعرفة جهادهم في هذا المجال يثري ثقافة الداعية المسلم في العصر الحاضر ، وهناك بعض المؤلفات التي تقصت حياة رجال الدعوة على طول تاريخنا الإسلامي وما على الداعية إلا الرجوع إلى تلك المؤلفات للاستفادة والاستزادة .

وبعد هذه العجالة في التذكير ببعض مواقف قدوتنا من صحابة رسول الله ﷺ نأتي

---

(١) سورة النحل الآية : ١٢٥ .

إلى ترجمة بعض دعاة الإسلام وهم :

(١) الخليفة عمر بن العزيز :

سأتناول شخصية عمر بن عبد العزيز – رحمه الله تعالى – من خلال النقاط التالية :

- **أولًا : نسبُه ومناقبُه .**
- **ثانيًا : علمه وجمل من كلامه وحكمه .**
- **ثالثًا : ورعه وزهده .**
- **رابعًا : عدله وخشيته .**
- **خامسًا : عنايته بالدعوة إلى الإسلام .**
- **سادسًا : آخر خطبه ووفاته .**

❋ أولًا : نسبـه ومناقبـه :

عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم الأموي القرشي يكنى بأبي حفص ، ولد في حلوان بمصر عندما كان أبوه أميرًا عليها ، وذلك سنة إحدى وقيل : ثلاث وستين للهجرة .

أمه أم عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب – رضي الله تعالى عنهم – كان بوجهه شجة من دابة ضربته وهو غلام ، وروي عن عمر بن الخطاب – رضي الله تعالى عنه – أنه قال : من ولدي رجل بوجهه شجة يملأ الأرض عدلًا .

ومناقبه – رحمه الله تعالى –: أن سفيان الثوري عده من الخلفاء الراشدين ، وذلك عندما قال : الخلفاء خمسة أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وعمر بن عبد العزيز ، جمع القرآن الكريم وهو صغير ، وبعثه والده إلى المدينة المنورة يتأدب بها ، وكان يجلس إلى عبيد الله بن عبد الله يسمع منه العلم ، فلما توفي والده طلبه عبد الملك إلى دمشق وزوجه ابنته فاطمة . حدَّث عنه بعض خاصته أنه لما ولي الخلافة خير جواريه بين العتق والبقاء معه حيث قال لهم : إنه قد نزل بي أمر ، وقد يشغلني عنكم فمن أحبت أن أعتقها عتقتها ، ومن أرادت أن أمسكها ولم يكن مني إليها شيء ، فبكين يأسًا منه . وروى مالك بن دينار إنه لما ولي الخلافة قالت رعاء الشاة في رءوس الجبال : من هذا الخليفة الصالح الذي قد قام على الناس ، قال : فقيل لهم : وما علمكم بذلك ؟ قالوا : إنه إذا قام خليفة صالح كفت الذئاب والأسد عن شائنا . ومن مناقبه – رحمه الله تعالى – أن عمرو بن مهاجر – وكان من خاصته – قال : قال لي عمر بن

عبد العزيز : إذا رأيتني قد ملت عن الحق فضع يدك في تلبابي ثم هزني ثم قل : يا عمر ما تصنع.

✹ ثانيًا : علمه وجمل من كلامه وحكمه :

يعد عمر بن عبد العزيز أحد علماء التابعين المبرزين في العلم والفقه فقد روى عن عبد الله بن عمر . عن أنس بن مالك ، وعن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب ، وعمر بن أبي سلمة ، والسائب بن يزيد رضي الله تعالى عنهم .

كما روى – رحمه الله تعالى – عن كبار التابعين كسعيد بن المسيب ، وعروة بن الزبير ، وخارجة بن زيد رحمهم الله تعالى أجمعين .

وقد قال ميمون بن مهران : « كانت العلماء مع عمر بن عبد العزيز تلامذه » والمتتبع لمواعظه ووصاياه وحكمه ونصائحه يجدها تصل إلى مستوى ما كان من الخلفاء الراشدين – رضي الله تعالى عنهم – ناهيك عن عدله الذي قيل عنه : إنه عمر الثاني ويعنون بذلك الفاروق – رضي الله تعالى عنه – وهو جده لأمه . ومن جميل كلامه في خطبه التي تجلت فيه الحكمة أنه قال يومًا : « أيها الناس أصلحوا سرائركم تصلح علانيتكم ، واعملوا لآخرتكم تكفوا دنياكم ، واعلموا أن رجلًا ليس بينه وبين آدم أب حي لمعرقة في الموت والسلام عليكم » ومن مواعظه ونصائحه قوله : « أيها الناس إن الله تعالى خلق خلقه ، ثم أرقدهم ، ثم يبعثهم من رقدتهم ، فإما إلى جنة وإما إلى نار ، والله إن كنا مصدقين بهذا لحمقى ، وإن كنا مكذبين بهذا إنا لهلكى » .

وخطب يومًا فقال : « أيها الناس إنما أنتم أغراض تنتقل فيها المنايا ، إنكم لا تؤتون نعمة إلا بفراق أخرى ، وأية أكلة ليس معها غصة ، وأية جرعة ليس معها شرقة ؟ وإن أمس شاهد مقبول قد فجعكم بنفسه وخلف في أيديكم حكمته ، وإن اليوم حبيب مودع وهو وشيك الظعن ، وإن غدًا آت بما فيه ، وأين يهرب يتقلب في يد طالبه ؟ إنه لا أقوى من طالب ولا أضعف من مطلوب ، إنما أنتم سفر تحلون عقد رحالكم في غير هذه الدار ، إنما أنتم فرع أصول قد مضت فما بقاء فرع بعد ذهاب أصوله ؟ »[1] .

ومن كلامه وحكمه ووصاياه أيضًا أنه كتب إلى رجل فقال له :

---

(١) أغراض : ما يوضع ليرمي كالهدف والمناضلة : الرماية بالسهام ، والمنايا : جمع منية وهو الموت ، والظعن : الرحيل .

« أوصيك بتقوى الله ، لا يقبل غيرها ، ولا يرحم إلا أهلها ، ولا يثيب إلا عليها فإن الواعظين بها كثير ، والعاملين بها قليل » . وكتب – رحمه الله تعالى – إلى آخر فقال له : « أوصيك بتقوى الله والانشطار لما استطعت من مالك وما رزقك الله إلى دار قرارك فكأنك والله ذقت الموت ، وعاينت ما بعده بتصريف الليل والنهار ، فإنهما سريعان في طي الأجل ، ونقص العمر ، ولم يفتهما شيء إلا أفنياه ، ولا زمن مرا به إلا أبلياه ، مستعدان لمن بقي بمثل الذي أصاب من قد مضى ، فنستغفر الله لسيئ أعمالنا ، ونعوذ به من مقته إيانا عما نعظ به مما نقصر عنه » .

ومن حكمه – رحمه الله تعالى –:

أ – إنما خلقتم للأبد ولكنكم تنقلون من دار إلى دار .

ب – يحدث للناس أقضية بقدر ما أحدثوا من الفجور .

ج – قد أفلح من عصم من المراء والغضب والطمع .

د – لا ينفع القلب إلا ما خرج من القلب .

❋ ثالثًا : ورعه وزهده :

اتفق الكثير على أن عمر بن عبد العزيز كان وحيد دهره في الزهد والورع ، خاصة بعدما تولى أمر المسلمين ، ولما كان الأمر للتذكير أورد بعضًا من ذلك من خلال هذه النقاط أو المواقف التي تبين ما كان يتمتع به – رحمه الله – من ورع وزهد ، ومن أراد الزيادة فعليه الوقوف على كتب التاريخ والأعلام التي أوردت بين طياتها حياة الخليفة الزاهد – رحمه الله تعالى –:

أ – قال مالك بن دينار – رحمه الله تعالى –: يقولون : مالك زاهد ، إنما الزاهد عمر بن عبد العزيز ، أتته الدنيا فتركها .

ب – روي أن ابنًا له اشترى خاتمًا له فص بألف درهم ، فلما بلغ عمر هذا الخبر كتب إليه : « عزيمة مني إليك بعت الفص الذي اشتريت بألف درهم وتصدقت بثمنه واشتريت فصًا بدرهم واحد ونقشت عليه : رحم الله امرءًا عرف قدره والسّلام » .

ج – ما روي من أن عبد الملك بن مروان قد أعطى ابنته فاطمة التي قيل فيها :

بنت الخليفة والخليفة جدها   أخت الخلائف والخليفة زوجها

جوهرًا لم ير مثله ، فلما ولي عمر الخلافة ، قال لها : يا فاطمة اختاري إما أن تذري حليك إلى بيت المال ، وإما أن تأذني لي بفراقك ، فإني أكره أن أكون أنا وأنت وهو في بيت واحد ، قالت : لا ، بل اختارك عليه وعلى أضعافه ، فأمر به فحمل إلى بيت مال المسلمين .

د – قال مسلمة بن عبد الملك : دخلت على عمر بن عبد العزيز في مرضه فإذا عليه قميص وسخ ، فقلت : يا فاطمة اغسلي قميص أمير المؤمنين ، قالت : نفعل إن شاء الله ، ثم عدت فإذا القميص على حاله ، فقلت : يا فاطمة ألم آمركم أن تغسلوا قميص أمير المؤمنين ، فإن الناس يعودونه ، قالت : والله ماله قميص غيره .

أي زهد وأي ورع نسمعه – رحمه الله تعالى – وأجزل له المثوبة . وها هو – رحمه الله تعالى – عندما دخلت عليه ابنة الصحابي الجليل أسامة بن زيد قام لها ومشى إليها ثم أجلسها في مجلسه ، وجلس بين يديها ، وما ترك لها حاجة إلا قضاها .

❋ رابعًا : عدلــه وخشيتــه :

لقد كان وما يزال عدله مضرب المثل ، الأمر الذي رفع به إلى مقام الخلفاء الراشدين – رضي الله تعالى عنهم – حيث قرن اسمه مع اسم جده الفاروق – رضي الله تعالى –.

لقد كان الخليفة العادل – رحمه الله تعالى – على مستوى رفيع من العدل وكمال السياسة والرشد فيها ، وحب الحق وإعطائه لأهله وأخذه ممن اعتدى وظلم ، وهذه نماذج توضح ذلك:

أ – روي أنه كتب لأحد ولاته : « أما بعد فاتق الله فيمن وليت أمره ، ولا تأمن مكره في تأخير عقوبته ، فإنه إنما يعجل العقوبة من يخاف الفوت » .

ب – روي أنه لما رجع من جنازة سليمان بن عبد الملك بن مروان قال له مولاه : ما لي أراك مغتمًا ؟ قال : لمثل ما أنا فيه فليغتم ، ليس أحد من الأمة إلا وأنا أريد أن أوصل إليه حقه ، غير كاتب إلي فيه ولا طالب مني .

ج – كتب إليه أحد عماله أن مدينتنا قد خربت ، فإن رأى أمير المؤمنين أن يقطع لها مالًا نرمها به فعل ، فكتب إليه عمر : أما بعد .. فقد فهمت كتابك ، وما ذكرت أن مدينتنا قد خربت ، فإذا قرأت كتابي هذا فحصنها بالعدل ، ونق طرقها من الظلم فإنه مرمتها ، والسلام .

د – كتب – رحمه الله تعالى – إلى عامله عدي بن أرطاة ، أما بعد : فإنك غررتني بعمامتك

السوداء ومجالستك للقراءة ، وإرسالك العمامة من ورائك ، وإنك أظهرت لي الخير فأحسنت بك الظن ، وقد أظهر الله على ما كنتم تكتمون والسلام .

أما ما كان من خشيته – رحمه الله تعالى – فقد كان من أشد الناس خشية لله تعالى ، وكان كثير الذكر للموت والعرض على الله تعالى ، وقد كان يتمثل الأبيات التالية :

نهارك يا مغرور سهود وغفلة   وليلك نوم والرداء لك لازم
وتشغل فيما سوف تكره غبه   كذلك في الدنيا تعيش البهائم

قيل : إنه بكى مرة فبكت زوجته فاطمة فبكى أهل الدار ، لا يدري هؤلاء ما أبكى هؤلاء ، فلما تجلت عنهم العبرة ، قالت فاطمة : بأبي أنت أمير المؤمنين ، مم بكيت ؟ قال : ذكرت منصرف القوم بين يدي الله عز وجل : فريق في الجنة ، وفريق في السعير ، ثم صرخ وغشي عليه ، وهناك مواقف كثيرة تبين خشيته من الله ، رحمه الله .

✹ خامسًا : عنايته بالدعوة إلى الإسلام :

إن حاكمًا هذه صفاته ، وهذا صدقه وإخلاصه لا بد أن ينعكس هذا على الأفراد والجماعات الذين يقوم عليهم ، وهذا ما كان فيه – رحمه الله تعالى – في إصلاح المسلمين وتطبيق الشريعة الإسلامية في البلاد التي كان يدبر شئونها ، الأمر الذي جعل هذه المثالية التي كان يحياها المجتمع المسلم في حكمه تنعكس على ما جاورهم من البلدان والديار ، فقد كان الخليفة أحسن مثل وأصدقه لأخلاق الإسلام ، الأمر الذي جعل نتيجة مكاتباته للدول التي كانت حولهم إيجابية ، لما عرفوه عنه من صلاح وعدل وقوة في الحق ، وزهد وخشية لله .

وقد ذكر صاحب فتوح البلدان أن عمر بن عبد العزيز كتب إلى ملوك الهند يدعوهم إلى الإسلام والطاعة على أن يملكهم ، ولهم ما للمسلمين ، وعليهم ما عليهم ، وقد كان بلغتهم سيرته ومذهبه فأسلموا ، وتسموا بأسماء العرب .

كما كتب – رحمه الله تعالى – إلى ملوك ما وراء النهر يدعوهم إلى الإسلام فأسلم بعضهم ورفع الخراج عمن أسلم بخراسان ، وفرض لمن أسلم .

وروي أنه لما ولي إسماعيل بن عبد الله أبي المهاجر بلاد المغرب سار أحسن سيرة ، ودعا البربر إلى الإسلام ، وكتب إليهم عمر بن عبد العزيز كتابًا يدعوهم إلى الإسلام فقرأه إسماعيل عليهم في النوادي فغلب الإسلام على المغرب ، إضافة إلى عنايته بالسنة النبوية المطهرة، وحرصه

على تدوينها ، وقال لعماله : « انظروا إلى حديث رسول الله ﷺ فاجمعوه » .

هذه بعض المواقف التي تبين عنايته - رحمه الله تعالى - بالدعوة إلى الله تعالى ، وذلك من خلال إقامة شرع الله في بيته وتبين رغبته وتمثله أخلاق الإسلام وآدابه وخشيته الدائمة. من رب العزة والجلال ، ثم مكاتبته للملوك والرؤساء في ذلك الزمان يدعوهم إلى دين الله القويم وصراطه المستقيم .

❋ سادسًا : آخر خطبه ووفاته رحمه الله :

لقد كان عمر بن عبد العزيز بليغًا حكيمًا صادقًا ، وقد أوضحت فيما سبق بعضًا من أقواله وخطبه ومواعظه ، وهذه الخطبة الأخيرة له - رحمه الله تعالى - قال فيها :

« أما بعد فإن الله عز وجل لم يخلقكم عبثًا ، ولم يدع شيئًا من أمركم سدى ، وإن لكم معادًا ، فخاب وخسر من خرج من رحمة الله تعالى وحرم الجنة التي عرضها السموات والأرض ، واشترى قليلًا بكثير وفانيًا بباق ، وخوفًا بأمن ، ألا ترون أنكم في أسلاب الهالكين ، وسيخلفها بعدكم الباقون ، كذلك حتى ترد إلى خير الوارثين ، في كل يوم وليلة تشيعون غاديًا ورائحًا إلى الله عز وجل ، قد قضى نحبه وانقضى أجله ، حتى تغيبوه في صدع من الأرض في بطن صدع ثم تدعونه غير ممهد ولا موسد ، قد ضلع الأسلاب ، وفارق الأصحاب ، وسكن التراب ، وواجه الحساب مرتهنًا بعمله ، فقيرًا إلى ما قدم ، غنيًا عما ترك ، فاتقوا الله قبل نزول الموت ، وايم الله إني لأقول لكم هذه المقالة وما أعلم عند أحد منكم من الذنوب ما أعلم عندي ، وما يبلغني عن أحد منكم ما يسعه ما عندي إلا وددت أنه يمكنني تغييره حتى يستوي عيشنا وعيشه ، وايم الله لو أردت غير ذلك من الغضارة والعيش لكان اللسان مني به ذلولًا عالمًا بأسبابه ، ولكن سبق من الله عز وجل كتاب ناطق ، وسنة عادلة دل فيها على طاعته ، ونهى فيها عن معصيته . ثم وضع - رحمه الله تعالى - طرف ردائه على وجهه فبكى وشهق ، وبكى الناس ، وكانت آخر خطبه » .

ومات - رحمه الله تعالى - بدير سمعان من أعمال حمص ودفن هناك ، وذلك لعشرين بقين من رجب سنة إحدى ومئة من الهجرة ، وكانت مدة خلافته سنتين وستة أشهر تقريبًا بعد حياة حافلة بالطاعة والجهاد والدفاع عن الإسلام ونشره بين أمم الأرض ذلك الزمان .

رحمك الله يا عمر بن عبد العزيز ورضي الله عنك وأرضاك وأنزلك منازل الراشدين ، هذه إخواني دعاة الإسلام وقفة عاجلة مع بطل من أبطال الإسلام وداعية من دعاة الإسلام دعاة الخير والإصلاح ، الذين أضاءوا لنا الطريق ، وساروا على منهج إمامهم وشفيعهم ﷺ فصلحوا وأصلحوا ، ودانت لهم البلاد ، وكتبت سيرتهم بمداد من نور ، وكانوا أمثلة رائعة لمن أتى بعدهم وإلى يوم الدين فرحمهم الله، وجزاهم عن الإسلام والمسلمين أحسن الجزاء.

(٢) الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى

وسيكون تناول ترجمة هذا العالم الجليل من خلال النقاط التالية :

- **أولًا : نسبه ومناقبه .**
- **ثانيًا : علمه وقوة حجته .**
- **ثالثًا : سيرته وأخلاقه .**
- **رابعًا : وفاتـه .**

ولا بد من التذكير من أن هذه الترجمة السريعة الهدف منها التعريف بهؤلاء الدعاة والأئمة – رحمهم الله تعالى – وإلا فإن الحديث عن كل واحد منهم يحتاج إلى مساحة أكبر من هذه التي خصصتها في هذا الكتاب ، إنما هي نماذج مشرقة لدعاة الإسلام ليدركوا كيف كان السلف رحمهم الله يبذلون كل شيء في سبيل الله إعلاء لكلمة التوحيد والدين ونشر هذا الإسلام والدفاع عنه وتثبيته في نفوس الناس من خلال اهتمامهم بتعليمهم ووعظهم وإرشادهم دائمًا .

✱ أولًا : نسبـه ومناقبـه :

هو أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني العدناني البغدادي ، يكنى بأبي عبد الله ، هو إمام الأئمة ناصر السنة وقامع البدعة مناقبه كثيرة وشهيرة ، قال أبو زرعة – رحمه الله تعالى – : ما رأيت مثل أحمد في فنون العلم ، وما قام أحد بمثل ما قام به أحمد ، وقال ابن المديني - رحمه الله – : أحمد بن حنبل سيدنا .

كان من أعلام الدين وأفضل أهل زمانه ، ورعًا مخلصًا يقوم بالعمل الصالح ويسره عن الناس ، زاهدًا لا يتحدث في أمور الدنيا ، رفيق الحال عفيف النفس كريم اليد ، قال عنه الشافعي – رحمه الله تعالى–: ما خلفت ببغداد أفقه ولا أورع ولا أعلم من أحمد ، وحدث

أبو بكر المروزي قال : كنت مع أبي عبد الله نحوًا من أربعة أشهر بالعسكر ، لا يدع قيام الليل وقراءات النهار ، فما علمت بختمة ختمها ، وكان يسر ذلك ، وموقفه – رحمه الله تعالى – من قضية الاعتزال معروف لم يحد قدر أنملة عن عقيدته التي يعتقدها بالرغم من سطوة من في عصره ، فقد وقف صامدًا أمام فكرة خلق القرآن رافعًا للحق الذي أتى به سيد المرسلين ﷺ ، لا يرهبه أحد .

❋ ثانيًا : علمه وقوة حجته :

علم هذا الإمام الجليل إمام أهل السنة والجماعة في غزارته وتفوقه لا يقبل المناقشة أبدًا وها هو مسنده الذي قال العلماء : إنه أخرجه من سبعمائة ألف حديث .

قال عنه ولده عبد الله : كان أبي يحفظ ألف ألف حديث .

وقال الإمام الشافعي – رحمه الله تعالى –: يا أبا عبد الله إذا صح الحديث عندك فأعلمني به أذهب إليه حجازيًا كان أو شاميًا أو عراقيًا أو يمنيًا ، قال ابن كثير : إن قول الإمام الشافعي هذا لأحمد يعتبر إجلالًا كبيرًا وشهادة في العلم عظيمة .

وقال البخاري– رحمه الله تعالى –: لما ضرب أحمد بن حنبل كنا بالبصرة فسمعت أبا الوليد الطيالسي يقول : لو كان أحمد في بني إسرائيل لكان أحدوثة .

وقال يحيى بن معين : كان في أحمد بن حنبل خصال ما رأيتها في عالم قط ، كان محدثًا وكان حافظًا وكان زاهدًا وكان عاقلًا .

أما ما يتعلق بقوة حجته – رحمه الله تعالى – فأورد بعض ما دار بينه وبين معتزلي في مجلس المعتصم ، وهي مقتطفات من مناظرة طويلة :

قال : ما تقول في القرآن الكريم ؟ فلم يجب أحمد .

وقال للمعتزلي : ما تقول في علم الله ؟ فلم يجب المعتزلي .

فقال أحمد : إن القرآن من علم الله ، فمن زعم أن علم الله مخلوق فقد زعم أن القرآن مخلوق ، ومن قال بذلك فقد كفر .

فقال المعتزلي : إن الله كان في الأزل ولم يكن معه القرآن .

فقال أحمد : لقد قلت : إن القرآن الكريم من علم الله ، ولا قرآن معه فكأنه قال : كان الله ولا علم له .

قال المعتزلي : هو ضال مبتدع يا أمير المؤمنين .

فقال أحمد : يا أمير المؤمنين يأتيني بآية من كتاب الله أو بسنة من سنن رسول الله ﷺ حتى أجيبهم إليها .

فقال المعتزلي : فأنت لا تقول إلا ما في كتاب الله وسنة رسوله ؟ .

فقال أحمد : وهل يقوم الإسلام إلا بهما .

وهكذا استمرت المناظرة حتى أخرس الإمام ذلك المعتزلي ، وأخزاه الله ، ودحره وكانت الغلبة للإمام أحمد بن حنبل ، لأنه مع الحق .

❋ ثالثًا : سيرتـه وأخلاقـه :

لقد كانت سيرته مضرب المثل في السمو وكمال الخلق والعفة والتواضع كان يقول دبر الصلاة : « اللهم كما صنت وجهي عن السجود لغيرك ، صنه عن المسألة لغيرك » وكان رحمه الله يأتي العرس والختان ويأكل ، ويكره إذا مشى في الطريق أن يتبعه أحد ، سامح من حضر ضربه ، وشايع فيه إلا أهل البدع ، وضع له القبول في قلوب العباد ، ودعا له المسلمون وطار ذكره في الآفاق ، وكان – رحمه الله – مع تواضعه مهيبًا وقورًا جوادًا سمح النفس يقول – رحمه الله –: « يؤكل الطعام بثلاث : مع الإخوان بالسرور ، ومع الفقراء بالإيثار ، ومع أبناء الدنيا بالمروءة » ، ويقول : « لو أن الدنيا تقل حتى تكون في مقدار لقمة ثم أخذها امرؤ مسلم فوضعها في فم أخيه المسلم ما كان مسرفًا » .

وكان متطامنًا للناس لا يفتخر بشيء .

قال عنه يحيى بن معين : ما رأيت مثل أحمد بن حنبل ، صحبته خمسين سنة ما افتخر علينا بشيء مما كان فيه من الفلاح والخير .

حفظ إمامنا القرآن الكريم في صباه ، وتعلم القراءة والكتابة ثم اتجه إلى الديوان يمرن على التحرير ، يقول عن نفسه : « كنت وأنا غليم أختلف إلى الكتاب ، ثم أختلف إلى الديوان وأنا ابن أربع عشرة سنة » .

كانت نشأته فيها آثار النبوغ والرشد حتى قال بعض الآباء : « وأنا أنفق على ولدي وأجيئهم بالمؤدبين على أن يتأدبوا فما أراهم يفلحون ، وهذا أحمد بن حنبل غلام يتيم انظروا كيف ؟ وجعل يعجب من أدبه وحسن طريقته » .

هذا غيض من فيض مما كتب عن هذا الإمام الجليل رحمه الله تعالى .

✵ رابعًا : وفاتــه :

توفي الإمام أحمد عن عمر قدره سبع وسبعون سنة ، وكان ذلك في عام ٢٤١ من الهجرة حيث قضى عمره في طاعة الله تعالى وخدمة السنة المطهرة والجهاد في سبيل الله تعالى ، والدعوة إلى هذا الدين فرحمة الله عليه .

(٣) ابن تيمية رحمه الله تعالى

وترجمة الحافظ ابن تيمية – رحمه الله تعالى – ستكون من خلال النقاط التالية :

- أولًا : مولده ونشأته .
- ثانيًا : تعليمه ومؤلفاته .
- ثالثًا : جهاده وأشهر تلاميذه .
- رابعًا : وفاته .

✵ أولًا : مولده ونشأته :

ولد شيخ الإسلام يوم الإثنين عاشر ربيع الأول عام ستمائة وواحد وستين للهجرة .

وهو تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم الخضر بن محمد بن الخضر بن علي بن عبد الله ابن تيمية .

نشأ في بيت علم وأدب ، كان يتمتع من صغره بذكاء وقاد ، وحافظة واعية ، وقلب شجاع .

✵ ثانيًا : تعليمـه ومؤلفاتـه :

تعلم في دمشق على يد والده شرف الدين عبد الحليم وكبار العلماء في ذلك الوقت ، وقد قرأ ونسخ ، وتعلم الخط والحساب ، وحفظ القرآن الكريم ، وأقبل على دراسة الفقه وقرأ العربية ، وأخذ كتاب سيبويه فتأمله وفهمه ، وأقبل على التفسير فحاز فيه قصب السبق ، وأحكم أصول الفقه وغير ذلك وهو بعد ابن بضع عشرة سنة .

قال عنه أحد مشائخه : « إن عاش هذا الصبي ليكون له شأن عظيم ، فإن هذا لم ير مثله »، تلقي العلم على أكثر من مائتي شيخ كما يحكى في ترجمته التي وردت في العقود

الدرية لابن عبد الهادي صفحة ثلاثة .

أما مؤلفاته – رحمه الله تعالى – فقد ألف الكثير من الكتب الكبار والمتوسطة ، وأجاب عن كثير من الأسئلة التي كانت ترد عليه من أنحاء العالم الإسلامي ، وقد وفق الله تعالى في هذا العصر من جمع سائر ما عرف من كتب الشيخ وفتاويه – رحمه الله – تعالى مما هو مطبوع بمفرده أو في مجموعة أو مخطوط لم يطبع حتى بلغت أكثر من ثلاثين مجلدًا ضخمًا وسماه : (مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية) وهما الشيخ عبد الرحمن بن قاسم وابنه محمد جزاهما الله خيرًا على ما فعلا ، ومن مؤلفاته رحمه الله تعالى :

١ – الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

٢ – الاستقامة .

٣ – إثبات المعاد والرد على ابن سينا .

وغيرها كثير مما كان له أثر كبير على المكتبة الإسلامية .

✵ ثالثا : جهاده وأشهر تلاميذه :

لقد كانت حياته كلها جهادًا متواصلًا فقد حاولوا جاهدين اتهامه في عقيدته ، ونسبوا له الزيغ والضلال ، لكنه رحمه الله تعالى صمد أمام تلك الهجمات ، وبقي واقفًا يدافع عن العقيدة وسنة سيد المرسلين سيدنا وإمامنا محمد بن عبد الله ﷺ حتى كتب لذلك الجهاد النصر ، ودحر المولى جل وعلا أعداء الدين من أهل الزيغ والضلال من أهل الكلام وغيرهم ، وقد تعرض الإمام للسجن أكثر من مرة لكنه صمد ومضى في نشر مذهب السلف بكل قوة وعزم .

لقد كثر حساده من أهل البدع والضلال ، وعملوا على القضاء عليه بكل الطرق ، لكنه ظل صامدًا يدافع عن هذا الدين بكل ما أوتي من قوة وعلم وحكمة ، ومن أشهر تلاميذه :

١ – ابن القيم : وهو الإمام العلامة شمس الدين أبو بكر بن قيم الجوزية الذي ولد عام ٦٩١ للهجرة ، وتوفي عام ٧٥١ هـ ، له مؤلفات كثيرة ، لازم الشيخ الإمام حتى في أيام المحنة.

٢ – ابن كثير : هو الحافظ عماد الدين إسماعيل بن عمر بن كثير المولود في سنة سبعمائة للهجرة ، والمتوفى في سنة ٧٧٤ هـ ، وله مؤلفات كثيرة ، أشهرها التفسير المعروف ، وكان متمسكًا بآراء شيخه ابن تيمية .

٣ – ابن عبد الهادي : هو شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عبد الهادي بن قدامة الحنبلي المولود في سنة ٧٠٤هـ والمتوفي في سنة ٧٤٤ هـ ، لـه مؤلفات كثيرة نافعة ، ورد على بعض خصوم شيخه الإمام تقي الدين ، وترجم له في مؤلف خاص سماه : (العقود الدرية من مناقب شيخ الإسلام أحمد بن تيمية) .

٤ – الحافظ الذهبي : هو الإمام الحافظ شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد المولود عام ٦٧٣ والمتوفي عام ٧٤٨ وله مؤلفات كثيرة مفيدة حيث ألف في الصفات ، دافع فيها عن مذهب السلف ، ومنها كتابه (العلو للعلي الغفار) .

رحمهم الله جميعًا وجزاهم عن الإسلام والمسلمين أحسن الجزاء .

✹ رابعًا : وفـاتــه :

توفي شيخ الإسلام تقي الدين ابن تيمية في ليلة الإثنين الموافق للعشرين من شهر ذي القعدة من عام ٧٢٨ بعد أن عكف على تلاوة القرآن الكريم والتعبد به ليلًا ونهارًا صابرًا محتسبًا رحمه الله تعالى رحمة واسعة .

هذه سطور قليلة تبين بسرعة ملامح شخصية إمامنا الجليل رحمه الله تعالى ؛ وعلى دعاة الإسلام الوقوف على ترجمته الكاملة ، وقد كتب عنه الكثير في جهاده واجتهاده وعلمه وفضله ودوره البارز في الدفاع عن السنة النبوية المطهرة ومحاربة البدعة وبيان الحق والنور ، لا أولئك الذين انغمسوا في الخرافات والضلالات في ذلك الزمان .

وقد نفع الله بمؤلفات الشيخ وعلمه وها نحن الآن نرى ذلك جليًّا ، وهذا دليل على صدقه وإخلاصه لله رب العالمين .

(٤) الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى :

- **أولًا : مولده ونشأته .**
- **ثانيًا : تعليمه ومؤلفاته .**
- **ثالثًا : مراحل دعوته .**
- **رابعًا : وفـاتـه .**

وقبل بيان هذه الجوانب لا بد من الإشارة إلى أمرين هامين بالنسبة لترجمة الشيخ محمد بن عبد الوهاب يتعلقان بدعوته وهما :

أولًا : أن لقب الوهابية أطلق على دعوة الشيخ إيهامًا للسامع أن هذا مذهب جديد ، وهو ما لا يقبله أتباع الشيخ أبدًا ، وهي نسبة إلى والد الشيخ عبد الوهاب .

ثانيًا : أن هذه الدعوة ليست ذات مذهب خاص بها ، إنما هي الدعوة إلى الإسلام بكل مبادئه وتعاليمه الخالصة من شوائب الشرك والوثنية والبدع ، وما تلقيبها بالوهابية إلا جناية على الواقع والحقيقة ، وقد أوقع هذا الكثير من المؤرخين والمستشرقين في غلطة وهي نسبة هذه الحركة الإصلاحية إلى والد الشيخ محمد بن عبد الوهاب وجعلوه مؤسسًا لها .

والآن نبدأ في بيان ترجمة رجل الدعوة الإصلاحية .

❋ أولًا : مولـده ونشأتـه :

هو محمد بن عبد الوهاب بن سليمان بن علي من قبيلة تميم .

ولد في بلدة العيينة شمال غرب الرياض سنة ١١١٥ للهجرة الموافق ١٧٠٣ للميلاد ونشأ بها .

حفظ القرآن الكريم ولم يبلغ بعد ، حاد الذهن نبيه فصيح اللفظ ، سريع الحفظ ، نشأ في بيت علم ومعرفة ، فجده سليمان بن علي عالم من علماء نجد في عصره ، انتهت إليه الفتيا في نجد ، وأبوه عبد الوهاب من علماء بلده ، تولى القضاء في العيينة وحرملاء .

وقد كان لهذه البيئة التي عاش بها الشيخ أثر كبير في إعداده للقيام بهذه الحركة الإصلاحية .

❋ ثانيًا : تعليمـه ومؤلفاتـه :

تلقى العلم في البداية على يد والده حيث درس عليه كتب الفقه الحنبلي ، وقد اهتم بقراءة كتب شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم ، ومن مؤلفاته رحمه الله تعالى - كتاب التوحيد وتفسير شهادة أن لا إله إلا الله ، وكشف الشبهات ، وكتاب مفيد المستفيد ، وكتاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ومختصر الأنصاف وكتاب الكبائر .

❋ ثالثًا : مـراحـل دعوتـه :

مرت دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب بعدة مراحل يستطيع المتابع أن يقف على هذه المراحل عند تتبعه لحياة الشيخ في حرملاء ثم العيينة ثم الدرعية .

فعندما وصل إلى حرملاء أخذ يجهر بدعوته وينكر ما يفعله الجهال من البدع والشرك

في الأقوال والأفعال ، والده منعه من ذلك خوفًا عليه من ثورة العامة ، فاتجه في هذه الفترة إلى البحث والتقصي ، فألف كتاب التوحيد ، توفي والده فأعلن دعوته من جديد ، لكنه قرر أن حرملاء لا تصلح لنشر الدعوة لعدم استتباب الأمن فيها حيث قرر العودة إلى العيينة مسقط رأسه ، وكان حاكمها في ذلك الوقت عثمان بن حمد بن معمر الذي فتح صدره للدعوة ، وما إن لبث في العيينة نشر دعوته والتي بدأها بهدم القباب المقامة على القبور وقطع الأشجار التي يتبرك بها الناس حتى جاءت رسالة من حاكم الإحساء الذي كان له نفوذ على حاكم العيينة يأمره فيها بإخراج الشيخ فأذعن ابن معمر وخرج الشيخ إلى الدرعية لقربها من العيينة ، وكان حاكمها هو محمد بن سعود حيث تم اتفاق الدرعية المشهور عام ١١٥٧ حيث بدأت الدعوة بمرحلة جديدة ثالثة هي مرحلة الجهاد لحمل الناس على الحق والعودة إلى الإسلام الصافي النقي من الخرافات والبدع .

❋ رابعًا : وفاتـه :

توفي الشيخ محمد بن عبد الوهاب عام ١٢٠٦ هـ الموافق ١٧٩٢ م عن عمر يناهز الخامسة والتسعين ، قضى منها أكثر من خمسين عامًا في الدعوة والإصلاح حيث كان لمناصرة الدولة السعودية لهذه الدعوة أعظم الأثر .

هذه وقفة سريعة مع مواقف بعض دعاة الإسلام وعرض سريع أيضًا لبعض الدعوات ومناهجها وآثارها الطيبة على الفرد والمجتمع ، ابتداء من عهد الخليفة عمر بن عبد العزيز ، ومرورًا بالفترة التي عاش فيها الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى ثم الإمام أحمد ابن تيمية وأخيرًا الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، هؤلاء الذين أحيوا السنة وقمعوا البدعة وأصلحوا ما فسد من عقائد الناس في تلك الأزمنة ، فجزاهم الله أحسن الجزاء على ما قدموا للدعوة الإسلامية من جهود وتضحيات كان لها أعظم الأثر على القضاء على كل ما يعترض هذا الدين وما دخل عليه من بدع وخرافات وما استحدث من توجيهات وفلسفات وما نجح فيه أعداء الإسلام من نشر للرذيلة بمختلف الوسائل للقضاء على هذا الدين .

وعلى دعاة الإسلام مطالعة حياة هؤلاء الرجال من خلال المؤلفات التي تحدثت عنهم بالتفصيل ، وأعتقد أن ما ذكرته في ترجمة كل واحد منهم يعطي القارىء صورة سريعة عن شخصية كل منهم ، رحمهم الله تعالى وجزاهم خيرًا .

الفصل الرابع
منهج النبي ﷺ في الدعوة

ويوضح الآتي :

○ **المبحث الأول** : دعوته ﷺ إلى ما دعا إليه الرسل قبله والبدء بتوحيد العبادة ﴿ اعبدوا الله ما لكم من إله غيره ﴾ .

○ **المبحث الثاني** : دراسة نماذج من حياة الرسول ﷺ وأخلاقه للاقتداء والتأسي ، وكيف كانت أخلاقه ﷺ وسيرته من أقوى سبل الدعوة إلى الإسلام .

* * *

○ منهج النبي ﷺ في الدعوة ○

في البداية لا بد من أن أقرر أن الحديث عن منهج النبي ﷺ في الدعوة لا تكفيه هذه المساحة ، بل يحتاج إلى مؤلف خاص ، وسبق وأن كتبت رسائل علمية في ذلك ولو أن الذي صدر في هذا الجانب واضح من خلال مبحثي هذا الفصل ، لكن مقام النبي ﷺ خاتم النبيين وسيد المرسلين ورحمة الله للعالمين عظيم ، وما بذله في سبيل هذا الدين لا يقدر عليه أحد من البشر على الإطلاق ، فقد بلغ الرسالة وأدى الأمانة على أحسن وأجمل وأصدق وأكمل ما يكون الأداء ، فصلوات ربي وسلامه وبركاته عليه .

ومعلوم أن رب العزة والجلال بعث في كل أمة رسولًا بهدف أمر الأمة ودعوتها لعبادة الله وحده ونبذ ما سواه – أي الدعوة إلى التوحيد الذي هو إفراد الله بالعبادة .

وهذا أمر طبيعي لأن الرب سبحانه وتعالى خلق الإنسان لأمر عظيم ومهمة جليلة ، إنها عبادته وحده سبحانه وتعالى ، قال تعالى : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦ مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ۝٥٧ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ۝٥٨ ﴾[1] .

إن سيد الأنبياء وخاتم المرسلين سيدنا محمد بن عبد الله ﷺ صاحب أعظم رسالة وأكملها وأشملها وأكرمها عند الله تعالى ، الذي أرسله الرب جل وعلا رحمة للعالمين وهاديًا للناس أجمعين بشيرًا ونذيرًا وداعيًا إلى الله بإذنه وسراجًا منيرًا ، الذي لم يترك خيرًا إلا ودل أمته عليه ولا شرًّا إلا وحذرها منه ، جاء على فترة من الرسل حيث بعث للناس كافة وبدأ بما بدأ به الأنبياء من قبله ، وانطلق من حيث انطلقوا بدعواتهم من عقيدة التوحيد والدعوة إلى إخلاص العبادة لله وحده – انطلق صلوات الله وسلامه عليه من « لا إله إلا الله محمد رسول الله » ، لا إله إلا الله الأصل العظيم الذي هو أصل جميع الرسالات .

---

(١) الذاريات : ٥٦ – ٥٨ .

هذا الأصل الذي بدأ به خاتم المرسلين سيدنا محمد ﷺ ، فأول ما طرق مسامع قومه « قولوا : لا إله إلا الله » حيث رد المستكبرون المعاندون الوثنيون ﴿ أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَاحِدًا إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ⑤ وَانطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَىٰ آلِهَتِكُمْ إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ ⑥ ﴾[1].

لكنه ﷺ استمر داعيًا إلى هذا المبدأ الأسمي والمطلب الأعلى بالرغم من عناد وشدة وقسوة وأذى القوم ، لا يحيد عن مبدئه حتى ولو وضعوا الشمس في يمينه والقمر في شماله ثلاثة عشر عامًا ، لا يكل ، صابرًا محتسبًا صامدًا أمام كل أنواع وألوان الأذي كي يبلغ رسالة ربه ، فالآيات البينات تتنزل عليه ، ومنها قوله تعالى : ﴿ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ ⑯③ ﴾[2].

لقد شرفه المولي تعالى بهذه الرسالة وكلفه بهذا الأصل العظيم ، قال تعالى : ﴿ إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ ② أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ ۚ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ ③ ﴾[3].

إنه منهج واضح بيِّنٌ اعبدوا الله ما لكم من إله غيره ، هو الذي خلق ، وهو وحده المستحق للعبادة ، لا إله غيره ولا رب سواه ، والآيات في هذا المقام كثيرة ، إنما هي أمثلة للمنهج المحمدي الذي سار عليه الهادي البشير ﷺ لإبلاغ رسالة ربه سبحانه وتعالى لعباده .

والمتتبع المتأمل للآيات المكية يجدها تؤكد على هذا المبدأ ؛ لأن الناس كانوا في تيه عظيم وتعلق كبير بالآلهة التي أقاموها لأنفسهم ، وقليل منهم الذي كان على الحنيفية ، حتى إن عدد الأصنام التي كانت حول بيت الله بلغ المئات من شدة تعلقهم بهذه الآلهة وانصرافهم إليها ، لهذا أخذتهم الدهشة عندما صدع النبي الكريم عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم بعقيدة

---

(١) ص : ٥ ، ٦ .
(٢) البقرة : ١٦٣ .
(٣) الزمر : ٢ - ٣ .

التوحيد ونبذ الأوثان ، إنها أدلة كثيرة وقاطعة في أن رسول الله ﷺ بدأ دعوته بالتوحيد في العهد المكي وما زال على ذلك ، لأنه الأساس والمطلوب والذي من أجله وعن طريقه حصل الإنسان على حريته ، ومكن الله له في الأرض حيث المسخرات له في البر والبحر والجو ليعمر الأرض بالطاعة ليظل في خير وعافية حتى يلقى ربه سبحانه وتعالى وهو عنه راض ، وصدق ربنا الجليل العظيم إذ يقول : ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ﴿٢٥﴾ ﴾ نعم ، لقد أرسل الحق تبارك وتعالى الرسل ليعرفوا الناس بربهم وخالقهم وهم يعرفونه بفطرتهم ويدعوهم لعبادته وحده سبحانه وتعالى بعد ما اجتالتهم الشياطين ووقعوا فريسة الهوى والاتباع حتى أصبحت عبادة الأوثان عندهم أمرًا مسلمًا به لا ينكره إلا من صبأ على حد قولهم .

وسيكون التفصيل في هذا المنهج خلال المبحث الأول من هذا الفصل .



المبحث الأول : دعوته ﷺ إلى ما دعا إليه الرسل قبله والبدء بتوحيد العبادة

وسيكون التفصيل في هذا من خلال نقطتين هامتين :

○ **الأولى : بيان هذا المنهج من خلال الكتاب العزيز .**

○ **الثانية : بيان هذا المنهج من خلال السنة النبوية .**

○ *النقطة الأولى :*

كانت دعوة خاتم الأنبياء وسيد المرسلين امتدادًا لما جاء به إخوانه من الأنبياء والمرسلين .

ولبيان ذلك لا بد من ذكر الأمثلة من خلال استعراض بعض آي الذكر الحكيم التي توضح ذلك ، وهذا سيكون على النحو التالي :

١ - دعوة نوح عليه السلام إلى الله تعالى

يقول الحق تبارك وتعالى في كتابه العزيز : ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٥﴾ أَن لَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴿٢٦﴾ فَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِىَ ٱلرَّأْىِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍۭ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾ ﴾[1] .

إنه يدعوهم إلى التوحيد ﴿ أَن لَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ ﴾ ذلك لأن رسل الله لا يأتون بشيء من عندهم ، إنما هو وحي إلهي مبين وأمر رباني كريم كي يحقق الإنسان عبوديته لله رب العالمين الذي خلقه وأوجده من العدم ونفخ فيه الروح وأحياه ، والذي سيميته ثم يبعثه مرة أخرى للجزاء والحساب في يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم ، يوم تنصب الموازين وتنشر الصحف ، فمنهم من يأخذ كتابه بيمينه فهو من أصحاب اليمين ، ومنهم من يأخذ كتابه بشماله وهم أصحاب الشمال في سموم وحميم .

---

(١) هود : ٢٥ - ٢٧ .

٢ - دعوة هود عليه السلام

قال تعالى : ﴿ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ ﴿٥٠﴾ يَٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱلَّذِى فَطَرَنِىٓ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٥١﴾ وَيَٰقَوْمِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا۟ مُجْرِمِينَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا۟ يَٰهُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِىٓ ءَالِهَتِنَا عَن قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٥٣﴾ ﴾[1].

وهي دعوة واضحة صريحة إلا أن القوم أصروا على ضلالتهم ، فكان ما كان من أمرهم عندما جحدوا وطغوا وبغوا .

٣ - دعوة إبراهيم عليه السلام

قال تعالى : ﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِبْرَٰهِيمَ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٤١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِى عَنكَ شَيْـًٔا ﴿٤٢﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّى قَدْ جَآءَنِى مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَٱتَّبِعْنِىٓ أَهْدِكَ صِرَٰطًا سَوِيًّا ﴿٤٣﴾ يَٰٓأَبَتِ لَا تَعْبُدِ ٱلشَّيْطَٰنَ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا ﴿٤٤﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَٰنِ وَلِيًّا ﴿٤٥﴾ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِى يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَٱهْجُرْنِى مَلِيًّا ﴿٤٦﴾ قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّىٓ إِنَّهُۥ كَانَ بِى حَفِيًّا ﴿٤٧﴾ وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدْعُوا۟ رَبِّى عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّى شَقِيًّا ﴿٤٨﴾ ﴾[2].

إنها دعوة إلى نبذ الأوثان وعبادة الرحمن سبحانه وتعالى المستحق وحده لهذه العبادة ؛ لأنها مخلوقة من الجمادات لا تسمع ولا تعقل ، إنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور ويسيطر الهوى ويتأثر الفرد بالمحيط ، وتبرز تأثيرات البيئة الأولى : المنزل ثم المجتمع ، لهذا نجد أنبياء الله يشبون على عدم اتباع الآباء والأجداد في ضلالاتهم وما كانوا عليه من انحرافات عقدية وبعدٍ عن خالقهم ومولاهم ، وتغييرهم للفطرة السليمة في اللجوء إلى المخلوقات آلهة من دون الله سبحانه وتعالى ، وهذا واضح من خلال القصص القرآني الذي بيَّن ما دار بين إبراهيم عليه السلام وقومه ، وذلك في سورة الشعراء من الآية ٦٩ إلى الآية ٨٩ من نفس السورة، حيث يقول الحق تبارك وتعالى : ﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَٰهِيمَ

---

(١) هود : ٥٠ - ٥٣ .

(٢) مريم : ٤١ - ٤٨ .

﴿ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُوا۟ نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ ﴿٧١﴾ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ﴿٧٢﴾ أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ﴿٧٣﴾ ﴾[1]. إلى آخر السياق القرآني الكريم .

٤ – دعوة شعيب إلى الله تعالى :

قال تعالى : ﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ فَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾[2].

وهي دعوة صريحة واضحة كي يعبدوا ربهم الذي خلقهم .

٥ – دعوة موسى عليه السلام

قال تعالى : ﴿ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ﴿١٥﴾ إِذْ نَادَىٰهُ رَبُّهُۥ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٦﴾ ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿١٧﴾ فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَرَىٰهُ ٱلْءَايَةَ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿٢٠﴾ فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ ﴿٢١﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَىٰ ﴿٢٢﴾ فَحَشَرَ فَنَادَىٰ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٤﴾ فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ نَكَالَ ٱلْءَاخِرَةِ وَٱلْأُولَىٰٓ ﴿٢٥﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰٓ ﴿٢٦﴾ ﴾[3].

٦ – دعوة عيسى عليه السلام

قال تعالى : ﴿ لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۖ وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۖ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ ۘ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۚ وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا۟ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ ﴾[4].

هذا استعراض سريع لستة من أنبياء الله ورسله ، رأينا هذه الآيات الكريمات البينات توضح أن غايتهم واحدة ومهمتهم واضحة ، توحيد الله الذي خلق هذا الإنسان ، والبعد عن الأضداد والأنداد والشركاء. فهو ربنا وله الثناء الحسن على هذه الرحمة وهذا العطف بهذا

---

(١) الشعراء : ٦٩ – ٧٣ .
(٢) الأعراف : ٨٥ .
(٣) النازعات : ١٥ – ٢٦ .
(٤) المائدة : ٧٢ – ٧٣ .

الإنسان إذ أرسل في كل أمة رسولًا ليقول لها : أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت . الطاغوت بكل أشكاله وألوانه ومسمياته في أي زمان ومكان كان هذا الطاعوت ، وهم كثير كما ذكر العلماء .

ويختم الحق تبارك وتعالى هذه الرسالات برسالة الإسلام ، ورسولها رسول السلام والمحبة والخير والرحمة : سيدنا ونبينا محمد بن عبد الله ﷺ ، الذي أدبه ربه فأحسن تأديبه – توفرت له جميعُ الكمالات ، حيث كان الإعداد الرباني لهذا النبي من حيث كان في أصلاب الرجال فهو كريم من كريم من نسل إبراهيم الخليل عليه السلام .

يقول الشيخ علي الطنطاوي في كتابه « تعريف عام بدين الإسلام » عند الحديث عن سيد المرسلين ﷺ : (وإن من الظلم لمحمد ﷺ وإن من الظلم للحقيقة : أن نقيسه بواحد من هؤلاء الآلاف من العظماء الذين لمعت أسماؤهم في دياجي التاريخ من يوم وجد التاريخ ، فإن من العظماء من كان عظيم العقل ولكنه فقر في العاطفة وفي البيان ، ومن كان بليغ القول وثابت الخيال ولكنه عادي الفكر ، ومن برع في الإدارة أو القيادة ولكن سيرته وأخلاقه كانت أخلاق السوقة الفجار ، ومحمد ﷺ هو وحده الذي جمع العظمة من أطرافها وما من أحد من هؤلاء إلا كانت له نواح يحرص على سترها وكتمان أمرها ويخشى أن يطلع الناس على خيرها ، نواح تتصل بشهوته أو ترتبط بأسرته أو تدل على ضعفه وشذوذه ، ومحمد ﷺ هو وحده الذي كشف حياته للناس جميعًا ، فكانت كتابًا مفتوحًا ، ليس فيه صفحة مطبقة ولا سطر مطموس يقرأ فيه من شاء ما شاء ، وهو ﷺ وحده الذي أذن لأصحابه أن يذيعوا عنه كل ما يكون ويبلغوه ، فرووا كل ما رأوا من أحواله ﷺ في ساعات الصفاء وفي ساعات الضعف البشري)[1].

نعم، ها هو الرحمة المهداة ﷺ يحمل راية التوحيد من بعد إخوته رسل الله وأنبيائه ليخرج بها الناس من الظلمات إلى النور، ظلمات الشرك والكفر والبعد عن خالق الأرض والسماوات وما فيهن سبحانه وتعالى ، فكانت هذه الرسالة الخاتمة المنقذة لهده البشرية مما كانت فيه من بعد عن الله وعبادة للأصنام والأوثان والطواغيت ، فالحمد لله على نعمة

(١) علي الطنطاوي – تعريف عام بدين الإسلام ص٢٠٣ مؤسسة الرسالة ط١١ عام ١٤٠١هـ .

الإسلام وعلى اتباع خير الأنام عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم .

إن وحدة الهدف لدى أنبياء الله تعالى دليل على صحة الطلب وصدقه ، إذ لو لم يكن هذا الأمر من عند الله لوجدنا اختلافًا كثيرًا بين الأنبياء ، لكنها رحمة الله بهذا الإنسان ، حيث أنزل عليه الكتب وأرسل إليه الرسل ليقولوا له : اعبد ربك ووحده فهو سبحانه وتعالى المستحق للعبادة ، فمنهم من آمن ومنهم من كفر وما ربك بظلام للعبيد .

○ *النقطة الثانية : بيان المنهج من خلال السنة النبوية :*

لقد بدأ صلوات الله وسلامه عليه بما بدأ به أخوته أنبياء الله ، وانطلق من حيث انطلقوا داعيًا إلى عقيدة التوحيد وإخلاص العبادة لله وحده ، بدأ صلوات الله وسلامه عليه من « لا إله إلا الله محمد رسول الله » إنها الكلمة التي دوّت لها جنبات مكة المكرمة ، فأطرقت لها الآذان والقلوب السليمة عندما وصلت إلى مسامع القوم في منتدياتهم بل في منازلهم (قولوا لا إله إلا الله) هذه الكلمة الجليلة العظيمة التي ترفع هذا الإنسان ليكون مع الأنبياء ويختم له بخاتمة السعادة ، وينال ما أعده الرب العظيم الجليل لعباده المتقين من نعيم مقيم لا يحول ولا يزول ، فيه ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين ، نعيم دائم في مقام أمين مع النبيين والصديقين والشهداء وحسن أولئك رفيقًا ، هذه الكلمة التي أذابت فوارق اللون والجنس والهيئة والمجتمع ، فكانوا تحت ظلها عباد الله إخوانًا لا فرق بين عربي أو أعجمي ولا أبيض ولا أسود ، والتفاضل بمقدار ما يقوم به الواحد منهم من قربات وطاعات وخير ما يحققه من امتثال لله رب العالمين فيما أمر به ونهى عنه .

وقد وجدت في صحيح مسلم حديثًا يبين أن رسول الله ﷺ بدأ دعوته بالتوحيد وهو بحال ليس فيه شك أبدًا، لكنه البيان والتوضيح والتعليم فقط ، فالرسالة المحمدية عرفها أهل الكتاب من قبل ، حيث ورد ذكره ﷺ في كتبهم وأنه آخر الأنبياء والمرسلين وخاتم الرسل ، قال تعالى في سورة الصف مخبرًا عن عبده ورسوله عيسى عليه السلام : ﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَابَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴿٦﴾ ﴾[1]

---

(١) الصف : ٦ .

فعن عمرو بن عبسة السلمي رضي الله تعالى عنه قال: كنت وأنا في الجاهلية أظن أن الناس على ضلالة وأنهم ليسوا على شيء وهم يعبدون الأوثان، فسمعت برجل بمكة يخبر أخبارًا؛ فقعدت على راحلتي فقدمت عليه فإذا رسول الله ﷺ مستخفيًا، جراء عليه قومه فتطلفت حتى دخلت عليه بمكة فقلت له: ما أنت؟ قال: «**أنا نبي**»، فقلت: وما نبي؟ قال: «**أرسلني الله**» فقلت: وبأي شيء أرسلك؟ قال: «**أرسلني بصلة الأرحام وكسر الأوثان، وأن يوحد الله لا يشرك به شيء**»، فقلت: ومن معك على هذا؟ قال: «**حرٌّ وعبدٌ**» قال: ومعه يومئذ أبو بكر وبلال ممن آمن به، فقلت: إني متبعك. قال: «**إنك لا تستطيع ذلك يومك هذا ألا ترى حالي وحال الناس؟ ولكن ارجع إلى أهلك، فإذا سمعت بي قد ظهرت فأتني**» قال: فذهبت إلى أهلي... الحديث.

والشاهد قوله ﷺ: «**وأن يوحد الله ولا يشرك به شيء**».

ولتمام الفائدة أكمل الحديث وهو في صحيح مسلم كتاب صلاة المسافرين باب إسلام عمرو بن عبسة.

وقدم رسول الله ﷺ المدينة وكنت في أهلي، فجعلت أتخبر الأخبار وأسأل الناس حين قدم المدينة حتى قدمت على نفر من أهل يثرب، فقلت: ما فعل هذا الرجل الذي قدم المدينة؟ فقالوا: الناس إليه سراع، وقد أراد قومه قتله فلم يستطيعوا ذلك، فقدمت المدينة فدخلت عليه فقلت: يا رسول الله: أتعرفني؟ قال: «**نعم، أنت الذي لقيتني بمكة**». قال: فقلت: بلى. فقلت: يا نبي الله أخبرني عما علمك الله وأجهله، أخبرني عن الصلاة قال: «**صل صلاة الصبح ثم أقصر عن الصلاة حتى تطلع الشمس حتى ترتفع فإنها تطلع بين قرني شيطان وحينئذ يسجد لها الكفار، ثم صل فإن الصلاة مشهودة محضورة حتى يستظل الظل بالرمح، ثم أقصر عن الصلاة فإن حينئذ تسجر جهنم، فإذا أقبل الفيء فصل، الصلاة مشهودة محضورة حتى تصلي، ثم أقصر عن الصلاة حتى تغرب الشمس فإنها تغرب بين قرني شيطان وحينئذ يسجد لها الكفار**» قال: فقلت: يا نبي الله فالوضوء؟ حدثني عنه قال: «**ما منكم رجل يقرب وضوءه فيمضمض ويستنشق فينثر إلا خرت خطايا وجهه وفيه وخياشيمه، ثم ذا غسل وجهه كما أمره الله إلا خرت خطايا وجهه من أطراف لحيته مع الماء، ثم يغسل يديه إلى المرفقين إلا خرت خطايا يديه مع أنامله مع الماء، ثم يمسح رأسه إلا خرت خطايا رأسه من أطراف شعره مع الماء، ثم يغسل قدميه إلى الكعبين إلا خرت خطايا رجليه من أنامله مع الماء، فإن هو قام فصلى فحمد الله وأثنى عليه ومجده بالذي هو له أهل وفرغ قلبه لله إلا انصرف من خطيئته كهيئة يوم ولدته أمه**».

فحدث عمرو بن عبسة بهذا الحديث أبا أمامة صاحب رسول الله ﷺ فقال له أبو أمامة : يا عمرو بن عبسة انظر ما تقول في مقام واحد يعطي هذا الرجل ؟ فقال عمرو : يا أبا أمامة : لقد كبرت سني ورق عظمي واقترب أجلي وما بي حاجة أن أكذب على الله ولا على رسول الله ، لو لم أسمعه من رسول الله ﷺ إلا مرة أو مرتين أو ثلاثًا (حتى عد سبع مرات) ما حدثت به أبدًا، ولكني سمعته أكثر من ذلك[1] هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى ها هو أبو سفيان رضي الله عنه قبل أن يسلم ، وذلك زمن صلح الحديبية، وهو يجيب على أسئلة هرقل عندما سأله عن حالة رسول الله ﷺ قال : ما يأمركم . قال أبو سفيان : قلت : يقول : **« اعبدوا الله وحده ولا تشركوا به شيئًا ، واتركوا ما يقول آباؤكم »** والحديث بتمامه أورده الإمام البخاري في صحيحه في باب بدء الوحي ، أذكره لتمام الفائدة: حدثنا أبو اليمان الحكم بن نافع قال : أخبرنا شعيب عن الزهري قال : أخبرني عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود أن عبد الله بن عباس أخبره أن أبا سفيان بن حرب أخبره أن هرقل أرسل إليه في ركب من قريش – وكانوا تجارًا بالشام – في المدة التي كان رسول الله ﷺ مادّ فيها أبا سفيان وكفار قريش فأتوه وهم بإيلياء[2] فدعاهم في مجلسه وحوله عظماء القوم ثم دعاهم ودعا بترجمانه فقال : أيكم أقرب نسبًا بهذا الرجل الذي يزعم أنه نبي ، فقال أبو سفيان : فقلت : أنا أقربهم نسبًا فقال : أدنوه مني وقربوا أصحابه فاجعلوهم عند ظهره ، ثم قال لترجمانه : قل لهم إني سائل هذا عن هذا الرجل فإن كذبني فكذبوه قال : فوالله لولا الحياء من أن يأثروا على كذبًا لكذبت عنه ، ثم كان أول ما سألني عنه أن قال : كيف نسبه فيكم ؟ قلت : هو فينا ذو نسب ، قال : فهل قال هذا القول منكم أحد قط قبله ؟ قلت : لا ، قال : فهل كان من آبائه من ملك ؟ قلت : لا ، قال : فأشراف الناس يتبعونه أم ضعفاؤهم ؟ فقلت : بل ضعفاؤهم ، قال : أيزيدون أم ينقصون ؟ قلت : بل يزيدون ، قال : يرتد منهم أحد سخطة لدينه[3] بعد أن يدخل فيه ؟ قلت : لا ، قال : فهل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال ؟

---

(١) صحيح مسلم كتاب صلاة المسافرين جـ١ ص٥٦٩ ، دار إحياء التراث العربي بيروت .

(٢) مادّ : أي أطال بها وهي مدة صلح الحديبية ، وإيلياء هي بيت المقدس .

(٣) سخطة : هي الكراهة للشيء وعدم الرضى به .

قلت : لا ، قال : فهل يغدر ؟ قلت : لا ، ونحن منه في مدة لا ندري ما هو فاعل فيها ، قال : ولم تمكني كلمة أدخل فيها شيئًا غير هذه الكلمة ، قال : فهل قاتلتموه ؟ قلت : نعم ، قال : فكيف كان قتالكم إياه ؟ قلت : الحرب بيننا وبينه سجال ، ينال منا وننال منه ، قال : ماذا يأمركم ؟ قلت : يقول : « **اعبدوا الله وحده ولا تشركوا به شيئًا واتركوا ما يقول آباؤكم** » (وهذا هو الشاهد) ويأمرنا بالصلاة والصدق والعفاف والصلة ، فقال للترجمان : قل له : سألتك عن نسبه فذكرت أنه فيكم ذو نسب ، فكذلك الرسل تبعث في نسب قومها ، وسألتك هل قال أحد منكم هذا القول ؟ فذكرت أن لا ، فقلت : لو كان أحد قال هذا القول قبله لقلت : رجل يأتسي[1] بقول قيل قبله ، وسألتك هل كان من آبائه من ملك ؟ فذكرت أن لا قلت ، فلو كان من أبائه من ملك قلت : رجل يطلب ملك أبيه ، وسألتك هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال ؟ فذكرت أن لا ، فقلت : أعرف أنه لم يكن ليذر الكذب على الناس ويكذب على الله ، وسألتك أشراف الناس اتبعوه أم ضعفاؤهم ؟ فذكرت أن ضعفاءهم اتبعوه وهم أتباع الرسل ، وسألتك أيزيدون أم ينقصون ؟ فذكرت أنهم يزيدون وكذلك أمر الإيمان حتى يتم ، وسألتك أيرتد أحد سخطة لدينه بعد أن يدخل فيه ؟ فذكرت أن لا ، وكذلك الإيمان حين تخالط بشاشته القلوب ، وسألتك هل يغدر ؟ فذكرت أن لا ، وكذلك الرسل لا تغدر ، وسألتك بما يأمركم ؟ فذكرت أنه يأمركم أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئًا وينهاكم عن عبادة الأوثان ويأمركم بالصلاة والصدق والعفاف فإن كان ما تقول حقًا فسيملك موضع قدمي هاتين ، وقد كنتم أعلم أنه خارج ولم أكن أظن أنه منكم فلو أني أعلم أخلص[2] إليه لتجشمت لقاءه ، ولو كنت عنده لغسلت عن قدميه ، ثم دعا بكتاب رسول الله ﷺ الذي بعث به دحية إلى عظيم بصرى فدفعه إلى هرقل فقرأه ، فإذا فيه : « **بسم الله الرحمن الرحيم من محمد عبد الله ورسوله إلى هرقل عظيم الروم ، سلام على من اتبع الهدى ، أما بعد : فإني أدعوك بدعاية الإسلام[3] ، أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين فإن توليت فإن عليك**

---

(١) أي : يقتدي ويتبع .
(٢) أي : أصل إليه .
(٣) أي : بكلمة الداعية إلى الإسلام وهي شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله .

إثم الأريسيين[1] و﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ أَلَّا نَعۡبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشۡرِكَ بِهِۦ شَيۡـٔٗا وَلَا يَتَّخِذَ بَعۡضُنَا بَعۡضًا أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِۚ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَقُولُواْ ٱشۡهَدُواْ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ ٦٤ ﴾ .

قال أبو سفيان : فلما قال ما قال وفرغ من قراءة الكتاب كثر عنده الصخب وارتفعت الأصوات وأخرجنا ، فقلت لأصحابي حين أخرجنا : لقد أمر أمر[2] ابن أبي كبشة إنه يخافه ملك بني الأصفر[3] فما زلت موقنًا أنه سيظهر حتى أدخل الله علي الإسلام ، وكان ابن الناطور[4] صاحب إيلياء وهرقل سقفًا على نصارى الشام ، يحدث أن هرقل حين قدم إيلياء أصبح يومًا خبيث النفس فقال بعض بطارقته : قد استنكرنا هيئتك قال ابن الناطور : وكان هرقل حزاء[5] ينظر في النجوم فقال لهم حين سألوه : إني رأيت الليلة حين نظرت في النجوم ملك الختان قد ظهر فمن يختتن من هذه الأمة ؟ قالوا : ليس يختتن إلا اليهود فلا يهمنك شأنهم ، واكتب إلى مدائن ملكك فيقتلوا من فيهم من اليهود ، فبينما هم على أمرهم أتي هرقل برجل أرسل به ملك غسان[6] يخبر عن خبر رسول الله ﷺ فلما استخبره هرقل قال : اذهبوا فانظروا مختتن هو أم لا ، فنظروا إليه فحدثوه أنه مختتن ، وسأله عن العرب فقال : هم يختتنون ، فقال هرقل : هذا ملك هذه الأمة قد ظهر ، ثم كتب هرقل إلى صاحب له برومية وكان نظيره في العلم وسار هرقل إلى حمص فلم يرم حمص حتى أتاه كتاب من صاحبه يوافق رأي هرقل على خروج النبي ﷺ ، وأنه نبي فأذن هرقل لعظماء الروم في دسكرة[7] له بحمص ثم أمر بأبوابها فغلقت ثم اطلع فقال : يا معشر الروم هل لكم في الفلاح والرشد وأن يثبت ملككم فتبايعوا هذا النبي فحاصوا حيصة حمر الوحش إلى الأبواب فوجدوها غلقت ، فلما رأى هرقل نفرتهم وأيس من الإيمان قال: ردوهم علي، وقال: إني قلت مقالتي آنفًا أختبر بها شدتكم على دينكم، فقد رأيت فسجدوا له ورضوا عنه، فكان ذلك آخر شأن هرقل. رواه صالح بن كيسان

---

(١) جمع أريسي وهو الفلاح وقيل : الأمير .

(٢) أي عظم شأنه ، وكبشة كنية أبي النبي ﷺ من الرضاعة .

(٣) أي الروم لأن جدهم تزوج بنت ملك الحبشة فجاء ولده بين البياض والسواد فقيل له : الأصفر .

(٤) حارس البستان .

(٥) أي : كاهن .

(٦) عظيم بصرى .

(٧) بناء كالقصر .

ويونس ومعمر عن الزهري[1].

سقت هذا التمام للربط بين الدعوة والتاريخ والسيرة ، وهو دليل على أن هرقل النصراني أقر بما جاء به النبي ﷺ من عند الله وهو الإخلاص في العبادة وترك الأوثان كما جاءت به الأنبياء من قبله وهو ما وقف عليه هرقل في كتبهم كما اتضح من المحاورة بينه وبين أبي سفيان بن حرب . ومن هذا يتضح جليًا أن من كان مع أبي سفيان في هذه الرحلة عرفوا الحق لكنهم غمطوه ، ولما رجعوا إلى مكة لم يظهروا ذلك ، وكان أن النبي ﷺ دخل بعد هذه الهدنة بأقل من عامين إلى مكة المكرمة ، وكان الفتح ودخل الناس في دين الله أفواجًا وظهر الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقًا .

والجدير ذكره أن ما أوردته غيض من فيض ، فالسيرة النبوية مملوءة بمثل هذه المواقف وهي زاد الداعية إلى الإسلام ليرى كيف كانت دعوته ﷺ وكيف كانت حاله مع هذه الدعوة من خلال صدّ وردّ وعناد القوم ، سواء في عهد الدعوة المكي أو المدني أو بعد أن قامت دولة الإسلام في مكة المكرمة أو المدينة المنورة حيث بعث ﷺ البعوث وأرسل الكتب إلى ملوك ورؤساء وزعماء ذلك الزمان يقول لهم : « **قولوا : لا إله إلا الله محمد رسول الله** » كلمة التوحيد الخالدة ، وقد ذكرت في الفصل الثالث من هذا الباب كل ما يتعلق بثقافة الداعية وأن في مقدمة تلك الثقافة ، الثقافة الشرعية ومعرفة سيرة سيد المرسلين محمد بن عبد الله ﷺ ، والوقوف على هذه السيرة العطرة تدبرًا وتفكيرًا واستفادة كي يقوم الداعية بواجبه نحو الدعوة على أتم الدعوة وأكمل وجه .

وسيرة الرسول ﷺ واضحة بينة في متناول الجميع ، يجب على دعاة الإسلام استنباط الفوائد والعبر منها حيث كان صلوات الله وسلامه عليه يتحدى قومه بالقرآن الكريم الكتاب المعجز ، حتى إن بعض كبار رجالأت قريش الكافرة يتعنتون على الرسول ﷺ في بيته وفي الدور والأماكن التي كان يجتمع فيها مع أصحابه لشدة وقع تأثير هذا الكتاب على أنفسهم ، وعندما يحس الواحد منهم بالآخر وهو يتصنت مثله يتعاهدون أن لا يعودوا ، وفي اليوم التالي يعودون ليسمعوا هذا الكلام المبهر ، وذلك لما وجدوا فيه من حلاوة وبلاغة وتأثير ، لهذا لا بد أن نذكر إخوتنا الدعاة بتوظيف هذا في الدعوة إلى الله وأعني بذلك

---

(١) صحيح البخاري ج١ ص٧ عالم الكتب .

(الإعجار) العظيم الذي في كتاب الله العزيز ، ومن فضل الله على بلاد الحرمين الشريفين أن هناك هيئة عليا تعنى بالإعجاز العلمي في القرآن الكريم أو بالإعجاز القرآني بشكل عام ، ومقرها مكة المكرمة ، البلد الذي نزل على بطاحه قول الحق تبارك وتعالى : ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝٣ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلْإِنسَـٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝٥ ﴾ فدوت هذه الكلمات المباركات في جنبات المعمورة حتى إن الجِنَّة قالت عندما استمعت إلى هذا الذكر : ﴿ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ۝١ ﴾ .

ومما لا شك فيه أن ثقافة الداعية القرآنية في مقدمة العدة التي يجب أن يعتمد عليها في بيانه ودعوته ، وقد ذكرت في كتابي : (عدة الداعية المسلم) ذلك وأكدت على ضرورة العلم بكتاب الله قراءة وتجويدًا وحفظًا وتفسيرًا وتذكيرًا لأنه كلام رب العالمين المحفوظ من التحريف والتغيير والتبديل ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ ۝٩ ﴾ لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من رب العالمين لا إله غيره ولا رب سواه .

وقد أوردت في النقطة الأولى نماذج مشرقة من آي الذكر الحكيم التي تضمنت دعوة بعض الأنبياء وأنها دعوة محمد ﷺ ، دعوة التوحيد ؛ لأنهم جميعًا عليهم السلام أتوا بهذا الأمر من صاحب الأمر سبحانه وتعالى .

ومن خلال السنة المطهرة يحسن أن أوضح النقاط التالية للدلالة على أن رسول الله ﷺ سار على هذا المنهج :

أولًا : كان رسول الله ﷺ يبايع من دخل في الإسلام عليها - وأعني كلمة التوحيد - حتى إن هذا كان مع كبار صحابته رضي الله تعالى عنهم ، وكان أيضًا يبايع النساء إلا أنه لم يصافحهن عند المبايعة وهو دليل يؤكد على حرص الرسول ﷺ على هذا المنهج ﴿ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرُهُۥ ﴾ .

ثانيًا : ثبت في الحديث الصحيح الصريح ما كان بين رسول الله ﷺ والصحابي الجليل معاذ عندما بعثه إلى اليمن قال له ﷺ : « **إنك تأتي قومًا من أهل الكتاب فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله وأني رسول الله** » والحديث بتمامه في صحيح الإمام مسلم ، رواه ابن عباس رضي الله عنهما فقال : إن معاذًا قال : بعثني رسول الله ﷺ فقال : « **إنك تأتي قومًا من أهل الكتاب فادعهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأني رسول الله**

فإن هم أطاعوا لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة، فإن هم أطاعوا لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد في فقرائهم ، فإن هم أطاعوا لذلك فإياك وكرائم أموالهم ، واتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حجاب »[1].

ثالثًا : شرع الجهاد في سبيل الله تعالى من أجل التوحيد الذي هو إفراد الله بالعبادة والذي خلق الإنسان من أجله ، قال تعالى : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦ ﴾ لتعمر هذه الأرض بالطاعات ويعيش الإنسان في ظل دين التوحيد الإسلام الخالد الذي أتى لسعادة الإنسان في الدارين ، وبذلك تطهر الأرض من الشرك ويتحرر الإنسان من عبادة العباد لينعم بعبادة رب العباد سبحانه وتعالى فيسود الأمن والرخاء والسلام والأمان والخير ، قال تعالى : ﴿ وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ ۖ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَلَا عُدْوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ۝١٩٣ ﴾[2].

رابعًا : جميع الكتب التي أرسلها ﷺ إلى الملوك والرؤساء في ذلك الزمان كانت تدعو إلى التوحيد ، وقد ذكرت نماذج من ذلك في كتابي (الأسلوب النبوي في الدعوة) في الباب الرابع عند الحديث عن دعوته ﷺ حكام العالم ، وذلك في الصفحة ٣٥١ وأوردت صورًا من كتبه ﷺ إليهم .

خامسًا : كان صلوات الله وسلامه عليه يوجه قواده في بعوثه وسراياه إلى أن يبدءوا أولًا بدعوة الناس إلى التوحيد ، وأن هذا التجهيز إنما هو للجهاد في سبيل الله لإعلاء كلمة التوحيد « لا إله إلا الله » ويقول لهم ﷺ : **« ومن قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله »** إلى غير ذلك من المواقف الكثيرة التي كان فيها رسول الله ﷺ موضحًا ومبينًا ومؤكدًا على أصحابه أن الغزو هدفه إعلاء كلمة التوحيد وانقاذ الناس من الشرك والضلال وعبادة غير الله تعالى .

وفي الختام يتبين لنا أن الدعوة المحمدية هي امتداد لما نزل على رسل الله صلى الله عليهم وسلم من أمر عظيم من رب العزة والجلال .

---

(١) صحيح مسلم كتاب الزكاة باب وجوب الزكاة .

(٢) البقرة آية ١٩٣ .

وصدق ربنا الجليل العظيم إذ يقول في كتابه العزيز : ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُ ۚ فَسِيرُوا۟ فِي ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٦﴾ ﴾[1].

وقد أكدت على هذا المفهوم في كتابي (العقيدة أولًا معشر الدعاة) والذي تركز الحديث في جميع فصوله على هذا المعنى ؛ لأنه هو الأساس والمنطلق إلى نشر هذا الدين بين الناس أجمعين .

ودين الله واحد قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾ إلا أن الشرائع تختلف من رسول إلى آخر كما يعلم دعاة الإسلام ينسخ بعضها البعض الآخر أو يؤيد بعضها البعض الآخر في بعض الأمور حتى أتت الشريعة الخاتمة مع النبي ﷺ ، والذي اقتضت إرادة المولى جل وعلا وحكمته أن تكون خاتمة الشرائع منزلة على عبد الله ورسوله محمد بن عبد الله ﷺ ، فلله الحمد أن جعلنا من أمة هذا النبي الخاتم ﷺ .

* * *

(١) سورة النحل آية ٣٦ .

المبحث الثاني : دراسة نماذج من حياة الرسول ﷺ وأخلاقه للاقتداء والتأسي وكيف كانت أخلاقه ﷺ وسيرته من أقوى سبل الدعوة إلى الإسلام

الباب الثاني في هذا الكتاب يتحدث عن القاعدة الثانية من قواعد الدعوة الإسلامية وهي المتعلقة بالداعي ، والحديث عن الداعي لا معنى له إن لم يكن الهدف منه بيان حال الداعي الأول ورسول الهدى صاحب هذه الرسالة الخاتمة سيدنا محمد بن عبد الله ﷺ الذي أنار له الحق تبارك وتعالى الطريق وأبان كل ما يتعلق بإبلاغ هذا الدين في آيات بينات تتلى إلى يوم القيامة وفي تسديد وتوفيق إلهي من خلال الإعداد الرباني لهذا النبي الكريم ﷺ .

وفي الحديث الثالث من الفصل الثاني في هذا الكتاب عن صفات الداعي وكان منها : (التأسي بالرسول ﷺ) وبعض الصفات الرئيسية التي لا يستغنى عنها أي إنسان سوى ، ناهيك عن الإنسان الذي أكرمه الله تعالى بالإسلام واتباع خير الأنام عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم، وقد تحدثت في الفصل المذكور عن بعض صفات الداعية المسلم اعتمادًا على هدي خير العباد ﷺ، وهذه الصفات التي ذكرتها في هذا الفصل يمكن الرجوع إليها.

ولعله من المستحسن أن أقف على نماذج أخرى من حياة سيد المرسلين ﷺ ، هذا المبحث لبيان كيف كانت أخلاقه ﷺ وسيرته من أقوى سبل الدعوة والذي يجب على الداعية المسلم أن يسير على نهجها ، وأن يتلمس تلك الخطى النبوية ؛ لأن الدعوة في هذا الزمان بالذات الذي تكالبت فيه قوى الشر والضلالة على أمة الإسلام في أمس الحاجة إلى انطلاقات ثابتة قوية معتمدة على ترسم خطى سيد المرسلين ﷺ لنصل بالدعوة الإسلامية إلى ما نطمح إليه جميعًا ؛ كي تعمل بجد على إنقاذ البشرية مما وقعت

فيه من ظلم وجور وضلالات بسبب تنكبها عن الصراط المستقيم وبعدها عن خالقها ومولاها سبحانه وتعالى وتوجهها إلى غيره في الجاهلية الحديثة التي تعيشها البشرية الآن فالعالم اليوم يموج في ظلمات بعضها فوق بعض وجرب الكثير من الفلسفات والاعتقادات التي اختصها الإنسان لنفسه من إلحادية وشيوعية وإباحية ، وما نتج عن هذا الركام من أنظمة سياسية واجتماعية جعلت من هذا المخلوق آلة صماء ، وذلك باهتمامها بجانب واحد فقط من جوانبه وهو الجانب الجسدي تاركة الروح تغرق في تيه هذا الجسد وتمرده على الفطرة السليمة وركونه إلى الهوى واللذة الغير محدودة بنظام ، الغير منضبطة بضابط حتى إنها انحدرت بهذا الإنسان إلى مهاوي الردى وأوقعه مواقع الخني والرذيلة حتى حد الغرق .

وليس له منقذ إلا هذا الدين الذي ارتضاه رب العالمين لعباده فهي مسئولية عظيمة ومهمة شاقة لا يمكن أن تنجح فيها إلا بترسم خطى الهادي البشير والسراج المنير ﷺ ، لأنه ﷺ قدوتنا ومعلمنا الذي قام بهذه الدعوة خير قيام مترسمًا خطى التوجيه الإلهي فيما ينزل عليه من آي الذكر الحكيم ، الأمر الذي جعله يعنى في دعوته بالرغم من تصدي المجتمع المكي لها بقوة وعنف وعناد وصلابة لا نظير لها على الإطلاق حتى إنهم اتفقوا على قتله كي يتفرق دمه بين القبائل ويصلوا إلى مرادهم من هذا الذي سفه أحلام الآباء والأجداد بقوله : « **قولوا لا إله إلا الله** » وما هي إلا عصبة قليلة بدد نور الإسلام الظلام الذي كان يحيط بها فآمنت وصدقت وتحملت في سبيل الله ألوانًا من الأذى ، وكان لها النصر والفوز والتمكين والجزاء الأوفى من رب العزة والجلال ، رفع شأنهم وذكرهم في الدنيا ، ويوم القيامة يلقونه ، موطنهم الدرجات العلا ، لقاء ما قاموا به من أعمال جليلة في ذلك الوقت العصيب يوم كان فيها الواحد منهم في حكم المنبوذين ، حتى إنهم أطلقوا على من آمن بالنبي ﷺ (الصابئ) وكل يوم يزداد عدد الذين صبأوا حتى عم هذا الدين ودخل كل بيت جهارًا أو خفية .

استمرت المعاناة بسبب عناد المعاندين ومؤامرات اليهود المارقين عندما شرف الهادي البشير أرض المهاجر (المدينة المنورة) إلا أنه وصحبه الكرام استمروا مستعينين بالله يجاهدون ليبلغ هذا الدين ما بلغ الليل والنهار ، فكان لهم من الله النصر والتمكين وتهاوت رءوس البغي والعناد الواحد بعد الآخر ، ولم يبق منها شيء بفضل حكمه وجهاد رسول الله ﷺ شفيع الأمة ﷺ وحسن سيرته وحسن خلقه ، والذي سنقف على بعض منه من خلال النقاط التالية :

○ *أولًا : حسن الخلق :*

يقول الحق تبارك وتعالى في كتابه العزيز : ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾[1]، وأم المؤمنين الصديقة بنت الصديق رضي الله عنها وأرضاها تقول عندما سئلت عن أخلاق رسول الله ، رسول الأمة الشافع المشفع ﷺ : (كان خلقه القرآن) الله أكبر ، القرآن هذا الكتاب المعجز ، كلام رب العالمين سبحانه وتعالى ، وما فيه من أخلاق وآداب وأخبار الأمم السابقة ، وحكم ، وفصل فيما بين العباد ، وخير عميم – لا عجب في ذلك فهو سبحانه وتعالى صاحب الأمر ، إليه يرجع الأمر كله لا إله غيره ولا رب سواه يفعل ما يريد ، يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور ، اختار هذا النبي ﷺ من بين خلقه فكان التشريف والتكريم لهذه الأمة ، أسبغ عليه من جوده وكرمه وعنايته ورحمته الشيء الذي جعله أشرف الخلق وأحبهم إلى الله سبحانه وتعالى – ومخلوق هذه صفته وهذه منح الله له لا بد أن يكون خلقه القرآن الكريم ، ﷺ .

وهنا نكتة هامة بالنسبة لموضوع الكتاب كله (قواعد الدعوة الإسلامية) وهي مسألة الأخلاق – التي جعلت من ذلك الأعرابي الذي كان لا يطيق رؤية رسول الله ﷺ يتبدل إلى عكس ذلك تمامًا فيحبه ويجله إلى درجة عظيمة ، وذلك لما رأى من خلق رسول الله ﷺ وتعامله المبارك معه .

حتى إن الرسول ﷺ قال مبينًا أهمية الأخلاق : « **إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق** » وفي الموطأ رواه الإمام مالك بلاغًا عن النبي ﷺ بلفظ : « **إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق** »[2].

وقد امتدح الحق تبارك وتعالى هذا الرسول ﷺ بحسن الخلق ، فقال جل وعلا : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾[3] فلا بد للداعية المسلم أن يعطي هذا الجانب أهمية خاصة لما له من أثر كبير على مسار الدعوة ، وصدق الشاعر أحمد شوقي عندما قال :

صلاح أمرك للأخلاق مرجعه ... فقوِّم النفس بالأخلاق تستقم

وكان خلق معلمنا وقدوتنا محمد ﷺ القرآن، فعلى الداعية المسلم أن يكتسب الأخلاق

---

(١) سورة الأحزاب آية ٢١ . (٢) مسند أحمد ج٢ ص٣٨١ . (٣) سورة القلم آية ٤ .

الفاضلة والصفات الحميدة من رسول الله ﷺ الذي اكتملت في شخصيته ﷺ وتحلى بها ، حتى إن الأعداء شهدوا له بها عليه الصلاة والسلام . وقد أفردت في كتابي (عدة الداعية المسلم) مبحثًا أوردت فيه نماذج في الدعوة من أخلاقه ﷺ[1] .

○ ثانيًا : الحلم والأناة :

الحلم سيد الأخلاق ، والأناة والتريث من أهم أسباب النجاح في الدعوة ، ونبي الرحمة صاحب المقام المحمود والحوض المورود ﷺ ضرب لأمته أروع الأمثلة في الحلم .

وهو من الخصال التي يحبها الله تعالى ، كما قال ﷺ للأشج ، فعن ابن معاذ عن أبيه قال : قال رسول الله ﷺ لأشج عبد القيس : « **إن فيك خصلتين يحبهما الله : الحلم والأناة** »[2] .

ولو عدنا إلى ما لاقاه رسول الله ﷺ من قومه وغيرهم لوجدنا كيف كان عليه الصلاة والسلام حليمًا معهم إلى أبعد ما يكون حيث سجل له التاريخ تلك القدرة الفائقة على ضبط النفس وعدم إظهار الغضب أو التشفي منهم عندما مكنه الله منهم فلم يزد على أن قال لهم : « **لا تثريب عليكم اليوم** » بل إنه ﷺ لم يدع عليهم ، ولو دعا لكانت الاستجابة وذلك برهان على مقدار حلمه ﷺ وصفحه عن قومه ومن تصدى لدعوته .

لقد كان صلوات الله وسلامه عليه يقدم الحلم على الغضب دائمًا ؛ لأنه ﷺ ما كان يغضب لنفسه بل يغضب إذا انتهكت محارم الله سبحانه وتعالى .

لذا أقول لدعاة الإسلام وللمربين والموجهين : اقتدوا بإمامكم محمد ﷺ وتحلوا دائمًا بهذه الصفة (الخلة) ، الحميدة ورب العزة والجلال يقول في كتابه العزيز : ﴿ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿٢٣٥﴾ ﴾[3] .

وعن خليله إبراهيم عليه السلام يقول تعالى : ﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ ﴿٧٥﴾ ﴾[4] .

---

(١) عدة الداعية المسلم للمؤلف ص١٧٤ .

(٢) صحيح مسلم كتاب الإيمان ج١ .

(٣) سورة البقرة آية ٢٣٥ .

(٤) سورة هود آية ٧٥ .

والحديث عن حلمه ﷺ أكثر من أن نأتي عليه ، وكيف لا يكون حليمًا وقد بعثه الله تعالى رحمة للعالمين ، فعلى دعاة الإسلام الحرص على هذه الصفة المحمدية ، وللبيان السريع أورد هذه النماذج المضيئة من سيرته ﷺ فيما يتعلق بحلمه ﷺ .

١ – عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : جاء الطفيل بن عمرو الدوسي إلى النبي ﷺ ، فقال : إن دوسًا قد عصت وأبت فادع الله عليهم ، فاستقبل القبلة رسول الله ﷺ ، ورفع يديه فقال : « **اللهم اهد دوسًا وائت بهم ، اللهم اهد دوسًا وائت بهم ، اللهم اهد دوسًا وائت بهم** »[1] .

٢ – عن عبد الله بن عمر أن عبد الله بن أبي لما توفي جاء ابنه إلى النبي ﷺ ، فقال: أعطني قميصك أكفنه فيه وصل عليه واستغفر له ، فأعطاه قميصه ، وقال : « **آذني أصلي عليه** » فآذنه فلما أراد أن يصلي جذبه عمر ، فقال : أليس الله نهاك أن تصلي على المنافقين ؟ فقال أنا بين خيرين قال : ﴿ ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ ﴾ فصلى عليه فنزلت هذه الآية ﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا ﴾[2] .

٣ – عن أنس بن مالك قال : كنت أمشي مع رسول الله ﷺ ، وعليه برد نجراني غليظ الحاشية فأدركه أعرابي فجبذه بردائه جبذة شديدة حتى نظرت إلى صفحة عنق رسول الله ﷺ قد أثرت بها حاشية البرد من شدة جبذته ، ثم قال : يا محمد مر لي من مال الله الذي عندك ، فالتفت إليه رسول الله ﷺ ثم ضحك ثم أمر له بعطاء[3] .

٤ – عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت : ما ضرب رسول الله ﷺ خادمًا قط وما ضرب بيده إلا أن يجاهد في سبيل الله ، وما نيل منه شيء فانتقم من صاحبه إلا أن تنتهك محارم الله عز وجل ، وما عرض عليه أمران أحدهما أيسر من الآخر إلا أخذ بأيسرهما إلا أن يكون إثمًا فإن كان إثمًا كان أبعد الناس عنه[4] .

هذا وإن في هذه الصفة الخير الكثير ؛ لأن الداعية يتعامل مع أناس شتى ، فيهم المتعلم والجاهل والمعاند وأصحاب الأهواء ودعاة الضلالة وأهل البدع والخرافات ، أي ملل ونحل

---

(١) متفق عليه أخرجاه في الفضائل .

(٢) أخرجه البخاري في تفسير سورة التوبة ، ومسلم في فضائل عمر .

(٣) أخرجه البخاري في اللباس ومسلم في الزكاة .

(٤) أخرجاه في الصحيحين : البخاري في الحدود ، ومسلم في الفضائل .

كثيرة ، فلا بد له أن يتحلى بالحلم والأناه كما كان الهادي البشير والسراج المنير ﷺ .

○ ثالثًا : التواضع :

التواضع ضد الكبر ، ورسولنا الكريم عليه أفضل الصلاة والتسليم معلم التواضع ، فقد كان ﷺ لين الجانب يتودد لأصحابه ، ضرب للبشرية أروع الأمثلة في التواضع ، حذر أمته من الكبر وبين لهم أن الرب سبحانه وتعالى لا يحب المتكبرين ، وأنه لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر .

وعن عمر رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ : « **لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى ابن مريم ، فإنما أنا عبد ، فقولوا عبد الله ورسوله** »[1] .

كما أورد الإمام البخاري رحمه الله تعالى في كتاب الأدب باب الكبر حديثًا عن حارثة بن وهب الخزاعي رضي الله عنه عن النبي ﷺ ، قال : « **ألا أخبركم بأهل الجنة : كل ضعيف متضعف لو أقسم على الله لأبره ، ألا أخبركم بأهل النار : كل عتل جواظ مستكبر** » وقال محمد بن عيسى: حدثنا هشيم أخبرنا حميد الطويل حدثنا أنس بن مالك قال: كانت الأمة من إماء أهل المدينة لتأخذ رسول الله ﷺ فتنطلق به حيث شاءت[2] .

وذلك من شدة تواضعه ﷺ ، وهو نبي الأمة وأشرف الخلق . فهو ﷺ المثل الأعلى في التواضع ، وفيما ذكرناه سابقًا الخير والكفاية ، فعلى دعاة الإسلام الاتصاف بهذه الصفة المباركة ؛ لأن التواضع يمكنهم من النجاح في دعوتهم إذ كيف يكون الداعية إلى هذا الدين العظيم غير متواضع ، فقلوب المدعوين تحب المتواضع وتنفر من المتكبر ، فاحرص أخي الداعية على التواضع في كل آن وحين ، واعلم أنه لا يأتي إلا بخير ، وقد قيل : من تواضع لله رفعه .

وما أحوج الداعية المسلم إلى أن يصل إلى قلوب المدعوين بسهولة ويسر ، وهذا يكون عن طريق التواضع .

إن ما ذكرت أنفًا عبارة عن أمثلة ، وإلا فجميع الأخلاق النبوية الكريمة التي تجسدت في شخصية هذا النبي الكريم ﷺ والتي ذكر منها في كتاب الله العزيز وبينها ﷺ في

---

(١) أخرجه الإمام البخاري في بدء الخلق .

(٢) صحيح البخاري كتاب الأدب ج١٠ ص٣٧ . عالم الكتب .

سنته المطهرة واجبة الاتباع من قِبَلِ أتباعه ﷺ، وهي لمن يتصدى للدعوة آكد، يجب عليه أن يتأسى برسول الله ﷺ في الامتثال والتحلي بها ، وتمام الفائدة أوردها ، وهي العفو والصفح والصدق والإخلاص والحياء والكرم والأمانة والشجاعة والذكاء والوفاء والإيثار والتقوى والورع والنظام والقصد والاعتدال والعزيمة والهمة والثقة بالله والدقة والاعتزاز بالإسلام ، وإدراك الداعية لما حوله والتدرج في الدعوة والرحمة والمحافظة على الوقت .

ولا بد من تذكير الداعية المسلم بضرورة دراسة السيرة النبوية والتفقه بها ليكون الاقتداء على علم ، فقد كانت سيرته وأخلاقه ﷺ من أقوى سبل الدعوة كما بينت في الصفحات السابقة .



الباب الثالث

القاعدة الثالثة : (المدعو)

- الفصل الأول : المدعو
- الفصل الثاني : حقوق المدعو
- الفصل الثالث : واجبات المدعو
- الفصل الرابع : كيف تتم الدعوة

* * *

الفصل الأول

المدعــو

- المبحث الأول : التعريف بالمدعو
- المبحث الثاني : أنواع المدعوين

* * *

المبحث الأول : التعريف بالمدعو

لما كانت الدعوة الإسلامية دعوة عامة خالدة ، للناس كافة ، فإن المدعوين هم جميع الناس .

فالإسلام رسالة الحق سبحانه وتعالى للخلق جميعًا ، ومحمد ﷺ هو المبعوث من عند الله سبحانه وتعالى للناس جميعًا قال تعالى : ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾[1] .

وخاطب جل وعلا الناس جميعًا في الآية الكريمة من سورة البقرة ، فقال سبحانه وتعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ ﴾[2] .

إذ المدعو هو الإنسان ذلك الكائن الحي الذي خلقه الله سبحانه وتعالى وصوره فأحسن خلقه وصورته ، هذا الإنسان العاقل البالغ أيًا كان موقعه وموطنه ، وأيًا كان شكله ولونه وجنسه وعمله ونوعه ، هذا الإنسان الذي خلق للعبادة هو القاعدة الثالثة من قواعد الدعوة والتي قلنا بأنها أربع : موضوع الدعوة ، فالداعي ، فالمدعو ، فالوسيلة، عليه فإن هذا الإنسان مهما كان مستواه الثقافي أو الاجتماعي أو الاقتصادي أو السياسي هو المخاطب والمأمور بالعبادة وإخلاصها للخالق سبحانه وتعالى ، وهو المعنى بالدعوة الموجهة إليه ، الدعوة دون النظر إلى الفوارق التي عادة ما تكون بين الناس في جميع الجوانب الحياتية ، الكل لآدم ، وآدم من تراب .

فالداعي مكلف بأن يوصل دعوته إلى كل إنسان يستطيع أن يصل إليه في أي بقعة من العالم ، حسب استطاعته وقدرته وإمكاناته مبتدئًا بالأقرب فالأقرب ، مقتفيًا أثر سيد المرسلين ﷺ ، كما قال جل وعلا : ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾ ﴾ .

فالأهل والأقرباء لهم حقوق، وفي مقدمة تلك الحقوق دعوتهم إلى الدين القويم والصراط المستقيم

---

(١) سورة سبأ الآية ٢٨ .

(٢) سورة البقرة الآية ٢١ .

ببيان ما أمر الله به ومانهي عنه ، وإخلاص العبادة لله سبحانه وتعالى ، والتمسك بتعاليم الدين وبحبل الله المتين ، وعمارة الكون بإشاعة روح الإسلام وشرائعه العظيمة المنزلة على البشير النذير ﷺ ، الهادفة إلى تحقيق الخلافة في الأرض كما أراد الحق تبارك وتعالى .

قال تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾(١) .

وسعادة البشرية جمعاء ، إذ لا سعادة ولا عز ولا كرامة لهذا الإنسان إلا في طاعة الخالق سبحانه وتعالى والخضوع له والالتزام بشرعه ، وإخلاص العبادة له وحده سبحانه وتعالى إذ لا معبود بحق إلا هو جل شأنه ، هو الذي خلق وهو المستحق للعبادة ، إذ خلق هذا الإنسان للعبادة ، كما قال تعالى : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦ ﴾(٢) .

فهذا الإنسان هو المقصود بالدعوة ، لذا قلنا (المدعو) .

مما سبق يتضح لنا أن المقصود بالمدعو في اصطلاح الدعوة الإسلامية هو الإنسان المخاطب بدعوة الإسلام ، أي الإنسان العاقل البالغ ذكرًا كان أو أنثى ؛ لأن الإسلام رسالة الله الخالدة إلى جميع الناس ، والرسول محمد ﷺ بعث للناس كافة أبيضهم وأسودهم أحمرهم وأصفرهم ، عربيهم وعجميهم حتى يرث الله الأرض ومن عليها .

والأمة المحمدية آثمة إذا فرطت في هذا الواجب أو تقاعست عن القيام به ، فما أحوج البشرية اليوم وقبل اليوم إلى هذا الدين ، ونحن الآن في عصر المعلومات والاتصالات نشاهد بأعيننا عن طريق الوسائل الإعلامية حالة الإنسان وشقاءه في ظل الأنظمة الوضعية وفي ظل حكم الطواغيت – بل نسمع صراخه من جنبات المعمورة ينادي : أنقذوني أنقذوني ، فقد غرقت في هذا التيه وليس لي الأمر والله ، أعيدوني إلى خالقي ومولاي فقد نصبت كثيرًا في ظل هذه الحياة البائسة البعيدة عن منهج الله .

لقد سمعت بأذني أحدهم – ممن أكرمه الله بالإسلام – يقول: إنني في حسرة على والدي ماتوا كفارًا، والسبب أنكم معشر المسلمين لم تدعوهما إلى هذا الدين ، لم نعرف عن الإسلام شيئًا، إنه النور والخير لا يحتاج لدعاية أبدًا ، لذا فإنني سأقضي ما بقي من عمري

---

(١) سورة البقرة ٣٠ .

(٢) سورة الذاريات ٥٦ .

في دعوة قومي للإسلام .

هذه مقولة إنسان عاش في ذلك التيه وأنقذ نفسه بالاستجابة لنداء الله فأسلم .

إن المدعوين اليوم في أمس الحاجة لمن يبين لهم هذا الدين ، ونسمع دائمًا بثمار جهود الدعاة في آسيا وأفريقيا وأستراليا وأمريكا وأوروبا ، فلا بد أن نستفيد من الفرص المتاحة ونقوم بواجبنا نحو هذ الدين ، فالمدعوين في انتظارنا فهل نحن فاعلون ؟ أرجو أن تكون الاستجابة بقدر الحاجة وهي كبيرة جدًا .



المبحث الثاني : أنواع المدعوين

نظرًا لتنزيل الرسالات وبعث الرسل من لدن نوح عليه السلام إلى هذا الإنسان ليعبد خالقه ورازقه ومحييه سبحانه وتعالى ، هذا الإنسان (المدعو) لدين الله ، قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾ ومن أكبر تلك الرسالات الربانية ما بينه الحق تبارك وتعالى لهذه الأمة في كتابه العزيز ، وهي رسالة موسى ورسالة عيسى ، وقبلهم رسالة نوح ورسالة إبراهيم ، والكتب المنزلة هي الزبور والتوراة والإنجيل وغيرها ، وبالرغم من هذه العناية الإلهية بهذا الإنسان إلا أنه (انحرف) عن الصراط المستقيم والطريق القويم الموصل إلى رضوان الله سبحانه وتعالى ، وذلك لعدة عوامل في هذا الزمن والأزمنة القديمة ، من خلالها أصبح لدينا عدد غير قليل من أصناف المدعوين الذين انحرفوا عن التوحيد وتعلقوا بمتعلقات كثيرة منها ما له أصل مثل : اليهودية والنصرانية ، ومنها ما ليس له أصل ؛ لأن أصله ومصدره الإنسان الذي تنكب الطريق وغير الفطرة واختط لنفسه عبادة ومعبودًا كالوثنيين ومن هم في حكمهم قديمًا وحديثًا ، وبهذا تنوعت هذه الأصناف .

وحتى يتم حصر جميع تلك الأنواع بكل مسمياتها ومناهجها وطرقها وأزمنتها اتفق العلماء على أنهم لا يخرجون عن الأنواع التالية :

المسلمون ، أهل الكتاب ، المشركون ، الملحدون .

وهي ما سنقف عندها في هذا المبحث لبيان أنواع المدعوين ، معتمدًا في ذلك على كتاب الله العزيز وسنة نبيه المطهرة .

ومما لا شك فيه أن الحديث مفصلًا عن كل نوع يحتاج لبحث مستقل ، لذا سيكون الحديث مركزًا – قدر الإمكان – حتى لا يغلب على بقية القواعد في هذا الكتاب ، ولما كان المدعو هو هذا الإنسان كرمه الحق تبارك وتعالى على جميع المخلوقات وجعله خليفة في الأرض، فإن انحرافاته متشابهة بين عصر وعصر، وهي لا تتعدى هذه التقسيمات التي ذكرت

في كتب العقيدة وأسفار الملل والنحل القديم منها والحديث ، وسأتناول كل نوع من هذه الأنواع الأربعة بشيء من البيان والإيضاح إن شاء الله في الصفحات التالية :

وردت عدة تصنيفات للمدعوين منها :

١ – ما ذكرته في هذا المبحث وهم : المسلمون وأهل الكتاب والمشركون والملحدون .

٢ – قسمهم البعض على النحو الآتي : الملأ ، جمهور الناس ، المنافقون والعصاة .

وسيكون الحديث عن أصناف المدعوين من خلال التقسيم الأول ، والذي يبدأ بالمسلمين ثم أهل الكتاب ثم المشركين فالملحدين .

○ أولًا : المسلمون :

المسلمون من أنواع المدعوين ، ولا أعني بذلك أنهم ارتدوا عن الإسلام أو أنهم وقعوا فيما يوجب الخروج عن الإسلام ، إنما أقصد بدعوتهم تذكيرهم بما أوجب الحق تبارك وتعالى عليهم من واجبات ، وفرض من فرائض ، ووجوب المحافظة عليها بالأعمال الخالصة لله رب العالمين الخالية من الرياء والسمعة ، الموافقة لما جاء به رسول الله ﷺ ، وحتمية العناية بالجانب العقدي ؛ لأن الشيطان يأتي من أغلى وأثمن ما عند الإنسان ، وهو العقيدة الإسلامية (التوحيد) ، فلا بد من التمسك بالعقيدة الصحيحة والحرص عليها وحماية جانب التوحيد من كل ما يؤثر عليه قولًا أو عملًا أو اعتقادًا حتى يلقى المسلم ربه ، وهو من أهل لا إله إلا الله محمد رسول الله المخلص .

إن دعوة المسلمين أو اعتبارهم صنفًا من أصناف المدعوين تعني تعليمهم وإيقاظ الهمم لديهم وتحريك عواطفهم واستثارة وجدانهم ليحافظوا على العقيدة الصحيحة ويحاربوا البدع والخرافات والتي تدخل في حياة المسلم ، ومع مرور الزمن تصبح وكأنها من الدين .

ورسولنا الكريم عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم كان يتخول أصحابه بالموعظة بين الحين والآخر ، ولما كان الإنسان معرضًا للنسيان فلا بد من تذكيره ولفت انتباهه إلى تلك الأمور التي تؤثر على بقاء الاعتقاد صحيحًا سليمًا خاليًا من الغبش ، وقد نسي أبونا آدم واحتاج إلى تذكير ، وهكذا أبناؤه من بعده ، إضافة إلى أن مسائل الاعتقاد تحتاج إلى متابعة وعناية بين الحين والآخر كي يبقى الاعتقاد لا يتأثر بالعوامل المحيطة بالإنسان ؛ لأن هذا الإنسان لا يستطيع أن يحيط بجميع المسائل الاعتقادية خاصة إذا قل التعليم والوعظ والإرشاد

والتذكير ، وإذا انصرف المسلم عن طلب العلم والاستزادة والجلوس إلى العلماء للاستفادة والمعرفة ، والدعوة في أوساط المسلمين مهمة جدًّا وذلك لكثرة ما دخل حياتهم من أمور ولما حدث في عصرهم من متغيرات تؤثر بالتأكيد على حياتهم سلبًا أو إيجابًا ، فكل ما يمكن أن يؤثر على العقيدة يجب التحذير منه قبل وقوعه ، وهذا لا يمكن أن يكون إلا بقيام الدعاة في الدعوة على أتم وجه .

ولما كانت الدعوة للناس أجمعين جاز لنا أن نحسب المسلم من أصناف المدعوين .

ويمكن بيان هذا النوع أو الصنف من خلال الآتي :

١ – أقسام المسلمين .

٢ – طريقة دعوتهم .

٣ – ما لهم وما عليهم .

وكما ذكرت في بداية هذا المبحث لن يكون طويلًا في هذا الأمر ، وذلك لأن الهدف منه التذكير فقط .

١ – أقسام المسلمين .

يمكن أن نقسمهم إلى قسمين :

*** القسم الأول** : المسلمون الذين ينقادون للحق ولا يعاندون :

وهم الصادقون الذين لا يخادعون ولا يغشون ولا يغدرون ، الذين لا يحسدون ولإخوانهم ينصحون ولعهودهم وافون ، يتصفون بالخلق الحسن والحياء والرفق والرحمة والسماحة ، الواحد منهم طليق الوجه خفيف الظل بعيد عن السباب والفحش لا يرمي الآخرين بالفسق والكفر بغير حق ، يغلب عليهم الحياء والستر لا يتدخلون فيما لا يعنيهم ، يجتنبون ظن السوء ، متواضعون ليسوا بمتكبرين لا يسخرون من أحد يسعون بالصلح بين الناس إلى الحق والخير ، يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر لا ينافقون ولا يخادعون أو يراءون ، يعودون المرضى ويخالطون الناس ويصبرون على أذاهم ويدخلون السرور على قلوب إخوانهم ومجالسيهم ، يدلون على الخير ، يعدلون إذا حكموا ويحبون معالي الأمور .

هذا النوع تكون دعوته بالتذكير والتعليم والتثبيت على ما هم عليه من الصلاح ، وأن

يحتاطوا من الغرور ؛ لأن النفس أمارة بالسوء والشيطان يجري من بني آدم مجرى الدم ، كما ذكر ﷺ ، ونعمة الهداية نعمة كبيرة لا بد من المحافظة عليها ، ومعلوم أن الإنسان المنضبط الذي يقوم بأداء عمله على أكمل وجه يحتاج بين الحين والآخر إلى برنامج تطويري يعمل على زيادة تلك الكفاءات وصقلها والمحافظة عليها ، والرسول ﷺ يذكر صحابته رضوان الله عليهم بين الحين والآخر وهم أتقى الأمة وأشرفها وأعدلها وأبرها .

وهكذا يتضح لنا أن هذا القسم يحتاج من حين لآخر إلى دعوة تتناسب مع ما هو فيه من التزام وتقوى وصلاح ، والدعوة لا يمكن لأي مسلم أن يستغني عنها ، وسأفصل في النقطة التالية (طريقة دعوتهم) كيف تكون دعوته المسلمين .

❋ **القسم الثاني** : وهم أصحاب الشهوات والأهواء العصاة :

وهؤلاء لا بد من موعظتهم وترهيبهم ومتابعتهم لمساعدتهم على التغلب على ما هم فيه؛ لأنهم مرضى، والمريض يحتاج لعناية ورعاية وعطف، وسأفصل في بيان كيف تكون دعوتهم في مكانه.

٢ - *طريقة دعوتهم*:

المسلمون أهل استجابة كما هو معروف ، والدعوة في أوساطهم يمكن أن تكون على النحو الآتي :

أ - البدء بالتوحيد والاهتمام به ، وذلك من خلال التأكيد على نبذ الشرك بكل أشكاله وصوره والتحذير من أخطاره ، وذلك ببيان الطرق المؤدية إليه سواء من ناحية القول أو العمل أو الاعتقاد ، وأن الله لا يقبل من عبده العمل إلا إذا كان خالصًا ، وإذا أشرك تركه وشركه ، فهو غني عن العالمين ، والعباد هم الفقراء ، والإسلام أتى منقذًا لهذا الإنسان ، وجانب العقيدة يجب أن يعطي الأولوية ، سواء كان ذلك بتثبيت العقيدة الصحيحة وتقويتها لدى المدعوين أو بالعمل على حمايتها من جميع الشوائب لتظل صافية نقية .

ب - التدرج في دعوتهم والبدء بالأهم فالمهم ، والتركيز على لفت أنظارهم إلى هذه النعمة العظيمة - نعمة الإسلام - التي لا بد من المحافظة عليها والحرص على استمرارها كي ينعم المسلم بها في الحياة وبعد الممات ، فهي أجل نعمة ، والإنسان بعيد عن هذا الدين كالبهائم بل إنه ينحدر إلى مستويات أقل من العجماوات ؛ لأن الله خلقه لأمر عظيم ، وإذا تخلى عن ذلك أصبح في عداد الأموات ؛ لأن الإسلام دين الحياة ، والعبد بدونه كالأموات

ج – العمل على نشر الوعي الديني بينهم عن طريق اللقاءات والندوات والمحاضرات والدروس والمطبوعات الصغيرة والكبيرة والتسجيلات القرآنية والدينية المتخصصة ، وهي التي تتحدث عن أمور العبادة أو أمور المعاملات من قبل رجال العلم والاختصاص ، كذلك التسجيل المرئيّ واستخدام وسائل الإعلام المختلفة للبيان والإيضاح والتذكير والتعليم والتثقيف ، ومعلوم أن إنسان هذا العصر يحتاج أن يحاط بسياج قوي من العلماء ؛ لأنه يتعرض لهجمة شرسة من أعداء الإسلام ، فتارة يشككونه في أمور دينه أو بعضها ، وتارة يغرونه بالملذات ويحركون شهوته بطرقهم الكثيرة والمثيرة ، وتارة يثيرونه عن طريق وسائل الإعلام بسمومهم وإغراءاتهم ، فإن لم يكن المسلم محصنًا تحصينًا جيدًا يخشى عليه من الانزلاق إلى مهاوي الردى ؛ لأن هذه الأمور المستحدثة لها أثرها الكبير والفعال ، فإذا ما أثرت على اعتقاده تسببت في اضعاف التزامه بشرع الله ، وبمرور الزمن تصبح هذه الأمور لديه مما يعتاده حتى توقعه في المعصية أو تجره إلى الهلاك ، فالمعاصي تزيل النعم ، والإسلام نعمة كبرى .

د – إذا كان روح الاهتمام بالأمور العامة للمسلمين ؛ لأن المسلم مأمور بأن يهتم بأمر إخوانه المسلمين حتى يظل المجتمع قويًا متماسكًا متحابًا متعاونًا متواصيًا بالحق – وهذا الأمر فيه خير كثير للمسلمين ، وبالتالي ينعكس على الإسلام فيقوى في عين الأعداء المتربصين به وبالمسلمين .

وهذا التوجيه له آثار إيجابية كثيرة على الفرد والمجتمع بأسره ؛ لأن قوة المسلمين تكون في تكاتفهم وترابطهم واهتمامهم بشئون بعضهم ؛ لأنه لا يمكن لأحد أن يفصل بين الدين والحياة ؛ لأن الدين هو الذي ينظم هذه الحياة ويجعلها (حياة) وبغيابه تصبح غابة يأكل فيها القوي الضعيف وتكون السيطرة للهوى وللقوى ، حيث يغيب الحق والعدل ويحل محله الجور والظلم والاستبداد ، وهذا ما هو واقع اليوم في المجتمعات التي بعدت عن منهج الله وتنكبت الطريق والتزمت بالمناهج الوضعية التي وضعها الإنسان لنفسه وهو الضعيف الذي لا يقدر على نفع أو ضر ولا يمكن أن يستوعب حاجاته كلها ؛ لأنه عاجز قاصر .

أما الإسلام فهو دين الله الذي خلق الإنسان ويعلم ما يصلح له وما يصلحه ، فقيام الداعية المسلم بهذا له أثر عظيم على الدعوة والمدعو ؛ لأنه في هذا الوقت بالذات من الأمور الهامة جدًّا كما ذكرت سابقًا

هـ – العمل على إرساء وترسيخ مذهب أهل السنة والجماعة ، والتحرك ضمن التعاليم والهدى النبوي ، والتأكيد على حماية هذا التوجه للتصدي للحملات المتتالية من أهل الضلال ، سواء ما كان من غمز ولمز لأهل السنة والجماعة أو إثارة للفتن والنعرات والقلاقل ؛ ليدب الخلاف والنزاع بينهم وتكون النتيجة ظهور أهل الأهواء والضلال وانحسار قوة أهل السنة والجماعة خاصة إذا كثرت البدع وعمت ، وعمل الداعية وجهوده في هذا الجانب له كبير الأثر على الدعوة الإسلامية ؛ لأن أهل الأهواء تغلغلوا بين أوساط المسلمين وأخذوا ينشرون أفكارهم بقوة بين تلك الأوساط بحجة الحرص على الدين والاهتمام بأمر الإسلام والمسلمين ، وذلك بانتهاج طرق شتى وأساليب عديدة .

وقبل ذلك وبعده العناية بالتعليم – تعليم العلوم الشرعية – والاهتمام بتدريس القرآن الكريم وإعداد الأطفال والشباب لحمل هذه الرسالة والدفاع عنها وتبليغها للناس كافة ، والتزام مذهب أهل السنة والجماعة والبعد عن ما عداه ؛ لأن الخير فيما كان عليه سلفنا الصالح من صحابة رسول الله ﷺ ، ومن أتى بعدهم من تابعين وتابعي تابعيهم من أهل القرون المفضلة ومن بعدهم من أهل الصلاح والتقى ، والتمسك بهدي سيد المرسلين ﷺ من علماء الأمة وفضلائها .

وبهذا نكون قد بينا كيف تكون دعوة المسلمين باختصار شديد .

٣ – *ما لهم وما عليهم .*

المسلمون لهم السيادة والريادة ، وكل ما يندرج تحت الصلاح والإصلاح والرفعة ، لهم الخلافة في الأرض والتوجيه والحكم والقوة والمنعة ؛ لأنهم يقيمون حكم الله على أرضه بين عباد الله ، يقيمون أوامر الله تعالى وحدوده ، وبذلك يكون لهم الإشراف على كل ما يتعلق بهذا الإنسان ؛ لأن الصدارة لهم ؛ لأنهم آمنوا بالله ربًا وبمحمد ﷺ رسولًا وبالإسلام دينًا عمروا الأرض بالخير والأعمال الجليلة ونشروا بين أرجائها العلم والنور والسلام والأمن .

وهؤلاء المسلمون كصنف من أصناف المدعوين في موضوعنا هذا لهم أن يذكروا ويحاطوا من أهل الدعوة علماء الأمة بالعناية ؛ والرعاية كي يبقى هذا الإيمان قويًا بالعلم والتزود من المعارف الدالة على عظمة المولى سبحانه وتعالى ، والمبينة عظمة ومكانة وقدر المسلم عند ربه وخالقه جل وعلا، وأنه سبحانه وتعالى حرم دمه وماله وعرضه؛ لتكون له

الكرامة والعزة والسيادة في هذه الحياة ، ويكون له رضوان الله ومغفرته وجناته في الحياة الآخرة يوم يلقى ربه وهو راض عنه ؛ لأنه آمن وصدق وقام بأداء ما أوجبه الدين عليه ، قام بحق الله وحق الناس فنال رضا الله ومغفرته ، ومن المعلوم أن للمسلم حقوقًا في مقدمتها دعوته إلى الخير وأمره بالمعروف ونهيه عن المنكر وتذكيره بالله واليوم الآخر وبالنعمة التي أكرمه الله بها ، وهي نعمة الإسلام ، فالمسلم أخ للمسلم يحب له ما يحب لنفسه ، يفرح لفرح أخيه ، ويحزن إذا مسه مكروه ؛ لأن المؤمنين إخوة كما ورد في كتاب الله العزيز : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ .

المسلمون لهم السؤدد والمكانة الرفيعة في هذه الحياة ؛ لأنهم رسل سلام ومحبة ، ليس للإنسان بل لجميع المخلوقات ؛ لأنهم يسيرون على منهج السماء وتعاليم الشريعة السمحاء ، لأن الله خلق هذا الإنسان للعبادة . لقد جمعت كلمة التوحيد – لا إله إلا الله محمد رسول الله – هذه الجنسيات والألوان المختلفة على مر العصور من مبعث خاتم المرسلين ﷺ حتى يرث الله الأرض ومن عليها ، فكانوا عبادًا لله إخوانًا ، ولهذه الأخوة حقوق كثيرة بينها الشارع ﷺ في هديه المطهر ، وحقوق لكل واحد من أمة الإسلام على الآخر ، بل للفرد على الجماعة وللجماعة على الفرد ، للذكر على الأنثى وللأنثى على الذكر ، للصغير على الكبير وللكبير على الصغير ، لا بد أن يؤديها طاعة لله وامتثالًا لأوامر الدين .

أما ما عليه فإن في مقدمة ذلك السمع والطاعة لله ولرسوله ، والتمسك بهذا الدين وما أتى به سيد المرسلين ﷺ ، وطلب العلم الشرعي فقد ذكر العلماء أن مقدمة ما يجب على المسلم القيام به أربعة أمور :

❋ الأمر الأول :

العلم ، ونعني به معرفة الله ومعرفة دين الإسلام ومعرفة رسول السلام ﷺ .

معرفة الله الخالق والرازق ، المحيي والمميت ، مالك الملك ، القاهر القادر ، الأول الآخر ، الظاهر الباطن ، سبحانه وتعالى ، وهذه المعرفة كي يوحده ويعبده سبحانه وتعالى ، ومعرفة دين الإسلام كي يعيش على هديه ويسير في جميع شئون حياته وفق تعاليم الرسول الكريم عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم ليتبعه بعدما آمن به وصدقه ، ويكون هواه تبعًا لما جاء به ﷺ ، ويقيم شريعته كما يحب ربنا ويرضى ، ويكون من أهل لا إله إلا الله محمد رسول الله حقيقة.

❋ الأمر الثاني : العمل :

أي : العمل بما علم وعرف وتعلم من أمر الدين ، وفي مقدمة ذلك حقوق الله وعلى رأسها الصلاة ، ثم بقية الأركان ، وتحكيم كتاب الله وشرعه في نفسه وبين أهله وذويه ومن هم تحت ولايته ، العمل بكل ما جاء به ﷺ من عند الله من عبادات وواجبات . والسير في معاملاته وفق هدي الإسلام ، والاهتمام بحقوق الوالدين وما أوجب الله لهما من إحسان ورعاية وعناية على الأولاد الذكور منهم والإناث ، وحقوق المسلمين الأقرباء منهم والأرحام والجيران وغيرهم من أهل التوحيد والعمل الرشيد ، وإن عملًا بلا علم لا فائدة منه ، لأن المعتمد في أمر الدين على الاتباع ، والاتباع يكون عن طريق العلم والمعرفة ، العلم بجميع أمور العبادات والمعاملات حتى يكون العمل موافقًا لهدي الإسلام خالصًا لله رب العالمين – الغني عن العالمين – أي : لا بد للمسلم أن يعرف دين الإسلام الذي اعتنقه وأقر به.

❋ الأمر الثالث : الدعوة :

نعم الدعوة إلى هذا الدين الذي علمه وعمل بمقتضى ما علم وطبقه في حياته كلها قولًا وعملًا واعتقادًا .

هذا الدين يجب عليه أن يقوم بالدعوة إليه والدفاع عنه والتضحية في سبيله وحمايته ؛ وذلك لتستمر دعوة رسول الله ﷺ من خلال أمته حتى يوم الدين ، وتكون هذه الدعوة وفق منهج وطريقة وهدي الرسول ﷺ الذي علم الأمة بقوله وفعله كيف تكون الدعوة إلى الله ، سواء ما نزل عليه من هدي رباني في آيات بينات محكمات أو ما جاء على لسانه ، وأدى الأمانة حيث انتقل إلى الرفيق الأعلى ، وقد كمل الدين ولم يترك لأمته خيرًا إلا دلها عليه ورغبها في فعله ، أو شرًا إلا حذرها منه ونفرها من فعله ﷺ .

❋ الأمر الرابع : الصبر :

وذلك لأن كل من قام بهذا الأمر لا بد وأن يلقى في سبيل ذلك المعارضة والمعاندة والصدود والمحاربة والأذى بجميع أصنافه وألوانه ، وهكذا كان الأنبياء مع أممهم ، فعليه أن يصبر ويصمد حتى يبلغ أمر الله لعباد الله وله في إمامه ورسوله محمد ﷺ الأسوة الحسنة ؛ لأنه صبر على جميع ما لقي من قومه حتى إنهم تآمروا عليه وقرروا أن يضربوه ضربة رجل واحد فيتفرق دمه بين القبائل ؛ لأنه قال لهم : قولوا : لا إله إلا الله محمد

رسول الله ، لكنه ﷺ صمد أكثر من عشر سنوات عمر الدعوة الجهرية حتى أكرمه اللهُ وأصحابَه بالمأوى والمقر والمهاجر (المدينة المنورة) فهاجر فلم يتركوه بل دارت معارك طاحنة ، كان النصر فيها لجند الله في بدر وأحد والأحزاب ، وهكذا الدعاة إلى الله في كل مكان وأي زمان لا بد أن تعترضهم عوارضُ وليس لهم إلا الصبر ، والله مع الصابرين .

إن قيام المسلم بما عليه من حقوق نحو الدين والنفس والأهل والأقرباء والجيران والبشرية جمعاء له أثر كبير جدًّا في نشر هذا الدين ، لأن قيامه بما أوجبه الله عليه والتزامه بالشرع وأخلاق الإسلام أكبر دعاية لهذا الدين ، لأن الآخرين يرون فيه القدوة الحسنة ، ونحن في هذا العصر نحتاج للداعية القدوة ، وهذا إظهار لروح الإسلام ، وأنه الدين الذي يصلح حال الإنسان ويؤثر له السعادة في الدارين ؛ لأنه من عند الله .

إن المسلمين اليوم عليهم واجب إضافي نحو هذا الدين ؛ لأن البشرية اليوم تعيش جاهلية جديدة وليس لها إلا الله ، وأمة الإسلام ، (المسلمون) هم المبلغون لهذا الدين فلا بد أن يهبوا فرادى وجماعات لنشر هذا الدين وإنقاذ البشرية مما هي فيه من ضياع وظلم وظلمات .

○ ثانيًا : أهل الكتاب :

أهل الكتاب . هذا اللفظ ورد ذكره في كتاب الله العزيز أكثر من عشرين مرة : في سورة البقرة وآل عمران والنساء والمائدة والقصص والأحزاب والحشر إلى آخره ، ومرة واحدة أهل الإنجيل وذلك في سورة المائدة ، قوله تعالى : ﴿ وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الْإِنجِيلِ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فِيهِ ﴾ .

وذكر العلماء أن أهل الكتاب هم اليهود والنصارى صار علمًا عليهم بالغلبة والحديث في هذه الفقرة عن كيف تكون دعوة اليهود والنصارى (أهل الكتاب) وسيكون ذلك على النحو التالي :

١ – دعوة اليهود إلى الإسلام .

قبل بيان كيفية دعوة اليهود نقف قليلًا عند النقاط التالية :

أ – أسماء اليهود .

ب – أصل اليهود .

ج – اليهود عند ظهور الإسلام .

أ – أسماء اليهود :

يقال لهم عبرانيون وعبريون من العبور أي : عبر إبراهيم جدهم الأعلى نهر الفرات وهم قد دعوا إسرائيليين ، وبني إسرائيل نسبة إلى إسرائيل نبي الله وهو يعقوب ، فأطلق الاسم على جميع الأسباط من عقبه ثم على فئة منهم إلى أن انقرضت فعمهم الاسم جميعًا ويقال لهم : (هود) وهادوا ، وقد تغلبت كلمة (يهود) عليهم وأصلها (يهودا) وهم سبط من أسباط بني إسرائيل ، سموا بهذا الاسم تميزًا لهم عن الأسباط العشرة الذين سموا (إسرائيل) إلى أن تشتت الأسباط وأسر يهودا ، بعد ذلك دعي جميع نسل يعقوب (يهودا) ، ويهوذا جد هذا السبط وهو رابع أولاد يعقوب ، ومعنى هاد يهود هودًا وتهود أي : تاب ورجع إلى الحق ، كما أطلق القرآن الكريم عليهم عبارة (أهل الكتاب) أي : أهل كتاب سماوي وهو التوراة ، وهكذا تسمية (أهل الكتاب) في القرآن الكريم يقصد بها اليهود والنصارى .

ب – أصل اليهود :

الأمم التي عاشت في منطقة الشرق وجد أن هناك أوجه شبه بين لغاتهم كالبابلية والكنعانية والعبرانية والآشورية والعربية إلى غير ذلك ، وقيل : إن مرد ذلك وجود وحدة مشتركة كانت تجمع شمل تلك الأمم وأطلقوا على تلك الوحدة (الجنس السامي) نسبة إلى سام بن نوح عليه السلام ، أما المهد الأصلي للساميين فقد اختلف فيه ، فمنهم من قال : إنه أرض بابل في شمال العراق ومنهم من قال جزيرة العرب وقول ثالث إلى أن أفريقيا هي وطن الساميين .

ج – اليهود عند ظهور الإسلام :

كان اليهود يتمركزون في المدينة عند ظهور الإسلام حيث انتشروا جماعات جماعات كما ذكر الدكتور جواد على كتاب تاريخ العرب قبل الإسلام الجزء السادس واستقروا في مواضع المياه والعيون من وادي القرى وخيبر وتيما فبنوا الآطام ، ومن بين قبائلهم التي سكنت المدينة بنو النضير وبنو قريظة وبنو قينقاع حيث كان يسكن معهم من العرب قبيلتي الأوس والخزرج ، والتي يرجع وصولها إلى المدينة إلى ما بعد حادثة سيل العرم ، وكان اليهود يقولون لهم إذا وقع خلاف بينهم وبين هاتين القبيلتين (الأوس والخزرج) : إن نبيًا مبعوثًا الآن قد أظل زمانه نتبعه فنقتلكم معه قتل عاد وإرم وكان هذا الكلام من أسباب قبول ذلك النفر من الخزرج في موسم الحج ما عرضه عليهم رسول الله ﷺ، لكن اليهود وبعد أن

ظهر هذا النبي كانوا أول من عاداه حسدًا من عند أنفسهم .

هذه وقفه قصيرة عن اليهود .

أما عن **كيفية دعوتهم** فأقول : يمكن دعوتهم إلى الإسلام بالطرق التالية :

١ - بيان الأدلة الدامغة من العقل والنقل على أن الإسلام نسخ جميع الشرائع التي أتت قبله ، وهذا يعني وجوب الإيمان برسالة الإسلام من قبلهم ؛ لأن النبي ﷺ قال بخبر رواه الصحابي الجليل أبو هريرة رضي الله عنه : « **والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار** » ورب العزة والجلال أنزل على رسوله ﷺ في سورة آل عمران قوله : ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾ .

٢ - بيان الأدلة لهم على وقوع التحريف والتبديل في التوراة ، وذلك من خلال ما ورد في كتاب الله العزيز من أدلة على ما وقع منهم في هذا الأمر ، وأن التوراة التي في أيديهم ليست التي بلغهم إياها نبي الله موسى عليه السلام ، وأنهم وقعوا في أمور كثيرة أخبر عنها القرآن الكريم مثل كتمان الحق وإلباس الحق بالباطل وإخفاء الحق وتحريف الكلم عن مواضعه ، قال جل وعلا في كتابه العزيز : ﴿ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ ۚ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ ﴾ وكقوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَلْبِسُونَ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ وَتَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٧١﴾ ﴾وغيرها من الآيات الدالة على تحريفهم للكتاب الذي أنزل إليهم - وهذا يجعلنا نقول : إن هذا الكتاب غير ذاك ؛ لأنه محرف مبدل ، والحجة قامت عليهم، فلا بد أن يؤمنوا برسالة محمد ﷺ لله جل وعلا خالقهم الذي أمرهم بذلك في كثير من الآيات القرآنية .

٣ - ترغيبهم فيما عند الله سبحانه وتعالى من أجر عظيم لمن آمن وصدق واتبع هذا النبي الكريم ﷺ الذي هو موجود عندهم في التوراة وترهيبهم من شدة العقوبة على المعاندين الجاحدين المستكبرين البعيدين عن الإسلام المحاربين لله ورسوله بوقوفهم ضد دعوة الإسلام ودين الله الذي ارتضاه للناس أجمعين حتى قيام الساعة المهيمن على جميع الرسالات الناسخ لها ، المقر بما للرسل والأنبياء من حق ، الداعي إلى الإيمان بهم، وأنهم وما

أتوا به من كتب من عند الله العليم الخبير مالك الملك .

٤ - بيان اعترافات الكثير من اليهود بأن ما جاء به محمد ﷺ حق وهو من عند الله وأكرمهم الله بالهداية فاعتنقوا الإسلام مثل عبد الله بن سلام من علماء اليهود وساداتهم وزيد بن سعنة أحد أحبار اليهود الذي ذكر أنه عرف علامات النبوة في وجه رسول الله ﷺ فآمن رضي الله تعالى عنه وأرضاه ؛ لأنه عرفه من كتبهم ثم بما رآه في وجه المصطفى ﷺ من علامات ، وكان أن توفي رضي الله عنه في غزوة تبوك مقبلًا غير مدبر رضي الله تعالى عنه .

وقصة الصحابي عبد الله بن سلام موجودة في صحيح البخاري - رحمه الله تعالى - أذكرها للفائدة ، وقد أوردها الإمام البخاري في كتاب الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، عن أنس رضي الله عنه قال : بلغ عبد الله بن سلام مقدم رسول الله ﷺ المدينة فأتاه فقال : إني سائلك عن ثلاث لا يعلمهم إلا نبي : ما أول أشراط الساعة ، وما أول طعام يأكله أهل الجنة ، ومن أي شيء ينزع الولد إلى أبيه ، ومن أي شيء ينزع إلى أخواله . فقال رسول الله ﷺ : « **خبرني بهن آنفًا جبريل** » قال : فقال عبد الله : ذاك عدو اليهود من الملائكة ، فقال رسول الله ﷺ : « **أما أول أشراط الساعة فنار تحشر الناس من المشرق إلى المغرب ، وأما أول طعام يأكله أهل الجنة فزيادة كبد حوت ، وأما الشبه في الولد ، فإن الرجل إذا غشي المرأة فسبقها ماؤه كان الشبه له وإذا سبق ماؤها كان الشبه لها** » قال : أشهد أنك رسول الله ، ثم قال : يا رسول الله إن اليهود قوم بهت ، إن علموا بإسلامي قبل أن تسألهم بهتوني عندك ، فجاءت اليهود ودخل عبد الله البيت ، فقال رسول الله ﷺ : « **أي رجل فيكم عبد الله بن سلام ؟** » قالوا : أعلمنا وابن أعلمنا وأخبرنا وابن أخبرنا ، فقال رسول الله ﷺ : « **أفرأيتم أن أسلم عبد الله ؟** » قالوا : أعاذه الله من ذلك ؟ فخرج عبد الله إليهم فقال : أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا رسول الله ، فقالوا : شرنا وابن شرنا ووقعوا فيه .

وفي لفظ آخر قال لهم رضي الله عنه : يا معشر اليهود اتقوا الله فوالذي لا إله إلا هو إنكم لتعلمون أنه رسول الله وأنه جاء بحق ، فقالوا : كذبت .

إن إيراد هذه الاعترافات لهم لها أثر كبير ، وهي أسلوب من أساليب دعوة هذه الفئة

من الناس إضافة إلى استخدام ما يراه الداعية مناسبًا لبيان هذا الحق وإثبات تجنيهم على هذه الرسالة وعنادهم في معرفة ذلك ، وفي قرارة أنفسهم ، وفي كتابهم عكس ذلك ، ولا شك أن يهود هذا الزمان بعيدون كل البعد عن الدين لكنهم متعصبون فقط إلا القليل منهم يمارسون بعض الطقوس ، ولعل أتباع الإسلام جميعًا وما يراه الداعية فيه سبيل هدايتهم ورجوعهم للحق ودخولهم في الإسلام ، خاصة وأن وسائل الإعلام في هذا العصر تغطي مساحة الكرة الأرضية فلا بد من استخدامها لدعوة هؤلاء وغيرهم إلى هذا الدين وإنقاذهم مما هم فيه من بعد عن خالقهم جل وعلا .

٢ - دعوة النصارى إلى الإسلام

قبل أن أذكر كيف تكون دعوة النصارى إلى الإسلام اقف قليلًا مع النقاط التالية :

١ - النصرانيـة .

٢ - المسيحية وما اعتراها من التحريف .

٣ - عقائد النصارى في هذا العصر .

١ - النصرانيـة :

في الأصل نسبة إلى نصرانية وهي قرية المسيح عليه السلام من أرض الجليل ، وتسمى هذه القرية ناصرة ونصورية والنصرانة كذلك واحدة النصارى .

أما النصرانية في الاصطلاح : فهي دين النصارى وهم المنتسبون للإنجيل ، وقد يفهم من القرآن الكريم أنهم أحدثوا هذا الاسم ، وذلك في قوله تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰٓ ﴾ .

أما المسيحية فهي كذلك تطلق على أتباع المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام ، ويبدو لي أن هذه التسمية لم ترد في كتاب الله كاسم عليهم أو لهم ولا في السنة المطهرة ، فلا ينبغي أن يطلق هذا الاسم عليهم ؛ لأن القرآن الكريم أطلق عليهم أهل الكتاب وأهل الإنجيل .

٢ - المسيحية وما اعتراها من التحريف :

معلوم أن عيسى ولد من مريم ابنة عمران من غير أب ، وهذا مذكور في كتاب الله العزيز في سورة مريم ، قال تعالى : ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ﴾ إلى قوله تعالى : ﴿ فَأَتَتْ بِهِۦ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُۥ﴾ إلى نهاية القصة العجيبة المعجزة .

وتواترت الأخبار أن عيسى عليه السلام بعث إلى بني إسرائيل بعد أن تجاوز الثلاثين من عمره ، كما أوضح الكتاب العزيز دعوة عيسى في قوله تعالى : ﴿ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ ﴾ الآيات ، وقد وقع تحريف كبير في الإنجيل – فما هو الإنجيل يا ترى ؟ الإنجيل : كلمة يونانية معناها البشارة .

والإنجيل في الاصطلاح : يطلق على كتاب الله المنزل على عيسى عليه السلام حيث ورد هذا في كتاب الله العزيز سبحانه وتعالى : ﴿ وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾ .

وأجمع مؤرخو النصرانية على أنه كانت في العصور الغابرة أناجيل شتى قد أخذت بها فرق مسيحية قديمة ، وأن الكنيسة قامت في أوائل القرن الثالث الميلادي بالإبقاء على أربعة أناجيل فقط هي : إنجيل متى ، وإنجيل مرقص ، وإنجيل لوقا ، وإنجيل يوحنا وحرمت ما عداها من الأناجيل .

وهذه الأناجيل الأربعة متناقضة في الشكل ، وليست متفقة في المبدأ والختام ولا في نظامها العام ومثال ذلك : أول إنجيل متى ١ – كتاب ميلاد يسوع المسيح ابن داود بن إبراهيم ، وأول إنجيل مرقص ١٠ بدء إنجيل يسوع المسيح ابن الله .

وكان لشاول اليهودي دور كبير في تحريف المسيحية حيث أعلن عن دخوله في المسيحية وأنه أصبح يتلقى التعاليم من يسوع بلا واسطة ، وأخذ ينشر بين الناس أفكارًا جديدة عن المسيح عليه السلام فذكر أنه إله وأنه ابن الله وأنه صلب ليكفر خطايا البشر ، وحرم على الناس أن يسمعوا تعاليم أخرى ، فكان هذا أول تحريف حقيقي للإنجيل ولديانة عيسى عليه السلام .

ومن أجمل ما قرأت في هذا الصدد قصيدة للإمام الحافظ أبي عبد الله محمد بن أبي بكر المعروف بابن قيم الجوزية في كتابه إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان يقول فيها :

أعباد المسيح لنا سؤال ... نريد جوابه ممن وعاه
إذا مات الإله بصنع قوم ... أماتوه فما هذا الإله ؟
وهل أرضاه ما نالوه منه ؟ ... فبشراهم إذا نالوا رضاه

وإن سخط الذي فعلوه فيه فقوتهم إذًا أوهت قواه
وهل بقي الوجود بلا إله سميع يستجيب لمن دعاه
وهل خلت الطباق السبع لما ثوى تحت التراب وقد علاه
وهل خلت العوالم من إله يدبرها وقد سمرت يداه
وكيف تخلت الأملاك عنه بنصرهم وقد سمعوا بكاه
وكيف أطاقت الخشبات حمل الإله الحق شد على قفاه
وكيف دنا الحديد إليه حتى يخالطه ويلحقه أذاه
وكيف تمكنت أيدي عداه وطالت حيث قد صفعوا قفاه
وهل عاد المسيح إلى حياة أم المحيي له رب سواه
ويا عجبًا لقبر ضم ربًا وأعجب منه بطن قد حواه
أقام هناك تسعًا من شهور لدى الظلمات من حيض غذاه
وشق الفرج مولودًا صغيرًا ضعيفًا فاتحًا للثدي فاه
ويأكل ثم يشرب ثم يأتي بلازم ذاك هل هذا إله ؟
تعالى الله عن إفك النصارى سيسأل كلهم عما افتراه
أعباد الصليب لأي معنى يعظم أو يقبح من رماه
وهل تقضي العقول بغير كسر وإحراق له ولمن بغاه
إذا ركب الإله عليه كرهًا وقد شدت لتسمير يداه
يهان عليه رب الخلق طرًا وتعبده فإنك من عداه
فإن عظمته من أجل أن قد حوى رب العباد وقد علاه
وقد فقد الصليب فإن رأينا له شكلًا تذكرنا سناه
فهلا للقبور سجدت طرًا لضم القبر ربك في حشاه ؟
فيا عبد المسيح أفق فهذا بدايته وهذا منتهاه

هذه القصيدة الرائعة في هذا المقام تحتاج إلى دراسة وتحليل لبيان ضلال القوم وعبادتهم لعيسى من دون الله تعالى وافتراءاتهم ودجلهم وتحريفهم ما نزل عليهم وسأذكر استخدام هذا في كيفية دعوتهم إلى الإسلام بعد قليل .

٣ – *عقائد النصارى في هذا العصر :*

لو نظرنا في هذا الوقت ما هم عليه لوجدناهم ينقسمون إلى طوائف ثلاث يعرفها

الإخوة الدعاة وهي :

أ – الكاثوليك . ب– الأرثوذكس . ج – البروتستانت .

وهي متفقة على القول بألوهية المسيح ابن مريم عليه السلام ومتفقة على القول بالتثليث وعلى صلب المسيح .

كما أنهم جميعًا يعتقدون أن الله أوصى آدم عليه السلام ألا يأكل من الشجرة فأكل منها فاستحق وذريته الفناء ، ولكن الله رحم عباده فجسد كلمته وهي ابنه الأزلي تجسدًا ظاهرًا ، وأرسل سبحانه وتعالى جبريل إلى مريم العذراء وبشرها بالمسيح المخلص ، وأنها تلد الكلمة الأزلية وتصير والدة الإله ، وأنه رضي بموته على الصليب ليكون فداء الخطيئة الأولى .

وهذه الطوائف الثلاث تختلف في بعض الفروع يمكن بيانها من خلال الحديث باختصار عن كل طائفة :

أ – الكاثوليك :

وهم أتباع الكنيسة الكاثوليكية ، ومعناها (العامة) وسميت بذلك لادعائهم أنها أم الكنائس ومعلمتهم ، وأنها وحدها التي تنشر النصرانية في العالم ، وتسمى كذلك الكنيسة الغربية أو اللاتينية أو الكنيسة البطرسية أو الرسولية ، لأن أتباعها يدعون أن مؤسسها الأول بطرس الرسول ، والرئيس العام للكنائس الكاثوليكية هو بابا روما .

وهم يعتقدون أن روح القدس نشأ عن الله الأب وعن الله الابن معًا وبالمساواة الكاملة بين الله الأب والله الابن ، وأباحوا أكل الدم والمختون وأباحوا للرهبان أكل دهن الخنازير .

ب – الأرثوذكس :

وتسمى كنيستهم الشرقية أو اليونانية ، لأن أتباعها من الروم الشرقيين من بلاد الروس والبلقان واليونان ، ومقرها الأصلي القسطنطينية وأتباعها يعتقدون أن روح القدس نشأ عن الله الأب فقط ، وأن الإله الأب أفضل من الإله الابن ، وليس لكنائسهم رئيس عام بل كل كنيسة مستقلة لكنهم متفقون في المعتقد .

ج – البروتستانت :

وهؤلاء أتباع مارتن لوثر الذي ظهر في أوائل القرن السادس عشر الميلادي ، ومعنى هذه الكلمة (المحتجين) وتسمى كنيستهم الإنجيلية لدعواهم أنهم يتبعون الإنجيل فقط ينتشرون في ألمانيا وبريطانيا والدانمارك وهولندا وأمريكا الشمالية والنرويج .

ويتميزون عن غيرهم بأنهم جعلوا الإنجيل المصدر الوحيد للنصرانية، وأنه ليس للكنيسة

حق غفران ، ولا داعي للرهبنة ، وأباحوا الزواج لرجال الدين ، ويحرمون اتخاذ الصور والتماثيل في الكنائس للسجود لها ، وليس لكنائسهم رئيس عام كالأرثوذكس .

هذه وقفة سريعة على النصرانية من باب العلم بالشيء للإخوة الدعاة ، ومن أراد المزيد يرجع إلى كتب الملل والنحل القديم منها والحديث .

وكيف تتم دعوة النصارى إلى الإسلام ؟ .

بعد ما وقفنا على معتقداتهم وأوضاعهم مع دينهم يتضح لنا أنهم ليسوا على حق ، وأنهم يحتاجون لدعوة ، لأن هذا الدين للناس كافة وهو المهيمن على جميع الرسالات السماوية وناسخ لها .

ويمكن دعوة هذا الصنف باتباع الخطوات التالية :

١ – إيراد الأدلة والبراهين على نبوة عيسى ﷺ ، وأنه عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه ، خلقه سبحانه وتعالى كما خلق آدم من تراب وهو جل وعلا القادر على كل شيء ، المتصرف بهذا الكون لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء ، لأن ما فيها ملك له يفعل ما يشاء ، لا راد لقضائه ولا معقب لحكمه ، ولن يكون العبد ربًّا بحال من الأحوال لاستحالة ذلك ، لأنه مخلوق ، قال تعالى : ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿٦٠﴾ ﴾ وأستعرض آيات أخرى من كتابنا العزيز لتوضيح بشرية عيسى ، وأنه مخلوق وصفته كصفة البشر من لحم ودم وعظم ، ليس فيه ما ينسبون له من ألوهية بحال من الأحوال مع إيراد الأدلة كاملة على استحالة ما يذهبون إليه ، لأن الواحد هو الله ، وما عداه مخلوق مقهور ، والله هو القاهر سبحانه وتعالى القادر .

٢ – إيراد الأدلة والبراهين على وحدانية الله تعالى وإبطال عقيدة التثليث . معلوم أن النصارى يقصدون بعقيدة التثليث ثلاثة أمور : الأب والابن وروح القدس .

ومن أقوالهم: إن الأب هو الذات والابن الكلمة وروح القدس الحياة، وهناك اختلافات كثيرة بينهم في عقيدة التثليث ، كما أورد ابن تيمية رحمه الله تعالى في كتاب (الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح) وفي كتب الملل والنحل التي تحدثت عن النصرانية .

ولا بد من إيضاح وبيان أن هذه العقيدة (التثليث) تلقوها من أصحاب المجامع ، وأن

دعوة عيسى عليه السلام دعوة إلى التوحيد الخالص من الشرك حيث دعاهم لعبادة الله وحده لا شريك له ، مصدقًا لما بين يديه من التوراة ، لكنهم عادوه وكذبوه ورموه وأمه بالعظائم وقرروا قتله ، لكن الله نجاه ورفعه إليه ، والحديث في هذه النقطة يطول ، فعلى الداعية استيعاب هذه القضية بالذات ، وإحضار الأدلة العقلية والنقلية لإبطال هذه العقيدة ، وإثبات وحدانية الله تعالى .

٣ - إثبات نسخ هذا الدين والتحريف الذي وقع في الإنجيل من خلال إثبات النسخ والتحريف في النصرانية يمكن إيضاح الحق ، وأنه في اتباع دين الإسلام الذي نسخ ما قبله من الديانات بأمر الله تعالى ، وأن الإنجيل قد وقع فيه تغيير وتبديل وتحريف سواء في كتب العهد القديم أو كتب العهد الجديد ، وهذا يفرض على الداعية المسلم الاطلاع على تلك التحريفات لبيان الحق بالدليل والبرهان ، ولعل المناظرات التي وقعت حديثًا ، والتي انتصر فيها الحق أكبر دليل على ذلك ويمكن استخدامها في بيان ذلك لهم والاستشهاد بها كمناظرة الداعية المسلم (أحمد ديدات) .

وعلى دعاة الإسلام العناية بهذا الجانب لدحض جميع أقوالهم في هذه النقطة بالذات وإبراز الحقيقة .

٤ - الاستعانة باعترافات المنصفين منهم في القديم والحديث . هذه من الطرق المهمة في دعوة النصارى ، لأن علماءهم الكبار كان لهم موقف مشرف موقف حق حيث أقروا بالرسالة المحمدية ، وأنها حق وهي من عند الله ويجب اتباعها ومثال ذلك :

أ - النجاشي ملك الحبشة وكان نصرانيًا .
ب - هرقل عظيم الروم ، وقد أوردت حديثه مع أبي سفيان .
ج - سلمان الفارسي وكان نصرانيًا رضي الله عنه .

وغير ذلك من اعترفات المنصفين منهم بدين الإسلام كوسيلة من وسائل الإقناع بوجوب التسليم بهذا الدين واتباعه .

هذه نقاط رئيسية في الموضوع ، وعلى الداعية أن يستخدم كل ما يمكن استخدامه لإقناع النصارى وبيان الحق لهم ليعودوا إلى الحق والصواب ، وينقذوا أنفسهم مما هم فيه من الضلال والبعد عن الله تعالى وحياة الجاهليين التي يعيشونها ، وهم بعيدون عن الإسلام .

○ ثالثًا : المشركون :

سيكون الحديث عن هذا الصنف من خلال النقاط التالية :

١ – معنى الشرك .

٢ – طريقة دعوة المشركين .

١ معنى الشرك :

❋ **معنى الشرك في اللغة** : تقول شركته في الأمور أشركه ، من باب تعب . شركًا وشركة بفتح الأول وكسر الثاني فيهما ويخففا بكسر الأول وسكون الثاني وذلك إذا صرت له شريكًا وشاركته كذلك وأشركته جعلته شريكًا ، قال تعالى : ﴿ وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي ﴾ أي اجعله شريكي فيه ، وشركت بينهما في المال تشريكًا واشتركنا في الشيء .

والشرك بالتخفيف أغلب في الاستعمال ويكون مصدرًا واسمًا بمعنى النصيب كما في قولهم : أعتق الرجل شركًا له في عبد .

ومرجع مادة الشرك إلى الخلط والضم .

❋ **أما معناه في الشرع**: فقد فسره صاحبا الصحاح والمصباح بالكفر، وجعله الراغب على ضربين فقال: (أحدهما : الشرك العظيم هو إثبات شريك لله تعالى، يقال: أشرك فلان بالله ، وذلك أعظم كفر ، قال تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ ﴾[1]، وقال عز وجل : ﴿ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴾[1].

والثاني : الشرك الصغير : وهو مراعاة غير الله معه في بعض الأمور وهو الرياء والنفاق المشار إليه في قوله تعالى : ﴿ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾[2].

﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ ﴾[3] وقال بعضهم : معناه قوله ﷺ :

---

(١) النساء : ١١٦ .

(٢) الأعراف : ١٩٠ .

(٣) يوسف : ١٠٦ .

« **الشرك في هذه الأمة أخفى من دبيب النمل على الصفا** » والشرك اسم يقع على ضروب من الذنوب ، فمنها : الشرك بالله ، ومنها : الجحد للنبوة ، ومنها : استحلال ما حرم الله . وأصله التغطية .

والفرق بين الكفر والشرك : أن الكفر خصال كثيرة ، وكل خصلة منها تُضَادّ خصلة من الإيمان ، لأن العبد إذا فعل خصلة من الكفر فقد ضيع خصلة من الإيمان ، والشرك خصلة واحدة وهو إيجاد ألوهية مع الله أو دون الله ، واستعماله بني على هذا المعنى ثم كثر حتى قيل لكل كفر شرك على وجه التعظيم له والمبالغة في صفته ، وأصله كفر النعمة ، ونقيضة الشكر ، ونقيض الكفر بالله الإيمان .

وخلاصة القول : إن الشرك والكفر مختلفان في الأصل متحدان في استعمال الشرع ، فهما كالإسلام والإيمان ، واستعمال الكفر في التغطية شائع في لسان العرب .

✻ أقسام الشرك :

نعوذ بالله من جملة الشرك وتفصيله قويه وضعيفه جليه وخفيه ، وقد قسم بعض العلماء الشرك إلى ستة أقسام هي :

- **القسم الأول** : شرك الاستقلال وهو إثبات شريكين مستقلين ، ومثاله شرك المجوس .
- **القسم الثاني** : شرك التبعيض وهو تركيب الإله من آلهة كشرك النصارى .
- **القسم الثالث** : شرك التقريب وهو عبادة غير الله ليقرب إلى الله زلفى كشرك متقدمي الجاهلية .
- **القسم الرابع** : شرك التقليد وهو عبادة الله تبعًا للغير كشرك متأخري الجاهلية .
- **القسم الخامس** : شرك الاعتقاد في الكواكب والأنواء .
- **القسم السادس** : شرك الأغراض وهو العمل لغير الله .

وحكم الأربعة الأول الكفر بالإجماع ، وحكم السادس المعصية من غير كفر ، وحكم الخامس الإجماع على كفره ، ومن قال : إنها تؤثر بقوة أودعها الله فيها فهو ما سبق . هذه وقفة قصيرة حول الشرك وأقسامه أعاذنا الله منه[1] .

---

(١) بتصرف من رسالة الشرك ومظاهره لمبارك الميلي – الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة مركز الدعوة ٨٥ .

٢ – طريقة دعوة المشركين :

على ضوء ما تم إيضاحه في معنى الشرك وأقسامه يمكن أن أذكر عدة طرق لدعوة هذا الصنف من أنواع أو أصناف المدعوين ، وذلك من خلال الآتي :

• **أولًا** : بيان وإيضاح دعوة الرسل من نوح عليه السلام إلى خاتمهم محمد ﷺ إلى التوحيد الذي هو إفراد الله بالعبادة ، وأنه – جل وعلا – الخالق المصور المحيي المميت ، بيده الأمر كله ، فإنه لا يقبل أن يكون معه شريك مع إيراد الأدلة العقلية ، وضرب الأمثلة التي تقرب هذا المفهوم إلى أذهان المدعوين ، قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾ .

• **ثانيًا** : إيراد الحجج والأدلة والبراهين العقلية على إثبات ألوهيته وربوبيته سبحانه وتعالى ، وأن هذا الكون بسمائه وأرضه وبحاره وأنهاره وجباله وكل ما فيه أوجده الخالق سبحانه وتعالى وهو الذي يسيره حسب مشيئته ليلًا ونهارًا حرًّا وبردًا ، وهكذا في كل مظهر من مظاهر الكون آية عظيمة تدل على أن المدبر واحد لا إله إلا هو ، ولا رب سواه ، فلا يمكن أن يعبد غيره ، لأن ذلك الغير لا يستحق العبادة لأنه مخلوق ، والعبادة للخالق سبحانه وتعالى ، ويكون ذلك الإيراد وتلك الحجج حسب مفهوم المتلقين وتصوراتهم كي يستوعبوا ما يوضح لهم ، قال تعالى: ﴿ أَمِ اتَّخَذُوا آلِهَةً مِّنَ الْأَرْضِ هُمْ يُنشِرُونَ ﴿٢١﴾ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا ۚ فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾[1] .

• **ثالثًا** : بيان وإثبات ضعف وافتقار جميع المعبودات التي تعبد من دون الله ، وأنها عاجزة عن جلب نفعها أو منع ضرها ، وأنه جل وعلا المهيمن على هذه المخلوقات جميعها أحيائها وجماداتها ونباتاتها وأفلاكها ، وليس من العقل أن يترك الخالق ويلجأ إلى المخلوق ، قال سبحانه وتعالى في كتابه العزيز : ﴿ قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ۚ وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٧٦﴾ ﴾[2] .

• **رابعًا** : ضرب الأمثلة لهم واستخدام الإعجاز القرآني وسرد الآيات التي بيّن فيها الحق تبارك وتعالى هذه القضية ، مثل قوله جل وعلا : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ ۚ إِنَّ

---

(١) الأنبياء : ٢١ ، ٢٢ .

(٢) المائدة : ٧٦ .

﴿ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا۟ لَهُۥ ۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ ﴿٧٣﴾ ﴾[1] والقرآن الكريم من أعظم الحجج ولا بد للداعية من استغلال هذه الحجة للبيان والإيضاح .

● **خامسًا** : التأكيد على أن الغلو في الصالحين من أكبر أسباب الشرك وإيضاح أن المسافة الزمنية بين آدم عليه السلام ونوح عليه السلام عشرة قرون كان أهلها جميعًا على الإسلام ، وبتعلق الناس بالصالحين دب الشرك بينهم فبعث الله إليهم نوحًا عليه السلام لإعادتهم ، وقد صور الكتاب العزيز ذلك في أجمل وأبلغ وأدق ما يكون التصوير في سورة نوح : ﴿ قَالَ نُوحٌ رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِى وَٱتَّبَعُوا۟ مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُۥ وَوَلَدُهُۥٓ إِلَّا خَسَارًا ﴿٢١﴾ وَمَكَرُوا۟ مَكْرًا كُبَّارًا ﴿٢٢﴾ وَقَالُوا۟ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾ ﴾[2] .

وقد أفرد الإمام البخاري رحمه الله تعالى بابًا في كتاب التفسير أسماه: باب ودًّا ولا سواعًا ولا يغوث ويعوق ونسرًا ، أورد فيه عن ابن عباس رضي الله تعالى عنه : (صارت الأوثان التي كانت في قوم نوح في العرب بعد ، أما ود فكانت لكلب بدومة الجندل ، وأما سواع فكانت لهذيل ، وأما يغوث فكانت لمراد ثم لبني غطيف بالجرف عند سبأ ، وأما يعوق فكانت لهمدان ، وأما نسر فكانت لحمير لآل ذي الكلاع ، أسماء رجال صالحين من قوم نوح فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون أنصابًا وسموها ففعلوا فلم تعبد ، حتى إذا هلك أولئك وتنسخ العلم عبدت)[3]

هذه أهم النقاط التي يمكن من خلالها بيان الحق لأهل الشرك وترهيبهم مما أعد لهم ، وأنهم سيبعثون بعد الموت من قبورهم ، وأن الله ليس بظلام للعبيد فلا بد من العودة إلى الحق ونبذ الشرك وأهله ، وأن هذه الدنيا دار ممر ومصير ، والآخرة هي دار القرار ، فلا بد من أن يعد المرء لذلك اليوم ، وخير عدة توحيد الله تعالى .

والجدير ذكره في هذا المقام أن كل وسيلة وطريقة يجدها الداعية مناسبة لدعوة هذا الصنف لا يقصر فيها ، لأن الهدف إنقاذ هؤلاء مما هم فيه وإعادتهم إلى الصواب ، وإن عاندوا فالنار مثوى لهم .

---

(١) الحج : ٧٣ .
(٢) نوح : ٢١ ، ٢٢ .
(٣) صحيح البخاري كتاب التفسير جـ٦ ص٢٨١ عالم الكتب .

○ رابعًا : الملحدون :

الإلحاد في الأصل هو الميل والعدول عن الشيء والظلم والجور والمراء والجدال .

يقال : لحد في الدين لحدًا ، وألحد إلحادًا لمن مال وعدل وماری وجادل وظلم ، والإلحاد : الميل عن الحق والانحراف عنه بشتى الاعتقادات والتأويل الفاسد ، وبهذا يسمى كل منصرف عن صراط الله ومعاكس لحكمه جل وعلا ملحدًا .

وبهذا نقول : إن الملحد هو من أنكر وجود رب خالق لهذا الكون متصرف فيه يدبر أمره بعلمه وحكمته .

ودعوة الملحدين تكون باتباع الآتي :

١ - إيراد الأدلة والبراهين على وجود الله تعالى وإثبات ذلك ، ولدينا من الأدلة الشيء الكثير كالأدلة الفطرية كحديث : « **ما من مولود ...** » وحديث « **إني خلقت عبادي حنفاء كلهم ...** » ، وذلك بعد إيراد قول الحق تبارك وتعالى في سورة الأعراف : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا ﴾[1] .

كذلك الأدلة العقلية وهنا يجب استخدام هذا الأسلوب بدقة ، وذلك من خلال ما يحيط بهم في البيئة ، فالملحد الذي في بيئة صناعية يختلف عن الملحد الذي يعيش في بيئة زراعية ، وهكذا بالنسبة للاختلافات الأخرى : الثقافية والمادية حتى يستطيع استيعاب ما يلقى عليه ، وعلى الداعية المسلم الوقوف على تلك الأدلة والبراهين لإقناع الملحد بوجود الله عز وجل من خلال ما يشاهده ويحسه ويلمسه حوله .

٢ - بيان أن الطبيعة لا يمكن أن تخلق أو تفعل أي شيء لاستحالة ذلك عقلًا ، لأن ما في الكون يشهد على أنه له خالق مبدع متصرف قادر لا شريك له ، أما الطبيعة فإنها لا تملك ذلك ولا أقل منه ، لأنها مخلوقة مقهورة لله تعالى الخالق المصور الذي خلق هذا

---

(١) الاعراف آية : ١٧٢ .

الكون بأفلاكه وأرضه وسمائه وبحاره ، وما فيها من مخلوقات كبيرة وصغيرة ودقيقة تسبح بحمده سبحانه وتعالى واجدها ومسيرها ، وأن هذه الطبيعة مخلوقة وهذا يعني أنه لا بد لها من خالق وهو الله جل وعلا .

٣ – محاجتهم من خلال شعاراتهم مثل (لا إله ، والحياة مادة) وذلك بسؤالهم من أوجد هذه المادة ؟ ومناظرتهم بإيراد الأدلة والبراهين العقلية من خلال هذا الكم الهائل من المعلومات عن الفضاء ونظامه الدقيق الذي لا يمكن أن يسير وحده بلا مُسَيِّر ومدبر له بحال من الأحوال ، ودقة حركته وعلاقته بما حوله في هذا الفضاء الفسيح جدًّا الذي يبهر العقول حيث لا يسع العقل البشري إلا الإيمان التام الكامل بأن هذا الكون لا بد له من مكوِّن إذ لا يمكن عقلًا أن يسير هكذا بالدقة المتناهية جدًّا جدًّا ، لأن هذا مخالف لطبيعة الأشياء ، وبهذه الأمور يستطيع الداعية دحض زعمهم بأن لا إله موجود ، وأن هذه الكائنات وجدت هكذا من الطبيعة كما يزعمون .

٤ – استخدام النظرية السببية : وأعني بهذا أن العقول البشرية السليمة تشهد أن لكل شيء سببًا ، فالبعرة تدل على البعير ، والجادة تدل على المسير ، وهكذا حتى تصل من خلال ضرب الأمثلة إلى بيان وجود العلي الخبير ، وبذلك نبطل إنكارهم وجود الله وتثبيت أن لهذه المخلوقات خالقًا ، وهذا الخالق هو الله تعالى الذي أوجد هذا النوع من مخلوقاته (الإنسان) ليعبده ويوحده .

٥ – استخدام الأدلة الحسية المشاهدة والأدلة الشرعية : والأدلة الحسية كمعجزات الأنبياء عليهم السلام مثل عصى موسى ، وإبراء الأكمه والأبرص لدى عيسى ، وانشقاق القمر الآية المحمدية مع الاستفاضة في ذلك والشرح والإيضاح وإيراد الآيات القرآنية التي حكت ذلك ، وهذا يدل على وجود الله سبحانه وتعالى ، لأن الأنبياء بشر لا يستطيعون ذلك إلا أن يكون بقدرة قادر ، وهو الله الذي خلقهم وأرسلهم إلى أممهم وأجرى على أيديهم هذه المعجزات .

أما الأدلة الشرعية فأعني بها القرآن الكريم والسنة المطهرة ، القرآن المعجز وتسخير الإعجاز القرآني لدحض افتراءات الملاحدة وبيان فساد معتقدهم ، هذا والآيات كثيرة جدًّا كذلك الأحاديث النبوية ، وعلى الداعية المسلم استخدام ذلك حسب الحاجة وحسب

مستوى الملحد الثقافي والاجتماعي والبيئي .

وصدق ربنا الجليل العظيم إذ يقول : ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾ ﴾[1] .

وعلى الداعية الاستفادة من خبرات وتجارب إخوانه الدعاة الذين سبروا غور هذه الفئة واشتغلوا في دعوتهم وتسخير جميع الوسائل لبيان الحق وإنقاذ هؤلاء مما هم فيه من غواية ومجون .

ومعلوم أن الاتحاد السوفيتي (الدولة التي تمزقت) كان قد أرسل أحد رواد الفضاء من سنوات وأعتقد أنه في نهاية الستينات الميلادية ، ولما وصل إلى الفضاء الخارجي لم يستطع أن يتمالك نفسه من هول وعظمة ما رأى إلا أنه قال : يا الله ، لكنهم أخفوا ذلك لأنها دولة كانت تنادي بالإلحاد وتدعو إليه ، والآن ما نراه من تسابق في ريادة الفضاء يمكن استخدام نتائجه لبيان أن لهذا الكون خالقًا مدبرًا هو الله .

والذي أعتقده أن فكرة الإلحاد – مع هذا التنوير الذي يعيشه إنسان اليوم – غير واردة إن لم يكن خلفها قوة تغذيها بالقهر والقوة وجمع الناس حولها ، لأن في ذات الإنسان دلائل كثيرة تبرهن وتثبت وجود خالق مبدع لهذه الحواس ، وهذا التكوين العجيب الدقيق : البصر السمع الشم الإدراك ، التقسيم والتناسق البديع بين أجزاء جسم الإنسان ، وهكذا أدلة كثيرة ، كثيرة جدًّا لا يمكن أن يقف أمامها فكر ضال ويحجبها ، لأنه تكوين الإنسان ، لكن أعداء الدين السماوي كله حاولوا بث سمومهم في كلّ الاتجاهات ليصرفوا المخلوق عن الخالق وتتم بعد ذلك السيطرة لهم على البشرية ، لكن الله بالمرصاد فها هي الشيوعية الإلحادية سقطت وسيتبعها كل فكر ضال مضل قريبًا إن شاء الله .

* * *

---

(١) البقرة آية : ١٦٤ .

الفصـــل الثانـــي
حقوق المدعو

١ - الذهاب إلى المدعو .

٢ - التعرف عليه مباشرة .

٣ - الاهتمـــام بـه .

٤ - عدم الاستهانة بالمدعو أيًا كان مستواه .

٥ - احترامه والتلطف معه .

* * *

○ حقـوق المدعـو ○

إن أمة سيدنا محمد ﷺ أمة شرفها الله الحق تبارك وتعالى بهذا الدين وبرسالة سيد المرسلين ﷺ القائمة على الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى ، بإفراده بالعباده وإخلاصها له جل شأنه . هذه الأمة يلزمها اقتفاء أثره ﷺ .

فما تلك الحقوق الواجب إتاحتها للمدعو من خلال جهاده ﷺ في إبلاغ رسالة ربه للناس أجمعين ؟ إن هذه الحقوق تتلخص في النقاط التالية :

١ – الذهاب إلى المدعو .

٢ – التعرف عليه مباشرة .

٣ – الاهتمام به .

٤ – عدم الاستهانة بالمدعو أيًا كان مستواه .

٥ – احترامه والتلطف معه .

وسوف نفصل هذه النقاط الخمس معتمدين في ذلك بعد الله سبحانه وتعالى على ما وقفنا من دعوة سيد المرسلين ﷺ في العهد المكي أو المدني .

* * *

١ - الذهاب إلى المدعو

وكذلك فعل ﷺ فقد ذهب إلى مجالس القوم يدعوهم إلى الدين القويم ، ويبين لهم رسالة ربهم سبحانه وتعالى حتى إنه عليه الصلاة والسلام كان يخرج إلى قبائل العرب في منازلها في مواسم قدومها إلى مكة يدعوهم ، علاوة على من يأتي منهم داخل مكة ، أي أنه يعرض نفسه على قبائل العرب في مواسمها فلم يجلس صلوات الله وسلامه عليه في بيته منتظرًا مجيء الناس إليه ، بل كان يذهب إليهم في أماكنهم رجاء أن يقبلوا هذه الدعوة ويقبلوا عليها .

لذلك قلنا : إنه من حق المدعو أن يؤتي إليه ويدعي كما كان يفعل إمام المتقين ورسول رب العالمين ﷺ مع قومه ، ومن أتى إلى مكة من غير أهلها ، وذهابه ﷺ إلى الطائف لدعوة أهلها إلى الإسلام ، كل ذلك دليل على ضرورة إتيان المدعو إلى مكانه ودعوته إلى الإسلام وتوحيد الملك العلام وإفراده بالعباده جل وعلا .

يقول ابن سعد في طبقاته : (أقام بالطائف عشرة أيام لا يدع أحدًا من أشرافهم إلا جاءه وكلمه)[١] .

أما دعوته ﷺ قومه وقبائل مكة في منازلهم فقد أورد ابن سعد ذلك فقال : (دعى الناس عشر سنين ، يوافي المواسم كل عام يتبع الحاج في منازلهم في المواسم بعكاظ ومجنة وذي المجاز)[٢] يدعوهم إلى أن يمنعوه حتى يبلغ رسالات ربه ولهم الجنة ، فلا يجد أحدًا ينصره ولا يجيبه ، حتى إنه ليسال عن القبائل ومنازلها قبيلة قبيلة ويقول : « **يا أيها الناس قولوا : لا إله إلا الله تفلحوا وتملكوا بها العرب وتذل لكم العجم ، وإذا**

---

(١) طبقات ابن سعد جـ١ ص٢١٢ دار صادر بيروت .

(٢) قال الواقدي : عكاظ بين نخلة والطائف وذو المجاز خلف عرفة ، ومجنة بمر الظهران وهذه أسواق قريش والعرب . معجم البلدان لياقوت الحموي جـ٤ ص١٤٢ .

آمنتم كنتم ملوكًا في الجنة »[1] صلوات الله وسلامه عليك يا رسول الله ، لقد أوضحت لنا الطريق وبينت لنا المنهج القويم في الدعوة إلى رب العالمين ، فقد بذلت الكثير والكثير لإبلاغ رسالة ربك للعالمين .

❋ ❋ ❋

---

(١) طبقات ابن سعد جـ١ ص٢١٦ .

٢ - التعرف عليه مباشرة

ونعني بذلك عدم جعل واسطة بين الداعي والمدعو ، ليشعر المدعو باهتمام الداعي به ، فالاتصال المباشر بين الداعي والمدعو يبرز الكثير من الجوانب التي تساعد الداعي في إبلاغ المدعو دعوته ، كما كان يفعل صلوات الله وسلامه عليه ، حيث كان يذهب بنفسه إلى المدعوين سواء قومه أو من وفد إلى مكة للبيت العتيق أو للتجارة .

ومن مزايا التعرف المباشر إبراز أهمية الأمر أمام المراد تبليغه للمدعو ، وإمكانية الإجابة على تساؤلات المدعو إن كان هناك بعض التساؤلات لديه ، وغير ذلك من الفوائد التي لا تخفى على المشتغلين بالدعوة ، والتي لا يسمح المجال للإطالة فيها وإبرازها بشكل تفصيلي (وقد قيل : ليس من رأى كمن سمع) لقد أصبحت الدعوة علمًا وفنًّا نحتاج إلى دراسة وخبرة ، وهذا يضمن الحصول على نتائج أفضل وأسرع .

* * *

٣ - الاهتمام بالمدعو

إن من حق المدعو على الداعي أن يهتم به ويشعره بذلك الاهتمام للداعي ، ويرفعه إلى أن يستمع له ويتجاوب معه .

وهذا الاهتمام ينبثق من شفقة الداعي بالمدعو وحبه له وحرصه الشديد على هدايته ، حيث كان عليه الصلاة والسلام حريصًا وشفوقًا بعباد الله جميعًا ، ليعودوا إلى خالقهم سبحانه وتعالى بالخلوص من الشرك والتمسك بحبله المتين .

وإذا شعر المدعو باهتمام الداعي فإن الاستجابة غالبًا ما تكون إيجابية وبذلك يصل الداعي إلى هدفه الذي يسعى لتحقيقه وهو إفراد الله بالعبادة وصرف جميعها لله سبحانه وتعالى الذي خلق الناس لعبادته .



٤ - عدم الاستهانة بالمدعو أيًا كان مستواه

إن احتقار الإنسان لأخيه الإنسان والاستهانة به أمر مشين ، لأن الله أكرم ابن آدم وفضله على كثير من خلقه فكيف بالدعاة إلى الله الذين ينظر إليهم نظر تقدير واحترام ، كيف بهم إذا صدر هذا السلوك منهم وهم القدوة .

ورسولنا الكريم عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم الهاشمي القرشي سليل المجد والفخار ، كان يلتقي بالشريف والوضيع ، بالحر والعبد ، بالغني والفقير ، يدعوهم إلى الحق والنور انفاذًا لأمر الحق تبارك وتعالى ، فلا يجوز للداعي أن يستهين بالمدعو مهما كان مستواه أو يستصغره أو يقلل من شأنه وقيمته ، لأن من حق المدعو على الداعي أن يبلغه دعوة ربه جل وعلا وينشله من براثن الكفر والغواية ، لعل الله سبحانه وتعالى يقبله ويهديه فيكون من الدعاة إليه المنافحين عن دين الله الذي ارتضاه للناس جميعًا ، قال تعالى : ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾[1] .

وقد قال الشاعر العربي :

ترى الرجل النحيف فتزدريه
وفي أثيابه أسد هصور

لذا ينبغي على الداعية أن يتمثل الحكمة والتعقل في دعوته فلا يستهين بأي إنسان مهما كان وضعه ، لأن من حق هذا الإنسان على الداعية أن يدعوه ويبلغه هذه الأمانة ، لأن الدعوة أمانة ، فيجب أن تؤدى الأمانة على أحسن وأكمل وجه ، ورسولنا الكريم عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم كان لا يقلل من قيمة أولئك الكرام من أصحاب العقبة الذين كانوا فاتحة خير على الدعوة ، حيث انطلقت من خلالهم إلى آفاق جديدة هناك في

---

(١) سورة المائدة آية : ٣ .

مجتمع الأوس والخزرج في المدينة المنورة ، المهجر الجديد للإسلام والمسلمين ، والقصة معروفة في كتب السيرة .

لذا سيجد الداعية الخير الكثير من امتثاله أثر الرسول الكريم ﷺ في دعوته وخطواته في مراحل الدعوة المختلفة ، سواء ما كان منها في مكة أو المدينة المنورة حتى لقي ربه عليه الصلاة والسلام ، وقد أدى الأمانة وبلغ الرسالة ونصح الأمة وجاهد في الله حق الجهاد .



٥ - احترام المدعو والتلطف معه

كم كنت لطيفًا معهم يا سيدي يا رسول الله ﷺ محترمًا لهم مقدرًا لوضعهم وحالتهم التي كانوا فيها ، لذا يجب أن يكون الداعية كذلك مع المدعوين يحترمهم ويتلطف معهم في القول ، ولا يشعرهم بالتعالي عليهم يظهر لهم سماحة الدين من خلال دعوته لهم ، وتعامله معهم بحيث يشعرون بالأمن والأمان ، لأن الإسلام أمنٌ وأمان ، ورسول الإسلام عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام بعث لنشر الأمن والأمان في ربوع هذه الأرض ، لينعم بهما من خلال التجائهم إلى خالقهم وخضوعهم له سبحانه وتعالى بصرف جميع أنواع العبادة له وحده جل وعلا .

إن المدعو إذا أحس بهذا الإحساس أثناء تقديم هذا الدين له فإنه حزي به أن يذعن ويتقبل الدعوة ، لأنها دعوة المحبة والرضى ، ليس فيها إكراه أو عنف أو تحقير أو إذلال لحال المدعوين ، لذا يلزم معشر الدعاة الوقوف على هذا الجانب الهام من خلال النظر في دعوة سيد المرسلين ﷺ ، وما كان عليه من لطف واحترام للمدعوين - سواء من كان منهم من قومه أو من وفد إلى مكة للبيت أو التجارة- لترسم خطاه والاستفادة من ذلك لضمان نجاح الدعوة بتقبل المدعوين لها وانضوائهم تحت لواء راية التوحيد الذي خلق سبحانه وتعالى الخلق من أجله ، من أجل أن يعبدوه وحده لا شريك له ، إذ هو الذي خلقهم سبحانه لم يشاركه أحد في ذلك ، فكان لزامًا على العباد أن يعبدوه وحده لينعموا بما أعده لعباده المتقين من عظيم الثواب وحسن الجزاء ، ولقد اسهمت هذه البلاد المباركة - بلاد الحرمين الشريفين - في إبراز هذه المعاني التي وقفنا عليها سابقًا ، فقدمت لهذا الإنسان كل دعم ومساعدة ليدخل في هذا الدين القويم ، لقد قدمت لكافة الناس في مشارق الأرض ومغاربها كل ما يمكن تقديمه لبيان عظمة هذا الدين، وأنه دين الخلود، الدين الذي أراده الله سبحانه وتعالى لجميع عباده واختاره لهم. لقد أدت هذه البلاد ما للمدعوين من حقوق على المدعو ، وما إنشاء هذه الجامعة (الجامعة الإسلامية) إلا محاولة من تلك المحاولات التي قامت بها هذه البلاد لنشر الإسلام في كل مكان ودعم كل جهد يبذل في سبيل إبلاغ هذا الدين

للناس أجمعين .

فقد أرسلت وما زالت ترسل الدعاة إلى شتى أنحاء العالم لنشر الإسلام بين الناس في شرق الأرض وغربها وشمالها وجنوبها . إنه غيض من فيض ، والمجال لا يسع لبيان ما قامت به هذه البلاد وتقوم به من أجل تبليغ هذه الرسالة الخالدة لعباد الله .

وهي عندما تقوم بذلك فإنها تقوم به من خلال إيمانها بأنه واجب عظيم شرفت به ولله الشكر والمنة فقد شرفها الله سبحانه وتعالى بخدمة الحرمين الشريفين وحماية الديار المقدسة في مكة المكرمة حيث بيت الله العتيق ، وفي المدينة المنورة حيث مسجد رسوله الأمين عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم .

فيا له من شرف عظيم ويالها من خدمة جليلة !

نعم ، لقد قدمت هذه البلاد جميع هذه المجهودات الكبيرة لإبلاغ رسالة الحق للخلق ، لإيمانها بأن للمدعوين حقًا عليها ، إذ لم تدخر أي جهد أو إسهام في إبلاغ الدعوة إلا وقدمته تأسيًا برسولها الكريم ﷺ الذي كان ينتقل من مكان إلى مكان ، ومن مجلس إلى مجلس يدعو الناس إلى دين الله القويم وصراطه المستقيم ، بلا كلل أو ملل صادعًا بأمر ربه ، باحثًا عن مؤيد لهذا الدين ، مظهرًا للناس جميعًا حقيقة وجودهم ووظيفتهم في هذه الحياة التي شرفهم بها خالقهم سبحانه وتعالى وتكرم عليهم ببعث وإرسال الأنبياء والرسل ليعلموهم ويرشدوهم إلى طريق الخير والفلاح حتى لا يكون لهم حجة ، قال تعالى : ﴿ رُسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٦٥﴾ ﴾[1].

إننا عندما نقول بأن للمدعوين حقًا على الداعية فإننا نقرر ذلك من خلال وقوفنا على دعوة سيد المرسلين ﷺ .

فالحق سبحانه وتعالى يخاطب عبده ورسوله محمدًا ﷺ فيقول : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٦٧﴾ ﴾[2]، والسعي إلى المدعو يضمن لنا وصول الدعوة صافية نقية واضحة سليمة من

---

(١) سورة النساء آية : ١٦٥ .

(٢) سورة المائدة آية : ٦٧ .

الزيادة أو النقصان .

ثم إن هذه الدعوة أتت بالشفقة والرحمة وأكدت عليها وأمرت بها ، وذهاب الداعي إلى المدعو إنما هو من باب الحرص على هدايته والشفقة به ؛ لأن هذا الإنسان الذي لم ينعم بالإسلام إنما هو في الحقيقة مريض ، ومرض القلوب أشد من مرض الأجسام ، فدعوتهم إنما هي إخبار لهم بما هم فيه من خطر عظيم وخطب جسيم ومرض عضال ، إذ لا علاج لحالتهم هذه إلا بتحقيق العبودية لله وحده لا شريك له وإخلاص العبادة له سبحانه وتعالى وترك الأنداد والشركاء من إنس أو جن أو حجر أو شجر أو صنم على أي شكل من الأشكال أو هيئة من الهيئات .

كل هذا إنما هو اقتداء بالبشير النذير ﷺ في اهتمامه بالمدعو ، شفقة ورحمة وحرصًا وعلاجًا لما هم فيه من بعدهم عن خالقهم سبحانه وتعالى وتعلقهم بما لا ينفع ولا يضر ، بل في الحقيقة إنه يغير في حالة إصرار العبد على التعلق به وترك عبادة الله الواحد الأحد الفرد الصمد سبحانه وتعالى ، حيث الجزاء الأوفى جهنم وبئس المصير ، قال تعالى : ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾﴾[1] .

* * *

(١) سورة المائدة الآية : ٧٢ .

الفصل الثالث
واجبات المدعو

- أولًا : الاستجابة لله تعالى ورسوله .
- ثانيًا : قبول دعوة الإسلام وعدم الاستهانة بها .
- ثالثًا : أن لا يستكبر على الحق إذا عرفه .
- رابعًا : أن يفكر فيما يدعي إليه .
- خامسًا : السمع والطاعة لله ورسوله والقيام بحق الإسلام في جميع شئون حياته .
- سادسًا : العمل على إبلاغ هذا الدين للناس أجمعين .

○ واجبـات المدعـو ○

إذا كان من حق المدعو على الداعي ما ذكرناه في الفصل السابق ، فإن عليه واجبات يجب أن يقوم بها ، لأن الداعي قام نحوه بخدمة جليلة عظيمة ثوابها عظيم ونفعها لا يمكن أن يقدر بثمن ، وذلك لأن المدعو إذا كان من الأصناف التي كفرت بخالقها سبحانه وتعالى وبعدت عن الطريق المستقيم وأكرمه الله تعالى بالإيمان عن طريق ذلك الداعية فإنه مهما قدم له فلن يرد عليه ذلك الجميل أبدًا ، لأنه أُسدى إليه أكبر معروف ، وكان – بإذن الله – السبب في هدايته ، كما قال ﷺ : « **لأن يهدي الله بك رجلًا واحدًا ...** » الحديث ، والواجبات التي على المدعو ويجب عليه القيام بها أوجزها في النقاط التالية :

- ○ **أولًا : الاستجابة لله تعالى ورسوله .**
- ○ **ثانيًا : قبول دعوة الإسلام وعدم الاستهانة بها .**
- ○ **ثالثًا : أن لا يستكبر على الحق إذا عرفه .**
- ○ **رابعًا : أن يفكر فيما يدعى إليه .**
- ○ **خامسًا : السمع والطاعة لله ورسوله والقيام بحق الإسلام في جميع شئون حياته .**
- ○ **سادسًا : العمل على إبلاغ هذا الدين للناس أجمعين .**

هذه النقاط الستة إذا التزم بها المدعو ، وقام بها فإنه قد أدى ما عليه من واجب نحو الداعية إلى الله تعالى الذي عرض عليه الإسلام وأنقذه – بإذن الله – مما هو فيه من ضلال وضياع وبعد عن الحق والفطرة .

ولا شك أن هذا الالتزام يترجم بصدق عن القبول لديه ، وبالتالي واجبه نحو ما دعي إليه ومن دعاه الذي أصبح أخًا له جمعه به الإسلام .

ولاستكمال البيان والإيضاح أبين وأفصل هذه النقاط على النحو التالي :

❋ ❋ ❋

أولًا : الاستجابة لله ورسوله

يقول الحق تبارك وتعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾[1].

ويقول جلّ وعلا : ﴿ اسْتَجِيبُوا لِرَبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ مَا لَكُم مِّن مَّلْجَإٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُم مِّن نَّكِيرٍ ﴿٤٧﴾ ﴾[2].

ويقول عز وجل : ﴿ يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣١﴾ وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءُ ۚ أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٣٢﴾ ﴾[3].

لو أردنا الوقوف عند كل آية من هذه الآيات المباركات لكانت المحصلة بحثًا مستقلًا لذا سأعرج على معنى الاستجابة لله فقط للبيان .

الاستجابة : قيل هي الأجابة ، وحقيقتها هي التحري للجواب والتهيؤ له لكن عبر به عن الإجابة لقلة انفكاكها عنها .

والعباد مأمورون بالاستجابة لله تعالى الذي يدعوهم من خلال هذه الرسالات التي أكرم الحق تبارك وتعالى بها عباده ، إذ أرسل إليهم رسله وأنزل عليهم كتبه ليعبدوه ويوحده سبحانه وتعالى ، فكل أمة لها رسول – تفضلًا من الله وكرمًا – حتى لا يكون للعباد عذر ، ومقابل هذا الفيض الكبير يطلب منهم سبحانه وتعالى – وهو الغني عن العالمين – أن يقبلوا عليه ولا يشركوا به أحدًا .

يقول صاحب فتح القدير في تفسير قوله تعالى : ﴿ اسْتَجِيبُوا لِرَبِّكُمْ ﴾ أي استجيبوا

(١) الأنفال آية : ٢٤ .

(٢) الشورى آية : ٤٧ .

(٣) الأحقاف : ٣١ ، ٣٢ .

دعوته لكم إلى الإيمان به وبكتبه ورسله من قبل أن يأتي يوم لا يقدر أحد على رده ودفعه ، على معنى : من قبل أن يأتي من الله يوم لا يرده أحد ، أو لا يرده الله بعد أن حكم به على عباده ووعدهم به ، والمراد به يوم القيامة[1].

والإمام القرطبي رحمه الله تعالى يقول : (أي أجيبوا إلى ما دعاكم إليه من الإيمانية والطاعة)[2].

والإنسان العاقل الواعي لا يملك إذا سمع قول الله تعالى إلا أن يقول : سمعت وأطعت ، لأن نداء الله عظيم ، الذي خلق الخلق ويصرف أمورهم ، بيده الملك وهو على كل شيء قدير .

واستجابة العبد لنداء خالقه ومولاه جل وعلا شرف له ورفعة ينال جزاءها الجنة وما أعده سبحانه وتعالى لأهلها من أجر عظيم ومقام رفيع ، وفي نفس الوقت في هذا الأمر تكريم لهذا الإنسان ، فالأمر من الله مالك الملك لهذا الإنسان الضعيف الفقير إلى ربه ومولاه على الدوام ، وما ذاك إلا رحمة من الله لهذا الإنسان الرسل والكتب وهذه العناية والرعاية الدائمة من رب العزة والجلال سبحانه وتعالى ، وهناك نقطة هامة في هذا الجانب وهي نقطة البلاغ والدعوة أي دعوة هؤلاء الناس وتعليمهم أمر الله ونداءاته لهم وإرساله الرسل وإنزاله للكتب كي يعبدوه وحده سبحانه وتعالى - وقد عرف دعاة الإسلام أن الكثير من البشر لا يعرفون عن ذلك أي شيء ، وبعضهم يعرف أقل القليل ، وهنا تزداد المسئولية على أمة القرآن في بيان نداءات الرحمن لعباده أجمعين ، وعندها تقوم عليهم الحجة وتكون الاستجابة جيدة إن شاء الله .



(١) فتح القدير للشوكاني جـ٤ ص٥٤٤ دار الفكر .
(٢) الجامع لأحكام القرآن للإمام القرطبي جـ١٦ ص٤٧ دار الكتاب العربي .

ثانيًا : قبول دعوة الإسلام وعدم الاستهانة بها

من الواجبات التي أنيطت بالمدعو أن يقبل هذه الدعوة المباركة التي تنقذه من النار وغضب الله تعالى ، لأنها دعوة له فيها خير ، ومحتاج إليها ، فيها حياته ، فيها حريته ، فيها عزه ومنعته ، فيها خيرى الدنيا والآخرة .

وقد بين الحق تبارك وتعالى في كتابه العزيز شأن عباده الذين سمعوا نداء الحق والإيمان فآمنوا ، وعلى أي مدعو في هذا الزمان أن يكون مثلهم ، فيقبل دعوة الإسلام ، وينقاد للحق ، وينقذ نفسه من الهلاك ، قال تعالى : ﴿رَّبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ ۝١٩٣﴾[1].

والإنسان العاقل المدرك لعواقب الأمور لا شك أنه سريع القبول ، لأنه يدرك تمام الإدراك أن هذا المدعو لا يريد منه شيئًا خاصًا به بل يريد إنقاذه من النار ، فسرعان ما يقبل هذا الخير خاصة الذين لديهم قسطًا من العلم والإدراك الجيد لفلسفة الحياة ؛ إذ لا يمكن أن تكون الحياة الدنيا هكذا بلا ضابط أو نهاية ، لأن جميع أنظمتها تدل على أن لكل شيء نهاية وأجل ، أين الآباء والأجداد ؟ أين الأصحاب والخلان ؟ جميعهم عندما ماتوا لم يعودوا ثانية ، وفي هذا أكبر عبرة ، أما أولئك الجاهلون فإن من حقهم أن يعرفوا ، وبعد ذلك لا بد لهم أن يقولوا : سمعنا وأطعنا .

ولقد ذكرت في الفصل الثاني من هذا الباب عند الحديث عن أنواع المدعوين ما يتعلق بدور أهل الكتاب وواجبهم نحو هذه الدعوة التي أخبرهم عنها أنبياؤهم عليهم السلام ، وما عداهم من الناس في شتى أنحاء العالم ممن لم يعلموا شيئًا أو لم يحاولوا أن يعرفوا أي شيء عن الإسلام ، يجب عليهم أن يقبلوا الخير ويجب عليهم في نفس الوقت أن لا يستهينوا به ، لأنه من عند الله، فيه صلاحهم وسعادتهم، وربما يقص علينا خبر الجن الذين سمعوا القرآن فآمنوا به، وذلك في سورة الجن، والقصة

(١) آل عمران : ١٩٣ .

معروفة لدي دعاة الإسلام ، والإنس أولى بهذا ، لأن خاتم الرسل ﷺ منهم ليس ملكًا أو جنيًّا بل من الإنس ، وهم أولى به بداية ، ولو أنه بعث ﷺ للثقلين الجن والإنس .

ومما لا شك فيه أن لما في الكتاب والسنة من تأثير على النفس البشرية أكبر أثر على هذا الإنسان في سرعة القبول ، وهذا من فضل الله تعالى على البشرية ، ومعلوم أن الإنسان السوي لا يستهين بأمر الدين أبدًا ، وذلك لأن الله تعالى جعل في هذا الإنسان بل وجبله على الإيمان به ، كما قال تعالى في سورة الأعراف : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾ ﴾[1].

فالله سبحانه وتعالى فطر هذا الإنسان على ذلك وعندما يدعي إنما نعود به إلى فطرته التي فطره المولى عليها . وهذه التي اعتمدت عليها في هذا الواجب الملقى على عاتق المدعو .

وإذا نظرنا إلى بداية دعوة الإسلام نجد أن أصحاب الفطر السليمة أمثال سيدنا أبي بكر الصديق وعلي بن أبي طالب وأم المؤمنين خديجة بنت خويلد رضي الله تعالى عنهم جميعًا لم يترددوا ولو للحظة واحدة بل قبلوا الدعوة وناصروها كما هو معروف ، وهناك أدلة في دعوات بعض الرسل قبل مبعث سيدنا محمد بن عبد الله ﷺ فيها دليل على ما ذهبت إليه كإيمان السحرة بدعوة موسى عندما عرفوا الحق ، وأن هذا الأمر لا يمكن أن يكون إلا من لدن قاهر قادر ، ولم يرهبوا فرعون وبطشه ، قبلوا الحق لأنهم عرفوه ، وهكذا الإنسان السوي في كل زمان وأي مكان يقبل الحق ويخضع له ، وفي هذا الزمان بالذات الذي أنكر فيه هذا الإنسان بسبب ما هو فيه من ضلالات وعمارات تجده سريع الاستجابة لنداء الإسلام .

وهنا لا بد من تذكير بوجوب حسن العرض أي عرض هذا الدين بالطريقة التي تناسب المدعو ، وذلك لتحقيق استجابة وقبول سريع .

***

(١) الأعراف : ١٧٢ .

ثالثًا : أن لا يستكبر على الحق إذا عرفه

موضوع الكبر من أخطر الأمور على الإنسان خاصة إذا عرف الحق ، والكبر : هو غمط الحق . وكفار قريش عرفوا الحق ، لكن الكبر حال بينهم وبينه ، فنعوذ بالله من الكبر . وواجب على المدعو أن لا يستكبر ويلبس شخصية ما لا يتناسب وخطوته إذ إن الله خلق هذا الإنسان من تراب وكان خلقه له في أحسن تقويم . والكبرياء لله . وفي الحديث الذي أورده الإمام أبو داود في سننه عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال رسول الله ﷺ : **«قال عز وجل: الكبرياء ردائي والعظمة إزاري فمن نازعني واحدًا منهما قذفته في النار»**[1].

وها هو إبليس – لعنه الله – كيف أصبح عندما تكبر ورفض أن يسجد لأبينا آدم عليه الصلاة والسلام ، لأنه من تراب .

وعلى المدعو أن لا يترفع ويتجبر وينكر الحق بل عليه أن يقبله .

والكبر : هو بطر الحق وغمط الناس : أي احتقارهم ، والإنسان العاقل لا يتكبر ولا يحتقر أحدًا أبدًا ، لأنه خلق من تراب ، والكبرياء لله وحده سبحانه وتعالى .

وقد وردت أحاديث كثيرة تذم الكبر وتحذر المتكبرين وتبين عاقبة أمرهم ، وعاقبة الكبر يجدها المتكبر في الدنيا أولًا حيث كُرْه الناس له ونفورهم من كتاب ربنا العزيز الذي أوضح بجلاء ما أعده المولى سبحانه وتعالى لهذه الفئة من خلقه .

ومادة هذه الكلمة وردت في كتاب الله العزيز أكثر من خمسين مرة بألفاظ عدة منها تتكبر ، يتكبرون ، استكبر ، متكبر ، كبر ، قال تعـــالى : ﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلْأَرْضِ ﴾[2] . لأن الكبر من أشنع ما يوصف به الإنسان حيث يترك على

---

(١) سنن أبي داود جـ٤ ص٣٥٠ .

(٢) الأعراف آية : ١٤٦ .

شخصيته آثارًا قائمة ، لأنه خلق ذميم وآفة قاتلة تظهر آثاره جلية ، لأنّ النفس البشرية يدمرها هذا السلوك بحيث لا تفرق بين الأمر الصحيح والخطأ ، لذا فإن المدعو يجب أن يحذر من الكبر حتى لا يبعده عن الصواب ، ولا شك أن المدعو إذا سلم من الكبر فإنه في خير وعافية .



رابعًا : أن يفكر فيما يدعى إليه

تفكير المدعو فيما يدعى إليه مدعاة إلى الإيمان بما يدعى إليه ، وذلك لأن الداعي يدعوه إلى خير ، يدعوه إلى صلاح ، يدعوه إلى الله ، لا يدعوه إلى أمر فيه خيارات إن استجاب فيها ، وإن لم يستجب فلا خوف عليه .

والمدعو إذا فكر تفكيرًا سليمًا بما يدعي إليه لا يجد في نفسه إلا القبول والتسليم ، نعم ، القبول والتسليم ، لأن هذه الدعوة تلقى في داخل هذا الإنسان قبولًا ، لأنها دعوة إلى الفطرة المغروسة داخل كل إنسان وهي توحيد الله تعالى ، وذلك لأن الدعوة إلى الإسلام تحمل في طياتها كل فلاح لهذا الإنسان في الدنيا والآخرة ليس تعصبًا لديننا ، بل تقريرًا لحقيقته ، لأن العقل البشري يذكر الخير فتتوق النفس إليه وتشرئب إلى الاستمتاع به وتتطلع بفطرتها السليمة إلى الحصول عليه والوصول إليه .

أما الدعوات الأخرى فإنها لا تملك في ذاتها ما يملكه الإسلام في ذاته ومن حق المدعو أن يفكر فيما يدعي إليه ليطمئن قلبه وتستقر نفسه على رأي نهائي .

ولما كان الإسلام بأوامره ونواهيه وتشريعاته مطمح كل نفس سليمة فإن التفكير في الدعوة إليه أمر مطلوب ، لأن نتيجته في صالح الدعوة ، وذلك لكونها إيجابية دائمًا ، وفي هذا الزمان بعدما جرب الإنسان هذا الكم الهائل من المعتقدات التي وضعها الإنسان لنفسه والتي لم تزده إلا شقاءً وإجهادًا وقلقًا بل وضياعًا فإن قبوله لهذا الدين الذي أتى ليحقق له السعادة الكاملة سيكون سريعًا .

وربنا الجليل العظيم يقول في كتابه العزيز : ﴿ لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ ۚ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ

عَلِيمٌ ﴿٢٥٦﴾[1].

ولا شك أن إتاحة الفرصة للمدعو في التفكير فيما يدعي إليه فيه تكريم له ورعاية واحترام وتقدير ، كي يقول كلمته الأخيرة بعد عرض الإسلام عليه عرضًا جيدًا .

***

(١) البقرة آية : ٢٥٦ .

خامسًا : السمع والطاعة لله ورسوله والقيام بحق الإسلام في جميع شئون حياته

من أهم الواجبات التي يجب على المدعو أداءها إذا بلغته دعوة الإسلام أن يحقق الإسلام في حياته كلها ، لأن معناه الاستسلام لله بالتوحيد والانقياد له بالطاعة والخلوص من الشرك .

فيقيم جميع أمور حياته على هدي هذا الدين كي يترجم هذا القبول إلى واقع عملي ليكون القبول قولًا بنطق الشهادتين ، وعملًا بالتزام منهج الإسلام في حياته كلها ، وبهذا يكون ممن قال فيهم الله تعالى في كتابه العزيز : ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ﴾[1] . وهذا أمر بدهي ، وذلك لأن الإيمان معناه التصديق وهو أن يترجم عن هذا الإيمان بالقيام بتكاليف الإسلام كلها وفق ما جاء به رسول الهدى ﷺ ، لأن عمل المسلم لا يقبل إلا إذا كان خالصًا لله ، وفق هدى رسول الله ﷺ ، إن هذه الترجمة العملية هي الدليل الحي على صدق قبول المدعو للدعوة ، ومن خلال قيامه بالتكاليف وجعل الإسلام منهج حياته يجني ثمار هذه الدعوة بداية من الخلوص من الشرك والتوجه لله وحده لا شريك له – بإخلاص – الذي خلقه لهذا الأمر ، وفي قيامه بذلك يذوق حلاوة الإيمان ويستمتع بلذة الإسلام ، فإن للإيمان حلاوة وللإسلام لذة لا يجدها الإنسان إلا في التزامه بهذا الدين الذي ارتضاه رب العالمين له .

وغاية الداعية ذلك وهدفه الأسمى إقامة المدعو حياته على هدي الدين الذي ضمن له سعادة الدارين والفوز بالجنة لقاء طاعته لخالقه ومولاه جل وعلا ، وامتثاله لهدي رسوله محمد ﷺ، وتمسكه بهذه النعمة، نعمة الإسلام حتى يلقي الله وهو سبحانه وتعالى راضي عنه.

---

(١) البقرة آية : ٢٨٥ .

سادسًا : العمل على إبلاغ هذا الدين للناس أجمعين

هذا الواجب نتيجة طبيعية لالتزام المدعو بما دعي إليه وإقامة حياته على منهج الله تعالى ، وذلك لأن من ذاق حلاوة الإيمان يحرص على الدوام على أن يتذوقها إخوانه في الإنسانية ، لعلمه بأن هذا الدين للناس أجمعين فيقوم بإبلاغه لهم ودعوتهم إليه ، إن من ذاق طعم الإيمان واستقرت في نفسه الرغبة فيما عند الله سبحانه وتعالى لا يملك إلا أن يدعو بهذا الحق ويسعى على الدوام إلى إبلاغه للناس أجمعين ، لأنه يحس بأن هذا من الواجبات عليه نحو هذا الدين وهذه النعمة الكبرى ، وقد ذكر العلماء أن الدعوة لهذا الدين نتيجة طبيعية لإيمان العبد بخالقه ومولاه جل وعلا وقيامه بتكاليف الإسلام ، فقالوا : إن علم الإنسان بهذا الدين من خلال دعوته إليه يترتب على هذا العلم العمل به أي السير في جميع شئون حياته على منهج الإسلام ثم الدعوة إليه ، أي : دعوة الناس لهذا الدين ، وهذه الدعوة لها تكاليف كثيرة ، وقد يتعرض القائم بها إلى متاعب ومصاعب وأذى ، فعليه أن يصبر ويحتسب وهو ما أطلقوا عليه : الصبر على الأذى فيه لعلمهم بأن رسول الهدى ﷺ قدوتنا تعرض في سبيل هذه الدعوة لكثير من الأذى ، ولنا فيه عليه الصلاة والسلام أسوة حسنة ، ولن يتعرض أي داعية في هذه الأمة بمثل ما تعرض له رسول الله ﷺ من قومه وأهله وعشيرته بل مجتمعه لمدة ثلاثة عشر عامًا في مكة المكرمة وما تلاها من ابتلاءات عند هجرته وفي مستقره بالمدينة المنورة حيث لحقه الأذى لكنه صبر فأظهره الله وأظهر دينه ورد كيد أعدائه إلى نحورهم وظهر الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقًا .

وباختصار شديد، على المدعو واجب نحو هذه الدعوة التي آمن بها وصدق ، وهذا الواجب قيامه بهذه الدعوة لينال أجر من دعى إلى هدى، كما أخبر الصادق الأمين ﷺ .

وهنا نقطة جديرة بالبيان وهي دعوته لذويه وأهل بيته أولًا خاصة الإخوة الذين أسلموا ويعيشون في مجتمعات كافرة ، لأن لهم حق عليه .

الفصــل الرابــع

كيف تتم الدعوة في كل من :

أ – المجتمعات الإسلامية .

ب – المجتمعات غير الإسلامية .

ج – الأقليات الإسلامية .

* * *

○ كيف تتم الدعوة ○

من خلال تعريفي للدعوة والتعريفات الأخرى التي أوردتها في كتابي « كيف ندعو الأطفال » يمكن أن ننطلق في بيان محتويات هذا الفصل . قلت بأن الدعوة : (إبلاغ الناس دين الإسلام بكل الطرق والوسائل الممكنة والمناسبة لقدراتهم وفقًا لمنهج الرسول ﷺ شريطة توفر العلم بالدين ووسائل الإقناع اللازمة لكل زمان وكل فئة)[1].

من خلال هذا التعريف يتبين لنا أن الدعوة للناس كافة ، كما اتضح لنا في الباب الأول والباب الثاني من هذا الكتاب بالدليل من الكتاب العزيز والسنة النبوية المطهرة ، وقد فصلت في « مبحث عالمية الدعوة الإسلامية » بما فيه الكفاية ، وهنا لا بد أن أؤكد على أن لكل مجتمع من المجتمعات خصائصه وثقافته ، وبالتالي طرق إقناعه وعرض الدعوة عليه ، وهذا يتضح لنا من خلال معالجتنا لهذا الفصل حيث دعوة كل فئة من الفئات التي حددت فيه في الفقرات الثلاث .

وهنا لا بد من تذكير الدعاة بأمر هام جدًّا وهو التحلي بالصبر واتباع أساليب الحكمة في دعوة كل فئة من هذه الفئات الثلاث المراد بيان كيفية دعوتهم في هذا الفصل من الباب الثالث من الكتاب ، ولو أردنا التفصيل في كل صنف من هذه الأصناف الثلاثة لاحتجنا إلى بحث مستقل لكن الهدف بيان معالم الطريق ، لأن موضوع الكتاب هو قواعد الدعوة الإسلامية وهو موضوع واسع جدًّا لو أردنا بيان وإيضاح كل مبحث من مباحثه وفصل من فصوله وباب من أبوابه لكنها محاولة لجمع هذه القواعد الأربعة في مؤلف واحد ليستفيد الداعية والطلاب الذين يدرسون في معاهد الدعوة في العالم الإسلامي وكلياتها في الجامعات الإسلامية من خلال اشتغالي بهذا الجانب وتخصصي فيه وتدريسي لهذه المادة عدة سنوات وتوجهي لإصدار موسوعة للدعوة بالشكل الذي يخدم هذا العمل الجليل إن

---

(١) كيف ندعو الأطفال جـ١ ص٣٧ للدكتور حمدان راجح الشريف ط١ ١٤١٤هـ دار الحرمين للطباعة بالقاهرة .

شاء الله تعالى ، من خلال آي الذكر الحكيم والنظر في دعوة سيد المرسلين ﷺ قدوتنا وصحابته الكرام من بعده أبي بكر الصديق والفاروق عمر وذي النورين عثمان وأبي الحسن والحسين علي رضي الله تعالى عنهم جميعًا وبقية الصحب الكرام الذين شاركوا مشاركة بارزة في إبلاغ هذا الدين للناس أجمعين ، ومن أتى بعدهم من التابعين وتابعيهم إلى يومنا هذا .

إن الدعوة إلى الله من أجلّ الأعمال وأشرفها وأزكاها عند ربنا سبحانه وتعالى فلا بد من أن نقوم نحوها بما يجب علينا بيانًا وإيضاحًا وعملًا ودفاعًا وتأليفًا ، فمكتبة الدعوة الإسلامية في حاجة لأي جهد ، فقد صادفت هذه العقبة عند بحثي لنيل الدكتوراه حيث لم يكن في مكتبة الدعوة إلا القليل جدًّا من المراجع في هذا المجال إذا استثنينا الكتاب والسنة والتي تحتاج إلى جهد في الاستنباط والدراسة واستخراج الحكم والعبر والفوائد من خلال قيام الرسول ﷺ بمهام الدعوة في عهديها المكي والمدني والذي يشق على الطلاب المبتدئين في هذا المجال ، وبحول الله وقوته ستغطي هذه الموسوعة – التي صدر منها حتى الآن خمسة كتب – كل جوانب هذا العمل الجليل . والله أسأل أن يبلغني مرادي ويجعل هذا العمل خالصًا لوجهه الكريم ، لأنني أشعر – كمسلم ومن سكان المدينة المنورة ومنسوبي الدعوة – أن الواجب مضاعف والحاجة ماسة للمزيد من البحث والدراسة في فروع هذا الفن .



(أ) الدعوة في المجتمعات الإسلامية

الدعوة في المجتمعات الإسلامية تحتاج إلى أكثر من وقفة خاصة في هذا الزمان وذلك لما نراه من بعد عن الدين أو ضعف في الالتزام بتعاليمه أو جهل بأموره وما يحيط بالمجتمعات الإسلامية من صوارف كثيرة ومغريات متعددة ، الأمر الذي يجعلني أؤكد على أمور خمس في دعوة المسلمين إلى الإسلام ، وهذا لا يعني أنهم ارتدوا عن الإسلام ونريد إعادتهم إليه ؛ لأن للمرتدين أحكامًا ، كما هو معلوم ، لكن لأن قيام المسلم اليوم على منهج هذا الدين في كل أمور حياته يحتاج إلى دعوة كي يعود المسلمون إلى هذا الدين عودًا حميدًا ، وكل نقطة أو أمر من هذه الأمور يحتاج لبيان وإيضاح كي نصل في النهاية لبيان الطريقة أو مجموعة الطرق التي يمكن من خلالها القيام بالدعوة في المجتمعات الإسلامية . وهذه الأمور الخمس هي :

- **أولًا : الاهتمام بتعليم الدين الإسلامي .**
- **ثانيًا : الترغيب والترهيب .**
- **ثالثًا : توحيد الجهود المبذولة في الدعوة من الأفراد والمؤسسات .**
- **رابعًا : العناية بتربية الأطفال والشباب وجذبهم إلى الدين .**
- **خامسًا : الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .**

والتفصيل في هذه الأمور يكون على النحو التالي :

* * *

أولًا : الاهتمام بتعليم الدين الإسلامي

من خلال متابعتي ما حل بكثير من المسلمين من ضعف في التزامهم بالشرع وقيامهم بتكاليف الإسلام أجد أن السبب الرئيسي في هذا يعود إلى جهلهم بالإسلام وتعاليمه وشرعه . وهذا يعود إلى أمرين لا ثالث لهما :

✵ **الأمر الأول** : قلة التعليم في بعض بلاد المسلمين وتمركزه في جهات محدودة إذ كان الجهل في بلاد المسلمين يعم الكثير من مناطقهم بشكل عام وعدم توفر القسط الكافي من التعليم الشرعي بشكل خاص ، وهذا له أسباب عديدة لا داعي لذكرها لمعرفة الإخوة الدعاة وطلبة العلم بها وشرحها يطول .

✵ **الأمر الثاني** : تهاون كثير من المسلمين بطلب العلم الشرعي حتى إنك تجد الكثير منهم لا يحسن ما يتعلق بصلاته المكتوبة ناهيك عن ما يتعلق بالزكاة والصيام والحج وهي أركان الإسلام وأساسه .

والحالة هذه لا بد أن نبدأ أولًا بالتعليم ، والتعليم الشرعي بالذات كي يعرف العبد ربه ؛ لأن العبد مطلوب منه أولًا معرفة ربه سبحانه وتعالى ، وهذا يكون بالعلم .

فالعلم عند المسلم فريضة إذ كيف يعرف تكاليف هذا الدين وهو جاهل ، وربنا العزيز العليم يقول : ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾[1] ورسولنا الكريم عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم معلم الخير في بداية دعوته وفي فترتها السرية كان يجتمع مع من أسلم ليعلمهم أمور دينهم واستمرت هذه المهمة حتى قبض عليه الصلاة والسلام يعلم أصحابه أمر دينهم وهكذا صحابته من بعده ، ومعلوم أنه لا يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون ، حتى

---

(١) سورة فاطر : ٢٨ .

في الأمور الحياتية نلحظ هذا الفارق ، والإسلام من خصائصه التي عرف بها الاهتمام بالعلم والتعليم، حتى إن كتب الحديث أفردت للعلم مساحة كبيرة، فلو نظرت إلى صحيحي الإمام البخاري والإمام مسلم – رحمهما الله تعالى – لوجدت أنهما أفردا مساحة كبيرة فيهما للعلم ، فالكتاب الثاني في صحيح الإمام البخاري هو كتاب العلم ، وهكذا نجد هذا الاهتمام بالعلم في دين الإسلام ، ولو تتبعت ذلك لاحتجت لمساحة أكبر من هذه التي خصصتها لهذه النقطة ، ولقد ألفت الكثير من الكتب في هذا المجال ، ومعلوم أن العلم نور والجهل ظلام بل ظلمات ، ومن خلال العلم يتلاشى الجهل بل يقضي عليه وتنتفي بذلك العذر بعدم معرفة الحكم الشرعي في أي مسألة تخص أصول هذا الدين بالذات .

ومما لا شك فيه أن هذه الخطوة هي الأولى في القيام بالدعوة في المجتمعات الإسلامية لما عمها من جهل وبلاء بسبب عدم قيامها بأمر الدين ، والذي أدى إليه جهلها وعدم علمها بشريعتها الغراء ، وهذا أمر بدهي إذ كيف يقوم العبد بما كلف به وهو جاهل له ، ومما سبق أستطيع أن أقول بأن على دعاة الإسلام أن يبدءوا بالتعليم أولًا ، لما عم هذه المجتمعات من جهل كبير حتى إنك تجد في وقت الحج الكثير من المسلمين لا يعرفون أركانه وواجباته ، وقد وصلوا إلى أرض الحرمين وتكبدوا المشاق وأنفقوا الأموال وتركوا الأهل والديار ، يعرفون كل الأمور المتعلقة بالوصول إلى هذه الأماكن ويجهلون السبب الذي من أجله أتوا إلى هنا ، وهو الركن الخامس من أركان الإسلام ، ناهيك عن أمور الاعتقاد والتي هي الأساس في هذا الدين والتي دخلها الكثير من الغبش والسبب هو الجهل بالدين .

ولا شك أننا سنصل سريعًا إلى التغلب على هذه المشكلة لو توجه جميع أئمة المساجد في المجتمعات الإسلامية إلى هذا الأمر بقوة .

إننا في حاجة ماسة لمحو أمية المسلمين في دينهم .

إنني أؤكد على هذا لما رأيته في كثير من بلاد المسلمين من جهل بالدين والذي تسبب فيه انتشار الجهل وقلة العلم للأمرين السابقين اللذين أوضحتهما في بداية حديثي هذا ، إن العلم مستمر مع المسلم حتى الممات ، فها هو شفيع الأمة – الرحمة المهداة – ﷺ يرحب بطالب العلم بقوله لذلك الرجل الذي أتى يطلب العلم : « **مرحبًا بطالب العلم** » .

يقول الإمام البخاري رحمه الله تعالى في كتاب العلم : باب العلم قبل القول والعمل ، لقول الله تعالى : ﴿ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ ﴾ فبدأ بالعلم ، وأن العلماء هم ورثة الأنبياء ورثوا العلم ، من أخذه أخذ بحظ وافر ، ومن سلك طريقًا يطلب به علمًا سهل الله له طريقًا إلى الجنة ، وقال جل ذكره : ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾ ، وقال : ﴿ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾ ، ﴿ وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴿١٠﴾ ﴾ ، وقال : ﴿ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ ، وقال النبي ﷺ : « **من يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين ، وإنما العلم بالتعلم** » ، وقال أبو ذر : لو وضعتم الصمصامة[1] على هذه – وأشار إلى قفاه – ثم ظننت أني أنفذ كلمة سمعتها من النبي ﷺ قبل أن تجيزوا[2] علي لأنفذتها : وقال ابن عباس : كونوا ربانيين حلماء فقهاء ، ويقال : الرباني الذي يربي الناس بصغار العلم قبل كباره[3] .

يا دعاة الإسلام : إن المجتمعات الإسلامية اليوم في حاجة ماسة جدًّا إلى أن تعرف دينها ؛ لأنها تعيش في جهالة تامة فلا بد من أن تجتهدوا في سبيل إيقاظها من رقدتها وإعادتها إلى النور والفلاح والخير والصلاح ، بتعليمها أمر دينها كي تعبد الله وتوحده وتقيم شرعه على علم وبصيرة ، لنعمل في كل الاتجاهات ونستخدم كل الوسائل لمحو أمية هذه الأمة بدينها ، وإلى الله المشتكى ، وعندما نصل إلى محو هذه الأمية بنشر العلم بكل الوسائل نصل – بحول الله وقوته – إلى ما نريد من التزام المسلمين بمنهج ربهم سبحانه وتعالى في الكتاب العزيز والسنة النبوية .

وإنه مما يجدر تسجيله والتذكير به في هذا المقام أن الكثير من المتعلمين والذين حصلوا على المؤهل الجامعي فقراء جدًّا فيما ينبغي للمسلم إتقانه من أمر الدين كتلاوة القرآن الكريم تلاوة صحيحة خالية من اللحن ومعرفة معانيه وتفسيره وأحكامه ، كذلك معرفة السنة النبوية المطهرة وسيرة سيدنا رسول الله ﷺ وأخبار صحابته رضي الله تعالى عنهم والتابعين وأعلام الإسلام ، وما يلزمه من فقه العبادة والمعاملة وأحكام الدين ، والسبب في ذلك التهاون والتكاسل في طلب العلم الشرعي المتعلق بهذا الدين .

---

(١) الصمصامة : السيف الصارم الذي لا ينثني .

(٢) تجيزوا : أي قبل أن تقطعوا رأسي .

(٣) صحيح الإمام البخاري كتاب العلم ج١ ص٤٥ . عالم الكتب .

ومما أعجبني في هذا المقام ما قاله الإمام سفيان بن عيينة لما سئل : من أحوج الناس إلى طلب العلم ؟ قال : أعلمهم ، قيل : ولماذا ؟ قال : لأن الخطأ منه أقبح .

وها هو سلفنا الصالح لا يكفون عن طلب العلم والاستزادة منه ومتابعة التحصيل مهما عظمت منزلة الواحد منهم العلمية .

يقول الإمام ابن عبد البر عن ابن أبي غسان قال : (لا تزال عالمًا ما كنت متعلمًا فإذا استغنيت كنت جاهلًا) .

وبالعلم سادت هذه الأمة وكان لها الريادة والقيادة ؛ لأن دينها جاء به ورفع شأنه وعظم أهله وأعطاهم من المنزلة ما جعلهم ورثة لنبيهم محمد ﷺ . إن الدعوة في المجتمعات الإسلامية تبدأ بالاهتمام بالعلم تعليمًا وتعلمًا حتى يتمكن الواحد منهم من العمل إذ لا عمل بدون علم ، وبالأخص العمل المتعلق بالعبادة أو العبادات المفروضة على المسلم . لنبدأ بهذه الخطوة الهامة أولًا .



ثانيًا : الترغيـب والترهيـب

معلوم أن الإنسان في هذه الحياة – دار الاختبار والامتحان – تحيط به صوارف كثيرة جدًّا خاصة في هذا العصر ، والتي تؤثر على قيامه بما كلف به من أمر الدين ، وفي نفس الوقت جبلت نفسه على حب الخير والسعي في الحصول عليه وكره الشر والرغبة في البعد عنه ، فالإنسان يحب نفسه ويتوق إلى حمايتها من كل الشرور العاجلة والآجلة ، لهذا فإن أسلوب الترغيب فيما عند الله من أجر عظيم لعبده الذي أطاعه واتقاه محبب إلى النفس البشرية تهفو إليه وتسعد به وتنصت له .

كذلك الترهيب مما أعده المولى جل وعلا لعبده الذي عصاه وتنكب الطريق المستقيم أسلوب مؤثر على النفس البشرية تستفيد منه ، لذا ورد هذا في الكتاب العزيز في مواضع كثيرة ، الترغيب والترهيب ولما لهما من دور في دعوة المسلمين ، فإنه يحتاج إلى بعض البيان ، وذلك من خلال الآتي :

١ – الترغيـب

ويمكن بيان هذا الأسلوب من خلال النقاط التالية :

١ – الترغيب في الطاعات .

٢ – الترغيب بذكر ما أعده الله للمؤمنين .

٣ – الترغيب بالزيادة من الخيرات .

٤ – الترغيب بنصر الله وتوفيقه .

٥ – الترغيب بمحبة الله لعباده الطائعين .

٦ – الترغيب بمحبة رسول الله ﷺ وشفاعته .

٧ – الترغيب بالخاتمة السعيدة للمتقين .

وسنقف عند كل فقرة من هذه الفقرات لنفصل فيها :

١ - الترغيب في الطاعات .

كما ذكرت سابقًا من أن النفس البشرية مطبوعة على الخير وفعله الأمر الذي يجعل صاحبها - ذكرًا كان أو أنثى صغيرًا كان أم كبيرًا - يتقبل كل ما يحقق له ذلك ، والداعية المتمكن الحكيم يكثر من المرغبات كبيان جنس الطاعة كالإيمان بالله تعالى والتوجه الخالص له جل وعلا ، والإخلاص في العبادات التي فرضها الإسلام على كل مسلم ، وأنه إذا قام بما أوجبه جل وعلا عليه سينال أجر ذلك العمل في الدنيا والآخرة ، في الدنيا حيث الحياة الطيبة السعيدة الهانئة ، والحفظ من كل مكروه ، والسلامة من كل ما يخاف ، وقد ورد ذلك في قول الحق تبارك وتعالى في كتابه العزيز : ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾ ﴾[١].

وهم أي : أهل الطاعات مستخلفون في هذه الأرض آمنين من الخوف ؛ لأنهم في حفظ الله ورعايته وكلاءته ، وهو وعد من رب العزة والجلال لقاء تحقيقهم للعبودية وقيامهم بفعل الطاعات وبعدهم عن الشرك بكل أنواعه ، قال تعالى : ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾[٢].

والعبد إذا قام بما أوجبه الله عليه طاعة له سبحانه وتعالى وامتثالًا لأمره جل وعلا فإنه جل وعلا يكون منه قريبًا ولدعوته مجيبًا ، قال تعالى : ﴿ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾[٣]. ولو مضينا في بيان ما ورد في كتاب الله العزيز في هذا المقام لطال بنا الحديث ؛ لأن أنواع الطاعات كثيرة جدًا ، وعلى الداعية الترغيب في جميع أنواع الطاعات التي تجعل العبد في رحاب خالقه ومولاه جل وعلا على الدوام ملتزمًا بجميع الأوامر مبتعدًا عن جميع النواهي .

إن العرض الجيد من الداعية المسلم وإيراد الأدلة من الكتاب والسنة له أعظم الأثر على نفس المدعو ، ووسيلة قوية للتأثير عليه وجذبه ليقوم بتلك الطاعات رغبة فيما عند الله

---

(١) النحل : ٩٧ .

(٢) النور : ٥٥ .

(٣) الأعراف : ٥٦ .

عز وجل ، وهذا ينفع بالدرجة الأولى مع المسلمين العصاة والمقصرين الذين تهاونوا وتكاسلوا عن القيام بتلك الطاعات التي تزيد في الحسنات وتمحو السيئات .

والإنسان في هذا العصر قلق تحيط به أمور أثرت تأثيرًا كبيرًا على نفسيته مما جعل انتشار الأمراض النفسية طابع هذا العصر وليس له منها مفر إلا بالالتجاء إلى الله والقيام بما أوجب عليه وسؤاله العفو والعافية ، وصدق ربنا الجليل العظيم إذ يقول : ﴿أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ۝٢٨﴾[1] .

والعبد الذي أسلم نفسه للخالق تعالى تحرسه عناية الله وتحيطه رعايته سبحانه وتعالى ، يكون مطمئن النفس طيب الخاطر مرتاح الضمير غير قلق ، وبمعنى آخر صحيح نفسيًّا ، بعكس ذلك الشقي المضيع لحق الله المريض نفسيًّا المضطرب على الدوام .

وهذا الباب واسع يمكن من خلاله الغوص في نفسيات المدعوين للحديث إليهم من الداخل وبيان ما يجنيه العبد الطائع من خير وفلاح وراحة نفسيه على الدوام .

٢ - الترغيب بذكر ما أعده الله تعالى للمؤمنين .

الجانب الإعجازي في كتاب الله العزيز أسلوب من أساليب الترغيب ، فالآيات المباركات التي تبين الجنة ونعيمها والآخرة وما أعده الله لعباده فيها من جزاء ومثوبة ورضى وقبول ودرجات رفيعة ، هذا الأسلوب يستحوذ على النفس البشرية ، فالجنة ورد ذكرها في كتاب الله العزيز أكثر من مئة وأربعين مرة ، وما فيها من نعيم لا يحول ولا يزول حتى إنها وصفت بقولهم : (فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر) ؛ لأن رب العزة والجلال جواد كريم رحمن رحيم ، قال تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ۝٨٢ ﴾[2] وقال سبحانه وتعالى : ﴿ مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِي وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى ۖ وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ ۖ كَمَنْ هُوَ خَٰلِدٌ فِي ٱلنَّارِ وَسُقُواْ مَآءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَآءَهُمْ ۝١٥ ﴾[3] إلى غير هذا من الآيات البينات

(١) الرعد : ٢٨ .
(٢) البقرة : ٨٢ .
(٣) محمد : ١٥ .

والأحاديث النبوية التي توضح ما أعده الحق تبارك وتعالى لعباده المؤمنين ، وهذا يجعل المستمع في شوق إلى الجنة ونعيمها من خلال أسلوب الترغيب هذا ، فيعمل بعمل أهل الجنة ، فيكون – إن شاء الله – من أهلها المتنعمين بها عند مليك مقتدر .

وإذا تواصل هذا الترغيب بين الوقت والآخر يكون أثره مستمرًا ودائمًا ؛ لأن الشيطان يجري من ابن آدم مجري الدم ، وهنا يأتي دور الدعاة والعلماء في تذكير الناس من المسلمين بما أعده الله لهم إن هم أطاعوه ، من جنة عرضها السماوات والأرض أعدت للمتقين .

وقد أفرد الإمام البخاري في صحيحه بابًا في صفة الجنة ، وفي مسلم كتاب الجنة . وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **قال الله : أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر . فاقرءوا إن شئتم : ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ ﴾** »[1]، وكلما كان الداعية مجيدًا لعرض تلك العطايا لهذا العبد الفقير الضعيف كان التأثير كبيرًا جدًا ، وهكذا حتى يعيدوا أولئك العصاة من المسلمين إلى الصواب ويزيد الطائعون في الأعمال الصالحة لشوقهم إلى هذه الجنة وما فيها من نعيم ومقام رفيع .

٣ – الترغيب بالزيادة من الخيرات .

هذا الأسلوب فيه شحذ لهمم العاملين ودفع لهم لمزيد من الأعمال الصالحة وذلك عندما يؤكد الداعية لهم ويبين أن الزيادة تأتي لمن شكر ، ورب العزة والجلال بين ذلك في كلامه العزيز من سورة إبراهيم ، حيث قال عز من قائل : ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴾ وبالشكر تدوم النعم .

والإسلام من أجل النعم ، وشكر هذه النعمة يكون بالقيام بالواجبات والاستزادة من النوافل وأنواع الطاعات ، حتى إن العبد المسلم المخلص في العبادة الطائع لخالقه ومولاه يمد الله له في عمره بالبركة والحفظ من المكاره والأمراض والبلايا فيعيش سليمًا معافى من الشرور والأمراض ؛ لأنه في حفظ الله ورعايته دائمًا جزاء إخلاصه في العبادة . وهذا محبب إلى نفس الإنسان ، موضوع العمر وطوله في غير مرض أو ضراء ، وبالتالي مدعاة له إلى

---

(١) صحيح الإمام البخاري ، كتاب بدء الخلق ، باب صفة الجنة ج٤ ص٢٤١ عالم الكتب .

المريد من الأعمال الصالحات والرغبة فيما عند الله تعالى ، والعبد محتاج إلى المزيد من الحسنات ؛ لينال أعلى الدرجات في الجنة ، ويفوز يوم تنصب الموازين وتنشر الدواوين ، فمنهم من يأخذ كتابه بيمينه وقد امتلأ خيرًا ورصدت فيه تلك الآهات والتقلبات مع ذكر الله ومناجاته ، وقيام الليل وأعمال البر والصلاح ، ومعاملات المسلم الصادق مع كل الناس حيث الوفاء والصدق وحب المساكين .

فالمسلم الحق يدرك أن هذه النعم الكثيرة توجب عليه الشكر ، والشكر يكون بالقول ويكون بالعمل ، ودائمًا الزيادة مقترنة بالشكر ، والله سبحانه وتعالى يعطي الجنة ؛ لأنه غني جواد كريم ، فما على العبد إلا الاستقامة التي من ثمارها الزيادة والبركة ، قال تعالى : ﴿ وَأَلَّوِ ٱسْتَقَٰمُوا۟ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا ﴿١٦﴾ ﴾[1].

وهو جل وعلا يفرح بطاعة عبده رحمة به وشفقة عليه ، وما هذه النعم والمسخرات بالليل والنهار إلا دليل على ذلك الجود والكرم وتلك الرحمة ، فسبحانه وتعالى من إله عظيم ورب كريم رحيم ، ذنوب العباد إليه طالعة ، وجوده وكرمه ورزقه وخيراته إليهم نازلة ، لا إله إلا هو ولا رب سواه ، قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾[2] وهذا الترغيب يدفع المدعو إلى مزيد من العمل ومزيد من الاجتهاد ومزيد من الرغبة فيما عند الله تعالى .

٤ – الترغيب بنصر الله وتوفيقه .

وردت آيات كثيرة في الكتاب العزيز تبين أن الله تعالى يؤيد وينصر ويوفق عباده المؤمنين ، وعندما يركز الداعية على هذا فإنه يقوم بعملية ترغيب كبيرة جدًا ، خاصة عندما يذكر للمدعوين بعض قصص القرآن الكريم ، وما كان من نصر الله وتأييده لعباده المرسلين ، وكيف انتصروا على قوى الشر والطغيان عندما بغوا وطغوا وعاندوا ولم يقبلوا هدي الله فكان أن أنزل الله عليهم عذابًا من عنده حيث سلط عليهم بعض مخلوقاته ، فمنهم من دمر، ومنهم من أغرق، ومنهم من زلزل، وهكذا سنة الله مع الذين آمنوا نصرًا وتوفيقًا .

إن فعل الطاعات وأداء الواجبات سبب في الزيادة والتوفيق ، والسعيد من وفقه الله

---

(١) الجن : ١٦ .

(٢) فصلت : ٣٠ .

تعالى ، قال تعالى : ﴿ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ﴾[1] وقال سبحانه وتعالى : ﴿ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾[2].

والترغيب في هذه الأمور التي يحبها الإنسان فيه وقع إلى المزيد من التمسك بهذا الدين ، والمزيد من العمل الصالح وهو من أساليب الترغيب ، فعلى الداعية المسلم أن يكثر من الآيات المرغبة في ذلك والأحاديث الشريفة المؤكدة على ذلك ؛ ليدخل إلى قلوب المدعوين ويحقق ما يريد من دعوتهم ، فالعبد العامل هذا جزاؤه ، وهذا مصيره ، يلقى ما بشر به في الدنيا بحيث يحقق الله له النصر والعزة والتمكين في الأرض ويوم القيامة جنات عدن .

٥ - الترغيب بمحبة الله تعالى لعباده الطائعين .

إن قيام الداعية المسلم باستخدام أسلوب الترغيب هذا مهم جدًا ؛ لأن أغلى ما يتمناه العبد المسلم الحصول على محبة الله سبحانه وتعالى ؛ لأنها أصل دين الإسلام فبكمالها يكمل الدين ويحقق العبد عبوديته لله رب العالمين وبنقصها ينقص توحيد الإنسان ، فهي غاية المنى ، وعندما يذكر المدعو بها من خلال الآيات البينات والأحاديث النبوية ، فإنه يتأثر كثيرًا ويعود إلى الصواب ، خاصة إذا قيل له : إن هذه المحبة لها أسباب تجلبها ، وإذا ما توفرت لدى المسلم كان من أحباء الله وأوليائه ، وهذه الأسباب الجالبة للمحبة عشرة هي :

أ - تلاوة القرآن الكريم بتدبر وفهم .
ب - التقرب إلى الله بالنوافل .
ج - المداومة على ذكر الله باللسان والقلب والعمل الصالح .
د - انكسار القلب بين يديه جل وعلا .
هـ - مجالسة المحبين الصادقين .
و - التفكر في بره وإحسانه ونعمه الظاهرة والباطنة .
ز - الخلوة وقت النزول الإلهي وكثرة الاستغفار والتوبة .
ح - إيثار محابه على محاب النفس .
ط - مباعدة كل سبب يحول بين القلب وبين الله تعالى .

---

(١) الطلاق : ٣ .
(٢) الروم : ٤٧ .

ى – مطالعة القلب لأسماء الله وصفاته .

وهذا البيان يجعل المسلم مداومًا على هذه الأسباب الجالبة لمحبة الله تعالى ، وفي هذا النوع من الترغيب تتحقق للمدعو مصالح كثيرة ؛ لأن العبد إذا ظفر بمحبة الله تعالى نال درجات المحبين الصادقين ، وكان في حفظ الله على الدوام .

فالمؤمنون دائمًا أشد حبًا لله تعالى .

والآيات الكريمات التي بينت محبة الله لعباده المتقين المحسنين الصابرين التوابين المتطهرين المتوكلين المقاتلين في سبيله المقسطين ، دليل واضح على أن هذا الكرم الإلهي وهذه المنح الربانية يحصل عليها المؤمن جزاء وفاقًا ؛ لأنه صدق وأتبع ذلك التصديق العمل ، ويجني هذه الثمار في الدارين .

٦ – الترغيب بمحبة الرسول ﷺ وشفاعته .

المسلم يكون محبًا حقيقيًا لرسول الله ﷺ – إذا كان من المتبعين له السائرين على هديه المتمسكين بنهجه ﷺ ، وإذا كان كذلك نال حب رسول الله ﷺ له ، وثمرة هذا الحب شفاعته ﷺ ؛ لأن هذا العبد كان من المحققين لكلمة التوحيد : لا إله إلا الله محمد رسول الله ﷺ ، فعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أنه لما سأل رسول الله ﷺ بقوله : من أسعد الناس بشفاعتك ؟ قال ﷺ : **« من قال لا إله إلا الله خالصًا من قلبه »** .

ورسولنا الكريم ﷺ الشافع المشفع يشفع لأتباعه في ذلك الموقف العظيم حيث ذكر العلماء أن له ﷺ ستة أنواع من الشفاعة هي :

١ – الشفاعة الكبرى ، وهي التي يتأخر عنها أولو العزم عليهم السلام فيقول ﷺ : **« أنا لها »** وهذه خاصة به ﷺ .

٢ – شفاعته ﷺ لأهل الجنة في دخولها ، وقد ذكرت في حديث أبي هريرة في الحديث الطويل : حديث الشفاعة المتفق عليه .

٣ – شفاعته ﷺ لقومه من العصاة من أهل التوحيد .

٤ – شفاعته ﷺ لقومه من العصاة من أمته قد استوجبوا النار بذنوبهم فيشفع لهم أن لا يدخلوها .

٥ – شفاعته لقومه من أهل الجنة في زيادة ثوابهم ورفعة درجاتهم .

٦ – شفاعته ﷺ في بعض أهله الكفار من أهل النار حتى يخفف الله عنه ، وهذه خاصة بأبي طالب وحده .

إن تركيز الداعية على موضوع الحب من أكثر المرغبات تأثيرًا على النفس البشرية ، فالمسلمون يهيمون في حب رسولهم ﷺ ، وعندما يذكرون بهذا فإن أثره واضح جدًا ، ولو استمر هذا التذكير بين الحين والآخر مع غيره من وسائل الترغيب لكانت باهرة جدًا ، فعلى دعاة الإسلام أن يهتموا بهذا الجانب الذي يرقق القلوب ويجذبها إلى الخير وفعل الطاعات والالتزام بهدي سيد الكائنات ﷺ .

إن محبة رسول الله ﷺ واجبة ، وتظهر واضحة عند الذي يقتفي أثره ويسير على نهجه وينصر الدين الذي جاء به ﷺ ، والنتيجة أنه من أحبابه ﷺ المقيمين سنته ، وفي الآخرة يحشرون تحت لوائه ويشربون من حوضه عليه الصلاة والسلام ؛ لأنهم صادقون في حبهم له ﷺ فينالون أجر ذلك الحب وتلك المتابعة .

٧ – الترغيب بالخاتمة السعيدة للمتقين .

الخاتمة السعيدة هي : ما يتمناه كل مسلم وتهفو إليه كل نفس ، وهذه لن تكون إلا للمؤمنين حقًا ، بداية من خروج الروح التي أخبر عنها الحبيب المصطفى ﷺ هينة لينة بسلام جزاء ما قدم وقت العمل والتحصيل ، وهؤلاء هم السعداء هذه نتيجة قيامهم بتكاليف الإسلام وأوامر الله تعالى وبعدهم عن جميع ما نهى عنه وزجر .

إن حسن الخاتمة علامة واضحة على القبول ، ومرتبة لا ينالها إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات حيث تخرج روح المؤمن كما تسل الشعرة من العجين ، أما أولئك الغاوون فإن خروج روح الواحد منهم شاق جدًا لقاء ما قدموا ، وعندما يشحن المسلم بهذه الشحنات الإيمانية ويوضح له حالة أصحاب الخاتمة السعيدة فإنه بلا شك يتأثر بذلك ؛ لأن الكل يحرص على أن يكون من هذا الصنف ، وهذا مرتبط بالقبر وامتحانه وما يلقاه المسلم من سؤالات ساعة مفارقة الأهل والخلان وإقعاده من قبل الملكين، فإن كان من أهل: لا إله إلا الله محمد رسول الله كانت إجاباته سريعة، أما إن كان من أهل: ها ها لا أدري فالويل له حيث القبر حفرة من حفر النار، وذلك صاحب الخاتمة السعيدة روضة من رياض الجنة .

هذه بعض ملامح أسلوب الترغيب ، والداعية المسلم يجب أن تكون رواياته بالنسبة لأمور الترغيب صحيحة ، فإن في الأحاديث الصحيحة الخير الكثير وما يغطي ويغني عن ما عداه ، فلا بد من التزود بما صح من حديث رسول الله ﷺ ليكون التأثير كما نريد .

ولا شك أن كل أسلوب مرغب مطلوب من الكلام الطيب والعبادات الجيدة والقصص المؤثرة من القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة ، وما جرى في تاريخ الدعوة الإسلامية والدعاة إليها والتجارب الذاتية لدعاة الإسلام وهكذا ، الكلمة المرغبة أثرها مقبول ومحبب للنفس البشرية فما بالك بنفس المسلم ؟! والكثير من الناس ينفع معهم ويؤثر فيهم أسلوب الترغيب ولكل مجتهد نصيب ، فعلى الداعية أن يجتهد في الإبداع في الترغيب فيما عند الله .

٢ - الترهيب

أسلوب الترهيب أسلوب مؤثر يستطيع الداعية من خلاله أن يتوغل في أعماق المدعو ؛ لأن ما ورد في كتاب الله العزيز من وعد ووعيد تقشعر منه الأبدان ، حيث جهنم ولهيبها وأنواع العذاب فيها جزاء وفاقًا ، وهذا الأسلوب يمكن بيانه من خلال الكتاب العزيز حيث ما حدث للأمم السابقة عندما طغت وكذبت رسلها وكفرت بأنعم الله ومن يفعل فعلهم من البشر حتى قيام الساعة ، ومن السنة المطهرة حيث بيان رسول الله ﷺ لبعض حال أهل النار والموجبات لها ، وتحذير الأمة من هذه المسالك ، وبيان مغبة البعد عن الخالق سبحانه وتعالى والتعلق بغيره وعدم القيام بما من أجله أوجدهم سبحانه وتعالى .

وبيان أسلوب الترهيب يكون من خلال النقاط التالية :

أ - بيان مصير الأمم التي كذبت رسلها .

ب - بيان عاقبة النفاق .

ج - الترهيب من حلول العذاب العاجل .

د - الترهيب مما أعده الله من العذاب يوم القيامة .

(أ) بيان مصير الأمم التي كذبت رسلها .

لقد قص علينا الكتاب أخبار تلك الأمم التي عصت وحادت عن الطريق المستقيم، وفي هذه القصص عبر ودروس ولها أثر عظيم على النفس ، خاصة إذا كانت لدى الداعية

إمكانات خاصة في طريقة التلاوة المؤثرة والبيان والتفسير الجيد ، للفت أنظار المدعوين إلى عاقبة أمر مَن يسلك مسلكهم من هذه الأمة فيتهاون بأوامر الدين حتى يصعب لديه الوازع الديني ، وبالتالي ينسلخ من هذا الدين ، وربما كابر أو كذب من خلال جهله أو من خلال تفسيراته الخاصة لبعض ما أتى به رسول الله ﷺ أو تقوّل على رسول الله ﷺ إلى غير ذلك من الأمور التي ينبغي للمسلم أن يحذرها ليسلم دينه وتبقى عقيدته صافية نقية وعمله خالصًا لله رب العالمين ، وفي سورة الحج آيات بينات أوضحت بجلاء مصير أولئك المكذبين المعرضين ، قال تعالى : ﴿ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودُ ۝ وَقَوْمُ إِبْرَٰهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ ۝ وَأَصْحَٰبُ مَدْيَنَ وَكُذِّبَ مُوسَىٰ فَأَمْلَيْتُ لِلْكَٰفِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ۝ فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَا وَهِىَ ظَالِمَةٌ فَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ ۝ ﴾[1].

والتأكيد على حماية جانب التوحيد والبعد عن المعاصي ؛ لأن كثرة المعاصي تطمس على قلب العبد حتى تحتويه بالكامل ، كما ذكر الصادق الأمين ﷺ عندما وصف صاحب المعصية بتلك النكتة السوداء تنكت في قلبه ، وباستمراره على المعاصي تكبر حتى تطبع على قبله والعياذ بالله ، فيصبح مثل قلوب الضالين المكذبين ، ويستحق بذلك ما وقع على الأمم السابقة ، كما بين الكتاب العزيز ، وهذا الأسلوب فيه زاجر قوي ورادع مؤثر حيث روعة الآيات القرآنية وأسلوبها الفريد الأخاذ الجذاب الرصين .

ولعل الآيات الباقية من أكبر الأدلة الحية على ما وقع لتلك الأمم ، كالذي هو مشاهد الآن في منطقة العلا ، حيث مدائن صالح وآيات العذاب الماثلة أمامنا والتي ستبقى شاهدًا على ما كان في تلك المنطقة وما آلت إليه الحال عندما طغى إنسان ذلك العصر فجاءهم أمر الله وما ذلك من الظالمين ببعيد .

(ب) بيان عاقبة النفاق .

يقول صاحب لسان العرب : النفاق : اسم إسلامي ، وهو الدخول في الإسلام من وجه والخروج عنه من آخر ، وهذه الكلمة وردت في كتاب الله العزيز أكثر من ثلاثين مرة بألفاظ مختلفة : النفاق ونفاقًا والنافقات والمنافقون والمنافقين ، كقوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ

---

(١) الحج : ٤٢ – ٤٥ .

﴿ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴾[1] وقوله تعالى : ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ ﴾[2].وذكر هذه الآيات وغيرها لبيان ما أعد لهم فيه زجر وتخويف وهو من أساليب الترهيب ، يجب على الداعية استعماله في الوقت المناسب للتأثير في المدعوين وتحذيرهم من الوقوع في النفاق الموجب لغضب الله سبحانه تعالى وسخطه ، وذلك من خلال الوقوف على الآيات القرآنية التي بينت حال المنافقين وما أعده الله لهم في جهنم وبئس المصير من ألوان العذاب جزاء تلونهم وخروجهم عن الدين .

ولا شك أن حالة المنافقين يوم القيامة تقشعر منها الأبدان وترتجف لها القلوب ، ولا يظلم ربك أحدًا .

(ج) الترهيب من حلول العذاب العاجل .

إن ما نراه في عالمنا اليوم يوضح بجلاء ما يعيشه إنسان العصر المعرض عن الله الصاد عن الحق ، حيث انتشرت الأمراض الفتاكة والبلاء المنوع والكوارث المتلاحقة في البر والبحر والجو بما كسبت أيدي الناس ، وعندما يستعرض الداعية المسلم مظاهر العذاب هذه ، فإن في ذلك عبرة وتخويف ، والله ليس بينه وبين عباده نسب ، إنما القرب منه يكون بطاعته وإقامة شرعه والتمسك بهداه ، وفي كتابنا العزيز الكثير من الآيات الزاجرة المعلنة بقرب وسرعة حلول العذاب بكل من طغى وبغى وظلم وخرج عن دين الله أو انهمك في المعاصي والآثام ، قال تعالى : ﴿ فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾[3]، وقال جل وعلا في سورة الأنعام : ﴿ قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ ﴾[4].

إن العبد في قبضة الرب سبحانه وتعالى ، لكن عفوه وصفحه وحلمه ورحمته سبقت عذابه إلا أن تطاول العبد واستكباره في الأرض لن يدوم ؛ لأن الله لا تخفى عليه خافية

(١) النساء : ١٤٠ .

(٢) التوبة : ٦٨ .

(٣) النور : ٦٣ .

(٤) الأنعام : ٦٥ .

ولا يرضى لعباده الكفر ويغار على محارمه ، فإذا انتهكت أخذ أخذ عزيز مقتدر ، وهذا الأسلوب الترهيبي مؤثر جدًا ، خاصة إذا عرف الداعية كيف يستخدم هذه الآيات ويستعرض الواقع المعاش ويقارن ويستنبط من هذه الآيات الفوائد الكثيرة بغرض التأثير على السامعين ، وما أكثر العقوبات العاجلة في هذا الزمان سواء في المجتمعات الإسلامية أو المجتمعات الكافرة ، فلا يكاد يمر يوم إلا وتسمع أخبار الكوارث والفتن والحروب في شرق العالم وغربه وشماله وجنوبه ، ولا شك أن هذا من ألوان العذاب العاجل .

قال جل وعلا : ﴿ قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً هَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴾[1] ، ولا شك أن استنباط الداعية العبر من هذه الزواجر والبلايا فيه فائدة كبيرة للفت نظر المدعو ليعود إلى الله ويقلع عما هو فيه ويلزم الإسلام قلبًا وقالبًا .

(د) الترهيب مما أعده الله تعالى من العذاب يوم القيامة .

الآيات الكريمة التي بينت لنا وصورت ما أُعد من ألوان العذاب يوم القيامة كثيرة جدًا ، حيث ورد ذكر (جهنم) في القرآن الكريم أكثر من سبعين مرة ، وورد ذكر العذاب أكثر من ثلاثمائة مرة ، وهذا لا شك تذكير عظيم ومؤثر في النفس البشرية إضافة لما ورد في السنة المطهرة من بيان لألوان العذاب يوم القيامة ووصف جهنم وخزنتها وما فيها من خزي وتنكيل بالذين استحقوا أن يكونوا من أهلها ، قال تعالى : ﴿ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ﴿٢٣﴾ ﴾[2] ، وقال سبحانه ﴿ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَـٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٤﴾ ﴾[3] .

وهذه صورة للعذاب النفسي في جهنم يوم القيامة توضحها لنا آيات من سورة المؤمنون : ﴿ قَالُوا۟ رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَآلِّينَ ﴿١٠٦﴾ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَـٰلِمُونَ ﴿١٠٧﴾ قَالَ ٱخْسَـُٔوا۟ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴿١٠٨﴾ ﴾[4] .

وهذه صورة مفزعة أخرى ، يرتجف لها الفؤاد من شدة تأثيرها على النفس البشرية

---

(١) الأنعام : ٤٧ .
(٢) الجن : ٢٣ .
(٣) النساء : ١٤ .
(٤) المؤمنون : ١٠٦ – ١٠٨ .

إذا تدبر الواحد منا هذه الآيات وتخيل ذلك الموقف وتلك الحسرة وذلك العذاب النفسي الذي يلقاه المعاندون المكابرون ، قال تعالى : ﴿ وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٢﴾ ﴾[1]. وهكذا الآيات المباركات الأخرى التي تبين لنا حال أهل النار يوم القيامة ، إنها صورة مؤثرة ومحزنة ومخيفة إذا ركز عليها الداعية فإنه يصل إلى ما يريد من تأثير على المدعو ؛ لأن النفس البشرية لا تطيق ذلك ولا بعضه ، فالترهيب بالآخرة وعذاب النار له أثره الكبير .

ولا شك أن التنقل بين أسلوبي الترغيب والترهيب من خلال آي الذكر الحكيم فيه خير وفوائد كثيرة ، فهل نحن فاعلون ؟ أرجو ذلك ، وأرجو أن يكون استعمال كل أسلوب من هذين الأسلوبين في الوقت المناسب لنحصل على جميع الفوائد منهما .

* * *

---

(١) إبراهيم : ٢٢ .

ثالثًا : توحيد الجهود المبذولة في الدعوة من المؤسسات والأفراد

يدرك دعاة الإسلام أن جهودًا كثيرة تبذل من خلال الأفراد أو الجماعات الرسمية والشعبية ؛ لأن الأمة الإسلامية تقوم بهذا الواجب وهو موجود ولا يمكن إغفاله بحال من الأحوال إلا أن هذه الجهود تحتاج إلى تنظيم وتنسيق فيما بينها لتتوحد وتنصهر في بوتقة عمل واحدة ، سواء كان ذلك في داخل الدولة الواحدة أو على مستوى الخارج ، وكما قيل : في الوحدة قوة ، والجهود وفق تلك الخطة العامة للدعوة في الداخل والخارج ولمواجهة ما يوجه من حملات متتابعة للتشكيك في الإسلام والنيل منه افتراءً عليه وحسدًا وحقدًا من مراكز القوى المعادية لهذا الدين في الداخل والخارج .

ويمكن أن توحد تلك الجهود على النحو التالي :

١ – حصر الجهات التي تقوم بالدعوة إلى الله في العالم الإسلامي .

٢ – بيان جهودها المبذولة وبرامجها المنفذة وخططها التي تسير عليها .

٣ – معرفة الدعاة الذين يقومون بهذا الواجب من عند أنفسهم .

٤ – معرفة الجهات المعنية بالدعوة في داخل الدولة .

٥ – حصر الجهات العلمية التي تعد الدعاة ، سواء على مستوى المعاهد أو المرحلة الجامعية أو المدارس الخاصة بذلك .

٦ – معرفة ما ينفق في سبيل الدعوة في الخارج من قبل الدول الإسلامية .

٧ – الوقوف على منهج كل جهة من الجهات الدعوية وأسلوب العمل لديها .

وبعد جمع هذه المعلومات وغيرها يمكن توحيد هذه الجهود على النحو الآتي :

١ – يوكل هذا العمل لهيئة عليا ويمكن أن تقوم بهذه رابطة العالم الإسلامي أو منظمة الدول الإسلامية أو إنشاء هيئة عالمية إسلامية للدعوة .

٢ – وضع خطط قصيرة المدى ومتوسطة وبعيدة المدى للدعوة إلى الله في العالم .

٣ – رصد الأموال اللازمة لتنفيذ تلك الخطط من خلال ميزانية سنوية تقوم بها الدول الإسلامية .

٤ – التزام الجميع بالمنهج المحمدي في الدعوة إلى الله .

٥ – إعداد شباب الأمة للدعوة من خلال كليات الدعوة في الجامعات .

٦ – الاستفادة من خريجي كليات الدعوة وإلزامهم بالعمل في هذه المنطقة الدعوية العالمية ، كل في الجهة التي عاش فيها بحيث يكون هناك تنظيم دقيق جدًّا يغطي قارات العالم .

٧ – الاهتمام بالتعليم – تعليم الدين الإسلامي ونشره بكل الوسائل المتاحة بلغات القوم .

٨ – نشر تعليم وتحفيظ القرآن الكريم في بلدان العالم الإسلامي .

٩ – الاهتمام بالأقليات المسلمة في بلدان العالم وتوفير جميع احتياجاتها في هذا الباب .

١٠ – عقد مؤتمر سنوي لمتابعة العمل ويكون هذا في موسم الحج وفي مكة المكرمة أو المدينة المنورة ، ويمكن عقد لقاءات دورية في بلدان العالم الإسلامي بين الحين والآخر .

١١ – إتاحة فرصة التبرع لهذا العمل ؛ لأنه حق على كل مسلم حسب طاقته وقدرته ، ولو جعل على كل عامل في العالم الإسلامي مبلغًا صغيرًا جدًّا في العام لحصلنا على مليارات من النقود وتصرف في سبيل الدعوة إلى الله تعالى .

١٢ – استخدام وسائل الإعلام الفضائية بحيث يكون لهذه المنظمة إذاعة وتلفزيون دولي يبث باللغات الحية في العالم وبعض اللغات التي ينطق بها ملايين المسلمين ، كاللغة الملاوية والفارسية والسواحلية والأردية وهكذا .

١٣ – إنشاء معهد عالمي في مكة المكرمة أو المدينة المنورة لإعداد الدعاة أو التوسع في القائم ، سواء على مستوى المرحلة الجامعية أو ما دونها ، تموله الدول الإسلامية الأعضاء في هذه المنظمة .

١٤ – عقد مؤتمر عالمي للنظر في السبل المؤدية إلى توحيد الجهود بين المسلمين في الدعوة إلى الله ليتخرج العالم الإسلامي برؤيا جيدة من خلال آراء وأفكار رجال العلم والدعوة والفكر والإعلام في العالم الإسلامي .

١٥ – طبع مطوية باللغات الحية في العالم للتعريف بدين الإسلام بشكل دقيق ومحدد ، توزع على نطاق واسع في العالم من خلال وسائل النقل الجوية والبحرية والبرية وصناديق البريد والصحف والمجلات وكل وسيلة ممكنة ؛ ليقف إنسان هذا العصر على هذا الدين من خلال تعريفه به بهذه الوسيلة وغيرها من الوسائل فهو متعطش لذلك ؛ لأنه المنقذ له مما هو فيه من كرب وضياع .

ويقوم على تأليفها نخبة ممتازة من أصحاب الاختصاص بحيث يتوفر فيها الوضوح والبساطة والسهولة في نفس الوقت والاختصار ، هذا ما يمكن قوله في توحيد الجهود على مستوى العالم الإسلامي .

أما ما يتعلق بالجهود المبذولة في الدولة الواحدة فلا بد من إقامة هيئة وطنية لهذا الأمر لمتابعة كل الجهود وعدم ترك الحبل على الغارب والاجتهادات الشخصية التي ربما يصدر عنها ما يسيء للدعوة الإسلامية ، بل عليها أن تقوم بضبط الأمر وإعداد الخطط اللازمة والكوادر المؤهلة والأموال اللازمة للدعوة في الداخل والخارج أيضًا ؛ لمعرفة ثمرة تلك الجهود ومدى نجاحها أو ضعفها حتى نصل إلى عمل ناجح بكل المقاييس .



رابعًا : العناية بتربية الأطفال والشباب وجذبهم إلى الدين

هذا الموضوع من أخطر وأهم الأمور التي يجب أن تعقد لها المؤتمرات وتوضع لها المناهج والمقررات وتعطي الأهمية الكبرى؛ لأن الأطفال هم رجال المستقبل والشباب عدة الأمة.

والعناية بهذه الفئة تكون بالتعليم الديني والمتابعة المستمرة والتربية المنزلية الإسلامية القائمة على القدوة الحسنة ، والترغيب وإعداد البرامج من خلال مؤسسات المجتمع التي تجذب هذه الفئة من فئات المجتمع إلى الخير والدين وتحميهم من أوقات الفراغ القاتلة وضعف التربية المنزلية لتوفر بعض الأسباب ، مثل موت الأب أو غيابه الكثير عن البيت أو جهله بأمور التربية إلى غير ذلك من الأسباب والصوارف التي تؤدي إلى تربية سيئة وتنشئة غير سوية ، وقد عقدت لهذا الجانب بحثًا مستقلًا في موسوعتي للدعوة بعنوان (كيف ندعو الأطفال ، الجزء الأول) وسيتبعه إن شاء الله قريبًا الجزء الثاني ، وهو الجانب التطبيقي لدعوة الأطفال ، فعلى المريد زيادته في هذا الرجوع إليه .

ومعلوم أن تربية الأطفال وتوجيههم أمر شرعي واجب على كل مسئول ، ويأتي في مقدمة أولئك : الأبوان ثم مؤسسات المجتمع التي أوكل إليها عملية التربية والتعليم ، إذ لا يصلح لهذا الإنسان في هذه المرحلة من عمره أن يترك هملًا ؛ لأن هذا يؤثر عليه في الحاضر والمستقبل فلا بد من حمايتهم من الضياع وجذبهم إلى الدين بكل وسائل الترغيب وفي مقدمتها القدوة الحسنة والتنشئة الإسلامية وتحبيب الدين لديهم بكل الوسائل والطرق ، وحماية فطرهم السليمة من الانحرافات العقدية والوساوس الشيطانية

والانفلات والغفلة ، والشباب لا بد من متابعتهم وحمايتهم من مرحلة المراهقة بإعدادهم الإعداد السليم كي يحفظوا دينهم ويلتزموا بتعاليمه بالقيام بالواجبات والامتناع عن المحرمات والاعتصام بحبله المتين ؛ لأنهم الذين يحملون المسئولية في المستقبل ، ويحمون الدين ويقومون بإبلاغه والدفاع عنه بكل الوسائل ؛ لأن المجتمع المسلم مناط به هذا الأمر .

* * *

خامسًا : الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

لأهمية هذه النقطة بالذات أفصل فيها على النحو الآتي وقبل ذلك أؤكد : أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من خصائص هذه الأمة وهو الحصن الحصين للأفراد والمجتمعات الإسلامية من عواقب الآثام ، وعدم التقيد بالدين في كل الأحوال ، به أصبحت الأمة وحدة واحدة ، المسلم أخ المسلم لا يقبل بحال من الأحوال على أخيه المسلم أي مكروه ولا يسلمه للهوى والشيطان ، فهو إذا رأى منه ما يخالف الدين هب إليه ليحميه من ذلك ، وبه ظلت الأمة قوية متماسكة لحمايتها للدين من خلال هذا المبدأ العظيم ، والتفصيل في جانب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر سيكون للتذكير ، وإلا فالموضوع لهام جدًا وجوانبه كثيرة وسيكون على النحو الآتي :

١ - تعريفه وفضله وحكمه .

٢ - مراتبه وآدابه .

٣ - صفات الآمر بالمعروف .

٤ - واجبنا نحوه .

وكما ذكرت سابقًا فإن الهدف التذكير وإلا فهناك بحوث خاصة مطبوعة في هذا الموضوع أحسنها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله ، الناشر دار العلوم الإسلامية والبخاري .

١ - تعريفه وفضله وحكمه :

✹ تعريفــه :

الأمر : ضد النهي ، قال تعالى : ﴿ وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٧١﴾ ﴾ والعرب تقول أمرتك

أن تفعل ، ولتفعل ، وبأن تفعل ضمن قال : أمرتك أن تفعل ، فالباء للإلصاق ، والمعنى أمرنا للإسلام .

المعروف : لغة : العرف والعارفة والمعروف واحد ضد المنكر ، وهو كل ما تعرفه النفس من الخير وتطمئن إليه ، والعرف : الرائحة الطيبة .

شرعًا : اسم جامع لكل ما عرف من طاعة الله والتقرب إليه والإحسان إلى الناس .

النهي : لغة : المنع والزجر والترك .

المنكر : خلاف المعروف ، ومنه النكير اسم الإنكار الذي معناه التغير .

والمنكر شرعًا : كل ما قبحه الشرع وحرمه وكرهه فهو منكر .

* فضلــه :

الحديث عن فضل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يكفيه قول الحق تبارك وتعالى : ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾[1] وقوله جل وعلا : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ﴾[2] وقول النبي ﷺ عن حذيفة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « **والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقابًا منه ثم تدعونه فلا يستجاب لكم** »[3].

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : سمعت النبي ﷺ يقول : « **من رأى منكم منكرًا فليغيره بيده ، فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان** »[4].

والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وظيفة الرسل وأتباعهم .
والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر سهمان من سهام الإسلام .
والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أسباب الرحمة والسعادة والرضوان .

---

(١) التوبة : ٧١ .
(٢) آل عمران : ١١٠ .
(٣) رواه الترمذي وقال : حديث حسن .
(٤) رواه مسلم ج١ ص٢٧ .

والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أنواع الجهاد .
والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أسباب قبول الأعمال ورفعها إلى الله .
والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من مكفرات الخطايا .
والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أسباب النجاة من عذاب الدنيا والآخرة .
والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أفضل الأعمال .
والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فيه أمان من سخط الله ومقته وغضبه .
والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فيه حماية للفرد والجماعة والدين .

وهكذا نجد أن فضله كبير ومزاياه متعددة وفوائده كثيرة تتحقق من خلاله مصالح كثيرة للفرد والمجتمع والدين أيضًا ؛ لأن فيه حفظ له وحماية لشرعه .

*** حكمــه :**

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية في كتابه « الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر » : (وكذلك وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا يجب على كل واحد بعينه بل هو على الكفاية ، كما دل القرآن)[1] فهو واجب بالإجماع لكنه كفائي ، قال تعالى : ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾ الآية . المنكر

٢ - *مراتبــه وآدابــه :*

*** مـراتبــه :**

مراتب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وردت في الحديث السابق الذي رواه أبو سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه وهي ثلاثة :

أ - التغيير باليد ، وهذا يكون للسلطان ومن أقامه نيابة عنه .

ب - التغيير باللسان ، وهذا يكون للعلماء وفق ضوابط معينة من هدي المصطفى ﷺ .

ج - التغيير بالقلب وهذا لعامة الناس كما قاله الإمام القرطبي رحمه الله .

● **والمرتبة الأولى** : التغير باليد باستعمال القوة والاستعانة بالأعوان لكسر الملاهي

---

(١) الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لشيخ الإسلام ابن تيمية ص٣٧ .

وإراقة الخمور وخلع الحرير من رأس لابسه كما ذكر العلماء .

● **المرتبة الثانية** : التغيير بالقول وذلك ببيان الحكم الشرعي والوعظ والنصح والتخويف من عاقبة المعاصي والآثام وإرشاد الناس إلى الخير والصلاح ومحاربة المنكرات ، والتهديد بالعقوبة من قبل ولي الأمر وإقامة الحكم الشرعي على المخالف للأوامر وفق ما جاء في الكتاب والسنة وإجماع الأمة ، والتخويف من التعزير وإصدار العقوبة العاجلة في الدنيا ، ومن غضب الله ومقته وعظيم عذابه ، كل ذلك باللسان من خلال الآيات القرآنية والأحاديث النبوية والقصص الحادثة والسابقة في الأمم الغابرة وهكذا .

● **المرتبة الثالثة** : التغيير بالقلب في حالة العجز عن المرتبتين السابقتين ، وهي مرتبة لازمة لكل مسلم لا يجوز أن يخلو منها أي مسلم ؛ لأن ذلك تهاون في أمر الدين .

❋ آدابــه :

أما الحديث عن آداب الأمر والنهي ، فهناك هدي النبي ﷺ في ذلك من وجوب الرفق وعدم التسرع ، ولزوم الحكمة في القول والفعل .

وأحسن ما في هذا الباب ما أورده شيخ الإسلام في كتابه الأمر بالمعروف وهو : (ليكن أمرك بالمعروف بالمعروف ، ونهيك عن المنكر غير منكر) وهذا كلام جميل يغني عن صفحات كثيرة .

ولا شك أن الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر يكون من المسلمين العلماء بالأحكام الملتزمين بالمنهج ، المحبين لإخوانهم ، الحريصين على حماية الإسلام والمسلمين ، فيهم كل صفات الخير والصلاح ؛ ليكونوا قدوة للمدعوين .

٣ – *صفات الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر :*

لكل عمل من الأعمال التي يقوم بها الإنسان مستلزمات حتى يكون ذلك العمل متقنًا ، والتصدي لهذا الأمر العظيم والشرف الكبير يوجب وجود صفات معينة في القائم به ، وهي صفات الداعية المسلم التي ذكرتها في صفات الداعية في الباب الثاني من هذا الكتاب ، إلا أنه لا يمنع أن نذكر ما بينه علماء الأمة من وجوب توفر بعض الشروط في المحتسب حتى يكون أهلًا للاحتساب وهي :

أ – أن يكون مكلفًا ؛ لأن غير المكلف لا يلزمه أمر ولا يجب عليه تكليف ، والمكلف هو البالغ العاقل ، ويدخل في هذا الشرط الإسلام بداهة ؛ لأن الحسبة نصر للدين .

ب – العلم بحيث يكون لديه منه ما يستطيع به معرفة المنكر والمعروف ؛ لينهى ويأمر وفق الشرع حتى يكون كلامه على علم ومعرفة ، والعلم قبل القول والعمل كما هو معلوم .

ج – العدالة : وهذا الشرط ذكره بعض العلماء حتى لا يكون موقع لمز من المدعوين ، إذا كان لدى الآمر بعض مظاهر الفسق لا سمح الله .

د – الإذن من الإمام ، وفي هذا الزمان لا بد من الضوابط والتقييد مخافة الوقوع في المحذور ، وإذن ولي الأمر فيه من المصالح الشيء الكثير بلا شك ، ولو أن بعض العلماء اشترطوا في مسألة الإذن أن يكون في الأمور التي يجري فيها التعزير واتخاذ الأعوان واستعمال القوة ، وهذا بلا شك في مصلحة الآمر الناهي وحماية له من اعتداء الفساق .

وعليه أن يكون صادقًا مخلصًا لا يبتغي بهذا العمل إلا وجه الله والدار الآخرة ونصرة الدين وحماية إخوانه المسلمين من شرور ومخاطر المعاصي والآثام .

٤ – واجبنا نحوه .

المتصدر لهذا الأمر لا بد من عونه ومساعدته وتشجيعه على هذا الجانب الجليل ، بشد أزره ودعمه من ولي الأمر ، ولا شك أن وجود جهات أو هيئة لهذا الأمر فيه من المنافع الشيء الكثير للبلاد والعباد والدين ، وقد بينت في الصفحات السابقة ثمار الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من خلال سرد بعض فضل هذا العمل ، فعلى جميع المسلمين التعاون على البر والتقوى ، وتقوية هذا الاتجاه بالتعاون التام ، سواء كان ذلك يتطلب جهدًا أو مالًا ؛ لأن فيه الخير والسلامة .



ب - دعوة المجتمعات غير الإسلامية

المجتمعات غير الإسلامية إما أن تكون مجتمعات نصرانية أو يهودية أو وثنية أو ملحدة ، أو مجتمعات ظاهرها الإسلام وفي حقيقتها بلا دين لعدم قيامها بأي شعيرة من شعائر الدين ، وحتى المجتمعات النصرانية في حقيقتها لا تدين بدين ولا تقوم إلا بأقل القليل من طقوس الدين المنسوخ .

وهناك نقطة هامة يجدر الإشارة إليها ، وهي أنه بعد مبعث سيدنا محمد ﷺ لا دين إلا الإسلام بل لا يمكن أن نطلق على الرسالات السابقة المنسوخة برسالة الإسلام دينًا ؛ لأن الدين عند الله الإسلام ، ولعل أنسب تعريف للمجتمعات غير الإسلامية (المجتمعات الكافرة) ، كما يجدر بنا إلى أن نشير لتصنيف المجتمعات الكافرة أي : غير الإسلامية ، والذي يعتبر كل إنسان غير مسلم كافرًا ، وبذلك تكون المجتمعات غير الإسلامية هي المجتمعات الكافرة ، سواء كانت أهل كتاب أو منافقين أو ملحدين أو مشركين والذي نعرفه عن المجتمعات غير الإسلامية أنها مجتمعات كافرة ؛ انطلاقًا من أن الإنسان إما أن يكون مسلمًا أو كافرًا ، والمسلم هو الذي يلتزم بهذا الدين بالكلية ، والكافر هو الذي لا يعترف بالإسلام ، أو لا يقيم أركانه وهديه في حياته كقاطع الصلاة ، ومانع الزكاة ، والمصر على الكبائر المفسد في الأرض المجاهر بعداوة الدين ، ولو تسمى بالإسلام ، فالإسلام ليس اسمًا بل اعتقادًا وعملًا ، وتمسكًا . من هذا نخلص إلى :

١ - المجتمعات غير الإسلامية النصرانية وقد تم بيان طريقة دعوتها سابقًا .
٢ - المجتمعات غير الإسلامية اليهودية وقد تم بيان طريقة دعوتها سابقًا .
٣ - المجتمعات غير الإسلامية المشركة وقد تم بيان طريقة دعوتها سابقًا .
٤ - المجتمعات غير الإسلامية الملحدة وقد تم بيان طريقة دعوتها سابقًا .

بقي في المجتمعات غير الإسلامية الوثنيون الذين يعبدون بوذا وهم كثيرون في آسيا خاصة ، والمجوس ، والهندوس عباد البقر .

ولا بأس من الوقوف على هذه المعتقدات أولًا حتى نحدد كيف تكون دعوة أهلها إلى الإسلام . وسيكون الحديث عن :

١ – البوذية وكيف تم دعوتهم .
٢ – المجوسية وكيف تم دعوتهم .
٣ – الهندوسية وكيف تم دعوتهم .
٤ – الذين لا يعتقدون أي معتقد وكيف تم دعوتهم .

* * *

١ - البـوذيــة

بوذا معناه العارف المستيقظ ، والعالم المتنور ، والبوذية تنسب إلى رجل من الهندوس من عائلة ثرية ذات سلطان وجاه ، استغرق في كشف أسرار الكون فهجر المال والأهل والديار وهام على وجهه في الصحاري والقفار وأرض الله الواسعة ، استقر رأيه على أن ينشر مذهبه حيث ترك الغابة التي كان يعتكف فيها وذهب إلى مدينة بنارس حيث قام بنشر مذهبه الضال ، وأصبح له أتباع على هذا المذهب الذي يعتمد على أفكار الهندوس التي تنادي بتناسخ الأرواح ، وصار بوذا يحارب كل من اعتقد الألوهية ، ويسخر ممن يقول بوجود الإله ، فهو حرب على العقائد الدينية وبعد هلاكه تطورت البوذية ونظرت إليه كإله معبود كآلهة الهندوس ، وقد انقسمت إلى قسمين البوذية القديمة والجديدة .

أما كيف تكون دعوتهم فإنهم يعتبرون كفارًا ، ويدعون بكل الأساليب التي وضحت سابقًا ، وفي حالة عدم جدواها معهم فليس لهم إلا القتال حتى يسلموا ؛ لأن استخدام القوة مع الكفار من أمور الجهاد في سبيل الله ؛ لإعلاء كلمة الله بعد نفاذ كل الوسائل الحكيمة التي مرت بنا في الصفحات السابقة ، وكما تقول العرب : آخر الطب الكي ، فالحرب لمن خالف الحق ولم تنفع معه الأساليب السليمة ، ولم تؤثر فيه الآيات والبراهين ، والبينات والحجج الباهرات ، والدلائل الواضحات ، على وجود الله عز وجل ، وأنه خلق الإنسان لعبادته وحده سبحانه وتعالى ، هذا باختصار شديد كل ما يتعلق بالبوذية ، والجدير ذكره أن دعاة الإسلام عليهم إيصال هذا الخير إلى كل الناس في كل مكان ؛ أداءً للواجب وانتشالًا لأولئك الضالين من ضلالاتهم .

***

٢ - المجوسية

وهم الذين أثبتوا أصلين اثنين مدبرين قديمين ، يقتسمان الخير والشر والنفع والضر ، والصلاح والفساد ، يسمون أحدهما : النور ، والآخر : الظلمة ، وبالفارسية يزدان وأهران ، ومسائلهم تدور على قاعدتين :

الأولى : بيان سبب امتزاج النور بالظلمة.

الثانية : بيان سبب خلاص النور من الظلمة .

وجعلوا الامتزاج مبدأ ، والخلاص معادًا ، وهم فرق كثيرة ، عبدة النار فرقة ضالة تفلسفت فوقعت في هذه الترهات .

تكون دعوتهم بتعريفهم بالرب الخالق عز وجل المحيي المميت ، الذي أوجدهم لأمر عظيم وسخر لهم ما في الأرض جميعًا ؛ كي يعبدوه ويوحدوه ولا يشركوا به أحدًا .

وذلك باستخدام الحكمة والموعظة الحسنة والأدلة الباهرة على وجود إله واحد لا شريك له ، ولا ند ولا ظهير ، وأن هذا الكون بقبضته سبحانه وتعالى ، وحتى لا يكون للبشر حجة أرسل إليهم الرسل ، وأنزل عليهم الكتب ، ختمها بخير كتبه ، وخاتم رسله محمد ﷺ ، مع استخدام كل الوسائل المتاحة ؛ لبيان حاجة الإنسان للدين ، وأن حياته لن تكون متوازنة إذا كان هكذا لا يؤمن بالله واليوم الآخر ولا يدين بالإسلام الذي ارتضاه الله للناس كافة ، بل للإنس والجن .



٣ - الهندوسية

دين أكثر سكان الهند ، وهي مجموعة من التقاليد والعادات والعقائد ، وهي أسلوب في الحياة أكثر مما هي مجموعة من العقائد ، حظيت فيها (البقرة) بأسمى مكانة .

نقل عن جواهر لال نهرو رئيس وزراء الهند الهندوسي : (عندما أرى بقرة لا أعدني أرى حيوانًا ؛ لأني أعبد البقرة وسأدافع عن عبادتها أمام العالم أجمع ... إلى أن يقول : وأمي البقرة تفضل أمي الحقيقية من عدة وجوه ، فالأم الحقيقية ترضعنا مدة عام أو عامين وتطلب منا خدمات طوال العمر نظير هذا ، ولكن أمنا البقرة تمنحنا اللبن دائمًا ولا تطلب منا شيئًا مقابل ذلك سوى الطعام العادي ... إلى أن يقول : وعندما تموت الأم الحقيقية تتكلف جنازتها مبالغ طائلة ، وعندما تموت أمنا البقرة تعود علينا بالنفع كما كانت تفعل وهي حية ؛ لأننا ننتفع بكل جزء من جسمها حتى العظم والجلد والقرون)[١] .

وقد تطورت الديانة الهندوسية حيث مرت بمراحل ثلاث :

المرحلة الأولى : مرحلة ما قبل التدوين ، أي : تدوين كتابهم المقدس (الويدا) ومعناها : الحكمة والمعرفة ، وذلك في القرن الخامس عشر قبل الميلاد .

المرحلة الثانية : مرحلة تدوين (الويدا) وتأويلها على أيدي رجال الدين (البراهمة) ، وسمي ذلك البراهمانات ، وكان ذلك في القرن الثامن قبل الميلاد .

المرحلة الثالثة: مرحلة تلخيص الويدا في أسفار مقدسة تسمى الأوبانيشادات ، وهذه بدأت من القرن السادس قبل الميلاد ، وهم يعبدون آلهة كثيرة إله السماء وإله الرعد وإله الصبح وإله الشمس إلخ ، ودعوة هذه الفئة من البشر تكون ببيان قدرة الخالق سبحانه

---

(١) الأديان والفرق والمذاهب المعاصرة لعبد القادر شيبة الحمد ، كتاب مقرر بالجامعة الإسلامية .

وتعالى ، وأنه عقلًا لا يمكن أن يسير العالم هذا أكثر من إله وإلا وقع الاختلاف والعناد وتوقفت الحياة ، وأن هذا الإله سبحانه وتعالى هو الذي يستحق العبادة ؛ لأنه الذي خلق والذي يميت ، والذي يدبر أمر هذا الكون وما فيه وما حوله ، مع التركيز على الأدلة العقلية وبيان بطلان هذه العقائد التي ورثوها عن أسلافهم ، وأن الله سبحانه وتعالى أرسل الرسل وأنزل الكتب ، وأن هذا الإنسان خليفة الله في الأرض لا بد أن يعمرها بعبادة خالقه ومولاه سبحانه وتعالى ، واستخدام جميع الأساليب الترغيبية والترهيبية التي سبق ذكرها ، وإثبات زيف معتقداتهم ، وأنه لا يمكن للعقل السليم قبولها .

وخلاصة القول في دعوة المجتمعات غير الإسلامية اعتبارها مجتمعات كافرة بالله سبحانه وتعالى ، لا بد من إعادتها إلى الفطرة والإيمان بالله وحده لا شريك له ، باستخدام جميع وسائل الدعوة من الكتاب والسنة وفعل الرسول ﷺ في دعوته الكفار إلى الإسلام .



ج - دعوة الأقليات الإسلامية

أن دعوة الأقليات في العالم تحتاج لعدة وقفات :

- **الوقفة الأولى : المراد بالأقليات .**
- **الوقفة الثانية : الأقليات المضطهدة في العالم .**
- **الوقفة الثالثة : خطط الكفار للقضاء على الأقليات المسلمة لديهم .**
- **الوقفة الرابعة : كيف تتم دعوتهم ؟ .**

هذا الموضوع من أهم المواضيع ؛ لأنه يتعلق بالدعوة في العالم باستثناء الدول الإسلامية ؛ وذلك لتواجد أعداد كبيرة من المسلمين في أوربا وأمريكا وأفريقيا وأستراليا ، والذين إذا ما قاموا بواجبهم نحو الدين فإنه سيكون فتحًا لهذا الدين في تلك القارات ، ونتيجة لمتابعتي أحوال الدعوة في تلك المناطق من العالم وجدت أن بعض الجهود القليلة والمتناثرة حققت بفضل الله مكاسب كبيرة في دعوة الكفار إلى الإسلام ، وأؤكد أن هذه الأقليات لو اتحدت في البلد الواحد والتزمت بالإسلام وأظهرت روح الإسلام في حياتها لحققنا الكثير في مجال الدعوة إلى الإسلام ، وسأفصل في الوقفات التالية إن شاء الله في ذلك .

* * *

الوقفة الأولى : المراد بالأقليات

أقصد بالأقليات المجموعات الإسلامية المتناثرة في العالم بين المجتمعات الكافرة ، سواء كان ذلك بصفة مؤقتة أو صفة دائمة ، كالذين يقيمون إقامة دائمة في دولة من الدول غير الإسلامية ويكونون جالية معروفة في مجتمع كافر له عاداته وتقاليده وثقافته ومعتقداته .

وقد تكونت هذه الأقليات في تلك المجتمعات من زمن الاستعمار ، والذي كان بعضه ينظر إلى بعض مستعمراته وكأنها جزء لا يتجزأ من دولته كما كان الحال في الجزائر المجاهدة بحيث يتحرك المواطن المسلم في تلك الدول على أنه أحد رعايا تلك الدولة ، وبمرور السنين تكاثرت تلك الأعداد ، وتكونت منها جالية عربية أو غير عربية لكنها مسلمة في تلك الدولة تأثرت بلا شك بالمجتمع الجديد الذي تعيش فيه ، وقبل ربع قرن من الآن ١٤١٥هـ أصبح لهذه الجاليات أو الأقليات كيان استطاعت من خلاله ممارسة شعائرها الدينية كإقامة المساجد والمدارس كما هو في بريطانيا وفرنسا ، الأمر الذي جعل تلك الدول تفكر في وضع هذه الأقليات والتي حصل بعضها على جنسية البلد بالولادة أو وفق النظام هناك ، وهي حاجة ماسة للتواصل مع إخوانهم المسلمين في كل مكان ليواصلوا السير إلى الأمام في إعلاء كلمة الله في تلك الديار .

* * *

الوقفة الثانية : الأقليات المضطهدة في العالم

من خلال متابعتنا لهذه الأقليات وملاحقتنا لأخبارها بكل الوسائل ومشاهدتنا لها على أرض الواقع أثناء زيارتنا لهم في مواقعهم نجد أنهم يعيشون تمييزًا عنصريًا واضطهادًا كبيرًا ، وقد تعرض بعضهم لحملات إبادة آخرها ما نشاهده يوميًا في البوسنة والهرسك وفلسطين .

ولا ننسى تلك المواقع من أفريقيا التي عانت فيها الفئة المسلمة الكثير ، ولا ننسى تلك المواقع من آسيا التي عانت فيها الفئة المسلمة الكثير ، ولا ننسى تلك المواقع من أوربا التي عانت فيها الفئة المسلمة الكثير ، وحرب الإبادة التي تشنها الأيديوليجيات المنحرفة الكافرة على مختلف مسمياتها ومواقعها من العالم سواء بطريق مباشر أو غير مباشر ضد المسلمين ، وهي معلومة للجميع ، إنما أردت التذكير والتأكيد على أن أعداء الإسلام لن يتركوا قافلة الخير والمحبة والسلام تسير ليستظل العالم بنور الإسلام – دين الأمن والأمان والحرية والقوة – لكن الله غالب على أمره وإذا وجد هذا الدين الرجال المخلصين فإنه سيعم العالم وينتشر كانتشار الليل والنهار على أرض الله كلها من شرق العالم إلى غربه ومن شماله إلى جنوبه .

وإنني على ثقة من هذه الأقليات لو أخذت بأسباب القوة التي جاء بها الدين الإسلامي واعتمدت على منهجها الرباني لأصبح لها الغلبة ؛ لأن الكافر أمام المسلم ذليل ، والله جلت عظمته ينصر أولياءه ويعلي شأن من نصر دينه ، فعليهم بأن يأخذوا بتلك الأسباب ليتم لهم التمكين في الأرض ويوقفوا تلك المخططات التي توجه ضدهم من أعداء الإسلام وأعوانهم وليقولوا لهم بأن هذا الدين للناس أجمعين ، ورب العزة والجلال تفضل على بني آدم به ، ولن يحصلوا على الأمن والسلام والاستقرار إلا بهذا الدين .

الوقفة الثالثة : خطط الكفار للقضاء على الأقليات المسلمة لديهم

الأقليات الإسلامية في العالم تواجه هجمة شرسة وسلسلة من خطط القضاء عليها تتضح صورها في الآتي :

❋ **أولًا** : حرمان المسلمين في تلك البلاد من التعليم والثقافة الإسلاميّة وذلك من خلال محاربة اللغة العربية وعدم إعطاء هذه الفئة حريتها الشخصية في تعلم ما ترغبه وما يمليه عليها دينها بالرغم من ادعاءاتهم بالحرية والديمقراطية وحرية الفرد في ممارسة حقوقه الذاتية وشعائر دينه الأساسية ، والتي يأتي التعليم في مقدمتها ، وعلى الأخص القرآن الكريم وفقه العبادات والمعاملات ، والتضييق على النشاطات الثقافية الإسلامية بكل الوسائل واضطهاد والعلماء من المسلمين وكبت حريتهم في ممارسة التعليم والتوجيه والدعوة والإرشاد بين أوساط المسلمين في تلك الديار .

❋ **ثانيًا** : العمل بجد ونشاط على تنصير أبناء المسلمين بكل الوسائل الترغيبية والترهيبية من خلال برامج معدة لذلك لصهرهم في بوتقة تلك المجتمعات ، والقضاء على ما لديهم من توجيهات دينية إسلامية .

❋ **ثالثًا** : حرمان هذه الأقليات المسلمة من الوظائف الهامة في الدولة وعدم تمكينهم من الوصول إلى الوظائف القيادية ؛ لأنهم مسلمون .

❋ **رابعًا** : التضييق على المسلمين اقتصاديًّا بوضع العراقيل أمامهم كي يحولوا دونهم ، وتكوين مركز جيد في المجال الاقتصادي في البلد ، ويكون لديهم أموال كغيرهم من المواطنين الغير مسلمين .

❋ **خامسًا** : الاعتداء على مساجدهم ومحاربة إقامة المساجد للعبادة بشتى الوسائل ومحاربة حرية الدين .

❋ **سادسًا** : الفتك بالمسلمين من خلال المجازر الجماعية كالذي حدث في كشمير والبوسنة والهرسك والصومال وغيرها من دول أفريقيا ، وآسيا كالهند حيث خطط الهندوس المتكررة للقضاء على المسلمين في الهند إلى غير ذلك مما شاهدناه في أنحاء العالم من مجازر ضد المسلمين ؛ لأنهم قالوا ربنا الله ، إلى غير ذلك من التصفيات الفردية للعلماء ورجال الدعوة والتوجيه والمتمسكين بأهداب دينهم في تلك البلاد وأحداث بعض الدول ومواقفها من المسلمين كتبها التاريخ بمداد أسود خاصة إبان الحكم الشيوعي في ما كان يسمى الاتحاد السوفيتي ومن كان يسير في ركابهم من الدول الشيوعية في العالم التي كانت ترفع شعار : الدين أفيون الشعوب ، وشعار الإلحاد : لا إله والحياة مادة ، والله جلت عظمته عجل لهم العقوبة فانهارت تلك الدول (العظمى) وأصبحت نسيًا منسيًّا ؛ لأنها طغت وبغت ، وهذا مصير كل من حارب دين الله ويعتدي على أولياء الله ، إنها سنة الله في الذين كفروا ، وهناك نقطة هامة يجب ذكرها في هذا المقام وهي دور هذه الأقليات في التغلب على هذه المؤامرات وصمودها أمام هذه التحديات .

ومواصلتها السير إلى الأمام حاملة رسالة الله مطبقة لمنهجه الذي يؤدي إلى النصر ، والنصر المؤزر بإذن الله ؛ لأن الله معهم .

فلا بد أن يتسلحوا بالعلم والمعرفة ويستفيدوا من إخوانهم في البلاد الإسلامية في هذا المجال بإرسال بعض أبنائهم لتلقي العلوم الشرعية في بلاد الحرمين الشريفين – المملكة العربية السعودية– التي فتحت صدرها لكل المسلمين؛ لينهلوا من النبع الصافي: كتاب الله وسنة رسوله ﷺ في معاهدها وكلياتها الشرعية على مختلف تخصصاتها ؛ ليعودوا إلى أهليهم وهم يحملون العلم وكيفية الدعوة لهذا الدين ، ولا بد لهم أن يتكاتفوا وينبذوا الخلافات والعصبيات وينظروا إلى المصلحة المشتركة ويحققوا بصدقٍ الرابطة الإسلامية التي ربطت بينهم على اختلاف جنسياتهم وألوانهم ولا يتيحوا للعدو فرصة ليفرق بينهم وينال منهم كما قيل : الاتحاد قوة ، وتزداد هذه القوة إذا كان هذا الاتحاد في ظل الإسلام العظيم .

❋ ❋ ❋

الوقفة الرابعة : كيف تتم دعوتهم

الدعوة في أوساط المسلمين الذين يعيشون كأقليات في دول العالم تتركز في أمرين اثنين :

○ **الأمر الأول : التعليم والتربية .**

○ **الأمر الثاني : التثبيت .**

وهناك أمور يجدر ذكرها يتم من خلالها بيان كيفية الدعوة في هذه الأوساط انطلاقًا من الأمرين السابقين وهي :

○ ***أولًا : التركيز على نشر اللغة العربية*** لغة القرآن الكريم وآدابها بكل الطرق والوسائل ؛ لأن في تعليم اللغة العربية الخير الكثير والربط الجيد والقوي بعلوم الشريعة الإسلامية وهذا يتم من خلال وضع خطة عامة مدروسة لنشر اللغة العربية في تلك الدول وبين المسلمين خاصة أولئك الذين ولدوا في تلك المجتمعات غير العربية في أوربا وأمريكا ، ويكون هذا من خلال وضع المناهج السلسة المركزة المعتمدة على وسائل التعليم الحديثة والتقنيات العصرية في التعليم وتوفير المؤهلين للقيام بهذه المهمة العظيمة في تلك الديار مع إقامة المدارس العربية من خلال السلك الدبلوماسي في تلك البلاد كتوجه من توجهات التبادل الثقافي بين دول العالم مع الاستفادة من الكفار في سبل نشر لغاتهم في العالم والطرق التي سلكوها في ذلك .

○ ***ثانيًا : حماية عقائد هذه الأقليات*** من خلال وسائل التثبيت والترغيب ، والترهيب أيضًا إذا هم ضيعوا دينهم ، وعقوبة المرتدين عن دينه أو المظهر له بما لا يليق به سلوكًا أو مظهرًا والتواصل معهم دائمًا بالزيارات المتبادلة ومتابعة أحوالهم من قبل الدول

الإسلامية خاصة ، والمؤسسات المتخصصة ، والمؤهل لهذا الجامعات الإسلامية في العالم الإسلامي التي تعمل على إعداد الدعاة وطلبة العلم الذين أتوا إليها من شتى أنحاء العالم لتلقي العلوم الشرعية واللغة العربية وآدابها والتاريخ الإسلامي والفكر الجيد النابع من الكتاب العزيز والسنة النبوية المطهرة .

○ ***ثالثًا : الحث على المحافظة على مبادىء الإسلام*** وإعطاء الكفار صورة مشرفة عن الإسلام من خلال هذه المحافظة والتي تبرز في سلوك المسلم مع الآخرين وتعامله معهم من منطلق الصدق والأمانة والعفة والحب والقيم النبيلة التي أتى بها هذا الدين والتي يستطيع المسلم أن يجسدها على أرض الواقع سلوكًا ملموسًا ومظهرًا محسوسًا يترجم بصدق عن سمو هذا الدين وصلاحه لكل زمان ومكان وقوته في إعداد هذا الإنسان إعدادًا جيدًا ؛ كي يكون مصدر خير وعطاء ومحبة وسلام من خلال إيمانه بالله رب العالمين وسيره على منهج ربه الخالق الرازق الذي أنزله قرآنًا يتلى إلى يوم القيامة على خاتم رسله محمد بن عبد الله ﷺ ليكون حصنًا لهذا الإنسان من عدوه الأول الشيطان وضابطًا يوجه حياته كلها إلى خير وما فيه رضا الله عز وجل وإقامة شرعه ، سواء كان هذا نفسه أو مع أهله أو مع إخوانه المسلمين ومع الناس جميعًا وفقًا لهذه التعاليم السامية في هذا الكتاب العظيم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وهدي خاتم المرسلين ﷺ ، فالإسلام كله خير وصلاح وفلاح وسعادة للبشرية جمعاء بل لكل المخلوقات ؛ لأنه دين الله ومنهجه سبحانه وتعالى لهذا الإنسان كي يعيش في أمن واستقرار ويعمر هذه الأرض بالطاعة والخير والسلام .

○ ***رابعًا : لفت الأنظار إلى ما عليه المجتمعات غير المسلمة*** التي تعيش فيها الأقليات المسلمة من فسق وفجور وجور وظلم وضياع بل وانحطاط إلى درجات أقل من العجماوات بسبب الفراغ الروحي الذي يعيشه حيث فقدوا التوازن فطغت جوانب الجسد على جانب الروح فأصبح مترنحًا لا يهدي إلى شيء ، يعيش جاهلية كاملة في الفكر والثقافة والعبادة والسياسة والعلم والأدب والأخلاق يفعل ما يشاء متى شاء .

أما الإسلام والمسلم تحت ظله فشيء آخر حيث الأخلاق والضبط والربط والعدالة والمساواة والحياء والعفة والمروءة ومخافة الله ومراقبته في السر والعلن والسير على هداه جلت عظمته .

وهذه المقارنة توضح بجلاء هذه النعمة التي يعيشها الإنسان المسلم وذلك الضياع الذي يعيشه الإنسان الكافر ، فالحمد لله على نعمة الإسلام .

○ ***خامسًا : التواصل معهم من قبل إخوانهم في البلاد الإسلامية*** وشد أزرهم ودعمهم ماديًا ومعنويًا من خلال الزيارات المتبادلة وإقامة المراكز الإسلامية والمدارس العربية ووضع الخطط والبرامج ليكون لهم دور بارز في تلك المجتمعات من خلال السياسة والاقتصاد ومن خلال التغلغل في تلك المجتمعات ؛ لدعوتهم إلى الإسلام وإنقاذهم من الكفر والضياع .

ومما لا شك فيه أن للهيئات القائمة في العالم الإسلامي دورًا كبيرًا في هذا التوجه ، فهي تقوم بدعم العمل الإسلامي في كل مكان ، خاصة في تلك المجتمعات التي يعيش فيها أقليات إسلامية حيث أقامت المشاريع الكبيرة والكثيرة كإنشاء المساجد والمدارس والمقابر وبعض المشاريع الاستثمارية في تلك البلاد ؛ لسد حاجة المسلمين فيها وهذه الهيئات تبعث سنويًا بالدعاة والعلماء إلى تلك الجهات ترسيخًا لهذا التواصل ويأتي في مقدمة هذه الهيئات رابطة العالم الإسلامي والجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة وجامعة الأزهر وجامعة الإمام محمد بن سعود وهيئة الإغاثة وغيرها كثير من الجهود الخاصة والشخصية لدعاة الإسلام ومحبي الخير الساعين لما فيه مصلحة المسلمين وعز الإسلام ، ولا شك أن هذه الجهود مجتمعة تجعل إخواننا المسلمين في تلك الديار ملتزمين بدينهم محافظين عليه ؛ لأنهم يجدون من إخوانهم المسلمين هذا الدعم وهذا الحب .

وعلى كل حال يعود أمر هذه الأقليات في تقوية موقفهم في تلك الديار ودعوتهم إلى الإسلام والعمل على نشره بكل الوسائل إذا التزموا التزامًا كاملًا بدينهم ؛ لأن الله معز لكلمته ناصر لمن ينصر دينه للمؤمنين .

* * *

الباب الرابع

القاعدة الرابعة (وسائل الدعوة)

- الفصل الأول : الحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالتي هي أحسن .
- الفصل الثاني : الترغيب والترهيب .
- الفصل الثالث : الحسبة في الإسلام .
- الفصل الرابع : أثر اقتران القول بالعمل في الدعوة ، والأسوة الحسنة وسيلة من وسائل الدعوة .
- الفصل الخامس : إقامة المنشآت والمشروعات كوسيلة من وسائل الدعوة .
- الفصل السادس : الخطابة .
- الفصل السابع : الإعداد الإعلامي .

○ وسائل الدعوة ○

وأعني بها كل ما يستخدمه الداعية لإيصال ما يريد إيصاله إلى المدعوين سواء ما كان منها قديمًا أو حديثًا ، فالقديم كان يتركز على الاتصال الشخصي والرسائل والرسل ، وفي كل واحدة منها تفصيل وبيان سنأتي على بعضه في هذا الباب إن شاء الله تعالى ، وبعد تطور وسائل الاتصال بين البشر تعددت تلك الوسائل وتركزت في أمور ثلاثة : الأمر الأول : الوسائل السمعية ، والثاني : الوسائل البصرية ، والثالث : الوسائل السمعية البصرية .

ومنهم من قال : الوسائل المسموعة ، والوسائل المقروءة ، والوسائل السمع بصرية ، وعلى كل حال تعددت الوسائل ، وعلى دعاة الإسلام استخدامها لإبلاغ هذا الدين للناس أجمعين قيامًا بالواجب طاعة لله ورسوله ، ورجاء المثوبة منه جل وعلا ، فعلى من تتوفر فيهم شروط البلاغ أن يستخدموا تلك الوسائل على اختلافها لنشر الإسلام .

وكلنا نرى اليوم مدى تأثير هذه الوسائل وقوة فعاليتها على الأفراد والمجتمعات حتى إنها أصبحت كما يقولون : أسلحة الحرب الباردة - فمقدرة صوت الإنسان في عملية الاتصال محدودة ، لكنها تتسع لتغطي مساحة أكبر عند استخدام وسيلة من وسائل الاتصال المعروفة الآن - الإذاعة سواء على نطاق مكان أو مدينة أو نطاق الكرة الأرضية ، وهكذا بقية الوسائل التي عرفها الإنسان هذه الأيام سريعة وواسعة الانتشار .

إن إعداد أجهزة حديثة ومؤسسات إعلامية متخصصة للصدع بهذا الدين أصبح من الضرورة بحيث لا يعفى أحد من القادرين أفرادًا كانوا أو جماعات ، فهذه شركات ومؤسسات الأطباق الفضائية والمحطات التليفزيونية المنتشرة في كل مكان تعمل ليل نهار تغزو كل بيت وكل مجتمع ، فلا بد للجهات الدعوية أن تطرق هذا الباب بقوة لبيان هذا الدين ، وإبلاغ الحق الذي جاء من رب العزة والجلال ، وسأفصل في هذه الوسائل في الفصول التي يتضمنها هذا الباب على النحو التالي :

الفصــل الأول

الحكمة والموعظة الحسنة والجدل بالتي هي أحسن

- ○ المبحث الأول : تعريف طرق الدعوة لغة واصطلاحًا
- ○ المبحث الثاني : الحكمــة .
- ○ المبحث الثالث : الموعظة الحسنة .
- ○ المبحث الرابع : الجدال بالتي هي أحسن ، تعريفه وأنواعه ونماذج من الجدل الوارد في السنة النبوية لبيان الحق .

* * *

المبحث الأول : تعريف طرق الدعوة

* **الطريق لغة** : من الطرق وهو ضرب الأقدام في السبيل الموصل إلى الغاية .

* **الطريق اصطلاحًا** : أسلوب متنوع يوصل الداعية إلى الهدف أو الترجمة الفعلية لهداية التعليم أو المحاولة القولية والعملية لإمالة الناس وجذبهم للحق[1] .

من خلال هذا التعريف يتبين للداعية المسلم تعدد وتنوع الأساليب التي توصله إلى المدعوين لبيان الحق واستمالتهم إلى هذا الدين ، وجذبهم للحق المبين ، وهذا يعتمد بالدرجة الأولى على حكمة الداعية ، وقوة حجته المنبثقة من علمه بهذا الدين وشرائعه .

إن الطرق المؤدية إلى نشر الإسلام قد تعددت وتنوعت واتسعت ولا بد للداعية من معرفتها والإلمام بها والتدرب على القيام بها ، وهذا يتطلب إقامة مؤسسات متخصصة لإعداد الدعاة ، وهو المعمول به هنا في المملكة العربية السعودية ، وذلك في الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة ، وجامعة أم القرى في مكة المكرمة، وجامعة الإمام محمد بن سعود بالرياض ، وكلية الدعوة الإسلامية بالمدينة ، وذلك من خلال كليات الدعوة في هذه الجامعات إضافة إلى ما تقوم به بعض الهيئات الإسلامية العالمية من خلال نشاطاتها الدعوية ، وبرامجها الطويلة والقصيرة ، وما أقامت من معاهد لإعداد الأئمة والدعاة ، وهذا بلا شك له دور كبير جدًا على الدعوة الإسلامية .

إن اتباع الداعية لأحسن الطرق كفيل بإيصال هذا الدين للناس جميعًا بسرعة ووضوح ، وهذا يكون إذا تم إعداد الدعاة إعدادًا جيدًا وسليمًا .

---

(١) معجم مقاييس اللغة ص٢٣٩ .

المبحث الثاني

الحكمة

- المطلب الأول : تعريفها ومفهومها .
- المطلب الثاني : أنواعها ودرجاتها .
- المطلب الثالث : أركان الحكمة .
- المطلب الرابع : طرق اكتسابها .
- المطلب الخامس : بعض مواقفه ﷺ الحكيمة في الدعوة .

* * *

المطلب الأول : تعريف الحكمة ومفهومها

* جاءت الحكمة في اللغة بعدة معان أورد منها :
العدل والعلم والحلم والنبوة والقرآن والإنجيل .

قال ابن منظور في اللسان : قيل الحكيم : ذو الحكمة ، والحكمة : عبارة عن معرفة أفضل الأشياء ، بأفضل العلوم ، ويقال لمن يحسن دقائق الصناعات ويتقنها : حكيم[1].

وقال ابن فارس : « الحاء والكاف والميم أصل واحد وهو المنع ، وأول ذلك الحكم ، وهو المنع من الظلم ، وسميت حكمة الدابة ؛ لأنها تمنعها ، والحكمة هذا قياسها ، لأنها تمنع من الجهل ، والمحكّم : المجرّب المنسوب إلى الحكمة . قال طرفة :

ليت المحكم والموعوظ صوتكما تحت التراب إذا ما الباطل انكشفا

أراد بالمحكم الشيخ المنسوب إلى الحكمة »[2].

وقال الجوهري :
الحكم : الحكمة من العلم ، وصاحب الحكمة : المتقن للأمور .
وقد حكم – بضم الكاف –، أي : صار حكيمًا ، والمحكّم بفتح الكاف الشيخ المجرب المنسوب إلى الحكمة[3]، وهو قول للأصمعي .

وقال في تاج العروس : والحكمة – بالكسر – العدل في القضاء كالحكم، والحكمة : العلم بحقائق الأشياء على ما هي عليه والعمل بمقتضاها ، ولهذا انقسمت إلى عملية

---

(١) لسان العرب لابن منظور ١٥/٣٠ .
(٢) معجم مقاييس اللغة لابن فارس جـ٢ ص٩١ .
(٣) الصحاح للجوهري جـ٥/ ١٩٠١ .

وعلمية ويقال : هي هيئة القوة العقلية العلمية .

وقيل : الحكمة : إصابة الحق بالعلم والعمل .

فالحكمة من الله تعالى : معرفة الأشياء وإيجادها على غاية الإحكام .

ومن الناس أو الإنسان : معرفته ، وفعل الخيرات .

وأحكمه إحكامًا : أتقنه ، ومنه قولهم للرجل إذا كان حكيمًا : قد أحكمته التجارب ، وأحكمه : منعه من الفساد[1].

* **الحكمة اصطلاحًا** : « الإصابة في الأقوال والأفعال ووضع الشيء في موضعه » .

أما ما يتعلق بمفهومها ، فقد ذكر العلماء ذلك واختلفوا ، فمنهم من قال :

الحكمة : النبوة ، وقيل : القرآن والفقه به ، ناسخه ومنسوخه ، ومحكمه ومتشابهه ، ومقدمه ومؤخره ، وحلاله وحرامه ، وأمثاله .

وقيل : الإصابة في القول والفعل .

وقيل : معرفة الحق والعمل به .

وقيل : العلم النافع والعمل الصالح .

وقيل : سرعة الجواب مع الإصابة .

وقيل : وضع كل شيء في موضعه .

وقيل : السنة .

وقيل : الورع في الدين .

وقيل : العلم والعمل به ، ولا يسمى الرجل حكيمًا إلا إذا جمع بينهما ، وقد ورد في كتاب الله تعالى لفظ « الحكمة » في أكثر من تسعة عشر موضعًا ، وفي السنة المطهرة في عدة مواضع .

وسأذكر بعضًا من السور التي أتت فيها هذه اللفظة .

١ - سورة البقرة : ﴿ رَبَّنَا وَٱبۡعَثۡ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَيُزَكِّيهِمۡۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ١٢٩ ﴾[2].

---

(١) تاج العروس مادة حكم ٣٥٣/٨ .

(٢) البقرة : ١٢٩ .

٢ – سورة آل عمران : ﴿ وَيُعَلِّمُهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴿٤٨﴾ ﴾[1].

٣ – سورة النحل : ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾[2].

وفي السنة المطهرة وردت أحاديث كثيرة منها :

١ – عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : ضمني رسول الله ﷺ إلى صدره وقال : « **اللهم علمه الحكمة** »[3].

٢ – عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : كان أبو ذر يحدث أن رسول الله ﷺ قال : « **فرج عن سقف بيتي وأنا بمكة فنزل جبريل ففرج صدري ثم غسله بماء زمزم ثم جاء بطست من ذهب ممتلئ حكمة وإيمانًا فأفرغه في صدري ثم أطبقه** »[4].

٣ – عن عبد الله رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **لا حسد إلا في اثنتين : رجل آتاه الله مالًا فسلطه على هلكته في الحق ، وآخر آتاه الله حكمة فهو يقضي بها ويعلمها** »[5].

* * *

---

(١) آل عمران : ٤٨ .

(٢) النحل : ١٢٥ .

(٣) صحيح البخاري ٣٧٥٦ .

(٤) البخاري ٣٤٩ ، ومسلم ١٦٣ .

(٥) البخاري ٧٣ ، ومسلم ٨١٦ .

المطلب الثاني : أنواعها ودرجاتها

١ - أنواعها :

قال العلماء للحكمة نوعان :

❋ **الأول** : حكمة عملية ، وهي وضع الشيء في موضعه - كما في مدارج السالكين لابن القيم.

❋ **الثاني** : حكمة علمية نظرية - وتعني الاطلاع على بواطن الأشياء ومعرفة ارتباط الأسباب بمسبباتها .

وبهذا يتبين لنا أن الحكمة العملية مردها إلى فعل الصواب والعدل ، والنظرية مرجعها إلى العلم والإدراك ، وهذا راجع إلى أن كمال الأمر يكون بمعرفة الحق ، والعمل به ، وهذا هو كمال الإنسان عندما يعرف الحق ، ويعمل به ، وهو ما نطلق عليه : العلم النافع والعمل الصالح .

٢ - درجات الحكمة :

يمكن أن نبين هذه الدرجات من خلال النقاط الثلاثة الآتية :

وذلك من خلال الاقتباس من مدارج السالكين الجزء الثاني ، وهذه النقاط الثلاث عبارة عن درجات الحكمة .

❋ **الدرجة الأولى** : معرفة الداعية المسلم لعدل الله تعالى في وعيده لمن عصاه ، وتعدي حدوده ، ولم يطعه وتنكب طريق الحق ، ومعرفة إحسانه جل وعلا وكرمه ورحمته في وعده لمن آمن به وأطاعه واستقام على منهجه ، ومعرفة عدله - جلت عظمته - في أحكامه

الجارية على مخلوقاته ، فهو سبحانه وتعالى بر رحيم جواد كريم ، فضله على الجميع .

* **الدرجة الثانية** : إعطاء كل شيء حقه ومستحقه في القدر والوقت .

* **الدرجة الثالثة** : توفر البصيرة وهي درجة عالية رفيعة ، قال تعالى: ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾[1].

وكل درجة من هذه الدرجات تحتاج لبيان أكثر أورد بعضًا منه في ثنايا هذا الكتاب ولا شك أن موضوع البصيرة من الأمور التي يجب أن تكون واضحة لدى دعاة الإسلام ، سواء ما كان منها متعلقًا بالعلم بما يدعو إليه ومعرفة الأحكام الشرعية بشكل جيد وواضح ؛ كي لا يكون الزلل والدعوة بلا علم ، والتقول على الله تعالى ورسوله ﷺ ، وإضلال الناس وصرفهم عن المنهج الصحيح .

أو ما كان منها متعلق بحال المدعو من جميع الجوانب ومعرفة البيئة التي يعيش فيها أو البصيرة في كيفية الدعوة ، كما بينت في صفحات سابقة من هذا الكتاب عند الحديث عن القاعدة التي تتحدث عن المدعو .

هذا ما يتعلق بدرجات الحكمة باختصار شديد ، ويمكن الاستزادة من خلال الاطلاع على مدارج السالكين للإمام محمد أبي بكر ابن قيم الجوزية .

* * *

---

(١) يوسف : ١٠٨ .

المطلب الثالث : أركان الحكمة

الحكمة كوسيلة من وسائل الدعوة ، وكمطلب من مطالب الحياة ،وحاجة من حوائج الإنسان في هذه الدنيا كي يصل إلى هدفه بسهولة ويسر وارتياح من قِبَل من يتعامل معهم من البشر ، وكرافد من روافد الخير لهذا الإنسان تجعل من توفرت لديه في موقع جيد وحظ وافر ، ومن قلّت لديه في موقع يحتاج فيه إلى المزيد منها نجدها تقوم على ثلاثة أركان أو دعائم يمكن بيانها من خلال النقاط التالية :

١ - العلم :

ركن من أركان الحكمة تحدثت عنه بالتفصيل في موضع سابق من هذا الكتاب ، والذي يتلخص في العلم بالله عز وجل وأسمائه سبحانه وتعالى وصفاته للإقرار بها وإخلاص التوجه له جل وعلا بعد الإيمان والتصديق بها كما أراد الله وبين رسوله محمد ﷺ .

وعلم بالحلال والحرام من خلال ما أخبر الله به في كتابه العزيز وسنة رسوله محمد ﷺ ؛ ليطاع فلا يعصى ويسمع أمره ويقام شرعه سبحانه وتعالى .

وعلم بقواعد الإسلام وأصول الدين والإيمان بحيث يعبد الإنسان ربه على بصيرة وفق ما أمر ، وبين رسوله ﷺ .

والعلم مهم للإنسان في كل الأحوال ، لأنه نور يوضح له ويفسر ويبين ما حوله وما له وما عليه ، وكيف يعيش في هذه الحياة بشكل يكفل له السعادة والراحة والاستقرار في ظل خالقه سبحانه وتعالى ، حيث تتوفر جميع متطلبات هذا الإنسان من خلال الدين الذي ارتضاه سبحانه لعباده، والعلم لا بد من توفره لدى الإنسان كي يحقق العبودية لله رب العالمين ، هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى العلم ضروري حتى يسير الإنسان مصالحه بشكل

جيد وناجح سواء ما يتعلق بذاته أو علاقته مع غيره ، وهكذا نجد العلم ضروريًا لحياة الإنسان خاصة الإنسان المسلم .

٢ - الحلـم :

وهو ضبط النفس والطبع عن هيجان الغضب ، وهو ضروري للداعية المسلم كي يصل إلى تحقيق أهدافه ، والحليم : هو الله تعالى ، وهو من أسمائه جل وعلا ، ركن قوي من أركان الحكمة ، إذ لا يمكن أن يتمثل الإنسان الحكمة مع غياب الحلم ، وقد ورد ذكره في الكتاب العزيز معرفًا بأل في سورة النور مرتين ، وخمسة عشر مرة بصيغة حليم وحليمًا ، قال تعالى : ﴿ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿٢٣٥﴾ ﴾[١] امتدح الله به خليله إبراهيم ، فقال سبحانه وتعالى : ﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ ﴿٧٥﴾ ﴾[٢] كما امتدح عبد الله ورسوله ﷺ الأشج المنذر بن عائذ أشج عبد القيس في الحديث الذي أورده الإمام مسلم في صحيحه ، في كتاب الإيمان فقال ﷺ : « **إن فيك خصلتين يحبهما الله : الحلم والأناة** »[٣].

ورسولنا الكريم الشافع المشفع والرحمة المهداة محمد بن عبد الله ﷺ تمثل الحلم في شخصه في أبهى وأكمل وأجمل صورة ، حيث كانت المواقف الصعبة التي مرت به ﷺ ، وتجاوزها بخلقه العظيم وحلمه الفريد ، ولنا فيه ﷺ أسوة حسنة فلا بد للداعية المسلم من أن يتصف بهذه الصفة الحميدة ليصل إلى ما يريد من خير للمدعوين ، وقد تحدثت عن ذلك في الباب الثاني من هذا الكتاب عند الحديث عن الداعية ، وعن إمام الدعاة ﷺ الذي كان خلقه القرآن .

إن مظاهر الحلم في شخص سيدنا رسول الله ﷺ كثيرة جدًا ، فعلى دعاة الإسلام الوقوف عليها للاستفادة والتزود ، لأن طريق الدعوة طويل طويل ، والعلماء يقولون بأن الحلـم مقترن بالعلم ، وأن كماله يكون مع كمال العلم فلا بد للداعية من معرفة ذلك والتزود بالعلم قبل القيام بالدعوة ، كما ذكرت في عدة مواضع من هذا الكتاب .

ومن عظيم حلمه ﷺ عدم دعائه على من آذاه ممن دعاهم إلى الله ، بالرغم من معاملتهم له ﷺ بكل قسوة ، بل بالتآمر على قتله ﷺ ، ولا شك أن موضوع الحلم جدير بالدرس والبيان والإيضاح خاصة في مجال الدعوة إلى الله تعالى ، فأعظم الخلق حلمًا أنبياء الله

---

(١) البقرة : ٢٣٥ .

(٢) هود : ٧٥ .

(٣) صحيح مسلم جـ١ ص٤٨ .

ورسله ، وسيدهم وإمامهم في ذلك خاتمهم ﷺ ، كما بينت آنفًا ، ويأتي بعدهم مباشرة الدعاة العالمون بأمر الله تعالى الذين قال فيهم رب العزة والجلال: ﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ۝٦٣ ﴾[1] .

وهكذا كل إنسان يتمتع بقسط وافر من الحلم يعرف به فيقال : فلان حليم ، ولا يأخذ هذه الصفة إلا من اتصف به حقًا .

ولا أعني بالحلم البلادة أو الضعف والاستكانة ، بلَ ضبط النفس مع القدرة والقوة على فعل شيء حسب الموقف الذي يعيشه الداعية ويواجهه في مساره في الدعوة إلى الله جل وعلا .

ومما لا شك فيه أن هناك ارتباطًا بين الحلم وكظم الغيظ ، وكظم الغيظ أمر عظيم يحتاج لمجاهدة النفس والسيطرة عليها ، فيا دعاة الإسلام تحلوا بالحلم ، فإنه خير زاد بعد تقوى الله عز وجل والعلم بالدين .

٣ - الأناة :

ومعناها : التثبت وعدم العجلة والتصرف الحكيم ، تتيح للداعية المسلم التحكم في أموره ووضع الأشياء في مواضعها الصحيحة ، وبهذا تكون الأناة ركنًا من أركان الحكمة لا تتم إلا بها ، وضدها العجلة التي تواكبها دائمًا الندامة .

والداعية المسلم مطلوب منه التخلق بالأناة ، لأن الدعوة تحتاج إلى هذا ، خاصة في هذهَ المتغيرات السريعة التي يعيشها إنسان هذا العصر .

وهنا نقطة هامة أود أن نؤكد عليها في هذا المجال ، وهي تتعلق بالجواب حيث يتعجل بعض الدعاة في الإجابة عن كل ما يوجه إليهم من أسئلة يكون في بعض الأحيان التريث في الإجابة فيه خير ، خاصة عندما يكون الداعية غير متأكد من الإجابة الصحيحة ، وقد بينت هذا في الحديث عن الفتوى والإفتاء ، لقد مرت بي بعض المواقف وجدت فيها أن تحلي دعاة الإسلام بالأناة فيه خير للدعوة والداعية على مختلف الأصعدة فلا بد للداعية منها ، ولا يفهم من ذلك الدعوة إلى الكسل والتباطؤ ، لأن التربية الإسلامية ذمت الاستعجال والتباطؤ في أداء الأعمال وامتدحت الأناة ورغبَت فيها وحثت عليها ؛ لأن فيها الخير – وبهذا لا بد لدعاة الإسلام أن يدركوا مخاطر الاستعجال ومفاسده وفوائد التأني

---

(١) الفرقان : ٦٣ .

ومصالحه ، لأن المتأمل في الأناة يجدها من مظاهر الصبر ، ومن صفات أصحاب العقول النيرة الرزينة تدل على أن صاحبها يملك إرادة قوية وقدرة فاعلة وتحكمًا في ضبط النفس ، وهذه من لوازم من يتصدى للدعوة ، لأن المدعوين مرضى وبعضهم سيطرت عليهم الأهواء واجتالتهم الشياطين وطمس الران قلوبهم حتى أضحوا عديمي القدرة على التفريق بين الخير والشر والضار والنافع ، فهم عمي القلوب ، لا يتورعون عن أي سلوك سيىء ، وهنا يظهر ما نبه المصطفى ﷺ إليه في مدحه الأشج ، وأعني يظهر دور الحلم والأناة فلا تتعجل عليهم فهم مرضى ، ومريض القلب تجرحه الحقيقة .

فالأمر بالتأني والتثبت هدي سماوي وقرآن يتلى إلى يوم القيامة ، قال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓا۟ أَن تُصِيبُوا۟ قَوْمًۢا بِجَهَٰلَةٍ فَتُصْبِحُوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَٰدِمِينَ ۝٦ ﴾[1] نعم إن عاقبة العجلة الندامة ، وقد قرأ حمزة والكسائي ﴿ فتثبتوا ﴾ ويعني : ذلك عدم العجلة والأناة حتى يظهر الأمر على حقيقته ، وخلاصة القول : أن الأناة محمودة في كل شيء ، وبذلك يتبين لنا حاجة الداعية إلى الله تعالى إليها .

* * *

(١) الحجرات : ٦ .

المطلب الرابع : طرق اكتسابها

يقول الحق تبارك وتعالى في كتابه العزيز من سورة البقرة : ﴿ يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾[1]، وهذا يعني أن الحكمة فضل من الله يؤتيه ويهبه لمن يشاء من عباده ، لكن الله جعل لكل شيء سببًا ، ومن هذا فهناك طرق يمكن من خلالها اكتساب الحكمة بتوفيق الله تعالى وقدرته ، يصبح بعدها المرء حكيمًا ، وقد تحدثنا في أركان الحكمة ودعائمها التي تقوم عليها في الصفحات السابقة عن العلم والحلم والأناة ، وهي من الطرق الجالبة والمحققة للحكمة يحصل الإنسان بها عليها إضافة إلى أمور أخرى تتمثل في التقوى ، والرفق ، والإخلاص ، والاستقامة على منهج الله تعالى ، والتأسي برسول الهدى ﷺ ، والتخلق بالصبر ، والسلوك الحسن القائم على أخلاق الإسلام والصفات الحميدة التي أتى بها هذا الدين ورغب فيها وحث عليها .

ويمكن إيضاح ذلك من خلال النقاط التالية :

✵ **أولًا** : هناك أمور جالبة ومحققة للحكمة تم الحديث عنها ، وهي معلومة بالضرورة لدى دعاة الإسلام كالعلم والحلم والأناة .

✵ **ثانيًا** : هناك أمور بينة أيضًا لا تحتاج لبيان ، بعضها ورد بين ثنايا هذا الكتاب والآخر ورد ضمنًا كالتقوى والإخلاص والرفق إلى آخره .

✵ **ثالثًا** : هناك جوانب نقف معها من خلال ما يأتي :

١ – السلوك الحسن ، وأعني بالسلوك : سيرة الإنسان واتجاهه ومذهبه في التعامل مع الآخرين ، أو على الأصح في التعامل بشكل عام ، يقال : فلان سلوكه حسن والآخر

---

(١) البقرة : ٢٦٩ .

سلوكه سيىء ، وهذا من خلال انعكاسات المعاملة مع الآخرين من الأقربين وغيرهم سواء على ضوء المعاملات المالية أو المعاملات بشكل عام والاتصال بالآخرين ممن يعرفهم الشخص أو لا يعرفهم من عباد الله .

ولقد حدد الكتاب العزيز أساس السلوك الحسن الذي يتميز بالحكمة والعقلانية ، فقال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾ ﴾[1].

يقول الإمام الرازي في تفسيره لهذه الآية الكريمة : « واعلم أنه تعالى لما استقصى في شرح الوعد والوعيد والترغيب والترهيب أتبعه بقوله : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ ﴾ فجمع في هذه الآية ما يتصل بالتكليف فرضًا ونفلًا ، وما يتصل بالأخلاق والآداب عمومًا وخصوصًا »[2] السابق قوله وما يتصل بالأخلاق والآداب .

كما أورد رحمه الله مسألة في بيان فضائل هذه الآية فقال : روي عن ابن عباس أن عثمان بن مظعون الجمحي قال : ما أسلمت أولًا إلا حياء من محمد عليه السلام ، ولم يتقرر الإسلام في قلبي فحضرته ذات يوم ، فبينا هو يحدثني إذ رأيت بصره شاخص إلى السماء ، ثم خفضه عن يمينه ، ثم عاد لمثل ذلك ، فسألته فقال : « **بينا أنا أحدثك إذا جبريل نزل عن يميني فقال : يا محمد إن الله يأمر بالعدل والإحسان ، العدل : شهادة أن لا إله إلا الله ، والإحسان : القيام بالفرائض ، وإيتاء ذي القربى ، أي صلة ذي القرابة ، وينهى عن الفحشاء : الزنا ، والمنكر : ما لا يعرف في شريعة ولا سنة ، والبغي : الاستطالة** » قال عثمان : فوقع الإيمان في قلبي فأتيت أبا طالب فأخبرته فقال : يا معشر قريش اتبعوا ابن أخي ترشدوا ولئن كان صادقًا أو كاذبًا فإنه ما يأمركم إلا بمكارم الأخلاق[3].

مما سبق يتبين لنا ذلك السلوك الحسن الذي يكسب الإنسان محبة الآخرين ورضاهم عنه وقبولهم له ، وهو ما يحتاجه الداعية بشدة حتى تقبل دعوته ، لأن المحب لمن يحب مطيع ، ولنا في رسولنا الرحمة المهداة ﷺ أسوة حسنة حيث جمله ربه وكمله بالأخلاق

---

(١) النحل : ٩٠ .

(٢) تفسير الفخر الرازي جـ١٠ ص١٠٢ تفسير سورة النحل ، دار الفكر .

(٣) المرجع السابق ص١٠٢ .

الفاضلة والصفات الحميدة والسلوك الذي لا يدانيه أحد من عباد الله ، لأنه تفرد به ﷺ تفضلًا من الله وكرمًا ، فهو ﷺ على خلق عظيم .

ومما لا شك فيه أن هذا من أعظم وسائل الدعوة إلى الله تعالى ، لأن النفس البشرية مجبولة على الخير والبر والسلوك الحسن ، فإذا كان الداعية كذلك ، فإن ما يقوله يلقى قبولًا ، لأنه له مطبق وبه ملتزم ومتمسك ، وهذا أقوى دافع في السماع منه والتلقي عنه ، لأنه يتمثل ذلك هو أولًا في نفسه ، وصدق الشاعر الذي يقول :

يا أيها الرجل المعلم غيره	هلا لنفسك كان ذا التعليم
ابدأ بنفسك فانهها عن غيها	فإذا انتهت عنه فأنت حكيم
فهناك يقبل ما تقول ويقتدى	بالعلم منك وينفع التعليم

فالسلوك الحسن يعكس كمال نفس السالك ، فإذا كان مطابقًا لما يقول فهو جدير بأن يكون قدوة ، والعكس صحيح .

فالداعية المسلم المطبق أولًا عظيم التأثير بالمتلقين ، وهذا أمر معلوم لدى كل عاقل فطن .

وفي الدعوة إلى الخير دائمًا ما ينظر المدعو إلى حال الداعي ، فإذا وجد قوله لا يختلف مع عمله ووجد التزامه بما يدعو الناس إليه ، فإن وقع قوله على من يدعوهم عظيم الأثر ، بل إن أثر كلامه له طعم ومذاق خاص – ولا شك أننا جميعًا تعرضنا لمثل ذلك في مراحل حياتنا المختلفة ، ووجدنا أثر قول القائلين العاملين بما يقولون – وهنا لا بد من وقفة للتذكير بأن الدعوة إلى الله من أعظم ما يقوم الإنسان به من أعمال فلا بد أن يكون صاحبها ممن يقتدى بهم حتى لا يلمز الدين من قِبَلِهِ ، والله أسأل أن يلهمنا الحكمة ويُحَسِّن أخلاقنا لنقوم بواجب الدعوة إليه خير قيام .

٢ – فقه الدعوة ، وأعني بذلك الفهم أي : فهم الداعية لهذا العمل الذي يقوم به وإدراكه لجميع جوانبه خاصة ما يتعلق بقواعد الدعوة « موضوع هذا الكتاب » حيث يخرج من هذا الفهم بتصور واضح عن قضية الدعوة ، ومن فضل الله وتوفيقه أنني نلت شرف خدمة هذا الفن من خلال « موسوعة الدعوة » التي يمثل هذا الكتاب حلقة منها هي السادسة ، وهذا يتيح للدعاة الاطلاع على جوانب هذا العلم من خلال هذه الكتب التي صدرت حتى الآن والتي تمثل الركيزة القوية ، هذا من الناحية النظرية ، أما من الناحية

العملية فإن القيام بمهام الدعوة يصقل الجانب الأول ويقويه ويثبته ، ومن خلال العمل في هذا المجال سواء ما يتعلق بالتربية والتعليم في المدارس النظامية وتعليم الكبار ، أو مجال الوعظ والإرشاد والتذكير والمحاضرات والندوات أجد أن الممارسة لها دور كبير جدًّا في تمتع الداعية بالحس الدعوي والقدرة على التأثير وإنجاح عملية الاتصال التي يقوم بها « الدعوة إلى الله » ، فالداعية في السنة الأولى ليس هو في السنة الخامسة أو العاشرة أو الخامسة عشر وهكذا ، لأنه أصبح يملك الخبرة والممارسة والتجربة الفعلية ، وهذا لا يكون بدرجة نافعة إلا إذا استفاد الداعية من تلك الممارسة وعمل على تثقيف نفسه وتطوير وتحديث معلوماته كي لا يكون بمعزل على الناس ، فالناس هم الذين يتلقون عنه ، ودراسة أحوالهم ومعرفة طبائعهم أمر ضروري كي يستطيع أن يصل إليهم بطريقة علمية سليمة ، وذلك من خلال دراسة متأنية لجميع أوضاعهم الاجتماعية وطرق معاملتهم ودرجة ثقافتهم ومستوى معرفتهم للدين الإسلامي ، وهكذا نجد أن تفقه الداعية في مجال عمله يمنحه القوة كي تنجح عملية اتصاله وتكون بدرجة تجعل رسالته واضحة ومفهومة في نفس الوقت ، ومن خلال التجربة الذاتية أجد أن ممارسة العمل الدعوي ووجود خبرة عملية ميدانية لدى الداعية من أقوى طرق اكتساب الحكمة ؛ لأن التجربة تصقل القائم بهذا العمل وتعطيه قوة إضافية على تحمل جميع الأذى الذي يلاقيه في سبيل الدعوة إلى الله تعالى ، وما أحوج الداعية المسلم إلى الحكمة كي يواصل عمله بجد ونشاط وثبات ، فالناس كما يقولون في الأمثال أجناس بينهم من الفروق الفردية الشيء الكثير ، والشيطان لهم بالمرصاد يزين لهم سوء عملهم ويصدهم عن سبيل الله ، الأمر الذي يجعلهم يسيئون لمن يدعوهم إلى الهدى والخير ، لكن الداعية الحكيم يدرك ذلك ، فلا يقف عند أول صدمة تواجهه ، بل يمضي بدعوته إياهم ، لأنه يعلم أن طريق الدعوة ليس مفروشًا بالورود والأزاهير ، وبأخلاقه العالية وصفاته الحميدة يهون أمامه كل صعب وينال القبول ويكسب ود من يدعوه ، وبتفهمه لحال من يدعوه وإدراكه لشئون وشجون الدعوة يسير بها إلى الأمام ، وله في إمام المتقين وخاتم المرسلين ﷺ أسوة حسنة ، لهذا ستكون الفقرة الثالثة من الطرق المكسبة للحكمة هي القدوة الحسنة ، وقد أفضت في الحديث عنها في كتابي « عدة الداعية المسلم » في الصفحة ٣٩ .

٣ - **القدوة** : يقول الحق تبارك وتعالى في كتابه العزيز : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ

﴿فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَالَمِينَ ۝٩٠﴾[1]

وعلاقة الحكمة بهذا الجانب عظيمة ، إذ إن الداعية إلى الله تعالى المدرك يحرص دائمًا بأن يظهر بالمظهر الحسن ، بحيث لا يبدو عليه ما يخالف قوله ، وهذا الالتزام الدائم والمستمر يورثه الحكمة ويكسبه إياها ، لأنه لا يسمح لنفسه بأن يخالف قوله فعله ومظهره مخبره إذ إن تمسك الداعية بالإسلام ، ووجود ذلك في حياته كلها في منشطه ومكرهه يجعل منه رجلًا يحتذى به ، وحرصه الدائم على ذلك طريقة من طرق اكتساب الحكمة ، فإذا عدنا إلى الصفحات التي عرفنا فيها الحكمة نجد ذلك واضحًا .

فالتزام الداعية بصفات الخير يجعل منه مثلًا طيبًا يستطيع المدعو أن يجد في شخصه تلك المعاني التي يسمعها منه ويتلقاها منه – وهذا يدعوني إلى التأكيد على أن يكون الداعية قدوة حسنة على الدوام ، لأنه أعظم وأقوى سببًا من أسباب انضواء الناس تحت راية الإسلام ، حيث تعمل هذه الخلة عملها في التأثير المباشر والفعال على المتلقين من الداعية القدوة .

* * *

(١) الأنعام : ٩٠ .

المطلب الخامس : مواقفه ﷺ الحكيمة في دعوته

لقد تحدثت في كتابي الأسلوب النبوي في الدعوة الفصل الثالث من الباب الخامس عن المواقف الحكيمة لسيدنا رسول الله ﷺ في دعوته قبل الهجرة وبعدها فقلت :

١ - لقد كان ﷺ حكيمًا يوم أن استسر بالدعوة وتجمع حولها الرجال الأبطال ؛ لأن الحكمة تقتضي هذا الأسلوب .

٢ - لقد كان ﷺ حكيمًا عندما بدأ الإنذار بعشيرته الأقربين تنفيذًا لأمر رب العالمين .

٣ - كان ﷺ حكيمًا يوم قابل تلك الإساءات ، وذلك الجحود من قومه بالصفح والصبر الجميل .

٤ - كان ﷺ حكيمًا يوم أن تلطف مع آل ياسر وهوّن عليهم ما هم فيه من العذاب وقال لهم : « **أبشروا آل ياسر فإن موعدكم الجنة** » .

٥ - كان ﷺ حكيمًا يوم أن أشار على أصحابه الكرام بالهجرة إلى الحبشة بعد أن شددت قريش عليهم وأذاقتهم صنوف التعذيب والأذى .

٦ - كان ﷺ حكيمًا يوم أن ثبت على دعوته بالرغم من الحصار ثم موت الحماية والمؤازرة والحنو والعطف المتمثلة في عمه أبي طالب وزوجته المباركة أم المؤمنين خديجة بنت خويلد رضي الله تعالى عنها .

٧ - كان ﷺ حكيمًا يوم أن خرج إلى الطائف بحثًا عن مؤيد لهذه الدعوة .

٨ - كان ﷺ حكيمًا يوم أن قال لزيد بن حارثة : « **يا زيد إن الله جاعل لما ترى فرجًا ومخرجًا ، وإن الله ناصر دينه ومظهر نبيه** » .

٩ - كان ﷺ حكيمًا يوم أن طلب الدخول في جوار المطعم بن عدي المشرك لترى

قريش كيف أن هذا الدين ينصر بأحد رجالاتها ، ويدخل ﷺ مكة رافع الرأس في جوار أحدهم .

١٠ - كان ﷺ حكيمًا يوم أن أخذ يتنقل بين منازل العرب الوافدة إلى مكة يدعوها إلى الإسلام ونصرة دين الله القويم .

١١ - كان ﷺ حكيمًا يوم أن خطط للهجرة واختار الرفيق إلى المدينة المنورة .

١٢ - كان ﷺ حكيمًا يوم أن وضع قواعد مسجد قباء أول وصوله إلى هذه البلدة المباركة ليبرز لأمته مكانة المسجد في حياتها .

١٣ - كان ﷺ حكيمًا يوم أن أقام مسجده الشريف ، وحمل بيديه الكريمتين مواد البناء مع أصحابه الكرام رضي الله تعالى عنهم .

١٤ - كان ﷺ حكيمًا يوم أن آخى بين المهاجرين والأنصار وأرسى قواعد المجتمع المسلم الفاضل ؛ فكانوا رضوان الله عليهم كالجسد الواحد في توادهم وتعاطفهم وتراحمهم .

١٥ - كان ﷺ حكيمًا في كل المواقف وكل الأحداث ، وهو قدوة الأمة في مواقع الحكمة كلها[١] في غزواته ومقابلاته الناس ومعاملاته كلها مما ورد في هذا الكتاب ويعرفه دعاة الإسلام ، أو لم يرد من المواقف الحكيمة التي لا مثيل لها ولا نظير ، فهذه بدر الكبرى وما فيها من أحداث ، وأحد ، والخندق ، والحديبية ، وفتح مكة ، وحنين . كلها مواقف عظيمة تجلت فيها حكمته ﷺ .

* * *

---

(١) الأسلوب النبوي في الدعوة للمؤلف ص٤٨٤ وما بعدها ط١ .

المبحث الثاني : الموعظة الحسنة

الوعظ والعظة والموعظة يقصد بها النصح والتذكير بالعواقب ، وقيل : إنها تذكيرك للإنسان بما يلين قلبه من ثواب وعقاب .

ورد ذكر هذه الكلمة في القرآن خمسًا وعشرين مرة ، قال تعالى : ﴿ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ﴾[1] ، وقال سبحانه : ﴿ وَجَآءَكَ فِي هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ ﴾[2] ، وكونها حسنة غاية المنى فهي تذكير ونصح بطريقة حسنة .

ولا شك أن الموعظة الحسنة من حكمة القول في الدعوة إلى الله عز وجل ، وتعني مخاطبة الناس على قدر عقولهم وأحوالهم ، ومن هذه المقدمة السريعة يمكن أن نبدأ في بيان عناصر هذا المبحث ، والتي تنحصر في أمرين :

١ – المطلب الأول : تعريفها وأنواعها .

٢ – المطلب الثاني : ضوابطها .

* * *

---

(١) يونس : ٥٧ .

(٢) هود : ١٢٠ .

المطلب الأول : تعريفها وأنواعها

ذكرت في السطور السابقة ما يتعلق بالتعريف ، والذي يمكن اختصاره فيما يلي :

❋ **الموعظة** : هي الأمر والنهي المقرون بالترغيب والترهيب .

وقيل : هو التذكير بالخير فيما يرق له القلب[1].

وصدق ربنا الجليل العظيم إذ يقول : ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا ﴿٦٦﴾ ﴾[2].

أما ما يتعلق بأنواع الموعظة فيمكن أن نوضح ذلك من خلال هاتين النقطتين :

١ – وعظ تعليم .

٢ – وعظ تأديب .

○ فالنوع الأول : وهو وعظ التعليم :

يكون بتعليم الدين الإسلامي كي يُعبد الله على بصيرة ، وأول ذلك التعليم توحيد الله تعالى عقيدة أهل السنة والجماعة الصافية النقية الخالصة ، ثم بيان ما افترض الله على المسلم وتفصيل أحكام الشريعة الغراء من الواجبات والمسنونات والمباحات والمحرمات والمكروهات ، حتى تكون العبادة على نور وهدى من الله وفق ما شرع وما بين البشير النذير والسراج المنير ﷺ .

والتعليم يأتي في الأولويات ، وفي مقدمة ذلك كله ؛ لأن الله سبحانه وتعالى لا يعبد على جهل ، بل بعلم من كتابه العزيز وسنة نبيه المطهرة صلوات الله وسلامه عليه ، الذي

---

(١) تفسير مفردات القرآن الكريم ، سميح عاطف الزين ، دار الكتاب .

(٢) النساء : ٦٦ .

أبان فيها لأمته كل شيء مما ينفعها في أولاها وأخراها ، وهذا يجعل الداعية في مركز قوي دائمًا في وعظه وتذكيره المدعوين ؛ لأن لديه لكل سؤال جوابًا ، ولكل مسألة من مسائل العقيدة أو المعاملات أو العبادات ما يبينها ويوضحها وفق هدي الله رب العالمين ؛ لأنه ﷺ بلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة .

والمتأمل في هذا النوع من الوعظ يجده ضروريًا في كل زمان ولكل فئة من الناس ، خاصة مع تقصير المسلمين في طلب العلم الشرعي حتى بلغ ببعضهم الجهل بأمور الدين الأساسية ، فإلى الله المشتكى .

فعلى دعاة الإسلام أن يكثروا من استخدام هذا النوع من الوعظ ؛ لأن المسلمين في حاجة ماسة إلى ذلك ، خاصة أولئك الذين يعملون في الإمامة لا بد عليهم إدراك أهمية هذا ، وتعليم المصلين أمر دينهم خاصة ما يتعلق بالاعتقاد ؛ لأن مداخل الشيطان في إحباط عمل المسلم تكون أكثر ما يكون في هذا الجانب .

ووعظ التعليم طريقة من طرق القرآن الكريم كما يعلم دعاة الإسلام ، وهو غني بكل ما يحتاج إليه الداعية من أدلة وأمثال وقصص وعبر وعظات إلى آخره .

○ النوع الثاني : وعظ تأديب :

وهذا النوع لا يمكن أن نفصله عن النوع الأول ؛ لأن في التعليم تربية وتأديبًا ، لكننا قد نخصص من باب التعليم فقط ، وإلا فالموعظة تشمل كل خير وبر وصلاح ، والذي أقصده بالوعظ التأديبي بيان آداب الإسلام وأخلاقه وضرورة تحلي المسلم بها والتزامها مع نفسه ومع غيره من إخوانه المسلمين ، لأن هذا الدين دين الخير والفلاح والأخلاق الفاضلة : كالكرم ، والشجاعة ، والحلم ، والصبر ، والوفاء ، وغير ذلك من الصفات الحميدة والسلوكيات المحببة المرغوبة التي تميل إليها النفس البشرية بطبعها وفطرتها السليمة .

وفي هذا النوع من الوعظ يؤكد الداعية على ضرورة الالتزام بها والتخلق بها ؛ لأنها خير ، وبركة ، ونفع ، وفلاح . لها آثار طيبة على الفرد والمجتمع ، تظهر بجلاء سمو هذا الدين ورفعته وأنه من عند الله تعالى ، فرسول الإسلام عليه الصلاة والسلام بُعِثَ ليتمم مكارم الأخلاق كما يعرف الإخوة الدعاة ؛ لأن المسلم تعلم من هذا الدين أسمى الصفات وأعلى مراتب الأخلاق ؛ لأنه يحب الخير للناس أجمعين ، وهذا تمام الأخلاق ، وفي نفس

الوقت يأبى أن ينحدر عن هذا المستوى الرفيع إلى تلك الصفات الذميمة كالبخل والغدر والغضب وغير ذلك من الأخلاق السيئة التي ذمها الإسلام وحذر أتباعه منها ؛ لأنها منافية للفطر السليمة ، ولا شك أن قدرة الداعية على التأثير من خلال استشهاداته القرآنية وسرده للآيات المباركة الزاجرة عن الخلق الذميم الداعية إلى الخلق الكريم لها أكبر الأثر في نفوس المتلقين ، فيجب عليه أن يُعِدَّ الموعظة ويختار العبارات ذات التأثير الجيد حتى يصل إلى قلوب المدعوين وتؤدي بذلك الموعظة وظيفتها على أكمل وجه وأجمله ، كذلك ما ورد في السنة المطهرة من أحاديث صحيحة ذات تأثير كبير على النفس البشرية .

ومرد ذلك كله إلى حسن الاختيار وجودة العرض واختيار الأوقات المناسبة والمناسبات الفاضلة ، فقد كان ﷺ يتخول أصحابه بالموعظة ، ولنا فيه ﷺ أسوة حسنة .

مما سبق يتضح أن الوعظ وسيلة وطريقة من طرق الدعوة ووسائلها ، إذا استخدم الاستخدام الأمثل أدى غرضه وحقق الكثير من الخير للواعظ والمستمع .

فعلى دعاة الإسلام استغلال الوسائل الاتصالية في تذكير الناس ، وبيان الحق والخير لهم من خلال الكتاب العزيز والسنة المطهرة بمختلف اللغات المشهورة في العالم ذات الانتشار الواسع .



المطلب الثاني : ضوابط الموعظة الحسنة

الداعية المسلم يحرص على أن تكون موعظته مؤثرة وكلامه مقبولًا وعلمه قويًا وكلامه – أيضًا – بليغًا ، وهذا لا يكون إلا إذا بذل الجهد في تحصيل العلم النافع ، وتوفُّر لديه الإخلاص والرغبة الصادقة في تقديم النافع والمفيد لهم ، ومعرفة أساليب التأثير وانتقاء العبارات المؤثرة وهكذا ، لكن يمكن أن أذكر ضوابط الموعظة الحسنة من خلال النقاط التالية شريطة حرص الداعية عليها دائمًا حتى يتم المراد .

وهذه النقاط هي :

١ – بيان الواقع المعاش ، وأعني بذلك ما يدور في المجتمع المراد مخاطبة أفراده ، خاصة ما يتعلق بالمنكرات الموجودة كي يتفاعل المتلقي مع الموعظة ، ويكون عنصر خير في القضاء عليها عندما يتلقى ذلك من الواعظ الذي يحسن الاختيار والعرض أيضًا ؛ لأن المجتمعات تنتشر فيها المنكرات بين الحين والآخر وبعضها أضر من بعض ، واختيار المنكرات الحادثة – قريبًا – له أثر أكبر وهكذا ، حيث يعمل الواعظ على بيانها وتفنيدها .

٢ – اختيار النوع الأكثر ضررًا وخطرًا على الفرد والمجتمع لتكون أساس الموعظة ، وذلك لاستقلال العامل النفسي في هذا المقام ؛ لأنَّ عقوبة الله تعالى تكون على قدر المنكر وضرره كما هو معلوم .

٣ – بيان الأضرار التي تصيب المجتمع من جراء انتشار المنكرات وتقضي على قوته وتماسكه بتأثيرها على أخلاق الناس ومصالحهم ؛ لأن الشر لا يجلب إلا شرًّا .

٤ – استحضار منافع ومزايا وآثار العمل الصالح والفعل الحسن كي يكون عامل

جذب للمدعوين ، يجعلهم يتسابقون إليه لما يعلمون من أجر العاملين عند الله تعالى المطيعين لأوامره المتمسكين بهداه ، وضابط ذلك كله ما ورد في الكتاب والسنة من ثواب وعقاب ؛ لأن القرآن الكريم له تأثير عظيم على النفس البشرية ، وآيات الثواب والجزاء الحسن فيه لها وقع على المتلقي لا يرقى إليه أي كلام مهما كان فيه من بلاغة وبيان ، كذلك السنة النبوية المطهرة .

فالإكثار منهما في بيان الثواب والعقاب له أثره الإيجابي إذا أحسن الواعظ اختيار الأدلة في موضعها المناسب ، وهذا لا يكون إلا بالدراسة والتحضير الجيد للموعظة ، سواء كانت مرتجلة أو مكتوبة ، ولا شك أن الموعظة المرتجلة أكثر أثرًا وتأثيرًا من المكتوبة كما هو معلوم لدى دعاة الإسلام .

ولا شك أن تلمس الواعظ حاجة المتلقين ووضعهم العام وما يدور بين جنبات مجتمعهم أكبر ضابط في مجال الوعظ حيث يكون الإقبال شديدًا والاستفادة أجود .

* * *

المبحث الثالث : الجدال بالتي هي أحسن

الجدال كطريقة من طرق الدعوة إلى الله تعالى يحتاج لوقفة خاصة ومؤلف مستقل ؛ لأهميته في هذا العصر بالذات الذي كثر فيه المجادلون والمعاندون ، ولما كان طرح هذا الموضوع من باب التذكير والبيان السريع لدوره في الدعوة إلى الله تعالى يكون تناوله من خلال نقاط ثلاث :

❋ **النقطة الأولى** : تعريفه .

❋ **النقطة الثانية** : أنواعه .

❋ **النقطة الثالثة** : إيراد نماذج من الجدال الوارد في السنة المطهرة لبيان الحق .

○ *أولا : تعريفه :*

الجدل لغة : هو اللدد في الخصومة والقدرة عليها ، وقد جادلة مجادله وجدالًا ، ورجل جدل ومجدل ومجدال : أي شديد الجدل .

يقال : جادلت الرجل فجدلته جدلًا : أي غلبته ، ورجل جدل إذا كان أقوى في الخصام[1] .

الجدل اصطلاحًا : المفاوضة على سبيل المنازعة والمغالبة لإلزام الخصم ، وقال الجرجاني في تعريفاته : الجدل عبارة عن مراء يتعلق بإظهار المذاهب وتقريرها[2] .

○ *ثانيًا : أنواعه :*

يمكن تقسيم الجدل إلى نوعين : ممدوح ومذموم . والتفصيل فيما يلي :

---

(١) لسان العرب جـ١١ ص١٠٥ ابن منظور .

(٢) التعريفات للجرجاني ص٦٦ .

١ - **الجدال الممدوح** : المعيار الحقيقي للجدال المرغوب فيه هو الذي يكون بنية خالصة ويسير بطريقة سليمة ، ويؤدي إلى نتيجة طيبة وخير . وبعضهم قال : الجدال الممدوح هو : المؤيد للحق بنية خالصة وطريق صحيح ، ورب العزة والجلال يقول في محكم التنزيل : ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾[1].

من خلال هذه الآية الكريمة يمكنني بيان هذا التعريف ، حيث يأمر الحق تبارك وتعالى بالمجادلة بالتي هي أحسن ؛ لأن الدعوة تنطلق من نية حسنة لله خالصة ؛ لأنها دعوة إليه هدفها إنقاذ المدعو مما هو فيه من بُعْدٍ عن الله وجحود لنعمه وكفر به جل وعلا ، أو بقاء على معصية قد تؤدي به إلى خاتمة تعيسة ، والطريقة هي بيان الحق من خلال الكتاب والسنة ، وهي أسلم وأحسن وأفضل طريقة ، والنتيجة عودة العبد إلى خالقه بالتزام منهجه والندم على ما فات .

فالجدال لبيان الحق وإظهاره ودفع الباطل وإفساده هو الجدال الممدوح ، فكل جدال ظاهر الحق مؤيد له مرغوب فيه وممدوح .

٢ - **الجدال المذموم** : قال تعالى : ﴿ وَيُجَٰدِلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُوا۟ بِهِ ٱلْحَقَّ ﴾[2]، وبهذا فالجدال المذموم هو ظاهر الباطل ، وهذا يظهر من خلال الجدال بغير علم أو لنصرة الباطل أو لقلب الحقائق وتشويه صورة الحق بقوة البيان والقدرة على التعبير .

وفي الحقيقة أن الجدال بالباطل ظلم وتعد على الإنسان بل على المجتمع ؛ لأنه ينطلق من أسس باطلة ونوايا شريرة ، لقد جر ويلات كثيرة على الأفراد والجماعات وأدى إلى صراعات تحولت إلى حروب وخراب .

وفي الدعوة إلى الله لا بد أن يلتزم الداعية بآداب الجدال الحسن حتى لا ينحرف التفاوض عن مساره ويصبح خصومة .

○ *ثالثًا : نماذج من الجدال الوارد في السنة المطهرة لبيان الحق :*

❋ **أولًا** : أورد جلال الدين السيوطي في كتابه لباب النقول ما أخرجه الحاكم وصححه

---

(١) النحل : ١٢٥ .

(٢) الكهف : ٥٦ .

عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت : تبارك الذي وسع سمعه كل شيء ، إني لأسمع كلام خولة بنت ثعلبة ويخفى علي بعضه وهي تشتكي زوجها إلى رسول الله ﷺ وتقول : يا رسول الله أكل شبابي ونثرت له بطني حتى إذا كبر سني وانقطع ولدي ظاهر مني . اللهم إني أشكو إليك ، فما برحت حتى نزل جبريل بهؤلاء الآيات : ﴿ قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا ﴾ وهو أوس بن الصامت .

هذا نوع من الجدال حدث بين رسول الله ﷺ وهذه الصحابية ونزل فيه قرآنًا .

❋ **ثانيًا** : ما أورده ابن إسحاق في السيرة النبوية من جدال سعد بن معاذ وسعد بن عبادة لرسول الله ﷺ في غزوة الخندق (الأحزاب) ، قال ابن كثير في سيرته : بعث رسول الله ﷺ إلى عيينة بن حصن والحارث بن عوف – وهما قائدا غطفان – أن يعيدا ثلث ثمار المدينة على أن يرجعا بمن معهما عنه ، وعن أصحابه فجرى بينهم وبينه الصلح حتى كتبوا الكتاب وبعث ﷺ إلى السعدين فذكر لهما ذلك واستشارهما فيه فقالا : يا رسول الله أمرًا تحبه فنصنعه ؟ أم شيئًا أمرك الله به لا بد لنا من العمل به ؟ أم شيئًا تصنعه لنا ؟ فقال ﷺ : « **بل شيء أصنعه لكم ، والله ما أصنع ذلك إلا لأني رأيت العرب رمتكم عن قوس واحدة وكالبوكم من كل جانب فأردت أن أكسر من شوكتهم إلى أمر ما** » فقال له سعد بن معاذ : يا رسول الله قد كنا وهؤلاء على الشرك بالله وعبادة الأوثان لا نعبد الله ولا نعرفه ، وهم لا يطمعون أن يأكلوا منها تمرة واحدة إلا قِرًى أو بيعًا أفحين أكرمنا الله بالإسلام وهدانا له وأعزنا بك وبه نعطيهم أموالنا ؟ ما لنا بهذا من حاجة ، والله لا نعطيهم إلا السيف حتى يحكم الله بيننا وبينهم ، فقال رسول الله ﷺ : « **أنت وذاك** » فتناول سعد بن معاذ الصحيفة فمحا ما فيها من الكتاب ثم قال : ليجهدوا علينا[1] .

❋ **ثالثًا** : جدال الفاروق عمر رضي الله عنه في صلح الحديبية عندما بعثت قريش سهيل بن عمرو للمصالحة فلم يقبل الفاروق رضي الله عنه وقال : يا رسول الله ألست برسول الله ؟ قال : « **بلى** » ، قال : أو لسنا بالمسلمين ؟ قال : « **بلى** » ، قال : أو ليسوا بالمشركين ؟ قال : « **بلى** » ، قال : فعلام نعطي الدنية في ديننا ؟ قال : « **أنا عبد الله ورسوله لن أخالف أمره ولن يضيعني** » .

---

(١) السيرة النبوية لابن كثير جـ٣ ص٢٠١ .

من هذا يتضح لنا أن سيدنا رسول الله ﷺ لم يمانع الجدال للوصول إلى الرأي السديد وتقرير قضية من القضايا من أمر الدنيا والدين ، فلم ينكر على السعدين ولا الفاروق رضي الله تعالى عنهم ، لأن المقصد كان حسنًا .

وهكذا يتضح لنا أن الجدال الممدوح مرغوب فيه ومقر من رسول الله ﷺ ؛ لأن الإسلام يكفل حرية التعبير لكل فرد من أفراده شريطة أن لا يكون ذلك في باطل أو إثم أو عدوان ، وعلى دعاة الإسلام توظيف الجدل فيما يعود على الدعوة بالخير .

ولا شك أن وصف الحق تبارك وتعالى الجدال بالتي هي أحسن يخرج الطرق السيئة ويلزم الداعي تجنب الغضب والإغضاب من جانبه ويوطده على الصبر والتحمل والهدوء في الحوار أمام من يجادلهم ليصل إلى ما يريد من هدايتهم وبيان الحق لهم ، ويؤكد في الوقت نفسه على سمو الأخلاق ادى المسلمين ، وهذا يعني أن يكون الداعية بوجه حسن وخطاب حسن ، وهكذا قال ابن كثير : المجادلة بالتي هي أحسن أي من احتاج إلى مناظرة وجدال فليكن بالوجه الحسن ورفق ولين وحسن خطاب .

ويقول سيد قطب : أي بلا تحامل على المخالف ولا ترذيل له ولا تقبيح حتى يطمئن إلى الداعي ويشعر بأنه ليس هدفه الغلبة في الجدل ، ولكن الإقناع والوصول إلى الحق ، فالنفس البشرية لها كبرياؤها وعنادها ، وهي لا تنزل عن الذي تدافع عنه إلا بالرفق حتى لا تشعر بالهزيمة .



الفصـــل الثانـــي
الترغيـــب والترهيـــب

- ○ المبحث الأول : الترغيـــب .
- ● المطلب الأول : الترغيب في جنس الطاعات .
- ● المطلب الثاني : الترغيب في جنس أنواع الطاعات .
- ○ المبحث الثاني : الترهيب ببيان الوعيد بالعذاب والعقوبات على المعاصيَ .
- ○ المبحث الثالث : الحوار القصصي .
- ○ المبحث الرابع : النظر في الكون والسير في الأرض .

* * *

المبحث الأول : الترغيب

يقول الحق تبارك وتعالى في كتابه العزيز : ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ﴾[1].

والرغبة : السؤال والطمع ، ويرغب رغبة إذا حرص على الشيء وطمع فيه ، وفي هذا المقام أعجبني كلام للزرقاني صاحب مناهل العرفان عند كلامه عن عوامل حفظ الصحابة للكتاب والسنة حيث ذكر رحمه الله الترغيب والترهيب اللذين في الكتاب والسنة فقال : (الترغيب والترهيب اللذان يفيض بهما بحر الكتاب والسنة ، ولا ريب أن غريزة حب الإنسان لنفسه تدفعه إلى أن يحقق لها كل خير ، وأن يحميها من كل شر سواء ما كان فيهما من عاجل وما كان من آجل ، ومن هنا تحرص النفوس الموفقة على وعي هداية القرآن وهدي الرسول ﷺ ، وتعمل جاهدة على أن تحفظ منهما ما وسعها الإمكان ، إلى أن يقول : ولسنا بحاجة أن نلتمس شواهد الترغيب والترهيب من الكتاب والسنة ، فمددهما فياض بأوفى ما عرف العلم من ضروب الترغيب والترهيب وفنون الوعد والوعيد وأساليب التبشير والإنذار على وجوه مختلفة ، وهاك نموذجًا من ترغيبات القرآن وترهيباته على سبيل التذكير ، يقول تعالى في سورة واحدة هي سورة السجدة : ﴿ وَقَالُوا أَإِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ أَإِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ ۚ بَلْ هُم بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ كَافِرُونَ ﴿١٠﴾ قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿١١﴾ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُو رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ﴿١٢﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا وَلَٰكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٣﴾ فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا إِنَّا

---

(١) الأنبياء ٩٠ .

نَسِيتُكُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿١٥﴾ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا لَّا يَسْتَوُونَ ﴿١٨﴾ أَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَىٰ نُزُلًا بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّذِي كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَىٰ دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢١﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾[١].

فانظر بعين بصيرتك في أساليب هذه الترغيبات وفنون تلك الترهيبات التي احتوتها هذه الآيات ، والقرآن مليء كله من هذه الأنوار على هذا الغرار)[٢].

هذا ما كان من أمر كتابنا العظيم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد . أما السنة النبوية المطهرة فإنها تزخر بمثل ذلك لأنه ؛ ﷺ أوتي القرآن ومثله معه، وأقول بأن هذا لا يستغرب، فالكتاب العزيز كتاب هداية وخير وتعليم وتشريع وبيان ، أكرم الحق تبارك وتعالى به هذه الأمة أمة خير البرية ﷺ ، والداعية المسلم عليه معرفة هذه الآيات ومعانيها وما احتوته من كنوز اللغة والبيان والفصاحة والبلاغة ، فصاحب الجود والكرم والعطايا يتودد إلى عباده رحمة منه وإحسانًا ؛ لأنه المالك الغني ذو الجلال والإكرام ؛ لأنه جبل وطبع النفس البشرية على حب الخير ، فالإنسان تواق دائمًا لكل ما يحقق لذاته الخير والفلاح والسعادة « حب الذات » وفي الوقت ذاته حريص على تجنيب نفسه وحفظها من كل مكروه وشر ، وأسلوب الترغيب محبب إلى هذه النفس ، فأول ما يبدأ الداعية يكون بهذا الأسلوب الذي سنفصل بعضًا من جوانبه في المطالب الآتية :

* * *

---

(١) سورة السجدة ١٠ – ٢٢ .

(٢) مناهل العرفان للزرقاني ج١ ص٣٠٨ ، ٣٠٩ .

المطلب الأول : الترغيب في جنس الطاعات

هذا الجانب واسع جدًا نذكر منه بعض الطاعات للتذكير فقط ، وعلى الداعية الرجوع للكتاب العزيز للتزود منه بما يريد ، فالطاعات كثيرة ، ويمكن بيان جنس الطاعات في النقاط التالية :

١ – الترغيب بالوعد بالخير في العاجل والآجل .

مما لا شك فيه أن لكل أجير أجرة ، ولكل عامل أجر على عمله ، ورب العزة والجلال أعطى عباده العمال الأجر العظيم على إيمانهم واستقامتهم على طاعته والتزامهم بمنهجه سبحانه وتعالى ، وهذا في الدنيا حيث السعادة والاطمئنان النفسي وراحة النفس واستقرارها ، وفي الآخرة حيث الجنة التي عرضها كعرض السماء والأرض أعدت للمتقين ، ويمكن إيراد أمثلة على ذلك فيما يلي :

(أ) الترغيب بالوعد بالحياة الكريمة الطيبة السعيدة للعاملين المخلصين المتقين ، قال تعالى : ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾ ﴾(١) .

(ب) الترغيب بالوعد بالإمداد والزيادة من الخيرات ، قال تعالى : ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴾(٢) .

(ج) الترغيب بذكر أحوال المؤمنين في الجنة ، قال تعالى : ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم

---

(١) النحل ٩٧ .

(٢) إبراهيم ٧ .

مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ ﴾[1].

٢ - الترغيب بذكر سنة الله تعالى في عباده المخلصين ، قال تعالى : ﴿ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾[2].

وهذه صورة من كلام النبوة مما أخرجه الثلاثة والنسائي قال ﷺ : « **تضمن الله لمن خرج في سبيل الله لا يخرجه إلا جهاد في سبيلي وإيمان بي وتصديق برسلي فهو عليّ ضامن أن أدخله الجنة أو أرجعه إلى مسكنه الذي خرج منه نائلًا ما نال من أجر أو غنيمة ، والذي نفس محمد بيده ما من كَلْم يكلم في سبيل الله إلا جاء يوم القيامة كهيئته يوم كُلِم ، لونه لون دم وريحه ريح مسك ، والذي نفس محمد بيده لولا أن أشق على المسلمين ما قعدت خلاف سرية تغزو في سبيل الله عز وجل أبدًا ولكن لا أجد سعة فأحملهم ولا يجدون سعة فيتبعوني ويشق عليهم أن يتخلفوا عني ، والذي نفس محمد بيده لوددت أن أغزو في سبيل الله فأقتل ، ثم أغزو فأقتل** » .

هذه الكلمات المحمدية النبوية النورانية المباركة يجد فيها المسلم قوة هائلة تدفعه إلى أن يسرع لينال هذا الأجر العظيم الذي يرغب رسول الله ﷺ أن يقتل فيه مرات ومرات لما يعلمه من ما أعده المولى جل وعلا للشهيد في سبيله من أجر عظيم ومقام كريم ، إنها أعظم المرغبات وأقوى المشوقات بعد كلام المولى جل وعلا الذي استعرضت بعضًا منه في السطور السابقة في هذا المطلب لقد ، كان رسول الله ﷺ مرغبًا ولم يكن يومًا من الأيام منفرًا ؛ لأنه بشير ونذير ﷺ يحب الترغيب ويؤكد عليه ويدعو أمته إليه ﷺ ؛ لأنه رفق وخير وبركة، وددت لو كان المجال يسمح لأوردت العديد من هذه المرغبات في هدي سيد المرسلين ﷺ .

هذا ما يتعلق ببعض الأمثلة في الترغيب في جنس الطاعات ، وهناك طاعات كثيرة جدًّا كالاستخلاف في الأرض والتمكين والتأييد والنصر ومحبته سبحانه وتعالى لعباده المتقين الممتثلين أوامره المجتنبين عن نواهيه .

* * *

(١) السجدة ١٧ .

(٢) البقرة ٣٧ .

المطلب الثاني : الترغيب في أنواع الطاعات

أنواع الطاعات كثيرة جدًا ، والعبد يحتاج دائمًا إلى ما يدفعه للقيام بها على الوجه المطلوب والصفة المرغوبة ، وهنا تأتي كلمة الداعية وفعاليتها ودوره في الترغيب في هذه الأنواع ، وفي مقدمة ذلك إخلاص العمل لله تعالى ببيان معنى كلمة التوحيد « لا إله إلا الله ، محمد رسول الله » وبقية الأركان ، وخاصة عماد الدين ، وما يتعلق بالأنواع الأخرى من الطاعات كبرّ الوالدين وإفشاء السلام وصلة الأرحام والعطف على الأيتام والرأفة بالفقراء والمحتاجين بإطعامهم الطعام والسعي على الأرامل والمرضى والإصلاح بين الناس ، إلى غير ذلك من فضائل الأعمال ومحاسن الصفات والأخلاق الحميدة كالصدق والكرم والتواضع والأمانة والرفق والحلم والأناة ، وغير هذا مما رغب فيه رسول الله ﷺ وحث عليه أمته .

والترغيب في أنواع الطاعات لا يقل عن الترغيب في جنسها بحال من الأحوال ، ذلك أن المقصود في الترغيب الطاعة ذاتها والحصول على مرضاة الله عز وجل من خلالها ؛ لأن الطاعة تعني تحقيق العبودية لله رب العالمين .

وهذا الترغيب اشتملت عليه هذه الآيات المباركات من سورة البقرة قال تعالى : ﴿ لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ ﴾[1] .

---

(١) البقرة ١٧٧ .

ورسولنا الكريم عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم يرغب فيما صح عنه في أنواع أخرى من الطاعات ، فقد قال ﷺ لعبد الله بن عمرو : « **أربع إذا كن فيك فلا عليك ما فاتك من الدنيا : حفظ أمانة ، وصدق حديث ، وحسن خليقة ، وعفة في طعمة** »[1].

وهكذا نجد رسول الله ﷺ يرغب دائمًا أمته في فعل الطاعات والتقرب إلى الله تعالى بها ، والرغبة في الزيادة دائمًا لتحصل الزيادة في الأجر ، والله عنده أجر عظيم .

* * *

(١) أخرجه الإمام أحمد رحمه الله في المسند ج٢ ص ١٧٧ .

المبحث الثاني : الترهيب ببيان الوعيد بالعذاب والعقوبات على المعاصي

النفس البشرية بقدر ميلها لأساليب الترغيب لحرصها على ما ينفعها فإنها بحاجة إلى الترهيب لردعها عن غيها وانحرافها عن الطريق المستقيم ؛ لأن الترهيب فيه تخويف يحمل النفس وصاحبها على ترك المعاصي والآثام ، واجتناب الجرائم والذنوب ، وبيان ما أعده المولى جل وعلا من شديد العقاب وأليم العذاب لمن طغى وبغى وعاند وعصى .

وهذا كله من حكمة القول الترغيب والترهيب ، وإن من البيان لسحرًا ، فإذا ما أحسن الداعية في عرض ما لديه من قول وإيراد ما عنده من استشهادات قرآنية وحديثية فإنه بلا شك سيؤثر في المتلقين أكبر التأثير وأعظمه ؛ لأن الإنسان لا يتحمل تلك الزواجر مجرد سماع فكيف إذا كانت حقيقة ، وكفى بالموت واعظًا، وهو من أعظم الزواجر والمرهبات والمنذرات والمخوفات ، فإنه يأتي بلا استئذان . فالكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت واستعد له بحب الله وحب رسوله وطاعتهما حق الطاعة .

ولبيان دور الترهيب في الدعوة إلى الله تعالى وأثره على النفس البشرية يمكن إيراد هذه الأمثلة من كتاب الله العزيز :

١ – قال تعالى : ﴿ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودُ ﴿٤٢﴾ وَقَوْمُ إِبْرَاهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ ﴿٤٣﴾ وَأَصْحَابُ مَدْيَنَ وَكُذِّبَ مُوسَىٰ فَأَمْلَيْتُ لِلْكَافِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٤٤﴾ فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ ﴿٤٥﴾ ﴾[1].

---

(١) الحج ٤٢ – ٤٥ .

وهذا في معرض بيان مصير الأمم التي عصت وخرجت عن أمر ربها هذا جزاؤها أو بعض جزائها ، وهي صورة مرعبة لا تتحملها النفس البشرية إطلاقًا .

وفي الكتاب العزيز الكثير من هذه الصور ، وهذا الأسلوب الترهيبي فيه عظة وعبرة لمن أراد أن يعتبر ولمن رغب في الاتعاظ ، والله لا يظلم أحدًا .

٢ – الترهيب بذكر العذاب العاجل في الحياة الدنيا للعصاة الجاحدين الكافرين بالله المعاندين رسله الخارجين عن طاعته سبحانه وتعالى، قال جل وعلا: ﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ ۝٣٠ ﴾[1].

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ كَمْ تَرَكُواْ مِن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ۝٢٥ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ۝٢٦ وَنَعْمَةٍ كَانُواْ فِيهَا فَٰكِهِينَ ۝٢٧ ﴾[2].

٣ – الترهيب بحلول العذاب الآجل يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم ، يوم تنصب الموازين وتنشر الدواوين يوم الحساب والجزاء ، قال تعالى : ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ۝١١٥ ﴾[3]، أي إنسان هذا الذي لا يقشعر جلده ويرتجف قلبه من هذه الزواجر وهذه الآيات البينات ؟!

٤ – وهذه صورة نفسية مفزعة ورد ذكرها في سورة الزخرف إذا تدبرها الإنسان يرتجف فؤاده وتضطرب نفسه ، يبين من خلالها الكتاب العزيز وضع الغافلين اللاهين الدائمين على الذنوب والمعاصي المستمرين على مخالفة أمر الله تعالى أتباع الشيطان يوم يتخلى عنهم وهم غير قادرين على فعل شيء أي شيء ، يقول تعالى : ﴿وَقَالَ ٱلشَّيْطَٰنُ لَمَّا قُضِىَ ٱلْأَمْرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ ۖ وَمَا كَانَ لِىَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِى ۖ فَلَا تَلُومُونِى وَلُومُوٓاْ أَنفُسَكُم ۖ مَّآ أَنَا۠ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِىَّ ۖ إِنِّى كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ ﴾[4] إنها صورة مؤثرة وموقف لا خزي بعده حيث

---

(١) الشورى ٣٠ .

(٢) الدخان ٢٥ – ٢٧ .

(٣) النساء ١١٥ .

(٤) إبراهيم ٢٢ .

يتنصل الشيطان – لعنه الله وأخزاه – من أتباعه بهذه الطريقة المعذبة للنفس المرهقة للروح في يوم لا يستطيع العبد أن يعمل فيه ما يبعد عنه عقوبة المعصية والبعد عن الله ، وهناك صور أخرى أوردها الكتاب العزيز لا تطيق النفس البشرية محتواها أعدت لمن عصى وبغى وحاد عن الطريق المستقيم ، كالذين لا يوفون بالعهود ولا يصدقون في الأقوال ولا يصلون الأرحام ولا يبرون والديهم ، كذلك المنافقين والمتكبرين والحاسدين والحاقدين والذين يمشون بين الناس بالنميمة والمفسدين في الأرض بكل أنواع الإفساد المعروفة .

والداعية المسلم لا بد له من إتقان هذا الأسلوب من أساليب الدعوة واستحضار الأدلة وبيان ذلك من الكتاب والسنة ليصل إلى قلوب المدعوين فيضعها على الطريق الصحيح لتسير بأصحابها إلى رضوان الله ومغفرته بالقيام بما أوجب والابتعاد عما نهى وحرم .

* * *

المبحث الثالث : الحوار القصصي

الاتصال عن طريق القصة محبب للنفس تميل إليه وتأخذ العبرة والعظة منه خاصة إذا أجاد القاص في سرد القصة وأحسن في اختيار عناصرها ، والكتاب العزيز اشتمل على القصص ، بل هناك سورة القصص ، قال تعالى في سورة يوسف : ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ ﴾[1] ويقول سبحانه وتعالى في نفس السورة : ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى ﴾[2].

والداعية المسلم باستخدامه للحوار القصصي يصل إلى قلوب سامعيه فيحدث التأثير وبالتالي تكون الاستجابة بإذن الله ، فالناس يعيشون مع القصة وأحداثها ؛ لأنهم بطبيعتهم شغوفين بها ، من خلالها يستطيع القاص أو الداعية أن يعرض ما يريد من المعلومات والحقائق ، فالقصة لها مقدمة وفيها الموقف (الحبكة) ثم الخاتمة حيث تدور بين أشخاص قلوا أو كثروا تهدف لبيان أمر من الأمور أو حكمة من الحكم .

القصة فن من فنون الأدب العربي التعبيرية تجسد الشخصيات التي تحتويها بشكل يقرب إلى الواقع فيعيشها المستمع لما تتميز به من طريقة خاصة تعمل على جذب المستمع إلى أحداثها ووقائعها حتى النهاية .

وأحسن القصص وأفضله وأبلغه وأفصحه ما جاء في كتاب الله العزيز وسنةنبيه محمد ﷺ .

القرآن الكريم بيّن أخبار من كانوا قبلنا من عباد الله في الأمم الهالكة أحسن بيان وأجمله

---

(١) سورة يوسف ٣ .

(٢) يوسف ١١١ .

وأبلغه وأصدقه .

ابتداءً من قصص الأنبياء عليهم السلام وأممهم ، وهذا يحتل مساحة كبيرة من الكتاب العزيز ، فيها العبرة والعظة والدرس النافع والمواقف المؤثرة حيث أنبياء الله ورسله ومن تبعهم وسار على هداهم ، والفريق الآخر المعاندين المكابرين المكذبين وكيف كانت نهايتهم ، وفي ذلك أعظم ذكرى وعبرة .

والسنة المطهرة فيها من القصص الشيء الكثير حتى إن أصحاب الصحاح رحمهم الله تعالى أوردوا في كتبهم أبوابًا للرقائق والزهد أوردوا فيها الكثير من القصص المعبرة حيث وصف رسول الله ﷺ حال بعض الأمم بطريقة قصصية رائعة ، وبهذا يتبين لنا توفر المادة في هذا المجال ، وما على الداعية المسلم إلا استخدام ذلك من خلال اتصاله للدعوة إلى الله تعالى والتزام منهجه جل وعلا حتى ولو كان ذلك بين ثنايا الخطبة أو الدرس ؛ لأن أجزاء القصة تجذب المستمع لمعرفة النهاية ، وهو أسلوب من الأساليب المحببة للنفس وطريقة من طرق التشويق لمعرفة النتيجة ، نتيجة الطاعة والالتزام بمنهج الإسلام ، ونتيجة المعصية والخروج عن أمر الله ومنهجه الذي رسمه لهذا الإنسان ، ولقد كانت العرب تُعنى بالقصة أشد العناية حيث اشتهروا بها كفن من فنون الأدب يقضون معها بعض الوقت للتثقيف والمعرفة والعلم ، حتى إنهم كانوا يضعون القصاص في مكان رفيع ويغدقون عليهم الأموال والهبات ويقدمونهم على من عداهم ، ولقد عرف في الأدب العربي في الجاهلية والإسلام أولئك الرجال الذين كانوا يتنقلون من مكان إلى آخر لسرد ما لديهم من قصص البطولات وغيرها لإمتاع الناس .

ولا شك أن هذه الطريقة نافعة إن أحسن الداعية سرد وإيراد القصص المعبرة المفيدة التي تحفل بالمواقف المؤثرة لإيصال معنى من معاني الدين إليهم عن هذا الطريق الفني البديع .

وفي الكتاب العزيز قصة نوح عليه السلام وقصة إبراهيم وقصة أصحاب الكهف والتي ما زال تأثيرها وما زالت قوتها ، وستبقى مؤثرة ونافعة إلى يوم القيامة ، والإمام البخاري أورد في كتاب أحاديث الأنبياء تلك القصة التي أوردها رسول الله ﷺ وقصها على أصحابه رضوان الله عليهم جميعًا وأبطالها أبرص وأعمى وأقرع وكم هي مؤثرة ونافعة ، إذ تحكي

قصة الشكر والكفر وعاقبتهما في صورة أدبية بلاغية رائعة تجعل السامع يتابع أحداثها خطوة بخطوة بكل شغف وشديد انتباه ، وغيرها كثير من القصص التي كان عليه الصلاة والسلام يخبر بها أصحابه من باب النفع والتعليم والعظة وأخذ العبرة .

وما أجمل ما ورد في قصته ﷺ حال الرجل الذي قتل مائة ثم تاب فتاب الله عليه ، كم هي رائعة في بابها ! وفي السنة المطهرة الكثير من ذلك ، فما على دعاة الإسلام إلا البحث ومعرفة هذه الطريقة من طرق وأساليب الدعوة إلى الله تعالى ليصلوا إلى قلوب مدعويهم وبالتالي إلى تحقيق الهدف من هذا الاتصال وهو الهداية والخير والصلاح .

والجدير ذكره أن هذا الفن من فنون الأدب العربي له طرقه ومداخله وخصائصه ، فلا بد من معرفتها ، حتى إن سرد القصة لها معاييرها الخاصة بها ، وهذا من الأمور التي تجعل الاتصال ناجحًا ، فلا يمكن أن تحقق القصة المراد منها إن كان القاص قاصرًا في التعبير غير قادر على تصوير المواقف والأشخاص والوقائع التي تقوم عليها القصة ، وهذا بلا شك يحتاج لتدريب وقبله معرفة القصص وحفظها خاصة إن كانت من القصص القرآني أو القصص النبوي ليحصل المراد ويتحقق الهدف من استخدام هذا الفن من الفنون التعبيرية التي عرفها العرب .

والقصة فيها ترغيب وفيها ترهيب أيضًا وفيها تشويق وإثارة ومواعظ وحكم وعبر ومواقف .

فيها قدرة الخالق تبارك وتعالى وهيمنته على العالم وما فيه ، وتحكمه جل وعلا في هذا الكون وسرعة عقابه لمن طغى وبغى وعاث في الأرض فسادًا فالأمر له ، بيده مقاليد السموات والأرض لا يخفى عليه في خلقه وبين مخلوقاته شيء أبدًا صغر حجمه أو كبر في وضح النهار أم في الليل الدامس ، فسبحانه من إله قادر قاهر .

* * *

المبحث الرابع: النظر في الكون والسير في الأرض

النظر في الكون والسير في الأرض كوسيلة من وسائل الدعوة ذكرني بكلام جميلٍ أورده الفخر الرازي عند كلامه عن قول الحق تبارك وتعالى في سورة آل عمران : ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ... ﴾[1] الآية ، والذي سأورده – إن شاء الله – بعد قليل .

وهذه الطريقة من طرق الدعوة ذات أهمية في القديم والحديث ، فالعصر الذي نحن فيه الآن حيث التسابق إلى الفضاء فرصة للدعاة لبيان هذه العظمة الإلهية في هذا الكون وكيف أنه سبحانه وتعالى وضع لها هذا النظام الدقيق البديع حيث يمكن للمدعو أن يرى بعينه هذه الأفلاك في مجراتها وتلك النجوم في مواقعها ودقة خلقها وبديع صنعها ؛ ليعلم أن الذي خلقها إله واحد قادر قاهر لا يغيب عنه في ملكه شيء .

أعود إلى تفسير الإمام محمد الرازي لآيات آل عمران ، يقول رحمه الله : « اعلم أن المقصود من هذا الكتاب الكريم جذب القلوب والأرواح عن الاشتغال بالخلق إلى الاستغراق في معرفة الحق ، فلما طال الكلام في تقرير الأحكام والجواب عن شبهات المبطلين عاد إلى إنارة القلوب بذكر ما يدل على التوحيد والإلهية والكبرياء والجلال فذكر هذه الآية . قال ابن عمر : قلت لعائشة – رضي الله عنهم جميعًا – : أخبريني بأعجب ما رأيت من رسول الله ﷺ ، فبكت وأطالت ثم قالت : كل أمره عجب ، أتاني في ليلتي فدخل في لحافي حتى ألصق جلده بجلدي ثم قال لي : « **يا عائشة هل لك أن تأذني لي الليلة في عبادة ربي ؟** » فقلت : يا رسول إني لأحب قربك وأحب مرادك قد أذنت لك ، فقام إلى قربة من ماء في البيت فتوضأ ولم يكثر من صب الماء ثم قام يصلي ، فقرأ من القرآن وجعل يبكي ثم رفع يديه فجعل يبكي حتى رأيت دموعه قد بلت الأرض ، فأتاه بلال

---

(١) آل عمران ١٩٠ .

يؤذنه بصلاة الغداة فرآه يبكي ، فقال له : يا رسول الله : أتبكي وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ؟! فقال : « **يا بلال أفلا أكون عبدًا شكورًا ؟!** » ثم قال : « **ما لي لا أبكي ، وقد أنزل الله في هذه الليلة** : ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ... ﴾ ؟! » ثم قال : « **ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها** » ، وروي : « **ويل لمن لاكها بين فكيه ولم يتأمل فيها** »[1]، ويقول ابن كثير رحمه الله في تفسيره لهذه الآيات : (أي هذه في ارتفاعها واتساعها وهذه في انخفاضها وكثافتها واتضاعها وما فيهما من الآيات المشاهدة العظيمة من كواكب سيارات وثوابت وبحار وجبال وقفار وأشجار ونبات وزروع وثمار وحيوان ومعادن ومنافع مختلفة الألوان والطعوم والروائح والخواص ، ﴿ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ﴾ أي: تعاقبهما وتعارضهما في الطول والقصر، فتارة يطول هذا ويقصر هذا ثم يعتدلان ثم يأخذ هذا من هذا فيطول الذي كان قصيرًا ويقصر الذي كان طويلًا ، وكل ذلك تقدير العزيز الحكيم ، ولهذا قال : ﴿ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴾ أي العقول التامة الذكية التي تدرك الأشياء بحقائقها على جلياتها ، وليسوا كالصم البكم الذين لا يعقلون ، الذين قال الله فيهم : ﴿ وَكَأَيِّنْ مِنْ آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ﴿١٠٥﴾ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾ ﴾ الآية من سورة يوسف ١٠٥ ، ١٠٦)[2].

هذا البيان أردت منه أهمية هذا النهج وتأثيره العظيم على المدعوين حيث عظمة المولى جل وعلا تتراءى في مخلوقاته ، فهذا الكون وما فيه من الآيات الباهرات والمخلوقات العظام والليل والنهار والبحار وما فيها والأرض ومن عليها والنباتات والحيوانات على مختلف أشكالها وألوانها وخصائصها والجمادات وما بباطنها من الكنوز والمعادن والخيرات مجال فسيح جدًّا للدعاة كي يبرزوا عظمة الخالق جل وعلا وتفرده في الخلق وهيمنته على الكون ، وبهذا لا يستحق العبادة إلا هو عز وجل وتقدس ، والكتاب العزيز حافل بالآيات المباركات التي تحكي خلق الكون وعظمة الخالق وقدرته وسيطرته عليه وبديع صنعه في هذه المخلوقات على مختلف مسمياتها وأصلها : حيوان أم نبات أم جماد في البر أو في البحر أو الجو .

ولفت نظر المدعو إلى هذا الكون وما فيه من عجائب وعظمة فيه تأثير مباشر عليه ؛

---

(١) تفسير الرازي المجلد الخامس ص١٢٨ ، دار الفكر .

(٢) تفسير ابن كثير ج٢ ص١٥٩ كتاب الشعب .

ليقف متأملًا عظمة الخالق وقدرته المتناهية سبحانه وتعالى وبديع صنعه ودقة نظام هذه المخلوقات ، فلا يملك بعد هذا النظر وذلك التفكر إلا أن يقر له سبحانه وتعالى بالوحدانية واستحقاقه وحده العبادة ، وهو الغني وعبيده الفقراء .

وفي الوقت نفسه تعطي هذه التأملات الداعية نفسه قوة ومضاءً كي يجتهد في إبلاغ هذا الدين وبيان هذه الرسالة الخالدة رسالة الإسلام التي أكرم الله بها الخلق جميعًا ، فالإسلام أتى بالخير لجميع المخلوقات حتى الحيوانات والنباتات ، والعجماوات أمر بالإحسان إليها والرفق بها ؛ لأنه دين الرحمة والإحسان والبر والخير والإصلاح .

والداعية المسلم في بيانه للأصل الأول من أصول هذا الدين وهو معرفة الله تعالى يستخدم هذه المخلوقات للدلالة على عظمة الخالق سبحانه وتعالى .

والسنة النبوية المطهرة حافلة بالكثير من الأحاديث الشريفة الصحيحة الدالة على عظمة الله تعالى وبديع صنعه ودقة تسييره لهذا الكون وما فيه لا يتغير في نظامه مع توالي العصور والدهور وتتابع الأحداث .

إن ما تقذف به المعرفة البشرية إلى التجمعات الإنسانية في هذا العالم في مجال التقنية الحديثة من ابتكارات العقل البشري مذهل حقًا حيث تمكن هذا الإنسان من متابعة النجوم والأقمار وجميع الكواكب في أفلاكها الأمر الذي يجعل هذا الإنسان مشدوهًا من هذا العالم الذي حوله ، والذي يدل دلالة واضحة على قدرة رب الناس ومليكهم وعظمته جل جلاله مما له كبير الأثر في الخضوع له والانقياد لأمره والتمسك بشرعه ، فهذا الكون العظيم لا بد له من خالق ، وهذا الخالق أمر هذا الإنسان أن يقوم بالأمر الذي من أجله خلقه ، فهو المنفرد بالجلال والكمال وهو بذلك المستحق للعبادة ولا يرضى لهم الكفر أبدًا ، وإن عاندوا فالنار مثواهم وهو سبحانه وتعالى غني عنهم لا يزيد في ملكه طاعة الطائعين ولا ينقص من معصية الجاحدين المعاندين ، له الملك وهو على كل شيء قدير .

إن توظيف هذه المخترعات وتلك المبتكرات التي تكشف عن بديع ملك الله وأسرار هذا الكون في الدعوة إليه – جلت عظمته وتقدست أسماؤه– من الأمور التي يتحتم على دعاة الإسلام استغلالها على أحسن صورة وأتم توظيف، وهذا يتم على أحسن ما يكون لو كانت هناك قناة مرئية للدعوة إلى الإسلام ترسل موادها الخيرة إلى هذا الإنسان في أي جزء من أرض الله تعالى تعرفه بخالقه ومولاه وتعليمه بما يريد منهم ولهم ، يعبدوه لا يشركوا به شيئًا .

إن العالم اليوم في أمس الحاجة ليعرف خالقه ومولاه المعرفة التي تخرجه مس هذه الترهات والخرافات والأباطيل التي يعيشها كعقيدة التثليث وعبادة الأصنام كالبوذية والهندوسية وغير ذلك مما تضج به الدنيا من صوارف عن الحق تبارك وتعالى والوظيفة السامية التي خلق هذا الإنسان من أجلها .

إن النظر في هذا الكون والتفكر في خلق السماوات والأرض دافع قوي ومؤثر كي يعرف العبد ربه معرفة الخضوع والإنابة والطاعة معرفة المخلصين الصادقين الموحدين المدركين لمآلهم وما سيكون بعد الموت من حساب وأليم عقاب لمن حاد عن الطريق المستقيم وحادَّ الله تعالى ؛ لأن هذه العظمة في هذا الكون شاهد حق وصدق ودافع خير إلى الإيمان بأن الذي خلق هذا الكون وجعل له هذا النظام الدقيق هو الذي يستحق أن يُعبد ويُشكر فلا يكفر ، ودعاة الإسلام إذا ركزوا على هذا الرافد من روافد جذب العباد وإعادتهم إلى فطرتهم التي فطرهم الله عليها « التوحيد » سيصلون إلى ملايين القلوب التائهة في عالمنا اليوم التي عاشت الضلال والغواية وترنحت بين جنبات هذه الظلمة القاتلة حيث إشباع الغرائز البهيمية من المطاعم والمشارب والشهوات ، وتركوا الروح خاوية حتى كدها ذلك الخواء فأصبحت مريضة بمرض عضال « موت القلوب » ، ولا علاج لها إلا دواء الأرواح « الإيمان بالله الخالق » فهل نحن فاعلون ؟ أرجو ذلك .

وإن غدًا لناظره لقريب .

أما موضوع السير في الأرض فإنه رافد من روافد الدعوة وطريق من طرقها حيث يعيش السائر عظمة هذه الأرض وما أودع الله فيها من أسرار حيث البراري والقفار والمروج والأنهار والجبال والهضاب والأودية والتلال وحيث العوالم التي تعيش بين جنبات هذه المبسوطة حيث قدر لها المولى أقواتها ، الطيور تذهب في الصباح جائعة وتعود إلى أعشاشها شبعى بل مع قوت صغارها ، من علم هذه هذا ؟ – إنه الله – كذلك الناس واختلاف طبائعهم ، وهوالإنسان بسمعه وبصره ويديه ورجليه وجميع أعضائه وحواسه لكنه يختلف عن أخيه الإنسان في الجزء الآخر من هذه المعمورة ، فسكان شمال الكرة الأرضية يختلفون عن سكان جنوبها ، والقاطنين في المناطق الحارة يختلفون عن أولئك سكان المناطق الباردة ، وهكذا اختلافات الموقع والمناخ والتضاريس والبيئات والتربات .

وتأتي الرسالة الخالدة : كلكم لآدم وآدم من تراب ، حيث النداء الواحد والهدف الواحد والرب الواحد ، لا إله إلا الله محمد رسول الله كلمة الإخلاص والتوحيد التي أكرم الله بها البشرية وأعزها بعد ذل الكفر والجحود والغواية ، فطلع الفجر وسطع النور وتنزلت الآيات المباركات على أفضل وأشرف مخلوق – رسول الله المصطفى العربي الهاشمي القرشي من مكة المكرمة حيث البيت العتيق – ليصدع بالحق ويوقظ هذا الإنسان من رقدته ليعود إلى رحاب خالقه ومولاه فتصبح الأرض واحدة والبشر واحد ، الكل سواء الكل يردد : الله أكبر الله أكبر ، الكل ينادي يا الله يا الله – فتردد أصداء هذا النداء المبارك عذبة ندية بين جنبات الغبراء ليتحد هذا الإنسان في كل صقع وكل جزء من هذه الأرض بأخيه الإنسان فربهم واحد ونداؤهم واحد ودينهم واحد ورسولهم محمد بن عبد الله الرحمة المهداة ﷺ .

لقد سارت تلك الجحافل المباركة من أرض الطهر والقداسات منطلقة لتعلنها في هذا الكون مدوية أن الرب واحد والدين واحد ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَـٰمُ ﴾[1] فتجاوبت لها تلك القلوب الفطرية فانتشر الإسلام حتى بلغ تلك النقطة الأخيرة في عالمهم – هذا من آمن ، ومن كفر وبقي على عماوته دفع الجزية وعاش في ظل هذه الدولة المباركة – دولة التوحيد – بقيادة رسول التوحيد محمد بن عبد الله ﷺ وأصحابه من بعده .

واليوم لا بد من دعاة الإسلام من السير في الأرض لإعلاء كلمة الله ببيان ما أودع الله فيها من أسرار دالة على عظمته وجبروته وتفرده سبحانه وتعالى واستحقاقه وحده سبحانه وتعالى أن يعبد ويشكر .

وصدق ربنا الجليل العظيم إذا يقول : ﴿ قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾ ﴾[2].

* * *

---

(١) آل عمران ١٩ .

(٢) العنكبوت ٢٠ .

الفصل الثالث

الحسبة في الإسلام

- المبحث الأول : تعريفها والحكمة من مشروعيتها .
- المبحث الثاني : مكانتها في الإسلام .
- المبحث الثالث : أركانها .
- المبحث الرابع : شروط المحتسب وآدابه .
- المبحث الخامس : المحتسب عليه وأنواعه .
- المبحث السادس : مجالاتها والغرض منها .
- المبحث السابع : الاحتساب في الوقت الحاضر .

الفصل الثالث : الحسبة في الإسلام

موضوع الحسبة من الأمور التي يجب أن تكون واضحة لدى المسلمين ، وبالأخص لدى الدعاة منهم ، لهذا أورد جميع جوانبه في المباحث السبعة التي يتضمنها هذا الفصل من هذا الباب ؛ لأن هناك خلطًا في هذا الأمر ناشئ من عدم معرفة الإسلام في الإسلام وأعجبني مما قرأت في هذا الموضوع ما أورده شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في كتابه الصغير الحجم الكبير المعنى والفائدة « الحسبة في الإسلام » في بداية حديثه عن هذا الموضوع وهي رسالة قيمة يجب على كل داعية قراءتها للاستفادة من علمها .

يقول رحمه الله : (جميع الولايات في الإسلام مقصودها أن يكون الدين كله لله ، وأن تكون كلمة الله هي العليا ، فإن الله سبحانه وتعالى إنما خلق الخلق لذلك ، وبه أنزل الكتب ، وبه أرسل الرسل ، وعليه جاهد الرسول والمؤمنون ... إلى أن يقول : وقد أخبر عن جميع المرسلين أن كلًا منهم يقول لقومه : اعبدوا الله ما لكم من إله غيره ، وعبادته تكون بطاعته وطاعة رسوله ، وذلك هو الخير والبر والتقوى والحسنات والقربات والباقيات الصالحات والعمل الصالح ، وإن كانت هذه الأسماء بينها فروق لطيفة ليس هذا موضعها ، وهذا الذي يقاتل عليه الخلق ، كما قال تعالى : ﴿ وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ ﴾[1] ، وكل بني آدم لا تتم مصلحتهم لا في الدنيا ولا في الآخرة إلا بالاجتماع والتناصر ، فالتعاون والتناصر على جلب منافعهم ، والتناصر لدفع مضارهم ولهذا . يقال : الإنسان مدني بالطبع ، فإذا جمعوا فلا بد لهم من أمور يفعلونها يجتلبون بها المصلحة وأمور يجتنبونها لما فيها من المفسدة ، ويكونون مطيعين للآمر بتلك المقاصد وللناهي عن

---

(١) الأنفال ٣٩ .

تلك المفاسد ، فجميع بني آدم لا بد لهم من طاعة آمر وناه)[1] هذا الكلام الجميل يجعلني أقول : إن هذا يكون من خلال الأمر بالمعروف أي معروف والنهي عن المنكر أي منكر كبر أم صغر ؛ ليشعر كل فرد من أفراد الأمة الإسلامية أنه مسئول عن هذه الأمة وقوتها وصلاحها وسعادتها أيضًا ؛ لأن الإسلام آخى بين أفراد هذه الأمة فأصبحوا بنعمة الله إخوانًا يحس الواحد منهم بالآخر ويعمل على أن تكون هذه الأخوة بما تحمله هذه الكلمة من معنى ، إذ إن صلاح المجتمع صلاح للجميع وفساده أيضًا يعود على جميع أفراده ، وإذا كان المجتمع هكذا لا يوجد من يحميه ويدافع عنه ويحافظ على بقائه قويًّا متماسكًا انتهى تمامًا حيث يستبدل الأمن والرخاء بضدهما ؛ لأن الذي خلق هذا الإنسان جعل له نظامًا قويًّا متماسكًا يكفل له الحياة السعيدة ، فإذا اختل هذا النظام لا تتوفر تلك الحياة وذلك العيش الرغيد وهذا يحصل عندما يتقاعس الفرد عن دوره في الأمر والنهي ، والأمثلة كثيرة فيما حكاه الكتاب العزيز عن أحوال الأمم السابقة وفيما قرأناه من تاريخ الأمة الإسلامية ، وما نشاهده اليوم في مجتمعات المسلمين في شرق الأرض وغربها وشمالها وجنوبها من آثار ترك الأمر والنهي وما حل بها من ضعف وهوان حتى أصبحت لعبة في يد العابثين على اختلاف مواقعهم وأسمائهم ، فإلى الله المشتكى .

لذا سنقف على أمر الجانب الهام في حياة المسلمين « الحسبة » من خلال المباحث التالية والتي تضمنها هذا الفصل من الكتاب ، بيد أنه لا بد من معرفة البعد التاريخي للحسبة ، وهذا نجده بالرجوع إلى حياة سيدنا رسول الله ﷺ ، حيث نجد الحسبة في ذلك العهد المبارك عصر النبوة ، حيث كان رسول الهدى ﷺ يتولاها بنفسه ، حيث نهى أمته عن كثير من السلوكيات التي لا يقرها الإسلام في البيوع مثلًا والأموال كالربا ، وكل الأوامر النبوية والنواهي التي كانت تحيط المجتمع المبارك بسياج من القوة والخير والإصلاح لتمسكه بالمنهج الرباني الذي كفل للفرد حقه وحريته وللجماعة قوتها وتماسكها بحب بعضها بعضًا وحرص أفرادها على المصلحة العامة وعدم تجاوز الحدود المرسومة التي تحمي الفرد والمجتمع ، وهكذا عهد الخلافة الراشدة حيث قام الخلفاء الأربعة رضوان الله عليهم بهذه المهمة فطافوا في الأسواق وراقبوا الطرقات ورصدوا تحركات الناس ووجهوها إلى الخير

---

(١) الحسبة في الإسلام لشيخ الإسلام أحمد ابن تيمية ، مؤسسة مكة للطباعة ص٤ .

والصلاح ؛ لأنهم رأوا إمامهم ﷺ يقف عند صاحب تلك الصبرة ويلفت نظره إلى وجوب إظهار المبيع بجميع محتوياته – الصالح والفاسد – حتى لا يكون الغش ، لأنه محرم في الإسلام ، وهكذا يتبين لنا البعد التاريخي للحسبة من خلال هذه العجالة التي كان الهدف منها التذكير فقط .

* * *

المبحث الأول: تعريفها والحكمة من مشروعيتها

وقفت على تعاريف كثيرة للحسبة ، منها ما ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية وحاجي خليفة والماوردي وأبو يعلى الفراء وابن خلدون والإمام الغزالي في الإحياء ومحمد المبارك ، وأدق هذه التعاريف أو التعريفات هو ما ذكره عبد العزيز بن محمد الرشد في رسالته نظام الحسبة في الإسلام دراسة مقارنة ، المقدمة لجامعة الإمام محمد بن سعود بالرياض عام ١٣٩٢هـ ، حيث أجرى بعض التعديل على تعريف ابن خلدون الذي يقول فيه : (إنها وظيفة دينية من باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر) .

حيث يقول : (رقابة إدارية تقوم بها الدولة لتحقيق المجتمع الإسلامي بردّهم إلى ما فيه صلاحهم وإبعادهم عما فيه ضررهم وفقًا لأحكام الشرع)[1].

* **والحسبة** : اسم مصدر احتسب يحتسب احتسابًا وحسبة .

ومعناها : الأجر ، قال ابن منظور في اللسان : الحسبة مصدر احتسابك الأجر على الله ، تقول : فعلته حسبة وأحتسب فيه احتسابًا، والاسم الحسبة بالكسر: وهو الأجر[2]، هذا ما كان من شأن التعريف اللغوي وقد سبقه التعريف الاصطلاحي .

* **الحكمة من مشروعيتها** : أنها مصدر خير ونجاة من المهلكات التي تفتك بالمجتمع بسبب المعاصي والعصاة الذين لا يقيمون للمجتمع ولا لأفراده أي وزن ، الحلال ما حل بأيديهم ، والنظام ما يرونه هم ، حيث يعيثون في المجتمع فسادًا ، آمنين من العقوبة بسبب عدم وجود الرادع ابتداءً من الإنكار عليهم .

---

(١) « نظام الحسبة في الإسلام » لعبد العزيز بن محمد رشد ، رسالة ماجستير مطبوعة .

(٢) لسان العرب جـ١ ص ٣٠٥ .

وعندما يجد من تسول له نفسه القيام بأي عمل فيه اعتداء على الفرد والمجتمع من ينكر عليه ويردعه فإنه يفكر أكثر من مرة في القيام بفعلته .

فهي حماية للمجتمع ورعاية لحقوق الأفراد والجماعات وصيانة لحرياتهم ، وهذه هي الحكمة من مشروعيتها حيث تشكل سياجًا أمنيًا يحيط المجتمع ويرعاه من خلال التواصي بالحق والأمر بفعل الطاعات والنهي عن الوقوع في المعاصي والمنكرات التي تحطم كيان المجتمع الإنساني الذي أراد له خالقه ومولاه عز وجل الخير والفلاح في ظل الدين الذي ارتضاه جل وعلا لهم .

ورب العزة والجلال يقول في محكم التنزيل : ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ ﴾[1] ، أي أن فلاح المجتمع بقيامه بهذا الأمر ، وشقاءه ودماره بتركه له ، وهو سبحانه وتعالى يمتدح من يقوم بهذا الأمر فيقول سبحانه : ﴿ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿١١٣﴾ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَٰئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١١٤﴾ ﴾[2] .

وجعل سبحانه وتعالى جزاء من يقوم على هذا الأمر التمكين في الأرض والنصر والعزة ، فقال جل وعلا : ﴿ وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴿٤١﴾ ﴾[3] .

وفي الوقت نفسه يبين الحق تبارك وتعالى عقوبة من ترك هذا الأمر ؛ لأنه يسبب الفوضى في المجتمع وضياع الحقوق وتسلط القوي على الضعيف ، وظهور المفاسد والإرهاب ، حتى يصبح كل فرد من أفراد المجتمع في وجل دائم بسبب انتشار المحرمات وظهور الفساد ، ومقابل هذا كله تحل اللعنة وغضب المولى عز وجل بهم بسبب تركهم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وسكوتهم عن الظلمة والطغاة والمعتدين على حريات الأفراد والمجتمعات وحقوقهم ، فقال سبحانه وتعالى : ﴿ لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ

---

(١) آل عمران ١٠٤ .

(٢) آل عمران ١١٣ ، ١١٤ .

(٣) الحج ٤٠ ، ٤١ .

عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعۡتَدُونَ ۝٧٨ كَانُوا۟ لَا يَتَنَاهَوۡنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُۚ لَبِئۡسَ مَا كَانُوا۟ يَفۡعَلُونَ ۝٧٩ ﴾[1].

لهذا كان الأمر والنهي في دين الإسلام واجبًا على كل مسلم قادر ، وهو فرض على الكفاية ، ويصير فرض عين على القادر إذا لم يقم به غيره ؛ لما فيه من المصالح والخيرات والبركات والحماية للأفراد والمجتمعات والقوة للمسلمين والمسلمات .

* * *

(١) المائدة : ٧٨ ، ٧٩ .

المبحث الثالث : أركان الحسبة

تقوم عملية الحسبة على ثلاثة أركان هي :

١ - المحتسب . ٢ - المحتسب عليه . ٣ - ما تجري فيه الحسبة .

وتفصيل ذلك أن عملية الاحتساب أو الحسبة تتم من خلال هذه الأركان وأولها القائم بالعمل ، وهو ما أطلقنا عليه المحتسب الذي يقوم بعملية الحسبة بعد أن توفرت فيه الشروط اللازمة ، والتي سنقف عليها في المبحث الرابع من هذا الفصل . ولا شك أن هذه العملية منظمة ومقننة ، لها أركانها وشروطها ؛ لأنها تؤدي إلى خير وصلاح الفرد والمجتمع ، ولأنها ضرورية لاستمراره وبقائه قويًا متماسكًا خالي من الأمراض والأوبئة الاجتماعية والمخاطر المدمرة التي تؤدي إلى توقف الحياة تمامًا ، وهذا ما نراه في كثير من المجتمعات البشرية بين الحين والآخر .

❋ **فالمحتسب** : هو الركن الأساسي في عملية الاحتساب ، إذا قام بعمله وفق ما بيَّن الإسلام وصل إلى ما يريد شريطة أن يتمثل الحكمة بكل معانيها ، كما ذكر الحق تبارك وتعالى في كتابه العزيز ؛ لأن السلوك الذي يريد تغييره صادر من شخص أو فرد مريض ، إذ لا يصدر سلوك غير حسن من إنسان سليم ، خاصة ذلك السلوك أو تلك السلوكيات التي ينتهك أصحابها الحرمات ويعتدون من خلالها على حقوق الأفراد والجماعات ويعصون الله تعالى فيما أمر ويرتكبون المعاصي والآثام .

فالمحتسب هو ذلك الشخص المؤهل الذي يقوم بالرقابة بتكليف من ولي الأمر على كل ما يضمن سلامة المجتمع ويحمي أفراده وممتلكاتهم وأخلاقهم ومشاعرهم ، وهذه الرقابة تكون على تصرفات الأفراد وأفعالهم كي تكون وفق تعاليم الإسلام .

❋ **أما الركن الثاني** : فهو المحتسب عليه فردًا كان أو جماعة ، صغيرًا كان أم كبيرًا ، ذكرًا كان أم أنثى ، عاقلًا كان أم مجنونًا ، والمحتسب يقوم بمراقبة المحتسب عليه كي تكون تصرفاته وأفعاله وحركاته وفق الشرع الحنيف وأحكامه المباركة ، وهو الركن الثاني المكمل والضروري للركن الأول ، إذ لا احتساب ولا محتسب مع عدم وجود المحتسب عليه ؛ لأنها عملية اجتماعية متكاملة ذات أبعاد ثلاث لا يمكن أن تتم إلا بتوفر هذه الأبعاد الثلاث أو الأركان الثلاث .

وبهذا يتبين لنا ارتباط هذين الركنين ببعضهما وحاجة الواحد منهما وجود الآخر ، حتى تتم وتقوم عملية الاحتساب ، وسيتم التعريف بهذا الركن في المبحث الخامس من هذا الفصل عند الكلام عن أنواع المحتسب عليه .

❋ **أما الركن الثالث** : وهو ما تجري فيه الحسبة فقد تم بيانه في بداية هذا الفصل ، وهو الأمر والنهي ، سواء كان ذلك في حق الله تعالى الخالق الرازق المميت القادر ، أو حق الشخص نفسه ، أو حق الآخرين من القرابة وغيرهم ، أو حق المجتمع كله ، وبمعنى آخر الحقوق العامة والخاصة وحق الله أعظم وأجل ؛ لأن الحقوق الأخرى تنطلق منه ؛ لأنه أصل الحقوق وآكدها .



المبحث الرابع : شروط المحتسب وآدابه

من خلال متابعتي لأقوال العلماء واطلاعي عليها وجدت أنهم اتفقوا على شروط معينة نقف عليها في هذا المبحث ، واختلفوا على ثلاثة شروط ، وما يهمنا الشروط التي يجب توفرها في المحتسب حتى يقوم بعملية الحسبة وهي :

١ – الإسلام .

٢ – الذكورة .

٣ – التكليف .

٤ – العلم بأحكام الدين في الأمر والنهي .

٥ – العفة .

٦ – الحرية .

٧ – الرأي والصرامة والقوة .

٨ – العلم بالمنكرات الظاهرة وأساليب الفساق وطرقهم .

ولتمام الفائدة نقف على كل شرط من هذه الشروط لنفصل بعض الشيء .

○ الشرط الأول : الإسلام :

وحيث إن هذا العمل أو هذه الولاية نصرة للدين لا يجوز أن يتولاها إلا مسلم ؛ لأن الكافر ليس من أهلها لعداوته للدين وجحوده لأصله ، قال تعالى : ﴿ وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا ﴾[1] ، فيجب التنبه لهذا الأمر ؛ لأن المتغيرات تتوالى على المسلمين .

---

(١) النساء : ١٤١ .

○ الشرط الثاني : كون المحتسب رجلًا « الذكورة » :

ولأن الاحتساب ولاية من الولايات لا يجوز أن تلي المرأة حسبة بلد ؛ لأنها لم تتوفر فيها مؤهلات الولاية رحمة بها وشفقة عليها حيث يتطلب هذا الأمر جهدًا ، وهذا ما لا يتوافق مع تكوين المرأة، لذا كان هذا الأمر قاصرًا على الرجال دون النساء، ليس نقصًا فيهن بل رحمة وعناية وتكريمًا ورعاية لهذه المخلوقة التي أنيطت بها مهام أخرى كبيرة توافق طبيعتها .

ورسولنا الكريم عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم يقول فيما صح عنه : « **لن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة** »[1].

○ الشرط الثالث : التكليـف :

لا بد أن يكون القائم بالحِسبة مكلفًا ، لأن غير المكلف لا يمكن أن يتولى أمر المسلمين ؛ لعدم قدرته على ذلك أصلًا ، وبالتالي لا يمكن أن يقوم بأمر كهذا يرتبط بأحوال المسلمين وأعمالهم وبيعهم وشرائهم .

○ الشرط الرابع : العلم بأحكام الشرع في الأمر والنهي :

ومعلوم أن العلم قبل القول والعمل ، والمحتسب لا بد له من العلم الشرعي من مصدريه الكتاب والسنة، وهما اللذان يضبطان حياة المسلم ويوجهانها وفق ما أراد الخالق تبارك وتعالى، وجهل المحتسب بالشرع لا يمكنه من القيام بهذا العمل ، لأن فاقد الشيء لا يعطيه .

○ الشرط الخامس : العفـة :

أن يكون عفيفًا عن أموال الناس ؛ لأن عدم تورع القائم بهذا العمل يضعف من مكانته ويؤثر على قيامه بمهمته ؛ لأن الذين يقدمون الهدايا لرجال الحسبة غالبًا ما يكون الهدف جلب مصلحة لهم ، وفي قبول الهدايا والهبات والعطايا على مختلف أشكالها ومسمياتها وأثمانها خدش لعفة المحتسب ، وربما يؤدي هذا إلى تساهله في القيام بواجبه نحو الحسبة ، وهذا السلوك يؤدي على أحسن الاحتمالات إلى اتهامه بما لا يليق بمقامه كرجل قائم على أمور المجتمع ، من هذا الباب فلا بد له أن يعمل على حماية شخصه من النقد أو اللوم بترفعه عما عند الناس وقناعته بما رزقه الله ، فاليد التي تأخذ لا تضرب كما قيل .

---

(١) صحيح البخاري جـ٩ ص٧٠ .

○ الشرط السادس : الحرية :

وأعني بها أن يكون المحتسب حرًا ، لأن الغير حر وقته لسيده والحسبة تحتاج لوقت وجهد لا تتوفران في غير الحر إضافة إلى توفر عدم الهيبة منه ؛ لعدم حريته .

○ الشرط السابع : أن يكون ذا رأي وصرامة وقوة في الدين :

كما هو معلوم فإن الحسبة تقوم على سرعة الفصل والقوة ، وأعني بها قوة الشخصية ، لأن الشخص الذي تتوفر فيه قوة الشخصية والرأي السديد يجعله هذا في مركز قوي مع توفر العلم والخشية من الله ومراقبته في الدقيقة والجليلة ، يكون مرهوب الجانب يحسب له العصاة ألف حساب ؛ لأن أصحاب النفوس المريضة يحتاجون لمثل هذا ، وكما ورد بأن الله يزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن ، فصاحب الرأي السديد والقول الرشيد والصرامة نافع في مثل هذا العمل .

○ الشرط الثامن : العلم بالمنكرات الظاهرة :

أذكر قولًا لأحد العلماء رحمهم الله تعالى : (أنا لست بالخب ولا الخب يخدعني) ، والخب في القاموس هو الخداع ، والخبث والغش ، وأعتقد أن هذه المقولة لابن سيرين رحمه الله أنا لست بالخب ، ومعرفة المحتسب بحيل وألاعيب الفساق واطلاعه على المنكرات الموجودة في المجتمع ووقوفه على طرق أولئك المارقين يعطيه بعدًا جيدًا في وضع الأمور في نصابها فلا تمر عليه حالة لعدم معرفته بما يدور في مجتمعه وتفوق أهل الضلال في الخداع والتمويه ، الأمر الذي يفسح المجال لهم لنشر المزيد من فسادهم في الأرض لبساطة رجل الحسبة وسذاجته وعدم معرفته بأساليبهم ومكرهم .

هذه الشروط لا بد من توفرها ؛ ليقوم المحتسب بعمله على أكمل وجه وأتمه ، وقد زاد بعض العلماء ثلاثة شروط أخرى لم يتم الاتفاق والإجماع عليها وهي : العدالة ، والاجتهاد ، وإذن الإمام للمحتسب بالقيام بالحسبة .

○ آداب المحتسب :

هناك بعض الآداب التي يجب على المحتسب أن يتحلى بها ، لأنه يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويقيم حدود الله ويجذب الناس ويرغبهم في الخير والإحسان والبر ، وهو من

أخلاق الإسلام وصفاته الحميدة تجعل منه قدوة لغيره من إخوانه المسلمين يمكن بيانها من خلال النقاط التالية :

١ - الإخلاص وابتغاء وجه الله تعالى فيما يقوم به من عمل .

٢ - أن يعمل بما يأمر الناس به أولًا وينتهيَ عما ينهى الناس عنه .

٣ - أن يكون فطنًا بعيد النظر في تقدير الأمور .

٤ - أن يكون صادق الكلمة صبورًا .

٥ - أن يكون حسن الخلق .

٦ - أن يكون مواظبًا على سنن رسول الله  حسن المظهر .

هذه الآداب وما سبقها من شروط تكون لنا الشخصية المثالية في الاحتساب فينفع الله بها البلاد والعباد ، لأن الناس ينظرون إلى حال من يأمرهم وينهاهم ، فإذا كان الحال حسنًا كان القبول ، وإذا كان العكس تسبب في توجيه النقد إلى الإسلام ، والإسلام بريء من نقص الناقصين ، لأنه دين كامل شامل . فعلى دعاة الإسلام الوقوف على هذه الشروط والآداب ، لأن الحسبة طريق من طرق الدعوة إلى الله تعالى لا بد من معرفة جميع ما يتعلق بها .

* * *

المبحث الخامس : المحتسب عليه وأنواعه

من هو المحتسب عليه ؟ في اللغة : المنكر عليه قبيح عمله .

وفي الاصطلاح : من راقب والي الحسبة أفعاله وتصرفاته لصبغها بالصبغة الإسلامية ، أمرًا بالمعروف ونهيًا عن المنكر وفقًا لأحكام الشرع وقواعده .

ويشترط فيه أن يكون إنسانًا ، فلا حسبة على غير الآدمي .

كما لا يشترط فيه التكليف ، فلو شرب الصبي الخمر احتسب عليه ومنع من هذا الفعل القبيح ، وكذلك المجنون لو أراد الزنا منع منه حماية له وللمجتمع ودفعًا للرذيلة من الانتشار بين جنبات المجتمع وتصديًا للمعصية والحرام والمنكرات .

○ أما أنواع المحتسب عليهم فهم :

أرباب الحرف والصنائع ، والتجار ، والزراع ، وعمال الدولة وموظفيها ، وأعيان الناس وأوساطهم وأراذلهم ، والكبير والصغير والعاقل والمجنون ، ومنكرات الأسواق ، والطرقات ، والمعاملات ، والمرافق العامة في المجتمع ، وأهل الذمة .

* * *

المبحث السادس : مجالها والغرض منها

إن المجال الذي تعمل فيه هو المجتمع بجميع مقوّماته وأفراده وجماعاته وتركيباته وعاداته وتقاليده واتصال بعضه بالبعض الآخر أمرًا ونهيًا ، كي يكون مجتمعًا مسلمًا سواء كان ذلك في البر أو البحر أو الجو ، الإنسان في أي مكان كان وتصرفاته وسلوكياته مع نفسه وأهله وإخوانه المسلمين في معاملاته التجارية وأخذه وعطائه وبيعه وشرائه، في مزرعته ومصنعه ووظيفته على مختلف مسمياتها وأنواعها، في أعماله كلها دون تخصيص أو تحديد؛ لتكون وفق أمر الله تعالى ومنهج الإسلام الحنيف. هذه هي مجالات الحسبة باختصار .

○ الغرض منها :

هذا الموضوع يتسع ويضيق ، وحسبي أن أشير إشارات نحو هذا الغرض . فأقول : الحسبة : أمر من أمر الله حث عليه أمة الإسلام حماية لها ورعاية لمصالحها الخاصة والعامة وقوة لها كي لا تفتك بها المعاصي ويؤدي ذلك إلى انتشار الرذيلة والفساد في المجتمع ، فلا يأمن المسلم على نفسه ولا على عرضه ولا على ماله حيث تدب الفوضى وتتعطل أحكام الله تعالى وتحجب حدوده وتنتهك المحارم ، فهي حماية وصيانة للمجتمع المسلم ، وحفظ لحقوق الأفراد والجماعات وإقامة لشرع الله بين عباده وعلى أرضه .

إن جميع مقومات المجتمع محمية ، لأن الجميع يقوم بهذا الأمر « الحسبة » فلا تتاح فرصة للعابثين المفسدين لينفذوا ما أرادوا ويصلوا إلى أطماعهم ، وقبل ذلك كله حقوق الله تعالى التي أوجبها على عباده .

ولا شك أن الشريعة السمحاء جاءت جامعة لكل ما يصلح حياة الإنسان ، فهي جالبة للمصلحة دافعة للمفسدة كفلت له خيري الدنيا والآخرة ، يقول ابن القيم رحمه الله : (الشريعة مباها وأساسها على الحكم ومصالح العباد في المعاش والمعاد ، وهي عدل كلها ،

ورحمة كلها ، ومصالح كلها ، وحكمة كلها ، فكل مسألة خرجت عن العدل إلى الجور وعن الرحمة إلى ضدها ، وعن المصلحة إلى المفسدة وعن الحكمة إلى العبث فليست من الشريعة ، وإن أدخلت فيها بالتأويل ، فالشريعة عدل الله بين عباده ورحمته بين خلقه وظله في أرضه وحكمته الدالة عليه وعلى صدق رسول الله ﷺ)[1].

وتلك الحدود التي أتى بها الشارع والتعزيرات تحتاج إلى من يقوم عليها ويطبقها على مستحقها حتى يكون لوجودها نفع وفائدة ، ولا يظلم ربك أحدًا .

إنه ليس غرضًا واحدًا ولا مجالًا محددًا – إنه الإنسان المسلم وحدته وأخوته وقوته وماله وعرضه وحياته كلها التي حماها الإسلام وجعلها محاطة بسياج كبير قوي لا يصل إليها أحد إلا بحقها .

فالمسلم أخ المسلم يحب له ما يحب لنفسه ، هو مرآة لأخيه إذا حدث اعوجاج أو قصور في سلوكه هب لإنقاذه من عذاب الله وعقابه ؛ لأنه أخوه بهذا الشعور أصبح المجتمع المسلم فريدًا بين المجتمعات البشرية ؛ لأن الذي أرسى قواعد حياته هو الله، حيث يسير وفق نظام سماوي بديع دقيق قوي لا مثيل له توحدت فيه الألسن والألوان والأجناس، الكل يعبد ربًا واحدًا ويتبع رسولًا واحدًا وينقاد لدين واحد هو دين الله الذي ارتضاه لهم. هذه مجالاتها وتلك أغراضها .

إن المجتمعات البشرية اليوم ترى عظمة المجتمع الإسلامي وتماسكه بالرغم من ضعف الالتزام لدى المسلمين إذا قيس وضعهم بسلفهم الصالح فعرفت أن هذا من صلاح وقوة ودقة المنهج الذي يسير وفق أوامره ونواهيه ، فتراهم ينادون بالإصلاح في مجتمعاتهم وإقامة بعض الأنظمة الإسلامية ليحققوا الأمن والسلام لأوطانهم ، وأنى لهم ذلك ونعم الله تتوالى عليهم وهم يكفرون بالرحمن ؟!

إن الحسبة هي وسائل الحراسة الدائمة لهذا الشرع المبارك لإقامة أمر الله على أرضه وبين عباده .

❋ ❋ ❋

---

(١) أعلام الموقعين جـ٣ ص٤ دار الجيل .

الفصل الرابع

أثر اقتران القول بالعمل

والأسوة الحسنة وسيلة من وسائل الدعوة

○ أثر اقتران القول بالعمل ○
والأسوة الحسنة وسيلة من وسائل الدعوة

هذا الموضوع من أهم وأخطر قضايا الدعوة إلى الله تعالى في كل عصر خاصة العصر الذي نعيشه ؛ لأنه القدوة .

أبدأ طرح هذه القضية بمقال بليغ جميل رفيع للصحابي الجليل عبد الله بن عباس رضي الله تعالى عنهما أورده الإمام السيوطي رحمه الله في الدر المنثور في التفسير بالمأثور عند تفسيره لقول الحق تبارك وتعالى في سورة البقرة : ﴿ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ ﴾ يقول السيوطي : (إنه جاء لابن عباس رجل فقال : يا ابن عباس إني اريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر ، قال : أو بلغت ذلك ؟ قال : أرجو ، قال : فإن لم تخش أن تفتضح بثلاثة أحرف في كتاب الله فافعل ، قال : وما هن ؟ قال : قوله عز وجل : ﴿ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ ﴾ أحكمت هذه الآية ؟ قال: لا، قال: فالحرف الثاني؟ قال : قوله تعالى : ﴿ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝ ﴾ أحكمت هذه الآية ؟ قال : لا ، قال : فالحرف الثالث ؟ قال : قول العبد الصالح شعيب : ﴿ وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَآ أَنْهَىٰكُمْ عَنْهُ ﴾ أحكمت هذه الآية ؟ قال : لا ، قال : فابدأ بنفسك »[1].

هذه وصية وتوجيه من صحابي جليل تربى على يدي رسول الحق أشرف الخلق ﷺ قدوة هذه الأمة ومعلمها الخير الذي كان خُلُقه القرآن ، والذي أدبه ربه سبحانه وتعالى ، فكان خاتم النبيين وسيد المرسلين ؛ لأن فقدان الداعي وافتقاره إلى التطبيق لما يدعو إليه من أهم وسائل النجاح له وللدعوة ، وإلا كيف يدعو من يختلف قوله

---

(١) الدر المنثور للإمام السيوطي ، جـ١ ص١٥٨ ، دار الفكر .

عن عمله ؟! .

فالداعية المسلم عندما يتمثل الإسلام في سلوكه كله ويقترن قوله بالعمل يصبح مثلًا يُحْتَذَى به ؛ لأن قيامه بتعليم الناس وتربيتهم والأخذ بأيديهم إلى الخير أمر عظيم وجليل ، فهو وظيفة أنبياء الله ورسله ، فلا بد أن يكون هو البادي ليراه الآخرون ولا يظهر لهم ما يخالف ما يدعو إليه ، وصدق ربنا الجليل العظيم إذ يقول : ﴿ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾[1] .

لقد اهتمت التربية الإسلامية بالقدوة أيما اهتمام ، ويؤكد المربون المسلمون عليها ، وخاصة العلم والعمل والقول والعمل ، إذ لا بد من توفرهما في المعلم « الداعية » حتى يقتدي به الآخرون سواء كانوا صغارًا أم كبارًا ، ولو تتبعنا ما قيل ، وما ورد في هذا المجال لما وسعتنا هذه المساحة التي خصصناها لهذا الموضوع خلال هذا الكتاب .

وقد قال عمرو بن عتبة لمؤدب ولده : « ليكن أول إصلاحك لولدي إصلاحك لنفسك فإن عيونهم معقودة بك » .

وهذا ابن المقفع ينصح من نصب نفسه للناس إمامًا في الدين أن يبدأ بتعليم نفسه وتقويمها في السيرة والرأي واللفظ ، فيكون تعليمه للناس بسيرته أبلغ من تعليمه بلسانه .

والشاعر العربي يقول :

يا أيها الرجل المعلم غيره	هلا لنفسك كان ذا التعليم
تصف الدواء لذي السقام وذي	الضنى كيما يصح به وأنت سقيم
ونراك تصلح بالرشاد عقولنا	أبدًا وأنت من الرشاد عديم
لا تنه عن خلق وتأتي مثله	عار عليك إذا فعلت عظيم
وابدأ بنفسك فانهها عن غيها	فإن انتهت عنه فأنت حكيم
فهناك يقبل إن وعظت ويقتدى	بالقول منك وينفع التعليم

ولما شدد القرآن الكريم على أولئك الذين يقولون ما لا يفعلون إنما أراد من ذلك الخير للقائل والحماية للدين .

---

(١) البقرة : ٤٤ .

فالخير للقائل أن يفيد نفسه أولًا ؛ لأن الذي يدعو إلى أمر من الأمور ولا يفعله أو يقوم به ، فإن في ذلك تناقضًا واضحًا ، فالحريص على مصلحة الآخرين يجب أن يكون أولًا حريصًا على مصلحته ، ومن جانب آخر فإن عدم تقيده شخصيًا بما يدعو إليه فيه تشكيك في القول – لأن صاحبه وقائله لا يتقيد به ، هذه من ناحية ومن ناحية أخرى ربما يكون هذا التصرف سببًا في لمز الدين والتعرض له بالنقد بسبب ذلك الناصح الذي لا يعمل بنصائحه – وبهذا استحق ذلك القائل مقت الله وغضبه لعدم قيامه بما يدعو إليه .

والمتلقي لقول ذلك القائل الناصح ربما يقول : لو كان ما يذكره لنا خيرًا لبدأ هو به – وفي حالات أخرى وعلى قول : رب مبلّغ أوعى من سامع ، أو سامع أوعى من مبلغ ، واستفاد من ذلك القول مع عدم التزام قائله به ، فإن في ذلك تجنيًا على الحقيقة ، إذ كيف يطلب من الناس أمرًا وينسى نفسه وهي مسئوليته الأولى قبل غيره .

ولا شك أن الناصح والداعي غيره إلى الخير سيكون مؤثرًا في المتلقين عنه إذا كان من العاملين القائلين .

وهناك تأثير نفسي وأثر روحي يحسه المتلقي عندما يتلقى من موجه عامل وملتزم بما يقول .

ومما يؤكد ذلك بعد ما وقفنا على النصوص القرآنية الكريمة أن أحد العلماء كان يريد بيان أجر عتق الرقبة ، وكان في شوق إلى بيان هذا الأمر لطلابه والمتلقين عنه إلا أنه لا يملك القدرة على فعل ذلك فأجّل الحديث عنه حتى جمع المال الكافي وأعتق رقبة بالفعل ثم قام يدعو الناس ويذكرهم بما ورد في ذلك من ترغيب وما أعد للمعتق من أجر لعلمه الأكيد وإيمانه العميق أن القول المقرون بالعمل يكون له أثر ويصل إلى قلوب المتلقين فورًا .

إن اقتران القول بالعمل له دوره الإيجابي وأثره الكبير على الداعي والمدعو ، وهو من أعظم وسائل الدعوة ؛ لأنه مثال حي يعكس بجلاء أثر اقتران القول بالعمل ويدفع بالمتلقي إلى القيام بما يوجه إليه من أمور الدين ؛ لأنه يرى التزام الداعية بذلك ، وأثر ذلك الالتزام عليه .

هذه من ناحية ومن ناحية أخرى : رب العزة والجلال يريد من الدعاة إليه أن يكونوا

قدوة لغيرهم بأن يفعلوا ما يقولون للناس افعلوا ، ويدعوهم إلى القيام به ؛ لأن النفس البشرية تتأثر بالعمل أكثر من تأثرها بالقول مع وجود التأثر بالقول وقوته خاصة عند سماع آي الذكر الحكيم بتدبر واستشعار أنه كلام الله العظيم المنزل على رسوله الكريم ﷺ وإحساس الإنسان الصادق بذلك ومعايشته ، قال تعالى: ﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ﴾[1].

يقول الإمام القرطبي في تفسيره لآية سورة الصف : قال النخعي : ثلاث آيات منعتني أن أقص على الناس : ﴿ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ ﴾ ﴿ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ ﴾ ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝ ﴾ وخرج أبو نعيم الحافظ من حديث مالك بن دينار عن ثمامة أن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ : « **أتيت ليلة أسري بي على قوم تقرض شفاههم بمقاريض من نار كلما قرضت وفت، أي : تمت وطالت، قلت : من هؤلاء يا جبريل؟ قال : هؤلاء خطباء أمتك الذين يقولون ولا يفعلون ويقرأون كتاب الله ولا يعملون** » وعن بعض السلف أنه قيل له : حدثنا، فسكت، ثم قيل له : حدثنا، فقال : أترونني أن أقول ما لا أفعل فأستعجل مقت الله ! »[2].

ولا شك أن عدم اقتران القول بالعمل من علامة المنافقين كما ورد في الحديث الذي ذكر فيه ﷺ علامة المنافق وذكر منها : « **إذا حدث كذب** » ، وهو أيضًا باب من أبواب الرياء ؛ لأنه يقول ولا يفعل .

ولا بأس من إيراد بعض الهدى النبوي فيما يرهب من أن يعلم المسلم ولا يعمل ، ويقول ولا يفعل ، حيث ذكر المنذري في الترغيب والترهيب جملة من الأحاديث النبوية أوردها في هذا المقام وأبدؤها بالحديث عن الرياء .

١ - عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **إن أول الناس يقضي يوم القيامة عليه رجل استشهد فأتى به فعرفه نعمه فعرفها ، قال : فما عملت فيها ؟ قال : قاتلت فيك حتى استشهدت ، قال : كذبت ولكنك قاتلت لأن يقال : هو جريء ، فقد قيل ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار ،**

---

(١) الحشر : ٢١ .

(٢) الجامع لأحكام القرآن للإمام القرطبي جـ١٨ ص٨٠ دار الكتاب العربي .

ورجل تعلم العلم وعلمه ، وقرأ القرآن فأتي به فعرفه نعمه ، فعرفها ، قال : فما عملت فيها ؟ قال : تعلمت العلم وعلمته وقرأت فيك القرآن ، قال : كذبت ولكنك تعلمت ليقال عالم وقرأت القرآن ليقال هو قارىء، فقد قيل ، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار ، ورجل وسَّع الله عليه وأعطاه من أصناف المال فأتي به فعرفه نعمه فعرفها ، قال : فما عملت فيها ؟ قال : ما تركت من سبيل تحب أن ينفق فيها إلا أنفقت فيها لك ، قال : كذبت ولكنك فعلت ليقال هو جواد ، فقد قيل ، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار » رواه مسلم والنسائي والترمذي وحسنه .

هذا الحديث يبين خطورة القيام بالعمل لأجل المباهاة والمراءاة ، وهو زجر شديد ووعيد عظيم يجب أن يتنبه له دعاة الإسلام ، لأن البداية تكون في الإخلاص لله رب العالمين حتى يثمر ذلك القول عملًا والتزامًا لا رياء فيه ولا سمعة ، وفي الأحاديث التالية يوضح الصادق الأمين ﷺ بصورة جلية مكان ذلك الذي يقول ولا يعمل وعاقبة أمره حماية لأمته من الوقوع في ذلك ؛ لأنه يغضب الرب سبحانه وتعالى ويجلب سخطه وعقابه .

لقد كان ﷺ يستعيذ بالله دائمًا من علم لا ينفع ، وها هو الحديث .

٢ – عن زيد بن أرقم رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ كان يقول : **« اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع ومن قلب لا يخشع ومن نفس لا تشبع ومن دعوة لا يستجاب لها »** ، رواه مسلم والترمذي والنسائي .

هذا توجيه نبوي كريم للأمة ، فيه يستعيذ عليه الصلاة والسلام من العلم الذي لا ينفع ، حيث يكون سببًا في هلاك صاحبه والعياذ بالله .

٣ – عن أسامة بن زيد رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : **« يجاء بالرجل يوم القيامة فيلقى في النار فتندلق أقتابه فيدور بها كما يدور الحمار برحاه ، فيجتمع أهل النار عليه فيقولون : يا فلان ما شأنك ؟ ألست كنت تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر ؟! فيقول : كنت آمركم بالمعروف ولا آتيه وأنهاكم عن الشر وآتيه »** ، متفق عليه .

٤ – عن الوليد بن عقبة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : **« إن أناسًا من أهل الجنة ينطلقون إلى أناس من أهل النار ، فيقولون : بم دخلتم النار ؟ فوالله ما دخلنا الجنة إلا بما تعلمنا منكم ، فيقولون : إنا كنا نقول ولا نفعل »** ، رواه الطبراني في الكبير .

٥ – عن جندب بن عبد الله الأزدي رضي الله عنه – صاحب النبي ﷺ – عن رسول الله ﷺ قال : « **مثل الذي يعلم الناس الخير وينسى نفسه كمثل السراج يضيء للناس ويحرق نفسه** » رواه الطبراني في الكبير ، وصدق من قال ، وأظنه أبو العتاهية :

يا ذا الذي يقرأ في كتبه	ما أمر الله ولا يعمل
قد بين الرحمن مقت الذي	يأمر بالحق ولا يفعل
من كان لا تشبه أفعاله	أقواله فصمته أجمل
من عذل الناس فنفسي بما	قد قارفت من ذنبها أعذل
إن الذي ينهى ويأتي الذي	عنه نهى في الحكم لا يعدل
وراكب الذنب على جهله	أعذر ممن كان لا يجهل .
لا تخلطن ما يقبل الله من	فعل بقول منك لا يقبل

إن اقتران القول بالعمل عز وشرف لصاحبه ؛ لأنه انتفع بعلمه أولًا ، ثم نفع غيره ، حيث أصبح لهم أسوة بما يرون منه من امتثال والتزام ، والأمة في هذه الحقبة من تاريخها في أمَسِّ الحاجة لهذا السلوك ، فلقد كان لعدم التزام البعض من أفرادها بهذا الهدي أسوأ الأثر على الدعوة الإسلامية حيث عكسوا سلوكًا فيه إضرارًا بالدعوة وأهلها استغله أعداء الإسلام في محاربة هذا الدين .

يا دعاة الإسلام إن هذا الأمر هام جدًّا لا بد من الحذر في الوقوع فيما يخالف أمر الله وهدى رسوله ﷺ في العمل بالعلم والتمسك بما ندعو إليه .

إن أثر اقتران القول بالعمل في دعوة عملية ومثل يمكن أن يحتذى به ، فلا يؤتى الإسلام من جانبكم – اتقوا الله في الدعوة الإسلامية ، كونوا مثلًا وقدوة لمن تدعونهم ، فإن ذلك من أحسن وسائل الدعوة وأقودها وأسرعها .

* * *

الفصـل الخامـس

إقامة المنشآت والمشروعات كوسيلة من وسائل الدعوة

- ○ المبحث الأول : إنشاء المساجد وانتهاز فرص اجتماع المصلين للإرشاد والتوجيه .
- ○ المبحث الثاني : إنشاء المؤسسات الخيرية كالمستشفيات والمدارس لتعليم العلم والمهن .
- ○ المبحث الثالث : مواساة المحتاجين وتأليف قلوب المدعوين .

* * *

○ إقامة المنشآت والمشروعات كوسيلة من وسائل الدعوة ○

إقامة المنشآت والمشروعات كوسيلة من وسائل الدعوة ، هذا الموضوع على درجة كبيرة من الأهمية ، ذلك أن المدعوين في حاجة لتوفير ما يلزمهم للعيش الكريم كمسلمين – وهذه الأعمال في حقيقتها دعم للدعوة الإسلامية ودليل على عناية الإسلام بجميع الجوانب الحياتية لأتباعه ؛ لأنه يريد لهم العزة والرفعة والسيادة في الأرض– وليس من المعقول أن يترك الإسلام أتباعه نهبًا للحاجة والفاقة ، بل اعتنى بتوفير سبل العيش الكريم لهم وحثهم على الضرب في الأرض والعمل الجاد المثمر ليأخذوا وضعهم الطبيعي في هذه الحياة كمعلمين وموجهين للبشرية جمعاء ؛ لأنهم أهل ورجال هذا الدين الذي ارتضاه رب العزة والجلال للناس أجمعين ، فالإسلام يريد من المسلم أن يكون قويًا في عقيدته ، قويًا في عمله ، قويًا في طلب قوته وقوت عياله ، قويًا في رفع راية التوحيد في كل مكان .

إن هذه المشروعات والأعمال – التي سنقف عليها بالتفصيل خلال مباحث هذا الفصل – وسيلة من وسائل الدعوة إلى الله تعالى – إذ ليس من المنطق أن يعتمد المسلم على غيره في توفير ما يلزمه ويلزم أهل بيته – وقيام الجهات المعنية بالدعوة ، فهذا العمل فيه قوة للدعوة وحماية للمسلمين من أن يستغل البعض حاجتهم فيصرفهم عن دينهم ، خاصة وأن العالم يكثر فيه الأمم الغير مسلمة، والتي تقوم دائمًا بالترويج بكل الوسائل لباطلها ، مستغلة قدرتها وسيطرتها على الجوانب الحياتية للإنسان في بلدانها كفرص العمل والإنتاج جميعها– فإذا ما قامت الجهات الدعوية في المجتمع المسلم بالعناية والاهتمام بالجانب الحياتي لمن دخل في الإسلام ، فإنهم سيكونون معرضين لطرق وأساليب أولئك ليصدوهم عن دينهم، فلا بد من إقامة المشاريع التي يكسب منها المسلمون عيشهم ؛ ليكونوا أعزاء في ظل هذا الدين العظيم ، ولا يحتاجون لغيرهم في تيسير أمورهم الحياتية الزراعية منها والصناعية إلى غير ذلك من أعمال تجارية وإدارية حماية لهم وتقوية لجانبهم .

المبحث الأول : إنشاء المساجد وانتهاز فرص اجتماع المصلين للإرشاد والتوجيه

المسجد كمؤسسة دينية علمية تربوية اجتماعية له مكانة عظيمة لدى الإسلام والمسلمين ، كيف لا وقد قال فيه الحق تبارك وتعالى في محكم التنزيل : ﴿ وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا ﴾[1] ، وفي موضع آخر من الكتاب العزيز يقول سبحانه : ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ ﴾[2].

وإقامة مسجد يؤدي فيه المسلمون فريضتهم ويتعلمون أمور دينهم أمر لازم لهذا الدين ، وذلك أن رسول الهدى ﷺ عندما صدع بهذا الأمر وأخذ ينتشر بين أهل مكة اتخذ من دار الأرقم بن أبي الأرقم مسجدًا ، وقد فرضت عليه الصلاة في رحلة الإسراء والمعراج كما هو معلوم، وعندما هاجر إلى المدينة المنورة كان أول عمل قام به إقامة المسجد سواء مسجد قباء في ضاحية للمدينة أو مسجده الشريف عندما دخل هذه البلدة التي شرفها الله ورفع ذكرها من أجل حبيبه ومصطفاه ﷺ فتنورت وتزينت وازدهرت وطابت بمقدمه ﷺ إليها .

○ فالمسجد كمؤسسة دينية :

أعني به أن رب العزة والجلال عندما نسبه إلى نفسه بقوله سبحانه : ﴿ وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ ﴾ أصبح مكانًا مقدسًا معظمًا محترمًا رفيع العماد ، هذا من ناحية ومن ناحية أخرى ، أكد الشارع الحكيم على أن تؤدى الصلوات فيه ، وهو تشريف آخر ودليل آخر على مكانته في الإسلام ، ثم إن رسول الله ﷺ اتخذ المسجد مكانًا لتنطلق منه دعوة الحق

---

(١) الجن : ١٨ .

(٢) البقرة : ١١٤ .

حاملة الخير والسعادة والعزة لهذا الإنسان .

إن إقامة المسجد في الأصل ضرورة يمليها الدين ، لأن الصلوات الخمس التي فرضها الحق تبارك وتعالى على المسلمين مكانها الأصلي المسجد إلا لعذر أو حاجة ، وهذا يعني أن المسجد مرتبط بهذا المكان يوميًّا ، بل في الليل والنهار ولخمس مرات .

وقد فصلت في ذلك في الباب الأول من هذا الكتاب عند الحديث عن أهم ميادين الدعوة ، حيث بينت مكانة المسجد في الإسلام ودورهِ في تبليغ الدعوة فيرجع إليه .

أما قولنا : مؤسسة علمية ، فقد كان المسجد في صدر الإسلام وعصور الازدهار منارة علم ومعرفة يتخرج منه الفقهاء والأدباء وأهل المعرفة والفضل بعد أن مكثوا بين جنباته ، ومع أروقته سنين التحصيل والتلمذة وطلب العلم ليواصلوا المسيرة المباركة ، مسيرة النور والخير والصلاح بتعليم الناس أمور دينهم ودنياهم فهو جامعة للعلوم والمعارف ، حيث يقضي طالب العلم فيه ما شاء الله له أن يقضي من وقت حتى يأخذ « الإجازة » – الإذن بالتدريس من شيخه – بعد أن يلم بأطراف العلم الذي طلبه ، سواء القرآن وعلومه ، أو الحديث الشريف وعلومه ، أو الفقه ، أو اللغة العربية إلى غير ذلك من ألوان وأنواع المعرفة .

وقولنا : مؤسسة تربوية ، حيث العلماء الذين يقتدي بهم يعلمون العلم والأدب معًا ، حيث قام هذا الدين على هذه الأصول العظيمة ودعا إلى الصفات الحميدة ورغب فيها ورفع منزلة من اتصف بها ؛ لأنه دين الفلاح والصلاح والخلق ، حيث المحبة والتسامح والاحترام والعطف والشفقة والرحمة والرفق وكل معاني الحياة السعيدة والأخلاق العالية الرفيعة ؛ لأنه دين جاء لإسعاد هذا الإنسان والمحافظة على هذا الجنس البشري في ظل قيم ومبادىء سماوية من الخالق تبارك وتعالى الذي يعلم ما تخفي الصدور .

تربى فيه صحابة سيدنا رسول الله ﷺ ، ومن أتى بعدهم من التابعين على خلق الإسلام وتربية القرآن ، فكانوا شموعًا مضيئة للدنيا كلها ، حيث كانت أخلاقهم وسلوكياتهم سببًا في دخول كثير من الناس في هذا الدين ؛ لأنهم تعاملوا معهم بما عرفوا وتربوا عليه في ظل هذا الدين العظيم، وما أتى به من تربية مثلى طهرت نفوسهم وسمت بها إلى مراتب عالية حتى أصبحوا كواكب يستضاء بها من شدة ما امتازوا به من كريم الصفات وعظيم الأخلاق .

أما قولنا : مؤسسة اجتماعية فهو المكان الذي يلتقي فيه عباد الله في اليوم والليلة خمس مرات يحس الواحد منهم نحو الآخر بإحساس لا يوصف ، حيث يقفون صفًا واحدًا يدعون إلهًا واحدًا ويقومون بعمل واحد هدفهم مرضاة ربهم ، حيث يتمكن الواحد منهم من متابعة أحوال أخيه سؤالًا ومساعدة ومشاركة وتعاونًا إلى غير ذلك من معاني الأخوة الإسلامية التي أتى بها هذا الدين ، فهو بذلك المكان الذي يلتقي فيه الأخ بأخيه يسأل عنه ويشد عضده به فتتحقق الأخوة وتتجلى في أبهى وأجمل وأصدق صورها – إذا مرض عاده ، وإذا ضعف ساعده ، وإذا احتاج وقف بجانبه – تكافل فريد من نوعه ؛ لأنه من أمر الله تعالى الذي وحد بين هذه الألوان والأجناس فأصبحوا بنعمته إخوانًا .

منهم يتكون المجتمع المسلم الذي قام على التوحيد والطاعة لله ولرسوله ، المجتمع الذي يستمد قوته من مبادئ هذا الدين ويستمد استمراريته من تعاليم الكتاب والسنة ، حيث المسلم أخ المسلم وحيث ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ ، وحيث كل تلك المعاني الرائعة الجميلة التي أتت بها تعاليم الإسلام لإقامه مجتمع قوي متماسك يقوم على قواعد ثابتة وأنظمة مباركة ، كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه ، وبهذا تحققت الأخوة الإسلامية ، وبرزت المعاني الجميلة في هذا المقام ، حيث يتدارس الأخوة أمور حياتهم وفق منهج رباني متكامل في كتاب لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وسنة من الذي لا ينطق عن الهوى ﷺ .

وفي خضم هذه المعطيات المباركة ، وهذه الاجتماعات اليومية المتتالية يكون التوجيه والإرشاد والمتابعة والحماية – حماية هذا الدين بتذكير أتباعه وتوجيههم الى كل ما يمكن أن يؤثر على قيمهم وأخلاقهم ومبادئهم السامية .

إن وظيفة المسجد هذه لا توجد إلا في ظل الإسلام – فكل ما عرفه الإنسان على طول تاريخ حياته من ديانات لم تكن كما هو دور المسجد في الإسلام من حيث التوجيه والتعليم والإرشاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وحماية المجتمع – وهذا الذي جعلنا نقول بأن ما يتم في المسجد من خير إنما هو وسيلة من وسائل الدعوة إلى الله تعالى ، حيث ينتهز الأئمة والعلماء والخطباء تلك الفرص ليبينوا للناس أمر الدين ويوجهوهم لما فيه خيري الدنيا والآخرة ، سواء من خلال الدروس اليومية أو المواعظ وخطب الجمعة أو حلقات العلم وتعليم القرآن والسنة وعلوم الشريعة الأخرى .

المبحث الثاني : إنشاء المؤسسات الخيرية كالمستشفيات والمدارس لتعليم العلم والمهن

الإسلام كدين حياة جاء لسعادة البشرية حيث وفر لها جميع مقومات الحياة السعيدة ، وحفظ لها كل ما يحقق لها تلك الحياة - فلم يترك مجالًا من المجالات المتعلقة بحياة هذا الإنسان إلا وأعطاه حقه من العناية والرعاية ، لقد كان بحق دينًا شموليًا كما وضحت في الباب الأول من هذا الكتاب . اهتم بالعقل كما اهتم بالجسم - اهتم بالعلم كما اهتم بالرزق ، اهتم بالصحة كما اهتم بالبر وجميع أوجهه .

من أجل ذلك كانت فكرة إقامة المؤسسات الخيرية ذات أصل في هذا الدين ؛ لأنه أمر أتباعه بذلك ، فقال سبحانه وتعالى : ﴿ وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ﴾ .

ولا شك أن إنشاء مستشفى يخدم الدين وهو وسيلة من وسائل الدعوة ؛ لأن العلاج في مستشفى تقوم في مجتمع مسلم لها من المواصفات ما لا يتوفر في مثيلاتها من المستشفيات في العالم ؛ لأنها تقوم على مبادئ ثابتة راسخة ، حيث الشافي هو الله ، وحيث الأجر لمن صبر واحتسب لما أصابه ، وحيث الطمأنينة التي لا يعرفها إلا العبد الذي أسلم لله رب العالمين - وفي الوقت نفسه تغلق الباب أمام دعاة الباطل من أن يستغلوا مرض المسلم فينالون من دينه وإيمانه .

حتى الطبيب المسلم يختلف عن ذلك الكافر الذي لا يؤمن إلا بالأسباب المادية ، والذي فقد الجانب الروحي في ذاته فكيف يعطيه لغيره ، أما المسلم فهو طبيب وداعية في نفس الوقت يذكر مريضه بالله ويرشده إلى الالتجاء إليه تعالى والاعتماد عليه - يجد المسلم في المستشفى - تلك المنشأة الخدمية - كل ما يحتاج إليه في عالم العلاج والطب تحت مظلة

الإسلام ، فهو بحق وسيلة من وسائل الدعوة إلى الله ، وهناك جانب هام في الموضوع وهو الزيارة والمواساة من إخوانه المسلمين والذي امتازت به التربية الإسلامية والتوجيهات الدينية عن غيرها من الفلسفات البشرية المنتشرة في كل صقع من أصقاع الدنيا .

إن المسلم عندما يجد الخدمات الطبية متوفرة لديه لا يحتاج إلى تلك التي يسيطر عليها أعداء الله ، والتي يقيمونها في كل مكان وهي مصيدة من مصائدهم لن تفلح إذا كان هناك توجه قوي من المسلمين في إنشاء مثل هذه الخدمات والتوسع فيها سواء في البلاد الإسلامية أو البلاد التي توجد فيها أقليات إسلامية .

إن الإنسان بطبيعته محتاج لمثل هذه الخدمة ؛ لأنه معرض للمرض ، وإقامة هذه الخدمات حتى تصبح في متناول الجميع فيه خير ودعوة وحماية في نفس الوقت للمسلمين .

أما المدارس ودور العلم على مختلف تخصصاتها ، فإنها من الضروريات في حياة الإنسان خاصة الإنسان المسلم ؛ لأن الإسلام دين العلم والمعرفة جعل العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة « طلبه » ، ورفع مكانه وأعلى شأنه ومدح أهله حتى أصبحوا ورثة للأنبياء « **العلماء ورثة الأنبياء** » .

وتزويد المسلم بالعلم النافع قوة له وللإسلام ، وهذا يتطلب العناية بدور العلم : إقامة ورعاية ومتابعة ودعمًا وتشجيعًا ، فهي الأمة التي تعلمت عندها بقية الأمم التي أصبح لها مكانًا الآن في هذا المجال .

وإقامة المدارس وسيلة من وسائل الدعوة ، حيث تحمي عقول الطلاب من الأفكار المنحرفة وتزودهم بالمعارف النافعة والعلوم الطيبة المفيدة ، هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى يعد موضوع التعليم المهني في مقدمة اهتمامات الدين ، حيث رفع شأن المسلم العامل الذي يعمل لتوفير قوته ومن يعول ، واليد العليا خير من اليد السفلى ، والعناية بهذا الفرع لا شك أن فيه الخير الكثير ، حيث يتم إعداد الشباب للعمل المهني ليستفيدوا ويفيدوا ، فالمجتمع البشري في حاجة للمهن والصناعات ، وتوفير المدارس المتخصصة بتعليم الصناعات والمهن فيه قوة للمسلمين ووسيلة من وسائل الدعوة النافعة ، حيث يتم للشاب فيها الإعداد الجيد ليخرج منها ، وقد تزود بما ينفعه في معاشه ، فهو يتعلم المهن ويتعلم في نفس الوقت الدين ويعد ، ليكون مهنيًا صادقًا أمينًا يسعى للارتقاء بهذا العلم إلى درجة الابتكار

والإبداع ؛ كي لا يكون في حاجة إلى غير المسلمين في هذا المجال ، وبذلك يتوفر للجماعة المسلمة الاعتماد الذاتي في هذا المجال ، وفي نفس الوقت تتوفر للشباب المسلم فرص العمل الشريف من خلال انخراط المتعلمين في مجال العمل الذي تعلموه ، وهذا فيه قوة للإسلام وللمسلمين .



المبحث الثالث : مواساة المحتاجين وتأليف قلوب المدعوين

ومن وسائل الدعوة إلى الله تعالى تحسس أحوال الناس لمساعدتهم في أمور معاشهم وتقديم ما يلزمهم ، انطلاقًا من المسئولية التي أناطها الإسلام بعنق كل مسلم نحو أخيه المسلم – فالمحتاج يبحث دائمًا عن من يساعده حسب نوع حاجته ، فإذا وجد المساعد مال إليه وتقرب منه وارتاح إليه – وهذا معلوم بطبيعة تكوين هذا الإنسان – لهذا أكدت تعاليم الإسلام على ضرورة التعاون بين المسلمين ، وقضاء حوائج المحتاجين والتيسير على المعسرين، وإغاثة الملهوفين، ومواساة المنكوبين، والسعي على الأرامل والمساكين، والتلطف بالسائلين ، وكفالة الأيتام والمشردين ، ورعاية المرضى والمعوزين .

إن الإنسان المحتاج يشعر نحو من يقدم له العون بشعور خاص ؛ لذا كانت عملية المواساة والمساعدة وسيلة من وسائل الدعوة والجذب لهذا الدين ، فالنفس البشرية تميل إلى من أحسن إليها ؛ لذا لا بد أن توظف هذه الحالة إلى الدعوة إلى الله تعالى أحسن توظيف ، فنبحث عن المحتاجين ، ونفتش عن المعوزين ؛ لنمد لهم يد العون والمساعدة ، ونرغبهم في الدين .

أما الذين هم من أتباع الدين فإن هذا يكون تثبيتًا لهم وتأليفًا لقلوبهم ، فقد فرض الحق تبارك وتعالى فيما فرض من أمر الزكاة وقضى جل وعلا أن يدفع لهم منها ، فقال سبحانه وتعالى في محكم التنزيل : ﴿ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ ... ﴾ الآية .

لهذا لا بد من وضع الخطط اللازمة والبرامج الفعالة ؛ لممارسة هذا العمل على نطاق واسع

من خلال مؤسسة أو مجموعة من المؤسسات الدعوية لتوظيف هذا الجانب في مجال الدعوة إلى الله تعالى .

لقد ذكرت سابقًا بأن تأليف قلوب المدعوين من الأمور الهامة والحيوية ؛ لفتح آفاق جديدة للدعوة إلى الله في مختلف المجتمعات الإنسانية ، وذلك من خلال تقديم المال والعون الآخر ، كالأطعمة والأشربة والملابس والأدوات اللازمة للقيام بالأعمال المهنية حتى يشعر المدعو أن دخوله في الإسلام فيه خيري الدنيا والآخرة ، ويدرك أن هذا الدين يهتم بأتباعه بشكل كامل ، وهذا يجعله يتمسك به .

ولا شك أن الحديث في هذا الجانب واسع جدًّا ، والذي أود بيانه أن هذا العمل وسيلة من وسائل الدعوة إلى الله خاصة في المجتمعات الفقيرة ، وما أكثرها اليوم في عالمنا المعاصر خاصة تلك البلاد التي تتمتع بكثافة سكانية عالية .

* * *

الفصل السادس

الخطابة

- المبحث الأول : تعريفها وأركانها .
- المبحث الثاني : أنواعها ومقوماتها وأصولها .
- المبحث الثالث : هدي النبي ﷺ في خطبه .
- المبحث الرابع : كيفية إعداد الخطبة .
- المبحث الخامس : ما ينبغي أن يتوفر فيها .
- المبحث السادس : طريقة إلقائها .

○ الخطابة ○

الحديث عن الخطابة يدعو للحديث عن الخطيب ، وهناك تساؤل حول الموضوع . هل الخطابة ضرورية ؟ وإذا كانت فنًّا أدبيًّا فهل يقصد بها الفن لنفسه ؟ أم المقصود منها ما يتحقق من نفع وخير ؟

ومن خلال معالجة هذا الموضوع سيتبين لنا دور هذه الوسيلة من وسائل الدعوة في نجاح عملية الاتصال المراد منها إبلاغ دين الله وهداية الناس وتعليمهم أمر الدين والحث على التمسك به تحقيقًا للعبودية .

وقبل معالجة الموضوع من خلال المباحث المحددة لا بد من إعطاء تصور عن الخطابة لدى القدماء والعرب قبل الإسلام وبعده .

يقول الدكتور محمد عبد الغني حسن في حديثه عن فنون الأدب العربي - والذي تضمن كتابًا من الحجم الصغير بعنوان الخطب والمواعظ - : (لقد اتخذ السوفسطائيون الخطابة قبل تقنين الفلسفة وسيلة إلى نشر المعارف النسبية ؛ لأن المعارف والحقائق العلمية الثابتة لا وجود لها في عالم متغير كل لحظة ، ومن هنا نادوا بمبدأ المنفعة لا مبدأ الحقيقة ما دامت - هذه الأخيرة - مطلبًا يدنو من المحال ، ومن هنا اعتمدوا على الخطابة والمقدرة الكلامية والقوة البيانية أكثر من اعتمادهم على الدليل والمنطق والبرهنة ، فكل كلام مزوق عندهم وكل عبارات منمقة في رأيهم هي الطريق لكسب المنفعة ، أما البحث وراء حقائق الأشياء فعبث باطل ووقت ضائع ما دامت لا توجد هناك ثابتة .

وعلى هذا الأساس انتشر خطباء السوفسطائيين في بلاد اليونان ينشرون فيها هذه الآراء الخطيرة ويخطبون في الشباب خطبًا كان لا بد لها من زمام يكبح جماحها ، ولقد ظهر هذا الزمام فيما تناول به سقراط وأفلاطون وأرسطو موضوع الخطابة بما يغير ذلك النظر القديم للأشياء ، وبما يصد من تيار السفسطة الجارف الذي كاد يودي بكثير من القيم

وقواعد الأخلاق .

ولقد كانت الخطابة عند السوفسطائيين عملية تجريبية فلم يلجئوا فيها إلى النظريات والتعريفات والرسوم والحدود والتقسيمات ، بل تناولوها بالعمل وملئوا بها محافل اليونان ، وغزوا بها الجماهير ، إلى أن جاء الثلاثة الفلاسفة الكبار فنقلوها من ميدان العملية إلى ساحة النظرية ، فتحدث عنها سقراط ووضع حدودًا لتربيتها ورسم خطة لهيكلها وأقامها على الجدل ، وبناها على التركيب والتحليل النفسيين ، وشاكل بين طبقات الرجال وبين الخطب التي تناسب كل طبقة ، وفرض على الخطيب أن يدرس الفروق النفسية ، بل يدرس نفسه ليعرف كيف يتخير الكلام المناسب في اللحظة المناسبة ، وكيف يجب عليه أن يسكت حين يدعوه المقام إلى السكوت ، وكيف يجب أن ينفعل حين يقتضي الموقف الانفعال .

ولقد كتب أفلاطون في الخطابة فجعلها من كمالات النفس ، وإن كان الكمال عنده ظاهريًا غير حقيقي ولا ضروري ؛ لأن الكمال النفسي الحقيقي عنده هو كمال طريقة السياسة ، فإذا أعوزت السياسة امرءًا لجأ إلى البلاغة والبيان الممثلين في الخطابة ليكمل بها نفسه .

ثم جاء أرسطو فكتب في الخطابة كتابًا يعد أوسع دستور لها في القديم ، فلم يكتف بخطرات سقراط ولا باللمع البيانية عند أفلاطون ، ولكنه وضع من القواعد والأصول العامة للخطابة ما يعد به فارس هذه الحلبة .

وإذا صح ما رواه الجاحظ من أن أرسطو كان بكيء اللسان غير موصوف بالبيان مع علمه بتمييز الكلام وتفصيله ومعانيه وخصائصه ، وما ذكره مولتندورف من افتراضه ضعف المقدرة الخطابية عنده ، فإن ذلك لا يزيدنا على غرابته إلا إيمانًا بأن الفن شيء ووضع القواعد والأصول له شيء آخر ، فقد وضع الخليل بن أحمد الفراهيدي علم العروض ، ولكنه كان أبعد ما يكون عن الشاعر بالمعنى الفني للكلمة .

وإذا كانت الخطابة قد اتجهت عند السوفسطائيين إلى كسب المنفعة فإنها كانت عند أفلاطون وسيلة لتقرير الأخلاق وغرس أصولها في النفوس ، ولهذا لم يجعل عمادها قوة

العارضة وقوة اللدد وقدرة البيان فحسب ، بل جعل دعامتها قوة الفضائل النفسية التي تهدف إلى السعادة والخير .

وعلى الرغم من أن أرسطو حاول أن يفصل بين الخطابة والخلق ليجعل من الأولى مجالًا مستقلًا للإصلاح ، فإنه يجعل الخطب الاستشارية ميدانًا للنصح والتحذير وصولًا بالناس إلى السعادة وإلى الحياة الهادئة الآمنة ، وواجب الخطيب عنده هنا أن يعرف السعادة ومصادرها ومظاهرها ومقوماتها ومنغصاتها حتى يستطيع أن يقنع سامعيه ، وأن يستميلهم إلى ما يريد .

والآن نسأل : هل نظر العرب إلى الخطابة هذه النظرة النظرية ؟ وهل تكلموا في ضرورتها وفنيتها ومنفعتها نظرًا قبل أن يمارسوها على المنابر عملًا ؟

لقد كان العرب في الجاهلية خطباء بالفطرة أبيناء بالطبع ، فما هي إلا أن يقوم داع من الدواعي للخطابة فيلبوه ، كالمفخرة والوفود وإصلاح ذات البين والوصايا والزواج ، فالخطابة عندهم كانت ضرورة من ضرورات مجتمعهم .

ولما جاء الإسلام سارت الخطابة في ركاب الدعوة الجديدة تخدم أغراضها ، وتنادي الناس إلى الدخول فيها ، فلما اصطرع المسلمون ذلك الصراع العنيف في بعض الخلافات التي حدثت اتخذت الخطابة عدة في ذلك الصراع إلا أنه بجانب ذلك كانت خطب الجُمَع ترن في آذان الجماعة الإسلامية مرة كل أسبوع ، ففي كل مسجد خطبة ، وعلى كل منبر خطيب ، والجماهير تهوي هويًا إلى هذه المنابر التي كانت ولا تزال خطبة الجمعة فيها قبل الصلاة حتى لا يجد المصلون سبيًا إلى التسلل أو التخلص من سماعها لأي سبب من الأسباب .

ومن هنا كان تقدير الإسلام للخطابة الدينية تقديرًا مبنيًا على الوجوب . وربأ الإسلام بخطبة الجمعة أن تكون وعظًا معادًا مكرورًا ونغمة رتيبة فجعلها تدور حول ما يهم الجماعة الإسلامية ويشغل بالها من الأمور المستحدثة والمسائل الجارية والقضايا التي تتصل بمصالحهم ، ولهذا كانت خطب الخلفاء الراشدين ومن بعدهم من خطباء الأمويين والعباسيين ميدانًا لمعالجة القضايا الإسلامية القائمة .

وقد جرت خطب صدر الإسلام والعصر الأموي على مجرى من البلاغة والبيان وقوة

العبارة ومتانة السبك والدلالة على المعنى مجرى لم يرجعوا فيه إلى قاعدة مكتوبة أو قانون بياني مرسوم ، فهم يعرفون مواقع القول ومرامي الكلام وإصابة السهام على هدي من فطرهم ، وكان لأسلوب القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف أثر كبير حاكوه وجروا على مثاله .

وأول من التفت إلى الخطابة العربية فكتب عنها ووصف مقوماتها وذكر بزّة الخطباء ولبستهم ووقفتهم واستعمالهم المخاصر والعصي للاتكاء عليها وعيوبهم الخلقية والبيانية ومواقفهم وصفات الإجادة فيهم وشروط البلاغة عندهم وتقاسيم الخطب بداية وختامًا وإيجازًا وتطويلًا واستشهادًا بالقرآن الكريم وتمثلًا بالشعر وغير ذلك من عشرات المسائل هو أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ في كتابه البيان والتبيين ، وهو أول كتاب يعالج الخطابة في الأدب العربي ، جاء بعده بقرابة نصف قرن من الزمان ناقد بياني تكلم عن الخطابة في فصل من فصول كتابه المسمى « نقد النثر » ، والحق أن قدامة بن جعفر صاحب هذا الكتاب لم يأت بجديد فيما كتبه عن الخطابة وأغلب الظن أنه لم يستفد من كتاب أرسطو الذي كان قد ترجم قبل ذلك بزمن غير قصير .

ومر على الأدب العربي زمن طويل لم تعالج فيه الخطابة معالجة موضوعية ولم يهتم أحد بكتاب « الخطابة » الذي لخصه وترجمه فيلسوفان : أحدهما من أهل المشرق ، وهو ابن سينا ، والآخر من أهل المغرب وهو ابن رشد ، ولم نظفر في خلال ألف عام إلا بكتاب يجمع خطب « ابن نباتة الفارقي » من خطباء القرن الرابع الهجري ، وقد قصد منه أن يجعله نماذج عملية للفن الخطابي ، وإن كان لم يحدثنا عن أدواتها أو على الأقل عن عيوبها كما فعل أصحاب « البيان والتبيين » « ونقد النثر » ، « والعقد الفريد » من قبله .

وجاء القرن العشرون الميلادي فاتجهت الأنظار إلى الكتابة في الفن الخطابي بما يلائم التطور الأدبي الذي بلغته الآداب العربية في عصرنا هذا)[1].

هذه وقفة تاريخية بين يدي هذا الموضوع الهام في هذا الكتاب ، وفي هذا الباب منه بالذات كان الهدف منها تعريف القارئ بالبعد التاريخي للخطابة .

---

(١) الخطب والمواعظ لمحمد عبد الغني حسن ، دار المعارف ط٤ ص٧ وما بعدها .

المبحث الأول : تعريفها وأركانها

❋ **الخطابة لغة** : يقول صاحب القاموس : وخطب الخاطب على المنبر خطابة بالفتح وخطبة بالضم ، وذلك الكلام خطبة أيضًا[(١)].

أما ابن منظور في لسان العرب فقال : الخطاب والمخاطبة : مراجعة الكلام ، وقد خاطبه بالكلام مخاطبة وخطابًا وهما يتخاطبان وخطب الخاطب على المنبر[(٢)].

أما المعجم الوجيز فقد عرفها : الخطبة : من الكلام المنثور يخاطب به متكلم فصيح جمعًا من الناس لإقناعهم[(٣)].

❋ **الخطابة في الاصطلاح** : يقول الشريف علي الجرجاني في كتابه التعريفات : الخطابة : قياس مركب من مقدمات مقبولة أو مظنونة من شخص معتقد فيه ، والغرض منها ترغيب الناس فيما ينفعهم من أمور معاشهم ومعادهم ، كما يفعله الخطباء والوعاظ[(٤)].

وعرفت أيضًا : بأنها فن مخاطبة الجماهير للتأثير عليهم واستمالتهم .

وهذا يجعلنا نذكر عناية الإسلام بالخطابة ، حيث احتلت موقعًا جيدًا ، وذلك لأن هذه الرسالة الخالدة مبناها على وحي يوحى ، وقرآن يتلى - المعجزة الكبرى - حيث تحدى العرب أهل الفصاحة والبلاغة والبيان ، حيث وقفوا مبهورين به عاجزين عن محاكاته أو الإتيان بمثله ، فتراجع أئمة البيان منهم أمام هذا النور ، وكانت الآيات المباركات تحكي

---

(١) القاموس المحيط جـ١ ص٦٥ للفيروزأبادي .

(٢) لسان العرب لابن منظور جـ١ ص٣٦١ .

(٣) المعجم الوجيز مجمع اللغة العربية ص٢٠٢ المركز العربي للثقافة .

(٤) التعريفات للشريف الجرجاني ص٩٩ .

قصة نبي الله موسى وطلبه أن يسانده هارون كما في سورة القصص : قال تعالى : ﴿ وَأَخِي هَٰرُونُ هُوَ أَفۡصَحُ مِنِّي لِسَانٗا فَأَرۡسِلۡهُ مَعِيَ رِدۡءٗا يُصَدِّقُنِيٓۖ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿٣٤﴾ ﴾ القصص : ٣٤ ، كما ذكر الكتاب العزيز أن الرسل إنما يرسلون بلسان أقوامهم ليبينوا لهم أمر الدين الذي أراده رب العالمين من عباده ، وهذا البيان إنما هو باللسان ، حيث الإقناع والتوضيح لتتم الاستجابة بعد بيان وإثبات الحجة وإقامة الدليل ، ويأتي بعد الكتاب العزيز السنة المطهرة التي اعتنت بهذا النوع من الأدب « الخطابة » حيث خطب الهادي البشير والسراج المنير ﷺ ، وبالعودة إلى رسول الله موسى عليه السلام ، وطلبه من ربه جل وعلا أن يعاونه هارون نجد أن السبب هو فصاحة هارون التي رشحته بإذن الله لشد عضد أخيه ، ولو رجعنا للسيرة النبوية لوجدنا مكانة الخطابة بارزة في حياة المجتمع المحمدي ، ولعل قصة وفد بني تميم أكبر دليل على ذلك – الذين جاءوا للمفاخرة بالخطابة والشعر حيث كان شاعرهم وخطيبهم – وما كان من سيدنا رسول الله ﷺ حيث أمر قيس بن شماس خطيبه رضي الله عنه وحسان بن ثابت شاعره فكانت لهما الغلبة ، حيث قام ابن شماس وقال : (الحمد لله أحمده وأستعينه وأؤمن به وأتوكل عليه ، وأشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ، دعا المهاجرين من بني عمه أحسن الناس وجوهًا وأعظمهم أحلامًا فأجابوه ، والحمد لله الذي جعلنا أنصار دينه ووزراء رسوله وعزًّا لدينه فنحن نقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله ، فمن قالها منع نفسه وماله ، ومن أباها قتلناه وكان رغمه علينا هينًا ، أقول قولي هذا وأستغفر الله للمؤمنين والمؤمنات) فقال الأقرع بن حابس رئيس الوفد : والله ما أدري ما هذا الأمر تكلم خطيبنا ، فكان خطيبهم أحسن قولًا ، ولم يتمالك نفسه حتى أعلن الشهادة ودخل في الإسلام رضي الله عنه ، وفي موضع من هذا الفصل نقف وقفة أخرى مع عناية الإسلام بالخطابة ، إن شاء الله تعالى .

○ أركانها :

إذا عدنا إلى تعريف الخطابة نستطيع أن نوضح أركانها التي تعتمد عليها وهي :

١ – فن : ونقصد به الملكة والمعرفة والمران والخبرة .

٢ – مخاطبة : ونقصد بها المشافهة والمواجهة .

٣ – خطيب : وهو القائم بالمخاطبة ويخرج بذلك الملقى القارئ من كتاب والمقرئ.

٤ – جمهور : أي : جمع من الناس .

٥ – تأثير : ما يحدث للمتلقين من إثارة العواطف وتنبيه المشاعر .

وهذه الأركان الخمسة مرتبطة ببعضها لا يمكن أن تكون خطبة ناجحة بفقدان واحد منها .

والخطابة كوسيلة من وسائل الدعوة هي في حقيقتها عملية اتصال عرفت منذ القدم ، وقد بينا ذلك في بداية هذا الفصل حظيت باهتمام كبير من أمة الإسلام بداية من عهد رسول الله ﷺ حتى الآن ، وما يزال هذا الاهتمام باقيًا ما بقي الليل والنهار ، حيث بعض الصلوات في الإسلام كالجمعة والعيدين والاستسقاء إلى غير ذلك مما هو معلوم لدى دعاة الإسلام .

والخطابة عملية حيوية ترتكز على هذه الأركان أعطاها الإسلام هذه المكانة ، فأصبحت لازمة لكل داعية على وجه الخصوص ، وبهذا يلزم دعاة الإسلام معرفة هذا الفن من فنون الأدب العربي ، والذي تبوأ هذه المكانة حيث اعتمد اعتمادًا كليًا على التعبير القرآني الذي يزخر بأصدق وأجمل وأدق وأبلغ المعاني فتزينت الخطبة بالآيات المباركات والألفاظ التي أتت في هذا الكتاب العزيز التي تحدت العرب مع فصاحتهم وبلاغتهم أن يأتوا بمثلها ، وكيف يكون لهم ذلك وهو كلام رب العالمين سبحانه وتعالى .

والمتأمل في أركان الخطابة الخمسة يجد أنها جوانب هامة وضرورية كي تكون عملية التخاطب نافعة وناجحة ومؤدية للغرض وقائمة بعملية الاتصال الصحيحة .

فالفن والخبرة يبعد عن عملية الخطابة التهريج والكلام المبتذل .

والمخاطبة تبعد الترديد أو التلاوة .

والجمهور : أي : وجوده كركن للخطابة يبعد الكلام على شكل الحديث أو الوصية .

والخطيب يبعد الإلقاء الذي قد يكون بالنيابة عن غيره .

والتأثير يبعد عدم التأثير وإضاعة الكلام بلا فائدة .

وهذا يوضح لنا بجلاء أن كل عنصر من هذه العناصر أو الأركان لازم ، لتكون العملية الخطابية مكتملة العناصر والأركان مؤدية للغرض المراد منها .

ولقد رصع سيد البلغاء والخطباء شفيع الأمة وخاتم الأنبياء ﷺ هذا الفن من فنون الأدب العربي بذلك البيان من ما نطق به ﷺ خلال حياته العامرة بالنور والهداية والخير

والصلاح والمحبة والدعوة إلى الله تعالى فازدانت الخطابة بخطب الهادي البشير والسراج المنير ﷺ ، ولبست أحلى وأجمل حللها ، فكانت في أبهى صورها منذ أن عرفها الإنسان حتى مطلع النور ، ومبدأ الرسالة المحمدية ، والتي كانت فتحًا ونصرًا وعزًّا لعملية الخطابة ، حيث وظفت للخير والفلاح ، يزينها ذكر الله وتجملها آيات الكتاب العظيم ويجعلها رطبة ندية لفظ أو ألفاظ سيد المرسلين ﷺ سيد الخطباء إمام البلغاء ﷺ .

***

المبحث الثاني : أنواعها ومقوماتها وأصولها

الخطبة والخطابة كعملية اتصال تنوعت وتعددت أغراضها سواء عند العرب أو غيرهم من الأمم في هذا العصر أو ما سبقه من العصور .

يقول الأديب الأستاذ محمد عبد الغني حسن عند حديثه عن أنواع الخطب : (ولا يعنينا هنا أن نناقش هذا التقسيم الذي لا يقدم ولا يؤخر في قضية الخطابة نفسها ، فنحن الآن أمام أنواع من الخطب نجمت بحسب حالات كل قوم وظروف معايشهم وطرق تقاضيهم في المخاصمات ووسائل تفاخرهم بالأحساب والفضائل وأسباب أخذهم بالنصيحة سواء أكان ذلك عن طريق الدين أم عن طريق العادة الاجتماعية ، وللعرف في تحديد أنواع الخطابة دخل كبير)[1].

وأما أنواع الخطب فيمكن الأخذ بتقسيم صاحب كتاب الخطب والمواعظ ، وهي على النحو التالي :

١ – خطب الدين والوعظ .
٢ – خطب الوفود .
٣ – خطب المنافرة .
٤ – خطب الزواج .
٥ – خطب الفتوح .
٦ – خطب المناظرة .
٧ – خطب الاستخلاف والولاية .

(١) الخطب والمواعظ لمحمد عبد الغني حسن ص٥٥ ، دار المعارف ، حيث تم الاقتباس من أكثر من فصل من الكتاب .

٨ – خطب الحرب والتحضيض .
٩ – خطب المدافعة والاتهام .
١٠ – خطب السياسة « الخطب السياسية » .
١١ – خطب الرثاء والعزاء .
١٢ – خطب التكريم والمديح والتهنئة .
١٣ – الخطب العلمية .
١٤ – الخطب الاجتماعية .

وسنقف على كل نوع من هذه الأنواع بشكل مختصر .

١ – خطب الدين والوعظ :

وهذا يجعلنا نستعرض الأديان الأخرى قبل الإسلام والعقائد التي كانت منتشرة ، سواء ما كان منها سماوي من عند الله تعالى ، أو من نتاج البشر ، حيث نجد أن لكل جماعة أو مجتمع متكلم يرشد ويبين الصواب ويوضح طرق الخير ، ويسعى من خلال خطبه إلى بث الأخلاق الحسنة أو ما تدعو إليه الأديان السماوية التي جاءت لهداية الناس وإرشادهم إلى طريق الحق .

وإذا وقفنا عند أي دين من الديانات السابقة – حتى الإسلام – نجد الخطباء الذين يقومون بدعوة الناس إلى الخير وإلى الحق .

ولو نظرنا في الآداب الإنسانية لدى العرب وغيرهم نجد أن أدب كل أمة يحفل بعدد من الخطباء سواء في اليهودية أو النصرانية عرفتهم منابر اليهودية والمسيحية ، كما أن هذا موجود في العصر الجاهلي ، فهذا قس بن ساعدة الإيادي والمأمون الحارثي الذي يقول : (ارعوني أسماعكم وأصغوا إلي قلوبكم ، يبلغ الوعظ منكم حيث أريد طمح بالأهواء الأشر ، وران على القلوب الكدر ، وطخطخ الجهل النظر ، إن فيما ترى لمعتبرًا لمن اعتبر ، أرض موضوعة ، وسماء مرفوعة ، وشمس تطلع وتغرب ، ونجوم تسري فتغرب ، وقمر

تطلعه النحور ، وتمحقه أدبار الشهور ، وعاجز مثر ، وحول مكد ، وشاب مختصر ، ويفن قد غبر ، وراحلون لا يؤوبون ، وموقوفون لا يفرطون ، ومطر يرسل بقدر فيحيي البشر ويورق الشجر ويطلع الثمر وينبت الزهر ، وماء يتفجر من الصخر الأبر فيصدع المدد عن أفنان الخضر فيحيي الأنام ويشبع السوام وينمي الأنعام ، إن في ذلك لأوضح الدلائل على المدبر المقدر ، البارىء المصور ، يا أيها العقول النافرة والقلوب الثائرة ، أني تؤفكون ؟ وعن أي سبيل تعمهون ؟ وفي أي حيرة تهيمون ؟ وإلى أي غاية توفضون ؟ لو كشفت الأغطية عن القلوب وتجلت الغشاوة عن العيون لصرح الشك عن اليقين وأفاق من نشوة الجهالة من استولت عليه الضلالة)[1].

ويطلع الفجر ويتبدد الظلام ، وتشرق الأرض بنور الهداية والخير والفلاح ، ويصدع الرسول الأمين بأمر ربه ، وتدوي خطبه المباركة بين جنبات مكة تحمل الهداية فتنفتح لها القلوب وتسيل لها الدموع ويدخل الناس في دين الله أفرادًا وجماعات ، وتظهر الخطب الدينية الداعية للخير والصلاح وتتواصل هذه العطاءات المباركة من خلال الخطب النبوية والصحابة من بعده ، وهو ما سيكون له وقفة في هذا الفصل مستقلة إن شاء الله ، فالخطب الدينية تهدف إلى تعليم الناس وإرشادهم إلى ما يراد منهم باستخدام العبارات المرققة للقلوب المؤثرة في النفوس كي تسمع وتطيع وتلبي نداء خالقها ومولاها جل وعلا .

وهذا نموذج من خطب سيد البلغاء وإمام البيان ﷺ يقول فيها : « *أيها الناس ! كأن الموت فيها على غيرنا قد كتب ، وكأن الحق فيها على غيرنا قد وجب ، وكأن الذي نشيع من الأموات سفر ، عما قليل إلينا راجعون نبوئهم أجداثهم ، ونأكل من تراثهم كأنا مخلفون بعدهم ، ونسينا كل واعظة وأمنا كل جائحة ، طوبى لمن زكت وحسنت خليقته ، وطابت سريرته ، وعزل عن الناس شره ، طوبى لمن أنفق الفضل من ماله ، وأمسك الفضل من قوله ، ووسعته السنّة ، ولم تستهوه البدعة* » . والمزيد من هذه النماذج المباركة في المبحث الثالث .

ومعلوم أن أكثر الخطب الدينية تقال في أيام الجمع والأعياد .

وكاتب وحي رسول الله ﷺ مؤسس الدولة الأموية الصحابي معاوية بن أبي سفيان له خطبة ألقاها في دمشق قال فيها : (أيها الناس ! سافروا بأبصاركم في كر الجديدين ثم

---

(١) طحطح : أظلم ، حول : شديد الاحتيال على الأمر ، مختصر : يموت صغير السن ، اليفن : الشيخ الكبير ، الأبر : الصلب ، توفضون : تسرعون .

ارجعوها كليلة عن بلوغ الأمل فإن الماضي عظة للباقي ، ولا تجعلوا الغرور سبيل العجز عن الجد ، فتنقطع حجتكم في موقف الله سائلكم فيه ومحاسبكم فيما أسلفتم ، أيها الناس ! أمس شاهد فاحذروه ، واليوم مؤدب فاعرفوه ، وغدًا رسول فأكرموه) يجد فيها المتأمل فصاحة العرب وبلاغتهم ، وتأثير الإسلام وآدابه . وما دمنا بصدد الحديث عن الخطب الدينية لا بد من إيراد بعض النماذج من خطب أصحاب رسول الله ﷺ للبيان والإيضاح .

أ – من خطب الصديق أبي بكر رضي الله تعالى عنه :

هذا النموذج من خطبه رضي الله تعالى عنه بعد أن بويع بالخلافة ، يقول رضي الله تعالى عنه : (يا معشر الأنصار إن شئتم أن تقولوا : إنا آويناكم في ظلالنا وشاطرناكم في أموالنا ونصرناكم بأنفسنا قلتم ، وإن لكم من الفضل ما لا يحصيه العدد وإن طال به الأمد فنحن وأنتم كما قال طفيل الغنوي :

جزى الله عنا جعفرًا حين أزلفت ... بنا نعلنا في الواطئين فزلت
أبوا أن يملونا ولو أن أمنا ... تلاقي الذي يلقون منا طلّت
هم أسكنونا في ظلال بيوتهم ... ظلال بيوت أدفأت وأظلت

ب – نموذج من خطب الخليفة الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه :

خطب رضي الله تعالى عنه يومًا فقال : (الحمد لله الذي أعزنا بالإسلام وأكرمنا بالإيمان ورحمنا بنبيه ﷺ ، فهدانا به من الضلالة وجمعنا به من الشتات وألف بين قلوبنا ونصرنا على عدونا ومكن لنا في البلاد وجعلنا به إخوانًا متحابين ، فاحمدوا الله على هذه النعمة واسألوه المزيد فيها والشكر عليها ، فإن الله قد صدقكم الوعد بالنصر على من خالفكم ، وإياكم والعمل بالمعاصي وكفر النعمة ، فقلما كفر قوم بنعمة ، ولم ينزعوا إلى التوبة إلا سلبوا عزهم وسلّط عليهم عدوهم ، أيها الناس ! إن الله قد أعز دعوة هذه الأمة ، وجمع كلمتها وأظهر فلجها ونصرها وشرفها ، فاحمدوه – عباد الله – على نعمه واشكروه على آلائه ، جعلنا الله وإياكم من الشاكرين) .

وهكذا بقية الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم جميعًا لهم من الخطب التي يجب أن يقف عليها دعاة الإسلام للاستفادة والاستزادة ؛ لأن فيها الحكمة والخير والبلاغة وحسن الكلام وأصدقه وأقواه وأجمله وأبينه .

٢ - خطب الوفود :

وقفنا في كتب السير والأدب على قصة وفود العرب على كسرى أنو شروان ، وما ألقوا في تلك المقابلات من خطب كالتي ألقاها النعمان بن المنذر ، وأكثم بن صيفي ، وكان من ضمن تلك الوفود التي قدمت على كسرى حاجب بن زرارة ، والحارث بن عباد ، وعامر بن الطفيل ، وعمرو بن معديكرب ، وعلقمة العامري وغيرهم ، الأمر الذي جعل كسرى يشهد لهم بالتفوق في هذا المجال .

ولما جاء الإسلام وسطع نوره وانتشر ذكره بين العرب أتت الوفود إلى سيدنا رسول الله ﷺ للمبايعة حتى سمي ذلك العام بعام الوفود ، حيث كان الهادي البشير والسراج المنير يرد عليهم ويخاطبهم متخيرًا من الألفاظ ما يلائمهم ، وها هو طهفة بن أبي زهير يخطب بين يدي رسول الله ﷺ قائلًا : (نشف المدهن ويبس الجعثن وسقط الأملوج ومات العسلوج وهلك الهديّ ومات الودي) .

فرد عليه النبي ﷺ قائلًا : « **اللهم بارك لهم في محضها ومخضها ومذقها وابعث راعيها في الدثر بيانع الثمر وافجر له الثمد وبارك له في المال والولد** » .

هذا نموذج من خطب الوفود والتي استمرت وتتابع وصولها الواحد بعد الآخر حتى عهد الخلفاء الراشدين رضي الله تعالى عنهم بعد انتقال النبي ﷺ إلى الرفيق الأعلى .

٣ - خطب المنافرة :

المنافرة والمفاخرة بمعنى واحد ، وهي المباهاة في الجمع المحتشد بفضائل الأصل ومكارم النسب ومحامد الخلق وعلو المنزلة ورفعة المكانة وجليل الفعال مما كانت تعده الجاهلية ضرورة طبيعية لكيانها ، تألفًا للقلوب حول القبيلة ودعوة لخطب ودها وخشية بأسها ، ومن أمثلة ذلك ما كان من منافرة بني تميم عندما وفدوا على النبي ﷺ ، والتي كانت سببًا في إسلامهم يوم أمر ﷺ ثابت بن قيس بالرد عليهم .

٤ - خطب الزواج :

وهذا النوع من الخطب عرفته العرب فحين يرغب إنسان مصاهرة أسرة معينة يأتي أهل الخاطب وجماعته يلتمسون المصاهرة فكثيرًا ما يكون هذا المقام مجالًا لخطب الخطباء

وبلاغة البلغاء حتى يصلوا لما يريدون ، وقد يرد أهل المرأة المخطوبة على أهل الخاطب بما يناسب من ملاقاة الكلام بالكلام ، وهي معروفة في الوقت الحاضر بما يسمى : الخطيب والمجيب ، حيث يأتي أهل الخاطب ومعهم الخطيب ، وبعد أن ينتهي من كلامه يرد عليه المجيب ، وهو من طرف أهل المرأة المخطوبة بكلام جميل .

وهناك خطبة العقد ، وهي معروفة في الفقه الإسلامي حيث يذكر العاقد بخطبة الحاضرين بأهمية الزواج ، ومكانته في الإسلام ، ويدعو للزوج والزوجة ويتم عقد النكاح .

ومما سطرته كتب الأدب العربي من الفكاهة في هذا المقام : (أن رجلًا أتى معه بخطيب ، فاستفتح بالحمد وأطال بالصلاة على النبي ﷺ ، ثم ذكر البدء وخلق السماوات والأرض ، وذكر القرون الأولى الخالية ؛ حتى ضجر من حضر ، ثم التفت الخطيب إلى الخاطب فقال : ما اسمك – أعزك الله – ؟ فقال : والله قد أنسيت اسمي من طول خطبتك ، وهي طالق إن تزوجتها بهذه الخطبة ! فضحك القوم وعقدوا له في مجلس آخر) .

ومن أشهر خطب الزواج في الأدب العربي خطبة أبي طالب في زواج النبي ﷺ بالسيدة خديجة بنت خويلد رضي الله تعالى عنها ، وفيها يقول : (الحمد لله الذي جعلنا من زرع إبراهيم وذرية إسماعيل ، وجعل لنا بلدًا حرامًا وبيتًا محجوجًا ، وجعلنا الحكام على الناس ، ثم إن محمد بن عبد الله ابن أخي من لا يوازن به فتى من قريش ؛ إلا رجح عليه برًّا وفضلًا، وكرمًا وعقلًا، ومجدًا ونبلًا، وإن كان في المال قل، فإنما المال ظل زائل، وعارية مسترجعة، وله في خديجة بنت خويلد رغبة ، ولها فيه مثل ذلك، وما أحببتم من الصداق فعليّ).

٥ – خطب الفتوح :

وهذا النوع من الخطب له صلة وثيقة بالخطب الحربية ، فهي تأتي بعد الحرب تهنئة بالنتيجة ، وتعليقًا على النصر ، ومثالها : خطب قواد المسلمين بين يدي يزدجرد ملك الفرس حين أمرهم الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه بالدخول على كسرى والخطبة بين يديه داعين إلى التسليم .

٦ – خطب المناظرة :

وهي ليست من خطب المفاخرات ، وإن كانت تشتمل على شيء من الفخر ، فحين

تنقسم الكلمة، وتشتد الفرقة، وتتسع الهوة بين طرفين أو فريقين، وقد راجت خطب المناظرة عندما اشتد الخلاف بين أهل العراق وأهل الشام، وبين هؤلاء والخوارج من جهة أخرى .

٧ - خطب الاستخلاف والولاية :

وهذا النوع يكون عندما يبايع خليفة ، أو يعهد إلى وال ، أو يولى عامل ؛ ولعل أول خطبة من هذا النوع : تلك التي خطبها الصديق رضي الله تعالى عنه عقب بيعته حيث صعد رضي الله عنه المنبر بعد ما كان من اجتماع يوم السقيفة فقال : (أيها الناس ! إني قد وليت عليكم ولست بخيركم ، فإن رأيتموني على حق فأعينوني ، وإن رأيتموني على باطل فسددوني ، أطيعوني ما أطعت الله فيكم ، فإذا عصيته فلا طاعة لي عليكم، ألا إن أقواكم عندي الضعيف حتى آخذ الحق له ، وأضعفكم عندي القوي حتى آخذ الحق منه ، أقول قولي هذا ، وأستغفر الله لي ولكم) .

٨ - خطب الحرب والتحضيض :

والخطبة تقف بجانب السيف تناصره وتشد أزره ، وكم من مواقف كان اللسان فيها وسيلة لاستلال السيوف وملاقاة الحتوف .

ومن أقدم ما وصل إلينا من خطب الحرب والحض على القتال خطبة هانىء بن قبيصة الشيباني : التي يحرض فيها قومه على العجم في يوم ذي قار ، وهو من أيام العرب المشهورة وفيها يقول : (يا معشر بكر ! هالك معذور ، خير من ناج فرور ، إن الحذر لا ينجي من القدر ، وإن الصبر من أسباب الظفر ، المنية ولا الدنية ، استقبال الموت خير من استدباره ، الطعن في ثغر النحور أكرم منه في الأعجاز والظهور ، يا آل بكر ! قاتلوا فما للمنايا من بد) .

٩ - خطب المدافعة والاتهام :

وهي أوسع بابًا وأرحب مدخلًا من أن تسمى الخطب القضائية ، وفي العصر الحاضر تدور في قاعات القضاء ؛ حيث يدافع الخطيب عن موكله ، سواء كان ذلك من قرابته أو بحكم المهنة ، وهو ما يقوم به المحامون الآن في الدوائر القضائية أمام القضاة دفاعًا عن من وكلهم .

١٠ - الخطب السياسية :

الخطابة السياسية قديمة جدًا ترجع إلى ذلك الوقت الذي نشأت فيه المطامع بين الدول ، حيث أراد القوي منها فرض سيطرته على الضعيف ، والدولة الإسلامية كغيرها من الدول في التاريخ البشري كان فيها هذا النوع من الخطب ، والأمثلة على هذا كثيرة جدًّا .

١١ - خطب الرثاء والعزاء :

عرف الأدب العربي منذ القدم خطب الرثاء والعزاء ، وقد وصلنا من هذا النوع خطبة لأم المؤمنين عائشة رضي الله تعالى عنها ترثي فيها أباها الصديق رضي الله عنه فقالت : (نضر الله وجهك يا أبت ، وشكر لك صالح سعيك ، فلقد كنت للدنيا مذلًّا بإدبارك عنها ، وللآخرة معزًّا بإقبالك عليها ، ولئن كان أجل الحوادث بعد رسول الله ﷺ رزؤك ، وأعظم المصائب بعده فقدك ، إن كتاب الله ليعد بحسن الصبر فيك حسن العوض منك ، وأنا أستنجز موعود الله تعالى بالصبر فيك ، وأستقضيه بالاستغفار لك ، أما لئن قاموا بأمر الدنيا لقد قمت بأمر الدين لما وهى شعبه وتفاقم صدعه ورجفت جوانبه ، فعليك سلام الله ! توديعك غير قالية لحياتك ولا زارية على القضاء فيك) .

وهذه خطبة لعمر بن عبد العزيز رحمه الله في رثاء ابنه حيث يقول : (رحمك الله يا بني ! فقد كنت برًّا بأبيك ، والله مازلت مذ وهبك الله لي بك مسرورًا ، ولا والله ما كنت قط أشد سرورًا بك ، ولا أرجى لحظي من الله فيك منذ وضعتك في الموضع الذي صيرك الله إليه ، فغفر الله لك ذنبك وجازاك بأحسن عملك وتجاوز عن سيئاتك ، ورحم الله كل شافع يشفع لك بخير من شاهد أو غائب ، رضينا بقضاء الله ، وسلمنا لأمره والحمد لله رب العالمين) .

١٢ - خطب التكريم والمديح والتهنئة :

وهي للمحسن ومن يستحق المدح والإشادة بذكر من يستحق ذلك ، عرفها العرب قديمًا ، وهي من آدابهم ، منهم - أي من خطباء المديح - شبيب بن شيبة المنقري والحسن بن سهل ويحيى بن أكثم .

ومن هذه الخطب ما كان من عبد المطلب بن هاشم جد النبي ﷺ لتهنئة سيف بن

ذي يزن حينما استرد ملكه من الحبشة ، حيث أتته وفود العرب مهنئة فوقف عبد المطلب قائلًا : (إن الله تعالى – أيها الملك – أحلك محلًا رفيعًا صعبًا منيعًا ، باذخًا شامخًا ، وأنبتك منبتًا طابت أرومته وعزت جرثومته وثبت أصله ، وبسق فرعه في أكرم معدن ، وأطيب موطن ، فأنت – أبيت اللعن – رأس العرب وربيعها الذي به تخصب ، وملكها الذي به تنقاد ، وعمودها الذي عليه العماد ، ومعقلها الذي إليه يلجأ العباد ، سلفك خير سلف ، وأنت لنا بعدهم خير خلف ، ولن يهلك من أنت خلفه ، ولن يخمل من أنت سلفه ، نحن – أيها الملك – أهل حرم الله وذمته ، وسدنة بيته ، أشخصنا إليك الذي أبهجك بكشف الكرب الذي فدحنا ، فنحن وفد التهنئة ، لا وفد المرزأة) .

وفي العصر الإسلامي كان لابن همام خطبة عندما تولى يزيد بن معاوية الحكم ، حيث قام ابن همام يقول : (يا أمير المؤمنين ! آجرك الله على الرزية ، وبارك لك في العطية ، وأعانك على الرعية ، فلقد رزئت عظيمًا جسيمًا ، فاشكر الله على ما أعطيت ، واصبر له على ما رزيت ، فقد فقدت خليفة الله ، ومنحت خلافة الله ، ففارقت جليلًا ووهبت جزيلًا ، إذ قضى معاوية نحبه، فغفر الله ذنبه ، ووليت الرياسة فأعطيت السياسة ، فأوردك الله موارد السرور ، ووفقك لصالح الأمور) . هذا نموذج ، وهناك نماذج كثيرة جدًا في تاريخ العرب والأمم الأخرى ، سواء عرب الجاهلية أم في العهد الإسلامي المجيد .

١٣ - الخطب العلمية :

وهي الخطب التي تلقى على منابر العلم والبحث ، وتمتاز بأن مستمعيها أقل عددًا وأوسع ثقافة من مستمعي أنواع الخطب الأخرى ، حيث تخاطب العقول وتناقش بالمنطق وتجادل بالحجة وتقنع بالبراهين ، ولا تخلو من جمال الصياغة وحلاوة الأسلوب ودقة البلاغة .

١٤ - الخطب الاجتماعية :

وهي وليدة الدراسات الاجتماعية التي لم يكن لها وجود قبل القرن التاسع عشر الميلادي ، حيث قامت الخطابة الاجتماعية لتساعد المصلحين الاجتماعيين في أداء رسالتهم .

هذه وقفة سريعة على أنواع الخطابة ليطلع عليها طلاب الدراسات الدعوية في كليات الدعوة في عالمنا الإسلامي ، والدعاة في كل مكان وأي زمان ؛ لأنها تشمل كافة جوانب الحياة الإنسانية .

○ مقومـات الخطبـة :

الذي أراه : أن الخطبة إذا كانت صادرة من إنسان صادق مخلص ملم وعالم بما يتحدث به ، فإن الخطبة تكون مرتكزة على قواعد قوية ، لأن هذه الصفات هي مقومات الخطبة الناجحة .

فالصدق يعني : أن الخطيب يتحدث إلى المستمعين عن حقائق ووقائع ومسلمات ، وبمعنى آخر سلامتها من الكذب ، وهو شرط أساسي في نجاح عملية الاتصال أساسًا ، لأن المتحدث إذا عرف عنه الكذب لم يقبل منه الصدق .

والإخلاص يعني : أنه يبتغي بخطبته وجه الله ، ثم بيان الحقيقة لا رياء ولا سمعة ولا مطلب شخصي ؛ بل خدمة للمتلقين لإيصال ما يريد من خير من خلال هذه الخطبة حسب نوعها ، والذي سبق بيانه سابقًا .

والخطبة الدينية لا بد من توفر شرط الإخلاص فيها ؛ لتؤدي الغرض المراد ، لأن الكلام الخارج من إنسان صادق مخلص له أثره الكبير على نفس المتلقي .

أما العلم؛ فهو شرط أساسي إذ لا يمكن أن يقف إنسان ليتحدث عن أي موضوع من المواضيع دون أن يكون لديه حصيلة علمية في ذلك الموضوع ، وإلا عن ماذا يتحدث ؟ .

وفي هذا نذكر هدي الإسلام في هذا المقام ، حيث حدد ذلك وبين مكانة الخطبة ومقام الخطيب ، وما يجب أن يتوفر فيه قبل قيامه بالتحدث إلى الناس ، لأنه ينقل عن الله تعالى وعن رسوله ﷺ ، فلا بد أن يكون ذلك عن علم : علم بكتاب الله تعالى ، وعلم بسنة رسوله ﷺ .

هذا في الأصل – لا بد من توفر : الصدق والإخلاص والعلم .

وهناك أمور لا بد من وجودها في الخطيب مثل : سلامة النطق ووضوح العبارة والتمكن من قواعد اللغة التي يريد التحدث بها .

كما أن للفصاحة شأن وللمحسنات البديعية ، والقدرة على التعبير عما يريد بيانه بطريقة مقبولة من قبل المتلقين .

ولا شك أن الخطبة التي تتوفر فيها هذه المقومات سيؤدي الغرض منها ، والخطيب المسلم

له في رسوله ﷺ أسوة حسنة ؛ فلا بد له من الوقوف على خطب إمام البيان ، وسيد البلغاء ، ومعلم الفصحاء ﷺ ؛ ليتزود منها بكل نافع مفيد من حيث المقومات والأغراض ، ولهذا أذكر خطب المصطفى ﷺ للأستاذ محمد خليل الخطيب ، والتي جمعها وشرحها في كتاب بلغ أكثر من ثلاثمائة صفحة من الحجم الوسط ، يستفيد الداعية منه إن شاء الله تعالى .

ولما كانت الخطبة ضرورية لكل داعية ، خاصة لوجودها أسبوعيًا في حياة المسلم « خطبة الجمعة » لا بد له من التدرب عليها ليقوم بها خير قيام ، فيحفظ من خطبه ﷺ ما يتزود به في مساره في طريق الدعوة الطويل .

○ أصـول الخطابـة :

الخطابة – كعملية اتصال – أصولها ضاربة في القدم ، تحدثت عن جانب كبير من هذا في بداية هذا الفصل في المبحث الأول ، حيث أخذت تتبلور شيئًا فشيئًا وفقًا لتحضر الإنسان ورقيه مع تنزل الرسالات السماوية ابتداءً من رسالة نوح عليه السلام ، حيث قص علينا الكتاب العزيز حال جميع الأنبياء والرسل مع أممهم وخطابهم إليهم .

وبهذا يتبين لنا : أن الخطابة كانت مع الإنسان حيث كانت عملية الاتصال ، ومخاطبة بعضهم بعضًا ، ومخاطبة فرد لجماعة أو أفراد ، وهكذا اتسعت مساحتها وفقًا لاتساع عملية الاتصال نفسها ، والتي كان منها مخاطبة رب الأسرة لأفراد أسرته ، ومخاطبة شيخ القبيلة لقبيلته ، وهكذا حتى وصلت لأوج مجدها في ظل الإسلام الحنيف ؛ الذي أعطى للخطابة ما يعرفه دعاة الإسلام وأدباء العربية .

ولا شك أن الخطبة تنبع من المجتمع نفسه وتفاعلاته وعلاقات أفراده بعضهم بالبعض الآخر ، إنها تنطلق من حاجاتهم على مختلف مسمياتها ؛ إذ لا يمكن أن تؤدي الخطبة أي فائدة إن كانت بمعزل عن المجتمع ومن يعيش فيه ، فهي تستمد أصولها من المجتمع ذاته وفق ما وضح سابقًا في أنواعها .

ويهمنا في هذا المقام : المجتمع المسلم الذي هو هدفنا بالدرجة الأولى حيث تبوأت الخطبة فيه مكانًا سامقًا ، لما لها في هذا الدين من مكانة كبيرة ، حيث هي عماد الدعوة إلى الله تعالى ، لأن من خلالها تتم عملية البلاغ ، وبهذا أولاها الدين الإسلامي عناية خاصة حيث

يقوم من خلالها الداعي إلى الله ببيان ما يريد بيانه من دين الله .

لقد أصبح هذا الفن من فنون الأدب العربي ملازمًا للدين والدعاة إليه ، أصوله من هذا الدين : عبادة ومعاملات وسلوك وتشريع في جميع شئون الحياة ، وعلاقات المسلمين مع بعضهم البعض وغيرهم من الأمم .

وبهذا نجد أن أصول الخطابة في ظل الإسلام ثابتة راسخة مستمدة من كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ .

***

المبحث الثالث : هدي النبي ﷺ في خطبه

هذا الموضوع : الحديث فيه يطول ، لكن يمكن تحديد جوانب معينة حتى نلم بأطرافه ، لأن هدي المصطفى ﷺ في خطبه ألفت فيه الكتب ، وتحدث عنه الخطباء والبلغاء، وذكره العلماء، ودرسه أدباء العربية فاستفادوا منه وتعلموا، لأنه ﷺ أفصح من تكلم بلغة الضاد ، ولهذا سأذكر ذلك الهدي باختصار شديد ، ومن خلال النقاط التالية :

- **أولًا : الموضوعية .**
- **ثانيًا : الإلقائية .**
- **ثالثًا : التأثير والإقناع .**
- **رابعًا : الأسلوب والفصاحة .**

وسنقف على كل نقطة من هذه النقاط الأربعة للتذكير فقط ، وإلا فالموضوع يحتاج لبحث مستقل ، وقد كتب فيه ، ويمكن لمن أراد المزيد الرجوع إلى تلك المؤلفات للاستزادة ، وهنا أريد أن أبين نقطة هامة ، وهي : أن الغرض من بيان الهدي النبوي في الخطبة لفت نظر الداعية المسلم لذلك ، لحاجته الشديدة لهذه المعرفة المباركة .

أولًا : الموضوعية :

وأقصد بها موضوع الخطبة أو الخطب المحمدية بالذات ، والتي كانت تعليمًا وبيانًا وإيضاحًا للأمة لهذا الدين في عباداته ومعاملاته وجميع جوانبه .

فالرسالة المحمدية رسالة شاملة ، وقد أوضحت ذلك في الباب الأول من هذا الكتاب ، ومع الشمول الذي لم يترك أي جانب من جوانب الحياة إلا بينه يأتي العموم ، فهي رسالة للناس جميعًا – لهذا فإن موضوعات الخطب النبوية شاملة لجميع حياة هذا الكائن في كل

زمان وأي مكان ، وسأورد أمثلة على ذلك في نهاية هذا المبحث إن شاء الله تعالى ليتزود منها دعاة الإسلام .

وباختصار موضوعُها هذا الدين ، لأنه ﷺ يبلغ عن الله تعالى ، ويبين للعباد ما يريد الخالق جل وعلا منهم ؛ ليقوموا بما من أجله خلقهم تبارك وتعالى .

○ ثانيًا : الإلقائية :

وهي : مدرسة الإلقاء والأداء المحمدي العربي الهاشمي القرشي الذي تربى في البادية ، حيث سلامة اللفظ وقوته وجزالته وحلاوته ، حروفه نورانية حيث كلام الله تعالى المنزل عليه ﷺ . كان كلامه ﷺ عذبًا نديًّا ، فلا إسراع ولا إبطاء ، بل توسط في ذلك ، وذكر أصحاب السير والمناقب ورجال الحديث : أن كلامه ﷺ كان فصلًا يفهمه كل من سمعه ، وهذا أمر طبيعيّ في إنسان اختاره رب العالمين ليكون خاتمًا لأنبيائه عليهم السلام ورحمة للعالمين . لو أراد العاد أن يعد حديثه ﷺ لكان له ذلك ، كما ذكرت ذلك السيدة الجليلة أم المؤمنين عائشة بنت الصديق زوجه - ﷺ - رضي الله عنها فيما رواه الإمام مسلم في صحيحه في الزهد والرقائق .

إنها مدرسة فريدة يكتشف رجال الإعلام والاتصال أسرارها يومًا بعد يوم ، خاصة فيما يعرف : بالإعلام الإسلامي وفي كليات اللغة والدعوة .

فأداؤه ﷺ فيه كل عناصر الأداء الناجح المؤثر من حيث توفر جميع عناصر الأداء ، بل هو مثل فريد في ذلك يجد الأديب فيها زاده ، والخطيب قدوته ومساره الصحيح في إلقائه لخطبه ، كيف لا وهو حبيب الله وصفوته من خلقه ورحمته للعالمين ﷺ .

○ ثالثًا : التأثير والإقناع :

لقد كان رسولنا الكريم عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم معروفًا لدى قومه والعرب بأنه : الصادق والأمين ، وهذا في حد ذاته عنصر من عناصر القبول الذي يولد التأثير والإقناع ، فهو مع ما آتاه الله من قوة البيان وفصاحة اللسان ، وما كان من صدقه مؤيدًا بالوحي السماوي الذي يتنزل عليه لينعم هذا الإنسان بالسعادة الحقيقية في هذه الزائلة والأخرى الباقية .

من أجل ذلك كان ﷺ هاديًا ومعلمًا للبشرية في هذا المقام ، حتى إن كفار مكة بالرغم

من عنادهم كانوا في أنفسهم ومع بعضهم البعض يقرون له بالصدق ، وإن ما يقوله ليس إلا الحق من قوة تأثيره في نفوسهم وقوة إقناعه لهم ، حيث كانت خطبه ﷺ تمثل القمة ؛ بل هي القمة ذاتها في الإقناع والتأثير ، ودعاة الإسلام يدركون ذلك تمام الإدراك ، لأن جميع ما يقوله ﷺ حق وخير .

○ رابعًا : الأسلوب والفصاحة :

أسلوب رسول الله ﷺ لا يمكن أن يقال عنه : إنه يشتمل على كل خصائص وعناصر الأسلوب أو الأساليب الخطابية ؛ لأنه يفوق ذلك ويعلو عليه ، فهو : أفصح العرب على الإطلاق ﷺ ، وأعلمهم باللغة وأسرارها ومعانيها وتراكيبها ، كيف لا وقد اختاره رب العالمين لحمل هذه الرسالة ، فأعده إعدادًا كاملًا ، حتى إن العرب لم تجد ما تأخذه عليه في هذا الجانب بالذات مع فصاحتهم وقوة بيانهم .

إنها النبوة ، وإنه الكتاب الذي نزل عليه ﷺ الذي تحدى أهل اللغة والبيان بأن يأتوا بمثله ، ولن يأتوا .

إنه ﷺ سيد وإمام الفصحاء والبلغاء والبيان ، حيث كانت وما تزال خطبه ﷺ لا يمكن أن يرق إليها أي خطبة من حيث الفصاحة والأسلوب .

وهذه النقاط يمكن التدليل عليها بكل بساطة من خلال هذه النماذج المباركة من خطبه ﷺ :

١ - يقول صاحب البداية والنهاية - كذلك ابن جرير - : إنها أول خطبة للرسول ﷺ بالمدينة ، حيث كانت الجمعة الأولى التي صلاها ﷺ في بني سالم بن عوف فقال : *« الحمد لله أحمده وأستعينه وأستغفره وأستهديه ، وأومن به ولا أكفره ، وأعادي من يكفره ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمدًا عبده ورسوله ، أرسله بالهدى ودين الحق والنور والموعظة ، على فترة من الرسل ، وقلة من العلم ، وضلالة من الناس وانقطاع من الزمان ودنو الساعة وقرب من الأجل ، من يطع الله ورسوله فقد رشد ، ومن يعصهما فقد غوى وفرط ضل ضلالًا بعيدًا ، وأوصيكم بتقوى الله فإنه خير ما أوصي به المسلمُ المسلمَ أن يحضه على الآخرة ، وأن يأمره بتقوى الله فاحذروا ما حذركم الله من نفسه ، ولا أفضل من ذلك نصيحة ، ولا أفضل من ذلك ذكرى ، وإنه*

تقوى لمن عمل به على وجل ومخافة ، وعون وصدق على ما تبتغون من أمر الآخرة ، ومن يصلح الذي بينه وبين الله من أمر السر والعلانية ، لا ينوي بذلك إلا وجه الله يكن له ذكرًا في عاجل أمره ، وذخرًا فيما بعد الموت حين يفتقر المرء إلى ما قدم ، وما كان من سوى ذلك يود لو أن بينه وبينه أمدًا بعيدًا ، ويحذركم الله نفسه والله رءوف بالعباد ، والذي صدق قوله وأنجز وعده لا خلف لذلك ، فإنه يقول تعالى : (ما يبدل القول لدي وما أنا بظلام للعبيد) واتقوا الله في عاجل أمركم وآجله ، في السر والعلانية فإنه : (من يتق الله يكفر عنه سيئاته ويعظم له أجرًا) ، (ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزًا عظيمًا) ، وإن تقوى الله توقي مقته وتوقي عقوبته وتوقي سخطه ، وإن تقوى الله تبيض الوجه وترضي الرب وترفع الدرجة ، خذوا بحظكم ولا تفرطوا في جنب الله ، قد علمكم الله كتابه ونهج لكم سبيله (فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين) فأحسنوا كما أحسن الله إليكم ، وعادوا أعداءه (وجاهدوا في الله حق جهاده هو اجتباكم وما جعل عليكم في الدين من حرج ملة أبيكم إبراهيم هو سماكم المسلمين من قبل) (ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة) ولا قوة إلا بالله ، فأكثروا ذكر الله واعملوا لما بعد الموت ، فإنه من أصلح ما بينه وبين الله يكفه الله ما بينه وبين الناس ، ذلك بأن الله يقضي على الناس ولا يقضون عليه ، ويملك من الناس ولا يملكون منه ، الله أكبر ولا قوة إلا بالله العلي العظيم »[1].

٢ – من خطبه ﷺ يوم الجمعة :

عن أبي الدرداء قال : خطبنا رسول الله ﷺ يوم الجمعة فقال : « أيها الناس ! توبوا إلى الله قبل أن تموتوا ، وبادروا بالأعمال الصالحة قبل أن تشغلوا ، وصلوا الذي بينكم وبين ربكم تسعدوا ، وأكثروا الصدقة ترزقوا ، وأمروا بالمعروف تخصبوا وانهوا عن المنكر تنصروا ، أيها الناس ! إن أكيسكم أكثركم ذكرًا للموت ، وأحزمكم أحسنكم استعدادًا له ، ألا وإن من علامات العقل : التجافي عن دار الغرور ، والإنابة إلى دار الخلود والتزود لسكنى القبور ، والتأهب ليوم النشور » .

---

(١) البداية والنهاية لابن كثير جـ٣ ص٢١٣ ، وتاريخ الطبري جـ٢ ص٢٥٥ – ذكرًا أي : شرفًا ، أمدًا : مسافة .

٣ - خطبة الـوداع :

يذكر الشيخ عطية محمد سالم في كتابه : أصول الخطابة والإنشاء ، بأن أجمع نص لها هو ما ساقه صاحب جمهرة خطب العرب .

* نص الخطبة :

« الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه ونتوب إليه ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ؛ من يهد الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ، أوصيكم - عباد الله - بتقوى الله وأحثكم على طاعته ، وأستفتح بالذي هو خير ، أما بعد :

أيها الناس ! إن دماءكم وأموالكم حرام عليكم إلى أن تلقوا ربكم : كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا ، ألا هل بلغت ؟ اللهم اشهد ، فمن كانت عنده أمانة فليؤدها إلى من ائتمنه عليها ، وإن ربا الجاهلية موضوع ، وإن أول ربًا أبدأ به ربا العباس بن عبد المطلب ، وإن دماء الجاهلية موضوعة ، وإن أول دم أبدأ به دم عامر بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب ، وإن مآثر الجاهلية موضوعة غير السدانة والسقاية ، والعمد قود وشبه العمد ما قتل بالعصا والحجر وفيه مائة بعير ، فمن زاد فهو من أهل الجاهلية .

أيها الناس ! إن الشيطان قد يئس أن يعبد في أرضكم هذه ؛ لكنه قد رضي أن يطاع فيما سوى ذلك مما تحقرون من أعمالكم .

أيها الناس ! إنما النسيء زيادة في الكفر يضل به الذين كفروا يحلونه عامًا ، ويحرمونه عامًا ليواطئوا عدة ما حرم الله ، وإن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض ، السنة اثنا عشر شهرًا منها : أربعة حرم ، ثلاث متواليات وواحد فرد ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ، ورجب الذي بين جمادى وشعبان ، ألا قد بلغت ؟ اللهم اشهد .

أيها الناس ! إن لنسائكم عليكم حقًا ولكم عليهن حقًا ، لكم عليهن ألا يوطئن فرشكم غيركم ، ولا يدخلن أحدًا تكرهونه بيوتكم إلا بإذنكم ، ولا يأتين بفاحشة ، فإن فعلن ؛ فإن الله قد أذن لكم أن تعضلوهن وتهجروهن في المضاجع ، وتضربوهن ضربًا غير مبرح ، فإن انتهين وأطعنكم فعليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف ، وإنما النساء عندكم عوان لا يملكن

لأنفسهن شيئًا ، أخذتموهن بأمانة الله ، واستحللتم فروجهن بكلمة الله ، فاتقوا الله في النساء واستوصوا بهن خيرًا ، ألا هل بلغت ؟ اللهم فاشهد .

أيها الناس ! إنما المؤمنون إخوة ، ولا يحل لامرئ مال أخيه إلا عن طيب نفس منه ، ألا هل بلغت ؟ اللهم اشهد .

فلا ترجعن بعدي كفارًا يضرب بعضكم رقاب بعض ، فإني قد تركت فيكم ما إن أخذتم به لم تضلوا بعده كتاب الله ، ألا هل بلغت ؟ اللهم اشهد .

يا أيها الناس ! إن ربكم واحد ، وإن أباكم واحد ، كلكم لآدم ، وآدم من تراب ، أكرمكم عند الله أتقاكم ، وليس لعربي على عجمي فضل إلا بالتقوى ، ألا هل بلغت ؟ اللهم اشهد ، قالوا : نعم ، قال : فليبلغ الشاهد الغائب .

أيها الناس ! إن الله قد قسم لكل وارث نصيبه من الميراث ، ولا يجوز لوارث وصية ، ولا تجوز وصية في أكثر من الثلث ، والولد للفراش وللعاهر الحجر ، من ادعى إلى غير أبيه أو تولى غير مواليه فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ، لا يُقبل منه صرف ولا عدل ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته » .



المبحث الرابع : كيفية إعداد الخطبة

إن أي عمل يقوم به الإنسان يحتاج إن أراد صاحبه النجاح توفر عناصر النجاح فيه ، وعملية الاتصال هذه لا يمكن أن تنجح بمعزل عن توفر ما يحقق لها النجاح ، ولا شك أن للخطيب دورًا كبيرًا في ذلك النجاح ؛ لأنه الذي يقوم بالعملية ، عملية مخاطبة الجماهير ، قلت أو كثرت هذه الجماهير .

إن عملية الاتصال الناجحة هي تلك التي يعد لها إعدادًا جيدًا ، وفق المعايير المعروفة ، فالخطبة وأجزاؤها وأسلوبها وأنواعها لا بد أن تكون واضحة لدى القائم بعملية الاتصال : « الخطيب » ، وقد سبق بيان أنواع الخطب .

وعندما نقرأ تاريخ الخطابة نجد أن الفيلسوف سقراط هو أول من وضع خطة لترتيب أجزاء الخطبة .

ثم جاء بعده أرسطو حيث وضع من القواعد للخطابة ما يعد به ابن بجدتها حيث جعلها علمًا مقننًا .

ومعرفة الخطيب بذلك يجعله قادرًا على إعداد الخطبة بشكل جيد ، سواء كانت خطبة مرتجلة أو مقرءوة « مكتوبة » ولا شك أن كيفية إعداد الخطبة المرتجلة في حقيقتها لا تختلف كثيرًا عن تلك المكتوبة ، إذ إن الأَصل في الخطبة أن يكون لها موضوع معين كما وضحت في أنواع الخطب ، ثم تسلسل منطقي عرفوه بقولهم : المقدمة ثم العرض وأخيرًا الخاتمة ، وكل عنصر من هذه العناصر الثلاثة أو جزء من هذه الأجزاء لا ينفصل أبدًا عن الآخر . وهذا يجعل الخطيب يقوم بعملية إعداد خطبته وفق مراحل ثلاث ، وبعضهم زادها مرحلة رابعة خاصة لدى المبتدئين ، حيث تكون

المرحلة الرابعة : العرض على المعلم أو الشيخ أو صاحب الرأي والخبرة في مجال الحديث المراد مخاطبة الناس فيه ، إلا أنني أجد أن هذا من قبيل التعليم ، وبعضهم قال : بأن المرحلة الرابعة تكون مراجعة لهذا العمل قبل عرضه على الناس ، سواء كانت المراجعة من قبل الخطيب نفسه ، المع أو بمشاركة غيره معه ، وهذه المرحلة أؤكد عليها من خلال خبرة ثلاثة عقود ويزيد في هذا المجال ، خاصة للمبتدئين حتى يتفادى الخطأ ، ويكون الإعداد جيدًا بالتنقيح والتمحيص والمراجعة .

وحتى يتبين لنا كيف تعد الخطبة ؟ لا بد أن نقف مع هذه المراحل الأربعة من خلال الانطلاق من أجزاء الخطبة ، وهي : المقدمة والعرض والخاتمة ، وهذه المراحل الأربعة هي :

١ – اختيار الموضوع .

٢ – وضع العناصر أو أجزاء الموضوع مرتبة ومصنفة بشواهدها وأدلتها .

٣ – الصياغة : وهي كتابة الموضوع بعد أن اتضح وبانت عناصره وأحضرت شواهده ، سواء من الكتاب العزيز أو السنة المطهرة أو الشعر أو الحكم والأمثال إلى غير ذلك مما يتطلبه الموضوع ، ويمكن أن يطلق عليها : مرحلة التوليف أو التأليف .

٤ – المراجعة النهائية .

وسنأتي على كل مرحلة من هذه المراحل بشيء من البيان والإيضاح .

١ – *مرحلة اختيار الموضوع :*

إن مسألة الاختيار تختلف من خطيب إلى آخر ، ومن موضوع إلى آخر ، وحتى أبين ما أريده أقول بأن الخطيب الراتب إن جاز هذا التعبير لا يحتاج إلى جهد في عملية الاختيار ؛ لأن الموضوع عادة ما يرتبط بالمناسبات سواء الدينية أو الاجتماعية مما يجعل الخطيب لا يجهد نفسه في عملية الاختيار ؛ لأن الموضوع يفرض نفسه حسب أحوال الناس والمجتمع ، سواء كان هذا على مستوى البلدة أو الدولة ، أو العالم الإسلامي .

وعلى كل حال فإن الاختيار مهم جدًا ، أكد فيه علماء الاتصال والأدب العربي على وجوب توفر أمور أهمها :

أ – **الجدة** : ونعني بها : جدة الموضوع إذ إن المواضيع القديمة لا يتوفر فيها عامل الجذب ، فكلما كان الموضوع جديدًا كلما كان حضور المتلقي أكبر ، بحيث يتابع عناصر

الخطبة كلها ، والجدة دائمًا ما ترتبط بما يستجد في المجتمع من أمور ، سواء في العادات أو التقاليد التزامًا أو عدم التزام ، وخيرًا أو شرًّا ، وأفراح أو أتراح إلى غير ذلك مما يقع في أي مجتمع إنساني بفعل الاتصال البشري من خلال المعاملات ، ومن خلال ما يرد إلى هذا المجتمع أو ذلك من ثقافات مختلفة بفعل تقارب المسافات في هذا الزمان وما تقوم به وسائل الاتصال في هذا الميدان بالذات ، الأمر الذي يجعل الدعاة والخطباء في موقع يوجب عليهم البيان والإيضاح انطلاقًا من تعاليم الإسلام التي ضبطت كل ما يتعلق بالمسلم .

فليس من المعقول في هذا الوقت بالذات أن يتحدث الخطيب عن الشيوعية مثلًا ، وقد سقطت ؛ لأن هذا الموضوع ليس فيه جديد يذكر لذهابها دون رجعة ، لكن موضوع المسلمين في البوسنة والهرسك جديد والحديث عنه مطلوب ومرغوب ، وهكذا نجد أن حداثة الموضوع وجدته وحيويته من أهم عوامل النجاح .

ب - **المعاصرة** : وأعني بها أن يكون الموضوع من المواضيع التي يعيشها الناس ويعاصرونها لارتباطهم بها بشكل مباشر أو غير مباشر ، وهي قريبة من الجدة ، فقد تكون المعاصرة من الأمور التي في نفس العصر الذي يعيشه المتلقي ، حيث يجد فيه ما يجيب عن بعض ما لديه من تساؤلات ، لأن الموضوع حيوي يحكي بعض حاجات الناس أو كلها ، ويضع لما أشكل منها الحلول المناسبة ، لذلك نجد الإقبال عليه جيدًا ، فالموضوعات التي تقادم عليها العهد لا تلقى قبولًا من المتلقين ، وهنا نقطة هامة جدًّا لا بد من بيانها وهي : (أن أمور الدين قديمة جديدة ، فالصلاة مثلًا موضوع قديم لكنه في نفس الوقت جديد ؛ لأن علاقة المسلم بالصلاة علاقة أصيلة لا يمكن بحال من الأحوال أن ينصرف عن الحديث عن جانب من جوانبها ؛ لأنه في حاجة إليه ، وفي نفس الوقت يمكن للخطيب أن يتحدث عن الصلاة من زوايا جديدة معاصرة ، وهكذا بقية أمور الدين ، وهذه نقطة هامة يجب أن يتنبه لها الخطيب والمتلقي حتى لا نقع في التقليل من شأن أمور الدين ، فالناس في حاجة ماسة إلى التذكير بهذه الشعائر ، وتلك التوجيهات الشرعية على مختلف أنواعها عبادة أو معاملة) .

إذًا المعاصرة عنصر هام في نجاح الموضوع لقربه من نفوس الناس .

جـ - **الوضوح** : أمر مطلوب في كل شيء خاصة إذا علم الخطيب أن هناك فروقًا فردية بين الناس ، وأن الهدف من عملية الاتصال هذه الحصول على استجابة سريعة أو

غير سريعة ، وهذا لن يكون إذا كان يكتنف الموضوع الغموض وعدم الوضوح ، وهذا يقع فيه الكثير من الخطباء خاصة عند استخدام ألفاظ غارقة في القدم والتعقيد تحتاج إلى قاموس يفسرها ، فاختيار الخطيب لموضوع واضح أمر مطلوب ومرغوب ، بل عامل من عوامل نجاح الاختيار .

ومن هديه ﷺ أن يحدث الإنسان الناس بما يفهمون ويدركون ، وهذا لا يقتصر على اختيار الألفاظ والعبارات ، بل يتعدى ذلك إلى وضوح الأسلوب أيضًا ؛ كي يفهم المتلقي الخطبة بشكل جيد .

هذه الأمور الثلاثة إذا توفرت في الموضوع كتب له النجاح وبالتالي القبول .

٢ - وضع العناصر والأجزاء وترتيبها وإيراد أدلتها :

هذه المرحلة مهمة جدًا فالاختيار الجيد للموضوع لن يفيد إذا لم تتضح للخطيب عناصره ، أو إذا لم يحدد عناصر له يتحدث عن كل عنصر منها ، ويجمع المعلومات اللازمة لهذه العناصر ، إذ كيف يتم له جمع المعلومات دون أن يحدد العناصر التي يريد الحديث عنها ؟!

إن اختيار عناصر الموضوع يمكن الخطيب من وضوح البيان وسلامته من الغموض ، وإلا فإنه سيتحدث دون وجود حد لهذا الحديث أو معيار أو فائدة أيضًا وسيكون الحديث مفككًا ؛ لافتقاره إلى العناصر التي تكون صلب الموضوع ، والتي تجعله يبحث عن الأدلة والشواهد التي تؤصل الموضوع وتقويه وتخلق فيه القناعة أو تجعل فيه القناعة .

أما ترتيب هذه العناصر فيرجع إلى معرفة الخطيب بالموضوع معرفة جيدة ؛ لأن عملية الترتيب تساعد المتلقي على الفهم ، أما عدم الترتيب فإنها تجهده ، بل تجعله لا يستوعب الموضوع بشكل جيد ؛ لأن هذا مغاير للتسلسل المنطقي للحوادث ، بل للمعلومات ليقبلها العقل البشري ، فالحديث عن الإسلام وعن بعض أركانه كالزكاة مثلًا كموضوع يهم المسلمين وخاصة طبقة أهل الزكاة والواجبة عليهم يفرض التسلسل المنطقي على الخطيب أن لا يبدأ بما أعده الله لمانعي الزكاة من أليم عقابه ، بل يوجب أن يبدأ بتعريف الزكاة ، ثم إيراد الأدلة من الكتاب والسنة، وهكذا حتى يسير المتلقي مع الخطيب بشكل مريح، وهكذا في أي أمر من الأمور التي تتم من خلال هذه الوسيلة أو الطريقة من طرق الدعوة « الخطابة » .

وقد أخطأ البعض في جعل مرحلة جمع الشواهد قبل تحديد عناصر الموضوع ، والحقيقة والواقع أن الشواهد تأتي بعد تحديد العنصر أو مجموعة العناصر التي تكون الموضوع الرئيسي ، إذ كيف نأتي بآية من آيات القرآن الكريم على سبيل المثال دون أن نأتي بالعنصر المراد له الاستشهاد بتلك الآية أو الحديث النبوي ؟ .

إذًا يتبين لنا أن تحديد عناصر الحديث يسبق إيراد الشواهد والأدلة التي تؤكد ما يذهب إليه الخطيب ، وهذا أيضًا ينطبق على بقية الأدلة والشواهد كالحكم والشعر والأمثال .

وعلى كل حال فعندما يقوم المتحدث بكتابة خطبته يجد نفسه في حاجة إلى دليل أو شاهد ، فإذا كان من محفوظاته أورده للدلالة على ما يقول ، وإلا بحث عنه في مظانه .

٣ - *مرحلة الصياغة :*

وهذه المرحلة يمكن أن نطلق عليها مرحلة التوليف حيث يرتب المتحدث عناصر الموضوع ويولف بينها أو يؤلف بينها ؛ ليخرج منها بموضوع كامل يتحدث عن جانب من الجوانب الدينية أو الحياتية ، فالحديث عن النفاق مثلًا يتطلب تعريفه وبيانه من حيث اللغة والاصطلاح وإيراد الأدلة عليه من الكتاب والسنة ، ثم نظرة الإسلام إليه وهكذا حتى اكتمال جميع العناصر المتعلقة بموضوع النفاق والتي تشعر المتلقي بوحدة الموضوع لتناسق عناصره وتناغمها مع بعضها حتى النتيجة ، وهي ما أعده الله للمنافقين في جهنم .

هذه العملية هي أهم مرحلة في إعداد الخطبة حيث يكون الكاتب أو الخطيب هيكلها أو جسمها ، وذلك لوضعه البداية أو المقدمة ، ثم الحديث عن تلك العناصر التي ولف بينها مرتبة ، وجعل منها وحدة واحدة تحكي عن الموضوع من خلال عناصره المرتبطة به ارتباطًا وثيقًا وقويًا ، حيث يغطي هذه العناصر بشكل كامل بيانًا وإيضاحًا للوصول إلى موضوع كامل وكلام مفيد ، وهي مرحلة التأليف للتعبير عن موضوع معين يجعل المستمع يخرج بفائدة وفهم واضح .

٤ - *مرحلة المراجعة :*

وهذه المرحلة هامة جدًا تتيح للكاتب الوقوف على الأخطاء النحوية أو في النقل والأدلة ووضوح البيان إلى غير ذلك من أمور تتعلق بالموضوع ما كان له أن يعرفها لولا المراجعة ،

عندها يمكنه عرض ما أعده على الناس ، وبالتالي صدق المعلومات من خلال توثيقها ، وقد تكون المراجعة بمساعدة ذوي الاختصاص الذين سيكون لرأيهم عظيم الفائدة لما لديهم من علم وخبرة .

وبهذا يتضح لنا كيف يكون الإعداد للخطبة ، بقي قدرة الخطيب على إيصال هذا الموضوع للمتلقين ، وهذا يتعلق بالشروط الواجب توافرها في الخطيب ، والصفات اللازمة له .

***

المبحث الخامس : ما ينبغي أن يتوفر في الخطبة

الخطبة الناجحة التي توفرت فيها جميع العناصر التي حددها علماء هذا الفن لا يمكن أن تحقق النجاح عن طريق خطيب يفتقر إلى صفات الخطيب الناجح ، وأحيانًا العكس صحيح ، إذا كان هناك إنسان يتمتع بصفات الخطيب الناجح لكن ليس لديه خطبة ناجحة لا يمكن أن يستفاد منه .

لذلك لا يمكن في هذا المقام أن نفرق بين الخطبة ومن يقوم بإلقائها ، لكن كعملية اتصال لا بد من توفر أمر هام جدًّا وهو :

* الصـــدق :

نعم الصدق إذ إن المعلومات التي تفتقر إلى الحقيقة خطرها عظيم ؛ لأن تزويد الناس بالأكاذيب والمعلومات الغير صحيحة في غاية الخطورة خاصة في أمر الدين .

لذا أود أن أؤكد على وجوب توفر الصدق في الخطبة بحيث تكون جميع المعلومات فيها صادقة ، ومثال ذلك : إيراد بعض الخطباء لأحاديث موضوعة ونسبتها إلى رسول الله ﷺ بسبب جهل ذلك الخطيب بهذا الأمر ، أو عدم اكتراثه به من غير قصد ، أما إن قصد الكذب على رسول الله ﷺ فالأمر معلوم لدى دعاة الإسلام ، حيث بينه رسول الله ﷺ ، ووضع علماء الإسلام لهذا الإنسان العقوبة المناسبة وفق هدي هذا الدين الحنيف من مصدريه الكتاب والسنة .

ثم يأتي بعد الصدق أمور يجب أن تتوفر في الخطبة حتى تؤدي الغرض منها كما أراد التشريع الإسلامي ؛ لأن الخطبة كما ذكرت سابقًا جعل لها الإسلام مكانة كبيرة ، وهذه

الأمور تتلخص في النقاط التالية :

١ – الإخلاص .

٢ – سعة الاطلاع .

٣ – معرفة فنون الكلام .

٤ – الوضوح .

٥ – الموضوعية وترابط عناصرها .

٦ – البعد عن الأمور الخلافية .

٧ – التزام هدي النبي ﷺ في هذا المقام .

٨ – الإجابة على تساؤلات الناس في أمر الدين والدنيا .

٩ – الجـدة .

١٠ – الفائدة أي أن تكون مفيدة .

إلى غير ذلك مما يحقق نجاحها إعدادًا وموضوعًا وإلقاءً .

* * *

المبحث السادس : طريقة إلقائها

هذا الموضوع يتعلق بالملقي وهو : « الخطيب » الذي هو العامل الأساسي في نجاح الخطبة أو عدمه ، وهذا يعني أن نتحدث عن الخطيب القائم بالخطابة ، وسيكون الحديث عنه من خلال الآتي :

- **أولًا : صفاته .**
- **ثانيًا : أخلاقه .**
- **ثالثًا : موقفه .**
- **رابعًا : عيوبه .**

الخطبة كَفَنٍّ من الفنون التعبيرية ، ترتكز أساسًا كما أسلفنا سابقًا على العلم ، حيث أصبح لها أسس وقواعد وطرق وأنواع ، وهذا العلم أو الفن يحتاج لمؤدي « الخطيب » الذي إن ملك مقومات الأداء الجيد نجحت الخطبة ، وأدت الغرض الذي من أجله أنشئت ، ولا شك أن هذه المقومات التي يجب أن تتوفر في الخطيب منها : الذاتي أي : الكامن في ذات الخطيب ، أو يمكن أن يطلق عليه : الموهبة الفطرية ، بحيث يكون فصيحًا واضح العبارات إلخ ، ومنها ما هو حادث بالتعلم والخبرة ، وهو ما نطلق عليه الصفات المكتسبة ، وهما معًا يكونان الخطيب الناجح ، إذ لو تعلم الإنسان ، وملك جميع فنون الخطابة ، ولم يكن لديه الاستعداد الفطري ، فإنه سيعجز عن أن يكون خطيبًا مفوهًا كما يقولون .

لهذا سنقف مع هذه النقاط الأربعة ، والتي ستكون محصلتها طريقة الإلقاء الجيدة ، أو الإجابة على عنوان المبحث .

○ *أولًا : صفات الخطيب :*

١ – أن يكون جهوري الصوت .

٢ – أن يكون فصيح اللسان .

٣ – أن يكون حار العاطفة .

٤ – أن يكون سريع البديهة – وهذا يجعله يعالج الموقف بسرعة .

٥ – أن يكون عالمًا بما يقول .

٦ – أن يكون على هيئة حسنة .

٧ – أن يكون على قسط وافر من حسن الخلق .

٨ – أن تتوفر فيه رباطة الجأش واليقظة .

٩ – أن يكون قوي الذاكرة لاستحضار ما يريد بسرعة .

١٠ – واسع الاطلاع والثقافة على علم نفسيات المتلقين وأحوالهم .

○ *ثانيًا : أخلاق الخطيب :*

الخطيب كداعية وقفنا على الصفات التي يجب أن تتوفر فيه في الباب الثاني من هذا الكتاب عند الحديث عن : الداعي يمكن العودة إليه ؛ إلا أنني أود أن أؤكد على أن أخلاق الخطيب هي أخلاق الإسلام الذي يدعو إليه ، ومن غير المعقول أن ينهى عن خلق ويأتي مثله . فلا بد من الانتباه إلى هذه النقطة ، ولو أن البعض ذكر بأن المعول على ما يقول وكيف ومتى يقول ، إلا أنه لا بد أن يتمثل ما يدعو الناس إليه ، حتى لا يقع في الذم الذي ورد لمثل هذا الصنف من الدعاة والموجهين والمربين والمعلمين .

○ *ثالثًا : موقفـه :*

هذا الموقف لا يسهل على كل نفس ، فهو موقف لا يجترئ عليه إلا متمرس ، فكثرة الممارسة قد تهون على المرء صعوبة هذا المركب الوعر ؛ الذي شابت له شعرات رأس عبد الملك بن مروان كما هو معلوم .

فهو يعرض عقله على الناس ، وهذا في حد ذاته أعظم إجهاد للفكر والنفس ، لقد سمعنا الكثير وقرأنا في كتب الأدب والأخبار عن كثير من حوادث الحصر والارتجال لخطباء كبار ، وآخرين قطعت عليهم هيبة الموقف طريق القول ، ومما يذكر في هذا أن مصعب بن

حيان دعي مرة ليخطب في حفل زواج ؛ فأدركه الحصر ، فقال : لقنوا موتاكم شهادة أن لا إله إلا الله ، فقالت أم العروس : عجل الله موتك ! ألهذا دعوناك ؟ .

كما روي عن داود بن علي العباسي حين صعد المنبر مرة فامتنع عليه الكلام بعد أن حمد الله وصلى على نبيه ﷺ ، فأراد أن يعتذر من الحصر بكلمة كانت في ذاتها ضربًا من الكلام البليغ ، فقال : (أما بعد : فقد يجد المعسر ويعسر الموسر ، ويفل الحديد ، ويقطع الكليل ، وإنما الكلام بعد الإفحام كالإشراق بعد الظلام ، وقد يعذب البيان ويعقم الصواب ، وإنما اللسان مضغة من الإنسان يفتر بفتوره إذا نكل ، ويثوب بانبساطه إذا ارتجل ، ألا وإننا لا ننطق بطرًا ، ولا نسكت حصرًا ، بل نسكت معتبرين ، وننطق مرشدين ، ونحن بعد أمراء القول ، فينا وشجت أعراقه وعلينا عطفت أغصانه ، ولنا تهدلت ثمرته ، فنتخير منه ما احلولى وعذب ، ونطرح منه ما املولح وخبث ، ومن بعد مقامنا هذا مقام وبعد أيامنا أيام يعرف فيها فضل البيان وفصل الخطاب ، والله أفضل مستعان) هنا يتضح جانب الاستعداد الفطري لدى الخطيب بالرغم من وقوعه في الحصر .

أوردت هذا للفائدة لأهمية موضوع موقف الخطيب - إنه موقف صعب ، وكما قيل : الأجر على قدر المشقة .

○ رابعًا : عيوب الخطيب :

هناك عيوب كثيرة يمكن حصر بعضها فيما يلي :

١ - عيوب النطق المعروفة .

٢ - اللحن ، وهو : إخراج الكلام على غير وجوهه من النحو أو الصرف .

٣ - كثرة التوقف والنحنحة .

٤ - عدم الاهتمام بالهندام « المظهر الخارجي » .

ولا شك أن شكل الخطيب له دور سلبًا أو إيجابًا ، فعندما يكون شكله جميع يكون أروح للعين وأمتع للنفس ؛ لأن الخطيب القبيح الشكل يكون موقفه من المتلقين مهزوزًا ؛ إلا إذا كان يملك من الفصاحة والبلاغة والبيان ما يعوض عن ذلك .

وها هو الأحنف بن قيس المشهور بالفصاحة والبلاغة والبيان يصفه الهيثم بن عدي قائلًا : (ما رأيت خصلة تذم في رجل إلا وقد رأيتها فيه ، كان صعل الرأس ، أحجن

الأنف ، أغضف الأذن ، متراكب الأسنان أشدق ، مائل الذقن ، ناتىء الوجنة ، باخق العين ، خفيف العارضين ، أحنف الرجلين ، ولكنه كان إذا تكلم جلى عن نفسه)[1].

من خلال الاستعراض السابق يتبين لنا كيف تلقى الخطبة مع التأكيد على ضرورة المران والتحضير الجيد للموضوع ، مع الاعتماد على الله سبحانه وتعالى أولًا وأخيرًا ، والصدق والإخلاص .

* * *

(١) محمد عبد الغني حسن ، الخطب والمواعظ : الصعل : دقة الرأس ، أحجن : مائل ، أغضف : مسترخي ، البخق : أن تخسف العين بعد العور .

الفصـل السابـع

الإعـداد الإعلامـي

○ المبحث الأول : معنى الإعلام وصلته بالدعوة .

○ المبحث الثاني : بعض طرق الدعوة قديمًا .

○ المبحث الثالث : طريقة إلقاء الحديث الديني في وسائل الإعلام المسموعة والمرئية .

○ المبحث الرابع : الندوة في الإذاعة والتليفزيون .

○ المبحث الخامس : كيف يقدم البرنامج الديني في الإذاعة والتليفزيون ؟

* * *

○ الإعـداد الإعلامـي ○

قبل الحديث عن مباحث هذا الفصل الخمسة لا بد من وقفة مع الإعلام ، وهل هناك إعلام إسلامي ؟ وما هو دوره في مجال الدعوة الإسلامية ؟

للإجابة عن هذين السؤالين وغيرهما مما له علاقة بالموضوع لا بد من بيان وإيضـاح .

لا شك أن الاتصال يشكل قوة حضارية تتمثل في اتجاهات الأفراد والجماعات وتعاملهم مع بعضهم البعض ، وما يحدث من خلال ذلك من تفاعلات ، وهذا ما نسميه بالظاهرة الاجتماعية ، والتي تبوأت مكانًا رفيعًا في عصرنا الحاضر – لهذا نجد أن نفوذ الجهات التي تملك وتتحكم في وسائل الاتصال الجماهيرية كبير جدًّا – من هنا كان الاهتمام حديثًا بهذه الوسائل في مجال التأثير والبيان والدعوة أيضًا ، بيد أن الأمر له جذور بعيدة حيث كان اهتمام الإسلام بهذا منذ أن بزغت شمسه وسطعت أنواره ، فرسولنا الكريم عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم هو الإعلامي الأمثل إذا جاز لنا هـذا التعبير الذي كان يدعو قومه ليلًا ونهارًا وسرًّا وجهارًا ليعلمهم بهذا الدين وما يريد منهم خالقهم رب العالمين سبحانه وتعالى .

والدين الإسلامي دين إعلامي بطبيعته ؛ لأنه يقوم على البيان والإفصاح والبلاغ – ولقد سبق الحديث في مواضع من هذا الكتاب بأن الأمر بالإعلام عن هذا الدين وتبليغه للناس أجمعين تلقاه الرسول الكريم من لدن حكيم عليم ، والأمة لها في رسولها ﷺ أسوة حسنة .

يقول الدكتور إبراهيم إمام في كتابه « الإعلام الإسلامي » : (ليس هناك مبالغة في القول بأن الدين الإسلامي دين إعلامي بطبيعته ، ومع أن الإسلام لا يعترف بالكهانة ولا يقر قيام الكهنوت من رجال الدين ، كما هو الحال في بعض الأديان الأخرى التي تؤسس منظمات تبشيرية متخصصة ، فمن المقررات الشرعية في الدلالات القرآنية أن كل مسلم مكلف بالإعلام عن دينه ومسئول عن تبليغ رسالته)[1] .

---

(١) الإعلام الإسلامي ، إبراهيم إمام ، ص٥ مكتبة الأنجلو المصرية .

لذا فإن الإعداد الإعلامي ضروري لإيصال الرسالة واضحة جلية ومعبرة ومقنعة كما أراد الله سبحانه وتعالى .

والإعداد الإعلامي أعني به إعداد الرسالة الإسلامية لبعثها عن طريق وسيلة من وسائل الإعلام المقروء أو المسموع أو المرئي - وفي وقتنا الحالي يحتل الرائي « التليفزيون » مكان الصدارة في تلك الوسائل لانتشاره الكبير وتوفر عنصرين من عناصر التلقي السمع والبصر فيه .

ولا شك أن هذه الوسائل لها خصائصها ومواصفاتها ، ولا بد من المستخدم لها أن يعرف ذلك ليتمكن من بعث الرسائل الناجحة ليصل إلى تحقيق هدفه أو مجموعة أهدافه بيسر وسهولة وسرعة - حيث أصبحت فنًا له مدارسه وأشكاله وقوالبه التي تدرس في الكليات الخاصة بالإعلام - ولا أقصد بذلك معرفة حرفية العمل الإعلامي ؛ لأن هذا من شأن الحرفيين في هذا المجال ، فليس مطلوبًا من الخطيب أو المتحدث أن يعرف فنون الإخراج والتصوير والمونتاج والصوت ، بل مطلوب منه أن يعرف كيف يعد الحديث للراديو أو التليفزيون وكيف يكتب المقال للصحيفة أو المجلة ؛ لأنها تشكل الوسائل العصرية التي يتلقى منها الإنسان المعلومات جميعها .

ولا شك أن التفصيل في هذا سيكون من خلال الحديث عن كل مبحث من مباحث هذا الفصل ، وكل مطلب من مطالبه .



المبحث الأول : معنى الإعلام وصلته بالدعوة

قبل أن نقف على تعريف للإعلام يحسن بنا أن نقف مع لمحة تاريخية عن الإعلام ، هذا العلم الذي عرف طريقه إلى كل البيئات واحتل مكانًا مرموقًا في كل العصور ، لأن مطالب البشر لا تقتصر على توفير الحاجات المادية كالطعام والمأوى بل تتعدى ذلك إلى ما هو متأصل في ذات الإنسان ، وهو الاتصال بالآخرين ، نعم « الاتصال بأمثاله من الناس كي يبقى هذا النوع من مخلوقات الله تعالى ، وتتم المحافظة على هذا الجنس » .

الإنسان دائمًا لديه حب الاستطلاع وحب معرفة أخبار العالم حوله سواء كان في وقتنا الحاضر أو الأزمنة الماضية الضاربة في القدم، وذلك لأنها لا تسير بشكل طبيعي دون أن يتصل الإنسان مع بني جنسه ، فالإنسان لديه معلومات عن بيئته ، ومن حولها بفطرته ؛ لأنه دائم السؤال عما حوله .

ولو نظرنا إلى أهم وظائف الإعلام في تلك المجتمعات البدائية لوجدناها علاوة على ما ذكرنا سابقًا تتركز في تبليغ ما يريد الحكام والسلاطين من أوامر للشعب ، فالإنسان في تلك العصور يمارس الإعلام بطرق فطرية لم تكلفه أي شيء كالحفر على الأحجار والأشجار والمناداة في الطرق ، أو من أعلى رءوس الجبال وعلى ظهر الدواب ، أو المآذن والمنابر، وهكذا استمرت هذه الحال على طول تاريخ البشرية، حيث كانت الحال في العصر الفرعوني مع تسطير انتصارات الفراعنة على جدران المعابد والأهرامات .

وقد عرف اليونان أهمية التأثير في الناس، حيث كان الإسكندر يضم إليه طائفة من الخطباء والشعراء والكتاب والمفكرين؛ لمعرفته بأهمية الإعلام، وطرق التأثير الجماهيري، وفي صدر العصر الروماني بزغ نوع من الإعلام، وهو الإعلام الديني، حيث كان هناك

نشاط للتنصير يقوم به المراسلين فيخرجون إلى البلاد لنشر الإنجيل .

أما العرب في الجاهلية فكان لديهم الأسواق « سوق عكاظ » حيث كانت القبائل تقوم بالإعلام عن نفسها من خلال شعرائها وأدبائها وخطبائها ، حيث الفصاحة ، وقوة البيان – وكلهم شوق في أن يعلق لهم شيء على الكعبة المشرفة ، حيث كانت الجائزة الكبرى للعمل المميز « المعلقات » .

وهكذا نجد الإعلام مع الإنسان في كل عصر ومكان ؛ لقوة تأثيره ومكانته في المجتمعات ، ويطلع الفجر ويعم الدنيا نور الرسالة المحمدية رسالة ﴿ فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ ﴾ رسالة الخير والحق والعدل والسلام ، رسالة الاستسلام لله بالتوحيد والانقياد له بالطاعة والخلوص من الشرك ، فيقف البشير النذير والسراج المنير على الصفا ؛ ليقول لقومه : « **قولوا لا إله إلا الله** » – ويحتل الإعلام في ظل الإسلام مكانًا عليًا ، حيث الصدع بالحق ورفع راية التوحيد في كل مكان من أرض الله الذي خلقهم لعبادته وعمارتها بالطاعة والخير والبر والسلام ، ويبعث الهادي البشير البعوث ، ويقول لمبعوث اليمن : « **إنك تأتي قومًا أهل كتاب فأعلمهم** ... » الحديث .

○ *إذًا الإعلام هو :*

(تزويد الناس بالأخبار الصحيحة والمعلومات السليمة والحقائق الثابتة التي تساعدهم على تكوين رأي صائب في واقعة من الوقائع أو مشكلة من المشكلات ، بحيث يعبر هذا الرأي تعبيرًا موضوعيًا عن عقلية الجماهير واتجاهم وميولهم) .

ولو أردنا مزيدًا من الإيضاح لوقفنا مع جزئيات هذا التعريف بهدف البيان والإيضاح والتفسير ، لكننا ننتقل إلى الجزء الثاني من هذا المبحث وهو :

○ *صلة الإعلام بالدعوة :*

في بداية هذا الفصل ذكرت هذه الصلة بشكل سريع ، والآن أورد ما ذكره رجل الإعلام المعروف الدكتور إبراهيم إمام في كتابه « الإعلام الإسلامي » وهو يبين بجلاء صلة الإعلام بالدعوة فيقول : (إن المتصفح لكتاب الله المعجز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ، يستوقفه أن القرآن الكريم يعبر عن الفكرة

الإعلامية الواجبة في التعريف بالإسلام وبيان مزاياه الكريمة بلفظ آخر بديل عن الإعلام هو (الدعوة) . والمقصود بالدعوة من حيث الموضوع دين الإسلام، فهو الأصل الأول من حيث مبادئه وشرائعه وسننه وعقائده، ثم هناك وسائل التبليغ وطرق الاتصال بالناس وأساليب مخاطبتهم، وهي تتعدد تعددًا كبيرًا نظرًا لأن الإسلام غير مقصور على العرب)[1].

﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا ﴾ الآية .

وبهذا يتضح لنا أن الإعلام أداة هذا الدين « الدعوة » ودعامته الرئيسية ؛ لأن الدعوة عمل إعلامي بكل ما تحمل هذه العبارة من معنى ، حيث تخاطب العقل وتستند إلى المنطق والبرهان وبيان الحقيقة ؛ لأن الإسلام حق والقرآن حق ومحمد ﷺ حق وكل ما جاء به هذا الدين حق ؛ لأنه من عند الحق تبارك وتعالى .

فالقرآن الكريم هو المصدر الذي تعتمد عليه الدعوة الإسلامية في استقاء موضوعاتها وتحديد منهجها وأساليبها تأخذ منه براهينها وأدلتها – وهو الرافد الحيوي لدعاة الإسلام .

وحتى نوضح مكانة الإعلام وعلاقته بالدين الإسلامي والدعوة إليه نقف مع الحقائق التالية :

* **أولًا** : المنجزات المذهلة التي حققها رسول الله ﷺ في حقل الدعوة ، وهي مهمة إعلامية ، حيث بلغ الناس وأعلمهم ﷺ بما أكرمهم الله تعالى به من نعمة الرسالة وشرف البلاغ عن رب العالمين سبحانه وتعالى الذي يريد لعباده العزة والكرامة والحياة السعيدة والموتة الحميدة ، فلقد كانت ممارساته ﷺ للعمل الإعلامي في نشر دعوته مذهلة للخبراء في هذا المجال ؛ لأنهم وجدوه قد نهج في دعوته منهجًا إعلاميًا خاصًا ، حيث وضع لهذه الدعوة أصولًا تحوي من الأفكار ما يجعلها بمثابة كنوز لم يكشف النقاب عنها بشكل كاف حتى الآن – فأنجز ﷺ بتوفيق الله ورعايته في مدة عقدين من الزمن ما عجزت عن إنجازه جهود المصلحين من قبله في ظل الأديان السابقة ؛ لأنه ﷺ يقوم بمهمة واضحة المعالم محددة الأهداف ، وهي الدعوة إلى الله تعالى وإخلاص العبادة له جل وعلا – فهو مبلغ ومخبر عن الخالق جل وعلا .

* **ثانيًا** : مهمة الدعوة ليست قاصرة على صاحب الرسالة وحده ﷺ ، بل تمتد لتشمل الأمة المحمدية بأسرها حتى يرث الله الأرض ومن عليها ، وهذا تأكيد على مكانة

(١) إبراهيم إمام ، الإعلام الإسلامي المرحلة الشفوية ص٢٩ .

العمل الإعلامي في الإسلام ، والذي هدفه الأول الدعوة إلى دين الله وإبلاغ هذه الرسالة للناس كافة – وهذا الأمر يجعل هذه الدعوة مستمرة باقية ما بقي الليل والنهار ، رحمة من الله بعباده وشفقة منه جل وعلا بهم حتى يلقوه ، وهو راضٍ عنهم ، وهذا الرضا يتحقق بالإيمان به وحده وإقامة شرعه على أرضه سبحانه وتعالى .

* **ثالثًا** : لقد كان لتكريم الإسلام العلماء وارتفاع مقامهم في ظله تأكيد لمكانة الإعلام وأهميته في الدين الإسلامي – حيث رفعهم إلى مرتبة ورثة الأنبياء ، وهذا بلا شك تكريم وتبجيل لم ينله العلماء في ظل المذاهب والأديان الأخرى التي عرفها الإنسان قبل وبعد الإسلام – وفي هذا التكريم أيضًا رفع لمكانة العلم وحث على تحصيله مما أكسب هذه الأمة قوة إلى قوتها جعلتها في مقدمة الأمم تحضرًا ورقيًا وتقدمًا ، إنها خير أمة أخرجت للناس .

* **رابعًا** : لقد نظر الإسلام إلى المقصرين في القيام بالدعوة نظرة فيها الكثير من اللوم والتقريع ؛ لأن هذا الفعل يسبب غضب الرب جل وعلا وسوء العاقبة ؛ لأن تحمل مسئولية الإعلام عن هذا الدين من فروض الكفاية، ويتعين أحيانًا بتوفر أمور يعلمها رجال الدعوة .

* **خامسًا** : إن إدراك رسولنا الكريم عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم لأهمية وسائل الإعلام المعروفة في ذلك الزمان وتوجيهه لمسارها بحيث يكون في صالح الدعوة كان من الأمور التي تؤكد على مكانة هذا الفن واستثمار وسائله لصالح هذه الرسالة السماوية ، ولبيان ذلك نورد الآتي :

أ – الشعر : كان من وسائل الدعوة حيث حمل هذه الرسالة وقام بنشرها بين الجماهير ، والأمثلة على ذلك كثيرة ، فلقد كان حسان بن ثابت شاعر رسول الله ﷺ .

ب – الخطابة : وهي وسيلة إعلامية قديمة جديدة ، وقد تحدثنا عنها في ظل الإسلام في مكان سابق من هذا الباب .

بل إن الإسلام وظفها توظيفًا ذكيًا في الدعوة إلى دين الله ، وجعل لها من المكانة ما لم يكن لها في السابق حيث خطبة الجمعة والعيدين .

إن هذه وغيرها جعلت الإعلام يحتل مكانة مرموقة في هذا الدين حيث أصبح وسيلة

من وسائل التبليغ عنه .

وبهذا يتضح لنا مدى الارتباط وقوة العلاقة والصلة بين الإعلام والدعوة إلى الإسلام .

إن المتابع والعارف لجميع وسائل الإعلام يجد أنها استخدمت في الدعوة إلى الله تعالى ، هذا يؤكد بجلاء على قوة ومتانة الصلة بين الدعوة والإعلام منذ أن نزل الوحي على سيدنا رسول الله ﷺ ، حيث استخدم عليه الصلاة والسلام الاتصال الشخصي ، فكان يتحدث بالأمر إلى من يأنس فيه خيرًا ، والأمر معروف للجميع ، حيث كانت بدايات الدعوة من قبل رسول الله ﷺ .

وعلى هذا يمكن أن نعطي تعريفًا للإعلام من منظور إسلامي فنقول : (الإعلام هو تزويد الجماهير – بصفة عامة – بحقائق الدين الإسلامي المستمدة من كتاب الله وسنة رسوله بصورة مباشرة أو غير مباشرة من خلال وسيلة إعلامية دينية متخصصة أو عامة ، بواسطة قائم بالاتصال لديه خلفية واسعة ومتعمقة في موضوع الرسالة التي يتناولها ، وذلك بغية تكوين رأي عام صائب يعي الحقائق الدينية ويدركها ويتأثر بها في معتقداته وعباداته ومعاملاته) .



المبحث الثاني : بعض طرق الدعوة قديمًا

إن استعراض بعض طرق الدعوة قديمًا نهدف منه في هذا المقام استخدامه في الدعوة أو على الأصح الاستفادة منه ، وهذا التوجه سببه أن بعض المجتمعات في العصر الحاضر تحتاج في دعوتها إلى تلك الطرق القديمة ، وغالب أقسام الدعوة في عالمنا الإسلامي في حاجة لمثل هذه المعرفة ؛ لأن رسولنا الكريم عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم عندما نتابع طريقته ، أو مجموعة طرقه في البلاغ عن الله عز وجل نجده فعلًا قام بعدة طرق هي في الحقيقة مضامين عملية الاتصال . هذه العملية المستمرة القائمة مع الإنسان والملازمة له – والاستفاضة في الحديث عن تلك الطرق ليست من الأمور المناطة بنا ، لأنها تتبع أقسام الإعلام في الكليات التي تهتم بهذا الجانب من جوانب المعرفة ، لكن معرفتها من لوازم الداعية ، ليقوم بعمله على الوجه الأكمل وعلى علم بجميع الطرق المستخدمة قديمًا وحديثًا . وسيكون الحديث عن هذا المبحث من خلال المطلبين الآتيين :

- المطلب الأول : الاتصال الشخصي .
- المطلب الثاني : الرسائل والمكاتبات .



المطلب الأول : الاتصال الشخصي

الاتصال الشخصي شكل من أشكال الاتصال ، ويقول الإعلاميون : إن هذا النوع من الاتصال الذي يتم بين فرد وآخر « الاتصال الشخصي » تفقد فيه عملية الاتصال بعض المعلومات وهو يتحقق في الجماعات الأولية كالأسرة وجماعة العمل وجماعة النشاط الحر وكلها جماعات صغيرة .

إذًا هذا النوع من الاتصال استخدم كطريقة من طرق الدعوة . وهو أكثر وسائل الإعلام تأثيرًا ، كما قال علماء الاتصال حيث توصلوا لهذا من خلال الدراسات والأبحاث العلمية .

فرسول الله ﷺ أول ما استخدم من طرق هي طريقة الاتصال الشخصي ، وهذا يمكن إيضاحه من خلال الآتي :

١ – اتصالاته ﷺ السرية في فترة الإسرار بالدعوة والتي استمرت لثلاث سنوات متتالية حيث كان يجري اتصالات شخصية مع أصدقائه « أبي بكر الصديق » وأفراد أسرته ، حيث لم تكن هناك وسيلة أخرى يمكن استخدامها غير هذه .

٢ – رحلته الشخصية إلى الطائف للبحث عن مؤيدين ونشر دين رب العالمين ، حيث كان يأمل ﷺ أن يستجيب له أهل الطائف ، والنتيجة معروفة ، حيث تعرض ﷺ للأذى من أهل الطائف .

٣ – اتصالاته ولقاءاته الشخصية بأفراد قبائل العرب الوافدة إلى مكة بعد البدء في الدعوة الجهرية ، وما كان من بيعة معهم في العقبة الأولى ، حيث ذلك النفر من الخزرج أهل وسكان المدينة المنورة « يثرب » .

وهذا الاتصال نتج عنه خير كثير ، حيث أصبح للإسلام مؤيد في هذه الأرض التي أصبحت مكان هجرته وانطلاقة دولة التوحيد دولة الإسلام .

٤ – قيامه ﷺ ببعث الرسل إلى الملوك والرؤساء في ذلك الزمان ، وهو ضرب من ضروب الاتصال الشخصي ، حيث حمل أولئك الرجال رضوان الله عليهم رسائله ﷺ إلى أولئك الملوك يدعوهم فيها إلى الإسلام .

٥ – اتصالاته الشخصية ﷺ التي قام بها عند وصوله المدينة مهاجرًا ولقاءاته بمن يفد إلى المدينة ، حيث كان يدعوهم إلى الإسلام عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام .

ولا شك أن كتب السيرة النبوية تحفل بالعديد من اللقاءات الشخصية التي قام بها سيدنا رسول الله ﷺ .

ولا شك أن هذه النقاط الخمس السابقة تعكس الدور الذي لعبه الاتصال الشخصي في حياة رسول الله ﷺ قدوتنا وأسوتنا لنشر الدعوة الإسلامية .

والجدير ذكره في هذا المجال أن الاتصال الشخصي يظهر جليًا في مجال الأسرة ، حيث أكد الإسلام على المسئولية الدعوية (كلكم راع وكل راع مسئول عن رعيته) ، فالدعوة في المجال الأسري هي نوع من الاتصال الشخصي ، حيث يقوم الأب والأم بتربية الأولاد تربية دينية ، ويقوم الأب في نفس الوقت برعاية الزوجة وتعليمها أمور الدين وتوجيهها إلى القيام بما أوجب الله عليها من رعاية البيت ومن فيه وإقامة شرعه فيه والمحافظة على الدين والخلق القويم؛ كي ينمو النشء على ما يرام، وبذلك تتوفر له القدوة الحسنة في المنزل .

وبذلك تتحقق الدعوة في مجال الأسرة ، ويحصل الخير الكثير ، وتحافظ الأمة من خلال الأسرة على مبادئ الإسلام وقيمه الرفيعة وأخلاقه السامية .

وبهذا يكون الاتصال الشخصي في مجال الأسرة قائمًا على النصح والتوجيه والمحافظة على نعمة الإسلام وإعداد الناشئة للقيام بأعباء هذا الدين وشرائعه ، ويمكن توظيف الاتصال الشخصي أيضًا في مجال العمل ، حيث يستطيع الواحد منا الدعوة إلى الإسلام في هذا المجال من خلال رفاق العمل ، وذلك ببيان أمر الدين لمن لا يعرف ، وبالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر باستخدام كافة الطرق والوسائل المرغبة والموضحة التي تبين للناس ما أراد الله سبحانه منهم .

المطلب الثاني : الرسائل والمكاتبات

هذه الطريقة من طرق الدعوة قام بها سيدنا رسول الله ﷺ بعد عودته من الحديبية في السنة السادسة من الهجرة – ولقد ذكرت هذا بالتفصيل في كتابي « الأسلوب النبوي في الدعوة » ولتمام الفائدة أقف مع رسائله ﷺ بعض الوقت لبيان أهمية الرسائل في مجال الدعوة للإخوة الدعاة ولكافة المسلمين .

يقول ابن سعد في طبقاته : (لما رجع رسول الله ﷺ من الحديبية في ذي الحجة سنة ست أرسل الرسل إلى الملوك يدعوهم إلى الإسلام ، وكتب إليهم كتبًا ، فقيل : يا رسول الله إن الملوك لا يقرأون كتابًا إلا مختومًا فاتخذ رسول الله ﷺ يومئذ خاتمًا من فضة فصه منه نقشه ثلاثة أسطر : محمد رسول الله ، وختم به الكتب)[1] .

وهي وسيلة من وسائل الاتصال المعروفة لدى الإنسان منذ القدم قصد منها رسول الله ﷺ إظهار هذا الدين والصدع به بإيصاله إلى تلك الأمم والممالك عن طريق هذه الوسيلة المعروفة في ذلك الوقت ، وحتى هذا العصر – لأنها تتضمن التقدير والاحترام للمرسل إليه .

والرسائل فيها فرصة الشرح والإيضاح والبيان للمرسل إليه ، حيث يبين المرسل كثيرًا من الأمور التي يريدها .

ويمكن أن نبين في الصفحات التالية نماذج من رسائله ﷺ إلى ملوك ورؤساء العالم في زمانه ﷺ ، حيث اختار لحمل تلك الرسائل نخبة من صحابته الكرام الذين لديهم القدرة على القيام بمثل هذه المهمة ، وقد كان اختياره ﷺ موفقًا ، وهو أمر طبيعي ،

(١) طبقات ابن سعد جـ١ ص٢٢٨ .

حيث وجد أولئك الملوك من رسل رسول الله ﷺ التفهم الكامل لمهمتهم ، وذلك من خلال الحوارات التي أوردها كتاب السيرة بينهم وبين أولئك الصحابة .

○ أولًا : كتابه إلى جيفر وعبد ابني الجلندي ○

حمله عمرو بن العاص رضي الله تعالى عنه .

« بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد بن عبد الله إلى جيفر وعبد ابني الجلندي .
السلام على من اتبع الهدى .
أما بعد ، فإني أدعوكما بدعاية الإسلام .
أسلما تسلما فإني رسول الله إلى الناس كافة ، لأنذر من كان حيًا ويحق القول على الكافرين .

وإنكما إن أقررتما بالإسلام وليتكما ، وإن أبيتما أن تقرا بالإسلام فإن ملككما زائل ، وخيلي تحل بساحتكما وتظهر نبوتي على ملككما »[1].

قال ابن سعد في طبقاته : (قالوا : وبعث رسول الله ﷺ ، عمرو بن العاص في ذي القعدة سنة ثمان إلى جيفر وعبد ابني الجلندي ، وهما من الأزد ، والملك منهما جيفر يدعوهما إلى الإسلام ، وكتب معه إليهما كتابًا وختم الكتاب) .

قال عمرو : فلما قدمت عمان عمدت إلى عبد ، وكان أحلم الرجلين ، وأسهلهما خلقًا ، فقلت : إني رسول رسول الله ﷺ إليك وإلى أخيك ، فقال : أخي المقدم علي بالسن والملك ، وأنا أوصلك إليه حتى يقرأ كتابك ، فمكثت أيامًا ببابه ، ثم إنه دعاني ، فدخلت عليه فدفعت إليه الكتاب مختومًا ، ففض خاتمه وقرأه حتى انتهى إلى آخره ، ثم رفعه إلى أخيه فقرأه مثل قراءته ، إلا أني رأيت أخاه أرق منه ، فقال : دعني يومي هذا وارجع إلي غدًا ، فلما كان الغد رجعت إليه ، قال : إني فكرت فيما دعوتني إليه ، فإذا أنا أضعف العرب إذا ملكت رجلًا ما في يدي ، قلت : فإني خارج غدًا ، فلما أيقن بمخرجي أصبح فأرسل إلي ، فدخلت عليه ، فأجاب إلى الإسلام هو وأخوه جميعًا

---

(١) الوثائق السياسية لمحمد حميد الله ص١٦٢ .

وصدقا بالنبي ﷺ ، وخليا بيني وبين الصدقة ، وبين الحكم فيما بينهم ، وكانا لي عونًا على من خالفني فأخذت الصدقة من أغنيائهم فرددتها في فقرائهم ، فلم أزل مقيمًا فيهم حتى بلغنا وفاة رسول الله ﷺ)[1].



كتابه صلى الله عليه وسلم إلى جيفر وعبد ابني الجلندي

(١) طبقات ابن سعد جـ١/٢٦٢ ، ٢٦٣ .

○ ثانيًا : كتابه ﷺ إلى هوذة بن علي الحنفي ○

صاحب اليمامة ، بعثه مع سليط بن عمرو العامري :

« بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد رسول الله إلى هوذة بن علي ، سلام على من اتبع الهدى ، واعلم أن ديني سيظهر إلى منتهى الخف والحافر ، فأسلم تسلم ، وأجعل لك ما تحت يدك »[1].

قال ابن سعد : (فقدم عليه وأنزله وحياه ، وقرأ كتاب النبي ﷺ ، ورد ردًا دون رد ، وكتب إلى النبي ﷺ : ما أحسن ما تدعو إليه وأجمله ، وأنا شاعر قومي وخطيبهم ، والعرب تهاب مكاني ، فاجعل لي بعض الأمر أتبعك .

وأجاز سليط بن عمرو بجائزة وكساه أثوابًا من نسج هجر ، فقدم بذلك كله على النبي ﷺ ، وأخبره عنه بما قال ، وقرأ كتابه وقال : لو سألني سيابة[2] من الأرض ما فعلت باد وباد ما في يديه .

فلما انصرف من عام الفتح جاءه جبريل فأخبره أنه قد مات)[3].

* * *

---

(١) الوثائق السياسية لمحمد حميد الله ص١٥٦ ، ١٥٧ .

(٢) سيابة : قال ابن منظور هي البلحة ، وجمعها سياب . لسان العرب جـ١/٤٧٩ .

(٣) طبقات ابن سعد جـ١/٢٦٢ .

○ ثالثًا : كتابه ﷺ إلى الحارث بن أبي شمر الغساني ○

من أمراء غسان في أطراف الشام ، وكان رسوله إليه شجاع بن وهب الأسدي :

« بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد رسول الله إلى الحارث بن أبي شمر .

سلام على من اتبع الهدى وآمن بالله وصدق ، فإني أدعوك إلى أن تؤمن بالله وحده لا شريك له ، يبقى لك ملكك »[1].

قال ابن سعد : (قال شجاع : فأتيت إليه وهو بغوطة دمشق ، وهو مشغول بتهيئة الأنزال[2] والألطاف[3] لقيصر ، وهو جاء من حمص إلى إيلياء ، فأقمت على بابه يومين أو ثلاثة . فقلت لحاجبه : إني رسول رسول الله ﷺ إليه ، فقال : لا تصل إليه حتى يخرج يوم كذا وكذا ، وجعل حاجبه – وكان روميًا اسمه مرى ، يسألني عن رسول الله ﷺ ، فكنت أحدثه عن صفة رسول الله ﷺ ، وما يدعو إليه ، فيرق حتى يغلبه البكاء ويقول : إني قد قرأت الإنجيل فأجد صفة هذا النبي ﷺ بعينه ، فأنا أومن به وأصدقه وأخاف من الحارث أن يقتلني ، وكان يكرمني ويحسنُ ضيافتي .

وخرج الحارث يومًا فجلس ووضع التاج على رأسه ، فأذن لي عليه فدفعت إليه كتاب رسول الله ﷺ ، فقرأه ثم رمى به وقال : من ينتزع مني ملكي ؟ .

أنا سائر إليه ولو كان باليمن جئته ، علي بالناس .

فلم يزل يفرض[4] حتى قام ، وأمر بالخيول تنعل ، ثم قال : أخبر صاحبك ما ترى ،

---

(١) الوثائق السياسية لمحمد حميد الله ص١٢٦ .

(٢) الأنزال : مفردها نزل ، وهو ما يهيأ للنزيل . لسان العرب ص٦٥٨ .

(٣) الألطاف : الطرائف ، مفردها : لطف . المعجم الوجيز ، مجمع اللغة العربية ، المركز العربي للثقافة .

(٤) الفرض : الهبة . لسان العرب جـ٧/٢٠٣ ابن منظور .

وكتب إلى قيصر يخبره خبري وما عزم عليه ، فكتب إليه قيصر : ألا تسير إليه واله[1] عنه ووافني بإيلياء ، فلما جاءه جواب كتابه دعاني فقال : متى تريد أن تخرج إلى صاحبك ؟ قلت : غدًا ، فأمر لي بمائة مثقال ذهب ، ووصلني مرى[2] ، وأمر لي بنفقة وكسوة وقال : أقرىء رسول الله ﷺ مني السلام ، فقدمت على النبي ﷺ ، فأخبرته ، فقال : « **باد ملكه** » .

وأقرأته من مرى السلام وأخبرته بما قال ، فقال رسول الله ﷺ : « **صدق** » ، ومات الحارث بن أبي شمر عام الفتح)[3] .

وهناك فئة مارقة خارجة على مجتمعاتها أخذت السلب والنهب نهجًا لها ، وطريقًا للعيش والكسب ، كتب لها عليه الصلاة والسلام .

قال ابن سعد : وكتب رسول الله ﷺ : لجماع[4] كانوا في جبل تهامة قد غصبوا المارة .

هذا نوع آخر من كتب رسول الله ﷺ التي بعثها إلى داخل الجزيرة العربية ، ليسوا رؤساء قبائل ولا زعماء أو ملوكًا ، بل فئة خارجة على المجتمع ثائرة عليه أخذت السلب والنهب وقطع الطريق وسيلة للكسب ، عاشت في ضلال هذه العادة الذميمة والفعلة المشينة ، دأبوا على الارتزاق من أموال الناس بغير حق ، فهم قطاع طريق ومغتصبون ، لجأوا إلى القوة والعنف ، لم يهملهم عليه الصلاة والسلام ويتركهم يعيثون في الأرض فسادًا ، بل نظر إليهم نظرة رحمة وشفقة وعطف ، وفي نفس الوقت كانت هذه النظرة بمثابة تلمس لأوضاعهم وأسباب جنوحهم ، ووقوفًا على الظروف التي أدت بهم إلى هذا السلوك ، وما دفعهم أن يعتزلوا مجتمعاتهم ويخرجوا عليها ، ويحطموا تقاليدها وأعرافها التي كانت تدين مثل هذا التصرف بكل شدة وعنف ، كتب عليه الصلاة والسلام إلى هذه الفئة من فئات مجتمع الجزيرة العربية ؛ لأن الإسلام إنما أتى للجميع لا فرق بين هذا وذاك ، ولا تفاضل أو مميزات لأحد على أحد إلا ذلك التفاضل القائم على العمل ودرجة القرب

---

(١) اله : تقول : اله عن الشيء : أي اتركه . لسان العرب جـ١٥/٢٦٠ .
(٢) مرى : حاجب الحارث بن أبي شمر .
(٣) طبقات ابن سعد جـ١/٢٦٠ ، ٢٦١ .
(٤) الجماع : أخلاط من الناس أو الضروب المتفرقون من الناس – لسان العرب جـ٨/٥٦ .

من الله سبحانه وتعالى وتعاليم الدين القويم ، كتب لها عليه الصلاة والسلام ليبلغها أمر هذا الدين ، فإن أطاعت فهذا ما كان يرجوه ، وإن عصت وبغت كان لها شأن آخر ، فربما كان سبب مروقها ظلم لحق بها ، أو عدوان أرغمها على فعلتها تلك ، والإسلام إنما أتى للقضاء على جميع دوافع الشر والظلم والعدوان بكل أشكاله وألوانه .

فهي فئة مريضة حقها على مجتمعها ممثلًا في العقلاء والمصلحين أن يقفوا على أسباب ذلك المرض ويصفوا الدواء المناسب ، إلا أنها لم تجد من يقوم على شئونها ويرعى مصالحها ويحافظ على بقائها ضمن حدود مجتمعها ، فاستمرت في خروجها على مجتمعاتها ، وممارسة ذلك السلوك الشائن غير المقبول من الناس جميعًا .

وكأن مكاتبة رسول الله ﷺ لهم قد فتحت أبواب الخير أمامهم ليلجوها ، ويستظلوا بعدالة الإسلام ورحمته التي أتت للناس جميعًا ، كبيرهم وصغيرهم ، حرهم وعبدهم ، ذكرهم وأنثاهم ، وينعموا بالخير العميم الذي أتى به هذا الدين العظيم من إحقاق للحق وردع للظلمة وإنصاف للمظلومين المقهورين .

ما أعظم هذا الدين ، وما أرحمه بالناس جميعًا ، وهذا هو كتاب الهادي البشير إلى تلك الفئة الظالمة :

« بسم الله الرحمن الرحيم :

هذا كتاب من محمد النبي رسول الله لعباد الله العتقاء إنهم إن آمنوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة ، فعبدهم حر ، ومولاهم محمد ، ومن كان منهم من قبيلة لم يرد إليها ، وما كان فيهم من دم أصابوه أو مال أخذوه فهو لهم ، وما كان لهم من دين في الناس رد إليهم ولا ظلم عليهم ولا عدوان ، وإن لهم على ذلك ذمة الله وذمة محمد . والسلام عليكم »[1].

إن هذه العبارات التي تكون منها هذا الكتاب من الوضوح بمكان بحيث لا تحتاج إلى تعليق أو شرح أو بيان ، وكيف لا يكون ذلك وهي صادرة من أفصح خلق الله كلهم عليه الصلاة والسلام ، وقد آتاه ربه سبحانه وتعالى جوامع الكلم ، عن أبي هريرة رضي الله

(١) طبقات ابن سعد جـ١/٢٧٨ .

تعالى عنه أن رسول الله ﷺ قال : « **بعثت بجوامع الكلم** »[1]. رواه الإمام البخاري في صحيحه في كتاب الجهاد .

إن الاهتمام البالغ من رسول الله ﷺ بهذه الفئة المارقة أعاد لها الثقة في نفسها ، وأبان لها الخير ورغبها فيه ، وبذلك يكسب المجتمع سواعد أخرى تعمل على بنائه وإسعاده والمشاركة في مسئولياته والقضاء على مواطن الفساد فيه ، وفرص الخروج على أحكامه ، والمشاركة الإيجابية في كل ما من شأنه توفير الرخاء والحياة الآمنة في ذلك المجتمع والقضاء على أسباب الظلم التي أدت بتلك الفئة إلى الخروج على المجتمع ومحاربته بقطع الطريق والسلب والنهب .

كما نجد نوعًا آخر من كتب رسول الله ﷺ إلى حكام الجزيرة العربية الذين كانوا على علم بالكتب السماوية ، ومن بين رعاياهم من كان على الديانة الموسوية أو العيسوية أو عبادات أخرى كالمجوسية – مثلًا – والوثنية ما أنزل الله بها من سلطان ، يخاطبهم الصادق الأمين ويبلغهم رسالة ربهم .

وقد سجلت كتب السير من هذا النوع رسالتين .

ويظهر من منطوق هاتين الرسالتين أن أولئك الأقوام الذين كتب لهم رسول الهدى ﷺ يدينون باليهودية والنصرانية ، أو يوجد بين رعاياهم من يعتنق تلك الديانتين بالإضافة إلى المجوسية وعبادة الأوثان .

وسوف نعرض هذين الكتابين لبيان التشابه الذي بينهما .

○ أولًا : كتاب المنذر بن ساوي التميمي أمير البحرين ○

حمله إليه العلاء بن الحضرمي رضي الله تعالى عنه .

« بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد رسول الله إلى المنذر بن ساوى .

سلام عليك ، فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو ، وأشهد أن لا إله إلا الله ،

---

(١) فتح الباري جـ٦/٤٦٩ .

وأن محمدًا رسول الله . أما بعد :

فإني أذكرك الله ، فإن من ينصح فإنما ينصح لنفسه ، ومن يطع رسلي ، ويتبع أمرهم فقد أطاعني ، ومن نصح لهم فقد نصح لي . وإن رسلي قد أثنوا عليك خيرًا . وإني قد شفعتك في قومك ، فاترك للمسلمين ما أسلموا عليه وعفوت عن أهل الذنوب ، وإنك مهما تصلح فلن نعزلك عن عملك ، ومن أقام على يهوديته أو مجوسيته فعليه الجزية »[1].

* * *

كتابه صلى الله عليه وسلم إلى المنذر بن ساوى

* * *

(١) مجموعة الوثائق السياسية لمحمد حميد الله ص١٤٦ .

○ ثانيًا : كتاب الحارث ومسروح ونعيم بن عبد كلال ○

وبعثه مع عياش بن أبي ربيعة المخزومي .

قال ابن سعد عن الزهري قال : كتب رسول الله ﷺ إلى الحارث ، ومسروح ، ونعيم بن عبد كلال من حمير : « *سلم أنتم ما آمنتم بالله ورسوله ، وأن الله وحده لا شريك له ، بعث موسى بآياته وخلق عيسى بكلماته ، قالت اليهود : عزير ابن الله ، وقالت النصارى : الله ثالث ثلاثة ، عيسى ابن الله* »[1].

يتضح من ذلك وجود تلك الديانات في تلك الأصقاع واعتناق أولئك تلك الأديان ، وأخص بالذكر الأديان المنزلة من عند الله سبحانه وتعالى .

كما أورد ابن سعد ما قاله عليه الصلاة والسلام لعياش بن أبي ربيعة موجهًا إياه إلى ما يجب أن يعمله ، مبينًا له أوضاعًا معينة كان القوم عليها ، وهي من الدقة بمكان بحيث لا يعلمها إلا من عاش مع تلك الأقوام وخالطهم ومكث في ديارهم وقتًا طويلًا يسمح له بمعرفة عقائدهم وعاداتهم وتقاليدهم وسلوكهم الاجتماعي وارتباطهم ببعضهم ، ومعلوم أن النبي ﷺ لم يذهب إلى اليمن ، ومعلوم أيضًا بعد المسافة بين مكة واليمن أو المدينة المنورة واليمن ، مما يدل على أن ذلك الوصف الدقيق لأحوال القوم والوقوف على شئونهم ومعرفة أسلوب حياتهم وتركيبة ذلك المجتمع الدينية ، إنما هو وحي من عند الله سبحانه وتعالى ، أطلع عليه النبي ﷺ بجلاء الأمر الذي جعله عليه الصلاة والسلام يدلي لعياش بتلك المعلومات الدقيقة عن ذلك المجتمع المرسل إليه ، وصدق ربنا العظيم حين قال : ﴿ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴾[2]، وهذه ليست الأولى أو الأخيرة ، فلقد ثبت عن رسول الله ﷺ كثير من هذه المعجزات النبوية ، مما أطلعه عليها الحق تبارك وتعالى تثبيتًا له عليه الصلاة والسلام ، ونصرًا لهذا الدين القويم الذي ارتضاه

---

(١) طبقات ابن سعد جـ١/٢٨٢ .

(٢) سورة النساء الآية : ١١٣ .

رب العالمين لعباده جميعًا ، كما قال تعالى : ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾[1].

يقول ابن سعد : قال ﷺ – والحديث لعياش المخزومي – : « *إذا جئت أرضهم فلا تدخلن ليلًا حتى تصبح ثم تطهر فأحسن طهورك وصل ركعتين وسل الله النجاح والقبول ، واستعذ بالله وخذ كتابي بيمينك وادفعه بيمينك في أيمانهم فإنهم قابلون واقرأ عليهم :* ﴿ لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ ﴾[2]*، فإذا فرغت منها فقل آمن محمد وأنا أول المؤمنين ، فلن تأتيك حجة إلا دحضت ولا كتاب زخرف إلا ذهب نوره ، وهم قارئون عليك ، فإذا رطنوا فقل ترجموا وقل : حسبي الله* ﴿ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ ٱللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٥﴾ ﴾[3]*، فإذا أسلموا فسلهم قضبهم الثلاثة التي إذا حضروا بها سجدوا ، وهي من الأثل قضيب ملمع ببياض وصفرة ، وقضيب ذو عجر*[4] *كأنه خيزران ، والأسود البهيم كأنه من ساسم*[5]*، ثم أخرجها فحرقها بسوقهم* » .

قال عياش : فخرجت أفعل ما أمرني رسول الله ﷺ ، حتى إذا دخلت إذ الناس قد لبسوا زينتهم ، قال : فمررت لأنظر إليهم حتى انتهيت إلى ستور عظام على أبواب دور ثلاثة فكشفت الستر ودخلت الباب الأوسط فانتهيت إلى قوم في قاعة الدار ، فقلت : أنا رسول رسول الله ، وفعلت ما أمرني ، فقبلوا ، وكان كما قال ﷺ[6].

وبعث ﷺ كتابًا إلى يهود خيبر[7] يبلغهم رسالة ربهم ويدعوهم إلى الإسلام الحنيف ، الدين القويم ، وإظهار الحق الذي جاءت به كتبهم ، والمتمثل في الدين الإسلامي

(١) سورة المائدة الآية : ٣ .
(٢) سورة البينة الآية : ١ .
(٣) سورة الشورى الآية : ١٥ .
(٤) عجر : جمع عجرة وهي العقدة في الخشبة ، اللسان جـ٤/٥٤٣ .
(٥) ساسم : شجرة يقال لها : الشيز وهو شجر الجوز أو خشب أسود، اللسان جـ١٢/٢٨٠، جـ٥/٣٦٣ .
(٦) طبقات ابن سعد جـ١/٢٨٢ ، ٢٨٣ .
(٧) خيبر : على بعد مائة وخمسين ميلًا من المدينة ، كانت دار بني قريظة .

الذي أمروا أن يتبعوه ، ويدينوا به .

يقول محمد بن طولون الدمشقي في كتابه : أعلام السائلين عن كتب سيد المرسلين : أخبرنا السراج عمر بن علي الخطيب عن محمد بن إسحاق عن عكرمة مولى ابن عباس عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أنه كان يقول : كتب رسول الله ﷺ إلى يهود خيبر :

« بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد رسول الله صاحب موسى وأخيه والمصدق لما جاء به موسى ، ألا إن الله عز وجل قال لكم يا معشر اليهود وأهل التوراة وإنكم تجدون ذلك في كتابكم أن : ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴿٢٩﴾ ﴾[1] وإني أنشدكم بالله الذي أنزل عليكم ، وأنشدكم بالذي أطعم من كان قبلكم من أسباطكم المن والسلوى ، وأنشدكم بالذي أيبس البحر لآبائكم حتى أنجاكم من فرعون وعمله إلا أخبرتمونا هل تجدون ذلك في كتابكم فلا كره لكم عليكم ﴿ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ ﴾[2] وأدعوكم إلى الله تعالى وإلى نبيه ﷺ »[3].

وقد ورد في كتب السير وكتب كثيرة أرسلها عليه الصلاة والسلام إلى القبائل العربية يدعوهم فيها إلى الإسلام والإيمان بالواحد الأحد الفرد الصمد الذي لم يتخذ صاحبة ولا ولدًا ، وترك عبادة الأوثان وغيرها من العبادات ، أو الأديان السماوية كاليهودية والنصرانية ، والتوجه إلى الحق تبارك وتعالى بالإيمان بخاتم النبيين وسيد المرسلين عليه الصلاة والسلام ، والدخول في الدين القويم الذي ارتضاه الحق تبارك وتعالى للناس أجمعين .

* * *

(١) سورة الفتح الآية : ٢٩ إلى آخر السورة .

(٢) سورة البقرة الآية : ٢٥٦ .

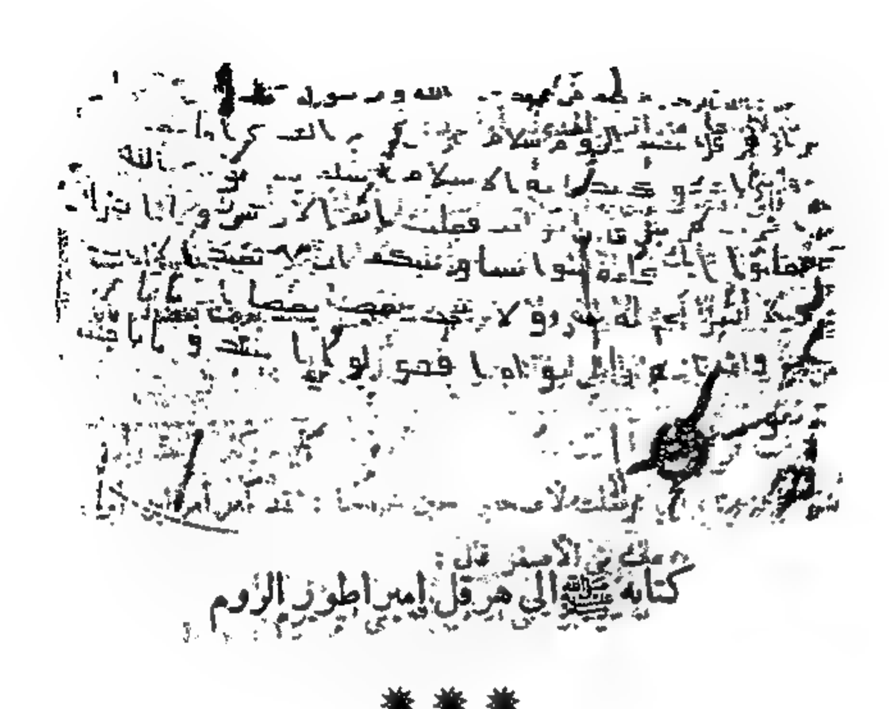
(٣) أعلام السائلين عن كتب سيد المرسلين ، للإمام محمد بن طولون الدمشقي ، تحقيق محمود أرناؤوط ، مؤسسة الرسالة .

وهذه صورة من الكتب التي بعثها لأولئك الملوك في ذلك الزمان حيث كانت نتائجها جيدة ، والحمد لله في أغلبها ووصل الإسلام إلى تلك الأصقاع من خلالها .



كتابه ﷺ الى المقوقس عظيم القبط لما تبين له

* * *



كتابه ﷺ الى هرقل امبراطور الروم

* * *

المبحث الثالث : طريقة إلقاء الحديث الديني في وسائل الإعلام المسموعة والمرئية

استخدام وسائل الإعلام المعروفة في العصر الحاضر ، وأُخُصُّ بالذكر الراديو والرائي، يحتاج من المستخدم معرفة أمور تتعلق بهاتين الوسيلتين قبل القيام باستخدامهما، وهذه الأمور تتعلق بالأدوات المستخدمة فيهما .

ففي مجال الإذاعة لا بد أن يعرف المتحدِّث مثلًا ما يستخدمه لإلقاء حديثه من أدوات ؛ كلاقط الصوت (الميكرفون) وعلاقته بالصوت ، وتأثُّره به ارتفاعًا وانخفاضًا ، وهي أمور سهلة ، يمكن معرفتها من القائم بعملية التسجيل حتى تتم العملية بشكل ناجح .

والأحاديث التي نقصدها هنا هي المتعلقة بالدعوة إلى الإسلام ، وبيان شرائعه وآدابه، ومعاملاته وعباداته ، من خلال هذه الوسيلة (الإذاعة) التي أصبحت سمة من سمات هذا العصر ؛ حيث أقامت الدول والشركات الخاصة محطات لها في كل مكان من عالمنا اليوم ، وهذه فرصة لإيصال صوت الحق لجميع الخلق في كل مكان من أرض الله تعالى من خلال هذه الوسيلة التي أنعم الله بها على عباده حيث يصل الصوت إلى آلاف الكيلومترات في وقت قصير ، بل حيًّا على الهواء ، حيث يتحدَّث المتحدث من بيت الله مثلًا فيسمعه مَن في شرق الكرة الأرضية وغربها في نفس الوقت.وحتى يُستفاد من هذه الوسيلة لا بد من الوقوف على بعض ما يتعلق بها كما ذكرت سابقًا ، وهذا يُسمُّونه في مجال العمل الإذاعي (الحديث الإذاعي) ويكون منه الديني والاقتصادي والاجتماعي والعلمي والسياسي والتاريخي ، إلى غير ذلك من أشكال حسب موضوع الحديث ومتعلقاته ، حيث يصل إلى ملايين الناس . وبالرغم من هذا الاختلاف في الموضوعات فإن الحديث لا يخرج عن كونه كلمة منطوقة ينقلها هذا الجهاز إلى المستمعين في كل مكان ، حسب قدرته الإرسالية ، ومقدرته الفنية .

ولبيان طريقة إلقاء الحديث من خلال الإذاعة لا بد من تَوَفُّر أمور ،هي :

١ – الإعداد الجيد للحديث ، وهذا يتضمن :
أ – توفُّر اللغة السليمة الخالية من غريب الكلمات والألفاظ .
ب – سلامة النطق والحروف والعبارات .
ج – الالتزام بقواعد اللغة
د – وضوح الهدف من الحديث .
هـ – إيراد الأدلة من الكتاب والسنة والإجماع .
٢ – قِصَر الجمل ، والسلامة من الجمل الاعتراضية .
٣ – مراعاة جودة الإلقاء ، وحرارة القول وصدْقه .
٤ – تغيير أطوال الجمل ؛ كي لا يمل المستمع .
٥ – اشتمال الحديث على مقدمة وصدر وخاتمة .
٦ – تفادي الإطالة والتركيز على بيان المقصود من الحديث .

وكلما كان الحديث الإذاعي جذّابًا ، ويُجيب على تساؤلات لدى المستمعين ؛ كلما كانت الفائدة منه أكبر وأشمل وأوسع .

والجدير ذكْره أن هذه الأحاديث تُبثُّ في أوقات؛ منها المسائي، ومنها الصباحي؛ فيجب التنبُّهُ لهذا الأمر ؛ لنجاح عملية الاتصال وقوَّتها ، وحتى لا يكون الحديث متعلقًا بأمور مسائية ووقت بثّه في الصباح ، أو مضمونه يتعلّق بأمور الصباح ؛ لأن المستمع يتأثر بذلك ؛ هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى فإنه يوجد في حياة المسلم أمور تتعلّق بالمساء ، وأمور تتعلّق بالصباح . وهكذا لا بد من تَوَفُّر عوامل النجاح في الحديث الإذاعي ؛ كي تصل الرسالة ، وتُحقِّق الهدف منها .

والحديث الإذاعي إما أن يكون مكتوبًا أو مرتجلًا ، في الحالتين لا بد من مراعاة ما ذُكر سابقًا ، أما الأحاديث المتخصصة – كالتي تتعلّق بعلم من العلوم الشرعية – فهذا أيضًا يجب مراعاة توفُّر بعض تلك النقاط ؛ لأنه مُوَجَّه لطبقةٍ مُعيَّنة من المستمعين ، وهي أحاديث خاصة ، تهدف للتعليم والتذكير بتلك الأمور المُحدَّدة ، سواء في علوم القرآن ، أو الحديث ، أو الفقه ، أو اللغة ، إلى غير ذلك من فروع المعرفة والعلوم الشرعية .

وفي كل الأحوال لا بد أن يستحوذ الحديث على المستمع ، وهذا لا يكون إلا بتوفُّر عناصر النجاح فيه ، والتي يأتي في مقدمتها :
١ – جودة الإلقاء وحرارته

٢ – وضوح الهدف والفائدة منه .
٣ – توفُّر الأدلة والبراهين .
٤ – توفُّر النجاح في عملية التسجيل ؛ من نقاوة الصوت ووضوحه وجودته .
٥ – اختيار الأوقات المناسبة ، والمناسبات الجيدة ؛ العامة والخاصة .
٦ – انتقاء المواضيع التي تهمُّ أكبر شريحة من المستمعين .

إلى غير ذلك من وجوب توفّر الصدق والإخلاص في القول ، والحرص على مصلحة المتلَقِّين وإفادتهم .

وهناك أمْر هام في هذا المجال ، وهو تخصيص أحاديث للفئات الخاصة ؛ مثل : الأطفال ، والنساء، والمعاقين، والعمال، والصناع، والزراع، والتجار؛ لربط مهنهم وأعمالهم بالحديث وموضوعه ؛ ليتم التوجيه والبيان من خلال ما يعرفون ويملكون من خبرات ومهارات ، ومعلومات وثقافة ، ومستوى علمي ومعرفي .

* * *

الحديث عن طريق الرائي (التلفزيون)

التلفزيون كوسيلة من وسائل الإعلام له تأثير كبير ، وجمهور عريض ؛ لأنه يوفِّر للمُستقبِل الرؤيا والاستماع معًا ، لما يبثُّ ويوجَّه إليه من خلاله ، خاصة بعد استخدام الأقمار الصناعية ، والآلات والأجهزة الفضائية في البثِّ للعالم كله عن طريقها ، وبالرغم من هذه الشعبية للتلفزيون ، فإنه يَظَلُّ مكانُ الإذاعة محفوظًا ؛ لما تمتاز به عن التلفزيون من مميزات ؛ حيث تصل إلى المستمعين في كل مكان بأقل تكلفة ، إضافة إلى التطور في عوامل الجذب فيها من خلال الجهات المختصة .

ونعود إلى التلفزيون ، فنقول بأن هذه الوسيلة لها تأثيرها الكبير ؛ لأن المتلقي يسمع ويشاهد ما يُعرَضُ عليه ؛ إما حيًّا على الهواء ، أو مُسجَّلًا ، وهذا يُضفي على عملية الاتصال حيوية خاصة ؛ لذلك لا بد من الاطلاع على خصائص هذه الوسيلة من قِبَل المستخدمين لها ؛ حتى يتمكنوا من الاستفادة منها بشكل جيد .

إن الحديث عن طريق التلفزيون يجب أن تتوفر فيه مواصفات الحديث الجيد ، التي ذكرناها سابقًا عند الحديث عن الإذاعة .

يضاف إلى ذلك كون المتحدث يرى ، فلا بد من الاستعداد لذلك ، ومعرفة حرفية العمل التلفزيوني ، بحيث يقوم المتحدث بتوزيع نظراته بين ما كتبه وبين المشاهدين له ، وهذا يحتاج إلى مران وممارسة وقدرة خاصة ، فلو كان الحديث مرتجلًا فإنه يناسب هذه الوسيلة ، حيث ينصب نظر المتحدث إلى المشاهدين مما يجعل الاتصال ذا حيوية وجذب خاص ؛ لأن المشاهد إذا وجد المتحدث منصرفًا إلى الورقة التي يقرأ منها فإنه لا يكون في حالة من الانتباه والمتابعة كما هو في حالة الحديث المرتجل ، أو عدم التركيز على الورقة المكتوب عليها الحديث .

لذا لا بد من معرفة طريقة الكتابة للتلفزيون ، والتي تختلف عن الكتابة للإذاعة كما هو معلوم ، وعلى كل حال فإن موضوع الحديث وقوته ، ودقة معلوماته وجدته ، وجودة

الإلقاء - لها أكبر الأثر على المشاهدين ؛ لذا لا بد من إدراك هذه الجوانب ومعرفتها ؛ كي يكون الاتصال ناجحًا ، ومؤديًا للغرض المراد منه .

ولا شك أن جلسة المتحدث وهندامه لها أثر في كون الحديث ناجحًا أو غير ذلك ، إضافةً إلى معرفة المتحدث بعلاقة الكاميرا - وأجهزة التصوير عمومًا - بالمتحدث ووضعه أمامها ، وهذا يجعلنا نُبيِّن مزايا التلفزيون وخصائصه ، والتي تتلخص في النقاط التالية :

أولًا : التلفزيون كوسيلة جماهيرية يمتاز عن بقية الوسائل الإعلامية بظهور الصورة إلى جانب الصوت ؛ مما يشيع الحيوية في عملية الاتصال .

ثانيًا : التلفزيون يمتاز بالفورية (البث المباشر بنقل الحديث فور وقوعه ؛كشعائر الحج مثلًا، أو الصلوات، والجمع، والأعياد... إلى غير ذلك من أحاديث، ومحاضرات، وندوات ، ولقاءات) .

ثالثًا : يمتاز التلفزيون بالواقعية ؛ وذلك بجعل المشاهدين يعيشون مع الحدث ، ويتابعونه على أرض الواقع ؛ لاعتماده على الصوت والصورة التي تمتاز بالحركة فهو ينقل الأحداث كما هي ؛ وبذلك فإنه يستحوذ على اهتمام المتلقين (المشاهدين) .

رابعًا : تتوفر فيه خاصية المشاركة ؛ حيث يعيش المشاهد الحدث ، فهو يصل إلى المشاهد في مكانه ، ولا يكلفهم مشقة الانتقال إليه ؛ كالسينما مثلًا .

خامسًا : فيه توفير للوقت والجهد والنفقات ؛ لذا أصبح مرغوبًا لدى جميع المتلقين .

ولا شك أن له بعض السلبيات ؛ كحربه المعلنة على عادة القراءة ، وما يسببه من تأثير بالغ على الأطفال ، إضافة إلى خطورة التأثير الفكري ، من خلال ما يرسل من رسائل تهدف إلى الوصول إلى أمور معينة قد تكون منافية لثقافة وأخلاق بعض المتلقين (المشاهدين)؛ فهو سلاح ذو حدين كما قيل .

والحالة هذه لا بد من توظيف هذه الوسيلة في الدعوة إلى الله ، توظيفًا يجعل منها أداة تأثير إلى الخير والصلاح ، وسعادة هذا الإنسان في الدارين،فلا بد من إقامة جهاز تلفزيون للدعوة إلى الله ، عن طريق القنوات الفضائية ، كما هو واقع الآن ؛ لأن العالم في حاجة إلى هذا الدين كحاجته إلى الهواء والماء والطعام ، حيث عصفت به الأفكار البشرية ، والفلسفات الشيطانية ؛ فغدا في ظلها معذبًا مهانًا ، يأكل قويُّهم الضعيف ، فهو يموج بالظلم والاستعباد والفتن ، وليس له إلا الله ، ودين الله الإسلام الذي سينقذه من هذه الويلات ، ويحميه من تلك المهالك التي أقضَّت مضجعه ، وجعلته نهبًا للخوف والفزع المستمرين .

إن معرفة الداعية المسلم بمواصفات هذه الوسيلة تجعله يستخدمها استخدامًا جيدًا ، خاصة ما كان يتعلق بموضوعنا (الحديث) وكيفية إلقائه ، خاصة الحديث عن الدين الإسلامي ، الذي يجب أن يركز على :

١ – عظمة الخالق تبارك وتعالى ، وقدرته في تصريف أمور الكون ، وما فيه ومن فيه ، وأنه جل وعلا القاهر الرحمن الرحيم .

٢ – الإكثار من أساليب الترغيب .

٣ – بيان محاسن الإسلام ، وشموله جميع شئون حياة الإنسان ، وتنظيمه لها ، بحيث اشتمل هذا التنظيم على الحفاظ على حقوق الإنسان وصيانتها ، وحمايته من أي اعتداء مباشر أو غير مباشر .

٤ – التركيز على كون هذا الدين للناس كافة ، وأنه ناسخ لما أتى قبله من الرسالات .

٥ – الاستفادة من الأساليب القرآنية البيانية ، والبلاغية ، والاستدلالية والقصصية ، إلى غير ذلك من أساليب الترغيب والترهيب .

٦ – التركيز على حاجة الإنسان الماسة لهذا الدين ، وأن الله غني عن العالمين .

٧ – التَركيز على أن الإسلام دين حضارة وتقدم ورقي ، يدعو إلى العلم ويحث عليه ، ويُرَغِّب فيه ، ويرفع شأن أهله ورجاله .

٨ – بيان رعاية الدين لكل الفئات ، واهتمامه بالمرأة ، وجعلها في مكان عالٍ حيث ضمن لها جميع حقوقها ، وأعطاها من المنزلة ما لم تحصل عليه في ظل أي فلسفة ، أو مذهب من المذاهب القديمة والحديثة .

إن هذه الأمور وغيرها تُكسِب الحديث الديني مكانة من خلال هذه الوسيلة ؛ لأن إنسان هذا العصر يركز على الأمور المادية ، ومدى استفادته مما يُعْرَض عليه .

وهكذا يجب العناية والاهتمام بعرض هذه المكاسب ، التي أتى بها الإسلام لهذا الإنسان ، من خلال الحديث عن هذا الدين ، للدعوة إليه ، والترغيب فيه ، ولفت أنظار البشرية إليه .

* * *

المبحث الرابع : الندوة في الإذاعة والتلفزيون

ما هي الندوة أولًا ؟ وكيف يتم إعدادها للإذاعة والتلفزيون ؟
وما الهدف منها في مجال الدعوة إلى الإسلام ؟

الندوة عبارة عن لقاء يضم اثنين أو أكثر ؛ لمناقشة مسألة من المسائل ، أو بيان أمر من الأمور ، بطريقة منظمة مرتبة محددة ، وهي فن من الفنون الإعلامية التي تؤدى عن طريق الإذاعة والتلفزيون ، ولكل وسيلة من هاتين الوسيلتين مواصفاتها وملامحها الخاصة بها ؛ حيث تختلف الندوة الإذاعية عن الندوة التلفزيونية في أن الأولى يكون فيها الصوت فقط ، والثانية الصورة والصوت ، والهدف من الندوة في مجال الدعوة بيان أمر من أمور الدين ، من خلال المشاركين فيها ؛ لتعليم الناس أو تذكيرهم بذلك الأمر ، وسأفصل في هذا من خلال عناصر هذا المبحث على النحو التالي :

○ *أولًا : الندوة الإذاعية :*

أ - إعدادها .
ب - المشاركون فيها .
ج - الهدف منها .
د - طريقة عرضها إذاعيًا .

أ - إعداد الندوة :

ويكون من خلال المُعِدّ ، سواء كان ذلك فردًا ، أو جماعة ، أو مؤسسة معينة ، أو جهة رسمية محلية ، أو إقليمية ، أو دولية ، وذلك بتحديد الموضوع المراد بحثه ، ومناقشته ، وبيان عناصره ، وإعداد الأسئلة المثيرة لكل عنصر من عناصره . وموضوعات الندوة هنا تكون عن الدين الإسلامي ؛ عباداته ، ومعاملاته ، وأخلاقه .

ب - المشاركون فيها :

الندوة تنعقد باثنين أو أكثر ، إضافة للمقدم الذي يكون مُعِدًّا في نفس الوقت ، أو

أنه مذيع فقط ، والإعداد يكون من غيره فردًا أو مؤسسة .

والمعتاد هو أن يكون عدد المشاركين في الندوة ثلاثة مع المقدم ، أو أربعة مع المقدم شريطة أن يكونوا من أصحاب الاختصاص ، القادرين على التعبير والإجابة المسددة على ما يوجه إليهم من أسئلة عن الموضوع ؛ لأن الندوة لا بد أن تدور حول موضوع واحد ، يُشرح ويُبيَّن ويُفصَّل من خلال عناصر محددة ، ذات علاقة مباشرة به ، يكون محصلتها بيان وإيضاح ذلك الموضوع ، بشكل جيد ومفيد .

ج – الهدف منها :

في أغلب الأحيان يكون الهدف تعليميًّا ؛ لبيان أمر من أمور الدين للمستمعين من خلال الإذاعة ، سواء إذاعة محلية أو دولية .

وهناك الندوات التي تُعقد بحضور الجمهور وهي محدودة العدد والانتشار ، لكننا هنا نتحدث عن الندوة الدينية الإذاعية .

وقد تحمل الندوة اسمًا ؛ كاسم موضوع أو مكان ، أو معلم من العالم ... إلى غير ذلك ، أو تكون ندوة من أجل مناسبة من المناسبات الدينية ؛ مثل صلاة الاستسقاء ، أو الكسوف ، أو يوم عرفة ، أو يوم العيد ... إلى غير ذلك من مواضيع مرتبطة بأحداث معينة أو أوقات محددة .

د – طريقة عرضها إذاعيًّا :

تم طريقة عرض الندوة إذاعيًّا كالتالي :

١ – اختيار الموضوع المراد مناقشته ، وتحديد أسئلته .

٢ – اختيار وتحديد الضيوف والأشخاص أعضاء الندوة .

٣ – توزيع الأسئلة عليهم قبل تسجيل الندوة بوقت كافٍ ؛ حتى يكون الإعداد جيدًا .

٤ – تحديد وقت التسجيل .

٥ – إجراء اختبار الصوت في الأستديو .

٦ – تقديم الندوة من خلال المقدم – المذيع – أو غيره من مقدمي الندوات .

٧ – توجيه الأسئلة حسب تسلسلها موضوعيًّا على الضيوف بعد تقديمهم للمستمع بذكر أسمائهم ، ومؤهلاتهم ، وصفتهم العلمية ، ومراكزهم الاجتماعية ؛ أي تعريف سريع

عن كل عضو من أعضاء الندوة .

وهناك جانب هام في طريقة عرضها إذاعيًا وهو الوقت ؛ حيث يُحَدَّد مسبقًا ؛ حتى يحرص الأعضاء على إعطاء كل سؤال حقه من الإجابة في وقت محدد ؛ حتى لا يستأثر أحدهم بالوقت وينتهي الزمن المحدد لها دون استيفاء جوانب الموضوع ، وهو جانب جدير بالعناية . وهكذا يمضي المقدم في طرح الأسئلة حسب ما رتب لها سابقًا حتى آخر سؤال فيها ، ثم يختتمها بإعطاء ملخص سريع عن الموضوع الذي تم علاجه وعَرْضُه على المستمعين ، والخاتمة بإنهاء وقت الندوة المحدد لها ، وتوجيه الشكر للمشاركين والمستمعين .

○ ***ثانيًا : الندوة في التليفزيون :***

من خلال الدراسة النظرية في قسم الإعلام وتجربتي الذاتية يمكن أن أقدم نموذجًا عمليًّا لتقديم ندوة دينية من خلال الرائي ؛ حيث تتبع الطرق التالية في ذلك وهي :

أولًا : تحديد الموضوع (موضوع الندوة) .

ثانيًا : اختيار الأشخاص المشاركين فيها .

ثالثًا : توزيع عناصر الموضوع على المشاركين ، وتحديد سؤالين لكل ضيف في حالة كون عدد المشاركين والمقدم ثلاثة ، ويمكن أن تزيد الأسئلة حسب نوع الموضوع والمدة الزمنية للندوة . والمتفق عليه أن زمن الندوة لا يزيد عن ثلاثين دقيقة .

رابعًا : تحديد مخرج الندوة للتشاور معه في بعض الأُمور ذات العلاقة بالندوة ؛ كالصور والرسوم واللقطات الأخرى إن كان هناك لقطات يحتاجها الموضوع .

خامسًا : تحديد موعد التسجيل لعقد اجتماع بين المعد والمقدم والضيوف ؛ للتشاور في بعض ما يتعلق بالموضوع المراد عرضه عن طريق التلفزيون .

سادسًا : الدخول لمكان التسجيل (الأستديو) ، وتوزيع المشاركين على المقاعد حسب توزيع الأسئلة ، وتزويد المشاركين ببعض المعلومات المهمة في التصوير خاصة النظر إلى الكاميرا التي تخصه ، إلى غير ذلك من أمور يجب التنبيه إليها قبل البدء بالتسجيل أو التصوير ، وتقديم الضيوف والموضوع للمشاهدين .

سابعًا : توجيه الأسئلة على الضيوف حسب ما تم الاتفاق عليه حتى نهاية الموضوع والوقت معًا .

هذه أهم الخطوات التي تتبع للقيام بتقديم ندوة تلفزيونية ، مع أفضليَّة عدم القراءة

من ورقة إلا في حالة وجود إحصائيات أو أرقام ؛ لأن النظر إلى الورقة يشتت انتباه المشارك ، ويضعف من دوره في الندوة ، وفي حالات ضيقه لا بأس من كتابة عناصر أساسية فقط ؛ لأن الإجابة المباشرة فيها من الحيوية ما لا يتوفر في حالة كون المشارك يتلو الإجابة من ورقة .

* * *

المبحث الخامس : كيف يُقدم البرنامج الديني في الإذاعة

في البداية لا بد من بيان أنواع البرامج الدينية ، وباختصار شديد : كل برنامج يتناول جانبًا من جوانب الدين الإسلامي يُسمَّى برنامجًا دينيًّا ، والبرامج الدينية تختلف باختلاف أشكالها ، فهناك :

١ – الحديث الديني .
٢ – المحاضرة الدينية .
٣ – الندوة الدينية .
٤ – المسابقات الدينية .
٥ – نقل خطب الجمعة من المساجد .
٦ – نقل بعض الشعائر الدينية في المناسبات العامة والخاصة من الحرمين وغيرهما .
٧ – التلاوات القرآنية .
٨ – الوعظ الديني .
٩ – الدروس الدينية والمجلات الدينية .
١٠ – المقابلات الإسلامية لبحث موضوع من أمر الدين .
١١ – الأسئلة والأجوبة الدينية .

إلى غير ذلك من المسميات المعروفة في الوقت الحاضر ، أو التي ستظهر في المستقبل . المهم أنها مادة إعلامية ذات علاقة بالدين ؛ معاملاته وعباداته وأخلاقه وتاريخه ورجاله وأبطاله ومواقعه ومشاهده وآثاره .

وبذلك يمكن تحديد نوع البرنامج أولًا ثم الشروع في تقديمه عن طريق هاتين الوسيلتين الجماهيريتين .

وهنا لا بد من بيان الفرق بين الإذاعة والتلفزيون لوضع ذلك في الحسبان عند إعداد البرنامج الديني حتى نوفر أسباب الجذب والقبول .

لأن التقديم الجيد الناجح لا بد من أن يتوفر له إعداد جيد ، فلو كان لدينا أفضل المقدمين (مذيع) لا يمكن أن يغير كثيرًا في إعداد ضعيف . فهناك من هومتخصص في تقديم البرنامج الديني الإذاعي ، وهناك من هو متخصص في تقديم البرنامج الديني التلفزيوني ، وفي الحالتين لا بد من وجود ضابط اتصال جيد بين المتلقين والمعد ، وهو المقدم الذي يضفي من حيويته ونشاطه ظلالا جيدة على البرنامج .

وفي أكثر الإذاعات يكون التقديم من قِبَل العاملين في نفس الجهاز، وأصحاب الاختصاص من العلماء وغيرهم يقومون بإعداد المادة العلمية للبرنامج أيًا كان نوعه .

ولا بد من توفر عناصر التشويق والجذب في البرنامج الديني ، وهذا يحتاج لمتخصصين في الإعداد والتقديم والإخراج في الإذاعة حتى لا يكون البرنامج الديني أقل من غيره من البرامج الأخرى ، وكما ذكرت في المبحث السابق فهناك أمور تختص بالتقديم للإذاعة التي تعتمد على الصوت فقط ، وهناك أمور تختص بالتقديم للتلفزيون الذي يعتمد على الصوت والصورة .

التقديم هو آخر مرحلة وختام العمل الإعلامي ، فلا بد من معرفته ، والتي تحصل إما بالدراسة في المعاهد المتخصصة أو بالمران والممارسة العملية ، وفي حالة حصول العنصرين فالأمر أجمل وأكمل ؛ الدراسة والممارسة ، وأنفع للبرنامج الديني الذي يحتاج – فعلًا – إلى أشخاص متخصصين .

فهناك مرحلة الإعداد – إعداد البرامج الدينية –: تحتاج لمن ينقل تلك النصوص إلى مادة تُبثُّ من خلال الإذاعة والتلفزيون للدعوة لهذا الدين ، وبيان شرائعه وأحكامه ؛ لأن الإسلام غني بهذا ويحتاج إلى من ينقل ذلك إلى عمل إذاعي أو تلفزيوني مناسب لهاتين الوسيلتين سواء من خلال الأحاديث أو الندوات أو المسابقات أو الدراما .

يلي الإعداد المقدِّمون لتلك البرامج ، والذي يعتمد عليهم نجاح البرنامج الديني أو عدمه ؛ لأن التقديم له أثر كبير في البرنامج .

فإذا كان الإعداد جيدًا والتقديم كذلك ينتج عن ذلك كله برنامجٌ جيدٌ وناجحٌ .

وفي كل الأحوال لا بد من مراعاة حاجات المتلقين فيما يتعلق بصلتهم بالدين ، وما أوجب الله عليهم في كتابه العزيز وسنة رسوله الأمين ﷺ ، وحماية عقيدتهم من جميع الصوارف الظاهرة والباطنة بتوعيتهم باستمرار في أمر العقيدة ؛ لأنها الأساس ، وبيان الأحكام مفصَّلة ، وتذكيرهم بجميع الأمور الدينية بين الحين والآخر . إلى غير ذلك من

أمور التأليف بين المسلمين، فرادى وجماعات، وحماية الأسرة المسلمة من التفكك والضياع، وترقيق قلوب المسلمين نحو بعضهم البعض ، وكل ما يجعل من هذه الأمة أمة قوية على الدوام ، مرهوبة الجانب .

وأود أن أشير هنا أن تقديم البرنامج الديني عبر الإذاعة والتلفزيون يرجع إلى نوع البرنامج المراد تقديمه .

فإن كان حديثًا فقد سبقت الإشارة إلى ذلك .

وإن كانت ندوة ففيما بيَّنتُ الكفاية .

وإن كانت مقابلة على شكل سؤال وجواب ، فلا بد من توفُّر المعرفة في كيفية تقديم هذا اللون عبر الإذاعة وعبر التلفزيون قبل الإقدام على التقديم ، من حيث النص والضيف المُجيب والمقدم .

وإن كانت دراما فلا بد من توفر الأشخاص المحترفين في التمثيل ليقوموا بتقمص شخصيات الدراما المراد عرضها ، تاريخية كانت أم غير ذلك من ألوان الدراما المعروفة .

وبعبارة مختصرة فإن تقديم البرنامج الديني عبر هاتين الوسيلتين يحتاج إلى :

أ – كاتب النص الجيد .

ب – المقدم المتمكن .

ج – الإخراج الجيد .

د – معرفة فنون ومواصفات هذه الوسائل وإمكاناتها أولًا .

وقد أوضحت في بداية المبحث بعضًا من البرامج الدينية ، وكل نوع من هذه البرامج له مواصفاته وأهدافه وطريقة تقديمه ، وقبل ذلك كيفية إعداده للإذاعة أو للتلفزيون ، وهذه كلها تمثل العمل الإعلامي الناجح الذي يساعد على الوصول إلى الأهداف المرسومة لذلك البرنامج أو هذا .

وفي كل الأحوال تحتاج إلى المُعدِّ والمُقدِّم والمخرج المُلِمِّ بالمادة المراد عرضُها ليكتمل العمل الفني من جميع جوانبه .

وأؤكد على جانب الإعداد خاصة في العصر الحالي .

* * *

□ الخاتمـة □

الحمد لله وحده ، والصلاة والسلام على مَنْ لا نبي بعده ، سيدنا وإمامنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين .

وبعد :

ها نحن عزيزي القارىء أخي الداعية ، نصل إلى ختام قواعدنا الأربع التي تقوم عليها دعوتنا المباركة ، وضعت فيها تجربة ثلاثة عقود في نفس المجال ، وما أكرمني المولى من علم ، أداءً للأمانة ، ومشاركة متواضعه لدفع مسيرة التأليف في مجال الدعوة إلى الأمام ؛ خدمة للدارسين في المؤسسات العلمية المتخصصة في عالمنا الإسلامي ، بل في عالمنا كله ، وإضافة جديدة لموسوعة الدعوة الإسلامية التي وفّقني الله إليها ، وتمَّ إخراج خمسة كتب منها ، وهذا هو الكتاب السادس ، والذي آمل أن يجد فيه القارىء ما ينفعه ، وطالب الدعوة ما يسد حاجته ؛ لأنه حصيلة جهـد أربع سنوات تقريبًا ، حيث بدأت في الكتابة فيه منذ عام ١٤١٠هـ ، وتمَّ بحمد الله بصورة أرجو أن تنال تقدير الجميع ، مبتغيًا به وجه الله سبحانه وتعالى ، راجيًا من إخواني الدعاء ، فكل ما فيه من جوانب ناجحة كان بفضل الله وتوفيقه ، فله الحمد والثناء الحسن على ما وفَّق وأعان .

إن الحديث عن كل قاعدة من تلك القواعد الأربعة يحتاج لمساحة أكبر من هذه التي احتلها ، إلا أن حرصي على أن لا يطول الحديث كان السبب في ذلك ، إضافة إلى التزامي بخطة البحث التي وضعتها موافقة لمادة الدعوة في الجامعة المباركة التي أحس بأنني لم أوفِّها حقَّها مما أُكِنُّه لها من حُبٍّ وتقدير ، إذ أكرمني الله بالتخرج منها في مرحلة الدكتوراه ، والعمل فيها في مسقط رأسي ؛ مهاجَر سيدي رسول الله ﷺ المدينة المنورة ، هذه الجامعة التي نفع الله بها البلاد والعباد – بلاد المسلمين ، بل العالم أجمع – فجزى الله مَنْ أقامها خيرًا ، ومَنْ قدَّم لها أي دعم كان ؛ لأن هذا الدعم وذلك التقديم إنما هو نُصرَة للدين ودعوة إليه .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ، وصلَّى الله وسلم وبارك على المبعوث رحمة للعالمين وآله .

بسم الله الرحمن الرحيم

□ قائمة المراجع □

عدد	اسم الكتاب	اسم المؤلف	الناشر والطبعة
١	تفسير الفخر الرازي	الإمام محمد الرازي فخر الدين ابن ضياء الدين	دار الفكر بيروت ط٣
٢	الجامع لأحكام القرآن الكريم	محمد بن أحمد القرطبي	دار الكتاب العربي
٣	الدر المنثور في التفسير بالمأثور	عبد الرحمن جلال الدين	دار الفكر
٤	تفسير القرآن الكريم	إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي السيوطي	دار الشعب
٥	جامع البيان في تفسير القرآن	محمد بن جرير الطبري	دار المعرفة
٦	في ظلال القرآن الكريم	سيد قطب	دار الشروق
٧	لباب التأويل في معاني التنزيل	علاء الدين بن علي بن محمد الخازن	دار الفكر بيروت
٨	صحيح البخاري	محمد بن إسماعيل البخاري	عالم الكتب
٩	صحيح مسلم	مسلم بن الحجاج النيسابوري	دار إحياء التراث العربي
١٠	سنن النسائي	أحمد بن شعيب النسائي	المكتبة العلمية
١١	سنن الترمذي	محمد بن عيسى بن سورة	مكتبة البابي الحلبي
١٢	سنن ابن ماجه	محمد بن يزيد القزويني	المكتبة العلمية
١٣	سنن أبي داود	سليمان بن الأشعث الأزدي	دار الحديث سوريا
١٤	مسند أحمد	أحمد بن حنبل	المكتب الإسلامي
١٥	فتح الباري	أحمد بن علي بن حجر العسقلاني	شركة البابي الحلبي بمصر
١٦	المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم	محمد فؤاد عبد الباقي	المكتبة الإسلامية باستنبول

١٧	المعجم المفهرس لألفاظ الحديث الشريف	أ . ي . ونستك	مكتبة بريل
١٨	دليل القاري	عبد الله بن محمد القنيمان	الجامعة الإسلامية بالمدينة
١٩	المعجم الوجيز	مجمع اللغة العربية	المركز العربي للثقافة والعلوم
٢٠	معجم الألفاظ والأعلام القرآنية	محمد إسماعيل إبراهيم	دار الفكر العربي القاهرة
٢١	لسان العرب	محمد بن مكرم بن منظور	دار صادر بيروت
٢٢	القاموس المحيط	محمد بن يعقوب الفيروزآبادي	دار الجيل بيروت
٢٣	تفسير مفردات ألفاظ القرآن الكريم	سميح عاطف الدين	دار الكتاب اللبناني
٢٤	التعريفات	الشريف علي الجرجاني	دار الكتب العلمية بيروت
٢٥	شبهات حول الإسلام	محمد قطب	دار الشروق
٢٦	تعريف عام بعموميات الإسلام	عطية محمد سالم	دار التراث بالمدينة ١٤٠٨ ط٢
٢٧	العبادة في الإسلام	د. يوسف القرضاوي	مؤسسة الرسالة ط٢٤
٢٨	مبادىء الإسلام	أبو الأعلى المودودي	الدار السعودية للنشر
٢٩	المسجد وأثره في تربية الأجيال	عبد الله قاسم الوشلي	مؤسسة الرسالة
٣٠	المسجد ودوره التعليمي عبر العصور	عبد الله قاسم الوشلي	مؤسسة الرسالة
٣١	روح الصلاة في الإسلام	عفيف عبد الفتاح طبارة	دار العلم للملايين ط١٧
٣٢	أصول الدين الإسلامي	الشيخ محمد إبراهيم التويجري	دار العاصمة للنشر ط١
٣٣	عبادات الإسلام فقهها وأسرارها	محيي الدين مستو	دار ابن كثير
٣٤	الصلاة في الإسلام	عبد الله سراج الدين	دار الفلاح
٣٥	الكلم الطيب	شيخ الإسلام أحمد ابن تيمية	دار البيان دمشق
٣٦	دراسات استشراقية وحضارية		جامعة الإمام محمد بن سعود
٣٧	عالمية الرسالة بين النظرية والتطبيق	محمد الغزالي	الجامعة الإسلامية بالمدينة
٣٨	الشرك ومظاهره	مبارك محمد الميلي	الجامعة الإسلامية بالمدينة

٣٩	اليهود في القرآن	عفيف عبد الفتاح طبارة	دار العلم للملايين بيروت
٤٠	الحكمة في الدعوة إلى الله	سعيد بن علي القحطاني	الجريسي للتوزيع
٤١	شخصية المسلم	د . محمد علي الهاشمي	دار البشائر الإسلامية
٤٢	تاريخ العرب قبل الإسلام	د . جواد علي	
٤٣	مناهل العرفان في علوم القرآن	محمد عبد العظيم الزرقاني	البابي الحلبي بمصر ط٣
٤٤	تاريخ الأدب العربي	أحمد حسن الزيات	دار الثقافة بلبنان ط٢٦
٤٥	الخطب والمواعظ	محمد عبد الغني حسن	دار المعارف ط٤
٤٦	أصول الخطابة والإنشاء	الشيخ عطية محمد سالم	مكتبة دار التراث ط١، ١٤٠٨
٤٧	طبقات ابن سعد	محمد بن سعد	دار صادر
٤٨	الإعلام الإسلامي	د . إبراهيم إمام	مكتبة الأنجلو للمعرفة
٤٩	الإعلام الإسلامي وتطبيقاته العملية	د . محي الدين عبد الحليم	مكتبة الخانجي ودار الرفاعي
٥٠	وسائل وأساليب الاتصال	د . زيدان عبد الباقي	مكتبة النهضة
٥١	أصول الدعوة	د . عبد الكريم زيدان	مكتبة المنار
٥٢	الأسلوب النبوي في الدعوة	د . حمدان راجح الشريف	المؤلف
٥٣	عدة الداعية المسلم	د . حمدان راجح الشريف	المؤلف
٥٤	حرفية الفن الإذاعي	يوسف رزق	مكتبة الأنجلو
٥٥	المدخل إلى وسائل الإعلام	د . عبد العزيز شرف	دار الكتاب
٥٦	الإعلام الإذاعي والتلفزيوني	د . إبراهيم إمام	دار الفكر
٥٧	زعماء الإصلاح	أحمد أمين	دار الكتاب العربي
٥٨	جامع بيان العلم وفضله	ابن عبد البر	دار الكتب العلمية
٥٩	الترغيب والترهيب	الحافظ المنذري	دار الفكر
٦٠	العقيدة أولًا معشر الدعاة	د . حمدان راجح الشريف	المؤلف
٦١	لا إله إلا الله محمد رسول الله تفسير وتوضيح	د . حمدان راجح الشريف	دار المجتمع
٦٢	الطرق الحكمية في السياسة الشرعية	ابن قيم الجوزية	دار الوطن بالرياض

٦٣	الأحكام السلطانية	أبو الحسن الماوردي	دار الكتاب العربي
٦٤	الأحكام السلطانية	أبو يعلى محمد الفراء	دار الوطن بالرياض
٦٥	نصاب الاحتساب	عمر بن محمد السنامي تحقيق مرزن عسيري	دار الوطن
٦٦	تنبيه الغافلين	محيي الدين ابن النحاس	دار الكتب العلمية
٦٧	الأسلوب الإعلامي في القرآن	محمد محمود الطلابي	مطبعة البلاغ



فهرس الموضوعات

□ الباب الثاني : القاعدة الثانية : (الداعي) □

* * *

